حصن السلام

بين يدي اولاد مولاي عبد السلام

تأليف

الطاهر بن عبد السلام اللهيوى
الوهابى العلمى الحسنى

تقديم

العلامة الاستاذ عبد الله كنون



34·32 شارع فكتور هيكو
الهاتف 26·53·46 — 26.23.75
ص.ب. 4038 الدار البيضاء

الطبعة الاولى 1398 ــ 1978

بسم الله الرحمن الرحيم

تقديم

هذا كتاب قيم حقا ، كتبه واحد من الذين يحسن ان لا يكتبه غيرهم موضوعه التعريف بالشيخ الامام عبد السلام بن مشيش وفروع النسب العلمى التى تنتمى الى السيد المذكور ، وهو موضوع قد تناولته الاقــلام بكثرة ، وخص بالتآليف العديدة ، ولا سيما من أهل هذا البيت الكريم ، ومن بعض نقبائهم بالذات ، ولكنها كتابات وتآليف ان ترجمت للشيخ فباجمال لا يشفى الغليل وان ذكرت شعب النسب العلمى فانها تقف عند حدود زمانها ، وقد مر على بعضها وقت طويل .

أما الدليل الخريت والنسابة المطلع ، العالم الفاضل الجهبذ الكامل السيد الطاهر اللهيوى الوهابى العلمى صاحب هذا الكتاب ، فقد قدم لكتابه بمقدمة طويلة عريضة فى النسب النبوى الكريم ، وتسلسله فى الذرية العلوية الطاهرة ، وما يتعلق بذلك من مباحيث تاريخية ، وتراجم للائمة من آل البيت أطال فيها النفس جدا ، والمهم انه حقق فى هذا الباب مطالب تزيغ فيهــا الآراء فى حقوق آل البيت وواجباتهم والتشيع وضده ، وقد سلك فى ذلك مسلكا معتدلا متوسطا لا الى المغالات ولا الى التفريط ، وان كان فى بعض الاحيان تند منه كلمات بحق بعض الاكابر لا يوافق عليها مذهب اهل السنة ، وليست تزيد آل البيت الكرام فضلا ولا شرفا ، لان فضلهم وشرفهم ثابتــان بغيرهــا وبمــا هــو أحــق منهــا .

اما ميزة الكتاب العظيمة فهى الترجمة الوافية للشيخ المولى عبد السلام قدس الله سره ، والتى توسع فيها جهده ، وخلصها من الشوائب ، وجلى ما كان يحيط بها من الضباب ، وقدمه فى صورة عالم عارف سنى ناسك سالك منهج اسلافه الكرام فى العمل والتقوى والجهاد وعزوف النفس والترفع عن الدنايا والاشتغال بما يعنيه من معاش لدنياه وحسنة لدينه وضرب بذلك الامثال لذريته والمنتسبين اليه ، وعرفهم بأن ذلك هو الشرف الرفيع والجاه العالى ، واثبت ذلك بالشواهد والادلة ، وتتبع المشاهد والمواقع التى تربط بحياة الشيخ ، تتبع الخبير المطلع على الشاذة والفاذة بحيث لا يفوته منها شيء يتصل بعادة أو عبادة .

والاماكن كالاخبار ان كانت محددة فهى معالم فى حياة الشخص تلقى عليها اضواء تكشف عما يختبىء وراء الاخبار ، ولو كانت محررة كما هى عند صاحب حصن السلام ، واكمل المؤلف صنيعه فى كتابة ترجمة الشيخ بالكلام على زيارته وما يقع فيها من البدع ، وارشد الى الزيارة وآدابها على ما حرره العلماء والدعاء وما يطلب فيه ، وهذا موضوع شائك ، يتعرض الخائض فيه لكثير من النقد والقيل والقال ، لان العوائد التى تمكنت من النفوس يصعب انتزاعها ولا يتأتى الاقلاع عنها بسهولة ، وعلى كل حال فالحق احق أن يتبع ، والشرع واحكامه فوق الجميع ، والمؤلف الم بالموضوع فى الدائرة التى يمكنه أن يدور فيها . ولو قبل الناس كلامه لكان خطوة هامة فى التشرع وعدم الابتداع .

وتزيد قيمة الكتاب بما ذكره من تفرعات النسب العلمى الشريف وتعدد كل فرع منها ، وما تسلسل منها الى يوم الناس هذا ، مع الاستيعاب والاستقصاء وذكر ما امتاز به كل فرع فرع ، ومرجعه وسلفه واماكن وجودهم ، ومدافن أجدادهم وما وقع من التسور على بعضهم ، والاندساس فيهم ، وضمنه فى الاخير عدة وثائق شرعية لها ارتباط شديد بالموضوع .

اننى اهنىء الاخ الاستاذ الطاهر على عمله هذا ، ولا أخفى اعجابى

بما بذله فيه من مجهود شاق ، وما صدع به من حق مر ، وقد قلت فى أول هذه الكلمة ان هذا الكتاب مما يحسن أن لا يؤلفه الا رجل من صميم هذا البيت وأنا أعنى بما قلت ان غيرهم ان تعرض لبعض هذه الامور التى تعرض لها مؤلفه ربما حمل على الغرض وعدم محبة الشيخ ، وهو نفسه قد ذكر رؤيا مناهية صرفته عن كثير مما كان يريد أن يقوله وينصح به أبناء عمه من شرفاء العلم ومع ذلك فلم يأل جهدا فى النصح وقول الحق جزاه الله خيرا عن مقام هذا الشيخ الجليل ، واهل البيت الاصيل ، الذين ما أدركوا هذه المكانة التى لهم فى النفوس الا بالجد والاجتهاد والعمل الصالح النافع فى المعاش والمعاد ، ونفعنا واياه بالمحبة الصادقة للنبى المصطفى عليه الصلاة والسلام وذريته الطيبين الطاهرين وآل بيته أجمعين ، وألحقنا بهم واحشرنا فى زمرتهم آمين والحمد لله رب العالمين .

عبد الله كنون

خطبة الكتاب

الحمد لله الذى جعل العاقبة للمتقين ، وخص بالفضل من اهتدى بهداية سيد المرسلين صلوات الله وسلامه عليه وعلى آله وأصحابه وعليهم اجمعين ، وحكم بسوء المصير على كل من لم يتقرب الى مولاه بلا الاه الا انت سبحانك انى كنت من الظالمين ، اشهد انه الله الذى لا الاه الا هو شهادة تبلغنا من رضوانه منازل العارفين . واشهد أن محمدا عبده ورسوله أرسله بدين الحق كى يمحو به ظلمة الشرك بنور الايمان الذى اخذ به العهد على المرسلين ، ويجعله سبيل النجاة لكل متبع من عباده المخلصين الطيبين الطاهرين .

وبعد : لما وفقنى الله لخدمة المجتمع المسلم وان كنت لست ممن يتوفرون على الكفاءة الصحيحة فى ذلك ساهمت بقدر قسطى بنصيب مما فتح الله به على من غير ان يكون لى فيه قدرة ولا استعداد ، لاننى لما نظرت الى العلم والعلماء وجدت نفسى منهم بمنزلة الارض من السماء ، ولكنى لما تذكرت قوله تعالى : « وفوق كل ذى علم عليم » دخلنى الامل وحبب الى العمل ، فجعلت افكر فى المجتمع الذى يحيط بى من حولى فرايته فى حاجة ماسة الى من يرشده وينير له سبيل الخير حتى يتضح له منهاج الحق والصواب ، فيجتنب ما هو عليه من شبهات الاعتقاد الفاسد ، فسطرت له من الصواب ما قد يحمل قارئه على الاقتناع ان حسنت النية ، وصفت الطوية ،امتثالا لقول الله تعالى : «فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا فى الدين ولينذروا قومهم إذا رجعوا اليهم لعلهم يحذرون » وقد كنت آمل ان يتصدى للموضوع من اعتقد كفاءتهم فى هذا الفن ، فلم أر من يحرك ساكنا ، لذلك اقتحمت الميدان متجردا من كل حول وقوة غير اننى متوكل

على العلى القدير لقوله تعالى : « ومن يتوكل على الله فهو حسبه » وسميته :

حصن السلام بين يدى أولاد مولاى عبد السلام

عسى الله ان يجعله ذخيرة نفع لمن حسنت نياتهم حتى يستفيد منه الخاص والعام ، من كل من له رغبة فى التوبة واصلاح عقيدته من الخواص والعوام ، وقد سلكت فيه سبيل السلف الصالح من أهل السنة والجماعة ، من غير تحيز ولا ابتداع ، وراجعت فيه من الكتب المختلفة ما يجعل القارىء يشعر كأنها كلها فى متناوله فى آن واحد أو يشعر فى نفسه انه كالنحلة التى تمص رحيقها من مختلف الازهار ، حين تلقى عليها أضواء النهار . والله ارجو ان يجعله من العمل المقبول حتى أحظى فيه من طرف الراغبين بالاستحسان المقبول ، وهو حسبى ونعم الوكيل بيده الخير واليه المصير وهو على كل شىء قدير ، وبالاجابة جدير .

المؤلف

حرر بتطوان بتاريخ (27) ربيع الاول عام 1396 هـ . (29) مارس سنة 1976

بسم الله الرحمن الرحيم

وصلى الله على خاتم النبيئين سيدنا محمد وآله وصحبه أجمعين .

البيت المضري المنعم

ويتألف من سبع قبائل من **مضر** ، وهم الذين نزل القرآن بلغتهم اعجازا لهم لانهم أفصح العرب ، ومضر هذا هو الجد (17) للنبى صلى الله عليه وسلم فى سلسلة نسبه ، وجميع القبائل السبع تنتهى اليه فى نسبها .

(1) قريش ، وهم بنو فهر بن مالك بن النضر بن كنانة بن خزيمة ابن مدركة بن الياس بن مضر .

(2) كنانة ، وهم كنانة بن خزيمة بن مدركة بن الياس بن مضر .

(3) قيس ، وهم قيس بن عيلان بن مضر .

(4) تميم ، وهم تميم بن مُرّ بن أدّ بن طانجة بن الياس بن مضر .

(5) أسد ، وهم اسد بن خزيمة بن مدركة بن الياس بن مضر .

(6) هذيل ، وهم هذيل بن مدركة بن الياس بن مضر .

(7) ضبة ، وهم ضبة بن اد بن طانجة بن الياس بن مضر .

النسب النبوى المعظم

ويبتدىء من سيدنا ومولانا « محمد » صلى الله عليه وسلم فهو : محمد بن عبد الله النبى الامى الرسول من الله الى جميع المكلفين من الثقلين قطان الارض وما بينهما ، ارسله الله : « بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون » من زوجه آمنة بنت وهب بن

عبد مناف بن زهرة بن كلاب ٠ فهى قريشية ٠ ابن الجد (1) عبد المطلب واسمه شيبة الحمد من زوجه فاطمة بنت عمرو بن يقظة بن مرة المخزمية القرشية ، وكان عبد المطلب فى الجاهلية شيخا معظما فى قريش يصدرون عن رايه فى مشاكلهم ، ويقدمونه فى مهماتهم ، وقد ظهر ذلك فى قضية ابرهة الحبشى المرويـــة فى سورة الفيل (2) بن هاشم من زوجه سلمى بنت **عمـــرو النجـــاريـــة** الخزرجية من المدينة المنورة التى تشرفت عائلتها بنو عدى بن النجار بمقدمه صلى الله عليه وسلم فى الهجرة ونزوله فى ديارهم بأمر من الله سبحانه ٠ (3) ابن عبد مناف من زوجه عاتكة بنت مرة من بنى سليم بن منصور احدى قبائل قيس بن عيلان بن مضر فهى مضرية . (4) ابن قصى ، واسمه مُجَمِّع من زوجه حبى بنت حليل من بنى خزاعة بن عمر احدى قبائل قمعة ابن الياس بن مضر ، وهم الذين كانت لهم سدانة البيت فى الجاهلية قبل قريش ، وكان لقصى حجابة البيت ، وسقاية الحاج ، ورفادته اى اطعامه ، وندوتهم وهى الشورى فلا يتم أمر لقومه الا فى بيته ، واللواء وهى راية الحرب فلا تعقد الا بيده وهو الـــذى يذكر عنه انه باع مفتاح الكعبة بزق من خمر ٠ (5) ابن كلاب واسمه حكيم من زوجه فاطمة بنت سعد يمانية من أزد شنوءة ٠ (6) ابن مرة من زوجه هند بنت سرير من بنى فهر بن مالك فهى قرشية وكان قومه يجتمعون اليه يوم الجمعة فيخطبهم ويذكرهم بمبعث النبى صلى الله عليه وسلم ويعلمهم بأنه من ولده ، ويامرهم باتباعه والايمان به ٠ (7) ابن كعب من زوجه وحشية بنت شيبان من بنى فهر بن مالك فهى قرشية ٠ (8) ابن لؤى من زوجه أم كعب مارية بنت كعب فهى قضاعية ٠ (9) ابن غالب من زوجه أم لؤى سلمى بنت عمرو ، فهى خزاعية ٠ (10) ابن فهر ، واسمه قريش ، من زوجه أم غالب ليلى بنت سعد فهى هذلية ، وفهر هو جد قريش الاعلى للبيت القـــرشى ٠

البيـــت القرشى المكـــرم

ويتألف من اثنتى عشرة قبيلة (1) بنو عبد مناف ، (2) بنو عبد الدار ابن قصى ، (3) بنو أسد بن عبد العزى بن قصى ، (4) بنو زهرة بن كلاب ، (5) بنو مخزوم بن يقظة بن مرة (6) بنو تميم بن مرة (7) بنو عدى بن كعب (8) بنو سهم بن هصيص بن عمرو بن كعب ، (9) بنو عامر بن لـــؤى ،

(10) بنو تميم بن غالب ، (11) بنو الحارث بن فهر ، (12) بنو محارب ابن فهر ؛ وكانوا على قسمين فالمقيمون منهم بمكة المكرمة يسمون قريش البطاح ، والمقيمون بضواحيها يسمون قريش الظواهر ·

(11) ابن مالك ، من زوجه جندلة بنت الحرث من جرهم · (12) ابن النضر ، واسمه قيس ، من زوجه عاتكة بنت عدوان من قيس عيلان · (13) ابن كنانة ، من زوجه برة بنت مر بن أد بن طانجة ، (14) ابن خزيمة ، من زوجه عوانة بنت سعد من قيس عيلان · (15) ابن مدركة ، من زوجه سلمى بنت أسلم القضاعية · (16) ابن الياس ، من زوجه خندوف المضروب بها المثل فى الشرف والمنعة · ويذكر انه كان يسمع تلبية النبى صلى الله عليه وسلم بالحج فى صلبه · (17) ابن مضر من زوجه الرباب بنت جندة بن معد · (18) ابن نزار من زوجه سودة بنت عك ، قيل ان أباه رأى نور سيدنا محمد بين عينيه ففرح فرحا شديدا ، وأطعم كثيرا ، وقال : ان هذا كله نزر فى حق هذا المولود النبيل · (19) ابن معد ، من زوجه معانة بنت حوشم جرهمية · (20) ابن عدنان ، هذا هو النسب المتفق على صحته بين علماء التاريخ والمحدثين · وما فوق ذلك فان النبى صلى الله عليه وسلم نهى عن البحث فيه ، وقال : لا ترفعونى فوق عدنان ، كذب النسابون وغاية الامر انهم أجمعوا على أن نسبه صلى الله عليه وسلم ينتهى الى اسماعيل بن ابراهيم أب العرب المستعربة فهو نسب محفوظ كما ترى آباء طاهرون وأمهات طاهرات ، لم يزل عليه السلام ينتقل من أصلاب أولائك الى أرحام هؤلاء ، حتى بعثه الله هاديا مهديا ، من أوسطهم نسبا ، وأكرمهم أما وأبا ؛ كلهم سادات قادات كحلقات السلسلة ، ليس فيهم مسترذل ، وكانوا فى نكاحهم على شرع ابراهيم واسماعيل ·

وعن ابن عباس رضى الله عنهما : بين عدنان واسماعيل (30) آبالا يعرفون ، وقال ابن دحية أجمع العلماء والاجماع حجة على أن النبى صلى الله عليه وسلم انما انتسب الى عدنان ولم يتجاوزه ، وعن ابن عباس رضى الله عنهما أيضا انه صلى الله عليه وسلم كان اذا انتسب لم يتجاوز معد ابن عدنان ، ثم يمسك ويقول كذب النسابون مرتين أو ثلاثا ، وعنه أيضا قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ما ولدنى من سفاح الجاهلية شىء الا نكاح الاسلام · وروى هشام بن محمد الكلبى عن أبيه قال : كتبت للنبى صلى الله عليه وسلم (500) أم فما وجدت فيهن سفاحا ولا شيئا

مما كان من أمر الجاهلية ؛ وعن على كرم الله وجهه ان النبى صلى الله عليه وسلم قال : خرجت من نكاح ولم أخرج من سفاح ، من لدن آدم الى أن ولدنى أبى وامى ؛ ولم يصبنى من سفاح الجاهلية شىء ٠

وعن ابن عباس رضى الله عنهما انه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يلتق أبواى قط على سفاح ؛ لم يزل الله ينقلنى من الاصلاب الطيبة الى الارحام الطاهرة مصفى مهذبا لا تتشعب شعبتان الا كنت فى خيرهما ٠ وعن أنس رضى الله عنه قال : قرا رسول الله صلى الله عليه وسلم لقد جاءكم رسول من انفسكم بفتح الفاء ، وقال : انــا انفسكم نسبا وصهرا وحسبا ، ليس فى آباءى من لدن آدم سفاح ٠

وفى صحيح البخارى عن ابى هريرة رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم بعثت من خير قرون بنى آدم قرنا فقرنا حتى كنت من القرن الذى كنت منه وفى صحيح مسلم ، عن واثلة بن الاسقع رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله اصطفى كنانة من ولد اسماعيل واصطفى قريشا من كنانة واصطفى من قريش بنى هاشم ، واصطفانى من بنى هاشم ٠

وعن العباس بن عبد المطلب رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله خلق الخلق ، فجعلنى فى خيِّر فرقتهم وخيِّر الفرقتين ، ثم تخير القبائل فجعلنى فى خيِّر بيوتهم فأنا خيِّرهم نفسا وخيِّرهم بيتا . أى خيِّرهم روحا وذاتا وخيِّرهم أصلا ، وعن ابن عمر رضى الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله اختار خلقه ، فاختار منهم بنى آدم ثم اختار من بنى آدم فاختار منهم العرب ، ثم اختارنى من العرب ، فلم ازل خيارا من خيار ، ألا من أحب العرب فبحبى أحبهم ، ومن أبغض العرب فببغضى ابغضهم ٠

وقال الله تعالى : « فتوكل على العزيز الرحيم الذى يراك حين تقوم وتقلبك فى الساجدين » أى المومنين ، وعلى هذا فان معنى فى على بابها ، والمعنى يراك متقلبا فى أصلاب وأرحام المومنين من نبى الله آدم الى ابيه عبد الله فأصوله جميعا مومنون ، والله أعلم بغيبه وأحكامه ٠

البيت النبــوى الشريف بيت مكــة

يتلخص البيت النبوى فى مرحلتين « الاولى » بيت مكة قبل الهجرة

وكان يتألف منه عليه الصلاة والسلام ، ومن زوجه خديجة بنت خويلد الاسدية القرشية النسب ، تزوجها وهى أيم من موت رجلين ، وكان لها من العمر أربعون سنة ، وكان هو صلى الله عليه وسلم يبلغ من العمر 25 سنة ولم يتزوج عليها فى حياتها ، وقد كان جميع أولاده بنات وبنين منها أما البنون فلم يكتب لاحد منهم البقاء فى هذه الحياة ، وماتوا فى الصغر بمكة المكرمة ، وهم القاسم ، وهو الذى كان يكنى به عليه الصلاة والسلام وعبد الله ، وهو الملقب بالطيب والطاهر ، أما ولده ابراهيم فكان من بيت المدينة ، ولم تكن أمه حرة ، وهى مارية القبطية ، جاءته صلى الله عليه وسلم فى هدية المقوقس ملك مصر ، ولم يكن له من السرارى سواها . وسيأتى باقى الكلام عليها فى بيت المدينة المنورة . وكان له من البنات مع زوجه خديجة اربع ، هن : (1) زينب ، و (2) رقية ، و (3) أم كلثوم ، والرابعة « فاطمة الزهراء » الحوراء الآدمية ، وهى اصغر بناته ، وخلقت قبل الوحى بستة اشهر . أما زينب فقد تزوجها قبل الهجرة ابن خالتها أبو العاص بن الربيع بن عبد العزى بن عبد شمس ، وهو على دين قومه ، واستمرت معه الى ما بعد الهجرة ، ولم تهاجر مع أبيها ، فلما كانت غزوة بدر أسر زوجها مع اسرى المشركين ، وكان مع من أطلق بالفداء ، ومن أجل ذلك بعثت زينب فى فدائه بقلادة كانت لها حلتها بها امها خديجة عند زفافها الى بيت زوجها أبى العاص مع نقود مالية ، فلما رآها رسول الله صلى الله عليه وسلم عقلها ، وعلم أنها لها فتذكر بذلك عهد خديجة وتأثر أبلغ التأثر ، ورق لها رقة بالغة ، فقال لاصحابه ان هذه القلادة من حلى ابنتى زينب زوج أبى العاص ، فان رأيتم أن تطلقوا لها اسيرها وتردوا عليها قلادتها فافعلوا ، فرضوا بذلك كلهم ، وأخذ عليه النبى صلى الله عليه وسلم عهدا بذلك على أن يتركها تهاجر الى المدينة ، فلما عاد أبو العاص الى مكة أذن لها فهاجرت الى المدينة ، فلما كان قبل الفتح خرج أبو العاص الى الشام فى تجارة ، وكان رجلا أمينا ، وكان معه مال له وأموال لبعض قريش ابضعوها معه ، فلما فرغ من تجارته عاد الى مكة بعد خطب طويل ، ورد المال الى اهله ، ثم اتى المدينة مسلما ، فرد النبى صلى الله عليه وسلم زوجه زينب اليه ، ويقول المؤرخون انه لم يجدد لها عقدا بالمدينة ، وانما اكتفى بالعقد الذى كان لها بمكة ، وأما رقية وأم كلثوم ، فقد تزوجهما عثمان بن عفان رضى الله عنه الواحدة تلو الاخرى ، تزوج أولا رقية بمكة قبل الهجرة فهاجرت معه الى الحبشة ، ثم هاجرت الى المدينة معه أيضا ثم توفيت فى السنة الثانية من الهجرة ،

بعد انصرافهم من دفن شهداء بدر ، ثم زوجه عليه الصلاة والسلام أختها أم كلثوم فى السنة الثالثة من الهجرة ، ولذلك كان رضى الله عنه يلقب بذى النورين ، ثم توفيت أيضا فى السنة التاسعة من الهجرة . واما ابنته صلى الله عليه وسلم فاطمة الزهراء رضى الله عنها فكانت من نصيب ابن عمها أمير المومنين على بن طالب ، رضى الله عنه صفى رسول الله صلى الله عليه وسلم باذن من الله كما يأتى فى صفة عرسها وزواجها منه رضى الله عنهما .

ومنها كان عقب رسول الله صلى الله عليه وسلم من ذرية الحسنين ولها معه أيضا بنتان ، هما زينب الكبرى وأم كلثوم الكبرى ، وهى أصغر أولادها رضى الله عنها ، وسيأتى الكلام على عدة أولاد على رضى الله عنه من غيرها ، فى الكلام على بيت على كرم الله وجهه . وكل بناته صلى الله عليه وسلم توفين فى حياته الا فاطمة ، فانها عاشت بعده قليلا ، فكانت أول اهله لحوقا به كما أخبرها به صلى الله عليه وسلم فى مرض موته .

وأما خديجة رضى الله عنها أم هؤلاء الاولاد فقد توفيت بعد خروج رسول الله صلى الله عليه وسلم من مقاطعة شعب قريش التى قدرت مدتها بنحو ثلاث سنوات ، وتعد أكبر شدة مرت به صلى الله عليه وسلم فى حياته بين قومه وعشيرته بمكة ، وكان ذلك قبل الهجرة بثلاث سنوات وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد موتها كثيرا ما يذكرها ويترحم عليها ، فقد عاشت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم نحو (25) سنة وقد كان لها من العمر عند وفاتها نحو (65) سنة ، وقد حزن عليها رسول الله صلى الله عليه وسلم حزنا شديدا ، لما كان لها من العطف عليه ، والرقة له ، ومحاجزة الكفار من قومه عنه . وذلك لما كان لها من الجاه بين بنى أسد ، رضى الله عنها .

ثم جعل النبى صلى الله عليه وسلم يتزوج بعدها ، فعقد عليه الصلاة والسلام على سودة بنت زمعة العامرية القرشية ، فى الشهر الذى توفيت فيه خديجة ، بعد أن توفى عنها ابن عمها السكران بن عمرو وقد كانت آمنت بالله ورسوله ، وخالفت قومها وأقاربها وبنى عمها وهاجرت مع زوجها الى الحبشة فى المرة الثانية خوف الفتنة ، وعقب رجوعها منها توفى عنها رضى الله عنه ، فلم يكن لها أحسن من رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد وفاة زوجها ، ولو تركت لقومها على ما هم عليه

من الغلظة والشدة والجفاء فى معاداة الاسلام لفتنوها فى دينها ، وكان كرمها فى قومها ونسبها فى بنى عامر يمنعها من التزوج برجل اقل منها نسبا وشرفا ، ودخل بها بمكة المكرمة .

ثم بعد ذلك بشهر عقد على عائشة بنت صديقه ابى بكر رضى الله عنه وهى لا تتجاوز السابعة من عمرها . ولم يتزوج عليه السلام بكرا غيرها . ثم دخل عليها بعد مضى ثلاث سنوات بعد الهجرة فى المدينة المنورة .

المرحلـة الثانية بيـت المدينـة

وقد ابتدات المرحلة الثانية من بيت النبى صلى الله عليه وسلم بالمدينة بعد الهجرة ، بعد ان اصبح هذا البيت اوسع واعظم من بيته بمكة ، لان البيت الاول كان بيت الجهاد والكفاح مع العدو المجاور الذى لا يهدأ له بال حتى يعثر على النصر النهائى من هذا الخصم الجديد الذى لا سبيل للمفاهمة معه الا بالدخول فى دين الله ، وترك ما كان عليه الآباء والاجداد من عبادة الوثنية ، وهذا ما لا يرضاه القادة الكبار من أهل مكة حتى ينتصروا عليه او يموتوا من أجله ، وقد بدل الله عز وجل سيد الوجود بيته فى مكة بين اعدائه من قومه وعشيرته ببيت فى المدينة المنورة بين انصاره واحبته واتباع دينه ، فكان البيت الاول بيت الايذاء والنقم ، والبيت الثانى بيت الحياة والنعم . وفيه أنزل الله على نبيه ورسوله تتميما لنعمته عليه فى هذا البيت الثانى : « يا أيها النبىء انا أحللنا لك أزواجك اللاتى آتيت اجورهن وما ملكت يمينك مما أفاء الله عليك وبنات عمك وبنات عماتك وبنات خالك وبنات خالاتك اللاتى هاجرن معك وامرأة مؤمنة ان وهبت نفسها للنبىء ان اراد النبىء أن يستنكحها خالصة لك من دون المومنين » وقد احل الله للنبى صلى الله عليه وسلم فى هذه الآية الاستمتاع بأربعة اصناف من النساء .

(1) اى زوجة مسلمة ارادها النبى صلى الله عليه وسلم وأعطاها صداقها فهى حلال عليه من اى جنس كانت سابقا ، وهى قوله : « أزواجك اللاتى اتيت أجورهن » .

(2) المسبيات فى الحرب ، قد خيره الله فى نكاحهن بطريق الملك او بطريق الحرية والصداق ، وهى قوله : « وما ملكت يمينك مما افاء الله عليك » وكانت له صلى الله عليه وسلم زوجتان من هذا النوع ،

تزوجهما عن طريق العتق والصداق ـ ا ـ صفية الاسرائلية بنت حى بن أخطب سيد بنى النضير جاءت اليه مما أفاء الله عليه من سبى بنى النضير ، فاصدقها عتقها . وتزوجها ، ثم أسلمت ، وشرفت بأن كانت من أمهات المومنين رضى الله عنها ـ ب ـ بريرة بنت الحارث سيد بنى المصطلق ، جاءت اليه من سبى بنى المصطلق مع مائتى امرأة فأعتقها صلى الله عليه وسلم وتزوجها فى دار الحرب وسماها « بريرة » ولما كانت بنو المصطلق أعز العرب دارا كان أسر نسائهم بهذه الحال صعبا ، فجعل النبى صلى الله عليه وسلم من هذا الزواج مبررا للمن عليهم حتى يتحرر جميع المسبيات اللاتى كن بيد أصحابه من الغنيمة ، ولما علم الاصحاب بزواج رسول الله صلى الله عليه وسلم من بريرة قالوا أصهار رسول الله صلى الله عليه وسلم لا ينبغى أسرهم وبقاؤهم تحت ايدينا ! فمنوا عليهم بالحرية ، فكانت جويرية أيمن امرأة على قومها . وتسبب عن هذا المن أن أسلم بنو المصطلق عن بكرة أبيهم ، وكان ذلك فى السنة (5) من الهجرة .

(3) بنات عمه وبنات عماته ، وبنات خاله وبنات خالاته اللاتى هاجرن معه وكانت أم هانىء بنت عمه أبى طالب ممن خطبها بمكة ولم تهاجر معه ، وروى عنها أنها قالت خطبنى رسول الله صلى الله عليه وسلم فاعتذرت ، أى من الهجرة فأنزل الله هذه الآية فلم أحل له بعد لانى لم أهاجر معه . وهى قوله : «وبنات عمك وبنات عماتك اللاتى هاجرن معك»

(4) صنف الواهبات نفسهن للنبى صلى الله عليه وسلم ، اذا وهبت امرأة نفسها للنبى صلى الله عليه وسلم . بأن يتزوجها بغير عوض له أن يقبل الهبة ويتزوجها ، وله أن يردها فلا يتزوجها . لان الهبة من شرطها القبول . واختلف فى هذا الصنف من الزوجات : فقال ابن عباس رضى الله عنهما هو بيان حكم فى المستقبل ، ولم يكن عنده أحد منهن بالهبة .

وقال غيره الواهبة نفسها اختلف فيها : فقيل هى ميمونة بنت الحارث وقيل هى زينب بنت خزيمة ، وقيل هى أم شريك بنت جابر ، وقيل هى خولة بنت حكيم . وبعد نزول هذه الآية شرع النبى صلى الله عليه وسلم فى تكميل النصاب . زيادة على من هاجر معه من مكة ، وهما اثنتان :

(1) « سودة » وهى سودة بنت زمعة بن الاسود من بنى عامر بن لؤى فهى قرشية ، وكانت قبله تحت السكران بن عمرو كما تقدم عند خطبتها بمكة .

(2) « عائشة » الصديقية بنت أبى بكر الصديق رضى الله عنها وعن ابيها فهما مهاجريتان ، وشهرتهما كافية عن التعريف بهما · بين ابناء المسلمين · وهى البنت البكر التى دخل بها رسول الله صلى الله عيه وسلم فى المدينة فى السنة الثانية من الهجرة ؛ ولها تسع سنين ؛ ولم يتزوج عليه السلام بكرا سواها ، وقد كان لها شان عظيم بين أمهات المومنين فى الفضل والعلم والدين ؛ واختص بيتها بمزايا من بين سائر بيوت أزواجه صلى الله عليه وسلم ؛ وتشرف بكثرة نزول الوحى به على رسول الله صلى الله عليه وسلم وتشرفت بنزول الوحى ببراءتها فى قضية الافك المهولة الشهيرة فصارت براءتها تتلى قرآنا الى يوم الدين ·

كما تسببت فى نزول آيات أخرى من سورة التحريم ياتى الكلام عليها فى محلها · وكان النبى صلى الله عليه وسلم يختارها للخروج معه فى المغازى فخرج بها لغزوة بنى المصطلق ولما كانوا فى انابتهم الى المدينة جلسوا للاستراحة فتخلفت عن الركب لقضاء بعض حاجاتها فسقط من عنقها عقد لاختها أسماء فتخلفت تبحث عنه ، وبعد ما وجدته رجعت فوجدت الركب قد سار ، وكان الوقت آخر جزء من الليل ؛ فألحقها بالجيش الوراء المدلج المتخلف عن الجيش للاحتياط وكانت لخفتها تخفى على الناس هل هى فى هودجها من الركب أم لا ؟ وحين أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم باستيناف السفر ظن الناس انها فى هودجها فى الركب ؛ وكانت الحادثة بعد نزول الحجاب ؛ فلم يتحققوا منها حتى كان ما كان ؛ وكانت حافظة للقرآن ؛ راوية للسنة ؛ فقيهة عالمة كان فقهاء المحدثين من العلماء يرجعون اليها فى كل ما غاب عن غيرها من الصحابة ؛ وخصوصا فى الشؤون الزوجية والمنزلية وأحكام النساء ؛ وكانت الى جانب ذلك تتدخل فى الشؤون السياسية ؛ حتى قادت الحرب يوم الجمل ضد الامام على رضى الله عنه ؛ وسياتى الكلام عليه فى محله ، وكانت تحظى عند النبى صلى الله عليه وسلم بأكثر حبه اليها من بين سائر نسائه حتى كان يفضلها عليهن فى القسم فى المبيت ، فوهبت لها سودة ليلتها ، وقالت رضى الله عنها : لقد أعطيت تسعا ما أعطيتهن امراة :

(1) نزل جبريل بصورتى فى راحته حين امر عليه السلام أن يتزوجنى·

(2) تزوجنى بكرا وما تزوج بكرا غيرى ·

(3) توفى رسول الله صلى الله عليه وسلم وراسه فى حجرى ·

(4) اقبر فى بيتى ·

(5) ينزل عليه الوحى وأنا فى لحافه ٠

(6) أنا ابنة صديقه وخليفته ٠

(7) نزل عذرى أى براءتى من السماء ٠

(8) خلقت طيبة عند رجل طيب ٠

(9) وعدت مغفرة ورزقا كريما ٠ وقال سيدنا حسان بن ثابت رضى الله عنـــه فى حقهـــا :

حصـــان رزان مـــا تـــزن بريبـــة وتصبـــح غرثـــى من لحوم الغوافل
حليلـــة خير الناس دنيـــا ومنصبا نبـــى الهـــدى والمكرمات الفواضل
عقيلة حـــى مـــن لؤى بـــن غالب كـــرام المساعـــى مجدها غير زائل
مهذبـــة قـــد طيب اللـــه خيمهـــا وطهرهـــا من كـــل شين وباطـــل

وبالجملة فان مزاياها كثيرة تناولتها اقلام الباحثين بالبحث على الانفراد وذكرت منها هذا القدر تبركا بشأنها رضى الله عنها ٠

وفى صحيح البخارى حدثنا هشام عن ابيه قال : كان الناس يتحرون بهداياهم يوم عائشة ، قالت عائشة فاجتمع صواحبى الى ام سلمة ، فقلن يا ام سلمة والله ان الناس يتحرون بهداياهم يوم عائشة ، وانا نريد الخير كما تريده عائشة فمرى رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يامر الناس أن يهدوا اليه حيثما كان أو حيثما دار ، قالت فذكرت ذلك ام سلمة للنبى صلى الله عليه وسلم قالت : فأعرض عنى ، فلما عاد الى ذكرت له ذلك فأعرض عنى ، فلما كان فى الثالثة ذكرت له فقال : يا أم سلمـــة لا توذينى فى عائشة فانه والله ما نزل على الوحى وانا فى لحاف امراة منكن غيرها ٠ توفيت رضى الله عنها سنة (57) هجرية ٠

(3) « حفصـــة » فهى حفصة بنت امير المومنين سيدنا عمر بـــن الخطاب رضى الله عنهما ، كانت قبل عند خنيس بن حذافة السهمى ثم توفى عنها من اثر جراحة أصابته ببدر ، ثم تزوجها النبى صلى الله عليه وسلم فى السنة (2) من الهجرة ٠

(4) « أم سلمة » فهى ام سلمة اسمها هند بنت ابى امية بن المغيرة من بنى مخزوم كانت عند عبد الله بن جحش ثم تزوجها النبى صلى الله عليه وسلم بعد أن توفى عنها زوجها ابو سلمة رضى الله عنه بن عمـــة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأخوه من الرضاع ، وهو اول من هاجر الى الحبشة ، فى السنة الرابعة من الهجرة ٠

(5) « زينب بنت جحش » فهى زينب بنت جحش بن حذافة السهمى من بنى اسد حلفاء بنى امية ، وبنت عمته صلى الله عليه وسلم ومطلقة زيد بن حارثة ، وهى صاحبة القصة المهولة التى ذكرها القرآن فى سورة الاحزاب تزوجها النبى صلى الله عليه وسلم فى السنة (5) من الهجرة ، وفيها نزل الحجاب ، ويضاف الى هؤلاء الخمس القرشيات الزوجة الاولى المكية السيدة « خديجة » بنت خويلد الاسدية ·

(6) « أم حبيبة » فهى أم حبيبة واسمها رملة بنت ابى سفيان بن حرب بن عبد شمس بن عبد مناف ، اخت معاوية بن ابى سفيان ، فهى اموية قرشية ·

(7) « جويرية » وهى جويرية بنت الحارث سيد بنى المصطلق ، فهى خزاعية ، وكانت بعد قسم السبى وقعت فى سهم ثابت بن قيس ، بن شماس ، الانصارى فكاتبها فجاءت تسأل النبى صلى الله عليه وسلم وعرفته بنفسها ، فقال لها : هل لك الى ما هو خير من ذلك ، أودى عنك كتابتك واتزوجك ؟ فقالت نعم فسمع الناس بذلك فاعتقوا ما بأيديهم فقالت عائشة رضى الله عنها : ما رأيت امراة ايمن على قومها من جويرية أعتق بسببها مائة أهل بيت من بنى المصطلق ، وقسم لها النبى صلى الله عليه وسلم وكانت بنت (20) سنة ، وتوفيت سنة 50 هجرية · وابدل اسمها ببريرة ·

(8) « صفية » فهى صفية الاسرائلية بنت حى بن اخطب سيد بنى النضير ، من نسل هارون اخى موسى عليهما السلام وكانت قبله تحت كنانة بن ابى الحقيق ، وقد جاءت النبى صلى الله عليه وسلم من سبى خيبر ، وكان أول المحرم من السنة السابعة بعد الهجرة ، وكانت وقعت فى سهم دحية الكلبى فتنازع بعض الصحابة فى شأن ذلك ، فأخذها رسول الله صلى الله عليه وسلم وارضاه بغيرها لما قيل له : اعطيته سيدة بنى قريظة والنضير ، وهى لا تصلح الا لك ، فخشى عليهم الفتنة ، ثم أصدقها عتقها وتزوجها ، فأسلمت ، وروى انه صلى الله عليه وسلم قال لها : هل لك فى ؟ قالت نعم يارسول الله انى كنت اتمنى ذلك فى الشرك ، وكان بعينها خضرة فسألها عنها ؟ فقالت انها كانت نائمة وراس زوجها فى حجرها فرات قمرا وقع فى حجرها ، فلما استيقظ اخبرته وكان ملكهم فلطمها وقال تمنين ملك يثرب ، فعاشت سيدة وتشرفت بأمومة المومنين · وتوفيت سنة 50 ودفنت فى البقيع ·

(9) « زينب بنت خزيمة » فهى زينب بنت خزيمة بن عامر بن صعصعة ، الانصارية ، وكانت فى الجاهلية تسمى ام المساكين لرافتها بهم وشفقتها عليهم واحسانها اليهم ، وكانت تحت عبد الله بن الحارث بن عبد المطلب بن عبد مناف ، تزوجها النبى صلى الله عليه وسلم فى السنة (3) من الهجرة وتوفيت فى السنة الرابعة من الهجرة .

(10) « ميمونة » فهى ميمونة بنت الحارث الهلالية وكانت قبله عند عمه حمزة بن عبد المطلب شهيد احد فى السنة 2 من الهجرة وهى خالة عبد الله بن عباس تزوجها النبى صلى الله عليه وسلم بمكة المكرمة فى عمرة القضاء بعد الحديبية لان عمرتها عطلها عليه المشركون بشروطهم فرجع لقضائها فى السنة المقبلة ، وكانت فى السنة (7) من الهجرة وقد تقدم انها هى الواهبة نفسها للنبى صلى الله عليه وسلم .

فهؤلاء العشرة هن زوجات بيت المدينة ، واما خديجة (11) فهى من بيت مكة المكرمة كما تقدم .

واما مارية القبطية فليست منهن لانها من السرارى ، وقد تقدم انها جاءته فى هدية المقوقس وكانت من اجمل بنات القبط اهديت له فى السنة (6) من الهجرة ، وقد كان ولده ابراهيم منها ، خلق فى ذى الحجة من السنة (8) قيل عاش (70) يوما وقيل (10) اشهر ، وقيل سنة ثم توفى ولم يصل عليه بنفسه ، بل أمرهم بالصلاة عليه ، وكان يحرم عليه صلى الله عليه وسلم نكاح الاماء ، ولو كانت الامة مسلمة لان نكاحهن مشروط بأمرين :

(1) خوف العنت (2) عدم وجود مهر الحرة ، وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم غنيا عن الامرين معا ، كما كان يحرم عليه كذلك تزوج الحرة الكتابية اى الباقية على دينها ، لما فى الحديث سالت ربى أن لا ازوج الا من كان معى فى الجنة فأعطانى . لانها لا تليق أن تكون من امهات المومنين.

وبالاحرى من ذلك المشركة والملحدة فانهما حرام عليه وعلى امته . نصا من الكتاب والسنة لقوله تعالى : « ولا تمسكوا بعصم الكوافر » .

وقد جمع بعضهم ازواجه صلى الله عليه وسلم فى بيتين وحصرهن فى (11) زوجة حرة مرمزا لكل واحدة منهن بالحرف الاول من كل كلمة فقال :

خليلى سبا عقلى حلى زين هالة
زهى جفنها رمزا صحيحا مهذبا

ملخـــص تـرتيبهـن

(1) خ خديجة بنت خويلد الاسدية قرشية ٠
(2) س سودة بنت زمعة من بنى عامر قرشية ٠
(3) ع عائشة بنت ابى بكر الصديق قرشية ٠
(4) ح حفصة بنت عمر بن الخطاب عدوية قرشية ٠
(5) ز زينب بنت جحش بن حذافة السهمى قرشية ٠
(6) ه هند ام سلمة بنت ابى امية بن المغيرة قرشية ٠
(7) ز زينب بنت خزيمة بن عامر انصارية هلالية ٠
(8) ج جويرية « بريرة » بنت الحارث سيد بنى المصطلق خزاعية ٠
(9) ر رملة « ام حبيبة » بنت ابى سفيان بن حرب اموية قرشية ٠
(10) ص صفية بنت حى بن اخطب سيد بنى النضير اسرائلية ٠
(11) م ميمونة بنت الحارث انصارية هلالية ٠

والمتوفاة منهن فى حياته صلى الله عليه وسلم اثنتان هما :

من بيت مكة : خديجة بنت خويلد الاسدية ، توفيت قبل الهجرة بثلاث سنوات ومن بيت المدينة : زينب بنت خزيمة بن عامر الانصاريـة الهلالية ، توفيت فى السنة الرابعة من الهجرة وكان زواجها بالنبى صلى الله عليه وسلم فى السنة الثالثة روى ان النبى صلى الله عليه وسلم توفى عن تسع نسوة هـن :

(1) عائشة بنت ابى بكر الصديق رضى الله عنها وعن ابيها ٠
(2) حفصة بنت عمر بن الخطاب رضى الله عنها وعن ابيها ٠
(3) ام حبيبة « رملة » بنت ابى سفيان بن حرب اموية قرشية ٠
(4) سودة بنت زمعة الزوجة المكية قرشية ٠
(5) ام سلمة هند بنت ابى امية بن المغيرة قرشية ٠
(6) صفية بنت حى بن اخطب سيد بنى النضير اسرائلية ٠
(7) ميمونة بنت الحارث الانصارية هلالية ٠
(8) زينب بنت جحش بن حذافة السهمى قرشية ٠
(9) جويرية بنت الحارث سيد بنى المصطلق خزاعية ، وهى «بريرة»

وقد نظمهن بعضهم بقوله :

توفى رسول الله عن تسع نسوة　　اليهن تعزى المكرمات وتنسب
فعائشة ميمونة وصفية　　وحفصة تتلوهن هند وزينب
جويرية مع رملة ثم سودة　　ثلاث وست نظمهن مهذب

وكان بيت النبى صلى الله عليه وسلم يشتمل على اكثر من تسع نسوة حرائر قبل نزول تحديد النصاب فى تسع حرائر كما حدد نصاب أمته فى اربع نسوة حرائر كذلك ، قال تعالى : « لا يحل لك النساء من بعد ولا ان تبدل بهن من أزواج ولو اعجبك حسنهن الا ما ملكت يمينك وكان الله على كل شىء رقيبا » وقد حرم الله سبحانه على نبيه صلى الله عليه وسلم الزيادة على تسع زوجات حرائر بعد نزول هذه الآية كما لا يجوز له كذلك تبديلهن بغيرهن ولو اعجبه حسنهن قيل نزلت فى أسماء بنت عميس زوجة جعفر بن ابى طالب ، الذى استشهد قائدا فى غزوة الروم بموته فى السنة (8) من الهجرة . فانها ممن أعجبه حسنهن ولم يذكر احد بعد انه تزوجها .

وعن عائشة وام سلمة رضى الله عنهما ان رسول الله صلى الله عليه وسلم ما مات حتى أحل الله له ان يتزوج ما شاء . فالآية نسخت ، ونسخها اما بقوله تعالى : « انا أحللنا لك ازواجك اللاتى آتيت أجورهن » الآية المتقدمة فى المصحف ، وترتيب النزول ليس على ترتيب المصحف ، واما نسخت بالسنة . ومعنى قوله تعالى : « وكان الله على كل شىء رقيبا » اى حافظا وهو تحذير عن مجاوزة حدوده .

مشاكل النساء والبيت النبوى

ولما كانت مشاكل النساء لازمة لهن ولم يسلم منها حتى البيت النبوى الشريف ، كان من اللازم ان توجد لها حلول تناسب حاله صلى الله عليه وسلم كى يستريح سيد الوجود من عنائها ، ويتفرغ لما سواها ، مما هو اهم واعظم من شؤون الرسالة ، ومن اجل ذلك كان الله سبحانه هو الذى يتولى حلها بنفسه ويفصل فيها بنزول قرآنه . فمن ذلك القسم بين الزوجات فى المبيت ، والتى هى اعظم مشكلة داخل البيت لما فيها من حق الله وحق غيره ، فكان النبى صلى الله عليه وسلم يعانى منها الشىء الكثير بين نسائه . روى ان النبى صلى الله عليه وسلم كان يقسم بين نسائه

فيعدل . ويقول هذه قسمتى فيما املك فلا تواخذنى فيما تملك ولا أملك ، يقول ذلك فيما بينه وبين ربه ، ويعنى بذلك ما كان يغلب عليه من حب عائشة رضى الله عنها ، لانها كانت احب نسائه اليه ، فنزل قول الله تعالى : « ترجى من تشاء منهن وتؤوى اليك من تشاء ، ومن ابتغيت ممن عزلت فلا جناح عليك ذلك أدنى أن تقر أعينهن ولا يحزن ويرضين بما أتيتهن كلهن والله يعلم ما فى قلوبكم وكان الله عليما حليما » هذه الآية حددت لرسول الله صلى الله عليه وسلم سيرته فى نسائه حتى لا يدخل قلبه الكريم شىء من الحرج ، اذا هو اقدم على ما ليس من العدل بينهن ، بعد ان كان القسم واجبا عليه ، لقوله عليه الصلاة والسلام : من لم يعدل بين نسائه جاء يوم القيامة وشقه ساقط . فبين الله له فى نزولها اختياره المطلق فيؤخر من يشاء منهن فى القسم ، ويقدم من يشاء ، ويأوى من يشاء منهن ، ويطلق من يشاء ويمسك من يشاء ، ولما سمعت سودة هذه الآية وكانت اكبر نسائه خشيت الطلاق فوهبت ليلتها لعائشة ، وقالت يا رسول الله لا تطلقنى حتى أحشر فى زمرة نسائك ، ثم ادخل خمسة فى الارجاء ، وهن : جويرية « بريرة » وسودة ، وصفية ، وميمونة ، وام حبيبة ، وادخل اربعة فى الايواء ، وهن : عائشة ، وحفصة ، وام سلمة ، وزينب بنت جحش .

وروى انه كان يعدل مع ما اطلق وخير فيه ، فقال تعالى : « ذلك ادنى أن تقر اعينهن ولا يحزن ويرضين بما اتيتهن كلهن والله يعلم ما فى قلوبكم وكان الله عليما حليما » والمعنى ان ذلك التفويض الى مشيئتك اقرب الى رضاهن ، والى قرة اعينهن ، وقلة حيرتهن ، لانهن اذا علمن ان هذا التفويض من عند الله اطمأنت نفوسهن وذهب التغاير فيما بينهن ، والله يعلم ما فى قلوبكم وعيد لمن لم ترض منهن بتفويض الله الى مشيئة رسوله صلى الله عليه وسلم .

ومنها مشكلة التخيير

روى ان نساء النبى صلى الله عليه وسلم التسع ، اجتمعن وقررن ان يطلبن من رسول الله صلى الله عليه وسلم ما كن يرينه عند غيرهن من متاع الحياة الدنيا وزينتها ، حتى يخرجن مما كن يعانينه من شظف العيش فى بيت النبوة ، وطلبت اليه كل واحدة منهن ما كانت فى حاجة اليه فى بيتها

مما رأته عند غيرها ، ولم يكن بيت النبوة والرسالة معدا لشيء من ذلك ، وقد كان ذلك يكلف النبى صلى الله عليه وسلم ما ليس فى وسعه مما لم يكن فى حاجة اليه ، وبعد ان طلبن منه ذلك أحرجه الامر وعظم عليه الخطر ، فجعل صلى الله عليه وسلم يفكر كيف يخرج منه ، لما يراه من ان الحق لهن لان ذلك شأن النساء وطبعهن ولا تسكن نفوسهن الا به . وبشريتهن لا ترفعهن الى مستوى النبوءة والرسالة ، ومن هنا جاء الاشكال لما هناك من البون الشاسع بين بشرية غير النبوءة وبشرية النبوءة والرسالة التى لها اتصال بالملا الاعلى من عالم الروحيات وعالم الملكوت فهى لا تفكر فى شيء من هذا القبيل مطلقا ، بخلاف بشرية غير النبوءة فانها مفطورة على حب الحياة الدنيا وزينتها ، ومدفوعة الى تحقيق ذلك ، وذلك ما يتنافى وجوده فى بيت النبوءة والرسالة ، فاغتم رسول الله صلى الله عليه وسلم لذلك ولزم البيت روى ان أبا بكر جاء ليستأذن على رسول الله صلى الله عليه وسلم فوجد الناس جلوسا ببابه صلى الله عليه وسلم ، ولم يوذن لاحد منهم، فاستأذن أبو بكر فأذن له فدخل ،ثم جاء عمر فاستأذن فأذن له فدخل ، فوجد النبى صلى الله عليه وسلم جالسا واجما (1) . ساكتا وحوله نساؤه ، قال عمر فقلت والله لاقولن شيئا أضحك به رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت يا رسول الله لو رايت بنت خارجة سألتنى النفقة فقمت اليها فوجات عنقها أى ضربتها ، فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم . وقال : هن حولى كما ترى يسلننى النفقة !! فقام أبو بكر الى عائشة يجأ عنقها ، وقام عمر الى حفصة يجأ عنقها كلاهما يقول تسئلن رسول الله صلى الله عليه وسلم ما ليس عنده ؟ !! فقلن والله لا نسئل رسول الله صلى الله عليه وسلم ما ليس عنده شيئا أبدا ، ثم اعتزلهن شهرا ، فأنزل الله عز وجل حل هذا المشكل من عنده سبحانه فجاء قرآنا يتلى ، اذ هو العالم بمصالح عباده والحكم العدل فيما بينهم فيها ، فأعطى الحق لمقام النبوءة بما يرفع من شأنها ويبعدها عن السفاسف من محاسن الحياة الدنيا وزينتها ، لان ذلك ليس من شأنها ثم دعا الزوجات الى التخيير ، وهو اما أن يخترن الله ورسوله والدار الآخرة وليس لهن ما يردنه من زينة الحياة الدنيا . أو يخترن الحياة الدنيا وزينتها ، ويتبعدن

---

(1) الوجم شدة السكوت لعجز عن التكلم من شدة الغيظ أو الخوف . ووجم عبس وجهه وأطرق لشدة الحزن فهو وجم وواجم . ووجم من الامر أى أمسك عنه ، وهو كاره له . ووجم الشيء وكرهه ، ووجم لفلان من كذا رثى له وغم بسببه منجد هـ .

من رسول الله صلى الله عليه وسلم . وليس لهن الحق فى أن يجمعن بين بيت النبوءة والرسالة ، وبين الحياة الدنيا وزينتها البتة . لانهما متنافيتان متناقضتان اذا دخلت احداهما خرجت الاخرى . فقال جل من قائل : « يا أيها النبىء قل لازواجك ان كنتن تردن الحياة الدنيا وزينتها فتعالين امتعكن واسرحكن سراحا جميلا ، وان كنتن تردن الله ورسوله والدار الآخرة فان الله أعد للمحسنات منكن أجرا عظيما » ثم قال فى ذم مريد الدنيا : «من كان يريد الحياة الدنيا وزينتها نوف اليهم أعمالهم فيها وهم فيها لا يبخسون أولائك الذين ليس لهم فى الآخرة الا النار وحبط ما صنعوا فيها وباطل ما كانوا يعملون » .

وبعد نزولها بدأ النبى صلى الله عليه وسلم بعائشة ، فقال : يا عائشة انى أريد أن أعرض عليك امرا أحب أن لا تعجلى فيه ، حتى تستشيرى أبويك ؟ فقالت وما هو يا رسول الله ؟ فتلى عليها الآية فقالت أفيك يا رسول الله أستشير أبوى ؟ بل أختار الله ورسوله والدار الآخرة ، وكلهن قلن كما قالت عائشة فشكر لهن ذلك . فأنزل الله : « لا يحل لك النساء من بعد » الآية فأحرج النبى صلى الله عليه وسلم الامر ، ثم رفع عنه ذلك الحرج بقوله : « ما كان على النبىء من حرج فيما فرض الله له » وهذا بعد ما كان النصاب حدد فى تسع زوجات حرائر ، ثم بقى حرج آخر فى القسم بينهن فى المبيت فرفعه الله بقوله : « ترجى من تشاء » الآية المتقدمة .

وبعد أن اخترن الله ورسوله والدار الآخرة فان الله وعدهن أجرا جزيلا على ذلك فقال : « فان الله أعد للمحسنات منكن اجرا عظيما » ثم الزمهن نوعا آخر من آداب بيت النبوءة والرسالة فقال لهن : « يا نساء النبىء من يات منكن بفاحشة مبينة يضاعف لها العذاب ضعفين وكان ذلك على الله يسيرا ومن يقنت منكن لله ورسوله وتعمل صالحا نوتها اجرها مرتين واعتدنا لها رزقا كريما » .

ثم بين الله تعالى لهن أن قدرهن فى بيت النبوة (1) والرسالة ،

(1) ولذلك هددهن القرآن بقوله : « من يات منكن بفاحشة مبينة يضاعف لها العذاب ضعفين » قيل المراد بالفاحشة الزنى ، والمعنى لو وقع من واحدة منكن هذا الفعل لحدت حدين لعظم قدرها كالحر بالنسبة للعبد والامة ، وعلى هذا القول فلا خصوصية لنساء النبى صلى الله عليه وسلم فهو عام فى جميع نساء أهل البيت ، وأما نساؤه صلى الله عليه وسلم كنساء جميع الانبياء فقد تكفل الله بصيانتهن من الخنا . ولذا قال ابن عباس رضى الله عنهما ما بغت امرأة نبى قط ، وانما خانت امرأة نوح وامرأة =

ليس كتدر من أعطى الحياة الدنيا وزينتها بل هو أرفع من ذلك شأنا ؛ وكانت الحكمة فى التشديد عليهن من شدة قربهن للنبى صلى الله عليه وسلم . وذلك دليل على رفعة قدرهن وعظم رتبتهن وشأنهن فى بيت الرسالة المحمدية ؛ فلا يليق بهن التوغل فى زينة الحياة الدنيا وشهواتها الفانية ؛ لقوله عليه الصلاة والسلام : لست من الدنيا وليست الدنيا منى .

ثم بين الله تعالى لهن قدرهن فى كتابه فقال : « لستن كأحد من النساء ان اتقيتن فلا تخضعن بالقول فيطمع الذى فى قلبه مرض وقلن قولا معروفا وقرن فى بيوتكن ولا تبرجن تبرج الجاهلية الاولى وأقمن الصلاة وآتين الزكاة وأطعن الله ورسوله » الاحزاب .

ومنها مشكلة الحجاب

وفى بيت النبى صلى الله عليه وسلم أنزل ؛ روى أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه كان يحب ضرب الحجاب على نساء النبى صلى الله عليه وسلم

وكان يقول : لو أطاع فيكن ما رأتكن (1) عين . ويود أن ينزل فيه ؛ وقال يا رسول الله يدخل عليك البر والفاجر . فلو أمرت أمهات المؤمنين

= لوط فى الايمان والطاعة ' وقيل المراد بها النشوز وسوء الخلق . واذا وردت الفاحشة مقرونة بأل فهى الزنى ' واذا وردت نكرة فهى سائر المعاصى ؛ واذا وردت منعوتة كما هنا فهى حقوق الزوجية وسوء العشرة ' المؤلف

(1) قد حقق الله قول عمر رضى الله عنه فأنزل على رسوله وقرن فى بيوتكن اى اثبتن فى بيوتكن ؛ ولا تخرجن الا لضرورة ، وكان سر المرأة المسلمة فى لزوم بيتها ضمانة لها لما فيه من سلامتها من جميع الآفات ، لان المرأة عين الشهوة والافتتان بها يسير ، ولا سيما اذا كانت شابة حسناء فان ذلك سبيل الى غرورها وسرعة لعب الشيطان بها، وافتتانها فى نفسها ومتى تم لها هذا الاستعداد سلك بها الشيطان سبيل البغى والفساد، وهى عاجزة بالطبع عن الذود عن نفسها ، فهى غير قادرة على أن تنقذ نفسها من مهاوى الهلاك والضلال ومركب النقص فى أنوثتها يحسن لها كل قبيح ، فاذا اقتربت من مجتمع فاسد كان ضياع شخصيتها أيسر من كل يسير ، بسبب وقوعها فى مخالب عقبان وأنياب أسود لا تعرف الرحمة الى قلوبهم سبيلا ، فالحذر الحذر أيتهن الشابات الحسان من الوقوع بين أنياب حيوانات مفترسة من بنى الانسان ، لهم قلوب تلين عند رغبتهم ، وهى بعد قضاء حاجاتهم أقسى من الحديد والحجارة ، والزمى طاعة من تكونين فى رعايته ، فانه لا يتم صلاحك الا به ، لانه الذى يدفع عنك كل من يؤذيك فى نفسك وشرفك وعفتك فان ذلك أغلى جوهر لديك ، فلا تنخدعى حتى يختلسه منك سفهاء الاحلام بالكلمات المعسولة لانها شبكتهم التى يصطادون بها عفة الحسان ، ولا خلاص من شبكتهم الا فى لزوم البيت كما قال الله العالم بمكنونات الضمائر « وقرن فى بيوتكن » لانه عصمة أمرك ، وفيه تجدين سعادتك فى الحياتين ولا ينفعك الندم بعد غلو الدماغ ؛ والوقوع فى المحظور كما هو الشأن فى الكثيرات والله على ما نقول شهيد ' المؤلف

بالحجاب ، فنزلت الآية ، وهى قوله تعالى : « واذا سألتموهن متاعا فاسألوهن من وراء حجاب ذلكم اطهر لقلوبكم وقلوبهن » فقال رجل من الصحابة يقال له طلحة بن عبد الله فى سره ، أننهى أن نكلم بنات عمنا الا من وراء حجاب ؟ فان مات محمد لا تزوجن عائشة ، ثم نزل قوله تعالى : « وما كان لكم أن توذوا رسول الله ولا أن تنكحوا أزواجه من بعده أبدا ان ذلكم كان عند الله عظيما » اى فلا يجوز لكم ذلك ولا يصح وفى الاقدام عليه ذنب عظيم ، لما فيه من اذايته صلى الله عليه وسلم بعد موته ولما نزلت آية الحجاب قال الآباء والابناء والاقارب من المحارم او نكلمهن يارسول الله من وراء حجاب ؟ فاستثناهم الله تعالى فقال : « لا جناح عليهن فى آبائهن ولا أبنائهن ولا اخوانهن ولا ابناء اخوانهن ولا ابناء أخواتهن ولا نسائهن (1) ولا ما ملكت ايمانهن » فهؤلاء المستثنيات بما فيهم الايماء والعبيد يكلمن أزواج النبى صلى الله عليه وسلم بدون حجاب ، والاعمام والاخوال الذين لم ينص عليهم الكتاب يجريان مجرى الوالدين فى عدم الحجاب كذلك . ولنزول هذه الآية أسباب متعددة ، منها : ان قوما كانوا يدخلون بيوت النبى صلى الله عليه وسلم بغير دعوى ولا اذن ينتظرون نضج الطعام .

ومنها : ان قوما كانوا يدخلون باذن ويتخلفون بعد الاطعام مستانسين لحديث بعضهم بعضا . ومنها : ان رجالا اجانب من زوجات رسول الله صلى الله عليه وسلم من اصحابه أكلوا معه فى بيته بمشاركة ازواجه فأصابت يد واحد منهم يد عائشة فكره النبى صلى الله عليه وسلم ذلك فنزلت آية الحجاب . وكان نزولها فى السنة الخامسة من الهجرة . ومنها انه نزل فى تأديب الرجال مع بيت النبوءة والرسالة فى وليمة زينب بنت جحش حين بنى بها رسول الله صلى الله عليه وسلم .

فعن انس بن مالك قال : كنت اعلم الناس بشأن الحجاب بعد نزول قوله تعالى : « يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوت النبىء الا أن يوذن لكم الى طعام غير ناظرين اياه ولكن اذا دعيتم فادخلوا فاذا طعمتم فانتشروا ولا مستانسين لحديث ان ذلكم كان يوذى النبىء فيستحيى منكم والله لا

---

(1) « ولا نسائهن » النساء المسلمات لا حجاب عليهن فى مكالمة ازواجه صلى الله عليه وسلم بخلاف النساء الكافرات فان حكمهن حكم الرجال الاجانب فى مكالمتهن من وراء حجاب . قال العلماء ولا مفهوم لازواج النبى صلى الله عليه وسلم فى ذلك ، بل الحكم شامل لجميع نساء المسلمين فلا يجوز لهن أن يبدين شيئا من أوصافهن للنساء الكافرات، ليلا يصفهن لازواجهن الكافرين ، وهكذا يجب ان تفهم المرأة المسلمة اليوم المرأة المسلمة بالامس ان شاءت أن تشاركها فى حكم الاسلام والا فلا . المؤلف .

يستحيى من الحق » الاحزاب · أى لا يترك بيانه ، قال أنس : وكان أول مــا نـــزل فى ·

بنى رسول الله صلى الله عليه وسلم بزينب بنت جحش حين اصبح النبى صلى الله عليه وسلم عروسا بها فدعا القوم فأصابوا من الطعام ثم خرجوا وبقى رهط من الثقلاء ماكثين فى البيت ، فأطالوا المكث ، فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم وخرج فخرجت معه ، لكى يخرجوا فمشى النبى صلى الله عليه وسلم ومشيت حتى جاء عتبة حجرة عائشة ثم ظن انهم قد قاموا فخرجوا فرجع ورجعت معه حتى اذا دخل على زينب فاذا هم جلوس لم يقوموا فرجع النبى صلى الله عليه وسلم ورجعت معه حتى اذا بلغ حجرة عائشة وظن أنهم قد خرجوا فرجع ورجعت معه فاذا هم قد خرجوا فضرب النبى صلى الله عليه وسلم الستر ، وانزل الحجاب · وفى هؤلاء قال الله تعالى : « ان ذلكم كان يوذى النبىء فيستحيى منكم والله لا يستحيى من الحق » يعنى ان اخراجكم حق ما ينبغى ان يستحيا منه ويترك ، بل لا بد من بيان ما هو حق من غيره ، وعن عائشة رضى الله عنها حسبك فى الثقلاء ان الله لم يحتملهم وقال : « واذا طعمتم فانتشروا ولا مستانسين لحديث ان ذلكم كان يوذى النبى » صلى الله عليه وسلم

ومنها مشكل التحدى والتظاهر

فى مواجهته صلى الله عليه وسلم به من طرف زوجتيه : **عائشــة وحفصــة** رضى الله عنهما حتى اوقعتاه صلى الله عليه وسلم فى محظور من تحريم الحلال ارضاء لهما ، وجبرا لخاطريهما فى الاستكتام عليه فلــم يكتما عليه ، ولم يخلصا لنصحه فاغتم لذلك واعتزلهن شهرا فى بيت مارية حتى نزل جبريل بحل هذا المشكل من هذه القصة ، وتعدد سببها ·

روى ان النبى صلى الله عليه وسلم خلا بمارية فى يوم عائشة وعلمت بذلك حفصة فقال لها اكتمى على وقد حرمت مارية على نفسى ، وابشرك ان ابا بكر وعمر يملكان بعدى أمر أمتى ، فأخبرت بذلك عائشة ولم تف للنبى صلى الله عليه وسلم بما طلب منها من كتمان سره ، لانهمــا كانتــا متصادقتين ·

وقيل خلا بمارية فى يوم حفصة فأرضاها بذلك واستكتمها فلم تكتم وطلقها واعتزل نساءه ومكث فى بيت مارية (29) ليلة حتى نزل جبريل

عليه السلام وقال راجعها فانها صوامة قوامة وانها لمن نسائك فى الجنة ·

وروى أيضا فى سبب هذه القصة انه عليه الصلاة والسلام شرب عسلا فى بيت زينب بنت جحش فتواطأت عليه عائشة وحفصة على أن يقولا له انا نشم منك ريح المغافر ، فقالتا له ذلك وكان يكره التفل فحرم العسل ، وهو الذى وقع فيه العتاب ، قال الله تعالى وهو أصدق القائلين : « لم تحرم ما أحل الله لك » أى من ملك اليمين أو من العسل ، من قول الله تعالى فى سورة التحريم : « يا أيها النبىء لم تحرم ما أحل الله لك تبتغى مرضاة أزواجك » وكان ذلك التحريم بلا اذن من الله زلة منه صلى الله عليه وسلم لانه ليس لاحد أن يحرم ما أحل الله ثم أنزل الله تعالى : « والله غفور رحيم » قد غفر لك ما زللت فيه ورحمك فلم يواخذك به . ثم أنزل الله فى حل المشكل الذى وقع فيه النبى صلى الله عليه وسلم ارضاء لامر نسائه لما كان يملك من العطف عليهن حتى لا تقع الاساءة ولو صورة الى احد منهن ، وان وقع شيء من ذلك سارع الى ارضائهن حتى اوقعه ذلك فى المحظور الذى هو تحريم الحلال ، فقال تعالى : « قد فرض الله لكم تحلة أيمانكم » الذى هو تحريم الحلال لان تحريم الحلال يمين عندنا . والتحليل منها اذا صدرت منا يكون بما شرعه الله لنا مما يلى من الاحكام . .

(1) بالاستثناء منها ، وذلك بأن يقول عقبها ان شاء الله ، حتى لا يحنث ، وأخذ من قولهم حلل فلان فى يمينه اذا استثنى فيها ·

(2) بالكفارة اذا تبين الحنث ، والكفارة تكون باحدى ثلاث :

أ ــ الاطعام وهو اطعام عشرة مساكين تغذيتهم وتعشيتهم أو اعطاؤهم عوضا عن ذلك ، نصف صاع لكل واحد منهم من بر ، أو صاعا من شعير ، أو من تمر لكل واحد · وعند الشافعى مد لكل مسكين .

ب ــ بكسوتهم ، وهو ثوب يستر العورة لكل واحد منهم ــ ج ــ بتحرير رقبة مومنة أو كافرة قال تعالى : « ذلك كفارة أيمانكم اذا حلفتم » وعقدتم الايمان أى عزمتم عليها ، أو قصدتموها وحنثتم فيها لا يمين اللغو فانها لا شيء فيها وهى الحلف على الظن ، ثم تبين خطأ الحالف فى ظنه ، فانهم مما حلفوا على تحريم الطيبات انه قربة لله فى ظنهم ثم تبين خطأهم بنزول الآية : « وكلوا واشربوا مما رزقكم الله حلالا طيبا » فقالوا كيف ايماننا ؟ فأنزل الله : « لا يواخذكم الله باللغو فى أيمانكم » ·

ويمين اللغو عند الشافعى رحمه الله ما يجرى على اللسان بلا

قصد . وعن مقاتل ان رسول الله صلى الله عليه وسلم اعتق رقبة فى تحريم مارية وعن الحسن البصرى رضى الله عنه انه لم يكفر لانه كان مغفورا له ما تقدم من ذنبه وما تأخر ، وانما هو تشريع للمومنين من امته صلى الله عليه وسلم . ثم قال تعالى : « والله مولاكم » أى سيدكم ومتولى اموركم او اولى بكم من أنفسكم « وهو العليم » بما يصلحكم فيشرعه لكم « الحكيم » فيما احل وحرم لكم . ثم قال سبحانه وتعالى شأنه : « واذ اسر النبىء الى بعض ازواجه حديثا » يعنى حديث مارية لحفصة « فلما نبأت به » افشته الى عائشة . « واظهر الله عليه » اى أطلعه على افشائها ما استأمنها عليه من حديث مارية وغيره ، على لسان جبريل لانه الصديق الذى لا يغيب عنه شيء « عرف بعضه واعرض عن بعض » روى انه قال لها فى تعرف البعض وهو امامة الشيخين بعده . والمعرض عنه تحريم مارية . ألم أقل لك اكتمى على . فاندهشت لعدم علمها من حيث وصله خبر الافشاء « وقالت من انبأك هذا ؟ قال نبأنى العليم » بالسرائر « الخبير » اى بما فى الضمائر . فقالت معترفة بما فعلت والذى بعثك بالحق ما ملكت نفسى فرحا بالكرامة التى خص الله بها اباها ، وهذا هو شأن النساء من أسرار الرجال . واما أسرارهن فيما بينهن فلا يمكن أن تظهر الا من طرف العليم الخبير . ثم قال تعالى : « ان تتوبا الى الله فقد صغت قلوبكما » وصغت قلوبكما مالت عن القيام بالواجب فى عدم اخلاصكما لرسول الله صلى الله عليه وسلم فى حب ما يحبه ، وكراهة ما يكرهه ، وقد كان الواجب الاخلاص له فى كتم سره . وعدم افشائه ، ولم تمتثلا أمره ، وقد وجه لهما الخطاب ليكون أبلغ فى معاتبتهما ثم قال تعالى : « وان تظاهرا عليه » اى وان تتعاونا عليه بما يسوءه ويكرهه من افشاء سره افراطا منكما فى عدم القيام بحقه ، وتلبية لدواعى الكيد والغيرة من اجله « فان الله هو مولاه وجبريل وصالح المومنين » وزيادة هو ايذان بأن الله وحده هو الذى يتولى نصره عليكما بنفسه لانه وليه الاول وجبريل وليه الثانى ، وكل من آمن بالله وعمل صالحا وليه الثالث ثم قال : « والملائكة بعد ذلك ظهير » اى وليه الرابع من الملائكة على كثرة عددهم بعد نصرة الله له ، وجبريل وصالح المومنين ظهير له وناصر بعد من تقدم ذكرهم من النصراء لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، فما يبلغ تظاهر امراتين على من هؤلاء ظهراؤه ، فالعالم العلوى كله وبعض السفلى فى كفة الى جانب الرسول صلى الله عليه وسلم ، وفى الكفة الاخرى امراتان ، ولهذا قال الله تعالى فيهن : « ان كيدكن عظيم » لان امراتين جعلتا فى مقابلة الكون

كله · علويه وسفليه ، وهذا ما يبعث على العجب ، وخصوصا من اكتشف أسرار النساء وكيدهن العظيم ، ومع ذلك فقد جعل الله الهيمنة عليهن بيد الرجال ، فقال جل من قائل : « الرجال قوامون على النساء » وقال : « وللرجال عليهن درجة » وذلك من أجل مركب النقص الذى خلقه الله فى طبعهن ، لقوله عليه الصلاة والسلام ما رايت ناقصات عقل ودين اسلب للب الرجل الحكيم منكن ·

ولما كانت مظاهرة الملائكة من جملة نصرة الله تعالى له صلى الله عليه وسلم قال بعد ذلك تأييدا لنصرتهم ، وتعظيما لمظاهرتهم : « عسى ربـــه ان طلقكن أن يبدله ازواجا خيرا منكن مسلمات مومنات قانتات تائبات عابدات سائحات ثيبات وابكارا » فان قلت كيف تكون المبدلات خيرا منهن ، وليس على وجه الارض نساء خير من أمهات المومنين ؟ قلت اذا طلقهن رسول الله صلى الله عليه وسلم لايذائهن اياه لم يبقين على تلك الصفة ، وكان غيرهن من الموصوفات بهذه الصفات خيرا منهن : وان قلت لماذا وسط العاطف بين الثيبات والابكار دون سائر الصفات ؟ قلت لانهما صفتان متنافيتان بخلاف غيرهما من سائر الصفات ، وهذه الآية الاخيرة فى حكم التهديد للتين تظاهرتا عليه : « والله يهدى من يشاء الى صراط مستقيم ، بيده الخير واليه المصير ، وهو على كل شىء قدير » وهو حسبى ونعم الوكيل ولا حول ولا قوة الا به ·

ترجمة عـــلى واهـــل البيـــت

من هو على ؟ هو على بن ابى طالب بن عبد المطلب يجتمع نسبه بالنبى صلى الله عليه وسلم فى عبد المطلب اجتماعا أوليا لانه الجد الادنى لهما ، فهو ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم دنية ، فهو هاشمى النسب من بنى عبد مناف ، ويجتمع به اجتماعا ثانيا فى الجد الثانى لهما وهو هاشم بن عبد مناف ، وكناه النبى صلى الله عليه وسلم أبا تراب ، وابـــا الحســـن ·

مـــن هـــو عبـــد منـــاف ؟

فعبد مناف هو الجد الاعلى الذى يتكون منه اهل البيت النبوى باعتباره له جناحان : « الاول » بنو هاشم والنسبة اليه هاشمى ·

« والثانى » بنو عبد المطلب والنسبة اليه مطلبى ٠

وهاشم والمطلب اخوان أبوهما عبد مناف ، وهو الجد الثالث للنبى صلى الله عليه وسلم أما المطلبيون فعددهم ضئيل جدا قد كاد ينقطع ؛ واما عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف فانه قد بقى عقبه من كثير من أولاده ، ولكن الاغلبية الساحقة والاكثرية الضخمة كانت من ولديه العباس وأبى طالب وهما هاشميان معا ٠ وهذه الاكثرية الضخمة هى التى ملات الدنيا وبذرت بذورها فى الاقاليم الاسلامية فى الصدر الاول من أقصى حجر فيما وراء نهر جيحون من أقاليم التركمان فى أواسط آسيا التى تعرف عاصمتها اليوم بطاشقند من ولاية الجمهوريات الروسية الى آخر نقطة فى بلاد المغرب وبلاد الاندلس فى العصور الاسلامية بها ٠

مولد على رضى الله عنه

ولد الامام على رضى الله عنه بمكة المكرمة لما كان سن رسول الله صلى الله عليه وسلم (32) سنة من مولده الشريف من امه فاطمة بنت أسد بن هاشم بن عبد مناف فهما سليلان من البيت القرشى ٠

مناقبه كرم الله وجهه

أسلم صبيا ، وهو اول من أسلم من الصبيان لتربيته فى بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وكانت تربيته فى بيت النبوءة السبب فى صيانة وجهه مما كان يفعله قومه من السجود لاصنامهم التى كانت حول الكعبة وفى جوفها وعلى ظهرها ، ومن اجل ذلك استحق الدعوة من المسلمين بكرم الله وجهه ٠ وهو احد العشرة المبشرين بالجنة المشهود لهم بها على لسان المعصوم صلى الله عليه وسلم كما شهد له رسول الله صلى الله عليه وسلم بالاخوة عدة مرات : احداهما فى التآخى بين الانصار والمهاجرين لما آخى بينهم ، ولما راى انه لم يبق له اخ سأل النبى صلى الله عليه وسلم قائلا : اين اخى ؟ اى من الانصار فقال له صلى الله عليه وسلم انا اخوك ٠ والاخرى لما خلفه على المدينة عند ما كان خارجا الى غزوة تبوك فأظهر رغبته فى الجهاد وانه يسره ان يكون فى جيش رسول الله صلى الله عليه وسلم فأرضاه رسول الله صلى الله عليه وسلم قائلا له : اما ترضى أن تكون منى بمنزلة هارون من موسى الا انه لا نبوة بعدى ٠ فكان هذا التآخى

الثانى بينه وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم توكيد للتآخى الاول .

وتصاهر مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بالحوراء الآدمية فاطمة الزهراء رضى الله عنها سيدة نساء أهل الجنة ، وأبو سبطيه منها ، سيدى شباب أهل الجنة : الحسن والحسين ، وجد آله الطاهرين ، وأحد كتاب الوحى لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأحد من حفظ القرآن كله بجميع رواياته وكان يعرضه على رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد العرض على جبريل عليه السلام كل سنة . وفى السنة التى توفى فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم عرضه عليه مرتين ، وكان على رضى الله عنه يمتاز بذكاء ثاقب ، وفكر مصيب وكان ذا دهاء وفصاحة لسان وشجاعة فائقة فى الحروب ، وكان ذا زهد وورع وفقه فى الدين حتى شهد له الرسول صلى الله عليه وسلم بقوله : أنا مدينة العلم وعلى بابها الحديث . وقد خصه النبى صلى الله عليه وسلم بعلوم المكاشفاة وما يسمى بالعلم اللدنى ، وورثه عنه الحسن والحسين ، وقد ظهر منه على لسان جعفر الصادق ، وابرز منه فى حياته ما تعجب منه أهل عصره . ودونوه عنه ولم يزل موجودا بين أيدى الناس الى اليوم ، كما كان مبرزا فى علوم الفتيا بين الصحابة رضى الله عنهم ، وكان أمير المومنين عمر رضى الله عنه يلتجىء اليه فى الفتيا حتى قال فى نازلة لولا على لهلك عمر .

وتقدم للمبارزة يوم بدر ، فقضى على خصمه الوليد بن عتبة بن ربيعة . وكان أحد الزعماء الثلاثة من قريش ، وطلب البراز فى غزوة الاحزاب فخرج اليه عمرو بن ود فقتله ، واقتلع باب حصن خيبر ، وقد اشترك فى جره أربعون رجلا ، وفى رواية انه تترس بباب الحصن عن نفسه ، وقد أخبر النبى صلى الله عليه وسلم ان الفتح يكون على يده ، وشهد له بأنه يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله ، ومن اشهر مناقبه ان الرسول صلى الله عليه وسلم لما اذن له ربه فى الهجرة ، استخلفه النبى صلى الله عليه وسلم فى بيته بمكة اياما حتى يرد الودائع والامانات الى اهلها ثم يلحقه بأهله ففعل ، ونام على فراشه صلى الله عليه وسلم تحت رقابة عيون المشركين ، وكان بوده أن يفدى النبى صلى الله عليه وسلم بنفسه ، وشهد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم كل مشاهده الا تبوك ، واصيب يوم احد بست عشرة ضربة . وفى صحيح البخارى ان النبى صلى الله عليه وسلم قال لعلى انت منى ، وانا منك . وقال عمر رضى الله عنه : توفى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو عنه راض . وفى صحيح البخارى

ايضا عن ابى حازم سهل بن سعد رضى الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : لاعطين الراية غدا رجلا يفتح الله على يديه · قال : فبات الناس يدوكون ليلتهم ايهم يعطاها ، فلما أصبح الناس غدوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم كلهم يرجو أن يعطاها ، فقال ، أين على بن ابى طالب ؟ فقالوا يشتكى عينيه يارسول الله ، قال : فارسلوا اليه فاتونى به فلما جاء بصق فى عينيه . ودعا له فبرا حتى كأن لم يكن به وجع فأعطاه الراية · فقال على يارسول الله اقاتلهم حتى يكونوا مثلنا ، فقال انفذ على رسلك حتى تنزل بساحتهم ثم ادعهم الى الاسلام ، واخبرهم بما يجب عليهم من حق الله فيه ، فو الله لان يهدى الله بك رجلا واحدا خير لك من أن يكون لك حمر النعم ·

وفيه ايضا عن يزيد بن ابى عبيد عن سلمة قال : كان على قد تخلف عن النبى صلى الله عليه وسلم فى خيبر ، وكان به رمد ، فقال انا اتخلف عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فخرج على فلحق بالنبى صلى الله عليه وسلم فلما كان مساء الليلة التى فتحها الله فى صباحها قال رسول الله صلى الله عيه وسلم : لاعطين الراية أو ليأخذن الراية غدا (1) رجلا يحبه الله ورسوله ، أو قال : يحب الله ورسوله ، يفتح الله عليه · أو قال : يفتح الله على يديه · فاذا نحن بعلى وما نرجوه فقالوا هذا على فأعطاه رسول الله صلى الله عليه وسلم الراية · ففتح الله على يديه ·

زفـــاف فاطمة الزهراء الـــى بيـــت على

اخرج النسائى بسند صحيح : ان نفرا من الانصار قالوا لعلى رضى الله عنه لو كانت عندك فاطمة ، فدخل على النبى صلى الله عليه وسلم ليخطبها ، فسلم عليه فقال : ما حاجة ابن ابى طالب ؟ قال فذكر فاطمة ، فقال صلى الله عليه وسلم مرحبا واهلا وسهلا · فخرج الى الرهط مـــن الانصار ينتظرونه ، فقالوا ما وراءك ؟ فقال : ما ارى غير انه قال لى : مرحبا واهلا ، فقالوا يكفيك من رسول الله صلى الله عليه وسلم احدهما ، فقد أعطاك الاهل واعطاك الرحب ، فلما كان بعد ما زوجه قال له يا على انه لا بد للعرس من وليمة ، فقال سعد رضى الله عنه عندى كبش ، وجمع

---

(1) بالنصب على أنه معمول لاعطين ، واما اذا كان معمولا ليأخذن فلا بد من رفعه على الفـــاعليـــة ·

له رهط من الانصار آصاعا من ذرة ، فلما كان ليلة البناء قال : يا على لا تحدث شيئا حتى تلقانى ، فدعا له صلى الله عليه وسلم بماء فتوضأ به ثم أفرغه على على وفاطمة رضى الله عنهما .

فقال : اللهم بارك فيهما ، وبارك لهما فى نسلهما ، وفى رواية فى شملهما . وهو بالتحريك الجماع ، وفى أخرى شبليهما ، قيل وهو مصحف ، فأصحت فالشبل لغة ولد الاسد ، فيكون ذلك كشفا واطلاعا منه صلى الله عليه وسلم على انها تلد الحسنين ، فأطلق عليهما شبلين ، وهما كذلك .

واخرج ابو على الحسن بن شاذان : ان جبريل جاء النبى صلى الله عليه وسلم فقال : ان الله يامرك أن تزوج فاطمة من على ، فدعا النبى صلى الله عليه وسلم جماعة من اصحابه فقال : الحمد لله المحمود بنعمه ــ الخطبة المشهورة ، ثم زوج عليا وكان فى آخرها ، فجمع الله شملهما ، وطيب نسلهما ، وجعل نسلهما مفاتيح الرحمة ومعادن الحكمة ، وأمن الامة ، فلما حضر على تبسم صلى الله عليه وسلم وقال له : ان الله امرنى ان ازوجك فاطمة على اربعمائة مثقال فضة ، أرضيت بذلك ؟ فقال قد رضيتها يا رسول الله ، ثم خر على ساجدا شكرا لله تعالى . فلما رفع راسه قال له صلى الله عليه وسلم : بارك الله لكما ، وبارك فيكما ، واخرج منكما الكثير الطيب . قال انس رضى الله عنه : والله لقد أخرج الله منهما الكثير الطيب وأخرج اكثره أبو الخير القزوينى الحاكمى . والعقد له مع غيبته سائغ ، لان من خصائصه صلى الله عليه وسلم أن ينكح من شاء بلا اذن ، لانه اولى بالمومنين من انفسهم ، على انه يحتمل انه بحضور وكيله ، ويحتمل انه اعلام لهم بما سيفعله وقوله رضيتها يحتمل انه اخبار عن رضاه بوقوع العقد السابق من وكيله فهى واقعة حال محتملة .

واخرج ابو داود السجستانى : ان أبا بكر خطبها فأعرض عنه صلى الله عليه وسلم ثم خطبها عمر فأعرض عنه. كذلك ، فأتيا عليا فنبهاه الى خطبتها ، فجاء فخطبها . فقال صلى الله عليه وسلم ما معك ؟ فقال فرسى وبدنى ، فقال : أما فرسك فلا بد لك منه ، واما بدنك فبعها وآتنى بها ، ثم باعها بأربعمائة وثمانين ثم وضعها فى حجره فقبض منها قبضة ، وأمر بلالا ان يشترى بها طيبا ، ثم امرهم ان يجهزوها فعمل له سرير مشرط ، ووسادة من اديم ، اى جلد حشوها ليف ، وملا البيت كثيبا يعنى رملا رقيقا ، وأمر ام ايمن أن تنطلق الى ابنته ، وقال لعلى : لا تعجل حتى آتيك ، ثم اتاهم صلى الله عليه وسلم فقال لام ايمن : ها هنا اخى ؟ قالت اخوك

وتزوجه ابنتك ! ؟ قال نعم فدخل على فاطمة ، ودعا بماء ، فأتته بقدح فيه ماء فمج فيه صلى الله عليه وسلم ثم نضح على رأسها وبين ثدييها ثم قال اللهم انى أعيذها بك وذريتها من الشيطان الرجيم .

ثم قال لعلى ايتنى بماء ، فعلمت ما يريد ، فملأت القعب أى القدح الكبير — فأتيته به فنضح منه على رأسى وبين كتفى ، وقال اللهم انى أعيذه بك وذريته من الشيطان الرجيم ثم قال ادخل بأهلك على اسم الله تعالى وبركته .

وقد ظهرت بركة دعائه صلى الله عليه وسلم فى نسلهما ، فكان منه من مضى ومن يأتى ، ولو لم يكن فى الآيتين الا الامام الحسن والحسين لكانتا كافيتين فى بركة دعوته صلى الله عليه وسلم . ويقصد بالآيتين قوله تعالى : « قل تعالوا ندع أبناءنا وابناءكم ونساءنا ونساءكم وأنفسنا وأنفسكم ثم نبتهل فنجعل لعنة الله على الكاذبين » وقوله تعالى : « يريد الله ليذهب عنكم الرجس اهل البيت ويطهركم تطهيرا » .

قال شيخ الاسلام الحافظ ابن حجر : فى لسان الميزان ، الخبر المذكور سنده عن انس ، قال : بينما أنا عند النبى صلى الله عليه وسلم اذ غشيه الوحى فلما سرى عنه قال : ان ربى أمرنى أن ازوج فاطمة من على ، فانطلق فادع أبا بكر وعمر ، وسمى جماعة من المهاجرين ، وبعددهم من الانصار فلما أخذوا مجالسهم خطب صلى الله عليه وسلم فقال : الحمد لله المحمود بنعمه فذكر الخطبة ، والعقد والصداق ، وذكر البشر والدعاء اخرجه ابن عساكر فى ترجمته . وورد عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : انما سميت ابنتى « فاطمة » لان الله فطمها وذريتها ومحبيها عن النار .

واخرج ابو بكر الخوارزمى فى سبب تزويجها من على انه صلى الله عليه وسلم ، خرج عليهم ووجهه مشرق كدائرة القمر ، فسأله عبد الرحمن ابن عوف ؟ فقال : بشارة أتتنى من ربى ، أخى وابن عمى وابنتى ، بأن الله زوج عليا من فاطمة ، وأمر رضوان خازن الجنان فهز شجرة طوبى فحملت رقاقا يعنى صكاكا بعدد محبى آل البيت وأنشأ تحتها ملائكة من نور دفع الى كل ملك صكا ، فاذا استوت القيامة بأهلها نادت الملائكة فى الخلائق فلا يبقى محب لآل البيت الا دفعت له صكا فيه فكاكه من النار ، فصار أخى وابن عمى وابنتى فكاك رقاب رجال ونساء من النار . وسميت ايضا بالزهراء ، اخذا لها من زهرة الحدائق البيضاء الفيحاء ولما كانت الزهور مسكن الحدائق الجميلة ، والاشجار الباسقة ، والدور الفخمة

وكانت فى النضرة والجمال احسن ما يشتهيه الانسان فى هذه الحياة الدنيا اشتق لها هذا الاسم منها لما بينهما من المناسبة الحسية والمعنوية مناسبة تامة لان الزهرة الجميلة مسكنها الحدائق الرفيعة ؛ وفاطمة الزهراء رضى الله عنها مسكنها بيت النبوءة ؛ وبيت النبوءة من الجنة والجنة لغة الحدائق المزهية بألوانها وسحر جمالها ؛ لان فيها ما تشتهيه الانفس وتلذ الاعين » ٠

وكانت طهارتها من دم الحيض والنفاس ونقاؤها مما أصاب غيرها من النساء دليلا على ذلك ؛ ولذلك كانت سيدة نساء اهل الدنيا فى الدنيا ؛ وسيدة نساء أهل الجنة فى الجنة ، ومن اجل ذلك كانت تعرف بالحوراء الآدميـــة ٠

ترجمة فاطمـــة الزهـــراء رضى اللـــه عنهـــا

فهى فاطمة الزهراء بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم وهى اسفر بناته كما تقدم من امها خديجة بنت خويلد الاسدية ؛ خلقت قبل الوحى بستة اشهر من سن الاربعين للنبى صلى الله عليه وسلم بمكة المكرمة ، وبنى بها على رضى الله عنها وعنه فى المدينة المنورة فى السنـــة الثانية من الهجرة ، ولها من العمر ـــ 15 ـــ سنة ٠ وكان منها عقب رسول الله صلى الله عليه وسلم ٠ ولعلى معها من الاولاد اربعة : 1) السيد الحسن و 2) السيد الحسين و 3) السيدة زينب الكبرى و 4) ام كلثوم الكبرى ٠ وهى التى تزوجها عمر بن الخطاب رضى الله عنها وعنه وهى صغيرة السن ، وله معها ابنه زيد ؛ وستأتى قصتها فى الزواج بعمر رضى الله عنه وتوفيت فاطمة الزهراء رضى الله عنها بعد ابيها بستة اشهر ؛ فى شهر رمضان المعظم من السنة الحادية عشرة للهجرة ؛ ولها من العمر ـــ 24 ـــ سنة ، والصحيح انها دفنت بالبقيع ، وكان بنى عليها مسجد واطلق عليه مسجد الاحزان وبقى الى ان ذهب به طوفان عبد العزيز آل سعود فى جملة من ذهب من القباب والمشاهد فى الحرمين ، وسويت بالارض خشية ان تصير معبودات من دون الله واصاب فى ذلك ؛ لانه لا سبيل الى رجوع الوثنية الجاهلية الى الاراضى المقدسة بعد ان طهر الاســـلام منها كافة الجزيرة العربية ٠ ولم يستثن من ذلك الاروضة المسجد النبوى بأمر من علماء الدين المصلحين ٠

وقيل دفنت ببيتها ، وعليه فهى داخلة فى المسجد النبوى ، ولهذا

القول ما يؤيده ، والله أعلم بحقيقة الحال فى ذلك .

وقد نص العلماء أن مدة الوحى ــ 23 ــ سنة وقد عاشت فاطمة الزهراء رضى الله عنها مدة الوحى الا أنها تقدمت عليها بستة أشهر ، وتأخرت عن الوحى بستة أشهر ، فهى بنت ــ 24 ــ سنة فى عمرها .

واخرج الشيخان عن فاطمة رضى الله عنها ان النبى صلى الله عليه وسلم ، قال لها : ان جبريل كان يعارضنى القرآن كل سنة مرة ، وانه عارضنى العام مرتين ، ولا أراه الا أنه حضر اجلى ، وانك اول اهل بيتى لحاقا بى فاتقى الله واصبرى ، فانه نعم السلف انا لك .

مناقب فاطمة الزهراء رضى الله عنها

واخرج الامام أحمد والترمذى والحاكم عن ابن الزبير ان النبى صلى الله عليه وسلم قال ، انما فاطمة بضعة منى يؤذينى ما آذاها ، وينصبنى ما انصبها .

واخرج الشيخان عن فاطمة رضى الله عنها ان النبى صلى الله عليه وسلم قال لها يا فاطمة ، ألا ترضين أن تكونى سيدة نساء المومنين ؟

واخرج الترمذى والحاكم عن اسامة بن زيد ان النبى صلى الله عليه وسلم قال : احب اهلى الى فاطمة . وعن أبى هريرة رضى الله عنه ان النبى صلى الله عليه وسلم قال لعلى : فاطمة أحب الى منك ، وأنت أعز على منها .

واخرج الشيخان والامام احمد ، واو داود والترمذى عن المسور بن مخرمة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : ان بنى هاشم ابن المغيرة استاذنونى أن ينكحوا ابنتهم على بن ابى طالب ، فلا آذن ثم لا آذن ثم لا آذن ، الا ان يريد بن أبى طالب أن يطلق ابنتى وينكح ابنتهم ، فانما هى بضعة منى يريبنى ما رابها ، ويؤذينى ما يؤذيها . وفيه أيضا قال : حدثنى على بن حسين ان المسور بن مخرمة قال : ان عليا خطب بنت أبى جهل ، فسمعت بذلك فاطمة فأتت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت يزعم قومك انك لا تغضب لبناتك وهذا على ناكح بنت أبى جهل ، فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم فسمعته حين تشهد يقول : اما بعد انكحت أبا العاص بن الربيع ، فحدثنى وصدقنى وان فاطمة بضعة منى ، وانى أكره ان يسوءها ، والله لا تجتمع بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم وبنت

عدو الله عند رجل واحد . وفيه أيضا عن الحكم سمعت ابن أبى ليلى قال : حدثنا على ان فاطمة عليها السلام شكت ما تلقى من أثر الرحى فأتى النبى صلى الله عليه وسلم سبى . فانطلقت فلم تجده ، فوجدت عائشة فأخبرتها ، فلما جاء النبى صلى الله عليه وسلم الينا وقد أخذنا مضاجعنا فذهبت لاقوم ، فقال على مكانكما فقعد بيننا حتى وجدت برد قدميه على صدرى ، وقال ، الا اعلمكما خيرا مما سألتمانى اذا أخذتما مضاجعكما تكبرا أربعا وثلاثين ، وتسبحا ثلاثا وثلاثين وتحمدا ثلاثا وثلاثين ، فهو خير لكما مـــن خادم .

وأخرج الملا فى سيرته انه صلى الله عليه وسلم أرسل أبا ذر ينادى عليا فرأى رحى تطحن فى بيته وليس معها احد ، فأخبر النبى صلى الله عليه وسلم بذلك ، فقال يا أبا ذر أما علمت ان لله ملائكة سياحين فى الارض قد وكلوا بمعونة آل محمد .

ومن مناقبها ما ورد فى صحيح البخارى عنه عليه الصلاة والسلام قال : فاطمة سيدة نساء أهل الجنة . وعن المسور بن مخرمة رضى الله عنهما ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : فاطمة بضعة منى فمن اغضبها أغضبنى .

البيت الاول لعلى رضى الله عنـــه

ويتألف هذا البيت منه ومن زوجه الاولى « فاطمة الزهراء » رضى الله عنها سيدة نساء المومنين فى الدنيا ، وسيدة نساء أهل الجنة فى الجنة . وكان له منها الاولاد الاربعة .

1) الامام الحسن رضى الله عنه ومولده فى السنة الثالثة من الهجرة . اى بعد سنة من زواجها من على رضى الله عنهما .

و 2) الامام الحسين رضى الله عنه ومولده فى السنة الرابعة مـــن الهجرة ويفرق بينه وبين أخيه الحسن بتسعة أشهر ، وبعد موت النبـــى صلى الله عليه وسلم كان للامام الحسن (8) أعوام .

ولاخيه الامام الحهسين (7) اعـــوام .

و 3) زينب الكبرى و 4) ام كلثوم الكبرى . هؤلاء أهل البيت الاول لعلـــى رضى الله عنه .

البيت الثانى لعلى رضى الله عنه

ويتألف هذا البيت الثانى من عدة زوجات : منهن أمهات أولاد ، ومنهن حرائر ، وهن : (2) أم البنين بنت حزام عامرية من بنى كلاب . (3) ليلى بنت مسعود التميمية . (4) أسماء بنت عميس الخثعمية . (5) الصهباء بنت ربيعة من بنى جشم ابن بكر . (6) أمامة بنت أبى العاص من أمها زينب بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم . (7) خولة بنت جعفر الحنفية . (8) أم سعيد بنت عروة بن مسعود . (9) محياة بنت امرىء القيس الكلبية . ولم يعرف بالضبط كم تزوج على رضى الله عنه من الزوجات .

واما عدد الاولاد من غير فاطمة الزهراء فهم (27) بين الذكور والاناث ، وكان نسله من خمسة منهم بما فيهم ابنا فاطمة الزهراء رضى الله عنها من البيت الاول . السيد الحسن . والسيد الحسين ، ومن البيت الثانى ثلاثة هم محمد بن الحنفية ، والعباس بن أم البنين ، وعمر من أمه الصهباء بنت ربيعة . ذكور البيت الثانى (11) وهم محمد الاكبر بن الحنفية ، وهو أكبر أولاد البيت الثانى سنا ، والعباس ، وجعفر ، وعبد الله ، وعثمان ، وعبيد الله ، وأبو بكر ، ومحمد الاوسط ، ويحيى ، وعمر ، ومحمد الاصغر .

واناث البيت الثانى (16) هن : زينب الصغرى ، وأم الحسن ، ورملة الكبرى ، وأم كلثوم الصغرى ، وأم هانىء ، وميمونة ، ورملة الصغرى ، وفاطمة ، وأمامة ، وخديجة ، وأم الكرام ، وأم سلمة ، وأم جعفر ، وجمانة ، ونفيسة ، ورقية . ومجموع أولاد البيت الاول والثانى (31) ولدا بين الذكور والاناث ، وكان اهتمام المؤرخين ببيت فاطمة الزهراء اكثر لمكانة ولديها الحسن والحسين من رسول الله صلى الله عليه وسلم ولشدة ما لقياه وابناؤهما من المسؤولين فى الامة الاسلامية عبر الاجيال ، رغم توصيات النبى صلى الله عليه وسلم وما جاء به القرآن الكريم ولكن البشرية هى البشرية لا تتغير ولا تتبدل : فانا لله وانا ليه راجعون » .

تربية الحسنين بين يدى النبى صلى الله عليه وسلم

اخرج الشيخان عن البراء قال : رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم والحسن على عاتقه وهو يقول : اللهم انى احبه فأحبه . وأخرج

البخارى عن ابى بكرة قال : سمعت النبى صلى الله عليه وسلم على المنبر والحسن الى جانبه ، ينظر الى الناس مرة ، واليه مرة ، يقول : ان ابنى هذا سيد ولعل الله أن يصلح به بين فئتين من المسلمين ·

واخرج البخارى عن ابن عمر قال : قال النبى صلى الله عليه وسلم هما ريحانتاى من الدنيا · يعنى الحسن والحسين . واخرج الترمذى والحاكم عن ابى سعيد الخدرى قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : الحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنة · واخرج الترمذى عن اسامة ابن زيد قال : رأيت النبى صلى الله عليه وسلم والحسن والحسين على وركيه ، فقال ، هذان ابناى وابنا ابنتى اللهم انى احبهما فأحبهما ، وأحب من يحبهما · وأخرج الترمذى عن انس قال : سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم اى أهل بيتك أحب اليك ؟ قال الحسن والحسين . واخرج الحاكم عن ابن عباس قال : أقبل النبى صلى الله عليه وسلم ، وقد حمل الحسن على رقبته ، فلقيه رجل فقال : نعم المركب ركبت يا غلام ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ونعم الراكب هو · وأخرج سعد عن عبد الله بن عبد الرحمن بن الزبير قال : اشبه أهل النبى صلى الله عليه وسلم به ، وأحبهم اليه الحسن ، رأيته يجىء وهو ساجد فيركب رقبته أو قال ظهره فما ينزله حتى يكون هو الذى ينزل ، ولقد رأيته وهو راكع فيخرج له بين رجليه حتى يخرج من الجانب الآخر ·

واخرج ابن سعد عن أبى سلمة بن عبد الرحمن قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يدلع لسانه للحسن بن على ، فاذا رأى الصبى حمرة اللسان يهش اليه · أى يتبسم . واخرج الحاكم عن زهير بن الارقم قال : قام الحسن يخطب فقام رجل من ازد شنوءة ، فقال : اشهد لقد رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم واضعه على حبوته وهو يقول : من احبنى فليحبه ، وليبلغ الشاهد الغائب ولولا كرامة النبى صلى الله عليه وسلم ما حدثت به احدا ·

وأخرج ابو نعيم فى الحلية عن أبى بكر قال : كان النبى صلى الله عليه وسلم يصلى بنا فيجىء الحسن وهو ساجد ، وهو اذ ذاك صغير فيجلس على ظهره ومرة على رقبته ، فيرفعه النبى صلى الله عليه وسلم رفعا رفيقا ، فلما فرغ من الصلاة قالوا يا رسول الله انك تصنع بهذا الصبى شيئا لا تصنعه بأحد ، فقال النبى صلى الله عليه وسلم : ان هذا ريحانتاى ، وان ابنى هذا سيد وحسبى أن يصلح الله تعالى به بين فئتين من المسلمين ·

واخرج الشيخان عن أبى هريرة ان النبى صلى الله عليه وسلم قال : اللهم انى أحبه ، وأحب من يحبه . يعنى الحسن ، وفى رواية اللهم انى أحبه فأحبه ، واحب من يحبه ، قال ابو هريرة فما كان احد أحب الى من الحسن . بعد أن قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما قال . وفى حديث أبى هريرة أيضا عند الحافظ السلفى قال : ما رايت الحسن بن على قط الا فاضت عيناى دموعا ، وذلك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج يوما وانا فى المسجد فأخذ بيدى واتكأ على حتى جئنا سوق بنى قينقاع فنظر فيه ثم رجع حتى جلس فى المسجد ثم قال : ادع ابنى قال فأتى الحسن بن على يشتد حتى وقع فى حجره فجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يفتح فمه ثم يدخل فمه فى فمه ، ويقول : اللهم انى أحبه ، فأحبه ، وأحب من يحبه ثلاث مرات . وروى الامام أحمد : من أحبنى وأحب هذين يعنى حسنا وحسينا وأباهما ، وأمهما كان معى فى درجتى يوم القيامة .

ورواه الترمذى بلفظ كان معى فى الجنة ، وقال حديث غريب . ومعنى المعيه رفع الحجاب نظير : فأولائك مع الذين انعم الله عليهم من النبيئين والصديقين والشهداء والصالحين » .

سبب تسميتها بالحسن والحسين

اخرج البغوى وعبد الغنى فى الايضاح عن سلمان الفارسى رضى الله عنه ان النبى صلى الله عليه وسلم قال : سمى هارون عليه السلام ابنيه شبرا وشبيرا ، وانى سميت ابنى الحسن والحسين بما سمى هارون ابنيه . وأخرج ابن سعد عن عمران بن سليمان قال : الحسن والحسين اسمان من أسماء أهل الجنة ما سمت العرب بهما فى الجاهلية .

واخرج الامام أحمد والترمذى عن أبى سعيد والطبرانى عن عمر عن ابن مسعود ان النبى صلى الله عليه وسلم قال : ابناى هذان الحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنة ، وأبوهما خير منهما يعنى نفسه ، صلى الله عليه وسلم .

واخرج الامام احمد والترمذى والنسائى وابن حبان عن حذيفة ان النبى صلى الله عليه وسلم قال له : أما رايت العارض الذى عرض لى قبل ذلك ؟ هو ملك من الملائكة لم يهبط الى الارض قط قبل هذه الليلة ، استاذن ربه عز وجل أن يسلم على ويبشرنى ان الحسن والحسين سيدا

شباب أهل الجنة ، وان فاطمة سيدة نساء أهل الجنة ·

واخرج الطبرانى عن فاطمة ان النبى صلى الله عليه وسلم قال : أما حسن فله هيبتى وسؤددى ، وأما حسين فان له جراءتى وجودى ·

واخرج الترمذى عن ابن عمر ان النبى صلى الله عليه وسلم قال : الحسن والحسين ريحانتاى من الدنيا ·

واخرج بن عدى وابن عساكر عن أبى بكرة ان النبى صلى الله عليه وسلم قال : ان ابنى هذين ريحانتاى من الدنيا ·

وأخرج الترمذى وابن حبان عن أسامة بن زيد ان النبى صلى الله عليه وسلم قال : هذان ابناى أو ابنا ابنتى اللهم انى أحبهما فأحبهما وأحب من يحبهمـــا ·

وأخرج الامام أحمد وأصحاب السنن الاربعة وابن حبان والحاكم عن بريدة ان النبى صلى الله عليه وسلم قال : صد قالله ورسوله : انمـــا اموالكم وأولادكم فتنة » · نظرت الى هذين الصبيين يمشيان ويعثران فلم اصبر حتى قطعت حديثى ورفعتهما · وأخرج أبو داود عن المقدام بن معـــد يكرب ان النبى صلى الله عليه وسلم قال : هذا منى يعنى الحسن — وحسين من على ·

واخرج البخارى وابو يعلى وابن حبان والطبرانى والحاكم عن أبى سعيد ان النبى صلى الله عليه وسلم قال : الحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنة ، الا ابنى الخالة عيسى بن مريم ، ويحيى بن زكرياء ، وفاطمة سيدة نساء اهل الجنة الا ما كان من مريم ·

واخرج البخارى والامام أحمد وابو داود والترمذى والنسائى عن أبى بكرة ان النبى صلى الله عليه وسلم قال : ان ابنى هذا سيد ولعل الله أن يصلح به بين فئتين عظيمتين من المسلمين ، يعنى الحسن ·

واخرج الطبرانى عن عقبة بن عامر أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : الحسن والحسين سيفا العرش وليسا معلقين ·

واخرج البخارى فى الادب المفرد والترمذى وابن ماجة عن يعلى بن مرة ان النبى صلى الله عليه وسلم قال : حسين منى وأنا منه أحب الله من أحب حسينا الحسن والحسين سبطان من الاسباط ·

وأخرج الترمذى عن أنس ان النبى صلى الله عليه وسلم قال : أحب اهل بيتى الى الحسن والحسين ·

وأخرج الامام احمد وابن ماجة والحاكم عن أبى هريرة ان النبى صلى الله عليه وسلم قال : من احب الحسن والحسين فقد أحبنى ، ومن أبغضهما فقد أبغضنى . وأخرج ابو يعلى عن جابر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : من سره أن ينظر الى رجل من أهل الجنة فلينظر الى الحسن .

توليـة على للخلافة الاسلاميـة

وفى سنة (35) من الهجرة بويع بالخلافة لخمس بقين من ذى الحجة الحرام فى هذه السنة ولى الخلافة بعد الخليفة عثمان بن عفان رضى الله عنه وقد أفلت زمام الامر من يد الدولة الاسلامية ، وكانت شروط الكفاءة متوفرة لدى الامام على للم شمل المسلمين ، ومن اجل ذلك رأى الكثيرون من اهل الحل والعقد من كبار الصحابة ممن كانوا مقيمين بالمدينة ان الكفاءة فى لم شمل المسلمين تحت راية الدولة الاسلامية لا تتوفر الا فى الامام على رضى الله عنه ، بعد أن ظل المسلمون حيارى لا يجدون لهم ملجئا كأنهم فى فوضى ، ومن أجل ذلك كان الامام على رضى الله عنه يقول :

لا يصلح الناس فوضى لا سراة لهم ولا سراة اذا جهالهم سادوا

ثم ذهب معظم أهل الحل والعقد يطلبون منه أن يلى أمر الخلافة فقدر المستقبل حق قدره ، وعلم انه انما يستقبل فتنة سائرة لا يدرى قبلها من دبرها ، فقال لهم التمسوها فى غيرى ، فانا مستقبلون أمرا له وجوه ، وله ألوان لا تقوم به القلوب ، ولا تثبت عليه العقول ، فناشدوه الله والدين ، وبعد ما تحقق من عزمهم على الامر قال لهم : قد أجبتكم واعلموا انى راكب بكم ما أعلم ، وان تركتمونى فانما انا كأحدكم الا أنى من اطوعكم واسمعكم لمن وليتموه ، ثم سألهم اين طلحة والزبير ؟ فذهب جماعة اليهما فأحضروهما بعد ما اقتنعوا ان الامر لا يتم الا بمبايعتهما فبايعا عليا بالخلافة على مضض فى انفسهما فجاءت بيعتهما مستعجلة لاوانها ، فبايعاه ولا سبيل حينئذ لاكراههما على البيعة قبل أن يتم انعقادها لعلى ، الا أن بعض المؤرخين يحاول أن يجعل لهما مبررا باكراههما على البيعة ، حتى يكون لهما عذر للخروج من هذه البيعة التى التزماها وعقداها على أنفسهما طوعا لا اكراها فلزمتهما ، لان عليا حينئذ لم يكن يملك سلطة حتى يكرههما على المبايعة بل هو الذى سأل عنهما لما رأى مكانهما شاغرا بين أهل الحل

والعقد ، وبعد أن بايعا قام الناس فبايعوا فتمت له البيعة ممن كان حاضرا بالمدينة . وتخلف عن البيعة ممن كان غائبا عنها رجال : هم سعد بن أبى وقاص ، وسعيد بن زيد ، وعبد الله بن عمر ، واسامة بن زيد ، والمغيرة ابن شعبة ، وعبد الله بن سلام ، وقدامة بن مظعون وأبو سعيد الخدرى ، وغيرهم ، ولكن أغلب هؤلاء كان مشغولا فى ولايات الامصار ، ولم يحضروا بالمدينة وقت البيعة ، ولهذا رأى الامام على ان بيعته قد أصبحت تامة ، وما عليه الا ان يشمر عن ساعد الجد لانقاذ الموقف المتدهور الذى هو فى حاجة ماسة الى أمثاله .

أول خطبـــة لـــه

ثم خطب فى الناس بعد ان حمد الله واثنى عليه فقال : أيها الناس ان الله أنزل كتابا هاديا يبين فيه الخير والشر فخذوا بالخير ودعوا الشر . الفرائض الفرائض أدوها ان الله يؤدكم الى الجنة ، الا أن الله حرم حرمات غير مجهولة ، وفضل حرمة المسلمين على الحرم كلها ، وشد حقوق المسلمين بالتوحيد والاخلاص ، فالمسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده الا بالحق ، ولا يحل دم امرىء مسلم الا بما يجب ، فبادروا امر العامة وخاصة أحدكم الموت ، فانما الناس أمامكم ، وخلفكم الساعـــة تحدوكم فخففوا تلحقوا فانما ينتظر بالناس أخراهم ، اتقوا الله عباد الله فى بلاده وعباده ، انكم مسؤولون حتى عن البقاع والبهائم ، اطيعوا الله ولا تعصوه واذا رأيتم الخير فخذوا به ، واذا رأيتم الشر فدعوه : واذكروا اذ انتم قليلون مستضعفون فى الارض » ثم نزل بمكة المكرمة بلد الهجرة فى طريقه الى العـــراق .

وعن مجاهد قال لى على بن أبى طالب رضى الله تعالى عنه : ما خرج النبى صلى الله عليه وسلم من دار الدنيا حتى عهد الى ان أبا بكر يلى من بعدى ثم عمر ، ثم عثمان ، ثم على من بعده .

أول ما قـــام به على رضى الله عنـــه

فان أول ما قام به على فى خلافته ، هو انه ابتدا بتبديل عمال الامصار . فرفض بعض من رأى ان الخلاف الناشىء سبيل الى الرفض والخروج على الامام وقد تبنى هذه الفكرة معاوية بن أبى سفيان فامتنع

من بيعة على محتجا عليه بما رآه ، فاتهمه بالمالأة مع الغوغاء الذين قتلوا عثمان لترجع الخلافة اليه لانه كان تواقا اليها قبل ذلك ، فحيل بينه وبينها ومعاوية يرى ان بنى امية أحق بالطلب بدم عثمان لانه أموى فتسلل معاوية وفتح من هذه الفكرة بابا لنفسه حتى لا تلزمه البيعة لعلى فاصبح من المتمردين على الخلافة الاسلامية التى تمت الكلمة فيها لعلى من الوجهة الشرعية ، وتذرع فى تمرده بقوله تعالى : ومن قتل مظلوما فقد جعلنا لوليه سلطانا فلا يسرف فى القتل » وكان من رايه بعد القصاص من قتلة عثمان يجتمع أهل الحل والعقد لتنصيب الخليفة . وكان راى الامام على رضى الله عنه ، ان الذى هو أحق باقامة الحدود هو خليفة المسلمين ، وقد تمت له البيعة لخلافة المسلمين ، فهو الخليفة الشرعى ، ولم ير على بعد هذا الا الاستعداد والتشمير للحرب .

فقال لزياد بن حنظلة : يا زياد استعد ، فقال لاى شىء ؟ فقال لحرب معاوية ، قال زياد : الأناة والرفق أمثل ، وانشد :

ومن لم يصانع فى أمور كثيرة　　　يدرس بأنياب ويوطأ بمنسم

فأنشد على رضى الله عنه مرتجلا قائلا :

متى تجمع القلب الذكى وصارما　　　وانفا حميا تجتنبك المظالم

فخرج زياد الى الشام ، فقيل له : ما وراءك ؟ قال السيف وقد عد الامام على خلاف معاوية بغيا على طاعة الامام وخروجا عليه ، وارسل الى اهل الامصار يستنفرهم لقتال معاوية ومن على رايه ، وممن دخل فى رايه ام المومنين السيدة عائشة الصديقية رضى الله عنها وتبعها على رايها طلحة والزبير بعد نكثهما بيعة على ، وتوجها مع من تبعهم من مكة الى البصرة بالعراق ، وكان عاملا على البصرة عثمان بن حنيف فمنعهم من الدخول اليها ، وردهم من حيث جاءوا ، فبعث لعلى فأمره بأن يستمر فى منعهم من دخولها ، فاجتمع من انصار الفريقين خلق كثير فنشبت الحرب بين الفريقين ، ولم تشتد حتى وصل على من مكة ، فكانت وقعة الجمل الشهيرة التى قادتها ام المومنين عائشة رضى الله عنها ، وكان الانتصار فيها للامام على رضى الله عنه ، ثم امر بها الى المدينة ، واختار لصحبتها أربعين امراة من نساء البصرة المعروفات ، وسير معها اخاها محمد بن ابى بكر ، فلما كان اليوم الذى ارتحلت فيه اجتمع الناس اليها فقالت يا بنى لا يعتب بعضنا على بعض ، انه والله ما كان بينى وبين على فى القديم الا ما يكون بين المراة وبين احمائها ، وانه على معتبتى لمن الاخيار ، فقال الامام على

صدقت والله ما بينى وبينها الا ذلك ، وانها لزوجة نبيكم فى الدنيا والآخرة .
ثم خرجت يوم السبت فاتح رجب سنة (36) هجرية فتوجهت الى مكة فحجت ثم منها الى المدينة ، ولا حول ولا قوة الا بالله ، واحصيت القتلى التى سقطت حول الجمل فكانت ستمائة قتيل . وتقدم انها توفيت سنة (57) هجريـــة .

الكوفـــة عاصمـــة الخلافـــة العلويـــة

ثم توجه الى الكوفة التى جعلها مقر خلافته . فأرسل الى معاويـــة يدعوه الى الدخول فيما دخل فيه الناس ، ويعلمه باجتماع المهاجرين والانصار على بيعته ، فرفض الدخول فى طاعته ، فجهز أمير المؤمنين على رضى الله عنه جيشا لقتال معاوية ، حتى يرغمه على الدخول فى طاعته . فلما علم معاوية سار اليه فى جيوش الشام ، فالتقى الجيشان فى سهل صفين على نهر الفرات شرقى حلب . فبدأ الامر بينهما بالمفاوضات . فبذل الامام على رضى الله عنه كل مجهود لحقن دماء المسلمين بأسلوب الاقناع والحجـــة الدامغة ، فلم يشأ معاوية الا الحرب ، فلما ظهرت الحجج القاطعة على انه باغ هو ومن معه رأى الامام على وجوب حربهم فحاربهم ، وقد ازدادوا تأكدا من ان معاوية باغ بموت عمار بن ياسر فى جيش على رضى الله عنه . لانهم كانوا يحفظون فيه عن النبى صلى الله عليه وسلم حديثا هو قوله صلى الله عليه وسلم : ويح عمار تقتله الفئة الباغية . قال له ذلك فى بناء مسجد المدينة كان الناس ينقلون لبنة واحدة وكان هو ينقل لبنتين ، فأتى اليه النبى صلى الله عليه وسلم ونفض الغبار عن راسه وقال له : الحديث : ويـــح عمار تقتله الفئة الباغية . وتقاتل الجيشان قتالا شديدا فراى معاوية الفشل فى جيشه فعمد الى المطالبة بالصلح ، فانتهى الامر بالتحكيم وكانت النتيجة منه ان انقسم جيش الامام على على نفسه فخرجت منه فرقة عن طاعة الامام وسموا « بالخوارج » وكانت لهم آراء فاسدة استبدوا بها ولم يرضوا بالدخول فى طاعة احد الطرفين المتخاصمين ، وتمسكوا بآرائهم الفاسدة وقاتلوا من اجل تطبيقها ومكثوا على ذلك حتى اكلتهم الحروب مـــع مرور الزمن ، واصبح الوقت ربحا لمعاوية بقدر ما ازداد الامر اشتدادا على أمير المومنين على رضى الله عنه . فأصبح قتال الخوارج أمرا لا مفر منه ، وبذلك ازداد الامر استفحالا فى وجهه حيث أصبح يواجه عدوين من اشق الاعداء ، فوجد فى ذلك معاوية ارتياحا وجعل يعد العدة لخوض معركة اخرى قـــد

تكون فى صالحه ، وقد كانت فعلا كما قدر الله أن تكون ، ولم يزل الخرق يزداد اتساعا فى وجه أمير المومنين على رضى الله عنه ، كما ازدادت نـــار الحرب اشتعالا حتى اصبح لا يدرى بأيتها يبدأ قتالا . قصة الخوارج قيـل اول من خرج منهم رجل من ربيعة من بنى شيكر كان مع على بصفين فلما راى اتفاق الفريقين على الحكمين استوى على فرسه وحمل على اصحاب معاوية فقتل منهم رجلا ، ثم حمل على اصحاب على فقتل منهم رجلا ، ثم نادى بأعلى صوته ، الا انى قد خلعت عليا ومعاوية ، وبرئت من حكميهما ثم قاتل أصحاب على حتى قتله قوم من همدان ، ثم انفصل من معسكر على بصفين اثنا عشر الفا ، وانحازوا الى حروراء ، فسموا الخوارج الحرورية ، وزعيمهم يومئذ عبد الله بن الكواء ، وشَبَث بن ربعى . فخرج اليهم الامام على يناظرهم فوضحت حجته عليهم ، فاستأمن اليه ابن الكواء مع عشرة من الفرسان ، وانحاز الباقون منهم الى النهروان ، وأمروا على انفسهم رجلين : احدهما عبد الله بن وهب الراسبى والآخر حرقوص بن زهير البجلى المعروف بذى الثدية ، والتقوا فى طريقهم الى النهروان برجل رأوه يهرب منهم فاحاطوا به ، وقالوا له : من أنت ؟ قال : انا عبد الله بن خباب بن الارت ، فقالوا حدثنا حديثا سمعته عن ابيك عن رسول الله صلى الله عليه وسلـــم فقال : سمعت أبى يقول : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ستكون فتنة القاعد فيها خير من القائم ، والقائم خير من الماشى ، والماشى خير من الساعى فمن استطاع أن يكون مقتولا فلا يكونن قاتلا .

فشد عليه رجل منهم يقال له مسمع بسيفه فقتله ، ثم انهم دخلوا منزله وكانوا فى القرية التى قتلوه على بابها ، ثم قتلوا ولده وجاريته ام ولده . ثم عسكروا بالنهروان ، فانتهى خبرهم الى على رضى الله عنـــه فسار اليهم فى أربعـــة آلاف من أصحابه ، ومن بينهم عـــدى بن حاتم الطـــائـــى فقـــال :

نسير اذا ما كاع قـــوم وبلـــدوا	برايـــات صدق كالنسور الخوافق
الى شر قوم مـــن شراة تحزبوا	وعادوا الاه النـــاس رب المشارق
طغاة عمـــاة مارقين عـــن الهدى	وكل يـــرى فى قولـــه غير صادق
وفينا على ذو المعالى يقـــودنـــا	اليهم جهـــارا بالسيـــوف البوارق

فلما قرب على منهم ارسل اليهم : ان سلموا قاتل عبد الله بن خباب ابن الارت فأجابوه اننا كلنا قتلة ، ولئن ظفرنا بك قتلنـــاك ، فبـــداهم بالمناظرة ، فقال لهم : ماذا نقمتم منى ؟ فقالوا له : اول ما نقمنا منك

انا قاتلنا بين يديك يوم الجمل فلما انهزم اصحاب الجمل ابحت لنا مـا وجدنا فى عسكرهم من المال ، ومنعتنا من سبى نسائهم وذراريهم ، فكيف استحللت مالهم دون النساء والذرية ؟ فقال : انما ابحت لكم اموالهم بدلا عما كانوا أغاروا عليه من بيت مال البصرة قبل قدومى عليهم ، والنساء والذرية لـم يقـاتلونـا ، وكـان لهـم حكـم الاسـلام بحكـم دار الاسلام ، ولم يكن منهم ردة عن الاسلام ، ولا يجوز استرقاق من لم يكفر وبعد لو ابحت لكم النساء ابكم ياخذ احدكم « عائشة » فى سهمه ؟ فخجل القوم من هذا ، ثم قالوا له نقمنا عليك محو امرة امير المؤمنين على اسمك فى الكتاب بينك وبين معاوية لما نازعك معاوية فى ذلك ، فقال ، فعلت مثل ما فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الحديبية حين قال له سهيل بن عمرو لو علمت انك رسول الله لما نازعتك ، ولكن اكتب باسمك واسم ابيك فكتب : هذا ما صالح عليه محمد بن عبد الله وسهيل بن عمرو . واخبرنى رسول الله صلى الله عليه وسلم ان لى يوما منهم مثل ذلك . فكانت قصتى فى هذا مع الابناء قصة رسول الله صلى الله عليه وسلم مـع الآباء ، فقالوا له : فلم قلت للحكمين ؟ : ان كنت اهلا للخلافة فاثبتانى . فان كنت فى شك من خلافتك فغيرك بالشك فيك أولى ، فقال : انما اردت بذلك النصفة لمعاوية ، وقد دعا رسول الله صلـى الله عليـه وسلم نصارى نجران الى المباهلة وقال لهم : تعالوا ندع ابناءنا وابناءكم ونساءنا ونساءكم وانفسنا وانفسكم ثم نبتهل فنجعل لعنة الله على الكاذبين » فانصفهم بذلك من نفسه ولو قال ابتهل فاجعل لعنة الله عليكم لم ترض النصارى بذلك ، لذلك انصفت انا معاوية من نفسى ، ولم ادر غدر عمرو ابن العاص ، ثم قالوا فلم حكمت الحكمين فى حق كان لك ؟ فقال وجدت رسول الله صلى الله عليه وسلم قد حكم سعد بن معاذ فى بنى قريظة ، ولو شاء لم يفعل ، واقمت انا ايضا حكما ، لكن حكم رسول الله صلى الله عليه وسلم قد حكم بالعدل ، وحكمى خدع حتى كان من الامر ما كان . فهل عندكم شىء سوى هذا فسكت القوم ، وقال اكثرهم صدق والله ، وقالوا التوبة ، واستامن منهم اليه يومئذ ثمانية آلاف ، وانفرد منهم اربعة آلاف بقتاله مع عبد الله بن وهب الراسبى ، وحرقوص بـن زهير البجلى ، وقال على للمستأمنين اعتزلونى فى هذا اليوم ، ثم قال لاصحابه قاتلوهم فو الذى نفسى بيده ليقتلن منا عشرة ، ولينجون منهم عشرة ، فقتل من اصحاب على يومئذ تسعة ، وبرز حرقوص بن زهير الى على ، وقال يا ابن ابى طالب لا نريد بقتالك الا وجه الله والدار الآخرة ، وقال له

على بل مثلكم كما قال الله عز وجل : قل هل ننبئكم بالاخسرين أعمالا الذين ضل سعيهم فى الحياة الدنيا وهم يحسبون انهم يحسنون صنعا » منهم انت ورب الكعبة ، ثم حمل عليه فى اصحابه ، فصرع حرقوص المعروف بذى الثدية عن فرسه ، وقتل عبد الله بن وهب فى المبارزة . وقتل جميع الخوارج فلم يفلت منهم الا تسعة انفس ، سار منهم رجلان الى سجستان، ومن اتباعهما خوارج سجستان . ورجلان الى اليمن ، ومن اتباعهما أباضية اليمن ، ورجلان سارا الى عمان ، ومن اتباعهما خوارج عمان . ورجلان سارا الى ناحية الجزيرة ، ومن اتباعهما خوارج الجزيرة ، ورجل منهم سار الى تل موزن ، وقال على يومئذ لاصحابه اطلبوا ذا الثدية . فوجدوه تحت دالية ، ورأوا تحت يده عند الابط مثل ثدى المرأة ، فقال : صدق الله ورسوله : لما تحقق مصداق حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم فيـــه . ثم امر بقتله فقتل ، فهذه قصة المحكمة الاولى ، وكان دينهم اكفار على وعثمان واصحاب الجمل ، ومعاوية واصحابه . والحكمين . ومن رضى بالتحكيم ، واكفار كل ذى ذنب ومعصية . ثم تفرعت عن الناجين من التسعة ، عشرون فرقة وهذه اسماؤها : (1) المحكمة الاولـــى ، 2 ـ الازارقة ، 3 ـ النجدات ، 4 ـ الصفرية ، 5 ـ العجاردة المتفرقة فرقا شتى ، منها 6 ـ الخازمية ، 7 ـ الشعيبية . 8 ـ المعلوميـــة ، 9 ـ المجهولية ، 10 ـ اصحاب طاعة لا يراد بها الله ، 11 ـ الصلتيـــة ، 12 ـ الاخنيسية ، 13 ـ الشبيبية ، 14 ـ الشيبانية ، 15 ـ المعبدية ، 16 ـ الرشيدية ، 17 ـ المكرمية ، 18 ـ الحمزية ، 19 ـ الشمراخية ، 20 ـ الابراهمية ، 21 ـ الواقفة ، 22 ـ الاباضية ، والاباضيـــة افترقت فرقا ، معظمها فريقان : حفصية ، وحرثية ، واما الزيدية فهى من الاباضية ، والميمونية من العجاردة ، فانهما فرقتان من غلاة الكفرة الخارجين عن فرق الامة .

ثم بعد هذا وذاك ، ثقل فى يده امر الرعية ، فصدق عليه قول من قال:

اذا كـــان عون الله للمـــرء ناصرا   تهيأ له مـــن كـــل صعب مراده ،،
وان لم يكـــن عـــون من الله للفتى   فأكثر ما يجنى عليـــه اجتهاده ،،

ومن المؤسف جدا ان يسمع الانسان ما آلت اليه الامور بيد الامام على رضى الله عنه . ولما انتهى من قتال الخوارج أمر جيشه بالتوجه الى الشام لمواصلة حرب معاوية ، فقالوا له يا أمير المومنين : نفـــذت نبالنـــا وكلت جهودنا ، وفلت سيوفنا ، ونسلت اسنة رماحنا ، وحاد اكثرها قصدا ،

فارجع بنا الى مصرنا — الكوفة — فلنستعد ، ولعل أمير المومنين يزيد فى عدتنا ، فانه اقوى لنا على عدونا ، ومن هنا بدات سلطة أمير المومنين فى انهيار عليه ، حتى اصبح كل يوم فى نقصان — وخصمه طبعا فى زيادة — ولم يبق له الا ان يحرضهم فى كل ساعة على القيام بالواجب ، بما اتاه الله من فصاحة لسان وسحر بيان ، فتيقن ان الامر لا يزيد فى يده الا فتورا وارتخاء ولم يبق معه من المخلصين الصابرين الا فئة رآها لا تكفى حتى للدفاع عن النفس اذا هاجمه عدوه . وقد انحاز الى معاوية اقليم الشام واليمن والحجاز ومصر . ولم يبق بيد أمير المومنين على رضى الله عنه الا اقليم العراق وفى هذا الظرف اجتمع ثلاثة من الخوارج وهم : (1) عبد الرحمن بن ملجم الجمه الله بلجام من النار ، (2) البرك بن عبد الله التميمى (3) عمرو بن أبى بكر التميمى . واتفقوا على أن يقتلوا ثلاثة من كبار الصحابة . هم : (1) الامام على ذهب اليه الشقى عبد الرحمن بن ملجم ، الذى قال عنه النبى صلى الله عليه وسلم أشقى الاولين عاقر ناقة صالح ، واشقى الآخرين قاتلك يا على . بالكوفة (2) معاوية ، ذهب اليه البرك ابن عبد الله التميمى ، بدمشق ، (3) عمرو بن العاص ، ذهب اليه عمرو ابن بكر التميمى ، بمصر ، بعد ما تعاقدوا على أن يكون تنفيذ ما عزموا وتعاقدوا عليه فى يوم واحد عينوه لذلك فى وقت واحد وهو وقت صلاة الصبح ، فقصد كل واحد منهم صاحبه وترصده فى صلاة صبح ذلك اليوم ، لان الامراء فى ذلك الوقت كانوا ائمة للصلوات الخمس فى الجماعات ، فقصد البرك معاوية وانتظره حتى كان يصلى بالناس صلاة الصبح فضربه بسيفه ضربة بين اليتيه أصابته فى عرق النسل لم يمت منها ، فألقى القبض عليه وامر به فقتل وقصد عمرو بن بكر عمرو بن العاص ، وترصده فى صبح ذلك اليوم ، فناب عنه فى الصلاة خارجة بن حبيب السهمى لمرض كان به اقعده عن الخروج الى الصلاة ، وبعد ما تقدم خارجة للصلاة ظنه انه عمرو بن العاص فضربه ضربة قاتلة ، فقبض عليه ، فتبين ان المضروب خارجة ، فقيل له فى ذلك فقال : اردت عمرا وأراد الله خارجة ، فصار مضرب الامثال لكل خطأ وقع فيه صاحبه ، ثم أمر به فقتل .

وقصد الكوفة عبد الرحمن بن ملجم فنزل على احد الخوارج فبث له الامر فوافقه على مراده فى اغتيال الخليفة على رضى الله عنه ، ولما كانت الليلة التى تعاقدوا على تنفيذ ما اتفقوا عليه فيها خرج عبد الرحمن ومعه شبيب الخارجى فترصدا الامام فى خروجه من دار الخلافة ، وكانت

بالقرب من المسجد الاعظم بالكوفة ، وقد اتفق ان استيقظ
تلك الليلة سحرا ، وقال لابنه الحسن رايت رسول الله
وسلم فى المنام ، وقلت له يا رسول الله ما لقيت من امتك
ادع الله عليهم ، فقلت اللهم ابدلنى بهم خيرا لى منهم ،
لهم منى ، وأقبل عليه الاوز يصحن فى وجهه ، فطردوهن
فانهن نوائح ثم دخل عليه المؤذن فقال : الصلاة ، فخرج
وهو ينادى أيها الناس الصلاة الصلاة ، فشد عليه ش
فضربه بالسيف فوقع سيفه بالباب ، ثم ضربه ابن ملجم ف
قرنه ، ووصل دماغه وقال : الحكم لله لا لك يا على ، و
على لا يفوتنكم الرجل فهرب وهرب شبيب فدخل منزله ،
من بنى أمية فقتله ، وأما بن ملجم فشد عليه الناس من
رجل من همدان فطرح عليه قطيفة ثم صرعه ، واخذ الس
الى أمير المومنين على رضى الله عنه ، ولا يختلف المؤر
المومنين عليا رضى الله عنه استشهد ليلة الجمعة (7
(40) هجرية ، وقيل اقام على قيد الحياة الجمعة والسبت
(19) رمضان سنة اربعين من الهجرة النبوية على صاحب
والسلام ، وبعد ان القى القبض على عبد الرحمن بن ملج
الامام على رضى الله عنه ، فقال : النفس بالنفس وال
ان هلكت فاقتلوه كما قتلنى ، وان بقيت رايت فيه رايى ث
المطلب فحضر جمع منهم ، فقال لهم يا بنى عبد المطلب لا
دماء المسلمين ، تقولون قتل أمير المومنين ، الا لا يقتلن
يا حسن ان انا مت من ضربتى هذه ، فاضربه ضربة بض
بالرجل ، فانى سمعت رسول الله صلى الله عليه وس
والمثلة ولو بالكلب العقور ، فدخل جندب بن عبد الله فقال
ان فقدناك ولا نفقدك ، فنبايع الحسن ، فقال ما آمرك
ابصر ، ثم دعا الحسن والحسين ، واوصاهما وصية جا
والآخرة ، قال فيها : أوصيكما بتقوى الله ولا تبغيا الدنيا
تبكيا على شيء أزوى عنكما ، وقولا الحق ، وارحما اليتيم
واصنعا للاخرى وكونا للظالم خصيماه ، وللمظلوم ناصر
فى كتاب الله ولا تاخذكما فى الله لومة لائم ، ثم نظر الى
ابن الحنفية ، وقال له هل حفظت ما اوصيت به اخويك
فانى اوصيكما بمثله واوصيك بتوقير اخويك لعظيم حقهما

امرا دونهما . ثم قال للحسن والحسين اوصيكما به فانه أخوكما وابن ابيكما ، وقد علمتما ان اباكما كان يحبه ، وقال للحسن ايضا اوصيك أى بنى بتقوى الله واقام الصلاة لوقتها ، وايتاء الزكاة عند محلها ، وحسن الوضوء ، فانه لا صلاة الا بطهور ، واوصيك بغفر الذنب ، وكظم الغيظ ، وصلة الرحم ، والحلم عن الجاهل ، والتفقه فى الدين ، والتثبت فى الامر ، والتعهد للقرآن ، وحسن الجوار ، والامر بالمعروف والنهى عن المنكر ، واجتناب الفواحش ، ثم لم يزل يذكر الله حتى توفى ، والاصح انه كان له من العمر (61) سنة وتولى غسله ولداه الحسن والحسين ، وعبد الله ابن جعفر بن ابى طالب ، ومحمد بن الحنفية يصب الماء وكفن فى ثلاثة اثواب ، ليس فيها قميص ، وصلى عليه ولده الحسن وكبر عليه سبعا ، والصحيح انه مدفون بدار الامارة بالكوفة ، ودفن ليلا او بالقرى وهو موضع يزار الآن أو بين منزله والجامع الاعظم . ثم صحح المتأخرون انه دفن فى محراب الجامع الاعظم ، واخفى قبره لامرين (1) اخفى حتى لا يعبد من دون الله من طرف غلاة الشيعة ، (2) اخفى خوفا عليه من اعدائه الخوارج حتى لا ينبشوا قبره ، وذهب فى ذلك اهل الطيش الى غير هذا ولا فائدة فى ذكر ما ذكروا . وكانت خلافته رضى الله عنه أربع سنين وتسعة اشهر وخمسة ايام ، اى خمس سنين غير (85) يوما فقام بها رضى الله عنه احسن قيام ، وقد بذل فيها أكثر من الجهد فى محاولة لم شمل المسلمين فلم يحقق من ذلك سوى خروجه من الدنيا بخير ، رغم الكفاءة التى كانت متوفرة لديه ، وظل ما يقرب من خمس سنوات الى اليوم الذى قبض فيه لم يصف له فيها يوم واحد من الكدر والحروب ، وكان امر الله بذلك قدرا مقدورا . وقد كان ذلك لحكمة ارادها الله لتتميم نعمته عليه .

قال بعض العلماء : الحكمة فى عدم اجتماع الكلمة لعلى رضى الله عنه ترجع الى امرين : (1) لحديث ورد فى ذلك هو قوله عليه الصلاة والسلام : انا اهل البيت لا يجمع الله لنا بين الدنيا والآخرة ، او كما قال : وابى الله ان يجمع للامام على رضى الله عنه بين سعادة الدنيا وسعادة الآخرة ، وذلك لقربه من بيت النبوءة . (2) هو ما علمه الله تعالى من أنه اذا اظهره بمظهر المقتدر وأجرى الكرامات على يديه كما كان ذلك ظاهرا عليه فى حياة رسول الله صلى الله عليه وسلم وانقادت له الرقاب وتصرف فى شئونها تصرف المالك فى ملكه ، لا يومن جانبه حينئذ من اعتقاد الالوهية فيه ، وعبادته من دون الله من طرف كثير من البشر ، سيما وقد كانت

بدأت تظهر فرق من ذلك فى حياته ، وعبدته من دون الله ، كالشيعة الروافض ومن على نظرهم من الشيعة المتطرفة ، والناصرية أكثرهم غلوا فى ذلك ، ولن تزال بقية من عقائدهم الكفرية الى اليوم ، واما فى حياته رضى الله عنه لما وصله خبر تأليهم اياه ، دعاهم واستنطقهم فاعترفوا بذنبهم فاستتابهم فلم يتب عدد كبير منهم ثم جمعهم على أعين الناس فاشهدهم على أنفسهم واشهد عليهم كبار الصحابة ثم حفر لهم أخاديد فى باب كندة احدى أبواب الكوفة فى الارض ، وأوقد فيها النيران ، فقذفهم فيها احياء بعد اتفاق الصحابة على قتلهم ، لكن كان مذهب ابن عباس رضى الله عنهما أن يقتلوا بالسيف من غير تحريق ، وهو قول أكثر العلماء ولم يكف الامام على عن احراقهم حتى سمع حديثا من ابن مسعود لعله لم يصله : لا يعذب أحد بالنار الا الله ، وقال المحترقون : الآن زدنا اعتقادا بالوهيتك ، لا يعذب بالنار الا رب النار ، وكان رئيس أولئك الغلاة المبتدعة هو عبد الله ابن سبأ اليهودى الاصل واتباعه ، وهو مؤسس العقائد السبئية وهو الذى كان سببا فى اشعال نار الفتنة التى ذهبت بحياة الخليفة عثمان رضى الله عنه ، قال ابن سبأ وأصحابه ان عليا الههم فنهاهم فلم ينتهوا فكان مصيرهم ما تقدم من الحرق ، وقال ابن معتوق لعنه الله من متأخريهم فى على :

سيد الاوصياء مولى البرايا عروة الدين صفوة الخلاق
مهبط الوحى معدن العلم والافـ ـضال لا بل مقدر الارزاق
عالم الغيب والشهادة لا يعـ ـزب عنه حساب ذر دقاق

انظر فانك تراهم يخلطون فيه بين أوصاف النبوءة والالوهية كانهما اجتمعتا فيه لعنة الله عليهم ، وقد سبق فى علم الله انه سيبتلى بهذه الدعاوى الكاذبة فانقذه منها بلطفه الخفى ، واللطف الخفى عندهم هو ان الخير يأتى فى صورة الشر ، ومن ذلك معنى قوله تعالى : وعسى أن تكرهوا شيئا وهو خير لكم وعسى أن تحبوا شيئا وهو شر لكم والله يعلم وأنتم لا تعلمون » وانقاذه بلطفه اظهار عجزه فى الوقت الذى لا يمكن له أن يدخر فيه شيئا من قوته وحزمه ، ولو كانت فى ذاته قوة الالوهية كما زعموا لما عجز عن تحقيق ابسط ما قد يجتمع لمن هو دون مرتبته ، وعلى رغم منه قد جمع الله الامر لخصمه وهو دونه ، فصار ينظر الى انصاره وشيعته وهم فى تفرق عنه وادبار ، بينما أنصار خصمه فى طاعة واقبال عليه ، فكان رضى الله عنه اذا رأى ما هو فيه من مخالفة عسكره له وطاعة عسكر معاوية له ،

يعض على أصابعه ويقول : أأعصى ويطاع معاوية !!؟ وهذا العجز القاهر الظاهر لو لم يبرزه القدر الالاهى الى الوجود ، وعلى التقدير لو كان النصر لعلى باظهار الكرامات على يديه لكان امتحانا له أى امتحان على أعـين الاشهاد فى حياته ولكان نتلته ألسنة الاقلام لمن بعده ، فعند ذلك لم يكن من المستبعد ان يكون جل الذين يتحلون الآن بعجزه يعبدونه من دون الله ، فيكون ذلك أعظم بلاء على الامام على رضى الله عنه فى دينه : فالله خير حفظا وهو أرحم الراحمين » ولو تركت الخلافة للاحقية بعد موت على لتقدم على معاوية فىذلك العصر الوف ممن كانوا أفضل وأخير منه ، ممن شهد الكتاب والسنة بفضلهم كأهل بدر ، وأحد من المهاجرين والانصار ، واهـل بيعة الرضوان ، وكل من شهد المغازى مع رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل الفتح ، ومعاوية قد أسلم كرها بعد الفتح ، وفى ذلك يقول الله تعالى : لا يستوى منكم من انفق من قبل الفتح وقاتل أولائك أعظم درجة من ا لذين أنفقوا من بعد وقاتلوا » ومعاوية كان فى غزوة حنين من المؤلفة قلوبهم ، فأعطى النبى صلى الله عليه وسلم اباه أبا سفيان مائة من الابل ، وأربعين أوقية من الذهب ، وأعطى ابنه معاوية هذا مثل ذلك ، وأعطى أخاه يزيد بن أبى سفيان مثل ذلك وقال أبو سفيان للنبى صلى الله عليه وسلم بأبى أنت وأمى لانت كريم فى السلم والحرب ، وفى رواية أن معاوية قد أسلم فى السنة السابعة من الهجرة ، أى قبل الفتح بسنة ، فهو صاحب اللعبة الناجحة ، ولولا ان الامور تجرى على غير مجراها الطبيعى ، لمـا ترك الخلافة من كانوا أحق بها وأهلها من كبار الصحابة وأخيارهم مـن المهاجرين والانصار ، مثل سعد بن أبى وقاص ، وسعيد بن زيد وعبد الرحمن ابن عوف ، وأبى عبيدة بن الجراح ، كل هؤلاء بدريـون ومـن العشرة المبشرين بالجنة على لسان رسول الله صلى الله عليه وسلم . وغيرهم كثيرون ، ولولا جراءة معاوية عليها لما كانت تصل اليه عن طريق الاحقية لانهم كانوا أحق بها منه ، وحيث كانت الامور تجرى على نوامس الكون تهيأت له اسبابها حتى اصبح ملكا مظفرا ، وقتل خصمه الخليفة الحق مقهورا ورغم هذا العجز الظاهر الباهر الذى سار على نهج ما جرت بـه المقادير ، على الامام على رضى الله عنه ، وما زال ناس كثيرون يدعون الوهيته ، ويوجد منهم طوائف فى سريا من بلاد الشام ، وفى العراق ، وفى ايران ، وفى مصر ، وما يسمع من أطفال مصر خصوصا عند احتياجهم الى نزول المطر الغزير ، ما يؤيد ذلك من اقوالهم عند نزول أول موجة من المطر الخفيف يقولون : يا بركة على زد ، لاعتقادهم انـه فى السحاب ،

ويأخذون ذلك من آية فى القرآن حسب تأويلاتهم الفاسدة ، وهى قوله تعالى : هل ينظرون الا أن يأتيهم الله فى ظلل من الغمام » قل اللهم مالك الملك توتى الملك من تشاء وتنزع الملك ممن تشاء وتعز من تشاء وتذل من بيدك الخير انك على كل شيء قدير » .

أوصاف شخصية الامام على رضى الله عنه

فمن أوصافه انه كان مربوع القد ليس بالطويل ولا بالقصير . وكان أحسن الناس وجها ، كثير التبسم . ثقيل العينين وعظيمهما كثيف اللحية . ولا يغير شيبه . أصلع الرأس . عظيم الصدر كثير شعره لون بشرته يميل الى الادمة ، وهى حمرة يخالطها تسود دهمة وكان ضخم عضلة الذراع . وضخم عضلة الساق مع اعتدال فى ذلك من باقى اليدين والرجلين . كان اذا مشى عليه هيبة ووقار . واذا تكلم أقنع الناس بسعة علمه . وفصاحة لسانه ، وسحر بيانه وقوة جنانه هو من المعرفة بحذا عند أهل العلم غنى عن التعريف به . ومن أخلاقه انه كان شجاعا مقداما ، حمل الراية لرسول الله صلى الله عليه وسلم فى خيبر وبنى النضير ، وغزوة الفتح الاعظم ، وحنين ، وله غير ذلك من المواقف مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان الى جانب ذلك كريما مؤثرا على نفسه فى الرخا والشدة ، حتى شرفه الله بنزول القرآن فى كرمه فقال الله تعالى : ويطعمون الطعام على حبه مسكينا ويتيما وأسيرا انما نطعمكم لوجه الله لا نريد منكم جزاء ولا شكورا انا نخاف من ربنا يوما عبوسا قمطريرا فوقاهم الله شر ذلك اليوم ولقاهم نضرة وسرورا وجزاهم بما صبروا جنة وحريرا متكئين فيها على الارائك لا يرون فيها شمسا ولا زمهريرا ودانية عليهم ظلالها وذللت قطوفها تذليلا » الى قوله تعالى : ان هذا كان لكم جزاء وكان سعيكم مشكورا » .

وأخرج السلفى فى الطيوريات عن عبد الله بن الامام أحمد بن حنبل قال : سألت أبى عن على ومعاوية فقال : اعلم ان عليا كان كثير الاعداء ففتش له أعداؤه شيئا فلم يجدوه فجاءوا الى رجل قد حاربه وقاتله ، ناظروه كيدا منهم له .

ومن حكمه وآدابه رضى الله عنه

فمن كلماته الدالة على علو قدرته علما وحكمة وزهدا ومعرفة بالله

تعالى ومن قضاياه وكراماته . اخرج بن سعد عنه قال : والله ما نزلت آية الا وقد علمت فيم نزلت ، وأين نزلت ، وعلى من نزلت ، ان ربى وهب لى قلبا عقولا ولسانا ناطقا . وأخرج ابن سعد وغيره ، عن ابى الطفيل قال : قال على سلونى عن كتاب الله ، فانه ليس من آية الا وقد عرفت بليل نزلت أم بنهار ، أم فى سهل أم فى جبل ، وأخرج ابن ابى داود عن محمد بن سيرين قال : لما توفى رسول الله صلى الله عليه وسلم ابطا على عن بيعة أبى بكر فلقيه ابو بكر فقال : أكرهت امارتى ؟ قال لا ، ولكن آليت لا ارتدى بردائى الا الى الصلاة حتى أجمع القرآن ، فزعموا انه كتبه على تنزيله قال محمد بن سيرين لو اصبت ذلك الكتاب كان فيه العلم .

ومن كراماته الباهرة ان الشمس ردت عليه لما كان رأس رسول الله صلى الله عليه وسلم فى حجره والوحى ينزل عليه ، وعلى لم يصل العصر ، فلما سرى عنه صلى الله عليه وسلم الا وقد غربت الشمس . فطلعت بعد ما غربت . وحديث ردها صححه الطحاوى من الحنفية ، والقاضى عياض فى الشفاء ، وحسنه شيخ الاسلام أبو زرعة ولم يتبعه غيره . وردوا على جمع قالوا انه موضوع ، وزعم فوات الوقت بغروبها فلا فائدة لردها فى محل المنع ، بل نقول كما ان ردها خصوصية كذلك ادراك العصر الآن ، اداء خصوصية وكرامة على ان فى ذلك اعنى ان الشمس اذا غربت ثم عادت هل يعود الوقت بردها ترددا ، حكيته مع بيان المتجه منه فى شرح العباب ، فى أوائل كتاب الصلاة . قال سبط بن الجوزى وفى الباب حكاية عجيبة حدثنى بها جماعة من مشائخنا بالعراق ، انهم شاهدوا ابا منصور المظفر ابن ازدشير القباوى الواعظ ذكر بعد العصر هذا الحديث ونمقه بألفاظه ، وذكر فضائل اهل البيت فغطت سحابة الشمس ، حتى ظن الناس انها قد غابت فقام على المنبر وأومأ الى الشمس وأنشد :

لا تغربى يا شمس حتـــى ينتهـــى	مدحـــى لآل المصطفـــى ولنجلـــه
واثنـــى عنـــانك ان أردت ثناءهم	انسيت اذ كـــان الوقوف لاجلـــه
ان كـــان للمولى وقوفك فليكـــن	هـــذا الوقوف لخيلـــه ولـــرجلـــه

قالوا فانجاب السحاب عن الشمس وطلعت . وهذه كرامة أخرى للواعظ وأخرج عبد الرزاق عن حجر المرادى قال : قال لى على : كيف بك اذا أمرت ان تلعننى ؟ قلت او كائن ذلك ؟ قال نعم ، قلت فكيف أصنع ؟ قال العنى ولا تبرأ منى . قال : فأمرنى محمد بن يوسف أخو الحجاج ، وكان أميـــرا من قبل عبد الملك بن مروان على اليمن ان العن عليا ، فقلت

ان الامير أمرني أن ألعن عليا فالعنوه لعنه الله . فما فطن لها الا رجل أي لانه لعن الامير ولم يلعن عليا فهذا من كرامات على ، واخباره بما أطلعه الله عليه وكشف له من أمر المستقبل وتلك خصوصية خصه الله بها ، فصارت وراثية بين أبنائه من ذرية الحسنين . ومن كراماته أيضا انه حدث بحديث فكذبه رجل ، فقال له ادعو عليه : ان كنت كاذبا ، فقال : ادع ، فدعا عليه فلم يبرح حتى ذهب بصره .

وأخرج ابن المدائنى عن مجمع ان عليا كان يكنس بيت المال ثم يصلى فيه رجاء أن يشهد له انه لم يحبس فيه المال عن المسلمين .

قضــــــاء علــى

وجلس رجلان يتغديان مع أحدهما خمسة ارغفة ، ومع الآخر ثلاثة ارغفة فمر بهما ثالث فأجلساه فأكلوا الارغفة الثمانية على السواء ثم طرح لهما الثالث ثمانية دراهم عوضا عما أكله من طعامهما فتنازعا فصاحب الخمسة ارغفة يقول : ان له خمسة دراهم ولصاحب الثلاثة ثلاثة وصاحب الثلاثة يقول : ان له أربعة ونصفا ، فاحتكما الى الامام على رضى الله عنه فقال : لصاحب الثلاثة خذ ما رضى به صاحبك ، وهو الثلاثة فان ذلك خير لك ، فقال لا رضيت الا بمر الحق ، فقال على ليس فى مر الحق الا درهم واحد ، فسأله عن بيان وجه ذلك ؟ فقال رضى الله عنه اليست الثمانية ارغفة اربعة وعشرين ثلثا أكلتموها وانتم ثلاثة ولا يعلم اكثركم اكلا فتحملون على السواء ، فأكلت انت ثمانية أثلاث والذى لك تسعة أثلاث ، واكل صاحبك ثمانية اثلاث ، والذى له خمسة وعشرون ثلثا فبقى له سبعة ، ولك واحد ، فله سبعة بسبعته ولك واحد بواحدك ، فقال رضيت الآن .

واتى برجل فقيل له زعم هذا انه احتلم بأمى ، فقال : اذهب فأقمه فى الشمس فاضرب ظله .

ومن حكمه : الناس بزمانهم أشبه منهم بآبائهم ، ومن أحاديثه : الناس نيام اذا ماتوا استيقظوا . ما هلك امرؤ عرف قدره . قيمة كل امرىء ما يحسنه . من عرف نفسه فقد عرف ربه . المرء مخبوء تحت لسانه ، لا تحت طيلسانه . من عذب لسانه كثر اخوانه . بالبر يستعبد الحر . بشر مال البخيل بحادث أو وارث . لا تنظر الذى قال ، وانظر الى ما قال . الجزع عند البلاء تمام المحنة . لا ظفر مع البغى ولا ثناء مع الكبر . لا صحبة مع

النهم والمتخم . لا شرف مع سوء الادب . لا راحة مع الحسد . ولا سؤدد مع الانتقام . لا صواب مع ترك المشورة . لا مروءة للكذوب . لا كرم أعز من التقى . لا شفيع انجح من التوبة . لا لباس أجمل من العافية . لا داء أعيى من الجهل . المرء عدو ما جهل . رحم الله امرأ عرف قدره ، ولم يتعد طوره . اعادة الاعتذار تذكر بالذنب . النصح بين الملا تقريع . نعمة الجاهل كروضة على مزبلة . الجزع أتعب من الصبر . المسؤول حر من الوعد حتى يعد أكبر الاعداء أخفاهم مكيدة . الحكمة ضالة المؤمن . البخل جامع لمساوىء العيوب . اذا حلت المقادير ضلت التدابير . عبد الشهوة أذل من عبد الرزق . الحاسد مغتاظ على من لا ذنب له . كفى بالذنب شفيعا للمذنب . السعيد من اتعظ بغيره . الاحسان يقطع اللسان . أفقر الفقر الحمق . أغنى الغنى العقل . الطامع فى وثاق الذل . ليس العجب ممن هلك كيف هلك ؛ بل العجب ممن نجا كيف نجا . احذروا نفار النعم فما شارد بمردود . أكثر مصارع العقول تحت بروق الطمع . اذا وصلت اليكم النعم فلا تنفروا أقصاها بقلة الشكر . اذا قدرت على عدوك فاجعل العفو عنه شكرا للقدرة عليه . ما أضمر أحد شيئا الا ظهر فى فلتات لسانه ، وعلى صفحات وجهه . البخيل يستعجل الفقر ، ويعيش فى الدنيا عيش الفقراء ويحاسب حساب الاغنياء . لسان العاقل وراء قلبه . وقلب الاحمق وراء لسانه . العلم يرفع الوضيع . والجهل يضع الرفيع . العلم خير من المال . العلم يحرسك وانت تحرس المال . العلم حاكم والمال محكوم عليه . قصم ظهرى عالم متهتك وجاهل متنسك . هذا يفتى وينفر الناس بتهتكه ، وذاك يضل الناس بتنسكه . أقل الناس قيمة أقلهم علما . اذ قيمة كل امرىء ما يحسنه . وكلامه رضى الله عنه فى هذا الاسلوب البديع كثير تركته خوف الاطالة .

وهذه جملة من آدابه رضى الله عنه . وهى قوله : كونوا فى الناس كالنحلة فى الطير ، ليس فى الطير شىء الا وهو يستضعفها ، ولو يعلم الطير ما فى اجوافها من الخير والبركة لم يفعلوا ذلك بها . خالطوا الناس بألسنتكم واجسادكم وزايلوهم بأعمالكم وقلوبكم ، فان للمرء ما اكتسب ، وهو يوم القيامة مع من احب . ومنها كونوا بقبول العمل ، أشد اهتماما منكم بالعمل ، فانه لن يقل عمل مع التقوى ، وكيف يقل عمل متقبل . ومنها يا حملة القرآن اعملوا به ، فان العالم من عمل بما علم ، ووافق علمه عمله . يقول الله تعالى : مثل الذين حملوا التوراة ثم لم يحملوها كمثل

الحمار يحمل أسفارا » أى لم يصل الى قلوبهم وسيكون أقوام يحملون العلم لا يتجاوز تراقيهم تخالف سريرتهم علانيتهم · ويخالف عملهم علمهم يجلسون حلقا فيباهى بعضهم بعضا حتى ان الرجل ليغضب على جليسه أن يجلس الى غيره ويدعه ، أولائك لا تصعد أعمالهم فى مجالسهم تلك الى الله · ومنها : لا يخاف احد منكم الا ذنبه ولا يرجو الا ربه ، ولا يستحيى من لا يعلم ان يتعلم ، ولا يستحيى من يعلم اذا سئل عما لا يعلم أن يقول : الله اعلم · الصبر من الايمان بمنزلة الراس من الجسد ، ومنها : الفقيه كل الفقيه من لا يقنط الناس من رحمة الله ولم يرخص لهم فى معاصى الله ، ولا يؤمنهم من عذاب الله ، ولم يدع القرآن رغبة عنه الى ما سواه · ومنها : لا خير فى عبادة لا علم فيها · ولا خير فى علم لا فهم معه ، ولا قراءة لا تدبر فيها · ومنها : من أراد أن ينصف الناس من نفسه ، فليحب لهم ما يحب لنفسه ، ومنها : سبع من الشيطان : شدة الغضب ، وشدة العطاس وشدة التثاؤب ، والقىء ، والرعاف ، والنجوى ، والنوم عند الذكر · ومنها : الحزم سوء الظن أو ان من الحزم سوء الظن · ومنها : التوفيق خير فائدة ، وحسن الخلق خير قرين ، والعقل خير صاحب ، والادب خير ميراث ولا وحشة أشد من العجب · وقال : لما سئل عن القدر ؟ القدر طريق مظلم لا تسلكه ، وبحر عميق لا تلجه ، سر الله قد خفى عليك فلا تفتشه أيها السائل ، ان الله خلقك كما شاء او كما شئت قال : فيستعملك كما شاء · ومنها ان للنكبات نهايات ، لا بد لاحد اذا نكب أن ينتهى اليها · فينبغى للعاقل اذا أصابته نكبة ان ينام لها حتى تنقضى مدتها ، فان فى رفعها قبل انقضاء مدتها زيادة فى مكروهها ·

وسئل عن السخاء فقال : ما كان منه ابتداء ، فاما ما كان عن مسئلة فحياء وتكرم · واثنى عليه عدو له فأطراه ، فقال : انى لست كما تقول ، وانا فوق ما فى نفسك . وقال جزاء المعصية الوهن فى العبادة والضق فى المعيشة ، والنقص فى اللذة · وقال : لا ينال أحد شهوة حلال الا جاء ما ينغصه اياها . وقال : له عدوه ثبتك الله ، قال على صدرك · ولما ضربه ابن ملجم قا للحسن : وقد دخل عليه باكيا ، يا بنى احفظ عنى اربعا واربعا ، قال : وما هى يا أبت ؟ ان اغنى الغنى العقل ، وأفقر الفقر الحمق ، واوحش الوحش العجب ، واكرم الكرم حسن الخلق · قال : فالاربع الاخر ؟ قال : اياك ومصاحبة الاحمق فانه يريد أن ينفعك فيضرك · واياك ومصادقة الكذاب فانه يقرب عليك البعيد ، ويبعد عنك القريب · واياك

ومصادقة البخيل فانه يخذلك فى أحوج ما تكون اليه · واياك ومصادقة الفاجر فانه يبيعك بالتافه . وسأله يهودى ؟ متى كان ربنا ؟ فتغير وجهه وقال : لم يكن مكان ولا كينونة ، كان بلا كيف كان ليس له قبل ولا غاية ، انقطعت الغايات دونه ، فهو غاية كل غاية ، فأسلم اليهودى ·

وضل عنه درعه بصفين ، فوجدها عند يهودى ، فحاكمه فيها الى قاضيه شريح وجلس بجنبه ، وقال : لولا ان خصمى يهودى لاستويت معه فى المجلس ولكنى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : لا تسووا بينهم فى المجالس وفى رواية اصغر وهم من حيث اصغرهم الله · ثم ادعى بها فأنكر اليهودى فطلب شريح بينة من على ، فأتى بقنبر والحسن : فقال له شريح شهادة الابن لابيه لا تجوز ، فقال اليهودى : امير المومنين قدمنى الى قاضيه ، وقاضيه قضى عليه فأسلم اليهودى · فقال : اشهد ان لا الاه الا الله ، واشهد أن محمدا رسول الله وان الدرع درعك ·

واخرج الواقدى عن ابن عباس قال : كان مع على اربعة دراهم لا يملك غيرها فتصدق بدرهم ليلا ، وتصدق بدرهم نهارا ، وتصدق بدرهم سرا ، وتصدق بدرهم علانية ، فنزل فيه قوله تعالى : الذين ينفقون اموالهم بالليل والنهار سرا وعلانية فلهم اجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون »·

وقال معاوية : لضرار بن حمزة صف لى عليا ؟ فقال : اعفنى ، فقال معاوية : اقسمت عليك بالله ، فقال فى وصفه : كان والله بعيد المدى ، شديد القوى يقول فصلا ، ويحكم عدلا ، يتفجر العلم من جوانبه ، وتنطلق الحكمة من لسانه ، يستوحش من الدنيا وزهرتها ، ويانس بالليل ووحشته ، وكان غزير الدمعة ، طويل الفكرة ، يعجبه من اللباس ما قصر ، ومن الطعام ما خشن ، وكان فينا كاحدنا ، يجيبنا اذا سألناه ، وياتينا اذا دعوناه ، ونحن والله مع تقريبه ايانا ، وقربه منا لا نكاد نكلمه هيبة له · يعظم اهل الدين ، ويقرب المساكين ، لا يطمع القوى فى باطله ، ولا ييأس الضعيف من عدله · واشهد لقد رايته فى بعض مواقفه ، وقد ارخى الليل سدوله وغارت نجومه قابضا على لحيته يتململ تململ السليم اى اللذيع ، ويبكى بكاء الحزين ، ويقول : يادنيا غرى غيرى ، الى او الى تشوفت ؟ هيهات هيهات قد باينتك ثلاثا ، لا رجعة فيها فعمرك قصير ، وخطرك كبير ، آه آه من قلة الزاد وبعد السفر ووحشة الطريق* ، فبكى معاوية وقال رحم الله ابا الحسن كان والله كذلك · فارقه أخوه عقيل وذهب الى معاوية ، وكان سبب مفارقته له انه كان يعطيه كل يوم من الشعير ما يكفى عياله ، فاشتهى عليه أولاده مريسا

فصار يوفر كل يوم شيئا قليلا حتى اجتمع عنده ما اشترى به سمنا وتمرا وصنع لهم فدعوا عليا اليه ، فلما جاء وقدم له ذلك ، سأل عنه ، فقصوا عليه ذلك فقال : او كان يكفيكم ذاك بعد الذى عزلتم منه ؟ قالوا نعم ، فنقتص مما كان يعطيه مقدار ما كان يعزل كل يوم . وقال : لا يحل لى أزيد من ذلك ، فغضب عقيل فحمى له وقربها من خده وهو غافل فتأوه اى عقيل ، فقال له اتجزع من هذه وتعرضنى لنار جهنم ؟ . فقال لاذهبن الى من يعطينى تبرا ويطعمنى تمرا . فلحق بمعاوية ، وقال يوما لولا علمه بانى خير له من اخيه ما اقام عندنا وتركه ، فقال له عقيل : اخى خير لى فى دينى ، وأنت خير لى فى دنياى واسأل الله خاتمة خير . وقيل غير ذلك ، واخرج ابن عساكر ان عقيلا سأل عليا فقال انى محتاج ، وانى فقير فاعطنى ؟ فقال اصبر حتى يخرج عطاؤك مع المسلمين فأعطيك معهم ، فألح عليه ، فقال لرجل خذ بيده وانطلق به الى السوق وقل له كسر اقفال الحوانيت وخذ مما بداخلها ، فقال تريد أن تتخذنى سارقا فقال على فكذلك تريد ان تتخذنى سارقا بأن آخذ أموال المسلمين فاعطيكها دونهم . قال له لآتين معاوية ، قال له انت وذاك ، فأتى معاوية ، فسأله فأعطاه مائة الف ، ثم قال اصعد على المنبر فاذكر ما اولاك به على وما اوليتك ، فصعد المنبر فحمد الله واثنى عليه ، ثم قال : ايها الناس انى اخبركم انى اردت عليا على دينه فأختار دينه، وانى أردت معاوية على دينه فاختارنى على دينه .

وقال معاوية لخالد بن معمر ، لم احببت عليا ؟ قال : على ثلاث خصال ، على حلمه اذا غضب ، وعلى صدقه اذا قال ، وعلى عدله اذا حكم.

ولما وصل اليه فخر من معاوية قال لغلامه اكتب اليه . ثم املى عليه هذه الابيات :

محمد النبى اخى وصهرى	وحمزة سيد الشهداء عمى
وجعفر الذى يمسى ويضحى	يطير مع الملائكة ابن امى
وبنت محمد سكنى وعرسى	منوط لحمها بدمى ولحمى
وسبطا احمد ابناى منها	فأيكم له سهم كسهمى
سبقتكم الى الاسلام طرا	غلاما ما بلغت أوان حلمى

قال البيهقى ان هذا الشعر مما يجب على كل احد حفظه ، ليعلم منه مفاخر على فى الاسلام . وقد تتبع الباحثون فضل على فخصصوه بأسفار فى البحث على الانفراد . وقد رايت مناما ان ازيد هذا البيت هنا وهو من قول معاوية رضى الله عنه :

نجوت وقد بل المرادى سيفه ... من ابن أبى شيخ الاباطيح طالب

وللامام الشافعى فيه رضى الله عنه :

اذا نحن فضلنا عليا فاننا ... روافض بالتفضيل عند ذوى الجهل
وفضل أبى بكر اذا ما ذكرته ... رميت بنصب عند ذكرى للفضل
فلا زلت ذا رفض ونصب كلاهما ... بحبهما حتى اوسد فى الرمل

وله أيضا :

قالوا ترفضت قلت كلا ... ما الرفض دينى ولا اعتقادى
لكن توليت غير شك ... خير امام وخير هادى
ان كان حب الولى رفضا ... فاننى أرفض كل العباد

وله أيضا :

يا راكبا قف بالمحصب منى ... واهتف بساكن خيفها والناهض
سحرا اذا فاض الحجيج الى منى ... فيضا كملتطم الفرات الفائض
ان كان رفضا حب آل محمد ... فليشهد الثقلان اننى رافضى

قال البيهقى : وانما قال الشافعى ذلك حين نسبه الخوارج الى الرفض حسدا وبغيا · وذكر المفسرون ان الذى يدخل الجنة من الحيوانات كلب اهل الكهف ، واسمه ريان ، أو قطمير ، وسبب ذلك مصاحبته لاولياء الله وقد طردوه أولا ، وثانيا ، لما كانوا فى طريقهم الى الكهف فتكلم معهم وقال لهم انى احب أحباب الله فناموا وأنا أحرسكم · ومن هذا تعلم أن حب الصالحين والتعلق بهم يورث الخير العظيم والفوز بجنات النعيم وعلى أساس ان المجازى على الحب الصادق هو الله تعالى وحده لا غيره ·

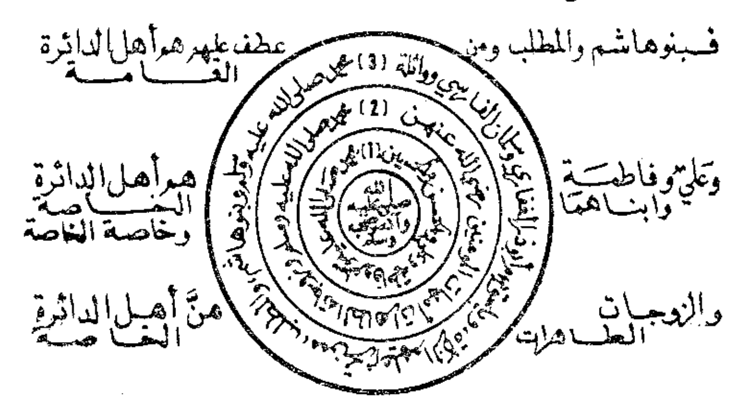
وقيل للمازنى انك رجل توالى اهل البيت فلو قلت فى هذا أبياتا فقال :

وما زال كتما منك حتى كأننى ... برد جواب السائلين لاعجم
واكتم ودى مع صفاء مودتى ... لتسلم من قول الوشاة واسلم

أهل بيته صلى عليه وسلم ثلاث دوائر

ينقسم آل بيته صلى الله عليه وسلم الى ثلاث حلقات بحسب ما تختص به كل حلقة من الحلقات الثلاث ، وهم بنو هاشم والمطلب ومن الحق بهم نصا ، ثانيا ذرية الحسنين من على ، وفاطمة الزهراء رضى الله

عنهما وهم أهل المباهلة والرداء ؛ والحلقة الثالثة الزوجات الطاهرات أمهات المومنين رضى الله عنهن ·



فبنو هاشم والمطلب الذين تحرم عليهم الزكاة هم آله صلى الله عليه وسلم والدائرة العامة ومن ألحق بهم فهو فى درجتهم كأبى ذر الغفارى ، وسلمان الفارسى وواثلة بن الاسقع ممن الحق بهم نصا فهو منهم · وقد نظم بعضهم أبناء عبد مناف فقال :

فهاشم مطلب ونوفل — وعبد شمس رابع قد نقلوا
جميعهم أبناء عبد مناف — سليل فهر عندهم بلا خلاف

وفى بنى المطلب خلاف هل هم من الآل ؟ وهو قول الامام الشافعى وقول مروى فى مذهب الامام مالك ، او ليسوا بآل وهو المشهور من مذهب مالك رحمه الله وأما بنو هاشم وهم ذرية حمزة بن عبد المطلب بن هاشم ، وذرية على بن ابى طالب بن عبد المطلب بن هاشم ، وذرية جعفر بن أبى طالب بن عبد المطلب بن هاشم · وذرية عقيل بفتح العين بن أبى طالب ابن عبد المطلب بن هاشم . وذرية العباس بن عبد المطلب بن هاشم ، فذريات جميعهم هم آل النبى صلى الله عليه وسلم وقرابته بالاجماع · وقد جمعهم بعضهم فى بيت واحد ، وهم :

على وعباس عقيل وجعفر — وحمزة هم آل النبى بلا نكرى

انظر تمام الكلام على اهل البيت فى ترجمة المراد بآل البيت فى الاحاديث الواردة فيهم والترجمة التى بعدها وهى ادب المواساة والوصلة مع الشريف ، وما الحق بذلك ·

ويلحق بخاصة الخاصة ذرية فاطمة الى يوم القيامة من الحسنين

ويظهر ذلك من مزيد اعتنائه صلى الله عليه وسلم بهم لانهم اهل الرداء ثم ننتقل الى الكلام على حقوقنا المادية والادبية وموقف الولاة منها ، عبر عصور تاريـــخ الاســـلام ٠

الحقـــوق الماديـــة لاهـــل البيـــت

قد قسم الله لنا منها فى كتابه ما كان فيه كفاية لسد حاجة المعوزين منا عن التعرض بأكفهم لعوام المسلمين ، حتى لا ينشف مـــاء وجوههم وتداس كرامة النبى صلى الله عليه وسلم بسببهم ، وتسلق السنـــة النذلاء منهم اعراض الواقعين فيما فى أيديهم والمتعففين عن ذلك على السواء كقول احدهم عند التعرض لاخذ ما فى يده : ـــ الشرفاء الكلاب ـــ فهـــذه الكلمة شاملة للواقع فيما فى ايديهم والمتعفف على السواء بل هى ماسة لجنابه صلى الله عليه وسلم لانهم آله وقرابته بالاجماع ٠ قال الله تعالى : فى سورة الانفال : واعلموا انما غنمتم من شىء فان لله خمسه وللرسول ولذى القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل ان كنتم آمنتم بالله ومـــا انزلنا على عبدنا يوم الفرقان يوم التقى الجمعان والله على كل شىء قدير »

عن ابن عباس رضى الله عنهما : انه كان على ستة : لله ،وللرسول ، سهمان ، وسهم لاقاربه ٠ وقال الجلال : ان لله خمسه يامر فيه بما شاء ، وللرسول ولذى القربى اى قرابة النبى صلى الله عليه وسلم من بنى هاشم وبنى المطلب ، واليتامى اطفال المسلمين الذين هلك آباؤهم وهـــم فقراء ، والمساكين اى ذوى الحاجة من المسلمين ، وابن السبيل اى المنقطع فى سفره من المسلمين ٠ ومعنى الآية ، انه يستحقه النبى صلى الله عليه وسلم والاصناف الاربعة ، على ما كان يقسمه من ان لكل خمس الخمس ، والاخماس الاربعة الباقية للغانمين ٠ ان كنتم آمنتم بالله ، قال النسفى : فاعملوا به وارضوا بهذه القسمة ، فالايمان يوجب الرضى بالحكم والعمل بالعلم ، وما انزلنا على عبدنا ، اى وبالمنزل على عبدنا محمد صلى الله عليه وسلم من الملائكة والآيات ، يوم الفرقان ، اى هو يوم بدر الكبـــرى الفارق بين الحق والباطل ، بمعنى ان الايمان انتصر بهذا اليوم انتصارا لا انهزام بعده ، وهو يومئذ فتح عظيم للاسلام ، يوم التقى الجمعان ، الفريقان من المسلمين والكافرين ، والله على كل قدير ، اى يقدر على ان ينصر القليل على الكثير كما فعل بكم يوم بدر ٠

ماهى الغنيمة ؟

الغنيمة كل ما اصاب المسلمون من عساكر العدو وما اجلبوا به من المتاع ، والسلاح والكراع ، وجعل منها أبو يوسف صاحب أبى حنيفة ما أصيب من المعادن من قليل او كثير ، والركاز ، وهو الذهب والفضة الذى خلقه الله فى الارض يوم خلقت ، والكنوز العادية التى تصاب فى غير ملك احد ، وما اخرج من البحر من الحلى والعنبر ، كل ذلك حكمه واحد ، وهو ان للامام خمسه . اما اربعة اخماسه الباقية فتكون حقا للغانمين فيما اصيب ، وتكون حقا للواجد فيما عداها ، ويقسم الامام اربعة اخماس على القائمين سواء فى ذلك اهل الديوان اى الجنود المسجلون والمتطوعون يضرب للفارس منهم ثلاثة اسهم ، سهم له ، وسهمان لفرسه ، وللراجل سهم وخالف فى ذلك شيخه أبا حنيفة رحمه الله حيث قرر للفارس سهمين ، وللراجل سهما ، وقال لهارون الرشيد خذ بأى القولين رايت ، واعمل بما ترى انه افضل واخير للمسلمين ، فان ذلك موسع عليك ان شاء الله ، ولست أرى أن تقسم للرجل أكثر من فرسين . فان قلت ان هذه المصادر ذهبت مع الزمن بذهاب اهلها حيث كانت الحرب تعتمد على السيف والراكب والراجل ، وهذا عصر المذرعات والدبابات والآليات والاكطرونيات والطائرات والغواصات والصوارخ والرؤوس النووية والذرة ، والاساطيل البحرية ، وما الى ذلك مما لا يدخل تحت حساب من لا يمارس ذلك . قلت ان الشريعة الاسلامية كانت تقرر الاصول وتبنى احكامها ، وقد ظهرت اليوم كنوز الارض ظاهرا وباطنا ما فيه غنى الجميع لولا الاستبداد السياسى والاقطاع الراسمالى ، وهذان العنصران قد اكلا ما على ظاهر الارض وما فى باطنها ولا زالا جائعين فى انتظار المزيد .

مصرف الخمس

قد بين الله مصرف الخمس فى الآية المتقدمة من سورة الانفال ، قال ابو يوسف كان ذلك الخمس يقسم فى عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم لله وللرسول سهم ، ولذى القربى سهم ، ولليتامى والمساكين وابن السبيل ثلاثة أسهم . ثم قسمه الخلفاء أبو بكر وعمر وعثمان ، رضى الله عنهم ثلاثة اسهم وسقط سهم الرسول وسهم ذوى القربى ، وادخل عمر بن الخطاب فى عطائه الحسن مع اهل بدر ، لمكانته من رسول الله

صلى الله عليه وسلم وادخل يتامى ومساكين وذوى القربى فى غيرهم ، ولم يقل أحد انهم حرموهم ، ولكن الاغنياء من ذوى القربى لم يكونوا فى حاجة الى سهمهم ، ولذلك راى الامام على رضى الله عنه راى من تقدمه وفضله ، وهو من ذوى القربى ، لو لم يعتبره صوابا لم يكن ليتنازل عن حق قرره له القرآن الكريم ، وهو امام المسلمين ، والى جانب ذلك فلا تغب عنك قصة تصرفه فى المال مع اخيه عقيل الذى تركه وذهب الى معاوية.

أول مـــن فرض العطاء فى الاسلام

فكان اول من نظم العطاء وفرضه فى الاسلام ، الخليفة عمر بن الخطاب رضى الله عنه وكان قبله على حسب ما نسمح به الاحوال ، وقد كان التنظيم المذكور نتيجة لاتساع الفتوحات وازدهار الاقتصاد بكثـــرة العمران والجبايات من مختلف الآفاق ، وخصوصا بعد ما دخل فى الاسلام اقليما الشام والعراق ، وكانا من اخصب بلاد الله فى الدنيا ، فعند ذلك راى امير المومنين انه لا مندوحة من التنظيم ففرض العطاء ورتبه لمستحقيه فاتخذ لذلك الدواوين لحصر اسماء الغزاة اى الجنود المنظمين الحربيين وسائر اهـــل العطـــاء .

فبدأ بزوجات رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ففرض عشرة آلاف درهم لكل واحدة منهن سنويا ، ولاهل بدر خمسة آلاف لكل واحـــد منهم سنويا كذلك ، وادخل سهم ذوى القربى فى اهل بدر اقتداء بما فعله صاحبه الخليفة الاول رضى الله عنهما الذى رد قسمة خمس الخمس الى ثلاثة ، فكان يعطى الحسن والحسين ابنى على وهو اى على من اهل بدر — ولفاطمة الزهراء خمسمائة درهم ولابنيها الحسن والحسين خمسة آلاف درهم لكل واحد منهما كذلك ولابيهما باعتباره من اهل بدر خمســـة آلاف درهم سنويا كذلك . والحق بذوى القربى ابا ذر الغفارى ، وسلمان الفارسى ، واعطى لمن بعد بدر الى الحديبية اربعة آلاف لكل واحد منهم ، ولنسائهم أربعمائة درهم كذلك ، ولمن بعد الحديبية الى ان انتهى أبو بكر من حروب الردة ، ثلاثة آلاف درهم لكل واحد منهم ، ولنسائهم ثلاثمائة درهم لكل واحدة منهن كذلك ، ولمن شهد القادسية واليرموك الفين لكـــل واحد منهم ، ولنسائهم مائتين لكل واحدة منهن كذلك ، ولاهل البلاء النازع منهم الفين وخمسمائة لكل واحد منهم ، ولنسائهم مائتين لكل واحدة ، وللروادف المثنى خمسمائة لكل واحد، ولم يذكر لنسائهم شيئا ، ثم الروادف

الثليث بعدهم ثلاثمائة لكل واحد ولم يذكر نساءهم ، ثم الروادف الربيع ، مائتين وخمسين لكل واحد منهم ولم يذكر نساءهم ، كما فرض لاهل الهجر والعباد مائتين لكل واحد وسكت عن نسائهم ، وفرض للصبيان مائة درهم لكل واحد سنويا كذلك وفرض للمساكين جريبتين فى الشهر . وهكذا رتب عمر رضى الله عنه طبقات المستحقين فأعطى لكل ذى حق حقه ، دون ان يبخس طبقة فى حقها ، وسوى بين افراد كل طبقة فى العطاء قويهم وضعيفهم دون ميز بين العرب والعجم ، على مبدأ : المسلمون كأسنان المشط تتكافأ دماؤهم ويسعى بهم ادناهم على اعلاهم ، وهم يد على من سواهم اى قوة الحديث ثم قال عمر رضى الله عنه : انى كنت امرا تاجرا يغنى الله عيالى بتجارتى وقد شغلتمونى بأمركم هذا فما تامرون انه يحل لـى من هذا المال ؟ فقال على رضى الله عنه لك ما أصلحك وعيالك بالمعروف ، ليس لك غيره ، ووافق أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم على ذلك ، فاخذ بعد ذلك من بيت مال المسلمين ما يسد خلته بلا كفاية ، فاشتد الحال عليه بعد ذلك ، فاجتمع نفر من كبار الصحابة ، منهم عثمان بن عفان وعلى بن ابى طالب ، وطلحة والزبير ، وقالوا لو قلنا لعمر فى زيادة نزيدها اياه فى رزقه ، فقال عثمان هلم فلنعلم ما عنده من وراء راء ، فأتوا ام المومنين حفصة ابنته ، فكلمته فى ذلك فغضب ، وقال من هؤلاء ؟ لاسوءنهم ، قالت لا سبيل الى علمهم ، قال : أنت بينى وبينهم ، ما افضل ما اقتنى رسول الله صلى الله عليه وسلم فى بيتك من الملبس ؟ قالت ثوبين ممشقين كان يلبسهما للوفد والجمع ، قال : فأى الطعام ناله عندك ارفع ؟ قالت حرفا من خبز شعير فصببنا عليه ، وهو حار أسفل عكة لنا فجعلتها دسمة حلوة فأكل منها ، قال : فأى مبسط يبسط عندك كان أوطأ ؟ قالت كساء ثخين كنا نرفعه فى الصيف ، فاذا كان الشتاء بسطنا نصفه وتدثرنا بنصفه . قال : يا حفصة ، ابلغهم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قدر فوضع الفضول مواضعها ، وتبلغ بالترجية ، وانما مثلى ومثل صاحبى، كثلاثة سلكوا طريقا فمضى الاول لسبيله وقد تزود فبلغ المنزل ، ثم اتبعه الآخر فسلك سبيله فأفضى اليه . ثم اتبعه الثالث يعنى نفسه ، فان لزم طريقهما ورضى بزادهما لحق بهما ، وان سلك طريقا غير طريقهما لـم يلحقهما . انظر أخى العزيز وتأمل كيف ان عمر بن الخطاب رضى الله عنه مع اقبال الدنيا على المسلمين وتغير الاحوال الاقتصادية عما كانت عليه فى عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، لم يجد لنفسه مبررا ان يزيد عما كان عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، بل اتبع هديه وسار

بسيرته حتى يلقاه آمنا على نفسه ودينه ٠

رأى عمـــر فى بيت مـــال المسلمين

كان رضى الله عنه يقول : انا كوصى مال اليتيم ، ان استغنيت استعففت وان افتقرت اكلت بالمعروف ٠ يريد قول الله تعالى : فمن كان غنيا فليستعفف ومن كان فقيرا فلياكل بالمعروف » اى الامر المتوسط ولم يطلع احدا على ما كان ياخذ لنفسه من بيت المال ، الى ان خرج مـــرة حاجا فلما رجع قال لابنه : انظر كم صرفنا ؟ فنظر ابنه فاذا هو ستة عشر دينارا فأخبره ابنه بقدر المبلغ كأنه رآه غير كاف ، فأجابه عمر قائلا : لقد اسرفنا يابنى !! فان اردنا أن نقول شيئا عن هؤلاء ، فانما نقول ان امثال هؤلاء هم الذين حققوا للانسانية صورتها الكاملة بسيرتهم على نهج نبيهم، وما بدلوا تبديلا ٠

واما الانسانية الباقية من بعدهم الى يومنا هذا فقد تجردت مـــن الصفات التى رفعت من شأنها فى ابسط وجوهها ، فاستحالت صفاتهم الى اخس صفات حيوان مفترس لا يهمه الا بطنه وشهوته ، ولم تبق له الا صورة الانسان القديم فهو بهذا قد حكم على نفسه بالتجرد من كـــل قيمة اخلاقية او فضيلة ترفعه الى مكانته المرموقة ٠ فجاءت الدنيا تتمثل بين ايديهم كجيفة قذرة ، وهم يتنازعون عليها تنازع الكلاب ٠ فألسنة حالهم ناطقة ومعبرة عنهم بالصواب تقول : « نحن كلاب » اى على الحقيقة فى صـــورة انسان ٠

فنظر الامام الشافعى بهذا المعنى الى صورة هذا الانسان فاعرب عنـــه قائـــلا :

ومن يذق الدنيا فانـــى طعمتهـــا ... وسيـــق الينـــا عذبهـــا وشرابها
فمـــا هـــى الا جيفة مستحيلـــة ... عليهـــا كـــلاب همهن اجتذابهـــا
فان تجنبتها كنت سلما لاهلهـــا ... وان تجتـــذبهـــا نازعتك كلابهـــا

وروى عن ابن عباس رضى الله عنهما قال : عرض علينا عمر بن الخطاب ان نزوج من الخمس ايمنا ، ونقضى عن غارمنا فأبينا الا ان يسلمه لنا فأبى علينا ٠

وذكر ابو يوسف : ان الصحابة اتفقوا ان يجعلوا هذين السهمين : سهم الرسول وسهم ذوى القربى فى الكراع والسلاح ٠ وروى عن عمر بن

عبد العزيز الاموى انه بعث بسهم الرسول ، وسهم ذوى القربى الى بنى هاشم . قال : وكان أبو حنيفة وأكثر فقهائنا يرون أن يقسمه الخليفة على ما قسمه الخليفة الاول ابو بكر ثم عمر ثم عثمان ثم على ، رضى الله عنهم.

واقول راى الامام محمد بن ادريس بن عبيد الله المطلبى الشافعى رحمه الله ان سهم الرسول يصرف فى مصالح المسلمين ، وسهم ذوى القربى يصرف لمن ينتسب الى هاشم والمطلب ابنى عبد مناف ، دون بنى اخويهم عبد شمس ونوفل ، ويسوى فى العطاء بين الاغنياء والفقراء ، لان سبب الاستحقاق القرابة ، ويشترك فيه الرجال والنساء بالتسوية بين الذكور والاناث كما قال المازنى وأبو ثور من اصحاب الشافعى وللذكر مثل حظ الانثيين كما قال غيرهما ، وبقول الشافعى قال الامام أحمد رحمه الله الا انه قال : ان ردوه صرف فى السلاح والكراع لفعل ابى بكر وعمر وعثمان .

ومذهب الامام مالك فى ذلك ما نص عليه الشيخ خليل بقوله :

وخمس غيرها ان وجف عليه . قال علماء المذهب فى شرحه : قد علمت حكم الارض العنوة ، ومذهب مالك وأبى حنيفة ان مكة فتحت عنوة .

ومذهب الشافعى انها فتحت صلحا : وأما غير الارض العنوة من المال والكراع ، اى الخيل ، والبغال ، والابل ، فانه يخمس اى يقسمه الامام خمسة اخماس ، الخمس لله ولرسوله ، لقوله تعالى : «أن لله خمسه وللرسول » والاربعة أخماس يقسمها الامام بين المجاهدين كما ياتى عند قوله : وقسم الاربعة لحر مسلم ، وقال الشيخ خليل ايضا : فخراجها والخمس والجزية لآله عليه الصلاة والسلام ثم للمصالح ، قال علماء المذهب : والخمس الذى لله ولرسوله أى الخمس الخارج بالقرعة من غنيمة ، أو ركاز كما مر عند قوله ، وفى ندرته الخمس كالركاز والفيء والجزية العنوية ، والصلحية ، وعشور اهل الذمة ، وخراج أرض الصلح محله بيت مال المسلمين يصرفه الامام فى مصارفه باجتهاده ، فيبدأ من ذلك بآل النبى صلى الله عليه وسلم على جهة الاستحباب ، ان كان فى المال سعة ، والا بدىء بالاحوج فالاحوج ، ثم الباقى للمصالح التى يعود نفعها على المسلمين ، كالجهاد ، وعمارة الثغور ، وبناء المساجد ، والجسور وبناء المدارس ، وارزاق القضاة ، وقضاء الديون ، وعقل الجراح وتزويج الاعزب ، ونحو ذلك .

ظلمونـا حقوقنـا الماديـة والادبيـة

فنحن معشر ذوى القربى الواجب علينا أن نحمد الله ونشكره على عنايته بنا اذ قرر لنا بفضل قرابتنا للنبى صلى الله عليه وسلم حقا فى بيت مال المسلمين متلوا فى القرآن عبر الاجيال لا ينكره علينا الا كافر بالله ورسوله ، لانه مقرر من طرف الشريعة الاسلامية لا ينزعه الا ظالم غاصب او كافر جاحد ، فقد جعل الله فيه لنا كفاية لسد حاجيـات المعوزيـن المتعففين منا والواقعين فى المسألة على السواء ، ونحن اذ حرمنا هذا الحق من قبل المسؤولين عنه منذ زمن بعيد لم نتخل عن طلبه ما دام فى الدنيـا مسلمان ثالثهما أمير الى قيام الساعة ، ثم من وراء ذلك يكون حسابنا معهم بين يدى رب العالمين ، لان الآية محكمة ليس فيها نسخ ولا تاويل يلوذ به كل من ظلمنا حقنا من بيت مال المسلمين ولهذا فاننا نفوض أمرنا الى الله ونرد شكوانا اليه لانه هو الذى يتولى الدفاع عن حقوقنا المشروعة بأمره ، والمجازاة عليها : يوم لا ينفع مال ولا بنون الا مـن اتـى الله بقلب سليـم » .

ونحن على يقين تام ان سيدنا المنصور بالله غير غافل عن أولاد مولاى عبد السلام ، وانه فى كل مناسبة يبعث اليهم من ماله الخاص صلة مالية لو بلغت الى معوزيهم ممن يستحقون كان ذلك ادعى لفرحهم ونشاطهم ، كما أرجو ان يكون ذلك عاما ، وعن طريق تشريع مضمون .

الحقـوق الادبيـة

قد ثبت لنا ولله الحمد من الحقوق الادبية نظير ما ثبت من الحقوق المادية ، وضمن منها التشريع الاسلامى ما تنطوى عليه نصوص الكتاب والسنة والاجماع ، فمن الكتاب قوله تعالى : قل لا اسألكم عليه أجـرا الا المودة فى القربى ومن يقترف حسنة نزد له فيها حسنا ان الله غفـور شكـور » .

قد نصت هذه الآية صراحة على التودد للقربى ، وعلى كل حال فمودة القربى ثابتة بالكتاب على كل احتمال فى الآية ، وسواء كان الاستثناء متصلا أو منقطعا فانه لا يخرج دلالة الآية عن مودة قرابته صلى الله عليه وسلم . فالاحتمال الاول عند المفسرين فى الآية اى الا ان تودوا قرابتى الذين

هم قرابتكم ولا توذوهم .

والاحتمال الثانى فى المعنى ، اى ان تودونى لقرابتى فيكم ، ولا توذونى ولا تهيجوا على ، اذ لم يكن هناك من بطون قريش الا وبينه وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم قرابة . وعلى ان الاستثناء منقطع فهو الاحتمال الثالث اى الا أن تحبوا الله ورسوله وقد فسر بوجه رابع أى لكن أن تودوا قرابتى . وقوله الا أن تحبوا الله ورسوله اى فى تقربكم اليه بالطاعة والعمل الصالح . ومن جملة طاعته على هذا الاحتمال التودد لقرابته المفهوم من دلائل أخرى صحيحة من السنة . وقال المفسرون المراد بالقربى فى الآية القرابة ، اى اهل قرابتى . ويؤكد ذلك ما روى عنه انه لما نزلت قيل يا رسول الله من قرابتك هؤلاء الذين وجبت علينا مودتهم ؟ قال على وفاطمة وابناهما . وقوله تعالى : ومن يقترف حسنة نزد له فيها حسنا » نزلت فى ابى بكر الصديق ومودته فيهم ، ومعنى يقترف حسنة يكسب طاعة ، وعن السدى انها المودة فى آل رسول الله صلى الله عليه وسلم فهى لا تختص بأبى بكر ، وقال المفسرون : وحمله على العموم أظهر ، لان تنوين التنكير فيها يوذن بعموم اللفظ ، والعبرة عندهم بعموم اللفظ لا بخصوص السبب وعليه فانها تتناول المودة تناولا أوليا لذكرها عقب المودة فى القربى . وقوله نزد له فيها حسنا اى نضاعفها اضعافا كثيرة ، والغفور الشكور من صفاته تعالى وهما عبارة عن الاعتداد بالطاعة وتوفية ثوابها ، والتفضل عن المثاب . والآية فى صراحتها تقرر ان بغض أهل البيت واذايتهم خسران وحبهم عبادة شرعية ، وواجبة على كل مسلم ومسلمة يومنان بالله واليوم الآخر ، وقال الله تعالى : فى تزكية بيته صلى الله عليه وسلم ، انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا » ابتدأ سياق الآية بنسائه صلى الله عليه وسلم من قوله تعالى : يا نساء النبىء من يات منكن بفاحشة مبينة يضاعف لها العذاب ضعفين وكان ذلك على الله يسيرا ومن يقنت منكن لله ورسوله وتعمل صالحا نوتها أجرها مرتين واعتدنا لها رزقا كريما » ثم عرفهن برفعة قدرهن فى بيت النبوة والرسالة فقال : يا نساء النبىء لستن كأحد من النساء ان اتقيتن فلا تخضعن بالقول فيطمع الذى فى قلبه مرض وقلن قولا معروفا وقرن فى بيوتكن ولا تبرجن تبرج الجاهلية الاولى وأقمن الصلاة وآتين الزكاة وأطعن الله ورسوله » لا يقال ان هذا مكرر مع ما قبله ، لانا نقول ذكر أولا لانفرادهن عن غيرهن ، وأعيد الكلام عليهن هنا مع غيرهن من اهل البيت

ونساء المومنين ، وعليه فلا تكرار . ولم يتغير أسلوب الكتاب عن جمع الاناث من قوله تعالى : يا أيها النبيء قل لازواجك ان كنتن تردن الحياة الدنيا وزينتها الى قوله : انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا » وكان فى هذه الآية اكبر دلالة على تزكية أهل البيت الطاهرين فمن صان منهم الآن جناب البيت النبوى عن الابتذال فهو ولا شك مشمول للآية ومن لم يصنه فهو غير مشمول لها ، وكان النص الاول خاصا بزوجاته صلى الله عليه وسلم وفى النص الثانى تعمم الحكم ودخل فيه جميع أهل البيت نساء ورجالا الذين هم قرابته المنصوص عليهم وحدهم فى الاحاديث الواردة فى الرداء التى سياتى الكلام عليها فى محلها ، وكل ما ورد فى الخطاب الموجه الى نساء النبى صلى الله عليه وسلم فهـو شامل لجميع نساء اهل البيت من ذرية الحسنين من فاطمة الزهراء رضى الله عنها الى آخر امرأة تومن بالله واليوم الآخر من ذريتهما كما هو شامل لجميع نساء المومنين الى آخر من ماتت على قول لا الاه الا الله محمد رسول الله لما تقدم من أن العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب ، لان نساء المومنين قلن بعد ما سمعن الخطاب الاول الموجه الى الزوجات الطاهرات رضى الله عنهن ، ما نزل فينا شىء ، فأنزل الله : ان المسلمين والمسلمات والمومنين والمومنات والقانتين والقانتات والصادقين والصادقات والصابرين والصابرات والخاشعين والخاشعات والمتصدقين والمتصدقات والصائمين والصائمات والحافظين فروجهم والحافظات والذاكريـن الله كثيرا والذاكرات أعد الله لهم مغفرة واجرا عظيما » وبهذه الآية فلم يبق مومن ولا مومنة الا دخل فى الخطاب وكان مشمولا بهذه العشر من الصفات الحميدة التى وعدهم الله عليها المغفرة والاجر العظيم الذى هو الجنـة ونعيمها التى هى ضالة كل مومن بالله واليوم الآخر ، لا أحرمنا الله منها .

نصـوص السنـة الصحيحـة

عن ابن عباس رضى الله عنهما قال : لما نزل قوله تعالى : قل لا اسألكم عليه اجرا الا المودة فى القربى » قالوا يا رسول الله من قرابتك هؤلاء الذين وجبت علينا مودتهم ؟ قال على وفاطمة وولداهما . وعنه ايضا فى قوله تعالى : ومن يقترف حسنة نزد له فيها حسنا » قال : المودة لآل محمد صلى الله عليه وسلم .

وعن المطلب بن ربيعة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

والله لا يدخل قلب امرىء مسلم الايمان حتى يحبكم لله ولقرابتى ·

وعن زيد بن أرقم قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : انى تارك فيكم ما ان تمسكتم به لن تضلوا كتاب الله وعترتى ، ولن يفترقا حتى يردا على الحوض فانظروا كيف تخلفونى فيهما · ؟

وفى صحيح الترمذى خرج مسلم وغيره عن زيد بن أرقم انه صلى الله عليه وسلم قال ووعظ وذكر : ثم قال : أما بعد : ألا أيها الناس : انما انا بشر يوشك ان يأتينى رسول ربى وأنا تارك فيكم ثقلين : كتاب الله فيه الهدى والنور فخذوا بكتاب الله واستمسكوا به ، وأهل بيتى ·

وفى رواية صحيحة كأنى قد دعيت فأجبت ، انى تارك فيكم الثقلين أحدهما أكد من الآخر كتاب الله عز وجل ، وعترتى بالمثناة فانظروا كيف تخلفونى فيهما ؟ فانهما لن يفترقا حتى يردا على الحوض · وفى رواية سألت ربى ذلك لهما ، فلا تتقدموهما فتهلكوا ، ولا تقصروا عنهما فتهلكوا ، ولا تعلموهم فانهم أعلم منكم · ويعنى بقوله أعلم منكم اى أوفق منكم الى العمل بالعلم ، أو ان أصل العلم لهم ، فانهم أثبت منكم على ذلك ، وأما معرفة العلم وضبطه واتقانه فلم تنتف عن غيرهم ، بل هى موجودة فى غيرهم بلا نزاع ، بل قد يكون فى بعض الاحوال وجوده فى بعضهم كوجود الماء فى أخدود حجر ينتفع منه سائر الحيوان ولا ينتفع منه الحجر الحامل له ، وحيث انتفت عنه صفة الانتفاع بالعلم من حيث العمل بمقتضاه انقلب العلم فى حقه جهلا ، فيصدق عليه قوله تعالى : مثل الذين حملوا التوراة ثم لم يحملوها كمثل الحمار يحمل أسفارا » وقوله ثم لم يحملوها أى لم يعملوا بمقتضاها ، فهم فى تحملها على ذلك الوجه كمثل الحمار يحمل اسفارا ، فوجه الشبه بينهما هو حمل الثقل وعدم المنفعة فى كل ، مع العلم ان اسفار الكتب ينتفع منها الانسان ولا ينتفع منها الحمار الحامل لها ، وتلك صفة ذميمة لحامله بهذه الصفة ، فلا يكون أفضل ممن يعمل بالعلم من غير ان يحمله ، لان خطاب الله تعالى تعلق بفعل المكلف تعلق عين تنجيزيا ، وتعلق بالعلم تعلق كفاية ، فلا يلزم وجوده فى كل فرد على سبيل الفرض · ولهذا الحديث طرق كثيرة عن نيف وعشرين صحابيا . وفى رواية ، آخر ما تكلم به النبى صلى الله عليه وسلم ، اخلفونى فى اهلى . وفى رواية اخرى انظروا كيف تخلفونى فيهما ، وأوصيكم بعترتى خيرا واذكركم الله فى أهل بيتى · وأما وجه تسميتهما ثقلين ، فاعظام لقدرهما ، اذ يقال لكل جليل خطير ثقل ، ومنه قوله تعالى : انا سنلقى

عليك قولا ثقيلا » وقرنهما بقوله : انى تركت فيكم الثقلين : أحدهما آكد من الآخر . ومنه تسمية الجن والانس ثقلين ، لانهما قطـان الارض ، ولتميزهما على سائر الحيوانات ، ولان الوفاء بالعمل بهما ثقيل على النفوس البشرية أى بأن النفس تشعر بأنها مطوقة بأمر ثقيل يصعب عليها الوفاء به ، وهذه النفس هى الامارة ، أما النفس اللوامة التى تلوم صاحبها على فعل المعاصى بعد وقوعها فهى فرع عن الامارة التى تامر بها والنفس السعيدة هى المطمئنة ، ولشرفها خاطبها الله بقوله : يا أيها النفس المطمئنة ارجعى الى ربك راضية مرضية فادخلى فى عبادى وادخلى جنتى » فانها لا تثقل عليها أوامر ربهـا .

وعن ابن عباس رضى الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أحبوا الله لما يغذوكم به من نعمه ، وأحبونى يحبكم الله ، واحبوا أهل بيتى بحبـى .

وعن أبى بكر الصديق رضى الله عنه ارقبوا محمدا صلى الله عليه وسلم فى أهل بيته .

وعن ابن عباس رضى الله عنهما أيضا قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : يابنى عبد المطلب انى سألت الله لكم ثلاثا : سألته أن يثبت قائلكم ، وأن يعلم جاهلكم ، وأن يهدى ضالكم . وعن أبى سعيـد الخدرى رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم والله لا يبغضنا أهل البيت رجل الا ادخله الله النار .

وعن الحسن بن على رضى الله عنهما قال لمعاوية بن خديـج : يا معاوية ، اياك وبغضنا ، فان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : لا يبغضنا احد ولا يحسدنا احد الا ذيد يوم القيامة عن الحوض بسياط مـن نـار .

وعن على كرم الله وجهه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : من لم يعرف حق عترتى والانصار ، فهو لاحدى ثلاث : اما منافق ، وامـا لزنية واما لغير طهور يعنى حملته امه لغير طهر .

وعن ابن عمر رضى الله عنهما قال : آخر ما تكلم به رسول الله صلى الله عليه وسلم : اخلفونى فى اهـل بيتى . وعن أم سلمة رضى الله عنها قالت : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لفاطمة عليها السلام : ايتينى بزوجك وابنيك ، فجاءت بهم ، فألقى عليهم رسول الله صلى الله

عليه وسلم كساء كان تحتى اصبناه من حنين فقال : اللهم آل محمد فاجعل صلواتك وبركاتك على آل محمد كما جعلتها على ابراهيم انك حميد مجيد ، قالت أم سلمة : فرفعت الكساء لان ادخل معهم فجذبنى رسول الله صلى الله عليه وسلم من يدى وقال انك على خير ·

وخرج ابن عساكر عن على كرم الله وجهه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : من صنع الى أحد من أهل بيتى يدا كافيته يوم القيامة·

وأخرج ابو نعيم فى الحلية : عن عثمان رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : من أولى رجلا من بنى عبد المطلب معروفا فى الدنيا فلم يقدر المطلبى مكافاته ، فانا اكافئه يوم القيامة ·

واخرج الديلمى عن على رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أدبوا اولادكم على ثلاث خصال : حب نبيكم ، وحب آل بيته ، وعلى قراءة القرآن · وفى رواية عنه والحديث فان حملة القرآن فى ظل الله يوم لا ظل الا ظله مع أنبيائه وأصفيائه .

وقال الامام السيوطى : فى انموذج اللبيب فى خصائص الحبيب ما نصه : اخرج الطبرانى ان الله عز وجل جعل ذرية كل نبى فى صلبه ، وان الله جعل ذريتى فى صلب على بن أبى طالب ·

وفى الحديث عنه صلى الله عليه وسلم مثل أهل بيتى مثل سفينة نوح من ركبها نجا ومن تخلف عنها غرق ، وانهم امان للامة من الاختلاف ، وانهم سادات أهل الجنة ، ولا يدخل قلب أحد الايمان حتى يحبهم ·

وفى خبر ضعيف أربعة أنا لهم شفيع يوم القيامة ، المكرم لذريتى ، والقاضى لهم حوائجهم ، والساعى لهم فى أمورهم عند ما اضطروا اليه ، والمحب لهم بقلبه ولسانه · وذكر الفخر الرازى ان اهل بيته صلى الله عليه وسلم يساوونه فى سبعة اشياء : فى السلام فى قوله السلام عليك ايها النبىء ، فى التشهد وفى قوله تعالى : سلام على آل ياسين » وفى ختم التشهد بالصلاة عليه وعليهم وفى قوله تعالى : ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا » وفى المحبة فى قوله تعالى : فاتبعونى يحببكم الله » وفى قوله تعالى : قل لا أسألكم عليه أجرا الا المودة فى القربى » وفى تحريم الصدقة والتشريك فى الخمس فى قوله تعالى : وللرسول ولذى القربى » ·

وقال الامام الزمخشرى فى تفسير قوله تعالى : فمن حاجك فيه من بعد ما جاءك من العلم فقل تعالوا ندع أبناءنا وأبناءكم ونساءنا

ونساءكم وأنفسنا وانفسكم ثم نبتهل فنجعل لعنة الله على الكاذبين » .

لا دليل أقوى من هذا على فضل اصحاب الكساء وهم : على ، وفاطمة ، والحسن والحسين ، لانهما لما نزلت دعاهم صلى الله عليه وسلم فاحتضن الحسين واخذ بيد الحسن ، ومشت فاطمة خلفه وعلى خلفهما ، فعلم انهم المراد من الآية ، وان اولاد فاطمة وذريتهم يسمون أبناءه ، وينسبون اليه نسبة صحيحة نافعة فى الدنيا والآخرة .

ويؤيد ذلك أحاديث نذكرها تتميما للفائدة ، صح منها انه صلى الله عليه وسلم قال على المنبر : ما بال اقوام يقولون : ان رحم رسول الله صلى الله عليه وسلم لا ينفع قومه يوم القيامة بلى والله ان رحمى موصولة فى الدنيا والآخرة ، وانى ايها الناس فرط لكم على الحوض . وفى رواية صححها الحاكم انه صلى الله عليه وسلم بلغه ان قائلا قال لبريدة : ان محمدا لن يغنى عنك من الله شيئا ، فخطب ثم قال : ما بال اقوام يزعمون ان رحمى لا ينفع ، بل حتى جبا وحكم وهما قبيلتان من اليمن ، انى لاشفع فأشفع حتى ان من اشفع له فيشفع ، حتى ان ابليس ليتطاول طمعا فى الشفاعة .

وأخرج الدارقطنى ان عليا رضى الله عنه احتج يوم الشورى على أهلها فقال لهم : انشدكم بالله هل فيكم احد اقرب الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الرحم منى ؟ ومن جعله النبى صلى الله عليه وسلم نفسه وأبناءه ، ونساءه نساءه غيرى أى هل تنكرون ذلك قالوا اللهم لا . الحديث . فهو يشير الى الآية المتقدمة عن الزمخشرى رحمه الله . واخرج البخارى فى الادب المفرد ، والترمذى وابن ماجة عن يعلى بن مرة ان النبى صلى الله عليه وسلم قال : حسين منى وانا منه أحب الله من أحب حسينا ، الحسن والحسين سبطان من الاسباط .

الحاسد الجاهل عدو نفسه

كيف يرجى الخير من الحاسد الجاهل ، فقد اساء الى نفسه قبل ان يسىء الى غيره ، واحسن ما قيل فى الحسد انه يفتح طريق المزيد من النعم على المحسود ويعد طريقها على الحاسد ، ووجه قبحه انه اعتراض على الله فى قسمة عطائه فى واقع الامر ، واحسن ما قيل فيه نظما :

الا قل لمن بات لى حاسدا   اتدرى على من اسأت الادب

اسأت علـى الله فـى حكمـه　　بأنك لـم ترض لـى مـا وهب
فجـازاك عنـى بأن زادنـى　　وسـد عليك وجـوه الطلـب

قد تقبل علماء الشريعة الاسلامية كل ما جاء نصا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فى كل شىء قد يلتبس ويشكل ويخفى على الامـة ما هو وجه الحق فيه ؟ فلم يدع الكتاب والسنة المطهرة كل ما كان مـن هذا الوجه غامضا قد يخفى على الناس ما هو وجه الحق فيه · فما قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى تم له كل ما كانت الامة الاسلامية فى حاجة الى توضيحه ، فهى غنية بما ورد عنه عن كل تشريع سابق أو مذهب عقائدى أو فلسفى فان ذلك قد يصبح خرافة مضحكة مع مرور الايام امام التشريع الفطرى للبشر : الذى لا ياتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد » وجاءت السنة المطهرة بتفسير المجمل من نصوص الكتاب ؛ فأصبحت الامة الاسلامية فى غنى علمى ، لا ينقصها الا التطبيق والتوفيق والتوكل على الحى الذى لا يموت ، واصبح التشريع الاسلامى لا ينازع فيه بعد هذا الوضوح الشامل الا معاند او مكابر جاهل . قد كثرت علينا اقاويل اهل الزيغ والجهل والحسد ، وقد استمر ذلك منذ العصر الاسلامى الاول ؛ فازدادت طغيانا مع مرور الزمن والانحراف عن الايمان ، فاستفحل الداء وقل الدواء ، حتى اصبح الحديث على ذلك فى السر والاعلان مثار الخذلان من طرف كل مفتون فى دينه وايمانه · فصـار الايقاع فى ذرية النبى صلى الله عليه وسلم شهوة لكل مخذول سهلا من غير حياء ولا ايمان · حتى اصبحت المواجهة بين سفهاء الاحلام من العامة من رجال ونساء وبين ذريته صلى الله عليه وسلم فأول ما ينكرون عليهم انتسابهم للنبى صلى الله عليه وسلم وجها لوجه ، فى جدال عنيف وشاق ؛ متمسكين بسفسطة الجهلاء بأن النبى صلى الله عليه وسلم لم يخلف ذكرا حتى تكونوا انتم من أبنائه وهى كلمة حق اريد بها انتصار باطل ·

ففى ثبوت نسبنا للنبى صلى الله عليه وسلم أقول لك ايها المجادل بالباطل اولا اصلح ايمانك بالله حتى يمكنك ان تصدق بكل ما جاء به محمد ابن عبد الله نبى الله ورسوله الى هذه الامة من غير عسف ولا جدال ، وثانيا انقذ نفسك من ظلمات الامية بالعلم والتعلم حتى تاخذ مكانك كانسان حى بين صفوف المسلمين ، وتمسك بقوله صلى الله عليه وسلم : كـن عالما او متعلما او سميعا ولا تكن جاهلا · وحديث الدنيا ملعونة ملعون ما فيها الا عالما ومتعلما . وثالثا وسع صدرك لما يلقى عليك من الأدلة القاطعة

فى موضوع جدالك ، حتى تذهب مقتنعا ان آمنت وانصفت أو كافرا منافقا ان كابرت وعاندت ، وفى حالتك الاولى فان صدق ايمانك هو الذى يتولى الجواب على جدالك وعنادك ، وحينئذ كنت ممن أراح نفسه وغيره ، وأرضى دينه ونبيه وخالقه ، والا كنت ممن ذبح نفسه بلا مدية ، اسمع وفقك الله واصلح ايمانك . نصت السنة المطهرة على أن ذرية النبى صلى الله عليه وسلم باقية الى قيام الساعة من فاطمة الزهراء وعلى بن ابى طالب رضى الله عنهما كما أخذ ذلك من كتاب الله العزيز الذى لا ياتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه » فهو محصن من أن تلحقه الدعاوى الكاذبة ، والشبهات الباطلة من طرف أهل الزيغ فى كل عصر . واسمعى انت أيتها الاخت المجادلة بالباطل ان كنت معى فى دائرة الايمان بالله ، والا فجوابك بلا جدال مـا قال الله تعالى : لكم دينكم ولى دين » أى لكم كفركم ولى ايمانى ، فقـد سلكنا طريق الايمان وسلكتم طريق الكفر فليس هناك ما يجمعنا واياكم فى العقيدة على صعيد واحد غير تراب الوطن ، انظرى ما تقدم قريبا عن الكشاف فانه من صريح الكتاب فى النص عليهم بلا جدال ، وقد أثبته علماء الامة الاسلامية بعد وضوحه . وتسليمه ، كما ان هناك كثيرا من الادلة الصحيحة الواردة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم راجعيها فيمـا تقدم ، ولم يبق بعد ذلك الا أن اقول لك :

وليس يصح فى الاذهان شىء اذا احتاج النهار الى دليـل

واذكرك بما تقدم عن صحيح البخارى انه صلى الله عليه وسلم قال على المنبر وهو ينظر الى الناس مرة ، وللحسن مرة ان ابنى هذا سيـد وسيصلح الله به بين فئتين من المسلمين . قال البيهقى قد سماه النبى صلى الله عليه وسلم ابنه حين ولد ، وسمى اخوته بذلك .

وعن الحسن بسند حسن كنت مع النبى صلى الله عليه وسلم فمر على جرين من تمر الصدقة فأخذت منه تمرة فألقيتها فى فى فأخذها بلعابها فقال : أما علمت انا لا ناكل الصدقة . ثم قال ايضا :

انـا آل محمـد لا تحـل لنـا الصدقـة

واخرج الطبرانى ان الله عز وجل جعل ذرية كل نبى فى صلبه ، وان الله تعالى جعل ذريتى فى صلب على بن أبى طالب .

واخرج ابو الخير الحاكمى وصاحب كنوز المطالب فى بنى ابى طالب ،

ان عليا دخل على النبى صلى الله عليه وسلم وعنده العباس ، فسلم فرد عليه صلى الله عليه وسلم وقام فعانقه وقبل ما بين عينيه وأجلسه عن يمينه فقال له العباس : أتحبه ؟ قال يا عم : والله لله اشد حبا له منى ان الله عز وجل جعل ذرية كل نبى فى صلبه ، وجعل ذريتى فى صلب هذا . زاد الثانى وفى رواية انه اذا كان يوم القيامة دعا الناس بأسماء امهاتهم سترا عليهم ، الا هذا وذريته فانهم يدعون بأسمائهم لصحة ولادتهم . ولابى يعلى والطبرانى انه صلى الله عليه وسلم قال : كل بنى أم ينتمون الى عصبة الا ولد فاطمة فأنا وليهم وانا عصبتهم . وله طرق أخرى يتقوى بعضها بعضا حتى وصلته الى درجة الحسن .

الخليفــة عمــر يتــزوج أم كلثــوم

وقد صح عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه انه خطب أم كلثوم من على فاعتل بصغرها وبأنه أعدها لابن أخيه جعفر . فقال له ما أردت الباءة ولكنى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : كل سبب ونسب ينقطع يوم القيامة ما خلا سببى ونسبى ، وكل بنى انثى عصبتهم لابيهم ما خلا أولاد فاطمة فانى انا ابوهم وعصبتهم .

وفى رواية اخرجها البيهقى والدارقطنى بسند رجاله من أكابر أهل البيت ان عليا عزل بناته لولد أخيه جعفر فلقيه عمر رضى الله عنهما ، فقال له : يا أبا الحسن انكحنى ابنتك أم كلثوم بنت فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال حبستها لولد أخى جعفر . فقال عمر : والله ما على وجه الارض من يرصد من حسن صحبتها ما ارصد ، فانكحنى يا أبا الحسن ، فقال : انكحتها فعاد عمر الى مجلسه بالروضة ، مجلس المهاجرين والانصار، فقال هنونى قالوا بمن ياامير المومنين ؟ قال بأم كلثوم بنت على ، واخذ يحدث انه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : كل صهر أو سبب أو نسب ينقطع يوم القيامة الا صهرى وسببى ونسبى ، وانه كان لى صحبة فأحببت ان يكون لى معها سبب . وفى رواية للبيهقى : ان عمر لما قال : فأحببت أن يكون لى من رسول الله صلى الله عليه وسلم سبب ونسب قال على للحسنين : زوجا عمكما ؟ فقالا هى امراة من النساء تختار لنفسها ، فقام على مغضبا ، فأمسك الحسن ثوبه ، وقال له : لا صبر لنا على هجرانك يا أبتاه ، فزوجاه .

وفى رواية ان عمر صعد المنبر فقال : ايها الناس ، انه والله ما حملنى على الالحاح على على فى ابنته الا انى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : كل حسب ونسب وسبب وصهر ينقطع يوم القيامة الا حسبى ونسبى وسببى وصهرى . ثم امر بها على فزينت وبعث بها اليه ، فلما رآها قام اليها وأجلسها فى حجره وقبلها ودعا لها ، فلما قامت اخذ بساقها وقال قولى لابيك قد رضيت ، فلما جاءته قال لها ما قال لك ؟ فذكرت له جميع ما فعله وما قاله .

وبعد ما دخل بها ولدت معه ولده زيدا فمات رجلا . وفى رواية انه لما خطبها اليه ، قال له حتى استاذن ولد فاطمة فاستاذن واذنوا له . وفى رواية ان الحسين سكت وتكلم الحسن فحمد الله وأثنى عليه ثم قال : يا ابتاه من بعد عمر ؟ صحب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وتوفى وهو عنه راض ، ثم ولى الخلافة فعدل ، فقال له ابوه صدقت ، ولكنى كرهت ان اقطع امرا دونكما ، ثم قال لها : انطلقى الى أمير المومنين فقولى له ان ابى يقرئك السلام ويقول لك انا قضينا حاجتك التى طلبت ، فاخذها عمر وضمها اليه ، واعلم من عنده انه تزوجها ، فقيل له : انها صبية صغيرة ، فذكر الحديث السابق ، وفى آخره أردت أن يكون بينى وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم سبب وصهر .

واما تقبيله اياها ابتداء فانه وقع بناء على انها صارت زوجة شرعية قد تم نكاحها ، ولم يكن من امير المومنين عمر رضى الله عنه على ما هو عليه من الدين والفضل ان يفعل فعلا غير شرعى وحاشاه من ذلك فلا تحدث نفسك باساءة الظن بأمير المومنين عمر وهو خليفة رسول الله باختيار أهل الحل والعقد من كبار أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم . وقد رشحه من هو أفضل منه لذلك ابو بكر الصديق رضى الله عنه . ثم ان هذا الحديث روى عن جمع من أكابر الصحابة كابن عباس ، وابن الزبير ، والمنذر ، وابن عمر ، قال الذهبى واسناده صالح . وينبغى لكل من كان له حب فى اهل البيت النبوى الكريم أن يقتدى بأمير المومنين عمر رضى الله عنه ويقصد مثل قصده ويتزوج بناتهم حتى يوثق صلته بالنبى صلى الله عليه وسلم . وارجو ان لا يكون التزوج ببنات الاشراف لمجرد الشهوة كما هو الشأن فى مطلق الاستمتاع ، انها فرصة ثمينة بيدك ايها الكريم المحب فلا تضيعها وان لك فى أمير المومنين عمر رضى الله عنه اسوة حسنة اذ هو من الخلفاء الراشدين قد حاز من الفضل والدين والصحبة

وخلافة الحق ما قد يجعله فى غنى عن التزوج من أهل البيت ، ولكنه رضى الله عنه حرص كل الحرص حتى لا تفوته هذه الفرصة الثمينة فتزوجها على صغرها ، وهو على ما هو عليه من كبر سنه فيما قد علمت .

واهيب بأهل البيت ان يقتدوا بما فعله جدهم الامام على رضى الله عنه . ويزوجوهم من بناتهم ؛ واذكرك أيها المحب الكريم اذا تزوجت بشريفة أن تعلم انك متزوج من بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأن تعرف انك كمسلم مدين بالحب والاحترام لاهل البيت ؛ فينبغى أن تعاشرها بمزيد الصبر والحلم على ما تلقاه من سائر النساء ، وانك ستجدها ان شاء الله وحسنت النية مهيأة ببركة دعوته صلى الله عليه وسلم لامها الاولى فاطمة الزهراء رضى الله عنها كما قرأته سابقا عنها ؛ لان تكون لك بيتا نقيا نظيفا شريفا ان لم يات الخلل من جانب رعايتك لها ، ولا بد من الحزم فى لين . ومن اللين فى يقظة وحذر ، كما هو الشأن فى مطلق المرأة .

واليك مزيدا من الادلة ، اخرج الطبرانى عن فاطمة الزهراء رضى الله عنها ؛ ان النبى صلى الله عليه وسلم قال : لكل بنى انثى عصبة ينتمون اليه الا ولد فاطمة ، فانا وليهم ، وأنا عصبتهم . وأخرج الطبرانى أيضا عن ابى عمر ان النبى صلى الله عليه وسلم قال : كل بنى انثى فان عصبتهم لابيهم ما خلا ولد فاطمة فانى أنا عصبتهم وأنا أبوهم . وأخرج الطبرانى أيضا عن فاطمة ان النبى صلى الله عليه وسلم قال : كل بنى انثى ينتمون الى عصبتهم الا ولد فاطمة فانى انا وليهم وأنا عصبتهم وأنا أبوهم . واخرج الامام أحمد والحاكم عن المسور ان النبى صلى الله عليه وسلم قال : فاطمة بضعة منى يغضبنى ما يغضبها ، ويبسطنى ما يبسطها وان الانساب تنقطع يوم القيامة ، غير نسبى ، وسببى ، وصهرى .

واخرج البزار وأبو يعلى والطبرانى والحاكم عن ابن مسعود ان النبى صلى الله عليه وسلم قال : ان فاطمة احصنت فرجها فحرمها الله وذريتها على النار .

وعن زيد بن أرقم ان نساءه صلى الله عليه وسلم من أهل بيته . واخذ من حديثه أنهن من اهل بيته بالمعنى الاعم دون الاخص ؛ وهو من حرمت عليه الصدقة . ويؤيد ذلك خبر مسلم انه صلى الله عليه وسلم خرج ذات غداة وعليه مرط مرجل من شعر أسود ، فجاء الحسن فأدخله ، ثم الحسين فأدخله ثم فاطمة فأدخلها ، ثم على فأدخله رضى الله عنهم ، ثم قال : انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا »

وفى رواية اللهم هؤلاء اهل بيتى . وفى اخرى ان ام سلمة رضى الله عنها قالت يارسول الله ، وانا ؟ فقال : وانت من اهل البيت العام . وكذا قال صلى الله عليه وسلم لواثلة ، لما قال : يا رسول الله وأنا ؟ فقال : انت من أهلى . وروى انه صلى الله عليه وسلم قال لعلى : سلمان منا أهل البيت . وفى رواية اسامة منا آل البيت ظهر البطن . وروى الامام احمد عن ابى سعيد الخدرى : ان الذين نزلت فيهم الآية : انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس اهل البيت ويطهركم تطهيرا » النبى صلى الله عليه وسلم وعلى فاطمة وابناهما رضى الله عنهم . وكذا اشتمل صلى الله عليه وسلم بملاءة على عمه العباس وبنيه رضى الله عنهم وقال : يارب هذا عمى وصنو ابى ، وهؤلاء أهل بيتى فاسترهم من النار كسترى اياهم بملاءتى هذه ، فأمنت أسكفة الباب وحوائط البيت أى قالت آمين على دعائه صلى الله عليه وسلم ثلاث مرات .

وحديث مسلم أصح من هذا ، وأهل بيته فيه غير اهل البيت فى حديث العباس وبنيه المذكور ، وتبين من هذا ان لهذا الحديث اطلاقين : اطلاقا بالمعنى الاعم ، وهو ما يشمل جميع الآل والزوجات تارة ، ويشمل اخرى من صدق ولاؤه ومحبته كسلمان . فاتخذه لنفسك فعده منهم باعتبار صدق صحبته ، وعظيم قربه وولائه . واطلاقا بالمعنى الاخص ، وهم من ذكروا فى خبر الامام مسلم ، وخصه بذلك تصريح الامام الحسن فى حادثته ، وذلك انه بعد ما استخلف وثب عليه رجل من بنى اسد فطعنه بخنجر وهو ساجد لم يبلغ منه مبلغا ، ولذا عاش بعده عشر سنين ، فقال : يا اهل العراق اتقوا الله فينا ، فانا امراؤكم ، وضيفانكم ، ونحن اهل البيت الذين قال الله عز وجل فيهم : انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس اهل البيت ويطهركم تطهيرا » قالوا ولانتم هم ؟ قال نعم .

نسب ولد البنت لابيها من خصوصياته صلى الله عليه وسلم

وفى رواية لابى الجوزى : ان الله عز وجل ، جعل ذرية كل نبى فى صلبه ، وان الله تعالى جعل ذريتى فى صلب على بن أبى طالب .

وقال جمع من ائمتنا المحققين ان دلالة هذه الاحاديث ظاهرة فى خصوصياته صلى الله عليه وسلم بأن أولاد بناته ينسبون اليه فى الكفاءة وغيرها ، حتى لا يكافىء بنت شريف يعنى به بنات الحسنين ابن هاشمى

غير شريف . واولاد بنات غيره ينسبون لآبائهم لا لاباء أمهـــاتهم ، فتلك خصوصية ومزية له صلى الله عليه وسلم على جميع امته بامر من الله تعالى . وكان سبب ذلك ان اعداءه من قريش يعيرونه ويلقبونه بالابتر ، فرد الله عليهم تعييرهم فى القرآن الكريم ، فقال تعالى : انا اعطيناك الكوثر فصل لربك وانحر ، ان شانئك هو الابتر » ومعنى السورة الكريمة : قد اعطيتك ما لا نهاية لكثرته من خير الدارين ، وخصصتك بما لم اخص به احدا غيرك ، فاعبد ربك الذى اعطاك هذا العطاء الجزيل « الخازن » وقيل الكوثر هو نهر فى الجنة احلى من العسل ، واشد بياضا من اللبن ، وابرد من الثلج ، والين من الزبد ، حافتاه من الزبرجد ، واوانيه من فضة . قد شرفك الله بهذا الاعطاء ، وصانك من منن الخلق مراغما لاعدائك فى النحر لاوثانهم ، ان شانئك هو الابتر ، وهو العاص بن وائل الذى سماك الابتر ، اذ هو المنقطع عن كل خير ، لا انت ، اذ كل ما يولد من ذريتك وذرية المومنين الى يوم القيامة فهم اولادك واعقابك ، وذكرك مرفوع على المنابر ، وعلـــى لسان كل عالم وذاكر الى آخر الدهر ، يبدا بذكر الله ويثنى بذكرك ، ولك فى الآخرة ما لا يدخل تحت وصف ، فمثلك لا يقال له الابتر ، انما الابتر هو شانئك المنسى فى الدنيا والآخرة . فقال : قال له ذلك حين مات ولده القاسم بعد ما عاش نحو ستين — يوما — ، وقد كان عيش الولد الذكر له بأمر الله وقضائه ولمزيد شكره على قضاء الله وقدره ، عوضه الله عن ذلك بنعمة الولد من ذرية بنته فاطمة الزهراء رضى الله عنها ، وكان ذلك من خصائصه صلى الله عليه وسلم بأمر الله ، كما كان تزويجها من على بن ابى طالب بأمر من الله ايضا ، ووحى انزله جبريل عليه ، كما تقدم فى الكلام على زفافها من بيت على رضى الله عنهما ، وقد كان خطبها أبو بكر وعمر قبله من النبى صلى الله عليه وسلم ، فأبى أن يجيبهما الى ذلك ، حتى نزل جبريل بالوحى بأنها زوجة على بن أبى طالب، فزوجها منه بأمر من الله تعالى ، وكان مباشرة الفعل من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فكان أولادها الاربعة أبناءه صلى الله عليه وسلم بأمر من الله ، ونصا منه صلى الله عليه وسلم على ذلك اذ ما من شىء كان به اهتمام الامة الاسلامية فى تشريعاتها الا جاءها نصا منه صلى الله عليه وسلم ، رفعا لكل احتمال أو التباس قد يؤدى بها الى الوقوع فى خطا شنيع. وهو امر قد سلمه الصحابة رضوان الله عليهم ثم من بعدهم من علمـــاء الامة الاسلامية جيلا بعد جيل الى يومنا هذا ، ولم يتركوا للمجال فيه نزاعا ، فلم يبق بعد ذلك الا ظلام الجهل ، ونار الحسد تمزق أحشاء المعاندين

من الجاهلين والحاسدين المتكبرين ، أو الدساسين من المنافقين والكافرين ، ولذلك ترى القوم صرعى ظلموا انفسهم فاستوجبوا اللعنة من الله والخزى حتى ينالوا جزاء غضبه وعقابه ، وما هى الا ايام قلائل فى ايديهم ثم يكون حتفهم للقاء مصيرهم سرعان ما يلقون سوء عواقب ذلك المرض الوبيل الذى قضى على صاحبه قبل أن تصل اساءته الى غيره ، كما ذكر الله حكاية عن ابنى ءادم عليه السلام قال الله تعالى : اذ قربا قربانا فتقبل من احدهما ولم يتقبل من الآخر قال لاقتلنك قال انما يتقبل الله من المتقين » ثم قال المحسود المظلوم للحاسد الظالم : انى اريد ان تبوء باثمى واثمك فتكون من اصحاب النار وذلك جزاء الظالمين فطوعت له نفسه قتل اخيه فقتله فأصبح من الخاسرين » ثم اصبح بعد ارتكاب جريمة القتل من النادمين على قتله . وتلك هى عادة الحاسدين ثم يكون حسابهم على الله : يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضرا وما عملت من سوء تود لو ان بينها وبينه امدا بعيدا » .

ومما يؤكد ما سبق من انتماء ابناء فاطمة لابيها عليه الصلاة والسلام زيادة على ما تقدم من نصوص الكتاب والسنة قوله تعالى : ومن ذريته داوود وسليمان وايوب ويوسف وموسى وهارون وكذلك نجزى المحسنين وزكرياء ويحيى وعيسى والياس » (الانعام) وقد جاء فى آية اخرى : ان مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون الحق من ربك فلا تكن من الممترين » (آل عمران) وقد سوى القرآن بينهما فى الخلق بأن كلا منهما مخلوق من قوله تعالى : كن فيكون » فيكون ما عدا ذلك انما هو سبب ووسيلة للخلق ، والعبرة بالغاية لا بالوسيلة .

ذهب الامام الشافعى رضى الله عنه الى ان النسب يثبت لولد البنت أخذا من الآية الكريمة ، وذهب الامام مالك رحمه الله الى خلافه وقال : ان الولد يتبع اباه فى الدين والنسب ، ويتبع امه فى الرقية والحرية : فسبحان الذى بيده ملكوت كل شىء واليه ترجعون » .

وناتى فى الموضوع بقصة مولانا الكاظم مع هارون الرشيد الخليفة العباسى لما سأله كيف قلتم : انا ذرية رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وانتم ابناء على ؟ فتلى هذه الآية ، وهى قوله تعالى : ومن ذريته الاية ، ولما بلغ الى عيسى قال له : عطف على ابناء ابراهيم بواسطة امه ، وليس له اب ، ثم تلا قوله تعالى : فمن حاجك فيه من بعد ما جاءك من العلم فقل تعالوا ندع ابناءنا وابناءكم ونساءنا ونساءكم وانفسنا وانفسكم ثم

نبتهل فنجعل لعنة الله على الكاذبين » ولم يدع النبى صلى الله عليه وسلم بعد مباهلة النصارى غير على وفاطمة والحسن والحسين ، فكانا هما الابناء . وقد تقدم الكلام على الآية والاعتماد عليها فى هذا الموضوع حيث لا دليل عليه اقوى منها عند صاحب الكشاف .

واخرج الديلمى فى تفسير قوله تعالى : وقفوهم انهم مسؤولون » عن ابى سعيد الخدرى رضى الله عنه ان النبى صلى الله عليه وسلم قال : وقفوهم انهم مسؤولون عن ولاية على . وكان هذا هو مراد المفسر الواحد بقوله : روى فى قوله تعالى : وقفوهم انهم مسؤولون » اى عن ولاية على واهل البيت ، لان الله تعالى امر نبيه صلى الله عليه وسلم ان يعرف الخلق انه لا يسئلهم عن تبليغ الرسالة اجرا الا المودة فى القربى . والمعنى انهم يسئلون هل والهم حق الموالات كما اوصهم النبى صلى الله عليه وسلم ام اضاعوها واهملوها فتكون عليهم المطالبة والتبعة . واشار بقوله كما اوصاهم النبى صلى الله عليه وسلم الى الاحاديث الواردة فى ذلك وهى كثيرة .

منها حديث الامام مسلم عن زيد بن ارقم قال : قام فينا رسول الله صلى الله عليه وسلم خطيبا ، فحمد الله واثنى عليه ثم قال : اما بعد : ايها الناس انما انا بشر مثلكم يوشك أن يأتينى رسول ربى عز وجل فأجيبه ، وانى تارك فيكم الثقلين اولهما كتاب الله عز وجل فيه الهدى والنور فتمسكوا بكتاب الله عز وجل ، وخذوا به ، وحث فيه ورغب فيه ، ثم قال : واهل بيتى اذكركم الله عز وجل فى أهل بيتى ثلاث مرات . فقيل لزيد اى ابن ارقم راوى الحديث . من أهل بيته ؟ أليس نساؤه من أهل بيته ؟ قال بلى ، ان نساءه من اهل بيته ، ولكن أهل بيته من حرم عليهم الصدقة بعده ، قال ومن هم ؟ قال هم آل على وآل جعفر وآل عقيل ، وآل عباس ، قال : كل هؤلاء حرم عليهم الصدقة ؟ قال : نعم . واخرج الترمذى انه صلى الله عليه وسلم قال : انى تارك فيكم ما ان تمسكتم به لن تضلوا بعدى . أحدهما اعظم من الآخر ، كتاب الله عز وجل ، حبل ممدود من السماء الى الارض ، وعترتى اهل بيتى ، ولن يفترقا حتى يردا على الحوض فانظروا كيف تخلفونى فيهما . وقال : حسن غريب .

واخرج الامام احمد فى مسنده بمعناه ولفظه : انى اوشك ان ادعى فأجيب ، وانى تارك فيكم الثقلين: كتاب الله حبل ممدود من السماء الى الارض وعترتى أهل بيتى ، وان اللطيف الخبير اخبرنى انهما لن يفترقا حتى

يردا على الحوض ، فانظروا كيف تخلفونى فيهما ؟ وسنده لا بأس به . وفى رواية ان ذلك كان فى حجة الوداع ، وفى أخرى ، يعنى كتاب الله ، كسفينة نوح من ركب فيها نجا ، ومثلهم اى اهل بيته كباب حطة من دخله غفرت له الذنوب . وقال ابن الجوزى له طرق أخرى لم يستحفرها وفيه وهم اى غفلـــة .

وفى مسلم عن زيد بن أرقم راوى الحديث السابق انه صلى الله عليه وسلم قال ذلك يوم غدير خم . وهو ماء بالجحفة ، وزاد اذكركم الله فى اهل بيتى ، قلنا لزيد من أهل بيته نساؤه ؟ قال لا ، أيم الله ان المرأة تكون مع الرجل العصر من الدهر ثم يطلقها فترجع الى ابيها وقومها . اهل بيته وعصبته الذين حرموا الصدقة بعده .

وفى رواية صحيحة انى تارك فيكم امرين : لن تضلوا ان تبعتموهما وهما كتاب الله واهل بيتى : عترتى . زاد الطبرانى انى سالت ذلك لهما ، فلا تقدموهما فتهلكوا ، ولا تقصروا عنهما فتهلكوا ، ولا تعلموهم فانهم أعلم منكم . وفى رواية كتاب الله وسنتى . وهى المـــراد مـــن الاحاديث المقتصرة على الكتاب لان السنة مبينة له ، فاغنى ذكره عن ذكرها .

وحاصل ما ذكره ان الحث وقع على التمسك بالكتـــاب والسنـــة وبالعلماء بهما من أهل البيت ، ويستفاد من ذلك بقاء الامور الثلاثة الـــى قيـــام الساعـــة .

ثم اعلم ان لحديث التمسك بذلك طـــرقا كثيرة وردت عـــن نيف وعشرين صحابيا كما تقدم ، وتسدد طرقه مبسوطة فى حادى عشر الشبه ، وفى بعض تلك الطرق انه قال ذلك بحجة الوداع بعرفة ، وفى أخرى انه قاله بالمدينة فى مرضه وقد امتلات الحجرة بأصحابه ، وفى اخرى انه قال ذلك بغدير خم وفى اخرى انه قال لما قام خطيبا بعد انصرافه من الطائف ، ولا تنافى ، اذ لا مانع من انه كرر عليهم ذلك فى تلك المواطن وغيرها اهتماما بشأن الكتاب العزيز والعترة الطاهرة .

وفى رواية للطبرانى عن ابن عمر : آخر ما تكلم به رسول الله صلى الله عليه وسلم اخلفونى فى أهل بيتى . وفى أخرى عند الطبرانى وابى الشيخ ان لله عز وجل ثلاث حرمات فمن حفظهن حفظ الله دينه ودنياه ، ومن لم يحفظهن لم يحفظ الله لا دينه ولا آخرته ، قلت ما هن ؟ قال حرمة الاسلام ، وحرمتى وحرمة رحمى . وفى رواية للبخارى عن الصديق رضى الله عنه : يايها الناس ارقبوا محمدا فى اهل بيته ، اى احفظوه فيهـــم

فـــلا تـــوذوهم ·

واخرج ابن سعد والملا فى سيرته ، انه صلى الله عليه وسلم قال : استوصوا بأهل بيتى خيرا ، فانى أخاصمكم عنهم غدا ؛ ومن أكن خصمه اخصمه أى اغلبه ومن أخصمه دخل النار ، وانه قال : من حفظنى فى أهل بيتى فقد اتخذ عند الله عهدا . وقد أخرج ابن سعد ايضا أنا وأهل بيتى شجرة فى الجنة واغصانها فى الدنيا فمن شاء اتخذ الى ربه سبيلا ·

واخرج الملا ايضا حديثا : فى كل خلف من امتى عدول من اهل بيتى ينفون عن هذا الدين تحريف الضالين وانتحال المبطلين وتاويل الجاهلين الا وان أئمتكم وفدكم الى الله عز وجل فانظروا من توفدون ·

وأخرج الامام أحمد خبر الحمد لله الذى جعل فينا الحكمة ·

وفى خبر حسن ألا ان عيبتى وكرشى : أهل بيتى والانصار فاقبلوا من محسنهم وتجاوزوا عن مسيئهم · والمراد بالعيبة والكرش فى الحديث انهما موضع سر وأمانة ؛ ومعادن نفائس معارفه وحضرته ، اذ كل من العيبة والكرش مستودع لما يخفى فيه ؛ مما به القوام والصلاح ، لان الاول لما يحرز فيه من نفائس الامتعة ، والثانى مستقر الغذاء الذى به النمو ؛ وقوام البنية ، وقيل هما مثلان لاختصاصهما بالامور الظاهرة والباطنة ؛ اذ مظروف العيبة ظاهر ، ومظروف الكرش باطن ، ولهذه المزايا جاءت الوصية غاية فى التعطف عليهم والاهتمام بأمرهم · ومعنى قوله وتجاوزوا عن مسيئهم ، اذا أخلوا بالآداب ، لا انه يسمح لهم فيما اقترفوه من جنايات على الغير فى نفسه أو متاعه · واستحقوا اقامة الحدود على ذلك ، فان الله لا يستحيى من الحق أن تقام عليهم وعلى غيرهم حتى لا تكون الامة المحمدية كبنى اسرائيل ، اذا سرق فيهم الشريف تركوه ؛ واذا سرق فيهم الوضيع اقاموا عليه الحد · الحديث وهذا اشنع الظلم وافظعه ؛ ولا يليق بأمة دينها الاسلام ، وكتابها القرآن ونبيها محمد صلى الله عليه وسلم .

والعترة لغة الاهل والنسل والرهط الادنون ، وسمى رسول الله صلى الله عليه وسلم القرآن وعترته ثقلين ، لان الثقل كل نفيس خطير مصون · وهما كذلك اذ كل منهما معدن للعلوم اللدنية والاسرار والحكم العلية والاحكام الشرعية ولذا حث صلى الله عليه وسلم على الاقتـــداء والتمسك بهما ، والتعلم منهم وهو قوله صلى الله عليه وسلم : الحمد لله الذى جعل الحكمة فينا أهل البيت · وقيل سميا ثقلين : لثقل رعايتهما الواجبة ، والقيام بحقوقهما المرعية على الوجه الاكمل ، والاقتداء لا يكون

الا بالعالم الصالح منهم ، لانهم أئمة الارواح كما قال الامام زين العابدين رضى الله عنه لهشام بن عبد الملك : انا امام الارواح ، وانت امام الاجسام ، وقالوا ينبغى أن يزاد فى اكرام عالمهم وصالحهم . فقد روى ابو نعيم حديث : ان الحكمة تزيد الشريف شرفا وترفع العبد المملوك الى درجة الملوك .

والذين وقع الحث عليهم منهم انما هم العارفون بالله ، الحاملون لكتابه وسنة رسوله ، اذ هم الذين لا يفارقون الكتاب الى الحوض ، ويؤيدهم الخبر السابق ولا تعلموهم فانهم أعلم منكم ، وتميزوا بذلك عن بقية العلماء ، لان الله تعالى أذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا ، وشرفهم بالكرامات الباهرة والمزايا المتكاثرة . وفى أحاديث الحث على التمسك بأهل البيت اشارة الى عدم انقطاع المتأهل منهم للتمسك به فى الامامة الروحية الى يوم القيامة ، ويصحبهم فى ذلك القرآن الكريم ، ولهذا كانوا أمانـا لاهـل الارض .

ويؤيد ما تقدم خبر الصحيحين : اقيلوا ذوى الهيئات عثراتهم . وورد فى رواية الا الحدود . وفسرهم الامام الشافعى بانهم هم الذين لا يعرفون الشر ويقرب منه قول غيره هم أصحاب الصغائر دون الكبائر ، وقيل من اذا أذنب تـاب .

وأخرج الثعلبى فى تفسير قول الله تعالى : واعتصموا بحبل اللـه جميعا ولا تفرقوا » عن الامام جعفر الصادق : نحن حبل الله الذى قال الله فى كتابه : واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا » . وكان جده الامام على زين العابدين اذا تلا قول الله تعالى : « يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين » يقول دعاء طويلا يشتمل على طلب اللحـوق بدرجـة الصادقين ، والدرجات العلية ، وعلى وصف المحسن ، وما انتحلتـه المبتدعة المفارقون لائمة الدين والشجرة النبوية ، ثم يقول : وذهب الآخرون الى التقصير فى امرنا ، واحتجوا لمتشابه القرآن ، فتأولوا بآرائهم واتهموا ماثور الخبر ، الى ان قال : فالى من يفزع خلف هذه الامة ؟ وقد درست معالم هذه الملة ، ودانت الامة بالفرقة والاختلاف ، يكفر بعضهم بعضا ، والله تعالى يقول : ولا تكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا من بعد ما جاءهم البينات » فمن الموثوق على ابلاغ الحجة ، وتاويل الحكم الى اهل الكتاب ؟ وابناء أئمة الهدى ومصابيح الدجى الذين احتج الله بهم على عباده ، ولم يدع الخلق سدى من حجة ، هل تعرفونهم او تجدونهم الا من فروع الشجرة المباركة ، وبقايا الصفوة الذين اذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا ،

وبراهم من الآفات ، وافترض مودتهم فى الكتاب ، وفى الاية من قوله تعالى : وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم » اشارة الى أنهم امان لاهل الارض ، كما كان هو صلى الله عليه وسلم امانا لهم أى لاهل الارض . وقد ورد فى ذلك احاديث كثيرة : منها النجوم امان لاهل السماء ، واهل بيتى امان لامتى . أخرجه جماعة وفى سنده ضعف ، ومثله اهل بيتى امان لاهل الارض ، فاذا هلك أهل بيتى جاء اهل الارض من الآيات ما كانوا يوعدون . وروى الامام أحمد فاذا ذهب النجوم ذهب اهل السماء ، واذا ذهب اهل بيتى ذهب أهل الارض .

وفى رواية صححها الحاكم على شرط الشيخين النجوم امان لاهل الارض من الغرق ، وأهل بيتى امان لامتى من الاختلاف ، فاذا خالفتها قبيلة من العرب اختلفوا فصاروا حزب ابليس .

وجاء من طرق عديدة يتوى بعضها بعضا انما مثل أهل بيتى فيكم كمثل سفينة نوح ، من ركبها نجا . وفى رواية لمسلم من تخلف عنها غرق . وفى رواية هلك ، وانما مثل اهل بيتى فيكم مثل باب حطة فى بنى اسرائيل من دخله غفر له ، وفى رواية غفر له الذنوب .

وفى صحيح مسلم ان الناس بعد قتل عيسى للدجال يمكثون سبع سنين ثم يرسل الله ريحا باردة من قبل الشام ، فلا يبقى على وجه الارض أحد فى قلبه مثقال حبة من خير أو ايمان الا قبضه ، فيبقى شرار فى خفة الطير واحلام السباع ، لا يعرفون معروفا ، ولا ينكرون منكرا . الحديث . قال : ويحتمل وهو الاظهر عندى ان المراد بهم سائر أهل البيت ، فان الله لما خلق الدنيا بأسرها من اجل النبى صلى الله عليه وسلم جعل دوامها بدوامه ودوام اهل بيته لانهم يساوونه فى اشياء ذكرتها من قبل عن الفخر الرازى ، ولانه قال : اللهم انهم منى وأنا منهم ، ولانهم بضعة منه بواسطة ان فاطمة الزهراء أمهم بضعته فأقيموا مقامه فى الامان . انتهى ملخصا ، ووجه تشبيههم بالسفينة فيما مر ، ان من أحبهم وقام بما يجب لهم شكرا لنعمة مشرفهم صلى الله عليه وسلم واخذا بهدى علمائهم نجا من ظلمة المخالفات ، ومن تخلف عن ذلك غرق فى بحر كفر النعم ، وهلك فى مفاويز الطغيان .

وقد مر فى خبر ان من حفظ حرمة الاسلام وحرمته صلى الله عليه وسلم وحرمة رحمه حفظ الله دينه ودنياه ، ومن لا فلا .

وورد : يرد الحوض اهل بيتى ومن أحبهم من أمتى كهاتين السبابتين .

ويشهد لذلك خبر : المرء مع من أحب .

وباب حطة هى باب أريحاء ، أو بيت المقدس ؛ وان الله جعل دخولها مع التواضع والاستغفار سببا للمغفرة ، وجعل لهذه الامة مودة أهل البيت سببا لها كما يأتى . وقال ابو جعفر أى محمد الباقر : وثابت البنانى فى قوله تعالى : وانى لغفار لمن تاب وآمن وعمل صالحا ثم أهتدى » اى الى ولاية أهل البيت رضى الله عنهم . واخرج الامام احمد انه صلى الله عليه وسلم اخذ بيد الحسنين وقال : من أحبنى وأحب هذين وأباهما وامهما كان معى فى درجتى يوم القيامة .

ولفظ الترمذى وكان معى فى الجنة . وقال حسن غريب : ومعنى المعية هنا معية الشهود والقرب لا معية المكان والمنزل .

واخرج ابن سعد عن على خبرنى رسول الله صلى الله عليه وسلم ان أول من يدخل الجنة أنا وفاطمة والحسن والحسين ، قلت يارسول الله فمحبونا ؟ قال : من ورائكم . وأخرج الحاكم عن انس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : وعدنى ربى فى أهل بيتى من أقر منهم بالتوحيد ولى بالبلاغ أن لا يعذبهم . وأخرج ابن عدى والديلمى عن على ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : اثبتكم على الصراط أشدكم حبا لاهل بيتى ولاصحابى . واخرج ابن عساكر عن على ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : من آذى شعرة منى فقد آذانى ، ومن آذانى فقد آذى الله . واخرج الخطيب عن عثمان رضى الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : من صنع صنيعة الى احد من خلف عبد المطلب فى الدنيا فعلى مكافأته اذا لقينى . واخرج ابو القاسم بن بشر عن عمران بن حصين أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : سألت ربى أن لا يدخل أحدا من اهل بيتى النار فأعطانى . واخرج الديلمى عن أبى سعيد ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : اشتد غضب الله على من آذانى فى عترتى .

وورد : انه صلى الله عليه وسلم قال : من أحب أن ينسأ فى أجله ، وان يمتع بما خوله الله ، فليخلفنى فى أهل بيتى خلافة حسنة ، فمن لم يخلفنى فيهم بتر عمره ، وورد على يوم القيامة مسودا وجهه .

واخرج الحاكم عن ابى ذر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : ان مثل اهل بيتى فيكم مثل سفينة نوح من ركبها نجا ومن تخلف عنهـــا هلك .

واخرج الطبرانى عن ابن عمر رضى الله عنهما : ان اول من أشفع

له يوم القيامة من أمتى اهل بيتى ، ثم الاقرب ، فالأقرب من قريش ، ثم الانصار ، ثم من آمن بى واتبعنى من أهل اليمن ثم من سائر العرب ثم الاعاجم ، ومن أشفع له أولا افضل ٠ وقد قال صلى الله عليه وسلم لا يومن احدكم حتى أكون أحب اليه من نفسه وماله وولده والناس أجمعين، وقال ويتفاوت الناس فى الايمان على قدر تفاوتهم فى محبتى الا لا ايمان لمن لا محبة له ٠ فبمحبته صلى الله عليه وسلم نال من نال ، وأخرج الدارقطنى أيضا عن المسيب قال : قال ابن عمر : تحببوا الى الاشراف وتوددوا واتقوا على أعراضكم السفلة فانه لا يتم شرف الا بولادة علي رضى الله عنه ؛ وسعد من سعد حتى وصل الى درجة الكمال والحق بالاهل ، كسلمان رضى الله عنه الذى ورد فيه الحديث المتقدم فى قوله صلى الله عليه وسلم يا على سلمان منا أهل البيت ٠

وفى دلالة الاحاديث المتقدمة الحث الاكيد على مودتهم ، ومزيد الاحسان اليهم ، واحترامهم ، واكرامهم ، وتأدية حقوقهم الواجبة والمندوبة ، كيف وهم أشرف بيت اختاره الله لنبيه ، وجعل فيه الهدى والنور المحمدى ، فهم يتوارثونه بينهم لا يشاركهم من سواهم الا بمودتهم والقيام بواجبهم ، وكان أفضلهم فيه من كان متبعا لسنة جده رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولعظيم جنابه جعل الله لحسنتهم ضعفين من أجر غيرهم ، ولسيئتهم ضعفين من الوزر كذلك ٠ وقال عليه الصلاة والسلام الحسنة بالحسنة وهى من بيت الله أحسن والسيئة بالسيئة وهى من بيت الله أشين ٠ وقال الله تعالى مخاطبا الزوجات الطاهرات : يا نساء النبىء من يات منكن بفاحشة مبينة يضاعف لها العذاب ضعفين » الى آخر ما تقدم فى هذا الموضوع ٠

ولهذا قال العلماء : الحسنة تعظم بحسب الزمان والمكان والشخص الصادرة عنه ، والمعصية كذلك تعظم بحسب الزمان ، والمكان والشخص ، ومن ثم جاء الوعيد العظيم ، والذم الشديد على معصية العالم ، لانه حامل لكتاب الله وسنة رسوله ، وكانت معصيته عظيمة لما فيها من الخطر اللاحق بالمجتمع بخلاف معصية الجاهل لهوان عضويته فى المجتمع ، لان نظرته الى العالم الحامل لشريعة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، والى من هو من البيت المشرف عند الله ليست هى النظرة الى الجاهل الوضيع القدر ، ولذلك كانت معصيته ومصيبته على نفسه اكبر منها خطرا على غيره بالنسبة الى المجتمع الذى يعيش به ، ومن أجل ذلك عظمت معصية

العالم والشريف ومن جمع بينهما ، ومن اجل هذا المعنى تفاوتت الاحكام والحدود بين الاحرار والعبيد والمسلم والكافر ، ومن ثم كان لا يرجم الكافر بالزنى فى ملتنا لان معصيته لدينا تساوى معصية كذب لا يلحق المجتمع الاسلامى منها اذى ٠

ترجمة الحسن السبط

فهو الحسن بن على وفاطمة الزهراء بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم وكنيته أبو محمد ولد فى النصف الثانى من رمضان ، وأذن رسول الله صلى الله عليه وسلم فى أذنه اليمنى ، واقام فى اليسرى من السنة الثالثة من الهجرة بالمدينة المنورة ، كان رضى الله عنه شبيها بالنبى صلى الله عليه وسلم فى خلقه واخلاقه ، وكان سيدا كريما حليما فصيحا مستحضرا مناظرا لسانه أمضى من سيفه ، لا يكلمه أحد فى غير صواب الا قلب عليه مجلسه ظلمة ، ورد عليه سروره حسرة ، ونعمته نقمة ، حتى كانت تهاب صولة لسانه الفصحاء والامراء ٠

حبه فى الله

اخرج ابو نعيم فى الحلية انه قال : انى لاستحيى من ربى ان القاه ولم امش الى بيته فحج عشرين حجة ماشيا ٠

واخرج الحاكم عن عبد الله بن عمر قال : لقد حج الحسن خمسا وعشرين حجة ماشيا والنجائب تقاد بين يديه ٠

كرمه وسخاؤه

واخرج ابو نعيم : انه خرج عن ماله مرتين ، وقاسم الله تعالى ماله ثلاث مرات ، وسمع رجلا يسأل ربه عز وجل عشرة آلاف درهم فبعث بها اليه ، وجاءه رجل يشكو اليه ما وصلت اليه حالته من قلة ذات يده وكان مثريا ، فأعطاه وقال : ما هذا حق سؤالك ، ان حالك يعظم لدى معرفتى بما يجب لك ويكبر على ويدى تعجز عن نيلك ما أنت اهله ، والكثير فى ذات الله قليل ، وما فى ملكى وفاء لشكرك ، فان قبلت الميسور ورفعت عنى مؤونة الاحتفال والاهتمام لما اتكلفه فعلت ، فقال يا ابن بنت رسول

الله اقبل القليل واشكر العطية وأعذر عن المنع ، فأحضر الحسن وكيله وحاسبه ، وقال هات الفاضل ، فأحضر خمسين الف درهم ، وقال : ما فعلت فى الخمسمائة دينار التى معك ؟ قال هى عندى ، قال احضرها ، فأحضرها فدفعها والخمسين الف درهم الى الرجل واعتذر .

وكان مرة هو وأخوه الحسين ، وابن عمه عبد الله بن جعفر فى بعض سفر لهم ، فاستضافتهم عجوز ، فأعطاها الف دينار ، والف شاة ، واعطاها اخوه الحسين مثل ذلك ، واعطاها عبد الله بن جعفر مثليهما الفى شاة والفى دينار .

حلمـــه ومجـــده

واخرج ابن سعيد عن عمير بن اسحاق انه لم يسمع منه كلمة فحش الا ما قال لبعض خصومه رغم انفه ، وارسل اليه مروان يسبه وكان عاملا على المدينة ويسب عليا كل جمعة على المنبر ، فقال الحسن لرسوله ارجع اليه وقل له انى والله لا امحو عنك شيئا بأن ارد عليك ما سببت ، ولكن موعدى وموعدك الله ، فان كنت صادقا فجزاك الله خيرا بصدقك ، وان كنت كاذبا فالله اشد بأسا واشد تنكيلا .

وقد اغلظ عليه مروان وهو ساكت ثم امتخط بيمينه ، فقـــال لـــه الحسن : ويحك ، اما علمت ان اليمين للوجه ، والشمال للفرج والانف ، اف لك فسكت مروان ولما مات الحسن بكى مروان فى جنازته ، فقال له الحسين : اتبكيه وقد كنت تجرعه ما تجرعه ؟ فقال : انى كنت افعل ذلك الى احلم من هذا ، واشار بيده الى الجبل .

ومـــن دعائـــه رضى الله عنـــه

وقد كانت اصابته شدة فى ظروف قاسية ، وكان عطاؤه كل سنة مائة الف ، فحبسها عنه معاوية وحصلت له شدة وضيق ، قال : فهممت ان اكتب الى معاوية ، فدعوت بدواة لاذكره حالتى ، ثم امسكت ، فرأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فى النوم ، فقال : كيف انت ياحسن ؟ فقلت بخير يا أبت ، وشكوت اليه حبس رزقى عنى فقال : ادعوت بدواة لتكتب الى مخلوق مثلك تذكره ذلك ؟ قلت نعم يارسول اللـــه ، فكيف

اصنع ؟ فقال : قل اللهم اقذف فى قلبى رجاءك ، واقطع رجائى عمن سواك ، حتى لا ارجو احدا سواك ، اللهم وما ضعفت عنه قوتى وقصر عنه علمى ولم تنته اليه رغبتى ولم تبلغه مسئلتى . ولم يجر على لسانى مما اعطيت احدا من الاولين والآخرين من اليقين فخصنى به يا أرحم الراحمين . قال : فو الله ما انجحت فيه اسبوعا حتى بعث الى بألف ألف . وخمسمائة الف . فقلت الحمد الذى لا ينسى من ذكره . ولا يخيب من دعاه .

ومـــن مناقبـــه انه كان مطلاقا للنساء

فقد كان رضى الله عنه مطلاقا للنساء . وكان لا يطلق امرأة الا وهى تحبه . وكان فى حياة ابيه بالعراق تلقاه المرأة ولا يعرفها انها كانت زوجة له واحصى له عدد الزوجات المطلقات فبلغت تسعين زوجة وقيل أكثر من ذلك ، ولما راى أبوه الامر قد تجاوز حدود الادب واللياقة من الحلال . قام فى جمع من الناس يوما خطيبا فقال : ايها الناس ان الحسن رجـــل مطلاق فلا تزوجوه بناتكم ، فقام رجل من همدان وقال : يا أمير المومنين انا لنزوجه والله ما شاء أن يتزوج منا ؛ فمن شاء امسك ومن شاء أطلق . ثم قال الامام على كرم الله وجهه : فان ابيتم الا ذاك فأنتم وشأنكم . واخرج ابن عساكر انه قيل له : ان ابا ذر يقول : الفقر أحب الى من الغنـــى . والسقم احب الى من الصحة ، فقال : رحم الله ابا ذر . اما انا فأقول : من اتكل الى حسن اختيار الله لم يتمن انه فى غير الحالة التى اختار الله له.

خلافـــة الامـــام الحســـن

الامام الحسن احد الخلفاء الراشدين بعد ابيه كان رضى الله عنه صورة تحققت عليها احاديث جده المصطفى صلى الله عليه وسلم : الخلافة بعده ثلاثون سنة . للحسن منها ستة اشهر كانت تتميما لها . وكقوله صلى الله عليه وسلم اهل بيتى امان لامتى من الاختلاف . وكقوله صلى الله عليه وسلم : ان ابنى هذا سيد ولعل الله ان يصلح به بين فئتين من المسلمين . وكل ذلك كان السيد العظيم مثالا له .

ولى الخلافة بعد وفاة ابيه على بن ابى طالب كرم الله وجهه ، ولم تكن ولايته عن وصاية ابيه له ، كما كان ذلك رايا لبعض اصحابه ، قال له جندب بن عبد الله : لما دخل عليه بعد أن ضربه ابن ملجم ، ان فقدناك

ولا نفقدك يا أمير المومنين فنبايع الحسن ، فقال له ما آمركم ولا انهاكم انتم أبصر . وبعد وفاة ابيه تقدم اليه اهل الكوفة بالبيعة ، وأول من بايعه قيس بن سعد بن عبادة الانصارى رضى الله عنه قائلا له : ابسط يدك أبايعك ، على كتاب الله وسنة رسول الله وقتال المحلين ، فقال الحسن على كتاب الله وسنة نبيه فانهما ياتيان على كل شرط ، فبايعه الناس على ذلك فاقام بها ستة اشهر خليفة حق ، وامام عدل وصدق ، تحقيقا لما اخبر به جده الصادق المصدوق صلى الله عليه وسلم بقوله : الخلافة بعدى ثلاثون سنة فقد كانت الستة اشهر تتميما لها ، ومن أجل ذلك كانت خلافته منصوصا عليها غير انها محدودة الاجل . فقام معاوية ينازع الحق أهله . وتحمل فى ذلك مسؤوليات جساما ، وكاد قيامه يزعزع أركان الدولة الاسلامية الفتية لولا تعقل السيد الحسن ويقظته واعتباره لما ارتكبه خصمه فى سبيل الوصول اليها من خطوات لا تليق ان تكون من دين الله ، الامر الذى ادهش أهل ذلك العصر ولم يرضوه أن يكون فى أمة الاسلام فى عهد أبيه الامام على كرم الله وجهه ، ومعاوية على ما هو عليه مع الحسن فى طريقه الى الاستيلاء على الامة الاسلامية مهما كانت الوسائل، وبأى ثمن لما كان يراه من أن الغاية تبرر الوسيلة .

روى البخارى عن الحسن البصرى رضى الله عنه قال : استقبل الحسن ابن على معاوية بكتائب امثال الجبال ، فقال مستشاره عمرو بن العاص لمعاوية : انى ارى كتائب لا تولى حتى تقتل اقرانها ، فقال معاوية فكان والله خير الرجلين : أى عمرو — ان قتل هؤلاء ، هؤلاء ، وقتل هؤلاء ، هؤلاء من لى بأمور المسلمين ؟ من لى بنسائهم ؟ فبعث اليه رجلين من قريش من بنى عبد شمس : عبد الرحمن بن سمرة ، وعبد الرحمن بن عامر ، فقال : اذهبا الى هذا الرجل ، فاعرضا عليه ، وقولا له ، واطلبا اليه ، ثم ذهبا حتى اتياه ، فدخلا عليه وتكلما ، وقالا له ، وطلبا اليه ، فقال لهم الحسن ابن على رضى الله عنهما : انا بنو عبد المطلب قد أصبنا من هذا المال ، وان هذه الامة قد عامت فى دمائها ، فقالا له : فانه يعرض عليك كذا وكذا ويطلب اليك ، ويسألك ، قال من لى بهذا ؟ فقالا نحن لك به ، فما سألهما شيئا الا قالا نحن لك به فصالحه انتهى .

وفى رواية أخرى لغيره ، أن الحسن توجه الى حرب معاوية فى اربعين الفا فلما تراءا اى الجمعان علم الحسن انه لن يغلب احد الفئتين حتى يذهب اكثر الاخرى ، فكتب الى معاوية انه ان جعل له الامر من بعده

وان لا يطلب احدا من اهل العراق والمدينة والحجاز بشيء مما كان في أيام ابيه ، وعلى أن يقضي عنه ديونه ، واشكل الامر بين الطرفين في عشر نقط ، لم تزل محل المفاوضة بين الطرفين ، ثم فاجأ معاوية الخليفة الحسن فبعث اليه برق ابيض عليه طابع الخلافة قائلا له فيه : اكتب ما شئت فاني التـزمـه .

وقد نص بعض المؤرخين على صورة كتاب ما كتبه الامام الحسن لمعاوية وهو : بسم الله الرحمن الرحيم هذا ما صالح عليه الحسن بن علي معاوية بن أبي سفيان ، صالحه على ان يسلم اليه ولاية المسلمين على أن يعمل فيها بكتاب الله تعالى وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم وسيرة الخلفاء الراشدين المهديين . وليس الى معاوية بن ابي سفيان أن يعهد الى أحد من بعده عهدا بل يكون الامر من بعده شورى بين المسلمين ، وعلى ان الناس آمنون حيث كانوا من أرض الله تعالى في شامهم وعراقهم وحجازهم ، وعلى ان اصحاب علي وشيعته آمنون على انفسهم واموالهم ونسائهم واولادهم حيث كانوا ، وعلى معاوية بن ابي سفيان بذلك عهد الله وميثاقه ، وان لا يبتغي للحسن بن علي ، ولا لاخيه الحسين ، ولا لاحد من بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم غائلة سرا ولا جهرا ، ولا يخيف احدا منهم في افق من الآفاق ، اشهد عليه به فلان وفلان وكفى بالله شهيدا .

تنـازل الامـام الحسن لمعاويـة

وبعد ما انبرم الصلح بين الطرفين وتم الاتفاق بينهما على الغرض منه ، والتزم معاوية العمل ببنوده ، التمس من السيد الحسن ان يتكلم في جموع الناس ويعلمهم انه قد سلم الامر وبايع لمعاوية على شروط رآها — وتلى النص — مصالحة لجمع كلمة المسلمين ، فأجابه الى ذلك ، وصعد المنبر ، فحمد الله واثنى عليه وصلى على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم وقال : ايها الناس ان اكيس الكيس التقى واحمق الحمق الفجور — الى ان قال قد علمتم ان الله تعالى جل ذكره وعز اسمه هداكم بجدي رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وانقذكم من الضلالة ، وخلصكم من الجهالة ، واعزكم به بعد الذلة ، وكثركم به بعد القلة ، ان معاوية نازعني حقا هو لي دونه ، فنظرت لصلاح الامة ، وقطع الفتنة ، وقد كنتم بايعتموني على ان تسالموا من سالمني وتحاربوا من حاربني ، فرايت ان اسالم معاوية واضع الحرب بيني وبينه ، وقد بايعته ، ورايت ان حقن الدماء خير لي من سفكها ،

ولم أرد بذلك الا اصلاحكم وبقاءكم : وان ادرى لعله فتنة لكم ومتاع الى الى حين » وكان من جملة الاسباب التى حملته على المصالحة غدر أهل الكوفة به فى ساباط المدائن . اذ طعنه سنان الجعفى فى جنبه فصرعه عن دابته . ومما شرح الله به صدره فى هذا الصلح ظهور معجزة النبى صلى الله عليه وسلم فى قوله فى حق الحسن : ان ابنى هذا سيد ولعل الله ان يصلح به بين فئتين عظيمتين من المسلمين . رواه البخارى . وكان نزوله عنها فى شهر ربيع الاول سنة (41) هجرية ، وقيل ربيع الثانى وقيل جمادى الاولى .

الامـــام الحسن السياسى العظيم

ما أكثر صبرك ! ومـا أغـزر حلمـك ! ومـا اكبـر عقلك ! وما انفذ تبصرك ! وما ألين طبعك ! لامتثال كلام من لا ينطق عن الهوى . وما اعظم ايثار مصلحة المسلمين على مصلحة نفسك ! ضحيت بنفسك وبعشيرتك وانصارك فى سبيل مصلحة دينك وايمانك ابتغاء مرضاة ربك . حتى تنازلت عن حق هو بيدك ، لالد اعدائك وأعداء أبيك رجل قد اصبح منكرا لما ابرمه بشهوده وأمضاه بيده معاوية بن ابى سفيان الذى لا تعرف النصفة مع آل على الى قلبه سبيلا . فقد فعلت ذلك كله واقدمت على ما كنت عالما بعواقبه ابتغاء اصلاح ذات البين ، بين فئتين عظيمتين من المسلمين امتثالا لامر الله ، وتحقيقا لمعجزة رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وما كدت تنزل عن منبر الخطابة حتى اخذت سهام الالسنة تسدد الى جانبك ، من طرف من الفوا الخوض فى الماء العكر ، دون ان يهمهم ما اهمك من شأن الاسلام والمسلمين ، فبدأت تسمع بدل يا أمير المومنين ، يا عار المومنين ، فتجيب فى رحب صدر وعظيم حلم « العار خير من النار » ويقول الآخر : السلام عليك يا مذل المومنين ، فتجيب فى مروءة ووقار ، « كرهت ان اقتلكم على الملك » وكثيرا ما تسمع وتجيب فى أدب . ثم ارتحل من الكوفة واختار المقام بالمدينة دار الهجرة والزهد فى الدنيا الى جانب قبر جده الرسول الاعظم صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم .

وسمى ذلك العام « بعام الجماعة » لاجتماع كلمة المسلمين فيـه واجتماع الكلمة فى يد معاوية بحيث لم يعد له خصم يخشاه ، الا ما كان من امر الخوارج . وبعد ما استتب الامر بيد معاوية جعل ينقض بنود الصلح

حتى نقض الكثير منها . ومن احسن ما يروى عنه فى عدله جوابه لعامله على الكوفة ، زياد بن ابيه ، فى قضية سعيد بن سرح أحد شيعة على رضى الله عنه وصورتها : انه لما ارتحل الامام الحسن عن الكوفة واختار مقامه بالمدينة ، خلا الجو بها لمعاوية وعماله فبدأوا بمطاردة شيعة الامام على رضى الله عنه فكانت مآسى كثيرة سجلها التاريخ بالدماء والدموع والاحزان ، منها قصة زياد بن ابيه عامل الكوفة ، لما طلب سعيد بن سرح من اجل تشيعه لعلى ففر والتحق بالحسن فى المدينة واستجار به ، فألقى زياد القبض على اخيه وولده وامرأته ، ونقض داره وصادر امواله ، ولما وصل ذلك الى السيد الحسن شق عليه ذلك وكتب من فوره الى زياد يامره بأن يعطى الامان لسعيد ، ويخلى سبيل عياله وأطفاله ، ويشيد داره ، ويرد عليه امواله ، وهذا نص كتابه :

من الحسن بن على الى زياد أما بعد : فانك عمدت الى رجل من المسلمين له ما لهم وعليه ما عليهم فهدمت داره ، واخذت ماله ، وحبست اهله وعياله ، فان اتاك كتابى هذا فابن له داره ، واردد عليه ماله وعياله ، وشفعنى فيه فقد أجرته والسلام .

ولما وصله الكتاب استشاط غضبا لان الحسن لم ينسبه الى ابى سفيان — لانه ابن زنى — فأجابه زياد بما نصه : من زياد بن ابى سفيان الى الحسن بن فاطمة اما بعد : فقد اتانى كتابك تبدأ فيه بنفسك قبلى ، وانت طالب حاجة وانا سلطان ، وانت سوقة ، وتامرنى فيه بامر المطاع المسلط على رعيته كتبت الى فى فاسق آويته اقامة منك على سوء المرأى ورضى منك بذلك وايم الله لا تسبقنى به ، ولو كان بين جلدك ولحمك ، فان احب لحم على ان آكله ، اللحم الذى انت منه ، فسلمه بجريرته الى من هو اولى به منك فان عفوت عنه لم اكن شفعتك فيه ، وان قتلته لم اقتله الا لحبه اباك والسلام وبعد ان وصل الجواب الى الامام الحسن كتب رسالة أخرى قصيرة ، نصها : من الحسن بن فاطمة الى زياد بن سمية اما بعد : فان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : الولد للفراش وللعاهر الحجر والسلام . وكتب الى معاوية بن ابى سفيان فى حل المشكل ، وارفق كتابه بجواب زياد عليه ، فلما بلغ معاوية ذلك غضب على زياد وكتب اليه كتابا نصه : اما بعد ، فان الحسن بن على بعث الى بكتابك اليه ، جوابا عن كتاب كتبه اليك فى ابن ابى سرح، فأكثرت العجب منك ،وعلمت ان لك رايين احدهما من أبى سفيان ، والآخر من سمية اما الذى من ابى سفيان فحلم

وحزم ، واما الذى من سمية فما يكون من رأى مثلها . من ذلك كتابك الى الحسن تشتم اباه وتعرض له بالفسق ، ولعمرى انك لاولى بالفسق من أبيه ، فاما ان الحسن بدأ بنفسه فارتفاعا عليك فان ذلك لا يضعك لو عقلت ، واما تسلطه عليك بالامر . فحق لمثل الحسن أن يتسلط ، واما تركك تشفيعه فيما شفع فيه اليك . فحظ دفعته عن نفسك الى من هو أولى به منك ، واذا ورد عليك كتابى هذا فخل ما فى يدك أى من متاعه لسعد بن أبى سرح ، وابن له داره ، واردد عليه ماله ، ولا تتعرض له ، فقد كتبت الى الحسن أن يخيره ان شاء أقام عنده وان شاء رجع الى بلده ولا سلطان لك عليه لا بيد ولا لسان ، وأما كتابك الى الحسن باسمه واسم امه ولا تنسبه الى أبيه فان الحسن ويحك من لا يرمى به الرجوان ، والى أى أم وكلته لا أم لك ؟ اما علمت انها فاطمة بنت رسول الله ، فذلك أفخر له لو كنت تعلمه وتعقله .

مناظرة بين الامام الحسن ومناوئيه

لم يكن فى الاسلام يوم فى مشاجرة قوم اجتمعوا فى حفل أكثر ضجيجا ولا اعلى كلاما ، ولا اشد مبالغة فى قول من يوم اجتمع فيه عند معاوية بن ابى سفيان خمسة من مناوئى الامام الحسن ، ومن هم هؤلاء الخمسة ؟ هم عمرو بن العاص ، وعمرو بن عثمان بن عفان ، وعتبة بن ابى سفيان ، والوليد بن عقبة بن ابى معيط ، والمغيرة بن شعبة ، وقد تواطؤوا على أمر واحد ، فقال عمرو بن العاص لمعاوية : الا تبعث الى الحسن بن على فتحضره فقد احيا سيرة أبيه ، ان امر فأطيع ، وان قال فصدق ، وهذان يرفعان به الى ما هو اعظم منهما ، فلو بعثت اليه فقصرنا به وبأبيه ، وسببناه وسببنا اباه ، وصغرنا بقدره وقدر ابيه وقعدنا لذلك حتى نصدق لك فيه .

فقال لهم معاوية : انى أخاف أن يقلدكم قلائد يبقى عليكم عارها حتى تدخلكم قبوركم ، والله ما رايته قط الا كرهت جنابه ، وهبت عتابه ، وانى أن بعثت اليه لانصفنه منكم ، قال عمرو بن العاص : اتخاف ان يتسامى باطله على حقنا ، ومرضه على صحتنا ، قال : لا ، قال : فابعث اليه اذا قال عتبة : هذا راى لا اعرفه ، والله ما تستطيعون أن تلقوه بأكثر ولا اعظم مما فى أنفسكم عليه ، ولا يلقاكم الا بأعظم مما فى نفسه عليكم ، وانه لمن اهل بيت خصم وجدل .

ثم بعثوا الى الحسن ، فلما اتاه الرسول قال له : يدعوك معاوية ، قال : ومن عنده ؟ قال الرسول : عنده فلان وفلان ، وسمى كلا منهم باسمه فقال الحسن : ما لهم ؟ خر عليهم السقف من فوقهم واتاهم العذاب من حيث لا يشعرون » ثم قال : يا جارية ابلغينى ثيابى ، ثم قال : اللهم انى ادرأ بك فى نحرهم ، واعوذ بك من شرورهم ، واستعين بك عليهم ، فأكفنيهم بما شئت وانى شئت من حولك وقوتك يا ارحم الرحمن ، وقال للرسول هذا كلام الفرج ، فلما اتى معاوية رحب به وحياه وصافحه ، فقال الحسن : ان الذى حييت به سلامة ، والمصافحة امنة ، فقال معاوية اجل ، ان هؤلاء بعثوا اليك وعصونى ليقرروك ان عثمان قتل مظلوما وان اباك قتله ، فاسمع منهم ثم اجبهم بمثل ما يكلمونك ، ولا يمنعك مكانى من جوابهم ، فقال الحسن : سبحان الله البيت بيتك ، والاذن فيه اليك ، والله انى لاجبتهم الى ما ارادوا انى لاستحيى لك من الفحش ، ولئن كانوا غلبوك انى لاستحيى لك من الضعف ، فبأيهما تقر ؟ ومن ايهما تعتذر ؟ اما انى لو علمت بمكانهم واجتماعهم لجئت بعدتهم من بنى هاشم ، ومع وحدتى هم اوحش منى مع جمعهم ، فان الله عز وجل ، لوليى اليوم وما بعد اليوم ، فليقولوا فأسمع ولا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم .

فقال معاوية : انى كرهت ان ادعوك ، ولكن هؤلاء حملونى على ذلك مع كراهتى له ، وان لك منهم النصف ومنى ، وانما دعوناك لنقرر ان عثمان قتل مظلوما وان اباك قاتله ، فاسمع منهم ثم اجبهم ولا تمنعك وحدتك واجتماعهم ان تتكلم بكل لسان ، (1) فتكلم عمرو بن عثمان بن عفان فقال : ما سمعت كاليوم أن بقى من بنى عبد المطلب على وجه الارض من احد بعد قتل الخليفة عثمان ، وكان — من — ابن اختهم ، والفاضل فى الاسلام منزلة ، والخاص برسول الله صلى الله عليه وسلم اثرة ، فبيس كرامة الله حتى سفكوا دمه اعتداء وطلبا للفتنة وحسدا ونفاسة ، وطلب ما ليسوا بأهل لذلك مع سوابقه ومنزلته من الله ومن رسوله ، ومن الاسلام ، فياذلاه ان يكون « حسن » وسائر بنى عبد المطلب وقتلة عثمان احياء يمشون على مناكب الارض ، وعثمان مضرج بدمه ، مع أن لنا فيكم تسعة عشر دما ، بقتلى بنى امية ببدر . ! (2) ثم تكلم عمرو بن العاص : فحمد الله واثنى عليه ، ثم قال : اى يا ابن ابى تراب بعثنا اليك لنقرك ان اباك سم ابا بكر الصديق ، واشترك فى قتل عمر الفارق وقتل عثمان ذى النورين مظلوما، فادعى ما ليس بحق ، ووقع فيه — وذكر الفتنة وعيره بشأنها — ثم اضاف

انكم يابنى عبد المطلب لم يكن الله يعطيكم الملك ، فترتكبون فيه ما لا يحل لكم ، ثم أنت يا حسن تحدث نفسك بأنك كائن امير المومنين ؛ وليس عندك عقل ذلك ، ولا رايه ، فكيف وقد سلبته وتركت أحمق فى قريش ، وذلك لسوء عمل أبيك ، وانما دعوناك لنسبك وأباك ؛ ثم انت لا تستطيع أن تعتب علينا ، ولا أن تكذبنا فى شىء به ، فان كنت ترى انا كذبناك فى شىء ، وتقولنا عليك بالباطل ، وادعينا خلاف الحق فتكلم ، والا فاعلم انك وأباك من شر ما خلق الله ، أما أبوك فقد كفانا الله قتله ، وتفرد به ؛ وأما أنت فانك فى أيدينا نتخير فيك ، والله ان لو قتلناك ما كان فى قتلك اثم عند الله ، ولا عيب عند الناس .

(3) ثم تكلم عتبة بن أبى سفيان ، فكان اول ما ابتدأ به أن قال : يا حسن ان اباك كان شر قريش لقريش ، اقطعه لارحامها ، وأسفكه لدمائها ، وانك لمن قتلة عثمان ، وأن فى الحق أن نقتلك به ، وأن عليك القود فى كتاب الله عز وجل ، وانا قاتلوك به ، وأما أبوك فقد تفرد الله بقتله ، فكفاناه ، وأما رجاؤك للخلافة فلست منها لا فى قدحة زندك ولا فى رجحة ميزانك .

(4) ثم تكلم الوليد بن عقبة بن أبى معيط ، بنحو من كلام أصحابه فقال : يا معشر بنى هاشم كنتم أول من دب بعيب عثمان ، وجمع الناس عليه حتى قتلتموه حرصا على الملك ، وقطيعة للرحم ، واستهلاك الامة ، وسفك دمائها حرصا على الملك ، وطلبا للدنيا الخسيسة وحبا لها ، وكان عثمان خالكم ، فنعم الخال كان لكم ، وكان صهركم ، فكان نعم الصهر لكم ، قد كنتم أول من حسده وطعن عليه ، ثم وليتم قتله ، فكيف رايتم صنع الله بكم .

(5) ثم تكلم المغيرة بن شعبة ، وكان كلامه وقوله كله وقوعا فى على كرم الله وجهه ثم قال : يا حسن ، ان عثمان قتل مظلوما ، فلم يكن لابيك فى ذلك عذر برىء ، ولا اعتذار مذنب ، غير أننا يا حسن قد ظننا لابيك فى ضمه قتلته وايوائه لهم ، وذبه عنهم ، انه بقتله راض ، وكان والله طويل السيف واللسان ، يقتل الحى ويعيب الميت ، وبنو أمية خير لبنى هاشم ، من بنى هاشم لبنى أمية ، ومعاوية خير لك يا حسن منك لمعاوية ، وقد كان أبوك ناصب رسول الله صلى الله عليه وسلم فى حياته ، وأجلب عليه قبل موته وأراد قتله ، فعلم ذلك من أمره رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثم كره أن يبايع ابا بكر حتى أتى به قودا ، ثم دس اليه فسقاه سما فقتله ،

ثم نازع عمر حتى هم أن يضرب رقبته ، فعمل فى قتله ، ثم طعن على عثمان حتى قتله ، كل هؤلاء قد شرك فى دمهم ، فأى منزلة له من الله يا حسن ، وقد جعل الله السلطان لولى المقتول فى كتابه المنزل ، فمعاوية ولى المقتول بغير حق ، فكان من الحق لو قتلناك واخاك ، والله ما دم على بخطر من دم عثمان ، وما كان الله ليجمع فيكم يا بنى عبد المطلب الملك والنبوة .

جـــواب الامـــام الحســـن

فتكلم أبو محمد « الحسن » بن على رضى الله عنهما فقال :

الحمد لله الذى هدى أولكم بأولنا وآخركم بآخرنا وصلى الله على سيدنا محمد نبى الله ورسوله وآله وسلم ، اسمعوا منى مقالتى ، واعيرونى فهمكم ، وبك أبدأ يا معاوية ، انه لعمر الله يا أزرق ما شتمنى غيرك ، وما هؤلاء شتمونى ولا سبنى غيرك ، وما هؤلاء سبونى ، ولكن شتمتنى وسببتنى فحشا منك وسوء رأى ، وبغيا وعدوانا وحسدا علينا ، وعداوة لمحمد صلى الله عليه وسلم قديما وحديثا ، وانه والله لو كنت أنا وهؤلاء يا ازرق ! مثاورين فى مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وحولنا المهاجرون والانصار ، ما قدروا أن يتكلموا بمثل ما تكلموا به ، ولا استقبلونى بما استقبلونى به ، فاسمعوا منى ايها الملأ المجتمعون المتعاونون على ، ولا تكتموا حقا علمتموه ، ولا تصدقوا بباطل نطقت به ، وسأبدأ بك يا معاوية ، فلا اقول فيك الا دون ما فيك ، أنشدكم بالله هل تعلمون ان الرجل الذى شتمتموه صلى الى القبلتين كلتيهما ، وأنت تراهما ضلالة ، تعبد اللات والعزى ؟ وبايع البيعتين كلتيهما : بيعة الرضوان وبيعة الفتح ، وأنت يا معاوية بالاولى كافر ، وبالاخرى ناكث .

انشدكم بالله هل تعلمون ؟ انما اقول حقا ، انه لقيكم مع رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم بدر ، ومعه راية النبى ، ومعك يا معاوية راية المشركين تعبد اللات والعزى وترى حرب رسول الله والمومنين فرضا واجبا ، ولقيكم يوم احد ومعه راية النبى ومعك يا معاوية راية المشركين ، ولقيكم يوم الاحزاب ومعه راية النبى ومعك يا معاوية راية المشركين ، كل ذلك يفلح الله حجته ؟ ويحقق دعوته ، ويصدق احدوثته ، وينصر رايته ، وكل ذلك ورسول الله صلى الله عليه وسلم يرى عنه راضيا فى المواطن كلها ؟ ثم انشدكم بالله هل تعلمون ؟ ان رسول الله حاصر بنى قريظة ،

وبنى النضير ، ثم بعث عمر بن الخطاب ومعه راية المهاجرين ، وسعد بن معاذ ومعه راية الانصار ، فأما سعد بن معاذ فجرح وحمل جريحا ، وأما عمر فرجع وهو يجبن أصحابه ، ويجبنه أصحابه ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لاعطين الراية غدا رجلا يحب الله ورسوله ، ويحبه الله ورسوله ، كرارا غير فرار ، ثم لا يرجع حتى يفتح الله عليه ، فتعرض لها أبو بكر وعمر ، وغيرهما من المهاجرين والانصار ، وعلى يومئذ أرمد شديد الرمد ، فدعاه رسول الله صلى الله عليه وسلم فتفل فى عينيه فبرىء من الرمد فأعطاه الراية ، فمضى ولم يثن حتى فتح الله عليه بمنه وطوله ، وأنت يومئذ بمكة عدو لله ورسوله ، فهل يسوى بين رجل نصح لله ورسوله ورجل عادى الله ورسوله ؟ ! ثم أقسم بالله ما أسلم قلبك بعد ، ولكن اللسان خائف فهو يتكلم بما ليس فى القلب ، ثم أنشدكم بالله أتعلمون ؟ ! ان رسول الله صلى الله عليه وسلم استخلفه على المدينة فى غزوة تبوك ، ولا أسخطه ذلك ولا كرهه ، وتكلم فيه المنافقون فقال : لا تخلفنى يا رسول الله ، فانى لم أتخلف عنك فى غزوة قط ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أنت وصيى وخليفتى فى أهلى بمنزلة هارون من موسى . ثم أخذ بيد على ثم قال : أيها الناس من تولانى فقد تولى الله عز وجل . ومن تولى عليا فقد تولانى ومن أطاعنى فقد أطاع الله ، ومن أطاع عليا فقد أطاعنى ، ومن احبنى فقد أحب الله ، ومن أحب عليا فقد احبنى . ؟ أنشدكم بالله اتعلمون ؟ أن رسول الله قال فى حجة الوداع : ايها الناس انى قد تركت فيكم ما لم تضلوا بعده ، كتاب الله ، فأحلوا حلاله ، وحرموا حرامه ، واعملوا بمحكمه ، وآمنوا بمتشابهه ، وقولوا آمنا بما أنزل الله من الكتاب ، وأحبوا أهل بيتى وعترتى ووالوا من والاهم ، وانصروهم على من عاداهم ، وانهما لم يزالا فيكم حتى يردا على الحوض يوم القيامة ، ثم دعا عليا وهو على المنبر ، فاجتذبه بيده فقال : اللهم وال من والاه ، وعاد من عاداه ، اللهم من عادى عليا فلا تجعل له فى الارض مقعدا ، ولا فى السماء مصعدا ، واجعله فى أسفل درك من النار . أنشدكم بالله أتعلمون ! ؟ ان رسول الله قال له : انت الذائد عن حوضى يوم القيامة ، تذود عنه كما يذود أحدكم الغريبة من وسط ابله . أنشدكم بالله اتعلمون ! ؟ انه دخل على رسول الله صلى الله فى مرضه الذى توفى فيه فبكى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال على : ما يبكيك يارسول الله ؟ فقال : يبكينى انى أعلم : ان لك فى قلوب الرجال من أمتى ضغائن لا يبدونها حتى أتولى عنك . انشدكم بالله اتعلمون ! ؟ ان رسول الله حين حضرته الوفاة ، واجتمع اهل بيته قال :

اللهم هؤلاء أهلى وعترتى ، اللهم والى من والاهم وانصرهم على من عاداهم، وقال : انما مثل أهل بيتى فيكم كسفينة نوح ، من دخل فيها نجا ، ومن تخلف عنهـا غـرق ·

انشدكم بالله اتعلمون ! ؟ ان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قد سلموا عليه بالولاية فى عهد رسول الله وحياته · انشدكم بالله اتعلمون ! ؟ ان عليا اول من حرم الشهوات كليا على نفسه من اصحاب رسول الله ، فأنزل الله عز وجل : يا ايها الذين آمنوا لا تحرموا طيبات ما احل الله لكم ولا تعتدوا ان الله لا يحب المعتدين وكلوا مما رزقكم الله حلالا طيبا واتقوا الله الذى أنتم به مومنون » وكان عنده علم المنايا ، وعلم القضايا وفصل الخطاب · ورسوخ العلم · ومنزل القرآن وكان فى رهط لا نعلمهم يتمون عشرة نبأهم الله انهم به مومنون ، وأنتم فى رهط قريب مـن عدة اولائك ، لعنوا على لسان نبيه رسول الله ، فأشهد لكم وأشهد عليكم انكم لعناء الله على لسان نبيه أهل البيت أى الحاضرين · وانشدكم بالله هـل تعلمون ! ؟ ان رسول الله بعث اليك لتكتب لبنى خزيمة حين أصابهم خالد ابن الوليد ، فانصرف اليك الرسول ، فقال : هو ياكل ، فأعاد الرسول اليك ثلاث مرات ، كل ذلك ينصرف الرسول ويقول : هو ياكل ، فقـال رسول الله : اللهم لا تشبع بطنه · فهى والله فى نهمتك وأكلك الى يـوم القيامة . انشدكم بالله هل تعلمون ! ؟ انما اقول حقا انك يا معاوية كنت تسوق بأبيك على جمل أحمر ، ويقوده أخوك هذا القاعد ، وهـذا يـوم الاحزاب ، فلعن رسول الله الراكب والقائد والسائق ، فكان أبوك الراكب وانت يا أزرق السائق ، واخوك هذا القاعد القائد ·

ثم انشدكم بالله هل تعلمون ! ؟ ان رسول الله لعن أبا سفيان فى سبعة مواطن ، (1) حين ، خرج من مكة الى المدينة ، وابو سفيان جاء من الشام فوقع فيه أبو سفيان فسبه ، واوعده ، وهم أن يبطش به ، ثم صرفه الله عز وجل عنه (2) يوم العير حيث طردها أبو سفيان ، ليحرزها مـن رسول الله · (3) يوم أحد يوم قال رسول الله : الله مولانا ، ولا مولـى لكم ، وقال : أبو سفيان لنا العزى ولا عزى لكم ، فلعنه الله وملائكتـه ورسوله والمومنون أجمعون · (4) يوم حنين يوم جاء أبو سفيان يجمع قريش وهوازن ، وجاء عيينة بغطفان واليهود ، فردهم الله عز وجـل بغيظهم لم ينالوا خيرا هذا قول الله عز وجل له فى سورتين كلتيهما يسمى أبا سفيان وأصحابه كفارا ، وانت يومئذ يامعاوية مشرك على رأى أبيك

بمكة ، وعلى يومئذ مع رسول الله وعلى رأيه ودينه · (5) قول الله عــز وجل : والهدى معكوفا أن يبلغ محله » وهددت أنت وأبوك ومشركوا قريش رسول الله صلى الله عليه وسلم · فلعنه الله لعنة شملته وذريته الــى يوم القيامة . (6) يوم جاء أبو سفيان يجمع من قريش ، وجاء عيينة بـــن حصن بن بدر بغطفان ، فلعن رسول الله القادة والاتباع والساقة الى يوم القيامة ، فقيل يارسول الله ، أما فى الاتباع مومن ؟ فقال : لا تصيب اللعنة مومنا من الاتباع ، وأما القادة فليس فيهم مومن ولا مجيب ولا ناج · (7) يوم الثنية يوم شد على رسول الله صلى الله عليه وسلم باثنى عشر رجلا ، سبعة منهم من بنى أمية ، وخمسة من سائر قريش فلعن الله تبارك وتعالى ورسوله من حل الثنية غير النبى وسائقه وقائده · ثم أنشدكم بالله هل تعلمون ! ؟ ان أبا سفيان دخل على عثمان حين بويع فى مسجد رسول الله ، فقال : يا ابن أخى هل علينا من عين ؟ قال : لا ، فقال أبو سفيان : تداولوا الخلافة فتيان بنى أمية . فو الذى نفس أبى سفيان بيده مــا مــن جنـــة ولا نـــار ·

وانشدكم بالله أتعلمون ! ؟ ان أبا سفيان أخذ بيد الحسين حين بويع عثمان ، وقال يا ابن اخى اخرج معى الى بقيع الغرقد فخرج حتى اذا توسط القبور اجتره فصاح بأعلى صوته : يا أهل القبور ، الذى كنتم تقاتلوننا عليه صار اليوم بأيدينا وأنتم رميم ، فقال الحسين بن على قبح الله شيبتك وقبح وجهك ، ثم نتريده وتركه ، فلولا النعمان بن بشير أخذ بيده ورده الى المدينة لهلك · ومن لعنتك يا معاوية : ان اباك ابا سفيان كان يهم أن يسلم فبعث اليه بشعر معروف مروى فى قريش وغيرهم ، تنهاه عن الاسلام وتصده عنه ، أوتنسى يا معاوية قولك لابيك :

يا صخر لا تسلمن يوما فتفضحنا	بعد الذين ببدر أصبحوا مـــزقا
خالى وعمـــى وعـــم الام ثالثهم	وحنظل الخير قد أهدى لنا الارقا
لا تركنـــن الـــى أمـــر تكلفنـــا	والراقصات به فى مكة الخـــرقا
فالموت أهون من قول العداة لقد	حاد ابن حرب عن العزى اذا فرقا

ومن سيىء اعمالك ، ان عمر بن الخطاب ولاك الشام فخنت به ، وولاك عثمان فتربصت به ريب المنون ، ثم اعظم من ذلك انك قاتلت عليا ، خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم الحق وقد عرفت سوابقه وفضله وعمله ، على أمر هو أولى به منك ، ومن غيرك عند الله وعند الناس ، ولاد نية بل أوطئت الناس عشوة ، وارقت دماء خلق من خلق الله بخداعك

وكيدك وتمويهك ، فعل من لا يومن بالمعاد ولا يخشى العقاب ، فلما بلغ الكتاب اجله صرت الى شر مثوى ، وعلى الى خير منقلب ، والله لك بالمرصاد فهذا لك يا معاوية خاصة ، وما أمسكت عنه من مساويك وعيوبك فقد كرهت به التطويل ، فهل تستطيع أن ترد علينا شيئا ؟ .

وانت يا عمرو بن عثمان فلم تكن حقيقا لحمقك أن تتبع هذه الامور ، فانما مثلك مثل البعوضة ، اذ قالت للنخلة استمسكى فانى اريد ان أنزل عنك فقالت لها النخلة : ما شعرت بوقوعك فكيف يشق على نزولك ؟ وانى والله ما شعرت انك تحسن ان تعادى لى ، فيشق على ذلك ، وانى لمجيبك فى الذى قلت ، ان سبك عليا أبنقص فى حسبه ؟ أو تباعده من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، أو بسوء بلاء فى الاسلام ؟ او يجور فى حكم ، أو رغبة فى الدنيا ؟ فان قلت واحدة منها فقد كذبت ، وأما قولك : ان لك فينا تسعة عشر دما بقتلى مشركى قريش من بنى أمية ببدر ، فان الله ورسوله قتلهم ، ولعمرى ليقتلن من بنى هاشم تسعة عشر ، وثلاثة بعد تسعة عشر ثم يقتل من بنى امية تسعة عشر وتسعة عشر فى موطن واحد سوى ما قتل من بنى امية لا يحصى عددهم الا الله .

فان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : اذا بلغ ولد الوزغ ثلاثين رجلا اخذوا مال الله بينهم دولا ، وعباده خولا ، وكتابه دغلا ، فاذا بلغوا ثلاثمائة وعشرا حقت عليهم اللعنة ولهم ، فاذا بلغوا أربعمائة وخمسة وسبعين كان هلاكهم أسرع من لوك تمرة ، فأقبل الحكم ابن أبى العاص وهم فى ذلك الذكر والكلام . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اخفضوا أصواتكم فان الوزغ يسمع . وذلك حين رآهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن يملك بعده منهم امر هذه الامة . يعنى فى المنـــام ، وساءه ذلك وشق عليه ، فأنزل الله عز وجل فى كتابه : ليلة القدر خير من الف شهر » فأشهد لكم واشهد عليكم ، ما سلطناكم بعد قتل على الا الف شهر ، التى أجلها الله فى كتابه .

واما انت يا عمرو بن العاص الناشىء اللعين الابتر ، فانما انت كلب ، اول امرك ان أمك لبغية ، وانك ولدت على فراش مشترك فتحاكمت فيك رجال قريش ، منهم ابو سفيان بن حرب ، والوليد بن المغيرة ، وعثمان ابن الحارث والنضر بن الحارث بن كلدة ، والعاص بن وائل ، كلهم يزعم انك ابنه ، فغلبهم عليك من بين قريش الامهم حسبا ، وأخبثهم منصبا ، وأعظمهم بغية ، ثم قمت خطيبا وقلت : أنا شانىء محمد ، وقال العاص

ابن وائل : ان محمدا رجل أبتر ، لا ولد له ، فلو قد مات انقطع ذكره ، فأنزل الله تبارك وتعالى : ان شانئك هو الابتر » فكانت أمك تمشى الى عبد القيس لطلب البغية تاتيهم فى دورهم ورحالهم ، وبطون أوديتهم ، ثم كنت فى كل مشهد يشهد رسول الله عدوه اشدهم له عداوة ، وأشدهم له تكذيبا ، ثم كنت فى أصحاب السفينة الذين أتوا النجاشى ، والمهرج الخارج الى الحبشة فى الاشاطة بدم جعفر بن ابى طالب ، وسائر المهاجرين الى النجاشى فحاق المكر السىء بك ، وجعل جدك الاسفل ، وابطل امنيتك وخيب سعيك ، وأكذب أحدوثتك ، وجعل كلمة الذين كفروا السفلى ــ وكلمة الله هى العليا » وأما قولك فى عثمان فأنت يا قليل الحياء والدين الهبت عليه نارا ثم هربت الى فلسطين تتربص به الدوائر ، فلما أتاك خبر قتله حبست نفسك على معاوية ، فبعته دينك يا خبيث بدنيا غيرك ، ولسنا نلومك على بغضنا ، ولا نعاتبك على حبنا ، وأنت عدو لبنى هاشم فى الجاهلية والاسلام ، وقد هجوت رسول الله فى سبعين بيتا من شعر ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : اللهم انى لا أحسن الشعر ولا ينبغى لى أن أقوله ، فالعن عمرو بن العاص بكل بيت الف لعنة . فعليك اذا من الله مالا يحصى من اللعن ، وبالله ما نصرت عثمان حيا ، ولا غضبت له مقتولا ، ويحك يا ابن العاص ، ألست القائل : فى بنى هاشم ؟ لما خرجت من مكة الى النجاشى .

تقول ابنتى أين هـذا الرحيل ... وما السير منى بمستنكـر »
فتبوا الوليد منزل كفر ... وعلى تبوا الايمانا »
ليس من كان مومنا يعبد الله ... كمن كان فاسقا خوانا
سوف يدعى الوليد بعد قليل ... وعلى الى الجزاء عيانا
فعلى يجزى هناك جنانا ... وهناك الوليد يجزى هوانا

وما أنت وذكر قريش ، وانما أنت ابن عليج من أهل صفرية يقال له ذكوان وأما زعمك انا قتلنا عثمان ، فو الله ما استطاع طلحة والزبير وعائشة ان يقولوا ذلك لعلى بن أبى طالب ، فكيف تقوله انت ! ؟ ولو سألت امك من أبوك ؟ اذ تركت ذكوان ، فألتصقتك بعقبة بى أبى معيط ، اكتسبت بذلك عند نفسها سناء ورفعة ، مع ما أعد الله لك ولابيك ولامك من العار والخزى فى الدنيا والآخرة ، وما الله بظلام للعبيد .

ثم أنت يا وليد ــ والله أكبر فى السن ممن تدعى له النسب فكيف تسب عليا ؟ ولو اشتغلت بنفسك لبينت نسبك الى أبيك لا الى من تدعى

له ، ولقد قالت لك أمك : يا بنى ابوك — والله الام وأخبث من عقبة .

واما انت ياعتبة بن ابى سفيان ، فو الله ما انت بحصيف فأجاوبك ولا عاقل فأعاتبك ، وما عندك خير يرجى ، ولا شر يخشى ، وما كنت لو سببت عليا لاغار به عليك ، لانك عندى لست بكفء لعبد عبد على بن ابى طالب كرم الله وجهه ، فأرد عليك وأعاتبك ، ولكن الله عز وجل لك ولابيك وأمك واخيك بالمرصاد ، فانت ذرية آبائك الذين ذكرهم الله فى القرآن فقال : عاملة ناصبة تصلى نارا حامية تسقى من عين آنية ليس لهم طعام الا من ضريع لا يسمن ولا يغنى من جوع » وأما وعيدك اياى بقتلى ، فهلا قتلت الذى وجدته على فراشك مع حليلتك ، وقد غلبك على فرجها ، وشارك فى ولدها ، حتى الصق بك ولدا ليس لك ، ويلا لك لو شغلت نفسك بطلب ثارك منه كنت جديرا وبذلك حريا ، اذ تسومنى القتل ، وتوعدنى به ، أما تستحيى من قول نصر بن الحجاج فيك ! ؟ :

يا للرجال وحادث الازمان	ولسبة تخزى ابا سفيان
نبئت عتبة هيأته عرسه	لصداقة الهذلى من اللحيان
الفاه معها فى الفراش فلم يكن	فحلا وأمسك خشية النسوان
لا تعتبن يا عتب نفسك حبها	ان النساء حبائل الشيطان

ولا ألومك أن تسب عليا ، وقد قتل أخاك مبارزة ، واشترك هو وحمزة بن عبد المطلب فى قتل جدك ، حتى أصلاهما الله على ايديهما نار جهنم ، واذاقهما العذاب الاليم ، ونفى عمك بأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم . واما رجائى الخلافة فلعمر الله لئن رجوتها فان لى فيها لملتمسا ، وما انت بنظير أخيك ولا خليفة أبيك ، لان أخاك اكثر تمردا على الله ، واشد طلبا لاراقة دماء المسلمين ، وطلب ما ليس له بأهل ، يخادع الناس ويمكرهم ويمكر الله ، والله خير الماكرين . واما قولك ان عليا كان شر قريش لقريش ، فو الله ما حقر مرحوما ، ولا قتل مظلوما .

واما انت يا مغيرة بن شعبة ، فانك لله عدو ، ولكتابه نابذ ، ولنبيه مكذب وانت الزانى وقد وجب عليك الرجم ، وشهد عليك العدول البررة الاتقياء فأخر رجمك ، ودفع الحق بالباطل ، والصدق بالاغاليط وذلك لما أعد الله لك من العذاب الاليم ، والخزى فى الحياة الدنيا ولعذاب الآخرة أخزى ، وانت ضربت فاطمة بنت رسول الله حتى أدميتها ، والقيت ما فى بطنها ، استذلالا منك لرسول الله صلى الله عليه وسلم ومخالفة منك لامره ، وانتهاكا لحرمته ، وقد قال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم

انت سيدة نساء اهل الجنة . والله مصيرك الى النار ، وجاعل وبال مـــا نطقت به عليك ، فلاى الثلاثة سببت عليا ؟ أنقصا فى حسبه ، ؟ ام بعدا من رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ ام سوء بلاء فى الاسلام ؟ ام جورا فى حكم ؟ ام رغبة فى الدنيا ؟ ان قلت بها فقد كذبت ، وكذبك الناس ، اتزعم ان عليا قتل عثمان مظلوما ؟ فعلى والله اتقى وانقى من الائمة فى ذلك ، ولعمرى ان كان على قتل عثمان مظلوما فو الله ما انت من ذلك فى شىء ، فما نصرته حيا ، ولا نصبت اليه ميتا ، وما زالت الطائف دارك ، تتبـــع البغايا ، وتحيى امر الجاهلية وتميت الاسلام حتى كان فى امس ما كان ، وأما اعتراضك فى بنى هاشم وبنى امية ، فهو ادعاؤك الى معاوية ، وأما قولك فى شأن الامارة وقول اصحابك فى الملك الذى ملكتموه ، فقد ملك فرعون مصر اربعمائة سنة ، وموسى وهارون نبيان رسولان ، يلقيان ما يلقيان ، وهو ملك الله يعطيه البر والفاجر ، وقال الله عز وجل : وان ادرى لعله فتنة لكم ومتاع الى حين » وقال : واذا اردنا ان نهلك قرية امرنا مترفيها ففسقوا فيها فحق عليها القول فدمرناها تدميرا » انتهى .

ثم قام الحسن فنفض ثيابه رضى الله عنه وهو يقول : الخبيثات للخبيثين والخبيثون للخبيثات » هم والله يا معاوية انت واصحابك هؤلاء وشيعتك . والطيبات للطيبين والطيبون للطيبات أولائك مبرءون مما يقولون لهم مغفرة واجر كريم » هم على بن ابى طالب واصحابه وشيعته ، ثم خرج وهو يقول : ذق وبال ما كسبت يداك ، وما جنيت ، وما قد أعد الله لك ولهم من الخزى فى الحياة الدنيا والعذاب الاليم فى الآخرة . وهذا الذى ذكرنا انما هو زاوية من بعض شمائله المنطوية عليها بطون الكتب لمن أراد ان يتعرف على ذلك ومنها كتاب كلمة الامام الحسن .

فقال معاوية لاصحابه : وأنتم فذوقوا وبال ما قد جنيتم ، فقال لـــه الوليد بن عقبة : والله ما ذقنا الا كما ذقت ، ولا اجترا الا عليك ، فقـــال معاوية : الم اقل لكم انكم لن تنتصفوا من الرجل ، فهل أطعتمونى أول مرة ؟ او انتصرتم من الرجل اذ فضحكم ؟ والله ما قام حتى أظلم على البيت ، وهممت ان اسطوبه ، فليس فيكم خير اليوم ولا بعد اليوم .

وسمع مروان بن الحكم بما لقى معاوية واصحابه المذكورون من الحسن ابن على رضى الله عنهما ، فأتاهم فوجدهم عند معاوية فى البيت ، فسألهم ما الذى بلغنى عن الحسن وزعله ؟ قالوا قد كان ذلك ، فقال لهم مروان : فهلا أحضرتمونى ذلك ، فو الله لاسبنه ولاسبن اباه واهل البيت سبا تغنى

به الاماء والعبيد ، فقال معاوية والقوم لم يفتك شيء ، وهم يعلمون من مروان بذء لسان وفحش ، ــ فقال مروان : فارسل اليه يا معاويـــة ، فأرسل معاوية الى الحسن ، فلما جاءه الرسول ، قال له الحسن : ما يريد هذا الطاغية منى ؟ والله لئن اعاد الكلام لاوقرن مسامعه ، ما يبقى عليه عاره وشناره الى يوم القيامة .

ثم اقبل الحسن عليه السلام ، فلما ان جاءهم وجدهم بالمجلس على حالتهم التى تركهم عليها ، غير أن مروان قد حضر معهم . فمشى الحسن حتى جلس على السرير مع معاوية وعمرو بن العاص ، ثم قال الحسن : لمعاوية ، لم ارسلت الى ؟ فقال لست انا ارسلت اليك ، ولكن مروان هو الذى أرسل اليك فقال مروان : أنت يا حسن السباب رجال قريش ! فقال : وما الذى اردت ؟ قال : والله لاسبنك واباك واهل بيتك ، سبا تغنى به الاماء والعبيد ، فقال الحسن : اما أنت يا مروان ، فلست انا سببتك ولا سبيت اباك ، ولكن الله عز وجل لعنك ولعن اباك واهل بيتك وما خرج من صلب أبيك الى يوم القيامة ، على لسان نبيه محمد صلى الله عليه وسلم والله يا مروان ما تنكر انت ولا أحد ممن حضر هذه اللعنة مـــن رسول الله صلى الله عليه وسلم لك ولابيك من قبلك . وما زادك الله يا مروان بما خوفك الا طغيانا كبيرا صدق الله وصدق رسوله اذ يقول : والشجرة الملعونة فى القرآن ونخوفهم فما يزيدهم الا طغيانا كبيرا » وانت يا مروان وذريتك الشجرة الملعونة فى القرآن عن رسول الله صلى الله عليه وسلم . فوثب معاوية فوضع يده على فم الحسن عليه السلام وقال : يا أبا محمد ما كنت فحاشا ، فنفض الحسن ثوبه وقام وخرج فتفرق القوم عن المجلس بغيظ وحزن وسواد الوجوه . انتهى .

بيت الامـــام الحســـن (ض)

يشتمل بيت الامام الحسن السبط رضى الله عنه على ما ياتى من الاولاد الذكور ، وهم : (1) الحسن المثنى امه خولة بنت منظور بن زيان ابن حيان الفزارى وامها مليكة بنت خارجة بنت سنان المرية . (2) زيـــد ، الشهير ، ولم نعثر على اسم امه ولعلها لم تكن حرة ، وزيد هذا هـــو الذى يقول فيه الشاعـــر :

وزيد ربيع الناس فى كل شتـــوة — اذا اختلفت أنواؤهـــا ورعودها
حمـــول لانسان الديات كأنـــه — سراج الرجا اذ قارنته سعودها

وفيه يقول قدامة احد بنى جمح :

فان يكن زيد عالت الارض شخصه   فقد بان معروف هناك وجود »

و (3) حسين الاكرم ، وشقيقه الآتى امهما واحدة وهو فى الترتيب ٠ (4) المسمى عبد الله و (5) أبو بكر ، وشقيقاه الآتيان وهما فى الترتيب ٠ (6) عبد الرحمن و (7) القاسم ٠ امهم ام ولد ٠ ولا بقية لهم ٠ (8) طلحة امه ام اسحاق بنت طلحة بن عبد الله الانصارى ، وامها بنت قسامة الطائية (9) عمر أمه ثقفية ، وهى ام عبد الله تزوجها على بن الحسين الملقب زين العابدين ، ويقال أم ولد ٠ وزاد ابن حزم فى جمهرته : محمدا ٠ وجعفرا ، وحمزة ٠ وعليه فهم اثنا عشر ذكرا ومن الحسن وزيد رضى الله عنهما العقب الكثير ، والبيت العامر ، والعدد الوافر ، وأما عبد الله والقاسم وأبو بكر فانهم ماتوا فى معركة الحسين بكر بلاء ، ولهم اخوة بنات لا حاجة لذكرهن ٠ وكان الحسن المثنى وصى أبيه ، وولى صدق على على بن الحسين زين العابدين ٠ وكانا يعاصران من الامويين (عبد الملك بن مروان) ولذلك سال الحجاج بن يوسف الثقفى لما كان عاملا على المدينة عمه عمر بن على بن ابى طالب ، فى الوصية فأبى ، ولما الح عليه فى ذلك ٠ ذهب الى دمشق ودخل على الخليفة عبد الملك بن مروان ، فرحب به ، وكان الامام الحسن المثنى قد أسرع اليه الشيب ، فقال له عبد الملك : لقد اسرع اليك الشيب فقال كاتبه يحيى بن الحكم شيبته أمانى العراق الذين يقدمون عليه كل عام يمنونه الخلافة ، فقال له : ليس كما قلت ! اننا اهل البيت يسرع الينا الشيب ٠ فسأله عما قدم له ، فأخبره بما سأله الحجاج ، فكتب له ان يمسك عنه ووصله ، ثم لقى يحيى بن الحكم ، فقال له : ما حملك على ما قلت ؟ قال : النظر لك ، والله لولا خوفه منك ما قضى حاجتك ، وكان الحسن هو الذى ياخذ عطايا اهل البيت ويوزعها عليهم ٠ وسيأتى الكلام على بيته بعد الكلام على الجناح الاول الحسينى من اعقاب السبطين رضى الله عنهما ٠

حادثة قتل الامام الحسن

كان سبب وفاة الامام الحسن ما كان يخشاه يزيد بن معاوية من رجوع الامر الى الحسن بعد موت أبيه معاوية ، وكانت المعاهدة المتقدمة كفيلة برجوع الامر اليه ، وقد كان فى علمه ان عليها طابع معاوية الخليفة وامضاءه وكل ذلك كان تحت يد الامام الحسن حسبما أبرم بين الطرفين

عند عقد الصلح ، وكان يزيد لا يتمتع بسمعة طيبة فى الاوساط الشعبية ، عكس الامر الذى عليه خصمه الامام الحسن . ومن اجل ذلك دس يزيد لبعض زوجات الامام الحسن ، وهى زوجه ، جعدة بنت الاشعث بن قيس الكندى ، وعاهدها ومناها انها ان فعلت وقتلت الامام الحسن انه يتزوجها، وبذل لها مائة الف درهم فأطعمته سما فمرض (40) يوما وتوفى ، وبعد موته بعثت اليه تطلب منه الوفاء بما وعدها ، فقال لها : لم تصنعى الخير مع ابن رسول الله ومن هو خير منى فكيف تصنعينه معى ! وكان جزاء الخيانة والغدر ان باءت بالحرمان من كل ما منتها نفسها الماكرة بابن رسول الله .

ولما حضرته الوفاة اجتمع اليه الناس وقال : ايها الحاضرون ، اسمعوا وانصتوا لما اقول لكم الآن : هذا الحسين اخى امام بعدى فلا امام غيره ، الا فليبلغ الحاضر الغائب ، والوالد الولد ، والحر العبد ، والذكر الانثى وهو خليفتى عليكم ، لا أحد يخالفه منكم ، فمن خالفه فقد كفر ، نحن ريحانتا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وسيدا شباب اهل الجنة ، فلعن الله من يتقدم ، او يتقدم علينا أحدا ، وانى ناص عليه كما نص رسول الله صلى الله عليه وسلم على امير المومنين على رضى الله عنه ، وكما نص ابى على ، وهو الخليفة بعدى من الله ورسوله ، ثم أوصيك يا أخى بأهلى وولدى خيرا ، واتبع ما اوصى به جدك عليه السلام ، وابوك وأمك رضوان الله عليهما ، ثم التفت الى أخيه محمد بن الحنفية ، وقال له : يا محمد بن على ، اما علمت ان الحسين بن على بعد وفاة نفسى ، ومفارقة روحى جسمى ، امام من بعدى ، وعند الله فى الكتاب الماضى وراثة النبى اصابها فى وراثة ابيه وامه ، علم الله انكم خير خلقه ، فاصطفى منكم جدنا محمدا صلى الله عليه وسلم ، واختار محمد عليا ، واختارنى على للامامة واخترت انا اخى الحسين لها ، ثم قال له : يا أخى ان هذه آخر ثلاث مرات سقيت السم ، ولم أسقه مثل مرتى هذه ، وأنا ميت من يومى وجهد به أخوه يخبره بمن سقاه السم ، فلم يخبره بمن سقاه ، وقال له : الله اشد نقمة ان كان الذى اظن ، والا فلا يقتل بى والله برىء ، وفى رواية اخرى : يا اخى قد حضرت وفاتى ، ودنا فراقى لك ، وانى لاحق بربى واجد كبدى تتقطع ، وانى لعارف من أين دهيت ، فأنا اخاصمك الى الله تعالى ، فبحقى عليك لا تكلمت فى ذلك بشىء ، فاذا انا قضيت نحبى فغسلنى وقمصنى ، وكفنى ، واحملنى على سريرى الى قبر جدى

رسول الله صلى الله عليه وسلم لاجدد به العهد ثم ردنى الى قبر جدتى فاطمة بنت اسد ، وفى رواية ثم اصرفنى الى امى فاطمة ، ثم ردنى وادفنى بالبقيع هناك ، واقسم عليك بالله ان لا تريق فى امرى بجة دم . وفى رواية ابن عبد البر ، انى يا اخى : سقيت السم ثلاث مرات ، لم اسقه مثل هذه المرة ، فقال : من سقاك ؟ قال : ما سؤالك عن هذا ؟ تريد أن تقاتلهم ؟ اكل أمرهم الى الله . وفى رواية أخرى ، لقد سقيت السم مرارا ، ما سقيته مثل هذه المرة ، ولقد لفظت طائفة من كبدى ، فرايتنى اقلبها بعود ، فقال له الحسين : اى اخى من سقاك ؟ قال : وما تريد اليه ؟ تريد ان تقتله ؟ قال : نعم . قال لئن كان الذى أظن فالله اشد نقمة ، وان كان غيره فلا يقتلن بى برىء ، ورأى فى منامه كأنه مكتوب بين عينيه قل هو الله أحد . فاستبشر به هو وأهل بيته ، فقصوها على ابن المسيب فقال : ان صدقت رؤياه فقل ما يبقى من اجله ثم قال فى آخر وصاياه : حفظكم الله . استودعكم الله — خير خليفة من بعدى عليكم ، وكفى به خليفة ، وانى منصرف عنكم ، ولاحق بجدى وابى وامى واعمامى ، ثم قال : عليكم السلام ياملائكة ربى ورحمة الله تعالى وبركاته . فلفظ آخر انفاسه من الدنيا . وفى رواية وصلى عليه سعيد بن العاص ، لانه كان واليا على المدينة من قبل معاوية ، ودفن عند جدته فاطمة بنت اسد بالبقيع، ولا قبة اليوم به ، توفى سنة (46) قمرية من الهجرة . والاصح ان عمره (47) سنة ، عاش منها فى عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم (8) اعوام ، وعاش مع ابيه على (38) وستة اشهر ، وستة أخرى خليفة بعد ابيه رضى الله عنهما وحاصله : انه عاش فى حياة النبى صلى الله عليه وسلم (8) سنوات وفى حياة ابيه على رضى الله عنه (29) سنة ، وفى حياة معاوية رضى الله عنه (10) سنين ، فسنه رضى الله عنه يتراوح بين (47) او (48) سنة .

اقول : لو قدر الله وجود الامام الحسن فى احدى دولة من دول العالم ، لعدوه من كبار الساسة ولعظموه ولاكرموه ، ولكتبوا تاريخه بماء الذهب ، نظرا لما ضحى به من حقه الذى كان بيده فى سبيل المصلحة العامة وجمع كلمة المسلمين ، حتى سمى العام عام الجماعة وقد كان فى وسعه أن يغامر ويخاطر بحياة الكثير من المسلمين ، اما الى قمة النصر والسعادة الدنيوية ، واما الى اسفل الثرى والاستراحة من الحياة المريرة تحت رحمة من كان يراهم من الاوباش ، وليسوا بأهل لتقليد منصب خلافة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وماذا عساه ان يلحقه من مكر على

أيديهم بسبب تنازله عن حق كان بيده لاصلاح ذات البين بين جماعة المسلمين ولكنه رضى الله عنه آثر المصلحة العامة على مصلحته الخاصة وتحمل ما قد تحمله ، فتنازل عن حقه لله ورسوله امتثالا وتحقيقا لمعجزة رسول الله صلى الله عليه وسلم ابتغاء رضوان الله ، ورضى لان يكون سيدا لشباب اهل الجنة فى الجنة . وفى سبيل ذلك قد تحمل محتسبا من اهانات قومه ما تدك له الجبال الشوامخ ، وما كاد ينزل عن منبر الخطابة بعد التنازل والبيعة لمعاوية حتى تلقاه من كانوا على غير رايه بالفاظ لا يستطيع تحملها من كان له أدنى شرف فى قومه ، كمثل : السلام عليك يامذل المومنين، وهو يجيب تارة ، كرهت ان اقتلكم على الملك وكمثل السلام عليك يا عـــار المومنين ، فيجيب : العار خير من النار . هذا بالاضافة الى اهانة بنود المعاهدة ووقوع الخفر فى الكثير منها . وما لحق ذلك من الانتقام الشنيع باهله وشيعته ، وكل ذلك قد تحمله وعاشه حياته هذا السياسى العظيم ، ولو قدر مسلمو عصره فمن بعدهم موقفه حق قدره لاقاموا له ذكريات فى محافل السياسيين فى مختلف انحاء الدنيا ، افتخارا بالسياسيين الروحيين فى الاسلام الخاضعين لمشيئة الدولة فى سبيل النفع العام ، ولكان ذلك قليلا فى حقه ، ولكنه تخليدا لمجد السياسيين الروحيين فى الاسلام ، وليس من الغريب تاريخا قتل هذه الروح من طرف أعداء الاسلام فى مثل الامام الحسن الكنز الصامت ، وقد دلت التجارب على ان الطنين لا يكون الا للطبل ولكل شىء أجوف ، لا للكنز الصامت ، وذلك الصمت سنة موروثة فى اهل البيت الكرام رضوان الله عليهم .

فالسياسة عند فلاسفة اليونان : سقراط وتلميذيه افلاطون وارسطو هى ترويض النفس ترويضا يجعل الفرد اقدر على النفع فى معالجة الشؤون العامة ، واشترط فى رجل السياسة سمو الاخلاق والاقدام على التضحية فى سبيل النفع العام ، والخضوع الصادق لمشيئة الدولة . اقول واقـــول صادقا لم توجد هذه الصفات فى احد من ساسة العالم عبر تاريخ البشرية ، لا فى القديم ولا فى الحديث من عصر افلاطون الى الآن وما بعد الان ، وقد كان الامام الحسن مثالا فذا لها ، ولو لم يكن الامام الحسن مثالا لهـــا لبقى كلام الفلاسفة حبرا على ورق مجردا عن المعنى والمفهوم ، اذ مفهوم السياسة عند حكماء البشر لم يجد له محلا الا فى هذا العصر الاسلامى ، وفى شخص الامام الحسن على الخصوص ، لان واقع ساسة العالم يشهد عليهم انهم كلهم أعرضوا وتباعدوا عن هذا النوع من السياسة لانه لا يخدم اغراضهم ومصالحهم الخاصة . واخذوا بسياسة حكم الضب بين الثعلب

والارنب لما تحاكما اليه فى جحره الا وهى قوله لهما : « كل لنفسه بغى الخير » ثم قال الارنب احكم بيننا قال فقد حكمت . لما انطوى عليه هذا النوع الاخير من الاستبداد السياسى الكفيل بتقديم المصلحة الخاصة ، لانه حكم ضب أصدره من داخل جحره لما فيه من المساواة بين الظالم والمظلوم ولذلك لقى القبول ورحب به كل ساسة العالم ، وتبارزوا فيه فتجلت الاسبقية لمن كان بارعا فى حبك الحيل عن طريق المكر والخداع ، والعمل على التفنن المتفوق فى ذلك فاصبحت البشرية منذ العهد القديم خاضعة لتشريع الغاب وسياسة الثعلب ، وصار الحق الى جانب القوى ، والباطل الى جانب الضعيف ومن ثم قيل « ويل للضعيف » لانه أصبح كبشا سمينا بين يدى القوى . ومن أجل هدم هذا الشر واعطاء البشرية سعادتها جاء الدين الاسلامى فاسس معالم الحق عن طريق التشريع السماوى وعرف البشرية حقها وسعادتها ، واستمر الرسول صلى الله عليه وسلم فى تطبيق ما تلقاه عن ربه حياته ، وتبعه على ذلك رجال الحق والعدل الذين أجمعت الامة على فضلهم فأدوا الامانة كما يجب ، وهؤلاء هم الخلفاء الراشدون الذين كان آخرهم الامام الحسن ، فمرت بالاسلام هزات عنيفة كادت تأتى على كيانه لولا تنازل الامام الحسن ، فتسلم زعامة الامة الاسلامية اولائك الذين رجعوا به الى سياسة المكر والخداع ، وتقديم تشريع الغاب على التشريع السماوى الذى جاء لمساواة البشر فى سياسة العدل ، وسعادة الحياة ، فوضعوه بجانبهم كرصيد تاريخى للعلم والعرفان ، وتقدموا فى تطبيق شريعة الغاب وراء هواهم ، كأن هذه البشرية لا تصلح الا لتشريع الغاب وسياسة الثعلب ، وحجتهم فى ذلك ان العالم كله على هذا : والله من ورائهم محيط » وسيعلم الذين ظلموا اى منقلب ينقلبون » وكان اختيار معاوية لسياسة المكر والخداع فى محاربة على وابنه الحسن لعلمه بأنهما لا يشاركانه فى ذلك ، وكان على رضى الله عنه على علم بما هو عليه خصمه معاوية ، ولذلك قال لهم يوم صفين لما رفعت المصاحف على الرماح انها مكيدة ، غير أن قواد الجند لم يطاوعوه على متابعة الحرب ، وكان تطبيق التشريع السماوى اكبر عائق فى وجه الامام على من الخروج الى سياسة المكر والخداع الذى كان يعلمه على خصمه ، وهو الذى كان يمنعه من ان يكون أدهى سواس العالم ، لانه كان فى أحواله السياسية يرى انه كلما اشتدت الحال الى ارتكاب مالا يحل من هذه السياسة الماكرة لربح المعركة كان يقول رضى الله عنه : الكلمة المأثورة عنه ، وهى : « لولا التقى لكنت أدهى العرب » ويوخذ من هذه الكلمة ان تقوى الله والخوف منه على حقوق

عباده ، هو الذى كان يحول بينه وبين ان يكون داهيا من دهاة العرب ، وبموته وموت ابنه الحسن رضى الله عنهما سدت الباب على هذا النوع من السياسة الدينية السقراطية فى ذلك العهد ، ومن ثم لم يعمل بها أحد الى اليوم وما بعد اليوم . لا بين المسلمين ولا بين غيرهم ، لانهم ذهبوا بالاجماع الى استحسان الدهاء فى اسلوب الحيل عن طريق الغدر والمكر والخداع ودابوا على العمل به ولم يلتفتوا الى سواه ، معتمدين فى ذلك على رأى واحد ، وهو قولهم : « الغاية تبرر الوسيلة » .

وقد كان تنازل الامام الحسن فاتحة خير على الاسلام والمسلمين فى اجتماع كلمتهم على معاوية ، رضى الله عنه وتوحيد قوتهم ، وبذلك رجعت للاسلام قوته ومجده ، فراى الخليفة ان لا مناص من استخدام هذه القوة فى افتتاح الاقطار المجاورة وغيرها ، ثم شرع فى تنظيم تلك القوى وبعثها ففتحت البلدان شرقا وغربا وشمالا ، وسرعان ما اكتسح الاسلام ما يقرب من نصف القارة الاسيوية ، ثم كانت نهاية الدولة الاموية سنة (131) هجرية ، فجاء بعدها دور الدولة العباسية وكان ابتداؤها سنة (132) هجرية ، وبعد ان مركزت نفسها واخذت مكانتها ووحدت كلمتها شرعت فى تنظيم الجيوش وتوجيهها فى افتتاح البلاد شرقا وغربا وسرعان ما استولت على ما يقرب من نصف الكرة الارضية ، من آخر نقطة فى بلاد ما وراء نهر جيحون ، وأذربجان ، وتركيا واربا وافريقيا الى ما وراء نهر السند الى جزر أندنيسيا والفلبين والصين ، كل ذلك فى مدة لا تتجاوز ربع قرن من الزمان ، ولم يكن الفتح الاسلامى فى ذلك كله معتمدا على قوة السلاح والقهر والغلبة ، وانما كان معتمدا على توحيد البشر بأسلوب الاقناع تحت راية القرآن الكريم ، ليعيش كل البشر على التساوى فى طاعة الله وعدالة القرآن ، بدلا من ظلم الانسان لاخيه وطاعة الشيطان ، وتلك هى غاية تنازل الامام الحسن رضى الله عنه وصبره وحنكته السياسية ، وتبصره الحكيم ، حيث فاز بان صدق عليه تعريف السياسة لاعظم فيلسوف عرفه الشرق والغرب والعرب والعجم ، « سقراط » الذى يقرأ العالم اليوم كتبه على وجه الاستطلاع ، ومعرفة ما كان عليه القوم فى حياتهم .

مصير الحسين بعـد أخيـه الحسـن

لبث الامام الحسين رضى الله عنه وصيا واماما لاهل البيت مـدة عشر سنوات فى خلافة معاوية رضى الله عنه الا ان يزيد لم يكن مرتاح

البال من جهته بسبب التأييد الذى يلقاه من طرف شيعته وشيعة اخيه وابيه ، الا ان اباه معاوية وضع له تصميما قبل موته ، وقد تجلى فى وصية أوصاه بها ، وهذا نصها : لست اخاف ان ينازعك فى هذا الامر الا اربعة من قريش : (1) الحسين بن على ، وهو رجل خفيف ، ولن يتركه اهل العراق حتى يخرجوه ، فان خرج وظفرت به فاصفح عنه ، فان له رحما ماسة ، وحقا عظيما ، وقرابة من محمد صلى الله عليه وسلم . و (2) عبد الرحمن بن ابى بكر فان رأى اصحابه صنعوا شيئا صنع مثله ليس له همة الا فى النساء واللهو . و (3) عبد الله بن عمر فانه وقدته العبادة ، فاذا لم يبق احد غيره بايعك . و (4) عبد الله بن الزبير وهو الذى سيجثم لك جثوم الاسد ، ويراوغك مراوغة الثعلب فذاك هو ابن الزبير ، فان هو فعلها وظفرت به ، فاقطعه اربا اربا . واحقن دماء قومك ما استطعت . وبهذا نص على هؤلاء المخالفين الذين خاف منهم الخروج على ابنه يزيد ، وقد كان ذلك كله كما أوصى به رضى الله عنه والامر يومئذ لله .

نهاية الامام الحسين

كانت حادثة قتله من معجزاته صلى الله عليه وسلم اذ اخبر بها قبل وقوعها وهى من قبيل الاخبار عن المغيبات التى اطلعه الله عليها ، لقوله تعالى : فلا يظهر على غيبه احدا الا من ارتضى من رسول » ولا ريب ان الله تعالى ارتضاه واطلعه على ما شاء من غيبه ، والممنوع عليه هو ان يطلع على الغيب من غير اطلاع الله له عليه . كما اخبر عن قتل ابيه واخيه ، وكان هو رضى الله عنه تبعا لهما ، فان كل واحد من هؤلاء الائمة الثلاث كان عالما بمقتله عن النبى صلى الله عليه وسلم : وما ينطق عن الهوى ان هو الا وحى يوحى » وقد نفذ ذلك كله على مرأى ومسمع ممن كان يعلم منهم ذلك . من ذلك ما اخرجه البغوى فى معجمه من حديث أنس : ان النبى صلى الله عليه وسلم قال : استاذن ملك القطر ربه أن يزورنى فاذن له ، وكان فى يوم ام سلمة ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا ام سلمة ، احفظى علينا الباب لا يدخل احد ، فبينما هى على الباب اذ دخل الحسين فاقتحم فوثب على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يلثمه ، أى يقبله ، فقال له الملك : اتحبه ؟ قال : نعم قال : ان امتك ستقتله ، وان شئت أريك المكان الذى يقتل به ، فاراه ، فجاء بسهلة — بكسر السين — رمل خشن ، او تراب احمر

فأخذته ام سلمة فجعلته فى ثوبها ، قال ثابت : كنا نقول : انها كربلاء .
وروى ان الملك جبريل ، وزاد فيها انه صلى الله عليه وسلم شمها وقال :
ريح كرب وبلاء . وفى رواية اخرى لابن احمد فى زيادة المسند ، قالت ثم
ناولنى كفا من تراب احمر ، وقال : ان هذا من تربة الارض التى يقتل بها ،
فمتى صار دما فاعلمى انه قد قتل ، وقالت ام سلمة : فوضعته فى قارورة ،
وكنت اقول : ان يوم يتحول دما ليوم عظيم . وفى رواية عنها فاصبته يوم
قتل الحسين وقد صار دما . وفى رواية اخرى ، ثم قال : اى جبريل : الا
اريك تربة مقتله ؟ فجاء بحصيات ، فجعلهن رسول الله صلى الله عليه
وسلم فى قارورة ، قالت ام سلمة : فلما كانت ليلة قتل الحسين سمعت
قائلا يقول :

ايها القاتلون حسينا ابشروا بالعذاب والتذليل
قد لعنتم على لسان ابن داو د وموسى وحامل الانجيل

قالت فبكيت وفتحت القارورة ، فاذا الحصيات جرت دما . اه

وفى رواية اخرى ان عليا رضى الله عنه مر بكر بلاء فى مسيره
الى صفين وحاذى نينوى ، قرية الرجل الصالح يونس بن متى ، على
الفرات فوقف وسأل عن اسم هذه الارض ، فقيل كربلاء فبكى ، ثم قال :
دخلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يبكى فقلت ما يبكيك
يا رسول الله قال : كان عندى جبريل آنفا واخبرنى ان ولدى الحسين
يقتل بشاطىء الفرات ، بموضع يقال له : كربلاء ، ثم قبض جبريل قبضة
من تراب شمنى اياه فلم املك عينى أن فاضتا . ورواه الامام احمد مختصرا
عن على قال: دخلت على النبى صلى الله عليه وسلم ، وذكر الحديث .
وروى غيره ان عليا مر بمشهد الحسين فقال : ها هنا مناخ ركابهم ، وها هنا
موضع رحالهم ، وها هنا مهراق دمائهم ، فتية من آل محمد يقتلون بهذه
العرصة ، تبكى عليهم السماء والارض . وهناك روايات اخرى فلسنا فى
حاجة الى استقصائها وكان سبب موته رضى الله عنه انه لما مات معاوية
فى فاتح رجب سنة (60) هجرية وقد كان قبل موته اخذ البيعة لابنه يزيد ،
بطريق القهر والجبروت ، امر بجمع عام حضره كبار الصحابة ، فجاء مما
قال فيه معاوية : ايها الملا المجتمعون للبيعة انى احببت ان اتقدم اليكم ،
وانه قد اعذر من انذر ؟ انى كنت اخطب فيكم فيقوم الى القائم منكم فيكذبنى
على رئوس الناس فأحمل ذلك فأصفح ، فانى قائم بمقالة ، فأقسم بالله
لئن رد على احد منكم كلمة فى مقامى هذا لا ترجع اليه كلمة غيرها حتى

يسبقها السيف الى راسه فلا يبقين رجل الا على نفسه ، ثم دعا صاحب حرسه بحضرتهم فقال اقم على راس كل رجل من هؤلاء رجلين ، مع كل واحد سيف ، فان ذهب رجل منهم يرد على كلمة بتصديق او تكذيب فليضرباه بسيفهما ثم خرج وخرجوا معه حتى رقى المنبر فحمد الله واثنى عليه ثم قال : ان هؤلاء الرهط سادة المسلمين وخيارهم ولا يبتز امر دونهم ، ولا يقضى الا عن مشورتهم ، وانهم قد رضوا وبايعوا ليزيد ، فبايعوا على اسم الله ، فبايع الناس ، وكانوا يتربصون بيعة هؤلاء النفر . ثم ركب رواحله وانصرف الى المدينة ثم منها الى الشام ، وهكذا نقض العهد معاوية الذى كان بينه وبين الامام الحسن ، وعليه طابع الخلافة وامضاؤه ، فقال عبد الرحمن بن ابى بكر فى وجه معاوية ، قد جعلتها هرقلية يموت هرقل ويخلفه هرقل آخر . وتخلف عن البيعة من كبار الصحابة عبد الله بن عمر ، وعبد الله بن مسعود ، وعبد الله بن عباس ، وعبد الرحمن بن أبى بكر ، والحسين بن على ، وكل هؤلاء فى المدينة المنورة . وبعد أن تولى يزيد شؤون الخلافة بعث الى عامله على المدينة الوليد بن عتبة بن ابى سفيان كتابا يقول له فيه ، أما بعد : فخذ حسينا ، وعبد الله بن عمر وعبد الله بن الزبير اخذا ليس فيه رخصة حتى يبايعوا والسلام .

فأرسل الى الحسين فجاءه ، فلما أخبره بموت معاوية ، وعرض عليه البيعة ليزيد ، ترحم على معاوية وقال له ان مثلى لا يبايع سرا ، ولا يجتزا منى بها سرا ، فاذا خرجت الى الناس ودعوتهم الى البيعة ودعوتنا معهم كان الامر واحدا ، فقال له الوليد وكان يفضل العافية انصرف أما ابن الزبير ففر الى مكة ، وظل يتنسك بها ، وقال انى لائذ بالبيت أما ابن عمر وابن عباس فبايعا لما بايع الناس ، وتبعهم محمد بن الحنفية وأما الحسين فخرج بمن معه من أهله واخوانه وأبناء عمه ممن كانوا على رأيه ، وقصد مكة ، فكان اهلها يختلفون اليه ، وكذلك من بها من المعتمرين واهل الآفاق ، فكان الحسين بها أثقل خلق الله على ابن الزبير لانه كان يريدها لنفسه ، وكان أهل الكوفة يكرهون يزيد ، واجتمعت الشيعة الى منزل كبيرهم ، سليمان بن صرد الخزاعى ، واتفقوا أن يكتبوا الى الحسين يستقدمونه ليبايعوه فكتبوا اليه نحوا من (150) رسالة ولما راى كثرة الصحف عنده كتب اليهم ، اما بعد : فقد فهمت كل الذى اقتصصتم ، وقد بعثت اليكم بأخى وابن عمى وثقتى من اهل بيتى مسلم بن عقيل ، وامرته ، ان يكتب الى بحالكم وامركم ورأيكم ، فان كتب الى انه قد اجتمع راى

ملاكم وذوى الحجا منكم على مثل ما قدمت به رسلكم اقدم اليكم وشيكا ان شاء الله ، فلعمرى ما الامام الا العامل بكتاب الله والقائم بالقسط ، والدائن بدين الحق والسلام . ثم وجه اليها مبعوثه مسلم بن عقيل ، فأحدث توجهه الى الكوفة ضجة كبرى فى الدوائر الحكومية بالكوفة وكان عاملها الصحابى الجليل النعمان بن بشير رضى الله عنه ، وكان يفضل العافية ، فصعد المنبر وقال : أما بعد : فلا تسارعوا الى الفتنة والفرقة فانها فيها تهلك الرجال ، وتسفك الدماء ، وتغصب الاموال ، ثم قال : انى لا اقاتل الا من يقاتلنى ، ولا اثب على من لا يثب على ، ولا انبه نائمكم ، ولا أتحرش بكم ، ولا آخذ بالقرن ، ولا بالظنة والتهمة ، ولكنكم ان أبديتم صفحتكم ، ونكثتم بيعتكم ، وخالفتم امامكم ، فو الله الذى لا الاه الا هو لاضربنكم بسيفى ما ثبت قائمه بيدى ، ولم يكن منكم ناصر ولا معين . فكتبوا ليزيد بورع النعمان ، فعزله عن الكوفة وضمها الى البصرة وجعلها تحت ولاية عبيد الله بن زياد بن أبيه المعروف بابن سمية ، فلما سمع مسلم بن عقيل بابن زياد استجار بابن هانىء المرادى فصارت الشيعة تجتمع اليه هنالك ، فبعث اليه ابن زياد واستقدمه فلما قدم عليه قال له : وما ذاك ؟ قال له ابن زياد : جئت بمسلم فأدخلته دارك وجمعت اليه السلاح والرجال ، وظننت ان ذلك يخفى علينا ، وطلب اليه أن يسلمه مسلم بن عقيل ، فامتنع ، خوف السبة والعار ، فأمر به فضرب وسجن فى القصر ، ولما علم بذلك مسلم نادى فى أصحابه بشعارهم « يا مصور » وقد كان بايعه ثمانية عشر الفا وحوله اربعة آلاف فاجتمع اليه ناس كثيرون فعبأهم وذهب بهم الى القصر ، فأحاط به وامتلا السوق والمسجد من الناس ، ولم يكن مع ابن زياد الا ثلاثون رجلا من الشرطة ، وعشرون من الاشراف . فبعث ابن زياد كثير بن شهاب الحارثى وامره أن يخرج فى جماعة من اصحابه ويخذل الناس ، وبعث محمد بن الاشعث بمثل ذلك ، ويرفع راية امان لمن جاءه من الناس ، وامر بمثل ذلك غيرهم من الاشراف ، فجعلوا يخذلون الناس ، فمنعوا اهل الطاعة وخوفوا اهل المعصية ، فشرع أصحاب مسلم بن عقيل يتفرقون حتى لم يبق معه فى المسجد الا ثلاثون رجلا ، فاختفى ، فأرسل اليـــه محمد بن الاشعث فجاء به فقتله ابن زياد ، وقتل صاحبه هانىء بن عروة المـــرادى .

الحسين يخالف نصحاءه

ولكن هل يغنى حذر من قدر ؟ لا ننسى ان أول من نصح الحسين اخوه الامام الحسن فى مرض موته ، اذ قال له : ان أباك قد استشوف لهذا الامر فصرفه الله عنه ، ووليها أبو بكر ، ثم استشوف لها ، وصرفت عنه الى عمر ، ثم لم يشك فى وقت الشورى انها لا تعدوه فصرفت عنه الى عثمان ، فلما قتل عثمان بويع بها ، ثم نوزع حتى جرد السيف فما صفت له ، وانى والله ما أرى أن يجمع الله فينا النبوءة والخلافة فلا أعرفن بما استخفك سفهاء الكوفة فأخرجوك ؟ .

والثانى عمر بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام ، قال له : بلغنى انك تريد العراق وانى مشفق عليك ! ان تاتى بلدا فيه عماله ، وأمراؤه ، ومعهم بيوت الاموال وانما الناس عبيد الدرهم والدينار ، فلا آمن عليك أن يقاتلك من وعدك نصره ، ومن انت أحب اليه ممن يقاتلك معه ، فجزاه الحسين خيرا .

والثالث حبر الامة وعالمها عبد الله بن عباس ، رضى الله عنهما . قال له : قد ارجف الناس انك تريد العراق فخبرنى ما انت صانع ؟ فقال : قد أجمعت أى عزمت المسير فى أحد يومى هذين ، فقال له أعيذك بالله من ذلك ، خبرنى رحمك الله ، أتسير الى قوم قتلوا أميرهم ؟ وضبطوا بلادهم ؟ ونفوا عدوهم ؟ فان كانوا فعلوا ذلك فسر اليهم ، وان كانوا انما دعوك اليهم وأميرهم عليهم قاهر لهم ، وعماله تجبى البلاد ، فانما دعوك الى الحرب ، ولا آمن عليك أن يغروك ويكذبوك ويخالفوك ويخذلوك ويستنفروا اليك ، فيكونوا أشد الناس عليك . فقال الحسين : انى أستخير الله وأنظر ما يكون ، ثم جاء بن عباس فى ثانيته فقال : يا ابن العم انى أتصبر ولا أصبر ، انى أتخوف عليك فى هذا الوجه الهلاك والاستئصال ، ان أهل العراق قوم غدر ، فلا تقربنهم أقم بهذا البلد ، فانك سيد أهل الحجاز ، فان كان أهل العراق يريدونك كما زعموا فاكتب اليهم ، فلينفوا عاملهم ، ويقتلوا عدوهم ، ثم اقدم عليهم فان أبيت الا أن تخرج فسر الى اليمن ، فان بها حصونا وشعابا وهى أرض عريضة طويلة ، ولابيك بها شيعة ، وأنت عن الناس فى عزلة ، فتكتب الى الناس وترسل ، وتبث دعاتك ، فانى أرجو أن يأتيك عند ذلك الذى تحب فى عافية ثم قال له : فان كنت سائرا فلا تسر بنسائك وصبيتك ، فانى لخائف أن تقتل كما قتل عثمان ونساؤه وولده ينظرون اليه ، فلم يفد كلامه شيئا .

آخـــر مشهـــد الحســـين (رض)

بعد ما قضى الامام الحسين مناسك حجه سنة (60) من الهجرة ، واتصل بأهل العراق ، والحجاج من اهل الآفاق ، وكان جميع المسلمين فى هذا العهد يجلون النفوذ الروحى ، ولم يروه كامل الخلال الا فى بيت النبوة وكانت مكانة الحسين رضى الله عنه من بيت النبوة هى ما قد علمت من أنه ابن فاطمة الزهراء رضى الله عنها ، ولهذا كان الحسين يرى انه أحق من غيره بهذا الامر ، اضف الى هذا ان النفوس الابية تأبى أن يقودها من هو أدون منها ، ومن اجل هذا وذاك ان الحسين رضى الله عنه كـــان ينظر الى حياته كأنه بين نارين ، نار هى الحياة الذليلة ، وذاك مالا يرضاه من كان من بيت النبوة مثل الحسين ، ونار هى حتمية الموت على كل أحد فى هذه الحياة ، وقد فضل الامام الحسين رضى الله عنه الجانب الاخير على حياة الذل والخنوع للمكر السافر ، لمن يعتبره ليس بكفء كيزيد وكل ضحايا البيت النبوى العلوى صارت على هذا المنوال عبر عصور التاريخ .

خوض المعركـــة الشرقيـــة الحاسمـــة

ومن اجل ذلك عقد الامام الحسين العزم الفولاذى على الخـــروج المحفوف بالمخاطر رغم نصح الناصحين ، فخرج بأهل بيته ومن معه من فرسان أهل بيته وانصاره لخوض المعركة الفاصلة بينه وبين اعدائه ، ولا عليه فيما وراء ذلك وبينما هو فى بعض طريقه الى العراق اذ لقيـــه الفرزدق الشاعر محب آل البيت فسأله الامام الحسين عن خبر الناس ؟ فقال له : قلوب الناس معك وسيوفهم مع بنى امية ، والقضاء ينزل مـــن السماء ، والله يفعل ما يشاء ثم تابع السير بأهله وشيعته ، ثم وافاه كتاب من أمير المدينة فيه الامان ، يطلبه الرجوع ، مع كتاب لابن عمه عبد الله ابن جعفر قسم له فيه بالله ويناشده الرجوع ، فأبى الا أن يتابع السير ، ثم لقيه عبد الله بن مطيع فسأله ؟ ولما تيقن منه العزم على المضى ، قال له : اذكرك الله يا ابن رسول الله ، وحرمة الاسلام ان تنتهك ، انشدك الله فى حرمة العرب ، فو الله لئن طلبت ما فى أيدى بنى امية ليقتلنك ، ولئن قتلوك لا يهابون احدا بعدك ، والله انها لحرمة الاسلام وحرمة قريش، وحرمة العرب فلا تفعل ولا تاتى الكوفة ، ولا تعرض نفسك لبنى امية ، فابى الا ان يتابع السير ، ولما كان بموضع يدعى الثعلبية جاءه خبر مقتل

طليعته الى العراق ابن عمه مسلم بن عقيل ، ثم قال له بعض شيعته : ننشدك الله الا ما رجعت من مكانك ، فانه ليس لك بالكوفة شيعة ولا ناصر ، بل نتخوف أن يكونوا عليك ، كل هذا والامام الحسين رضى الله عنه مصمم العزم على خوض المعركة بمن معه من ابطال تومه وشيعته ، انها المعركة التى يرى فيها نهايته ، ثم جعل يخرج عنه من دخله الرعب من شيعته لما تحققوه من خسارة موقفهم معه ، ولم يبق معه الا بعض انصار شيعته وأبناء عمه ، ثم لما دنا من أرض المعركة جعل يفكر فى الرجوع ، فلما علم بذلك بنو عقيل ، اخوة مسلم الطليعة الهالك ، وثبوا عليه وقالوا له : والله لا نبرح حتى ندرك ثارنا ، أو نتذوق ما ذاق مسلم ، فسار حتى نزل « بطن العقبة » على ثلاث من القادسية ، وهناك تقدم اليه رجل ، وهو ابن يزيد التميمى من العرب فقال له : أنشدك الله الا ما انصرفت ، فو الله ما أنت قادم الا على الاسنة وحد السيوف ، ان هؤلاء الذين بعثوا اليك لو كانوا كفوك مئونة القتال ، ووطنوا لك الاشياء ، فقدمت عليهم لكان ذلك رأيا ، فاما على هذه الحال التى تذكر فلا أرى أن تفعل . ولما انصرف عن « شراف » اسم موضع لقيته فيه خيل ابن زياد لم يكن معهم أمر بقتاله ، وعددهم الف فارس وعلى رأسهم الحر بن يزيد التميمى ، فقال لهم الحسين : أيها الناس انها معذرة الى الله واليكم ، انى لم آتكم حتى أتتنى كتبكم ورسلكم أن اقدم علينا فليس لنا امام لعل الله أن يجمعنا بك على الهدى . فقد جئتكم فان تعطونى ما اطمئن اليه من عهودكم أقدم مصركم ، وان لم تفعلوا وكنتم لمقدمى كارهين انصرفت عنكم الى المكان الذى أقبلنا منه ، فلم يجيبوه على شيء من ذلك ، ! ثم قال له الحر : انا أمرنا اذا نحن لقيناك أن لا نفارقك حتى نقدمك الكوفة على عبيد الله بن زياد — المتعطش لدماء أهل البيت — فقال الحسين الموت أدنى اليك من ذلك ، ثم أمر أصحابه فركبوا لينصرفوا فمنعهم الحر من ذلك ، فقال الحسين ثكلتك امك ما تريد ؟ فقال : اما والله لو غيرك من العرب قالها ما تركت ذكر أمه بالثكلى كائنا من كان ، ولكنى والله مالى الى ذكر امك من سبيل الا بأحسن مما نقدر عليه .

ثم صار الحر يراقبه حتى لا يتمكن من الانصراف ، فترك الحسين فى اتجاهه شمالا الى ان وصل « نينوى » وهناك قدم عليهم جيش القتال المبعوث من طرف عبيد الله بن زياد بن سمية المعروف هو وأبوه بالتعطش لدماء أهل البيت ، وعلى رأسه عمر بن سعد بن أبى وقاص عدده (19) الفا فلما قدم أرسل الى الحسين رسولا يسأله ما الذى جاء به ؟ فقال الحسين

كتب الى أهل مصركم هذا ان أقدم عليهم ، فاما اذا كرهونى فانى انصرف عنهم ، فكتب عمر الى ابن زياد بذلك ، فأجابه قائلا : الآن اذ عرضت مخالبنا به يرجو النجاة ، ولات حين مناص ! ، وكتب له أن يعرض البيعة على الحسين ، فاذا قبل ذاك راينا راينا فيه ، وأن يمنعه هو ومن معه الماء وعرضوا عليه ان ينزل على حكم ابن زياد وبيعته ليزيد فأبى ، فنظر الى من معه من المقاتلين ، فلم يبق معه الا (81) رجلا ، فنشب القتال بين الفريقين ، وجعل الامام الحسين ينشد ويقول :

أنا ابن على الحبر من آل هاشم	كفانى بهذا مفخرا حين أفخر
وجدى رسول الله اكرم من مشى	ونحن سراج الله فى الناس يزهر
وفاطمة أمى سلالة أحمد	وعمى يدعى ذا الجناحين جعفر

فالتحمت المعركة بين الفريقين ، وصارت القتلى تسقط من الجانبين فجعل الابطال من شرذمة الحسين يصرعون الاقران عن اليمين والشمال فحال جيش زياد بينهم وبين الماء . ولما طلب الحسين الماء وجده قد حالوا بينه وبينه ، فكر على الماء فضربه رجل منهم بسهم فأصابه فى حنكه فقال : اللهم اظمئه . ولما بلغت القتلى (50) رجلا من أصحابه صاح الحسين أما ذاب يذب عن حريم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فحينئذ خرج يزيد بن الحرث الرياحى من عسكر اعداء الحسين راكبا فرسه ، وقال يا ابن رسول الله لان كنت أول من خرج عليك ، فأنا الآن من حزبك لعلى انال بذلك شفاعة جدك ، ثم قاتل بين يديه حتى قتل ، ولما كاد القتال ياتى على جميع أصحابه ويبقى بمفرده حمل عليهم حملته الاخيرة فقتل كثيرا منهم ، ثم حمل عليه جمع كثير من اعدائه ، وكانت مكيدتهم الاخيرة ان حالوا بينه وبين الماء ، ومنعوا حريمه النساء والاطفال منه ، فصاح عليهم كفوا سفهاءكم عن النساء والاطفال ، فكفوهم ، ثم لم يزل رضى الله عنه يقاتل حتى قتل وبعد أن اثخنوه بالجراح وسقط على الارض ، طلع على صدره الشقى المسمى (شمر) بعد ما وطئه بحافر فرسه ، فقال له : رضى الله عنه لقد رقيت مرقى عظيما يارويعتى الغنم ، ، فحز راسه ثم حملوها الى ابن زياد مع السبايا ، ولما احصيت القتلى من الجانبين ، وجدوا الى جانب الحسين من أصحابه (72) قتيلا ، بقيت جثثهم بكربلاء طعمة للوحوش والسباع ، الا الحسين فان جثته دفنت بكربلاء ، وبقى قبره مزارة يتبرك بها الى زمن الخليفة العباسى المتوكل على الله سنة (237) هجرية وأحصيت قتلى أعدائه فوجدت (88) تزيد على قتلاهم بستة

عشر قتيلا وقتل معه من بنى اخوته وبنى عمه وبنى أخيه الحسن من اولاد جعفر وعقيل نحو (19) قتيلا شابا ، وقيل : (21) .

قال الحسن البصرى رضى الله عنه ما كان على وجه الارض يومئذ لهم شبيه . وصادفت الوقعة اليوم (10) من المحرم وهو يوم عاشوراء من سنة (61) هجرية ؛ ومما يحمل على العجب ان هذا الجيش لم يكن فيه احد من أهل الشام ؛ بل كان كله من أهل العراق ، الذين هم شيعة على وأبنائه وبعد انتهاء المعركة حملوا رأس الامام الحسين وبعض رءوس اصحابه على الرماح الى ابن زياد ؛ ومعها النساء والصبيان من بنات الحسين واخوته وفيهم على بن الحسين الملقب زين العابدين صغير مريض . ولما وضعت الرأس الشريفة بين يدى ابن زياد ، جعلت فى طست ، وجعل يضرب ثناياه بقضيب ويقول : — به فى أنفه — ما رأيت مثل هذا حسنا ان كان لحسن الثغر ، وفى صحيح البخارى ؛ حدثنا جرير عن محمد عن أنس ابن مالك رضى الله عنه أتى عبيد الله بن زياد برأس الحسين بن على عليهما السلام فجعل فى طست فجعل ينكث ، وقال فى حسنه شيئا ، فقال أنس : كان أشبههم برسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكان مخضوبا بالوسمة .

وروى ابن أبى الدنيا انه كان عنده زيد بن أرقم رضى الله عنه فقال له : ارفع قضيبك ، فو الله لطالما رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، يقبل ما بين الشفتين . ثم جعل زيد رضى الله عنه يبكى ، فقال ابن زياد : ابكى الله عينيك ! لولا انك شيخ قد خرفت لضربت عنقك ، فنهض وهو يقول : ايها الناس ، أنتم العبيد بعد اليوم ، قتلتم ابن فاطمة ، وأمرتم ابن مرجانة ، والله ليقتلن خياركم ويستعبدن شراركم ، فبعدا لمن رضى بالذلة والعار ، ثم قال يا ابن زياد لاحدثنك بما هو اغيظ عليك من هذا ، رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم اقعد حسنا على فخذه اليمنى ، وحسينا على فخذه اليسرى ، ثم وضع يده على يافوخهما ثم قال : اللهم انى استودعك اياهما وصالح المومنين . فكيف كانت وديعة النبى صلى الله عليه وسلم عندك يا ابن زياد ؟ . ثم امر ابن زياد بالرءوس والسبايا من بيت الحسين من النساء والاطفال بغير وطاء فى ذل وانكسار ، والرءوس على الرماح ، الى يزيد بن معاوية بدمشق . وورد لما دخلوا دمشق برأس الحسين ابن على عليهما السلام ، أخرجت زينب بنت الحسين رأسها من الخباء وهى ناشرة شعرها وواضعة يدها فى كمها على رأسها وهى

تبكـــى وتقـــول :

مـــاذا تقولون ان قال النبى لكم	ماذا فعلتم وانتم آخـــر الامـــم
بعترتى وباهلـــى بعـــد مفتقدى	منهم اسارى وقتلى ضرجوا بدم
ما كان هذا جزائى اذ نصحت لكم	ان تخلفونى بسوء فى ذوى رحم

ولما وضعت الرءوس والسبايا بين يدى يزيد كان عنده انس بن مالك رضى الله عنه قيل : انه ترحم على الحسين . وتنكر لابن زياد . وارسل براسه وبقية بنيه الى المدينة وقال سبط ابن الجوزى وغيره : المشهور انه جمع اهل الشام . وجعل ينكت الرأس بالخيزران . وجمع بأنه اظهر الاول واخفى الثانى . بقرينة انه بالغ فى رغمة ابن زياد حتى أدخله على نسائه . قال ابن الجوزى : وليس العجب الا من ضرب يزيد ثنايا الحسين بالقضيب ، وحمل آل النبى صلى الله عليه وسلم على اقتاب الجمال موثقين فى الحبال ، والنساء مكشوفات الرءوس والوجوه . وذكر اشياء من قبيح فعله . واصح الاقوال ان الرأس الشريف وضع فى خزانة يزيد ، وروى ان سليمان بن عبد الملك راى النبى صلى الله عليه وسلم فى المنام يلاطفه ويبشره فسأل الحسن البصرى عن ذلك . فقال له : لعلك صنعت الى آله معروفا ، قال : نعم ، وجدت راس الحسين فى خزانة يزيد ، فكسوته خمسة اثواب ثم صليت عليه مع جماعة من اصحابى واقبرته ، فقال له الحسن ، ذلك هو سبب رضاه عنك . ثم امر للحسن المثنى الذى كان وصيا على اهل بيته من طرف ابيه الحسن السبط بجائزة سنية .

وبعد مرور سنين نقل الراس الشريف الى مصر واقبر فى مدينة القاهرة ثم بنى عليه مشهد عظيم ، وبداخله على الرأس الشريف قبة من خشب مغلفة بالفضة الخالصة مكتوب عليها آيات من القرآن الكريم بحروف مجسمة بارزة فاخرة من الذهب الخالص . تقدر قيمة ذلك بنحو ثمانية ملايين جنيه استرلينى ، بعثت بها الحكومة العراقية فى عهد الملك فيصل الى مصر فى عهد الملك فاروق تحت حراسة شديدة ، ثم صنعت بأيد تقنية صنعا محكما حتى جاءت فى شكل مروع ، ويحيط بذلك سياج من حديد يبعد عنه بنحو المتر حتى لا تصل اليه يد الساقطين من الزائرين ، ويوجد لدى الضريح المذكور حراسة مستمرة دائمة ، حدثنى به بعض الاخوان المصريين . وقد عير يهودى المسلمين عند ما راى فعلهم بالامام الحسين ، وقال لهم بينى وبين داود عليه السلام سبعون ابا وان اليهود تعظمنى وتحترمنى وانتم قتلتم ابن نبيكم بعدما نفضتم يدكم من تراب دفنه .

واما مصير الجثة الشريفة التى تركت بين الجثث الشهيدة نهبا للطيور والسباع بكربلاء ، قيل : قد ذهب اليها بعض الشيعة ودفنوها هناك ، وبنو عليها بيتا والى جانب البيت مسجد للصلاة ؛ ودور للزائرين ، ومع مرور الايام صار الناس يقصدونها للتبرك بها من كل مكان ، ويقيمون حولها لقضاء حاجاتهم ؛ كما كانوا يقيمون ذكرى لصاحب الضريح تحت اسم مأساة كربلاء كل سنة الى زمن المتوكل سنة (237) هجرية ، ويعرف المتوكل ببغضه للبيت العلوى وآل على ؛ وكان عليهم اشد ممن مضى من اسلافه ، ويكره من اسلافه من كان يرى له عطفا على البيت العلوى · كالمامون ، والمعتصم ؛ والواثق ويأخذ عليهم فى محبتهم لعلى وآل بيته . وكان ينادمه جماعة على ذلك فكانوا بطانة سوء عليه ، وكانوا يخيفونه اكثــر مــن البيت العلوى ويشيرون عليه ببغض آل البيت العلوى وابعادهم ، والاعــراض عنهم ؛ والاساءة اليهم ، ثم حسنوا له الوقيعة فى اسلافهم ، الذين يعتقد الناس علو منزلتهم فى الدين ، ومن آثار تلك الكراهة انهم حسنوا له هدم قبر الامام الحسين بكربلاء وبتره كلية ، حتى لا يصير الناس مجتمعين عليه ذاكريــن لتاريخه ، وقد اعطى اوامره لعامله على الكوفة بأن يمنع كل من اراد زيارته والاجتماع حوله ، فنادى صاحب الشرطة فى الاقليم والنواحى من وجدناه عند قبره بعد ثلاثة بعثناه للمطبق فهرب الناس خوفا على انفسهم مــن لقاء العقاب ، وفى السنة المذكورة بعث لهدم الضريح الشريف بكربلاء وهدم ما حوله من المسجد ومنازل الزوار ، وامره بسقى الارض وحرثها وزرعها ، فصارت ارض مزرعة ، ولم يبق اثر للحسين بالعراق الا من جانب احفاده رضى الله عنهم ؛ وكان امام الامامية فى عهد المتوكل « ابو الحسن علــى الهادى » بن محمد الجواد بن على الرضى بن موسى الكاظم بن جعفر الصادق ابن محمد الباقر بن على زين العابدين بن الامام الحسين بن امير المومنين على بن ابى طالب رضى الله عنهم ، فسعوا به الى المتوكل فاستقدمه مــن المدينة الى سامرا معسكر جيشه ، ووضعه هناك تحت الاقامة الجبرية (20) سنــة ·

انتقام الله العاجل لاحبائــه وأوليائــه

وفى صحيح البخارى عن ابى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله تعالى قال : من عادى لى وليا فقد آذنته بالحرب · الحديث اى اعلمته انه محارب لى ، ومن حارب الله اهلكه . اخى

المستبصر فى العواقب عافانا الله واياك من الوقوع فى معاداة أولياء الله تعالى ، فان السعيد من اتعظ بغيره ، قال تعالى : فانها لا تعمى الابصار ولكن تعمى القلوب التى فى الصدور » ولبعضهم : يغمى على المرء فى أيام محنته حتى يرى حسنا ما ليس بالحسن انظر واعتبر فان لم يكن الحسن والحسين وابوهما اولياء الله ، فمن يكون وليا لله ؟ لانهم رضى الله عنهم تشرفوا على لسان الصادق المصدوق عليه الصلاة والسلام بنزول القرآن فيهم ، وورود السنة المطهرة فى فضلهم ، فصار الايمان بفضلهم من جملة الايمان بالله ورسوله ، ولله تعالى غيرة على أوليائه ، لانه هو الذى يتولى رعايتهم ، ومحاربة من عاداهم . ومعاداتهم تكون ببغضهم وحسدهم ، وظلمهم واغضابهم ، والدس لهم بالقول والفعل ، وكل ما يؤذيهم من مثل هذه الاشياء واحرى قتالهم وقتلهم ، وكل من آذاهم بشىء من ذلك . فهو مؤذ لله ورسوله ، لقوله صلى الله عليه وسلم : فاطمة بضعة منى يؤذينى ما يؤذيها ، ويغضبنى ما يغضبها . كما تقدم فى فضلها . واستثنى من ذلك الخصومة معه فى نحو حق خفى وجهه .

وسياتى تعريف من هو الولى فى الكلام على الاولياء ، وقيل : كما تدين تدان والمرء مقتول بما قتل به . وكن يقظا فيما سيعرض عليك من مصير اعداء الامام الحسين الذين خذلوا فحاق بهم الهلاك واحدا تلو الآخر ، وهو ما ستراه واقعا بأولائك المخذولين العتاة من اهل الشقاق والنفاق الذين انتهكوا حرمات الله بما أوتوه من قوة عز ، وسلطة بأس ، واستعملوا جميع ذلك فيما يغضب الله ورسوله ، مسوقين وراء شهواتهم الشيطانية غير مكترثين بما يوقعهم فى غضب الله ورسوله عليهم مستعجلين لانفسهم الجزاء من جنس العمل : وجزاء سيئة سيئة مثلها » لقد اثاروا غضب الله ورسوله عليهم بانتهاك حرمة الامام الحسين رضى الله عنه ، وبارتكابهم ما ارتكبوا أعماهم الله وشتت شملهم ، وخيب املهم واماتيهم وافسد رايهم فأظلم امامهم طريق الرشاد وانقلبوا على انفسهم وحبب اليهم الانتقام ، وجعل بعضهم يقتل بعضا قبل ان يغسلوا ايديهم من دم الامام الحسين رضى الله عنه حتى هلكوا عن آخرهم فى وقت قليل وها انا ابين لك مصارعهم ، لتعلم ان وعد الله حق » وانه انتقام الله منهم بفساد رايهم وجعل كيدهم فى نحرهم ، حتى هلكوا عن آخرهم .

وكان أولهم هلاكا عدو الله الشقى المسمى ـ شمر ـ الذى طلع على صدر الامام الحسين واحتز راسه ، ولما وضع الراس الشريف بين يدى

الملعون عبيد الله بن زياد ، جعل ينشد ويقول بطرا اشرا :

املأ ركابى فضة وذهبا   فقد قتلت الملك المحجبا
ومن يصلى القبلتين فى الصبا   وخيرهم اذ يذكرون النسبا
قتلت خير الناس اما وابا

فأغضبت هذه الابيات ابن زياد ، وقال له : اذا علمت ذلك فلم قتلته ؟ والله لا نلت منى خيرا ، ولا لحقنك به ثم امر به فى الحال فضرب عنقه ، بعد أن وطىء ظهره وصدره بحافر الخيل ، فكانت المجازات بالمثل القائل المرء مقتول بما قتل به ، وكما تدين تدان ، وهذه امثال ضربت فى الجزاء من جنس العمل وكان قائد الجيش فى وقعة كربلاء ، المختار ابن ابى عبيد ، ودونه عمر بن سعد بن أبى وقاص ، عامل البصرة يومئذ ، ثم ثار المختار على ابن زياد ، وقتل عامل البصرة عمر بن سعد المذكور ، وهو الصريع الثانى ، وفر ابن زياد من بطش المختار الى الشام ، وشكر الناس المختار على ذلك ، ثم تنبأ المختار اخيرا عن خبث قبيح ، حتى زعم انه يوحى اليه ، وان محمد بن الحنفية هو المهدى المنتظر ، ويسمى المختار فى هذا العهد ، رجل الفتنة الكبير ، ثم تحركت فتنة اخرى يقودها رئيس الشيعة سليمان ابن صرد ، وكان من الذين تمالئوا على قتال الامام الحسين لكنهم ندموا على خذلانه ، وسموا انفسهم بالتوابين ، وراوا انهم لا يخرجون من هذا الذنب حتى ياخذوا بثأر الامام الحسين فجمعوا الرجال والسلاح وخرجوا يطلبون بدم الامام الحسين ، وذلك بعد موت يزيد بن معاوية سنة (65) هجرية ، فالتقوا بجيش الشام يقوده عبيد الله بن زياد ، كان متوجها الى العراق ليخرجها من يد مصعب بن الزبير ، اخى عبد الله بن الزبير امير مكة والحجاز يومئذ ، بموضع يعرف بعين وردة فكان بين الفريقين موقعة عظيمة قتل فيها سليمان بن صرد ، الذى كان خرج تائبا ، وقتل معظم من كان معه ولم ينج منهم الا القليل ، وهذه هى الضحية الثالثة من اعداء الامام الحسين رضى الله عنه ، وكانوا ستة آلاف ، وكانت بلاد العراق منقسمة على نفسها بين ثلاث فرق ، فرقة خوارج ، وفرقة زبيرية ، وهم الذين بايعوا عبد الله بن الزبير أمير مكة والحجاز ودخلوا فى طاعته ، وفرقة شيعية وهم من قد علمتم وقتل مع سليمان رئيسان عظيمان للفتنة ، وهما عبد الله بن سعد الازدى وعبد الله بن وائل البكرى ، وكان الصريع الرابع يزيد الملعون بن معاوية الذى استحل حرمات الله ، خرج عليه اهل المدينة المنورة ، فبعث اليهم مسلم بن عقبة المرى ، وقال له يزيد ادعهم

ثلاثا ، فان ابوا فابحها لهم ثلاثا ، فكان ما فيها من مال او دابة او سلاح فهو للجند ، فحارب المدينة وتغلب عليها ، واباحها للجند ثلاثا ، وهى البلد الحرام ، فكان يزيد اول من احل ما حرم الله . ودارت عليها معركة شديدة تعرف بمعركة الحرة ، انتهت بهزيمة اهل المدينة بعد قتل ساداتها ، وكان ذلك فى (28) حجة ، سنة (63) هجرية .

ثم ان مسلما لما انتهى من امر المدينة تحول عنها وذهب الى مكة ، وبعد ان وصل اليها حاصرها وقاتل اميرها عبد الله بن الزبير ، ثم لما استمر فى حصار مكة اصابه داء الشلل فهلك منه ، واستخلف على الجند الحصين بن نمير ، كما امر يزد بذلك ، فواصل حصين بن نمير حصار مكة ، وكان ذلك فى (26) محرم الحرام فاتح (64) هجرية فخرج اميرها عبد الله بن الزبير ، للقاء اهل الشام فحاربهم فانهزم جنده ، ورجع الى مكة ، فقدم عليه نجدة بن عامر الحنفى الخارجى يمنع مكة وبقى القتال متواصلا بين الطرفين ، حتى رموا البلد الحرام بالمنجنيق (37) يوما حتى أتاهم نعى يزيد الملعون ، وهذا احلال ثانى لما حرم الله ، والثالث احلال دم عترة النبى صلى الله عليه وسلم . فتوقف القتـــال ، فخرق اليزيد حرمة البلـــد الحرام ، وحرمة الشهر الحرام ، وسفك الدم الحرام ، وهذا غاية ما يكون فى تهتيك حرمات الله بالاضافة الى حرمات اعراض اهل المدينة التى أباحها ثلاثا للجند وقد توج هذه الحرمات بقتل الامام الحسين رضى الله عنه ، من قبل ، وبهذا انتهت حياة هذا التعس اللئيم ، ولم يمكث الا ثلاث سنوات و (64) يوما كلها شرور وخزى وعار وكان هلاكه موافقا 10 نوفمبر سنة 683 ميلاديـــة .

ثم نرجع الى امر المختار بن ابى عبيد الثقفى ، وكان وثوبة على دعوته باسم محمد بن الحنفية ، زاعما انه هو الذى ارسله للاخذ بثار الامام الحسين رضى الله عنه ، وكان خروجه فى (14) ربيع الاول ، سنة (66) هجرية ، بعد موت مروان بن الحكم ، الخليفة الاموى الثالث فى رمضان سنة (65) هجرية ، وكان تولى الخلافة فى (3) ذى القعدة الحرام سنة (64) هجرية ، ولم يمكث فيها الا (11) شهرا ، ثم وليها بعده ابنه عبد الملك ، فبويع بالخلافة بعد موت ابيه سنة (65) هجرية . وبقى فيها الى منتصف شوال سنة (86) هجرية ، وكانت مدة خلافته (21) سنة . وهو الذى صفا له الجو بعد ما تكدر بموت الامام الحسين ، مدة (13) سنة وكان المختار يود فى خروجه أن يتبعه ابراهيم بن الاشتر ،

لقوة بطشه وسمو شرفه وبعد قليل دخل ابراهيم بن الاشتر تحت بيعة المختار ، فكان من أمره ان وثب وثار على الكوفة ، وهى يومئذ فى طاعة ابن الزبير صاحب مكة والحجاز ، فدخلها وكانوا ينادون بثار الحسين ، فبايعه أهل الكوفة ، وكانت بيعتهم له على كتاب الله وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم والطلب بدماء اهل البيت ، وقتال المحلين ، والدفع عن الضعفاء ، وقتال من قاتلهم ، ومسالمة من سالمهم ، ثم بعث العمال على الامصار وهو بالكوفة يومئذ لا يهمه الا تعبئة الجيش ، وانتخاب رجاله ، ثم تتبع قتلة الحسين ، فقضى على من بقى منهم ، وهذه هى الضحية (5) وكان محمد بن الحنفية ومن معه بالبصرة ، فجعل اهل البصرة يبايعون المختار ، فلما احس عاملها مصعب بمبايعة أهل البصرة المختار ، دعا محمدا ابن الحنفية ومن معه من أهل بيته ، وطلبهم بالبيعة لامير مكة فأبــوا عليه ، فأمر بهم الى السجن فسجنوا فأرسل اليهم المختار من خلصهم من السجن ، ثم ان المختار لا زال منهمكا فى تعبئة الجيش وجمع العدة ، واختيار الرجال لمحاربة عبد الملك بن مروان الذى هو بدوره يستعد كذلك لفتح بلاد العراق ، وتصفيتها من الاقطاع فبعث جيشا من الشام بقيادة عبيد الله بن زياد ، فخرج اليه المختار وجعل قائده على الجيش ابراهيم ابن الاشتر ، فسار حتى التقى بجنود الشام ، على نهر الخزر فكان بين الفريقين موقعة هائلة انتصر فيها ابن الاشتر ، أمير الاقطاع . وقد قتل فى هذه المعركة المباركة عدو الله وعدو الامام الحسين عبيد الله بن زياد .

قتــل عبيــد الله بــن زيــاد

قتل عبيد الله بن زياد بن سمية الملعون ، وكان هو الكبش السمين الثمين من هذه الضحايا المتقدمة ، سنة (69) هجرية ، ثم اتى رجال من أشراف الكوفة لم يرضوا بالمختار ، الى مصعب بن الزبير بالبصرة ، وطلبوا اليه أن يخلصها من يد المختار فأجابهم الى ذلك ، ووجه اليهــم مصعب جيشا عظيما قاده بنفسه ، ومعه اشراف المصرين ، فصار نحو الكوفة ، فخرجت اليه جنود المختار ، فالتقى الفريقان عند المذار فانهــزم جيش المختار ، وتابعه مصعب حتى وصل الكوفة ، وقاتل بها أصحاب المختار حتى قهرهم ثم خرج المختار من القصر مستقتلا فقتل ، وقتل جميع من كانوا معه بالقصر صبرا . وهذا هو الضحية السابع من اعداء الامام الحسين رضى الله عنه ثم جعل مصعب يعبىء الجيش وينتقى الرجال والسلاح

لمواجهة عبد الملك بن مروان ، ثم خرج عبد الملك فى جيش متوجها الى العراق يقوده بنفسه فتجهز له مصعب بن الزبير بجيش جرار ، وجعل على رأسه ابراهيم الاشتر فتقابل الجيشان « بمسكن » فانهزم اهل العراق ، وقتل ابراهيم الاشتر وهو الضحية (8) وبقى ابن الزبير فى قليل من المخلصين فأنشد :

وان الاولى باللطف من آل هاشم   تاسوا فسنوا للكرام التاسيا

ثم تابع مصعب القتال حتى قتل ، سنة (72) هجرية . وبقتله دخل العراق فى يد عبد الملك ، ورجع الامر فيه الى بنى أمية ، ولم يبق له الا الحجاز ومكة ، فى يد عبد الله بن الزبير ، فجهز له عبد الملك جيشا بقيادة الحجاج بن يوسف الثقفى .

وأخرج الحاكم من طرق متعددة انه صلى الله عليه وسلم قال : قال جبريل : قال الله تعالى : انى قتلت بدم يحيى بن زكرياء سبعين الفا ، وانى قاتل بدم الحسين بن على سبعين الفا . ولم يذكر ابن الجوزى هذا الحديث فى الموضوعات ، وليس معنى الحديث ان هذا العدد كله اشترك فى قتل الحسين ، بل تبع قتله تدهور فى العقول ، وفساد فى الرأى ، وفتنة ادت الى قتال طويل ، يمكن أن يكون وفى بهذا العدد وزاد عليه ، ولم تستقر الاوضاع حتى قتل امير مكة عبد الله بن الزبير رضى الله عنه سنة (73) هجرية ، ثم بعد ذلك توحد امر الامة الاسلامية لعبد الملك بن مروان ، وكانت عمالة الحجاج على يديه لاهل العراق خاتمة عقد لما سبق كما سياتى الكلام على ذلك . ثم عاش عبد الملك بن مروان بقية حياته فى استقرار وامن ، واطمئنان نفس ، فى الشؤون الداخلية للدولة الاسلامية ، الامر الذى ساعده على القيام بأعمال خارجية ، فجهز الجيوش وبعثها فى الفتوحات ، ففتحت على يده بلدان شاسعة الاطراف من شمال المملكة وجنوبها فى القارة الاسيوية من بلاد خراسان شرقا الى شمال افريقيا غربا ، ومنها الى غرب أوربا بما يعرف ببلاد الاندلس ، ولن يزال آثار ذلك شاهدا بعظمة ما كان عليه القوم الى اليوم ، ولن يزال اثر ذلك من كل بلد اسلامى لا يسع احدا انكاره . ولن يمضى على الدولة الاسلامية نصف قرن حتى اكتسح الاسلام نصف الكرة الارضية ، فى الفتوحات الاموية .

ومن غريب الاتفاق ما رواه عبد الملك بن عمير قال : دخلت قصر الامارة بالكوفة على ابن زياد ، والناس عنده سماطان ، ورأس الحسين

على ترس عن يمينه ، ثم دخلت على المختار فيه ، فوجدت رأس ابن زياد عنده ، وعنده الناس كذلك سماطان ، ثم دخلت على مصعب بن الزبير فوجدت عنده راس المختار عنده كذلك ، ثم دخلت على عبد الملك بن مروان فيه فوجدت عنده راس مصعب كذلك فأخبرته بذلك ، فقال : لا أراك الله الخامس ثم امر بهدم القصر ، ثم بعد ذلك استعمل عبد الملك بن مروان على العراق الحجاج بن يوسف الثقفى جزار البشرية الشهير وقد نص المؤرخون ان قتلى الحجاج بين الرجال والنساء يفوق السبعين الفا فكان فريد دهره فى سفك الدماء البشرية ، واشتهاره بذلك عبر عصور التاريخ بين الخاصة والعامة ، وقد تحققت بذلك فيه دعوة الخليفة عمر بن الخطاب رضى الله عنه لما هاله أمر العراق ، فقال فيهم : أهل العراق أهل الشقاق والنفاق ، اللهم عجل فيهم بالغلام الثقفى يحكم فيهم حكم الجاهلية ، لا يرحم صغيرهم ولا يوقر كبيرهم وهذا من مكاشفات عمر ، واجابة دعائه .

ثم مرت فترة على أهل البيت العلوى أخذوا فيها شيئا من الراحة ، ابتداء من زمن عبد الملك بن مروان سنة (65) هجرية ، وانتهاء بمروان الثانى (13) من الخلفاء الامويين سنة (127) الا ما كان من خروج زيد بن على زين العابدين بن الامام الحسين ، قتله وصلبه هشام بن عبد الملك ، وقد كان سبب خروجه ظلم وطغيان يوسف بن عمر عامل المدينة ، فخرج بالكوفة فى نحو (15) الف ، وقيل أربعون من مبايعيه ، وقد نصحه بعض أبناء عمه بأن الكوفة لا يعتمد عليهم ولا يعول على قولهم فى الخروج خشية ان تتكرر مأساة جده الحسين ، فأبى الا أن يخرج ، فخانه الحظ فلقى نفس المصير والامر لله وحده . وقد كان اتفق مع شيعته على اليوم الذى يخرج فيه فلم ياته الا مائتا مقاتل ، فقاتل حتى قتل ، ودفنه اصحابه ، فدل على قبره ، ثم نبشوه وأخرجوه وصلبوه بباب الكناسة من الكوفة وسيروا راسه الى هشام بن عبد الملك ، فصلبه على احدى أبواب دمشق والذى يبعث على الاسف الشديد ، ان ابنه يحيى خرج من بعده فلقى نفس مصير أبيه ، فانا لله وانا اليه راجعون » من هذه الحياة التى هى أشبه بالجحيم على هؤلاء حتى جعلتهم يذهبون ضحايا مآسى الظلم والطغيان الواحد تلو الآخر ولا حول ولا قوة الا بالله .

واثر هذه الحوادث دخل الانهيار فى دولة بنى أمية ، والى زيد هذا تنسب الشيعة الزيدية وهو الذى تناظر مع بعض شيعته فرفضوا نظريته

فسماهم الرافضة ، وهذه هى الشيعة المتطرفة ، ولا تزال طائفة منهـا موجودة بالعراق الى الآن ، وكان سبب تسميتهم بهذه الكلمة انهم رفضوا امامة الشيخين « أبى بكر وعمر » رضى الله عنهما ، وعدوهما غاصبين لحق على كرم الله وجهه ومن الشيعة الزيدية طوائف باليمن ، وهم سنيون .

بيت على من السبطين لـه جناحـان

ثم ان بيت أمير المومنين على كرم الله وجهه من السبطين تفرع الى جناحين جناح أغلب احفاده بالمشرق ، وهم ذرية الامام الحسين السبط رضى الله عنه وجناح اغلب ذريته بالمغرب وهم ذرية الامام الحسن السبط رضى الله عنه وذرية هذين الامامين هى المقصودة عندنا بالبحث فى أهل البيت من هذا الكتاب وقد تقدمنا الكلام فيه على جناح أهل المشرق لنتفرغ للكلام على جناح اهل المغرب لتوحيدهمـا فى المـآسى والاحـزان ومـن الجنـاح الاول .

الائمـة الاثنـا عشريـة

اتجهت فرق الشيعة الى الاهتمام بهؤلاء الائمة ، وخصوصا الائمة الاثنا عشرية منهم ، ومن بين تلك الفرق الفرقة التى أطلق عليها اسـم الامامية ، وهؤلاء الائمة هم : (1) الامام على بن أبى طالب ، وصى النبى صلى الله عليه وسلم و (2) الامام الحسن السبط وصى على كرم اللـه وجهه و (3) الامام الحسين السبط ، وصى الامام الحسن رضى الله عنهما . وكل واحد من هؤلاء الائمة الثلاث ذكرنا عنه ما يكفى فى التعريف به . و (4) ابنه الامام على زين العابدين ، ولم يخلف الامام الحسين شهيد كربلاء سواه ، ولم تقصر درجته فى الفضل عن درجة أبيه ، فكان رضى الله عنه عالما عابدا زاهدا ، وكان اذا توضأ اصفر لونه ، فقيل له فى ذلك : فقال : الا تدرون بين يدى من اقف ؟ ، وحكى عنه انه كان يصلى فى اليوم والليلة الف ركعة ، ومن شعره :

فان تكن الدنيـا تعـد نفيسـة ... فان ثـواب اللـه أعلى وانبل
وان تكن الارزاق قسما مقـدرا ... فقلة حرص المرء فى الكسب أجمل
وان تكن الابدان للموت انشئت ... فقتل امرىء فى الله بالسيف افضل
وان تكن الاموال للترك جمعها ... فما بال متروك به المرء يبخـل

ولـــه أيضـــا :

يارب جوهر علم لو ابـــوح به	لقيل لى انت ممـــن يعبد الوثن
ولاستحل رجال مسلمون دمـــى	يرون أقبح ما ياتونـــه حسنـــا
انـــى لاكتم من علمى جواهـــره	كى لا يرى الحق ذو جهل فيفتتن

وحكى ابن حمدون عن الزهرى ان الخليفة عبد الملك بن مروان حمله مقيدا من المدينة بأثقلة من حديد ، ووكل به حفظة ، فدخل عليه الزهرى لوداعه فبكى ، وقال : وددت انى مكانك ، فقال : اتظن ان ذلك يكربنى ؟ ولو شئت لما كان ، وانه ليذكرنى عذاب الله ، ثم أخرج رجليه من القيـــد ، ويديه من الغل ، ثم قال : لاجرين معهم على هذا يومين من المدينة ، وبعد مضى يومين فقدوه حين طلع الفجر ، وهم يحرسونه ، فطلبوه فلم يجدوه ، قال الزهرى فقدمت على عبد الملك فسألنى عنه فأخبرته فقال : قد جاءنى يوم فقده الاعوان ، فدخل على فقال : ما أنا وانت ؟ فقلت اقم عندى فقال : لا احب ، ثم خرج ، فو الله لقد امتلا قلبى منه رعبا . ثم كتب عبـــد الملك ابن مروان للحجاج بن يوسف ، أن يتجنب دماء بنى عبد المطلب وأمره أن يكتم ذلك ، فكوشف به الامام زين العابدين ، فكتب اليه انك كتبت للحجاج يوم كذا سرا فى حقنا بنى عبد المطلب بكذا ، أى اجتنب دماء بنى عبد المطلب وقد شكر الله لك ذلك ، وبعث به اليه ، فلما أطلع عليه عبد الملك ، وجد تاريخه موافقا لتاريخ الكتاب ، ومخرج الغلام موافقا لمخرج رسول عبـــد الملك الى الحجاج ، فتفطن عبد الملك ان عليا زين العابدين كوشف بأمره ، فسر به ، وارسل اليه مع غلامه بوقر راحلة دراهم وكسوة ، وسأله أن لا يخليـــه مـــن دعائـــه .

واخرج أبو نعيم والسلفى انه لما حج هشام بن عبد الملك فى حياة ابيه لم يمكنه ان يصل الى الحجر الاسود من شدة الازدحام ، فنصب لـــه منبر الى جانب زمزم وجلس ينظر الى الناس ، وحوله جماعة من أعيان أهل الشام ، فبينما هو كذلك ، اذ اقبل زين العابدين ، فلما انتهى الى الحجر تنحى به الناس حتى استلم ، فقال أهل الشام لهشام ، من هذا ؟ قال لا اعرفه ، وقد فعل ذلك هشام حتى يخفيه عليهم ليلا يعظم شأنه فى أعينهم ، فتقوى رغبتهم اليه فسألوا الفرزدق ، فقال انا اعرفه ثم انشد :

هذا الذى تعرف البطحاء وطأتـــه	والبيت يعرفه والحـــل والحـــرم
هذا ابن خير عباد اللـــه كلهـــم	هذا التقى النقى الطاهر العلـــم
اذا رأته قريش قـــال قائلهـــا :	الى مكارم هـــذا ينتهى الكـــرم

يئمى الى ذروة العز التى قصرت ... عن نيلها عرب الاسلام والعجم
هذا ابن فاطمة ان كنت جاهله ... بجده انبياء الله قد ختموا
فليس قولك من هذا ؟ بضائره ... العرب تعرف من انكرت والعجم
كلتا يديه غياث عم نفعهما ... يستوكفان ولا يعروهما عدم
سهل الخليقة لا تخشى بوادره ... يزينه اثنان : حسن الخلق والشيم
حمال اثقال أقوام اذا امتدحوا ... حلو الشمائل تحلو عنده نعم
ما قال : لا ، قط الا فى تشهده ... لولا التشهد كانت لاءه نعم
عم البرية بالاحسان فانقشعت ... عنها الغياهب ، والاملاق والعدم
اذا رأته قريش قال قائلها : ... الى مكارم هذا ينتهى الكرم
يغضى حياء ويغضى من مهابته ... فما يكلم الا حين يبتسم
بكفه خيزران ريحه عبق ... من كف أروع فى عرنينه شمم
يكاد يمسكه عرفان راحته ... ركن الحطيم اذا ما جاء يستلم
الله شرفه قدما وعظمه ... جرى بذاك له فى لوحه القلم
اى الخلائق ليست فى رقابهم ... لاولية هذا اوله نعم
من يشكر الله يشكر أولية ذا ... فالدين من بيت هذا ناله الامم
ينمى الى ذروة الدين التى قصرت ... عنها الاكف وعن ادراكها القدم
من جده دان فضل الانبياء له ... وفضل امته دانت له الامم
مشتقة من رسول الله نبعته ... طابت مغارسه والخيم والشيم
ينشق ثوب الدجى عن نور غرته ... كالشمس تنجاب عن اشراقها الظلم
من معشر حبهم دين وبغضهم ... كفر وقربهم منجى ومعتصم
مقدم بعد ذكر الله ذكرهم ... فى كل بدء ومختوم به الكلم
ان عد أهل التقى كانوا أئمتهم ... أو قيل «من خير اهل الارض» قيل هم
لا يستطيع جواد بعد جودهم ... ولا يدانيهم قوم وان كرموا
هم الغيوث اذا ما أزمة ازمت ... والاسد اسد الشرى والبأس محتدم
لا ينقص العسر بسطا من أكفهم ... سيان ذاك ان اثروا وان عدموا
يستدفع الشر والبلوى بحبهم ... ويسترب به الاحسان والنعم ٠

وهى تسعة وعشرون بيتا ٠

فلما سمعها هشام غضب وحبس الفرزدق بعسفان ، ولما وصل الخبر زين العابدين وصله باثنى عشر الف درهم ، قائلا له : اعذر لنا لو كان عندنا اكثر لوصلناك به فقال : انما مدحت لله لا لعطاء ، فرد العطية ، فقال زين العابدين انا أهل البيت اذا وهبنا شيئا لا نستعيده ، ثم قبلها

الفرزدق متشكرا ثم هجا هشاما فى السجن ، ولما وصله ذلك أمر باطلاقه .

وكان من أخلاقه رضى الله عنه الاعراض عن الجاهلين ، فقد بالغ رجل فى سبه ، وهو متغافل عنه ، فقال له : اياك اقصد ، فقال : وعنك أعرض ومن كلامه رضى الله عنه ما يسرنى بنصيبى من الذل حمر النعم .

توفى رضى الله عنه سنة (97) هجرية ، بعد موت الحجاج بن يوسف فى خلافة يزيد الثانى بن عبد الملك بن مروان ، وعمره (57) سنة ، عاش سنتان منها مع جده على بن أبى طالب ، كرم الله وجهه ، ثم عشرة أعوام مع عمه الامام الحسن ، ثم (11) سنة مع أبيه الحسين ، ثم (34) بعدهم ، وقيل مات مسموما سمه الوليد بن عبد الملك ودفن بالبقيع بجنب عمه الامام الحسن ، وخلف من الاولاد (11) ذكرا وأربع اناث فجميع أولاده رضى الله عنه (15) ولدا . فكان وارثه فى الفضل والعلم ، والعبادة، والزهد ، والمعرفة بالله ولده « الباقر » .

أبو جعفر محمد الباقر

فهو الامام « محمد » بن على بن الحسين بن على بن أبى طالب كرم الله وجهه ، وكنيته أبو جعفر ، ولقبه الباقر ، ولقب به للوصف الذى قام به ، واشتقاته من بقر الارض اذا شقها ، وأثار مخابئها ومكامنها ، أطلق عليه لما اظهره من مخبئات كنوز الاسرار والمعارف وحقائق الاحكام ، والحكم واللطائف ، وقد أثير عنه من ذلك مالا يخفى الا على منطمس البصيرة ، أو فاسد الطوية والسريرة ، ومن ثم قيل فيه : هو باقر العلم وجامعه ، ومشهره ورافعه ، صفا قلبه ، وزكى علمه وعمله ، وطهرت نفسه وشرف خلقه ، فعمر أوقاته بطاعة ربه ، وله من الرسوم فى مقامات العارفين ما تكل عنه السنة الواصفين ، وله كلمات كثيرة فى السلوك والمعارف ليس هذا مقامها وكفاه شرفا ان ابى المدينى روى عن جابر انه قال له : وهو صغير ، ان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرئك السلام وهو من كراماته رضى الله عنه ، فقيل لجابر فى ذلك : فقال : كنت جالسا عنده ، والحسين فى حجره ، وهو يداعبه ، فقال يا جابر ، يولد له مولود اسمه على اذا كان يوم القيامة نادى مناد ليقم زين العابدين فيقوم ولده ، أى على ثم يولد له ولد ، اسمه « محمد » فان أدركته يا جابر فاقرئه منى السلام.

ومن مناقبه الاخبار بملك العباسيين ، توفى رضى الله عنه سنة (113)

هجرية ، وتوفى فى خلافة هشام بن عبد الملك ، وقد خلق ولابيه (17) سنة ، وعلى هذا فتكون حياته رضى الله عنه (58) سنة ، وقيل مات مسموما كأبيه على زين العابدين رضى الله عنه وهو علوى من جهة ابيه وامه ، ودفن بالبقيع الى جانب عميه الحسن والعباس رضى الله عنهم وخلف ستة اولاد ذكور ، افضلهم واكملهم وارثه فى ذلك ولــده الامـــام « جعفـــر » ابنه (6) ٠

جعفــــر الصــــادق

فهو جعفر بن محمد بن على بن الحسين بن على بن أبى طالب كرم الله وجهه ، امه فروة بنت القاسم بن محمد بن أبى بكر الصديق رضى الله عنهم ، ومن ثم كان خليفته ووصيه ٠ ونقل عنه الناس من العلوم ما سارت به الركبان ، وانتشر صيته فى جميع البلدان وروى عنه الائمة الاكابر ، كيحيى ابن سعيد ، وابن جريج ، ومالك ، والسفيانيين وأبى حنيفة ، وشعبــة وأيوب السختيانى ، وروى ابن أبى الدنيا عن جعفر الصادق عن أبيه محمد الباقر عن ابيه على زين العابدين عن جده على بن أبى طالب كرم الله وجهه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : ياتى على الناس زمان لم يبق من الاسلام الا اسمه ، ومن الكتاب الا رسمه ، مساجدهم عامرة ، وهى خراب من الهدى ٠ وفى رواية اخرى لغيره ، وقلوبهم خراب من الهدى ، علماؤهم اشر ممن هو تحت اديم السماء ، منهم خرجت الفتنة واليهم تعود ٠

ومن مناقبه ما روى فيه ، انه سعى به عند أبى جعفــر المنصور العباسى ، ولما حج المنصور اراد أن يتحقق من القضية ، فأمر باحضار جعفر الصادق فحضر ، وعند المنصور الساعى به ، ليشهد ، فقال جعفر الصادق : للشاهد اتحلف ، ؟ قال : نعم ، فحلف بالله العظيم كما هــو اليمين ، فقال جعفر الصادق : احلفه يا أمير المومنين بما اراه ، فقال له : لك ذلك ، فقال جعفر الصادق للشاهد الساعى به ، قل : برئت من حول الله وقوته والتجأت الى حولى وقوتى لقد فعل جعفر كذا وكذا ، وقال : كذا وكذا ، فامتنع الرجل فأجبر على الحلف من قبل الامير فحلف جبرا ، وروى انه ما اتم حلفه حتى هلك مكانه . فقال امير المومنين لجعفر لا بأس عليك ، أنت مبرأ الساحة ، المامون الغائلة ٠ ثم انصرف فلحقه الربيــع بجائزة حسنة ، وكسوة سنية ٠

ومنها ما روى عنه ايام ضعف بنى أمية ، وتضعضع سلطانهم ، أنه طلب منه المبايعة ابن عمه عبد الله الكامل ، « الامام محمد » النفس الزكية ، واخوه يحيى ، فامتنع ، واتهم بأنه يحسدهما ، فقال : والله ليست لى ولا لكما ، وانها لصاحب القباء الاصفر ، ليلعبن بها صبيانهم وغلمانهم ، وكان أبو جعفر المنصور حاضرا وقريبا ، وعليه قباء اصفر ، فبلغه الحديث فما زالت كلمة جعفر الصادق محط أمله حتى ملكوا ، وسبق جعفر الى ذلك والده محمد الباقر ، فانه أخبر المنصور بملك الارض شرقها وغربها ، وطول مدته، فقال ، أى المنصور له : وملكنا قبل ملككم ؟ قال : نعم ، قال : فمدة بنى أمية أطول أم مدتنا ؟ قال : مدتكم ، وليلعبن بهذا الملك صبيانكم كما يلعب بالكرة ، هذا ما عهد الى أبى . فلما افضت الخلافة للمنصور بملك الارض تعجب من قول الباقر رضى الله عنه ، ومنها انه كان مجاب الدعوة .

فقد أخرج أبو القاسم الطبرى ، من طريق ابن وهب قال : سمعت الليث بن سعد يقول : حججت سنة (146) هجرية ، فلما صليت العصر فى المسجد ، اى مسجد المدينة ، رقيت أبا قبيس ، فاذا رجل جالس يدعو فقال : يارب ، حتى انقطع نفسه ثم قال : ياحى ، ياحى ، ياحى ، حتى انقطع نفسه ، ثم قال : الاهى انى اشتهيت العنب ، فاطعمنيه اللهم وان برداى قد خلقتا فاكسنى ، قال الليث : فو الله ما استتم كلامه حتى نظرت الى سلة مملوءة عنبا ، وليس على وجه الارض يومئذ عنب ، واذا ببردتان موضوعتان لم أر مثلهما ، فى الدنيا ، فأراد أن ياكل ، فقلت أنا شريكك ، فقال : وبم ؟ فقلت لانك دعوت وكنت أؤمن ، فقال تقدم وكل ، فتقدمت واكلت عنبا لم آكل مثله قط ، وما كان له عجم فأكلنا حتى شبعنا ، ولم تتغير السلة ، فقال ، لا تدخر ولا تخبىء منه شيئا ، ثم اخذ أحد البردين ودفع الى الآخر ، فقلت انا فى غنى عنه ، فاتزر بأحدهما وارتدى بالاخر ، ثم أخذ برديه الخلقتين ، فنزل وهما بيده ، فلقينى رجل بالمسعى فقال : اكسنى يا ابن رسول الله مما اكساك الله ، فانى عريان ، فدفعهما اليه فقلت من هذا ؟ فقال جعفر الصادق فطلبته فلم أجده ، واردتان اسمع منه شيئا فلم اقدر عليه . وتوفى فى سنة (184) هجرية مسموما ايضا على ما حكى والله أعلم ، وعمره (68) سنة ، ودفن بالبقيع عند قبر أبيه واهله، وخلف ستة ذكور ، وبنت فورثه فى الفضل منهم موسى .

و (7) ابنـــه :

موسى الكاظم

فهو موسى بن جعفر بن محمد بن على زين العابدين بن الحسين بن على ابن ابى طالب كرم الله وجهه ، ولقب بالكاظم لكثرة حلمه وصبره ، وتجاوزه ، وكان معروفا عند أهل العراق بباب قضاء الحوائج عند الله ، فهو الذى ورث سر ابيه فى العلم والمعرفة بالله ، والكمالات الاخلاقية ، فهو رضى الله عنه لشهرته عند أهل الشرق والغرب غنى عن التعريف به، وكان اتقى أهل زمانه ، وأكثرهم علما وعبادة ، واكرمهم يدا ، واحسنهم خلقا وخلقا ، ومن مناقبه ان الرشيد سأله ، كيف قلتم انا ذرية رسول الله ؟ صلى الله عليه وسلم ، فتلى قوله تعالى : ومن ذريته داود وسليمان وأيوب ويوسف ، وموسى وهارون ، وكذلك نجزى المحسنين وزكريـاء ويحيى وعيسى » فقال : وليس له اب ، وايضا قال تعالى : فمن حاجك فيه من بعد ما جاءك من العلم فقل تعالوا ندع ابناءنا وابناءكم ونساءنا ونساءكم، وانفسنا وانفسكم ثم نبتهل فنجعل لعنة الله على الكاذبين » ولم يدع النبى صلى الله عليه وسلم عند مباهلة النصارى غيرهم بعد ما دعا عليا وفاطمـة والحسن والحسين فهما الابناء ، ومن بديع كراماته ومناقبه ما حكاه ابن الجوزى والهرمزى وغيرهما عن شقيق البلخى انه خرج حاجا سنة (149) هجرية ، فرآه بالقادسية منفردا عن الناس ، فقال فى نفسه : هذا فتى من الصوفية يريد أن يكون كلا على الناس ، لامضين اليه ولاوبخنه ، فمضى اليه ووبخه ، فقال : ياشقيق ، اجتنبوا كثيرا من الظن ان بعض الظن اثم » فأراد أن يحالله فغاب عن عينه ، فما رآه الا بواقصة يصلى ، واعضاؤه تضطرب ، ودموعه تتحادر ، فجاء اليه ليعتذر ، فخفف فى صلاته وقال : قال الله تعالى : وانى لغفار لمن تاب وآمن وعمل صالحا ثم اهتدى » ولما نزلوا زمالة ، رآه على بير ، فسقطت ركوته فيها ، فدعا ، فطفا المـاء له حتى اخذها ، ثم توضأ وصلى أربع ركعات ثم مال الـى كثيب رمـل فطرح منها فيها وشرب ، وقال له : اطعمنى من فضل ما رزقك الله تعالى فقال : ياشقيق ، لم تزل نعم الله علينا ظاهرة وباطنة فأحسن ظنك بربك ، فناولنيها فشربت منها ، فاذا هو سويق وسكر ، ما شربت والله الذ منه ، ولا اطيب ريحا ، فشبعت ورويت ، واقمت أياما لا اشتهى شرابا ولا طعاما ، ثم لم اره الا وهو بمكة ، وهو بغلمان وغاشية ، وامور على خلاف ما كان عليه بالطريق ولما حج الرشيد سعى به اليه ، وقيل له : ان الاموال تحمل اليه ، من كل جانب حتى اشترى ضيعة بثلاثين الف دينار ، فقبض عليه وأنفذه

الى اميره بالبصرة ، عيسى بن جعفر بن المنصور ، فحبسه سنة ثم كتب اليه الرشيد فى دمه ، فاستعفى واخبر انه لم يدع على الرشيد ، فكتب الى الرشيد بذلك ولما بلغه الكتاب كتب الى عامله السدى بن ساهيك بتسليمه ، وامره فيه بأمر ، فجعل له سما فى طعامه ، فتوعك ومات بعد ثلاثة ايام ، وعمره (35) سنة . وذكر المسعودى : ان الرشيد راى علما فى النوم ، ومعه حربة ، وهو يقول : افرج عن الكاظم ، والا نحرتك بهذه ، فاستيقظ فزعا ، وارسل فى الحال والى شرطته اليه يطلقه ، وبعث اليه بثلاثين الف درهم ، وانه يخيره بين المقام عنده مكرما ، أو الذهاب الى المدينة ، فاختار الذهاب الى المدينة . فقال له الرشيد رايت عجبا ! قال : وما ذاك ؟ قال له : رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فى المنام ، وعلمنى كلمات ، فقلتها ، فما فرغت منها الا وجاءنى رسولك بالامر بالافراج عنى . وقيل قد كان سجنه موسى الهادى أخو هارون الرشيد فى خلافته ، ثم امر باطلاقه ، لانه وقف عليه الامام على كرم الله وجهه مناما وهو يقرأ عليه هذه الآية : فهل عسيتم ان توليتم أن تفسدوا فى الارض وتقطعوا أرحامكم اولائك الذين لعنهم الله فأصمهم وأعمى أبصارهم » فانتبه وعرف انه المراد فأمر باطلاقه ليلا . ومن جوابه للرشيد حين رآه جالسا عند الكعبة بعد ما قال له : أنت الذى تبايعك الناس سرا ؟ فقال : انا امام القلوب وانت امام الجسوم ، ولما اجتمعا امام القبر الشريف على صاحبه أفضل الصلاة والسلام قال الرشيد : السلام عليك يا ابن العم ، يا رسول الله ، سمعها من حوله ، فقال : الكاظم :السلام عليك يا أبت ، فتغير وجه الرشيد ، فكانت سببا لالقاء القبض عليه ، وحمله معه الى بغداد ، ثم أمر بسجنه ، فلم يخرج منه حتى مات مقيدا وهذا السبب غير السبب الاول ، ويحمل على ان السبب الاول كان سنجه بأمر موسى الهادى ، والسبب الثانى كان سجنه بأمر هارون الرشيد ، وليس ذلك ببعيد على من تأمل حياة هؤلاء العباقرة الاماجد ، رضى الله عنهم ، ودفن بالجانب الغربى من ظاهر بغداد ، وخلف من الاولاد سبعة وثلاثين ذكرا وانثى واحدة والذى ورث مقام ابيه منهم اجلهم وانبههم على .

و (8) ابنـه :

علـى الـرضـى

فهو على بن موسى بن جعفر بن محمد بن على بن الحسين بن على

ابن أبى طالب كرم الله وجهه وهو الذى ورث سر ابيه فى العلم والدين والمعرفة بالله ، فكان أعلم اهل زمانه ، وأحسنهم خلقا وخلقا ، وكان يعاصر من الخلفاء العباسيين المامون ، ولذلك قربه اليه ، واختاره لنفسه ، واحله محل مهجته ، وانكحه ابنته ، وأشركه فى مملكته حتى فوض اليه امر خلافته ، وكتب بيده كتابا سنة (201) هجرية نص فيه على ان عليا الرضى ولى عهده ، واشهد عليه جمعا كثيرا غير انه توفى قبل المامون ، ويقال : اسف عليه اسفا شديدا ، واخبر قبل موته انه ياكل رمانا مبثوثا ويموت ، وان المامون يريد دفنه خلف أبيه هارون الرشيد ، فلم يستطع ولكن لا تنسى ان ذلك لوجه على الرضى فيهم لانك تعلم الحالة الداخلية فى عهد المامون من استبداد قواده عليه ، وطغيان أمر شيعة العلويين ، الذين كانوا يجعلونهم هدفا لاغراضهم ، أو يعرضوهم للموت بسبب دفعهم والتستر وراءهم ، وفى سنة (199) هجرية ، قد استفحل امرهم فخرج منهم على المامون محمد بن ابراهيم بن اسماعيل بن ابراهيم بن الحسن المثنى بن الحسن السبط ، بالكوفة وقام بأمره رجل من شيعته ، وهو ابو السرايا السرى بن منصور الشيبانى فاستولى على الكوفة من يد عاملها سليمان بن أبى جعفر المنصور ، الا ان محمدا فاجأه الحمام فولى ابو السرايا بدله غلاما أمرد حدثا ، وهو محمد بن محمد بن زيد بن على زين العابدين فكانت الامور كلها بيد ابى السرايا ، والشاب الحدث ، الذى قدمه عليه انما هو للتبرك به فقط ، ثم ازداد الامر تفاقما بخروج ابراهيم بن موسى الكاظم باليمن ، ولما سمع عامل صنعاء اسحاق بن موسى بن عيسى بقدوم ابراهيم ترك صنعاء وانصرف مقلدا عمه داود بن عيسى فى مكة ، فاستولى ابراهيم على اليمن ، وكان يقال له الجزار ، لكثرة من قتل باليمن ، من الناس سنة (200) هجرية ، ولم تطل هذه الفتن حتى اخمدت هذه السنة بانهزام القائمين معا ، فنرى المؤرخين يتعامون عن الحقيقة ، وينسبون عيوبها ، ويحملون مسؤوليتها العلويين وحدهم ، ويسكتون على المحركين الحقيقيين لها الذين كانوا من وراء حجاب ، يدفعونهم من الوراء لتحقيق اغراضهم ، ولذلك لم ينج المامون من تهمة قتل صهره ، زوج ابنته الشريف على الرضى رضى الله عنه مسموما ، ولكن سياسة المكر هى هى فى كل زمان ، ومكروا ومكر الله والله خير الماكرين » حيث ان أسباب ذلك واضحة، وهى ان أبناء عم المامون الاقربين ، كانوا ينقمون عليه تقربه وتودده للعلويين ، وابرزهم على الرضى ، وقد يكون ذلك من فعل الباطنية المامونية ليخففوا عن المامون ما هو فيه من اضطراب ابناء عمه العباسيين عليه ،

حتى خرج عليه منهم عمه ابراهيم ، حتى يخلصوه ويستريحوا مما يعتقدونه شرا عليهم وهو خوفهم على خروج الخلافة من أيديهم الى آل على ، ويؤكد هذا ان المامون كتب بعد موت على الرضى فورا الى بنى العباس ، والموالى واهل بغداد يعلمهم بموت على الرضى ، لما كان بطوس ، وكانت وفاة على الرضى رضى الله عنه سنة (202) هجرية ، وكان العباسيون اجتمعوا للنظر فى أمر المامون ، قالوا نولى بعضنا ونخلع المامون ، واتفقوا أخيرا على مبايعة عمه ابراهيم بن المهدى عامل بغداد وخلع المامون ، وكان ذلك فى أول المحرم سنة (202) وكان المامون قد زوج محمد بن على الرضى ، المعروف « بالجواد » ابنته الاخرى ، وعلى الجملة فان المامون كان يعامل الطالبيين معاملة تناسب اعتقاده فيهم ، لان البرامكة ربوه على موالاتهم ، واليهم يرجع الفضل فى ذلك ومن مواليه معروف الكرخى استاذ السرى السقطى ، لانه أسلم على يده ومن مناقبه انه قال لرجل يا عبد الله ، ارض بما يريد الله ، واستعد لما لا بد منه فمات الرجل بعد ثلاثة أيـــام ، رواه الحاكم . وروى الحاكم أيضا عن محمد بن عيسى عن أبى حبيب قال : رايت النبى صلى الله عليه وسلم فى المنام فى المنزل الذى ينزل فيه الحجاج ببلدنا فسلمت عليه فوجدت عنده طبقا من خوص المدينة فيه تمر صيحانى فناولنى منه ثمانى عشرة ، فتأولت ان اعيش مدتها ، فلما كان بعد عشرين يوما قدم ابو الحسن على الرضى من المدينة ونزل ذلك المسجد وهرع الناس بالسلام عليه . فمضيت نحوه فاذا هو جالس فى الموضع الذى رأيت فيه النبى صلى الله عليه وسلم جالسا فيه ، وبين يديه طبق من خوص المدينة فيه تمر صيحانى ، فسلمت عليه فاستدنانى وناولنى قبضة من ذلك التمر ، فعددتها فاذا هى بعدد ما ناولنى النبى صلى الله عليه وسلم فى النوم ، فقلت زدنى ، فقال : لو زادك رسول الله صلى الله عليه وسلم لزدناك . وقال الشيخ ابو العباس السوسى فى وصلة الزلفى تقربا بآل المصطفى ، ما نصه : وفى تاريخ نيسابور ان عليا الرضى بن موسى الكاظم ، لما دخل نيسابور كان فى قبة مستورا بالسفلاط ، وهو المظلة التى يستعملها الملوك على بغلة شهباء ، وقد شق سوق نيسابور ، فتعرض له الامامان الحافظان : ابو زرعة الرازى ، ومحمد بن اسلم الطوسى ، ومعهما خلائق لا يحصون عددا من طلبة العلم والحديث واهل الرواية والدراية ، فقال له : أيهـــا السيد الجليل ، ابن السادات الائمة بحق آبائك الاطهرين ، وأسلافك الاكرمين ، الا ما اريتنا وجهك المامون ورويت لنا حديثا عن آبائك عن جدك رسول الله صلى الله عليه وسلم نذكرك به . فاستوقف البغلة ، وأمـــر

غلمانه بكشف المظلة ، واقر عيون تلك الخلائق برؤية طلعته المباركة ، فكانت له دؤابتان مدليتان على عاتقه ، والناس كلهم على اختلاف طبقاتهم ناظرون اليه ، وهم ما بين صارخ وباك ، ومتمرغ فى التراب ومقبل لحافر بغلته ، وعلا الضجيج ، فصاح الائمة والفقهاء والعلماء ، معاشر الناس اسمعوا وعوا وانصتوا لسماع ما ينفعكم ، ولا توذوننا بكثرة صراخكم وبكائكم ، وكان المستملى ابو زرعة الرازى ، ومحمد بن اسلم الطوسى ، فقال الامام على الرضى حدثنى ابى موسى الكاظم عن ابيه جعفر الصادق عن ابيه محمد الباقر ، عن ابيه على زين العابدين ، عن ابيه الحسين سيد شباب اهل الجنة ، وشهيد كربلاء ، عن ابيه أمير المومنين على ابن ابى طالب كرم الله وجهه ، قال : حدثنى حبيبى وقرة عينى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : حدثنى جبريل قال : سمعت رب العزة يقول : لا الاه الا الله حصنى فمن قالها دخل حصنى ومن دخل حصنى أمن من عذابى . ثم أرخى الستر على القبة وسار ، قال ابو زرعة : فعد اهل المحابر والدوى الذين كانوا يكتبون فأنافوا على (20) الفا ، قال الاستاذ ابو القاسم القشيرى : اتصل هذا الحديث بهذا السند ببعض امراء السامانية فكتبه بالذهب ، واوصى ان يدفن معه فى قبره ، فرىء فى المنام فقيل له : ما فعل الله بك ؟ فقال غفر لى بتلفظى بلا الاه الا الله ، وبتصديقى بأن محمدا رسول الله . وذكر الجمال الدرنى فى كتابه معراج الوصول : ان الحافظ ابا نعيم روى هذا الحديث بسنده عن اهل البيت المذكورين الى على بن ابى طالب سيد الاولياء قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : سيد الانبياء ، حدثنى جبريل سيد الملائكة قال : قال الله تعالى : اننى انا الله لا الاه الا انا فاعبدونى » فمن جاء منكم بشهادة ان لا الاه الا الله بالاخلاص دخل حصنى ، ومن دخل حصنى امن من عذابى . قال : وفى رواية غير ابى نعيم ، قال الله تعالى : لا الاه الا الله حصنى الحديث ، ثم نقل ما قاله الاستاذ القشيرى ، وزاد عقب قوله وتصديقى بأن محمدا رسول الله ، وكتابة هذا الحديث بالذهب تعظيما له واحتراما .

وقال الحافظ جمال الدين ابو نعيم : قال ابو الليث عبد السلام بن صالح الهروى كنت مع على الرضى بن موسى الكاظم ، وقد دخل نيسابور ، وهو على بغلة شهباء فعدا فى طلبه العلماء من اهل البلد ، وهم أحمد بن حرب ، وابن النضر ، ويحيى بن يحيى وعدة من اهل العلم ، فتعلقوا بلجامه فى المريعة ، وقالوا له بحق آبائك الطاهرين حدثنا بحديث سمعته من ابيك فقال : حدثنى ابى العبد الصالح موسى بن جعفر الصادق قال :

حدثنى ابى جعفر الصادق بن محمد قال : حثنى ابى محمد الباقر علم الانباء قال : سمعت أبى سيد العابدين على بن الحسين قال : حدثنى أبى سيد شباب اهل الجنة الحسين بن على قال : سمعت ابى سيد العرب على بن ابى طالب يقول : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : الايمان معرفة بالقلب ، واقرار باللسان ، وعمل بالاركان . قال الامام أحمد ابن حنبل رضى الله عنه لو قرات هذا الاسناد على مجنون لبرىء من حينه .

توفى الامام على الرضى رحمه الله بعد خروج المامون لطوس فى شهر عيد الفطر ، وله من العمر (55) سنة وخلف من الاولاد خمسة ذكور وبنتا فكان أجلهم ووارثهم لسر ابيه هو محمد .

و (9) ابنـــه :

محمـــد الجـــواد

فهو محمد بن على بن موسى بن جعفر بن محمد بن على بن الحسين ابن على بن أبى طالب كرم الله وجهه . وهو وارث سر أبيه فى العلم والمعرفة بالله ، وكان فى الفضل يعد آية بينة فى زمانه ، وستراه يناظر العلماء بحضرة المامون لم تطل حياته أكثر من (25) سنة ، ومن مناقبه ما اتفق له مع المامون بعد موت ابيه بسنة انه وجده واقفا والصبيان يلعبون فى ازقـــة بغداد ، فبينما هم على ذلك ، اذ راوا المامون مارا بهم ففروا وبقى محمد مكانه لم يتحرك وعمره ثمان سنوات ، فلما وصل اليه المامون دعاه وسأله عن عدم فراره مع أصحابه فقال له : يا غلام وما منعك أن تنصرف مـــع اصحابك ؟ فقال له مسرعا يا امير المومنين لم يكن بالطريق ضيق فأوسعه لك وليس لى جرم فأخشاك ، والظن بك حسن انك لا تضر من لا ذنب له ، فوقع كلامه منه موقع الاعجاب ، فتعجب من حسن صورته وادبه مع صغر سنه وسأله من انت ؟ فقال محمد بن على الرضى فقال المامون نعم الولد ، ثم ساق جواده وكان معه بازة للصيد ، فلما بعد عن العمار ارسل الباز وراء دراجة فغاب عنه ثم عاد من الجو وفى منقاره سمكة صغيرة وبها بقية من الحياة ، فتعجب من ذلك ، ثم رجع والزمان لم يطل كثيرا ، فوجد الصبيان على حالهم ، فلما راوه فروا على عادتهم وبقى محمد للمرة الثانية مكانه ، فلما وصل اليه الخليفة دنا منه وسأله عما فى يده فقال : يا أمير المومنين ان الله خلق فى بحر قدرته سمكا صغارا يصيدها بازات الملوك والخلفاء فيختبر بها سلالة اهل بيت المصطفى ، فقال له : أنت ابن الرضى حقا فأخذه

معه واحسن اليه وأكرمه ، وبالغ فى اكرامه ، فلم يزل موضع حظ من عنايته بعد ما عرف فضله وعلمه وكمال عقله ، وظهور برهانه مع صغر سنه ، حتى عزم على زواجه بابنته ام الفضل ، ولما علم بذلك ابناء عمه العباسيون حاولوا الوصول الى أن يحولوا بينه وبين تنفيذ رغبته ، وذلك خوفا من أن يعهد اليه كما عهد الى ابيه من قبل . ولما ذكروه واظهروا له رغبتهم اجابهم بأنه انما اختاره لفضله وعلمه ، وكمال عقله ، وتمييزه بذلك على سائر اقرانه ، فنازعوه بأن يكون لمحمد بن على هذا الشأن مع صغر سنه ، ثـم تواعدوا مع الخليفة على أن يعقدوا معه ومحمد بن على مناظرة بمحضر الخليفة ، فلما حضروا الى الخليفة ومعهم محمد بن أكثم ، وخواص الدولة ، أمر المامون بتشييد قاعة للمناظرة ، واختاروا لمحمد مكانا رفيعا منها ، فأجلسه فيه ، فسأله يحيى عن مسائل اجاب عنها أحسن جواب وأوضحه فقال الخليفة : احسنت ! ابا جعفر فان اردت ان تسأل يحيى ، ولو مسألة واحدة فقال محمد : ما تقول ؟ فى رجل نظر الى امرأة اول النهار حراما ، ثم حلت له ارتفاعا ثم حرمت عليه عند الظهر ، وتزوجها للعصر ، ثم حرمت عليه للمغرب ، ثم حلت له للعشاء ثم حرمت عليه لنصف الليل ، ثم حلت له للفجر . فقال يحيى : لا أدرى ، فقال محمد هى امة نظر اليها احنبى بشهوة ، وهى حرام ، ثم اشتراها ارتفاع النهار ، فأعتقها للظهر ، وتزوجها للعصر ، وظاهر منها للمغرب ، وكفر للعشاء ، وطلقها رجعيا لنصف الليل ثم راجعها للفجر ، فعند ذلك قال المامون لابناء عمه : قد عرفتم ما كنتم تنكرون ، ثم زوجه فى ذلك المجلس ابنته ام الفضل ، وبعد أن دخل بها ذهب بها الى المدينة المنورة ، وفى بعض الايام بعثت الى ابيها تشتكى منه انه تسرى عليها فبعث اليها ابوها بالجواب ، انا لم نزوجك له لنحرم عليـه الحلال ، فلا تعودى لمثله ، ومات المامون فى (18) رجب الفرد سنة (218) هجريــة . ثم بعد وفاته قدم محمد الجواد بزوجه ام الفضل بغداد بأمر من المعتصم لليلتين بقيتا من المحرم سنة (220) هجرية ، ثم توفى محمد بعد ذلك بيومين ودفن بالجانب الغربى من ظاهر بغداد بمقبرة قريش ، الــى جانب جده موسى الكاظم ، وعمره (25) سنة ، ويقال انه مات مسموما ايضا ، وحملت زوجه ام الفضل الى دار المعتصم ، وخلف ذكرين وبنتين ، اجلهما وارث سر أبيه على .

و (10) ابنــه :

علـى الهـادى العسكـرى

فهو على بن محمد بن على بن موسى بن جعفر بن محمد بن على ابن الحسين بن على بن ابى طالب كرم الله وجهه ، فهو وارث سر أبيه فى العلم والعبادة ، والمعرفة بالله والدين والفضل وهو عاشر أئمة الامامية وسمى بالعسكرى لسكناه تحت المراقبة العسكرية وكان سبب ذلك انه لما سعى به لدى المتوكل ارسل اليه ، ووضعه تحت الاقامة الجبرية بمدينة « سر من رأى » العسكرية ، وكانت على مرحلة من بغداد ، وتسمى اليوم عند المؤرخين سامرا ، وهى الآن خراب من المدن الاثرية من ذلك العهد لانه لا فائدة فى سكناها بعد جلاء القوات العسكرية عنها ، وكانت تسمى العسكر أيضا ، وكان زاهدا جواد الكفين يعطى بكلتا اليدين ، ومن مناقبه فى الكرم : ان اعرابيا من اعراب الكوفة جاءه وقال له : انى من المتمسكين بولاء جدك ، وقد ركبنى دين اثقلنى حمله ، ولم اقصد لقضائه سواك ، فقال : كم دينك ؟ قال : عشرة آلاف درهم ، فقال طب نفسا بقضائه ان شاء الله ، ثم كتب له ورقة فيها ذلك المبلغ دينا عليه ، اى المتصدق ، وقال له : ايتنى به فى المجلس العام للعلم وطالبنى بما فيها ، واغلظ على فى الطلب ففعل الرجل كما طلب اليه ، فاستمهله ثلاثة ايام ، فبلغ ذلك المتوكل ، فأمر له بثلاثين الفا فلما وصلته أعطاها الاعرابى كلها ، وقال يا ابن رسول الله ان العشرة أقضى بها اربى ، فأبى أن يسترد من الثلاثين شيئا ، فولـى الاعرابى وهو يقول : الله اعلم حيث يجعل رسالاته » ومن مناقبه ان امراة زعمت انها شريفة بحضرة المتوكل فسأل من يخبر بأمرها ، فدل على على الهادى العسكرى فجىء به وأجلسه معه على السرير وسأله فقال : على العسكرى ان الله حرم لحم أولاد الحسنين على السباع ، فلتلق للسباع ، فعرض عليها ذلك فاعترفت بكذبها · ثم قالت البطانة للمتوكل الا تجرب فيه ذلك ، فأمر بثلاثة من السباع فجعلت فى صحن قصره ، ثم دعاه فلما دخل بابه اغلق عليه ، والسباع قد أصمت الاسماع بزئيرها ، فلما دخل فى الحصن يريد الدرجة مشت اليه وقد سكتت وتمسحت به ودارت حوله ، وهو يمسحها بكمه ، ثم ربضت فصعد للمتوكل ، وتحدث معه ساعة ثم نزل ففعلت معه ثانية كما فعلت فى الاولى ، ثم خرج فأمر المتوكل بجائزة عظيمة فالحق بها ، فقيل للمتوكل افعل كما فعل ابن عمك فلم يجسر عليه ، وقال لهم : اتريدون قتلى ؟ ثم امرهم ان لا يفشوا ذلك ثم سعى به الى المتوكل ، فأقدمه مـن المدينة المنورة مثوى الآباء والاجداد الى سامرا ، وقد ظل مقيما بها تحت

الاقامة الجبرية نحو (20) سنة ، ولم تنقطع السعايات عنه ، وهو مقيم في المعسكر ، فقيل للمتوكل ان بمنزله سلاحا وكتبا وغيرها من شيعته ، فوجه اليه ليلا من هاجمه فى منزله وهو غافل ، فوجده فى بيت وحده ، عليه مدرعة من شعر ولا بساط فى البيت الا الرمل والحصا وعلى رأسه ملحفة من صوف، وهو يقرأ ويدعو فحمل الى المتوكل فى جوف الليل ، فمثل بين يديه وهو يشرب الخمر فأجلسه الى جنبه ، وعرض عليه الخمر ، فاستعفى فأعفاه ، ثم قال له : انشدنى شعرا فأنشده :

باتوا على قلل الاجبال تحرسهم — غلب الرجال فما اغنتهم القلل
واستنزلوا بعد عز عن معاقلهم — فأودعوا حفرا يا بيسما نزلوا
ناداهم صارخ من بعد ما قبروا — اين الاسرة والتيجان والحلل
اين الوجوه التى كانت منعمة — من دونها تضرب الاستار والكلل
فافصح القبر عنهم حين ساءلهم — تلك الوجوه عليها الدود يقتتل
قد طالما اكلوا دهرا وما شربوا — فأصبحوا بعد طول الاكل قد أكلوا
وطالما عمروا دورا تحصنهم — ففارقوا الدور والاهلين وانتقلوا
وطالما كنزوا الاموال وادخروا — فخلفوها على الاعداء وارتحلوا
فأضحت منازلهم قفرا معطلة — وساكنوها الى الاجداث قد رحلوا

فبكى المتوكل حتى بلت دموعه لحيته ، ثم امر برفع الشراب ، وامر له بأربعة آلاف دينار ، ورد الى منزله مكرما ، ثم سعى به بعد ذلك فأمر بقتله فألقى فى بركة فيها سباع قد جوعت فأمسكت عن اكله ، ولاذت بجانبه ، وهابت الدنو منه ثم بنى عليه ركن بالجص والحجر وهو حى حتى توفى رضى الله عنه بسامرا فى جمادى الاخيرة سنة (254) هجرية ، ودفن بداره ، وعمره (40) سنة فيكون ميلاده (214) فى خلافة المامون ، وخلف من الذكور اربعة وانثى واحدة ، والذى ورث سر ابيه منهم اجلهم واكرمهم الحسن .

و (11) ابنه :

الحسن الخالص العسكرى

فهو الحسن بن على بن محمد بن على بن موسى بن جعفر بن محمد ابن على بن الحسين بن على بن ابى طالب كرم الله وجهه ، فكان رضى الله عنه وارث ابيه فى العلم والعرفان ، والعبادة والدين والفضل والجود

وكمال العقل وهو طفل ، ومن مناقبه ما رواه ابن خلكان أن بهلولا وجده يبكى وهو صبى فظن انه يبكى لما رآه فى يد الصبيان وهم يلعبون فقال له : انشترى لك ما تلعب به ؟ فقال يا قليل العقل ما للعب خلقنا ! فقال له : ولماذا خلقنا ؟ قال : للعلم والعبادة ، فقال له : من اين لك هذا ؟ قال من قول الله تعالى : افحسبتم انما خلقناكم عبثا وأنكم الينا لا ترجعون » ثم سأله أن يعظه فوعظه بأبيات لم ينقلها الحفاظ ثم خر مغشيا عليه ، فلما افاق قال له بهلول ما نزل بك وأنت صغير لا ذنب لك ، فقال : اليك عنى يا بهلول ، انى ارى والدتى توقد النار بالحطب الكبير فلا تتقد الا بالصغير ، وانى أخشى ان أكون من صغير حطب نار جهنم ، وسعى به لدى المعتمد على الله بن المتوكل فسجنه فقحطوا تلك السنة قحطا شديدا فأمر الخليفة المعتمد ان يخرج الناس للاستسقاء فخرجوا واستسقوا ثلاثة أيام فلم يسقوا فخرج النصارى ومعهم راهب فمد يده وجعل يدعو وسرعان ما انتشر الغيم وهطلت السماء ، ثم فى اليوم الثانى وقع مثل ذلك ، فشك بعض الجهلة وارتد فشق ذلك على الخليفة ، فأمر باطلاق الحسن ، ثم دعاه وقال له : ادرك امة جدك رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل أن تهلك ، فالتمس منه الحسن أن يخرجوا فى يوم الغد ، وكلم الخليفة فى اطلاق اصحابه من السجن ، فخلى سبيلهم ، فلما خرجوا وجعل الراهب يدعو رافعا يديه الى السماء ، وهو فى وسط النصارى ، فغيمت السماء فى الحين وجعل المطر ينزل ، فطلب الحسن من الامير أن يوتى بالراهب فأمر بفتشه فوجد معه عظم آدمى كان يتوسل به فأخذوه منه وقالوا له بعد ذلك ادع وتوسل بما كنت تتوسل به ، واطلب المطر فتوسل وارتفع ما كان موجودا من الغيم ، وصحت السماء ، وظهرت الشمس فعجب الناس من ذلك ! فسأل الخليفة الحسن وقال له : يا أبا محمد ما هذا ؟ قال هذا عظم نبى من الانبياء ظفر به هذا الراهب من بعض القبور فجعل يتوسل به الى الله ، وما توسل بعظم نبى الا استجيب له ، وهطلت السماء مطرا فامتحنوا ذلك العظم فكان كما قال : وزالت الشبهة عن الناس ، ورجع الحسن مشكورا مكرما عند الخليفة ، فأقام فى داره والخليفة يصله فى كل مناسبة صلة الى ان مات بسامرا سنة (260) هجرية ، وكان ميلاده فى (232) وله من العمر (28) سنة فى خلافة المعتمد على الله ودفن بها عند ابيه وعمه ، ويقال : انه مات مسموما ايضا ولم يخلف غير ولده ووارث سره محمد .

و (12) ابنه :

الامـام محمـد الحجـة

فهو محمد بن الحسن بن على بن محمد بن على بن موسى بـن جعفر ابن محمد بن على بن الحسين بن على بن أبى طالب كرم الله وجهه ، وكان له من العمر عند وفاة ابيه خمس سنوات ، وهو آخر الائمة الاثنى عشرية ، للشيعة الامامية ، ويسمى عندهم القاسم المنتظر وفيه اقوال عندهم ، فقيل ستر بالمدينة وغاب فلم يعرف أين ذهب ؟ ومن ثم يعتقدون انه المهـدى المنتظر ، وقد بسط محب اهل البيت ابن حجر الهيثمى الكلام على ذلك فى الفصل الاول من كتابه الصواعق المحرقة .

وقد بسطت الكلام عليه فى تأليفى العقيدة الناصعة للمسلم والمسلمة ، وما ورد من الاحاديث فى ذلك ، منها ما له طرق الصحيح ، ومنها ما هـو ضعيف ، وترجع الحقيقة فى ذلك لله وحده لا رب سواه والله أعلم بغيبه واحكـامـه .

الشيعـة والتشيـع لاهـل البيـت

كثيرا من الناس يجهلون ما هو التشيع ، ومن هم الشيعة ، وسابينه لك لغة وعرفا وحقيقة ، فمن الوجهة اللغوية معناه فى هذا الموضوع التبعية والمرافقة ماخوذ من شاعكم السلام ، وشاعكم الله بالسلام ، اى رافقكم السلام ، واتبعكم الله بالسلام ، فهو من الثلاثى ومن الرباعى المعدى بالالف والمضعف ، ومنه شيع الرجل اى قواه ، وياتى من شايع الرجل اى تابعه وقواه ووالاه على امر ، ويقال : تشيع الرجل ادعى دعوة الشيعة ، والامام الحسن السبط رضى الله عنه هو الذى يفسر لنا كلمة الشيعـى والمحب ، قال له رجل يا ابن رسول الله من شيعتكم فقال له عليه السلام : يا عبد الله ان كنت لنا فى أوامرنا وزواجرنا مطيعا فقد صدقت ، وان كنت بخلاف ذلك فلا تزد فى ذنوبك بدعواك مرتبة شريفة لست من اهلها ، لا تقل انا من شيعتكم ولكن قل انا من مواليكم ومحبيكم ، ومعادى اعدائكم وانت فى خير والى خير ، ومن كلامه رضى الله عنه ، صور الله عز وجل على بن ابى طالب فى ظهر ابى طالب على صورة محمد فكان على بن ابى طالب اشبه الناس برسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكان الحسين اخى اشبه الناس بفاطمة بنت رسول الله ، وكنت انا اشبه الناس بخديجة أم المومنين رضى الله عنها ، نحن الآخرون ونحن الاولون ، ونحن النـور ، وبنـور

الروحانيين ننور من نور الله ، ونروح بروحه · فينا مسكنه ، والينا معدنه ، الآخر منا كالاول ، والاول منا كالاخر ، ان الله اختارنا لنفسه ، وارتضانا لدينه ، واصطفانا على خلقه ، وانزل علينا وحيه ، وان الله لم يبعث نبيا الا اختار له نفسا ورهطا وبيتا ، ونحن نفس محمد ورهطه ، واهل بيته فو الذى بعث محمدا بالحق لا ينقص من حقنا — أهل البيت — أحد الا نقصه الله حقه مثله من عاجل دنياه وآخرته ، ولا يكون علينا دولة الا وتكون لنا العاقبة : ولتعلمن نبأه بعد حين » والله لا يحبنا عبد أبدا ولو كان أسيرا فى الديلم الا نفعه حبنا ، وان حبنا لساقط الذنوب من بنى آدم كما يساقط الريح الورق من الشجر نحن الابرار ، كل ما فى كتاب الله عز وجل ، ان الابرار ، فو الله ما أراد به الا على بن ابى طالب وفاطمة واياى والحسين اخى ، لاننا نحن الابرار ، بآبائنا وأمهاتنا وقلوبنا علت بالطاعات والبر ، وتبرأت من الدنيا وحبها ، وأطعنا الله فى جميع فرائضه وآمنا بوحدايته ، وصدقنا برسوله .

وأخرج الطبرانى بسند فيه ضعف ، ان عليا اتى يوما بالبصرة بذهب وفضة ، فقال : ابيض اصفر غرا غيرى غرا أهل الشام غدا اذا ظهروا عليك ، فشق قوله ذلك على الناس ، فذكر ذلك له ، فأذن فى الناس فدخلوا عليه ، فقال : ان خليلى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يا على : انك ستقدم على الله وشيعتك راضين مرضيين ، ويقدم عليه أعداؤك غضابا مقمحين ، ثم جمع يده الى عنقه يريهم الاقماح ، وشيعته هم أهل السنة الذين أحبوهم كما أمر الله ورسوله ، وأما غيرهم فأعداؤه على الحقيقة لان المحبة اذا لم تكن موافقة للشرع ولم تكن جارية على سنن الهدى ، تلك هى العداوة الكبرى ، ولهذا كانت محبة مبتدعة أهل العراق سببا لهلاك جلهم كما مر آنفا . وعن على رضى الله عنه بسند رجاله ثقات انه قال : على المنبر هلك فى رجلان : محب غال — تبين انهم الشيعة الروافض واصحاب عبد الله بن سبا — ومبغض قال : تبين أنهم هم الخوارج · وروى فيهم الامام احمد وغيره : انهم كلاب أهل النار . فقيل للصحابى : الازارقة وحدهم أم الخوارج كلها ؟ قال : بل الخوارج كلها ، قال لى رسول الله صلى الله عليه وسلم : مثلك مثل عيسى بن مريم ابغضته اليهود حتى بهتوا أمه ، واحبته النصارى حتى تركوه بالمنزلة التى ليست له . ثم قال هلك فى رجلان : محب مطر مفرط بما ليس فى ، ومبغض مفتر يحمله شنئانى على أن بهتنى ، الا انى لست بنبى ، ولا يوحى الى ، ولكنى أعمل بكتاب الله وسنة نبيه ما استطعت ، فما أمرتكم بطاعة الله فحق عليكم طاعتى ، فيما

احببتم وكرهتم . وقد أخرج صاحب المطالب العلية عن على كرم الله وجهه ، انه مر على جمع فأسرعوا اليه قياما فقال : من القوم ؟ فقالوا من شيعتك يا امير المومنين ، فقال لهم خيرا : ثم قال : يا هؤلاء ، مالى لا ارى فيكم سيمة شيعتنا ، وحلية احبتنا ، فأمسكوا حياء فقال له من معه : نسألكم بالذى اكرمكم — اهل البيت — وخصكم وحباكم ، لما نبأتنا بصفة شيعتكم ، فقال رضى الله عنه : شيعتنا هم العارفون بالله العاملون بأمر الله ، اهل الفضائل ، الناطقون بالصواب ماكولهم القوت ، وملبسهم الاقتصاد ، ومشيهم التواضع ، نجعوا لله بطاعته ، وخضعوا اليه بعبادته ، مضوا غاضين أبصارهم عما حرم الله عليهم ، رامقين اسماعهم على العلم بربهم ، نزلت منهم انفسهم فى البلاء ، كالتى نزلت منهم فى الرخاء ، رضوا عن الله تعالى بالقضاء ، فلولا الآجال التى كتب الله تعالى لهم : لم تستقر ارواحهم فى أجسادهم طرفة عين ، شوقا الى لقاء الله والثواب ، وخوفا من اليم العقاب عظم الخالق فى أنفسهم ، وصغر ما دونه فى أعينهم ، فهم والجنة كمن رآها وأهلها على أرائكها متكئون ، وهم والنار كمن رآها واهلها فيها معذبون ، صبروا اياما قليلة فأعقبهم راحة طويلة ، أرادتهم الدنيا فلم يريدوها ، وطلبتهم فأعجزوها ، اما الليل فصافون أقدامهم تالون لاجزاء القرآن ترتيلا يعظون انفسهم بأمثاله ، ويستشفون لدائهم بدوائه ، تارة وتارة ، يفترشون جباههم واكفهم ، وركبهم ، وأطراف أقدامهم ، تجرى دموعهم على خدودهم ، يمجدون جبارا عظيما ، ويجئرون اليه فى فكاك رقابهم هذا ليلهم ، أما نهارهم فحكماء بررة ، علماء اتقياء ، يراسهم خوف باريهم ، فهم كالقداح تحسبهم مرضى او قد خولطوا وما هم بذلك بل خامرهم من عظمة ربهم وشدة سلطانه ما طاشت له قلوبهم ، وذهلت منه عقولهم ، فاذا اشفقوا من ذلك بادروا الى الله تعالى بالاعمال الزاكية ، لا يرضون بالقليل ولا يستكثرون له الجزيل فهم لانفسهم متهمون ، ومن أعمالهم مشفقون ، ترى لاحدهم قوة فى دين وحزما فى لين ، وايمانا فى يقين ، وحرصا على علم ، وفهما فى فقه ، وعلما فى حلم ، وكسبا فى قصد ، وقصدا فى غنى ، وتحملا فى فاقة ، وصبرا فى شفقة وخشوعا فى عبادة ورحمة لمجهود ، واعطاء فى حق ، ورزقا فى كسب ، وطلبا فى حلال ، ونشاطا فى هدى ، واعتصاما فى شهوة ، لا يغره ما جهله ، ولا يدع احصاء ما عمله ، يستبطىء نفسه فى العمل ، وهو من صالح عمله على وجل ، يصبح وشغله الشكر ، ويمسى وهمه الشكر ، يبيت حذرا من سنة الغفلة ، ويصبح فرحا بما أصاب من الفضل والرحمة ، ورغبته فيما يبقى ، وزهادته فيما يفنى قد

قرن العلم بالعمل ، والعلم بالحلم دائما نشاطه ، بعيدا كسله ، قريبا أمله ، قليلا زلله ، متوقعا أجله ، عاشقا قلبه شاكرا ربه ، قانعا نفسه ، محرزا دينه ، كاظما غيظه ، آمنا منه جاره ، سهلا أمره ، معدوما كبره ، بينا صبره ، كثيرا ذكره ، لا يعمل شيئا من الخير رياء ، ولا يتركه حياء اولائك شيعتنا ، وأحبتنا ، ومنا ، ومعنا . الا هؤلاء شوقا اليهم ، فصاح بعض من معه ، وهو همام بن عباد بن خيثم ، وكان من المتعبدين صيحة فوقع مغشيا عليه فحركوه فاذا هو فارق الدنيا ، فغسل وصلى عليه أمير المومنين ومن معه .

فتأمل وفقنا الله واياك لطاعته ، وأدام علينا وعليك سوابغ نعمته ووقانا واياك من كيد الشيطان بعصمته ، وحمانا بحمايته ، هذه الاوصاف الجليلة الرفيعة الباهرة الكاملة المنيعة . تعلم انها لا توجد الا فى أكابر العارفين بالله من الائمة الوارثين الواصلين . اما الشيعة من غير هؤلاء الموصوفين بمحامد الصفات ، فهم منقسمون حسب أهوائهم وأفكارهم الى ما يأتى : فمنهم الشيعة الروافض ، وفيها مذاهب ، وكلها مبتدعة ، وهى اخبث الفرق الشيعية . وسموا بهذا الاسم لانهم رفضوا امامة الشيخين : ابى بكر وعمر ، كما رفضوا كذلك امامة الشيخ المبتلى عثمان بن عفان ، الذى كانت تستحيى منه ملائكة الرحمن رضى الله عنهم ، واعتبروهم غاصبين لحق على كرم الله وجهه فى الخلافة ابتداء ، وهذا أمر ينكره على كرم الله وجهه ولا يراه لنفسه ولا أحد من ابنائه ، ولا يراه أهل السنة والجماعة التى فيهما عصمة الامة ، الذين اخلصوا العمل لله ولرسوله من قادة ائمة المسلمين ، وانما هو وحى شيطانى أوحت به النفوس الخبيثة الامارة بالسوء ، ومحكوم عليه بأنه اعتقاد فاسد واهله خارجون به عن طريق اهل السنة والجماعة ، الا انه ذنب لا يوجب كفرهم عندهم ، وان أقدحوا فى امامة الاشياخ الثلاثة ، وسبوهم علانية فهم مبتدعون فاسقون ، وأول من سماهم الرافضة سيدنا زيد بن على زين العابدين بن الحسين وكان سبب ذلك محاورة جرت بينه وبينهم بعد مبايعتهم له فى الكوفة على خروجه على ظلم يوسف بن محمد عامل الكوفة فى عصر هشام بن عبد الملك وهو القائم الثانى بعد جده الامام الحسين فى عصر الامويين ، ومن المؤسف انه لقى نفس مصير جده ، ولما عزم على الخروج نصحه بعض بنى عمه بأن اهل الكوفة لا يعتمد عليهم فى الخروج سيما وقد تكرر غدرهم لاهل البيت ، فأبى الا أن يخرج مفضلا الانتحار فى المعركة على الحياة التعسة تحت سلطة من كن يراه من سقطاء الاوباش ، فخرج ، وقتل ، وصلبت

جثته على باب الكناسة من ابواب الكوفة ، وصلب راسه على احدى ابواب دمشق ، والامر لله وحده ولا يغنى حذر من قدر ، وقبل خروجه جاءه وفد من شيعة العراق يناظرونه فقالوا له : ما قولك فى أبى بكر وعمر ؟ قال : رحمهما الله وغفر لهما ، ما سمعت احدا من أهل بيتى يقول فيهما الا خيرا ، وان احق ما اقول فيما ذكرتم : انا كنا اهل حق بسلطان ما ذكرتم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من الناس اجمعين ، فدفعونا عنه ، ولم يبلغ ذلك عندنا بهم كفرا ، وقد ولوا فعدلوا فى الناس ، وعملوا بالكتاب والسنة . ثم قالوا له : فلم يظلمك هؤلاء ، اذا كان اولائك لم يظلموك فلم تدع الى قتالهم ؟ فقال لهم : ان هؤلاء ليسوا كأولائك . هؤلاء ظالمون لى ولكم ولانفسهم ، وانما ندعوكم الى كتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم والى السنن أن تحيى ، والى البدع أن تموت ، فان أجبتمونا سعدتم ، وان ابيتم فلست عليكم بوكيل . ففارقوه ونكثوا بيعته . وقالوا سبق الامام يعنون اخاه محمدا الباقر ، وكان قد توفى سنة (117) فسماهم رافضة .

ومما يزيد الاسى أسفا أن ابنه يحيى خرج على اثره فلقى نفس مصير أبيه وجده رضى الله عنهم وكانت هذه الحوادث بعد ولاية يوسف بن عمر الثقفى على العراق سنة (120) هجرية ، والى زيد هذا تنسب الشيعة الزيدية ، وهم كثيرون باليمن الى الآن . ومنهم الشيعة الامامية ، ومنهم الشيعة الفاطمية ، ومنهم الشيعة الكيسانية ، وينسبون الى كيسان ، وهو لقب للمختار بن ابى عبيد داعية محمد بن الحنفية الذى تقدم الكلام عليه وصاحب فتنة الكوفة بعد وقعة كربلاء ومنهم من تولى ابنه عليا زين العابدين ويرى الخلافة حقا له ، الا أنه مغصوب فيما هو حق له ، ويرون ان الخلافة محصورة فى أولاد على من فاطمة الزهراء رضى الله عنها ومنهم الشيعة الاسماعلية ، نسبة الى اسماعيل بن جعفر الصادق ، ويرون ان الامام بعد أبيه بالنص ، وفائدة النص عندهم بقاء الامامة فى عقبه ، وهم متفقون فى الراى مع الامامية الاثنى عشرية ، القائلين بأنه لا بد للناس من امام معصوم يبلغهم الشريعة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وان الشريعة لا توخذ بالراى ، ويتفقون معهم على امامة الستة ، الى جعفر الصادق ، وينفرد الآخرون بقولهم : بالائمة الاثنى عشرية ، وهؤلاء يقولون ان الحسين هو الذى قتل دون الخلافة فهى فى عقبه ، وعلى زين العابدين هو الذى بقى من عقبه بعد وقعة كربلاء ، وان عليا امير المومنين هو الوصى أوصى اليه رسول الله صلى الله عليه وسلم بالخلافة ، ثم الامام من بعده ، الحسن ثم الحسين ، ثم ابنه على زين العابدين ، ثم محمد الباقر ، ثم

جعفر الصادق ، ثم موسى الكاظم ، ثم على الرضى ، ثم محمد الجواد ، ثم على الهادى العسكرى ، ثم الحسن الخالص العسكرى ، ثم أبو القاسم محمد الحجة . وقد قدمت تراجم هؤلاء الائمة ، واشرت الى احوالهم وحياتهمفى عصر الخلفاء ، ليطلع كل واحد على أهل الفضل وما لقوه من بلاء على يد معاصريهم ، تعرفا عليهم وتبركا بهم لانهم كانوا عباقرة اهل زمانهم فــى الفضل والتقوى والاستقامة الكاملة . رضى الله عنهم ، وهذه الفرق كلها سنية ما عدا الروافض فمبتدعون فاسقون ، لان فرقتهم انفردت برأيهــا ودعوتها فى الاشياخ الثلاثة رضى الله عنهم وقد نفى الامام على كرم الله وجهه بكلامه الشيعة الرافضة المبتدعين ومن يرون رأيهم ، فانهم اخوان الشياطين ، وأعداء الدين ، وسفهاء العقول ، ومخالفوا الفروع والاصول ، ومنتحلوا الضلال ومستحقو عظيم العذاب والنكال ، فهم ليسوا بشيعة لاهل البيت الذين هم من كل ما ادعوه مبرءون ومن قبيح الاثم والرجس مطهرون ، وحتى من شوائب النقص والدنس منزهون ، فانهم قد افرطوا وفرطوا فى جنب الله ، فاستحقوا منه أن يبقيهم متحيرين فى مهالك الضلال والاشتباه ، وانما هم شيعة ابليس اللعين ، وخلفاء أبنائه المتمردين ، فعليهم لعنة الله وملائكته والناس اجمعين . فكيف يزعم محبة قوم من لم يتخلق قط بأخلاقهم ، ولا عمل فى عمره بقول من أقوالهم ، ولا تأسى فى دهره بفعل من أفعالهم ، ولا تأهل لفهم شيء من احوالهم ليست هذه محبة فى الحقيقة ، بل هى بغضة عند ائمة الشريعة والطريقة ، اذ حقيقة المحبة طاعة المحبوب وايثار محابيه ومرضاته ، على محاب النفس ومرضاتها والتأدب بآدابه ، والتخلق بأخلاقه ، ومن ثم قال الامام على كرم الله وجهه لا يجتمع حبى وبغض أبى بكر وعمر ، لانهما ضدان ، لا يزعم الرافضة انهم يحبون أهل البيت لانهم افرطوا وابدعوا فانقلب عليهم حبهم بغضا لاهل البيت يقينا ، بسبب ما ادعوه من تكفير الاشياخ الثلاثة وسبهم علانية ، وهم أصحاب رسول الله والقائمون على هديه وسنته ، وخلفاؤه العاملون بكتاب الله من بعده . وقال عليه الصلاة والسلام تشريفا وتعظيما لحقهم : عليكم بسنتى وسنة الخلفاء الراشدين المهديين بعدى عضوا عليها بالنواجذ واياكم ومحدثات الامور فان كل محدثة بدعة ، وكل بدعة ضلالة . وقد أجمع أهل السنة والجماعة من أهل عصرهم على ان رايهم هذا فاسد أى الرافضة المتقدمون وليس من الدين فى شيء ولا يمكن ان يتقرب به الى الله أبدا ، بل اعتقادهم ذلك زيغ منهم عن الصراط المستقيم ، : ازاغ الله قلوبهم والله

لا يهدى القوم الفاسقين » وفى هذا القدر كفاية ، لان اللبيب تكفيه الاشارة ، ومن أراد استقصاء أمر الشيعة ومذاهبهم فعليه بالملل والنحل للامـــام ابـــن حـــزم رحمـــه الله ·

حب آل البيت شعبـــة مـــن الايمـــان

كيف يصح ايمان من فقد شعبة من شعبه ، ومبدا صحيحا من مبادئه. وقد قال عليه الصلاة والسلام الايمان بضع وسبعون شعبة اعلاها لا الاه الا الله ، وأدناها اماطة الاذى عن الطريق · وكيف يعقل أن ياتى مسلم بأنواع من الطاعات وفى قلبه معاداة وبغض لآل بيت النبى صلى الله عليه وسلم ، وحسد على ما آتاهم الله من فضله ، ومودتهم جاءت منصوصا عليها فى الكتاب والسنة واجماع اهل السنة والجماعة ، وفى الآداب قيل فى حبهم :

ومن يدعى حب النبى ولم يكـــن بسنته مستمسكـــا فهـــو كاذب
علامة صدق المرء فى الحب أن يرى على منهج كانت عليـــه الحبائب

فكيف بهذا المخذول الذى اصم سمعه وجعل فى اذنيه وقرا عـــن سماع ايراد شيء من النصوص فى فضلهم ومودتهم وحبهم ، أن يحدث نفسه بشفاعة جدهم ، وقد عرضت عليه اعماله معهم صلى الله عليه وسلم ، وقد تقدمت أحاديث كثيرة فى هذا الشأن ، منها ما اخرجه ابـــن عساكر ، عن على كرم الله وجهه ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : من آذى شعرة منى فقد آذانى ، ومن آذانى فقد آذى الله · ولـــو ذكرنا على سبيل الفرض والتقدير ان احدا قال : جاهلا او متجاهلا ، انه مسلم ولكنه يبغض أهل البيت ، فهل يقبل منه عمله ؟ نصوص السنة انه لا ايمان له حتى يتوب ويرجع الى حبهم ، واذا مات بغير توبة ، فان أمير المومنين عليا كرم الله وجهه سيكون واقفا على الحـــوض وبيـــده عصا يطرد بها عن الحوض اعداء أهل البيت ، وعلى هذا فايمانه باطل ، وأعماله غير مقبولة لما فيها من المخالفة لنصوص الكتاب والسنة والاجماع ، ولا يمكن أن يكون عمله مقبولا بعد الموت ويثاب عليه ثواب المحسنين · قـــال الله تعالى : قل لا اسألكم عليه أجرا الا المودة فى القربى ومن يقترف حسنة نزد له فيها حسنا » وقد تقدم تفسير الآية فى محله ، ومن السنة المطهرة عن المطلب بن ربيعة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : والله لا يدخل قلب امرىء مسلم الايمان حتى يحبكم لله ولقرابتى · وان شئت سعة الادلة فى الموضوع فراجع ترجمة حقوقنا الادبية ، وكما جاءت نصوص

الشريعة بالترغيب فى حبهم كذلك جاءت بالنهى عن بغضهم واذايتهم ، وبما ان الحب والبغض ضدان يفترقان ولا يجتمعان ، لذلك جاءت نصوص الشريعة بالحض على كل منهما اذ الترغيب فى الشيء نهى عن ضده، وحكمة الترغيب فى حبهم ايصال نتيجته لهم وهو النفع الدنيوى . ونية التقرب به لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، وسواء كان ذلك النفع ماديا كالبذل لهم والذب عنهم، أو معنويا كايصال العلم للمتعلم منهم ، والذى هو آكد من هذا كله هو العفو عن مسيئهم ، ومن ذلك ما فعله امام الائمة « مالك » بن أنس رحمه الله ، وقد ورد فى قصته مع جعفر بن سليمان العباسى عامل المدينة المنورة . انه لما ضربه ونال منه حتى حمل مغشيا عليه ، فلما افاق قال : اشهدكم انى جعلت ضاربى فى حل . ثم سئل فقال : خفت أن أموت والقى النبى صلى الله عليه وسلم واستحيى منه أن يدخل بعض آله النار بسببى . وهذا أبلغ ما يكون فى تقدير أهل بيت النبى صلى الله عليه وسلم واعظم ذلك العفو عن مسيئهم ابتغاء وجهه الكريم ، قيل ولما قدم جعفر المنصور المدينة ، أراد قادته من عاملها جعفر بن سليمان المذكور . فقال مالك رضى الله عنه : أعوذ بالله ، والله ما ارتفع منه سوط الا وقد جعلته فى حل ، لقرابته من رسول الله صلى الله عليه وسلم وفيما ذكرته كفاية ، وحكمة الترهيب من بغضهم ، ابعاد نتيجة البغض عنهم ، وهى اذايتهم بالقول كسبهم ، ولعنهم ، والسعى بهم الى من بيده هلاكهم ، وقول ما يبعث على اغضابهم كالكذب عليهم ، واما اذايتهم بالفعل فهى كضربهم ، وقتالهم ، وقتلهم ، والوقوع فى اعراضهم كالزنى بالمراة الشريفة طوعا أو كرها ، فان ذلك كله يسوء النبى صلى الله عليه وسلم ويؤذيه عند ما تعرض اعمال امته عليه مرتين فى كل اسبوع ، وأفدح من ذلك الاعتداء على شرف بناتهم ، ويستوى فى هذه المنهيات التى توذى رسول الله صلى الله عليه وسلم من هو من سفهاء أهل البيت ومن غيرهم من سائر أهل الايمان بالله . وقد دعا النبى صلى الله عليه وسلم على من آذاهم ، وكل نبى مجاب الدعوة . فقال : اللهم آذ موذيهم ولو كان منهم . وكل من تعمد اذايتهم فليس بمعجز فى الارض وليس له من دون الله ولى ولا نصير . وليكن على يقين ان عقابه محقق ان عاجلا أو آجلا لانه اعتداء على حرمته صلى الله عليه وسلم فى نهاية الامر ، لان الله تعالى هو الذى أكرمه وجعل له اهل بيت ، وهو الذى أمر باحترامهم فوق كل اعتبار ، اذ حرمة المسلم عند الله تعالى اعظم من حرمة الكعبة ، كما لا يجوز شرعا الاعتداء على الكعبة بين المسلمين ، كذلك لا يجوز الاعتداء على حرمة مطلق المسلم

المتحلى بالايمان والاعمال الصالحة ، وكما لا يجوز شرعا الاعتداء على مطلق مسلم لا يجوز الاعتداء على من جمع بين الاسلام والقرابة من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، والله تعالى يغار على أن تنتهك حرماته ، وقد ضرب لنا مثلا بالبيت العتيق والكعبة المشرفة وقص علينا دفاعه عنهما وغيرته عليهما فى سورة الفيل : وهو قوله تعالى : الم تر كيف فعل ربك بأصحاب الفيل السورة » واوصى باحترام حرمات الله فقال : ذلك ومن يعظم حرمات الله فهو خير له عند ربه » وقال فى آية اخرى : ذلك ومن يعظم شعائر الله فانها من تقوى القلوب » وقال صلى الله عليه وسلم : الله الله فى أهل بيتى . أى خافوه فى اهل بيته . فاذا كان احترامهم فرضا على الامة من طرف شريعة الاسلام . فانه كان من اللائق بنا أن نعاملهم من نفس الشريعة بأن نحسن الى محسنهم ونتجاوز عن مسيئهم ، غير اننا لا نترك تذكيرهم وارشادهم بالتى هى أحسن . فان تمادوا فى غيهم ، وطغوا بعد ذلك فلا خير فيهم . قال الله تعالى : ولا تبغ الفساد فى الارض ان الله لا يحب المفسدين » وان كانت الشريعة تحتم طاعة أولى الامر . كما قال تعالى : أطيعوا الله وأطيعوا الرسول واولى الامر منكم » فان هذه الطاعة أمر تكميلى ، لان المومن ان أطاع الله تعالى فى امتثال أمره واجتناب نهيه ، وأطاع الرسول صلى الله عليه وسلم فى مثل ذلك ، بقى عليه أن يطيع القائم عليهما كذلك لان أمره ونهيه منهما . فاذا أتى بشىء من عند نفسه مما يخالف نصوص الكتاب والسنة . فهنا قف ، وقل لا طاعة لمخلوق فى معصية الخالق . وهى السنة ، وكما قال عليه الصلاة والسلام : الطاعة فى المعروف . وسبب هذا الحديث ما روى فى صحيح البخارى عن على بن أبى طالب رضى الله عنه قال : بعث النبى صلى الله عليه وسلم سرية واستعمل عليها رجلا من الانصار ، وامرهم أن يطيعوه ، فغضب ، فقال : اليس امركم النبى صلى الله عليه وسلم ان تعطونى ؟ قالوا بلى ، قال فاجمعوا حطبا فجمعوا فقال أوقدوا نارا فأوقدوها ، فقال : ادخلوها فهموا وجعل بعضهم يمسك بعضا ، ويقولون فررنا الى النبى صلى الله عليه وسلم من النار ، فما زالوا حتى خمدت النار ، فسكن غضبه ، فبلغ النبى صلى الله عليه وسلم فقال : لو دخلوها ما خرجوا منها الى يوم القيامة ، الطاعة فى المعروف . واخذ من الحديث ان صاحب التاويل الفاسد غير معذور ، ولنا فى آية لقمان مبلغ فى حسن المعاشرة ، وهى قوله تعالى : وان جاهداك على أن تشرك بى ما ليس لك به علم فلا تطعهما وصاحبهما فى الدنيا معروفا واتبع سبيل من اناب الى » فان الانسان اذا ابتلاه الله بكافر فى اهله وله يد

عليه ، فان الشرع يامره من جهة بمعاشرته بالجميل والاحتمال فى هذه الحياة الدنيا ، وينهاه من جهة أخرى عن اطاعته اذا أراد منه ان يشرك بالله ويكفر به ، حيث لا طاعة لمخلوق فى معصية الخالق . وهو مع ذلك مامور باتباع سبيل من أناب اليه تعالى من أهل بيت النبى صلى الله عليه وسلم لما سيعود على من اتبعهم من النفع . « يوم لا ينفع مال ولا بنون الا من اتى الله بقلب سليم » من الكفر والنفاق وبغض آل بيت النبى صلى الله عليه وسلم لانهم سيعطون الشفاعة يوم القيامة .

روى ابو الفرج الاصبهانى من حديث عبد الله بن عمر عن القواريرى قال : حدثنا يحيى بن سعيد بن ابان القرشى قال : دخل عبد الله الكامل ابن حسن بن حسن بن على على عمر بن عبد العزيز ، وهو حدث السن ، وله وفرة ، فرفعه عمر وأجلسه واقبل عليه وقضى حوائجه ، ثم اخذ بمنكبه فغمزها حتى أوجعه ، وقال : اذكرها عندك للشفاعة فلما خرج لامه قومه وقالوا فعلت بغلام حدث : فقال : ان الثقة حدثنى لكأنى اسمعه من فى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، انما فاطمة بضعة منى يسرنى ما سرها ، وانا اعلم ان فاطمة لو كانت حية لسرها ما فعلت بابنها ، قالوا فما معنى غمزك بطنه وقولك ما قلت ؟ فقال : انه ليس أحد من بنى هاشم الا وله شفاعة ، فأردت ان اكون فى شفاعة هذا .

ترغيب الشارع فى حب آل البيت

وصح خلافا لما وهم فيه ابن الجوزى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : احبوا الله لما يغذوكم به من نعمه ، واحبونى لحب الله ، واحبوا اهل بيتى .

واخرج البيهقى وغيره لا يومن عبد حتى اكون احب اليه من نفسه ، وتكون عترتى احب اليه من عترته ، ويكون اهلى احب اليه من اهله ، وتكون ذاتى احب اليه من ذاته .

وصح ان العباس قال : يا رسول الله ، ان قريشا اذا لقى بعضهم بعضا لقوهم ببشر حسن ، واذا لقونا لقونا بوجوه لا نعرفها ، فغضب صلى الله عليه وسلم غضبا شديدا وقال : والذى نفسى بيده ، لا يدخل قلب رجل الايمان حتى يحبكم لله ولرسوله . وفى رواية لابن ماجة عن ابن عباس كنا نلقى قريشا وهم يتحدثون فيقطعون حديثهم فذكرنا ذلك لرسول الله صلى

الله عليه وسلم فقال : ما بال اقوام يتحدثون فاذا راوا الرجال من اهل بيتى قطعوا حديثهم ، والله لا يدخل قلب رجل الايمان حتى يحبهــم للــه ولقـــرابتهم منـــى ٠

وفى رواية اخرى للامام احمد وغيره : لا يدخل قلب رجل الايمان حتى يحبهم لله ولقرابتى ٠ وفى رواية اخرى للامام الطبرانى جاء العباس رضى الله عنه الى النبى صلى الله عليه وسلم فقال : انك تركت فينـــا ضغائن ، منذ صنعت الذى صنعت اى بقريش والعرب فقال صلى الله عليه وسلم لا يبلغ الخير او قال : الايمان عبد حتى يحبكم لله ولقرابتى ، اترجو سهاب اى حى من مراد شفاعتى ولا يرجوها بنو المطلب ؟ ٠

وروى الامام الطبرانى أيضا يا بنى هاشم ، انى قد سألت الله عز وجل لكم ان يجعلكم نجباء رحماء ، وسألته ان يهدى ضالكم ، ويؤمـــن خائفكم ، ويشبع جائعكم ٠ وان العباس رضى الله عنه أتى النبى صلى الله عليه وسلم فقال : يا رسول الله ، انى انتهيت الى قوم يتحدثون ، فلمـــا راونى سكتوا وما ذاك الا انهم يبغضوننا ، فقال صلى الله عليه وسلم : او قد فعلوها ؟ والذى نفسى بيده لا يومن أحد حتى يحبكم لحبى ، أيرجون ان يدخلوا الجنة بشفاعتى ولا يرجوها بنو عبد المطلب ٠

وفى حديث بسند فيه ضعف انه صلى الله عليه وسلم خرج مغضبا فرقى المنبر فحمد الله واثنى عليه ثم قال : ما بال رجال يوذوننى فى أهل بيتى ؟ والذى نفسى بيده ، لا يومن عبد حتى يحبنى ، ولا يحبنى حتى يحب ذوى ٠

وفى رواية للبيهقى وغيره ، وفى بعض سندها ضعف واه ، أن نسوة عيرن بنت ابى لهب بأبيها ، فغضب صلى الله عليه وسلم حتى اشتد غضبه ، فصعد المنبر ثم قال : أيها الناس مالى اوذى فى اهلى ؟ فو الله ان شفاعتى لتنال قرابتى ٠ وفى رواية ما بال أقوام يوذوننى فى نسبى وذوى رحمى ؟ الا ومن آذى نسبى وذوى رحمى ، فقد آذانى ، ومن آذانى فقد آذى الله تبـــارك وتعـــالى ٠

وروى الامام الطبرانى : ان ام هانىء اخت على رضى الله عنهما ، بدا قرطاها ، فقال لها عمر : ان محمدا لا يغنى عنك من الله شيئا فجاءت اليه واخبرته ، فقال صلى الله عليه وسلم : تزعمون ان شفاعتى لا تنال اهل بيتى ؟ وان شفاعتى تنال صداء وحكما وهما قبيلتان من عرب اليمن ٠

وروى البزار : ان صفية عمة رسول الله صلى الله عليه وسلم توفى

لها ابن فصاحت فصبر النبى صلى الله عليه وسلم فخرجت ساكتة فقال لها عمر : صراخك ان قرابتك من محمد صلى الله عليه وسلم لا تغنى عنك من الله شيئا ، فبكت فسمعها النبى صلى الله عليه وسلم وكان يكرمها ويحبها ، فسألها فأخبرته بما قال عمر ، فأمر بلالا فنادى بالصلاة فصعد المنبر ثم قال : ما بال أقوام يزعمون ان قرابتى لا تنفع ، كل سبب ونسب ينقطع يوم القيامة ، الا سببى ونسبى ، فانها موصولة فى الدنيا والآخرة . الحديث بطوله وفيه ضعفاء .

وصح انه صلى الله عليه وسلم قال على المنبر : ما بـال رجـال يقولون ؟ ان رحم رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تنفع قومه يوم القيامة . والله ان رحمى موصولة فى الدنيا والآخرة ، وانى أيها الناس فرطكم على الحـوض .

ولا ينافى هذه الاحاديث ما فى الصحيحين وغيرهما : انه لما نزل قوله تعالى : وانذر عشيرتك الاقربين » خرج فجمع قومه وقال : يا معشر قريش اشتروا انفسكم ولا أغنى عنكم من الله شيئا ، يا بنى عبد المطلب لا أغنى عنكم من الله شيئا ، يا عباس بن عبد المطلب لا اغنى عنك من الله شيئا ، يا صافية عمة رسول الله لا أغنى عنك من اللـه شيئـا ، زاد فى بعض الروايات ، غير ان لكم رحما سأبلها ببلالها .

وفى رواية انه صلى الله عليه وسلم صعد على الصفا ، فجعل ينادى ، يابنى فهر ، يا بنى عدى لبطون من قريش ، قد اجتمعوا فجعل الذى لا يستطيع أن يخرج يرسل رسولا لينظر ما هو ؟ فجاء أبو لهب وقريش فقال : أرأيتم لو أخبرتكم ان خيلا بالوادى تريد أن تغير عليكم ، اكنتم مصدقى ؟ قالوا ما جربنا عليك كذبا ، قال ، فانى نذير لكم بين يـدى عذاب شديد . فقال ابو لهب : تبا لك ، الهذا جمعتنا ؟ فنزلت سورة : تبت يدا أبى لهب » روى أن حمالة الحطب لقبت به لانها كانت تحمل الاشواك ليلا وتضعها فى طريق رسول الله صلى الله عليه وسلم الى المسجد الحرام ، ولقبت ايضا بالعوراء ، لكونها هجمت على النبى صلى الله عليه وسلم بحجر يملأ كفها ، وهو فى المسجد فلم تره ، وهو جالس الى أبى بكر الصديق . وكانت تسمى ام جميل ، وبعد ما قرئت عليها سورة : تبت يدا الى آخرها . اصعدت وارعدت كأنها مجنونة ، وحملت حجرا ملء كفها ، لتضرب به فاهه صلى الله عليه وسلم ، وكانت فى شدة الاسراع والخفة كالورقاء ، ـ الحمامة ـ فجاءت المسجد وهى غضبى ، من شدة وقع ما سمعته فى نفسها ، وفى

زوجها ، قائلة : أفى مثلى وأنا ابنة سيد بنى أمية — وهى أخت سفيان بن حرب — وزوجة أبى لهب ، يقال الهجاء ! ؟ أى السب والذم ، صادرا من أحمد صلى الله عليه وسلم ، فلما رآها أبو بكر ، قال يا رسول الله انها امرأة بذئة اللسان فلو قمت ؟ فقال صلى الله عليه وسلم : انها لن ترانى ، وهما فى المسجد الحرام فجاءت فلم تر الا أبا بكر ، فقالت يا أبا بكر أين صاحبك ؟ كيف يهجونى والله لو وجدته لضربت بهذا الحجر فاه ، والله انى لشاعرة ، وأنشدت :

مذمما عصينا وامره ابينا

فقال لها ابوبكر : لا والله هو لا يقول الشعر . فقالت أنت عندى مصدق ، فانصرفت فقلت يا رسول الله : لم ترك ، قال : لم يزل ملك يسترنى منها بجناحيه .

وفى رواية قد أخذ الله بصرها عنى . وكانت قريش تلقب النبى صلى الله عليه وسلم مذمما ضد محمدا ، ثم يسبونه به ، ثم تولت أى رجعت ولم تره ، وهى فى غاية من عمى البصيرة ، وطمس السريرة ، وهل ترى الشمس العمياء ؟ ولقبت بعد ذلك بالعوراء ، وكان صلى الله عليه وسلم يقول : الا تعجبوا لما صرف الله تعالى عنى من أذى قريش ! ؟ يسبون ويهجون مذمما ، وأنا محمد .

وقالوا هذه الرواية مؤولة بمن مات كافرا . او انها خرجت مخرج التغليظ والتنفير ، أو انها قبل علمه بأنه يشفع عموما وخصوصا .

وروى الشيخان ان آل ابى فلان ليسوا لى بأولياء ، انما وليى الله وصالح المومنين . زاد البخارى تعليقا ، ولكن لهم رحم سابلها ببلالها . أى سأصلها بصلتها التى تنبغى لها . وروى مسلم كذلك فى صحيحه ، والطبرانى فى معجمه الكبير بلفظ ان لبنى طالب عندى رحما سأبلها ببلالها ، وهى محمولة على من لا خير فيه منهم . وفى حديث ورد موقوفا ومرفوعا ، صالح المومنين على كرم الله وجهه قال النووى رحمه الله ، ومعنى الحديث ، ان وليى من كان صالحا وان بعد منى نسبه . وروى الطبرانى ان أهل بيتى يرون انهم أولى الناس بى وليس كذلك ان أولى الناس بى منكم المتقون من كانوا ؟ وحيث كانوا .

وقال غيره : المعنى : انى لا اوالى احدا بالقرابة ، وانما أحب الله لما له من الحق الواجب على العباد ، وأحب صالح المومنين ، أى المومنين الصالحين لوجه الله تعالى ، وأوالى من والى الايمان والصلاح ، سواء

كانوا من ذوى رحمى أم لا ؟ ولكن أرعى لذوى رحمى حقهم فأصل رحمهم .
وفى توثيق عرى الايمان للبزار ، عن الامام الحولى ما حاصله : ان خواص العلماء يجدون فى قلوبهم مزية تامة بمحبته صلى الله عليه وسلم ثم محبة ذريته لعلمهم باصطفاء نطفهم . ثم قال : وينبغى الاغضاء عن انتقادهم .

رؤيـــا عجيبـــة رأيتهـــا

قد كنت عقدت العزم عند الشروع فى هذا التاليف المتواضع على أن اتعرض فيه لانتقاد ما أعرفه من أخلاق غير لائقة بأهل النسب الشريف من بعض العائلات من أبناء عمى . وكان قصدى أن يعرفوا قبحها ويرجعوا عن ممارستها لانها تسىء الينا جميعا على السواء ، واخص ذرية القطب مولاى عبد السلام الساكنين ببنى عروس من جبل العلم ، ففوجئت برؤيا منامية عجيبة صرفتنى عن ذلك العزم ، ثم نويت ان لا أمس احدا بما قــد كنت عزمت عليه ، واكتفيت بما سوى ذلك . وهى : اننى رأيت نفسى فى المنام ذاهبا الى زيارة جدى القطب مولاى عبد السلام ، وأنا عريان مكشوف العورة ، وأنا فى غاية ما يكون من التحسر والحياء ، والخوف من أن يرانى الناس على ذلك ، وبعد ما اقتربت ووصلت من الضريح المبارك جعلت اتسلل لائذا بالاحجار الكبيرة الحجم ، مارا من ورائها ، ولما اقتربت جدا والقيت بنظرى على ساحة الضريح التى تكون دائما مفعمة بالواردين اليه وجدتها فارغة ليس هناك الا أسوار الاضرحة والساحة خاوية على عروشها، ثم رميت ببصرى الى البعد فلم أر احدا لا ماشيا ولا مجيئا كأن الاحياء ليس بها أحد ، وكأن البلد ليس به سكن مع العلم انه مفعم وآهل بالسكان ، والساحات تعج عجا بالخلائق الذاهبين والآيبين ليلا ونهارا على الدوام ، ولا يستثنى من ذلك الا أيام الثلوج والبرد القارس فى فصل الشتاء ، حينما تكون الارض مغطاة بالثلوج المتراكمة الاحجام ، وقد كنت من اجل الاخلاء مطئن النفس ومرتاح البال ثم أخذت فى الانحدار نحو الطريق المرصف الذى يمر بوسط قرية السكان ، وبينما انا واقف على الشروع فى الترصيف اذ فوجئت بأخ لى عليه جلبابان صاعدا فى حال زيارته لضريح الشيخ فطلبت اليه واحدة البسها حتى لا يرانى الناس على ذلك الحال من كشف العورة ، فاستيقظت وجعلت افكر فى هذه الرؤيا وما اشتملت عليه ، فأولتها بأن الشيخ رحمه الله يغار على احفاده ، ولا يسمح لمن يتعرض لانتقاد ذريته ، وان روحه الشريفة لن تزال مهيمنة عليهم وعلى غيرهم ، وعند ذلك مزقت

ما قد كنت كتبته فى ذلك ورجعت عنه ، لما قد كان فيه من الفضيحة لى ولابناء عمى لان النقد الخلقى قد تكون فيه مرارة على صاحبه ولا يحتمله ، وفقنا الله لما فيه رضى الله ورسوله ونفعنا بالصالحين من آبائنا وأجدادنا وجعلنا من شفعائهم آمين ، وانى أرجو منهم ان تكون هذه الرؤيا خيرا لى ولهم حتى يعتبروا ويرجعوا عن ممارسة ما الفوه من تهاون بالاخلاق الكريمة الشريفة الى خير رشدهم ، ويتبعوا ما كان عليه سلفهم الاماجد بالامس القريب والبعيد ، لان السىء من الاخلاق يطبع الشريف بغير طابع اصله ، وهى صفة تتنافى مع النسب الشريف ، لان الحجة ناطقة ، الاصيل يعمل بأصله ، كما ضرب به المثل ، وليس بيدنا حجة صحيحة على اتصال نسبنا بالنبى صلى الله عليه وسلم اتصالا يثبت الحقيقة وينفى ما سواها ، غير التمسك بما كان عليه سلفنا من مكارم الاخلاق ، لانها الطابع الاصيل ، وقد فتح علينا السىء من الاخلاق ثغرة للطعن لا يمكن التئامها من طرف رعاع المسلمين وهمجهم الامر الذى يشفى غليلهم فى اعتقادهم الاعمى ان النسب النبوى لا وجود له فى زمنهم هذا وفى نظرهم السافل ان الشريفة باعت عفتها بملء كفها ، ونحن لا ننكر انه يوجد سقيطات الاخلاق بيننا كما هو الشأن فى كل مجتمع ، ولكن النادر لا حكم له والحكم منوط بالاكثر ، والاكثرية لا تزال بخير والحمد لله ، ولا يمنعنا من الصاق هذه التهم بنا الا التمسك بمكارم الاخلاق وان بلغت الامة فى الفساد ما بلغت لانها وراثة صحيحة بل هى المعيار الباقى لصحة دعوانا الاتصال به صلى الله عليه وسلم والامة تنظر الى افعالنا وتحكم علينا ، ولهذا فانه يجب علينا أن لا نعرض النبى صلى الله عليه وسلم بسبب سىء اعمالنا لتهجماتها ، فنحن الآثمون على ما جنته سفهاء الامة على نفسها وعلينا وعلى النبى صلى الله عليه وسلم . بسببنا ، اللهم الهمنا رشدنا ، واجعلنا هداة مهتدين ، واجعل وراثتنا فى النبى الكريم وراثة ثابتة خالدة الى يوم الدين . ثم نرجع الى اتمام كلام البزار قال : ومن ثم كان الفاسق من اهل البيت لقلة دين ، او ارتكاب بدعة انما يوجه البغض لافعاله ، لا لذاته ، تأدبا مع النبى صلى الله عليه وسلم ، لانها اى الذات بضعة منه ، وان كان بينه وبينها وسائط . لانه روى فى قوله تعالى : وكان أبوهما صالحا » انه كان بينهما وبين الاب الذى حفظ فيهما ، سبعة او تسعة آباء ، ومن ثم قال جعفر الصادق رضى الله عنه ، احفظونا فينا ما حفظ الله العبد الصالح فى اليتمين . وما انتقد ذريته صلى الله عليه وسلم محب له . هـ

وقد صرح العلماء بأنه ينبغى اكرام سكان بلده صلى اللـــه عليه وسلم على العموم ، وان تحقق منهم ابتداع ونحوه ، رعاية لحرمة جواره الشـــريف ·

واخرج ابو سعيد فى شرف النبوة وابن المثنى انه صلى الله عليه وسلم قال : يا فاطمة ان الله يغضب لغضبك ، ويرضى لرضاك . ولهذا فمن آذى أحدا من ولدها فقد تعرض لغضب الله لانه اغضبها فى ولدها . وقالـــوا اذا استحق جوار حرمه الشريف حق رعاية الجوار . فما بالك بأهل بيته ، الذين هم بضعة منه صلى الله عليه وسلم ·

واخرج الديلمى مرفوعا : من اراد التوسل الى ، وان يكون له عندى يد أشفع له بها يوم القيامة ، فليصل أهل بيتى وليدخل السرور عليهم

وورد عن عمر رضى الله عنه من طرق انه قال : للزبير انطلق بنـــا نزور الحسن بن على فتباطأ عليه الزبير ، فقال : اما علمت ان عيادة بنى هاشم فريضة ، أى على حد قوله صلى الله عليه وسلم غسل الجمعة واجب، أراد به التأكيد للسنة ومثل ذلك قصد عمر بقوله فريضة .

واخرج البخارى فى صحيحه : عن ابى بكر رضى الله عنه انه قال : والذى نفسى بيده لقرابة رسول الله صلى الله عليه وسلم أحب الى ان أصل من قرابتى · وفى رواية أخرى احب الى من قرابتى . وفى أخرى والله لان أصلكم أحب الى من أن أصل قرابتى ، لقرابتكم من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وللعظم الذى جعله الله على كل مسلم . وهذا قاله رضى الله عنه على سبيل الاعتذار لفاطمة رضى الله عنها عند ما جاءته تطلبه ميراث أبيهـــا فمنعهـــا منـــه .

واخرج الدارقطنى أن عمر رضى الله عنه قال لفاطمة : ما من الخلق احب الينا من أبيك ، وما من أحد أحب الينا منك بعد ابيك ·

وروى انه وقعت جراة من الحسن فى صفره غيرة على منبر النبى صلى الله عليه وسلم فهجم على الخليفة أبى بكر رضى الله عنه ، وهـــو على المنبر فقال : انزل عن مجلس أبى فقال : صدقت ، والله انه لمجلس أبيك ثم أخذه وأجلسه فى حجره وبكى ، فقال على رضى الله عنه اما والله ما كان عن رأيى ، فقال : صدقت ، والله ما اتهمتك . فانظر محبة خليفة رسول

الله صلى الله عليه وسلم وتعظيمه وتوقيره للحسن . وقد اتفق ان وقع للحسين نحو ذلك مع الخليفة عمر رضى الله عنه وهو على المنبر فقال له : منبر ابيك والله لا منبر ابى ، فقال على والله ما أمرت بذلك ، فقال عمر : والله ما اتهمتك ، زاد ابن سعد انه اخذه واقعده الى جنبه وقال : وهل انبت الشعر على رءوسنا بعد الله الا ابوك ؟ . اى ان الرفعة ما نلناها الا به . وجاء عن الحسن انه قال لرجل يغلوا فيهم ، ويحكم احبونا لله ، فان اطعنا الله فأحبونا وان عصينا الله فابغضونا ، فقال له الرجل : انكم ذووا قرابة من رسول الله صلى الله عليه وسلم وأهل بيته ، فقال : ويحكم ! لو كان الله نافعا بقرابة رسول الله صلى الله عليه وسلم من غير عمل بطاعته لنفع بذلك من هو اقرب اليه منا ، وانى أخاف أن يضاعف للعاصى منا العذاب ضعفين ، ويقصد بقوله من هو أقرب اليه منا من مات كافرا من اهله . وقد حاول النبى صلى الله عليه وسلم انقاذ عمه أبى طالب ، وفاء بالعهد الذى عهد به اليه ، وهو قوله : لاستغفرن لك ما لم انه عنه ، فجعل يستغفر له لعل الله يشفعه فيه ، وشاركه فى الاستغفار جمع من المومنين ، فنهاه الله واياهم عن ذلك بقوله تعالى : ما كان للنبىء والذين آمنوا ان يستغفروا للمشركين ولو كانوا اولى قربى من بعد ما تبين لهم انهم اصحاب الجحيم » اى ما كان ينبغى للنبىء ولا يصح له الاستغفار فى حكم الله وحكمته .

واخرج ابن ماجة انه صلى الله عليه وسلم قال : راى فتية من بنى هاشم ، فاغرورقت عيناه ، فسئل فقال : انا أهل بيت اختار الله لنا الآخرة على الدنيا ، وان أهل بيتى سيلقون بعدى بلاء وتشريدا وتطريدا الحديث .

واخرج الامام احمد : خرج عمرو الاسلمى وكان من اصحاب الحديبية مع على رضى الله عنهما ، الى اليمن ، فراى منه جفوة ، فلما قدما المدينة اذاع شكايته فقال له النبى صلى الله عليه وسلم : لقد آذيتنى ، فقال : اعوذ بالله أن أوذيك يا رسول الله ، فقال : بل من آذى عليا فقد آذانى . وزاد ابن عبد البر ومن احب عليا فقد أحبنى ، ومن ابغض عليا فقد أبغضنى ، ومن آذى عليا فقد آذانى ومن آذانى فقد آذى الله .

واخرج الملا : لا يحبنا اهل البيت الا مومن تقى ، ولا يبغضنا الا منافق شقى .

وروى الامام احمد والترمذى من احبنى واحب هذين يعنى حسنا وحسينا واباهما وامهما كان معى فى الجنة . وفى رواية فى درجتى . زاد ابو

داود متبعا لسنتى . وبها يعلم ان مجرد محبتهم من غير اتباع للسنة كما يزعمه الشيعة الرافضة من محبتهم مع مجانبتهم للسنة لا يفيد مدعيها شيئا من الخير ، بل تكون وبالا عليه وعذابا اليما فى الدنيا والآخرة .

وقال عليه الصلاة والسلام : ان اهل بيتى سيلقون بعدى من أمتى قتلا وتشريدا ، وان اشد قومنا لنا بغضا بنو أمية ، وبنو المغيرة ، وبنو مخزوم ، صححه الحاكم واعترض بأن فيه من ضعفه الجمهور .

وأخرج ابن عساكر : أول الناس هلاكا ، أهل بيتى . وفى رواية فما بقاؤنا بعدهم ؟ قال : بقاء الحمار اذا كسر صلبه .

ومن أشد الناس بغضا لاهل البيت مروان بن الحكم ، وكان ذلك هو سر الحديث الذى صححه الحاكم ، ان عبد الرحمن بن عوف رضى الله عنه قال : كان لا يولد لاحد مولود الا اتى به النبى صلى الله عليه وسلم فيدعو له ، فأدخل عليه مروان بن الحكم فقال : هذا الوزغ ابن الوزغ الملعون بن الملعون ، وروى بعده بيسير عن محمد بن زياد قال : لما بليع معاوية رضى الله عنه لابنه يزيد قال مروان : سنة ابى بكر وعمر ، فقال عبد الرحمن بن ابى بكر رضى الله عنه سنة هرقل وقيصر فقال له مروان انت الذى أنزل الله فيك : والذى قال لوالديه اف لكما » فبلغ ذلك عائشة رضى الله عنها فقالت كذب والله ما هو به ، ولكن رسول الله صلى الله عليه وسلم لعن ابا مروان ومروان فى صلبه .

وروى عن عمرو بن مرة الجهنى وكانت له صحبة رضى الله عنه ان الحكم بن العاص استاذن على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فعرف صوته ، فقال : ايذنوا له عليه لعنة الله ، وعلى من يخرج من صلبه الا مومن منهم ، وقليل ما هم ، يترفهون فى الدنيا ويضيعون فى الآخرة ، ذوو مكر وخديعة يعطون فى الدنيا وما لهم فى الآخرة من خلاق . وقيل ان صح ذلك فليحمل على انه كان يرمى به قبل الاسلام ، وان النبى صلى الله عليه وسلم تراجع عن ذلك بعد الاسلام .

سياسة المكر والخداع ليست من دين الله

منذ فجر الاسلام فى عصره الزاهر ابتلى من طرف الامويين بسياسة المكر والخداع ، التى هى بعيدة كل البعد من دين الله وبما جاء به محمد ابن عبد الله صلوات الله عليه من دين الاسلام ، وكان الذى سن هـذه

السنة السيئة فى الاسلام لمن بعده ، أميرهم ورئيسهم معاوية بن أبـى سفيان عفى الله عنه ومستشاره ووزيره عمرو بن العاص فى ذلك · وفى قضية التحكيم ابتدىء عهد هذه السياسة الظالمة الماكرة ، بين الامام على ومعاوية بن أبى سفيان وكانت هذه السياسة الظالمة بداية عهد جديد فى الاسلام على يد معاوية وهى التى كانت السبب الوحيد الذى عاقه عن لحوقه بمن تقدمه من الخلفاء الراشدين الذين ساروا فى سياستهم علـى نهج الكتاب والسنة وكان خاتمتهم الامام الحسن المتنازل عن حقه فى الامامة ابتقاء جمع كلمة المسلمين ، ومراعاة للمصلحة العامة فى الاسلام ، وكل من ذهبت به العاطفة الى أن يجعل معاوية فى عداد الخلفاء الراشدين ، وجد خندقا شاسعا مملوءا بتصرفاته المنافية لدين الاسلام وأخلاقه الفاضلة عائقا شديدا بينه وبينهم · وكانت ولايته فى صدر الاسلام فتحا جديدا لعهد الملوك والامراء الذين ساروا على نهج سياسته من بعده · وكانت لعبة الخداع فى التحكيم سياسة ناجحة ظفر فيها معاوية بحصة الاسد ، ولذلك قد طبل وزمر له فيها كل من استحسنها وجعلها من الاعمال الخالدة فى سجل معاوية الصحابى الذى سبق له أن كان كاتبا للنبى صلى الله عليه وسلم فدعاه ليكتب لبنى خزيمة حين أصابهم خالد بن الوليد فانصرف اليه الرسول ثلاث مرات ، وفى كل مرة يقول هو ياكل ، فدعا عليه بقوله : لا أشبع الله بطنه ، فكان لذلك ياكل ولا يشبع أبدا ولم يكن هذا الفضل الذى حازه من الصحبة وغيرها ليحمله على التقوى والابتعاد عن هـوى النفس · خلاف الامر الذى كان عليه خصمه الامام على رضى الله عنـه الذى شهدت له الادلة والنصوص الشرعية ، واجمع على ذلك علمـاء الامة واهل السنة والجماعة من اهل الصدر الاول ، على انه كان رضى الله عنه فى سياسته ورايه على الحق ، ولم يمنعه أن يرتكب ما ارتكبه خصمه من سياسة المكر والخداع ، الا الوازع الدينى والاخلاقى وتربيته فى بيت النبوة والرسالة ، ولهذا اثيرت عنه تلك الكلمة الشهيرة التى كان يقولها عند ما يرى الامور تجرى على غير مجراها الاخلاقى والدينى الا وهى قوله : رضى الله عنه ، « لولا التقى لكنت أدهى العرب » وانه ما كـان يمنعه من ارتكاب ما ارتكبه خصمه معاوية الا التقوى والدين وخوف العبث بمصير الامة الاسلامية ، وكان ذلك هو الحافز الوحيد الذى جعله يتكبد فى سبيل اصلاح شأن الامة ما تكبده مما هو مسطور عنه فى بطون كتب التاريخ ، وبعد التحاقه بربه تقلد نجله الحسن سيد شباب اهل الجنة حق الامامة التى كانت عند أبيه باختيار الامة الاسلامية ثم ان الامام الحسن

رضى الله عنه لما رأى أن أمر الامة الاسلامية فى انهيار ولا يزداد الحال بعد أبيه الا تفاقما فى الاختلاف وبعد وجهة النظر والتنازع عليه ، الامـر الذى نهى الله تعالى عنه بقوله : ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم » اى قوتكم ، ولم يستقم قبل ذلك الامر لابيه الذى كان اقدر على ممارسة شؤون الامة وسياستها بمقتضى الحكمة والدين والاخلاق والقوة ؛ رأى ان الموقف يدعو الى التنازل ابتغاء جمع كلمة المسلمين ، وقد بلغ أجـل ما كان يحمله منذ الصغر من حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم : ان ابنى هذا سيد ولعل الله أن يصلح به بين فئتين عظيمتين من المسلمين ٠ فتنازل فعلا وابتعد عن كل هول من تلك الاهوال ، فسمى ذلك العام بعام الجماعة ، وقد تحمل فى تنازله مالا يدخل تحت وصف من اهانات وسخريات من طرف خصومه وخصوم أبيه ٠ وما لقى أهله وشيعته من ذلك مالا يدخل تحت حصر ، فعند ذلك رأى انه لابد من تجريد سيف الكلام للدفاع عن نفسه وعن أهله ، وذلك ما سطرته أقلام الباحثين الامر الذى يحمل من اطلع عليه على العجب العجاب ٠ وهكذا ظلت حياته حتى التحق بربه شهيدا مسموما ولم يفارق الدنيا حتى لفظ طرفا من كبده فى حياته ، وعند ذلك خلا الجو لخصمه معاوية عفى الله عنه فجعلها هرقلية ، كما صرح لـه بذلك الصحابى الجليل عبد الرحمن بن أبى بكر الصديق رضى الله عنهمـا بقوله : « يموت هرقل ، ويخلفه هرقل آخر » وهكذا تأسس ظلم الحكم الفردى فى الامة الاسلامية على يد معاوية وبنى سياسته على المكر والخداع، فى الطور الاول من أطوار الامة الاسلامية ثم جعل بعد ذلك حقيقة واقعية ، وسنة متبعة من طرف كل ظالم غاصب كيفما كان لون نظامه ، وليس هناك نظام أحسن من نظام غير تطبيق تشريع الاسلام وكان معاوية أول من اخذ البيعة لابنه يزيد بتهديد السيف بعد اجتماع أهل الحل والعقد من الصحابة والتابعين ، قال بعض من ندبه معاوية لذلك : أيها الناس أمير المومنين هذا مشيرا الى معاوية — فان مات فهذا مشيرا الى يزيد — فمن أبى فهذا مشيرا الى السيف ٠ فأين العدل يا ترى ؟ وقد انتقد مؤرخوا الاسلام هذا على معاوية عفى الله عنه لانه غير لائق بمن يتولى خلافـة المسلمين عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأين عـدل الاسـلام يا معاوية ؟ واين اخلاق الاسلام ؟ وقد قال عليه الصلاة والسلام بعثت لاتمم مكارم الاخلاق ، واين تربية الاسلام منك ؟ واين معاشرتك للنبى صلى الله عليه وسلم ؟ وأين التقى التى كان ينشدها خصمك الامام على رضى الله عنه خشية ان يرتكب فى الاسلام مثل ما ارتكبت ؟ ، كل هذه الاسئلة

ضرب بها معاوية عفى الله عنه عنه عرض الحائط ، وسن الملك الروائى فى الاسلام على غرار ما كان عليه الهراقلة ، والقياصرة ، والاكاسرة من ظلم الرعية ، وهذا ظلم للاسلام سجل فى صحيفتك يا معاوية فى فجر الاسلام بادخالك فيه ما هو أجنبى عنه ، وسوقه بمقتضى القوة بعد ارغام أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم على مبايعة ابنه يزيد الذى كان الكل يراه غير صالح لخلافة المسلمين ، وفيهم من الصحابة من هو أفضل منه لتحمل اعبائها لولا مبدأ الضب الذى قال : « كل لنفسه بغى الخير » والذى كان أول نتائجه قتل الامام الحسين شهيد كربلاء رضى الله عنه ، وقد كان فى امكانه لو أراد الخير للامة أن يجمعها على غير ابنه ، ممن يقع عليـــه اختيار أهل الحل والعقد من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم امتثالا لتعاليم الاسلام الحنيفية السمحاء ، والابتعاد به عما هو أجنبى عنه ، وادخال فيه ما ليس منه ممن هو من سنن الجاهلية وبهذا نكص معاوية عفى الله عنه على عقبيه ، ورجع بالامة الاسلامية الى سنن الجاهلية ومصائبها الوراثية ، وكان لزاما على الحكم الفردى أن يستأنف عمله متحديا شعور الامة فى اختيار رأيها ، ولا يقيم عليه الا ظالم غاصب الذى لا رازع له ولا أخلاق تمنعه من أن ينطلق مع هوى نفسه ويتجرد من كل خلق حافز له عن الالتجاء الى شريعة الغاب ، وعند ذلك يظل بعيدا عن كل قيمة للانسان وكان لزاما عليه أن يسير فى طريقه ، وأن يرتكب من عظائم المنكرات ما هو طبيعى أن يرتكب ، لانه يشعر فى قرار أعماقه انه ظالم لنفسه غاصب لحق غيره فهو وجل حذر على مصيره ، ومن أجل ذلك كان المفروض فيه أن تتحول أخلاقه من صفة انسان الى صفة « نمــر مفترس » فيزيد بن معاوية الجامع لهذه الصفات لما تحولت أخلاقه الـــى صفة نمر مفترس ، قتل الامام الحسين ثم هانت عليه كـــل الحرمـــات الاسلامية ، فأباح المدينة لجيشه ثلاثة أيام ، وبذلك يعد خارقا لثلاث حرمات فى آن واحد حرمة المسلم ، والبلد الحرام ، والشهر الحرام ، ومنه للحرم المكى فأباحه لجيشه ، فأحل منه ثلاث حرمات ، حرمة الاسلام ، والبلد الحرام ، والشهر الحرام ، واثناء هتكه لهذه الحرمات جاء نعيه ونعى قائده مسلم بن عقبة ، فرجع جيشه الى مقره بالشام وهذا كله فى سبيل الاستيلاء على أمة الاسلام فى أوج مجدها بالقهر والغلبة أمة مارست العدل والسعادة على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وخلفائه الراشدين من بعده ، وأبلت مع النبى صلى الله عليه وسلم بلاء حسنا فى سبيل نصرة الاسلام ، وتطبيق تعاليمه ، وكيف يخضع من عاش الحياة السعيدة لمـــن

ليس بكفء فى توليته شؤون المسلمين ، وكان لا بد فى حملها على سلوك سبيل الحكم الفردى المطلق من ضحايا يقدمها كهدايا لتحقيق واثبات دعائمه ؛ فكان الامام الحسين السبط سيد شباب أهل الجنة رضى الله عنه أول من وقع ضحية لهذا النوع من الحكم الفردى المطلق ثم التحق به نجل حفيده سيدنا زيد بن على ، ثم التحق به على الفور ابنه يحيى فكان مصير هؤلاء الضحايا واحدا على يد بغاة الامويين المتعطشين الى الدماء الطاهرة من بيت النبوة لاقرار ملكهم المغصوب خوفا عليه من المستحقين وكان لزاما على الامة الاسلامية بعد تسليمها واستسلامها للامر الواقع أن تجود بأخيارها وفضلائها ورجالها الامجاد ؛ وتقف بعيدا متأولة كأنها راضية فيما يبدو باقرار هذا النوع من الحكم الفردى الغاصب المبنى على سياسة المكر والخداع ، وما أدى اليه من تقتيل لاخيار الشباب الاسلامى الناهض ، وفى هذا التاريخ كسفت شمس الحرية وظلت محجوبة عن فضلائها وأخيارها العباقرة الافذاذ من بنى الاحرار ، وقد ازداد الامر تفاحلا والخطورة شدة عبر عصور الدولة العباسية باضعاف مضاعفة ، فخرقت العهود التى كان الانسان العربى يفتخر ويعتز بالوفاء بها ؛ وأصبح المسلم فى عصور الاسلام يعدها من مفاخره ؛ حيث ان دين الاسلام اقرها وحض على التخلق بها واحترامها ثم زادت الوحشية الخلقية فيهم وطغت حتى جعلوها مصايد لاغراضهم بعد نفاذ مكايدهم . ومن ثم سهل على رجال الدولة الامر ، فأعطوا أوامرهم للقائد السفاح أبى مسلم الخراسانى بأن يقتل كل من اتهمه بالميل الى البيت العلوى الذى يعدونه اخطر خصم على سيادتهم المغصوبة ، حتى قال المؤرخون : قد بلغ من ضعف العباسيين على ابناء عمهم أهل البيت العلوى وحرج الضيق الذى نالهم منهم حتى صاروا كالطائر المحبوس فى قفصه فهو يحاول التخلص منه على غير هدى ، كما فعل الحسين بن على بن الحسن المثلث بن الحسن المثنى بن الحسن السبط ، الذى ثار بمكة فى مدة موسى الهادى بن جعفر المنصور سنة (169) هجرية ، وقتل وصلب فى وقعة شهيرة بموضع قريب من مكة يدعى « فخ » والتى ذهب فيها اكثر ذرية بنى الحسن ، وهذا الموضع يوجد على بعد (6) اميال من مكة المكرمة .

وقد نجا من أهل البيت العلوى رجلان لهما تاريخ جليل ، وهما ادريس بن عبد الله الكامل ذهب الى بلاد المغرب ، وكون بها دولة اقتطعها من مملكة العباسيين ، وأخوه الامام يحيى ذهب الى بلاد الديلم فأراد أن يكون بها دولة فلم يفلح لقربها من عاصمة الخلافة بغداد . ثم فى نهاية

الامر لقى أبو مسلم منهم نفس المصير الذى فعله بغيره ، فقتلوه شر قتلة ، ثم استمروا على هذه السياسة الغاشمة التى أدت بهم الى قتل الآلاف من مواليهم ، وقد بالغوا فيها حتى كانوا يقتلون الرجل ولو لمجرد الوشاية المتقنة ، كل ذلك خوفا على سلطانهم المغصوب بطريق المكر والخداع ، ولم يعولوا فيه على رضى الامة الاسلامية ، ولم يعتمدوا فى الحصول عليه الا على اسلوب المكر والخداع وحد السلاح ، وكل ملك اعتمد على هذا الاسلوب كانت نتائجه قتلا وتصليبا ، ولو كان فى ذلك ذهاب دينهم جملة وتفصيلا . فنفوسهم لا ترتاح الا بنشوة الانتصار فى سياستهم ، والاطمئنان على بقاء ملكهم ، وقد كانت مصيبة العلويين أشد لما كانوا يرون عليهم من الفضل والخير الذى كان يدفع بالناس الى ازدياد حبهم ، وتمنى الخلافة فى بيتهم لانهم كانوا يرونهم من حيث النفوذ الروحى فى قلوب الامة أوسع منهم ، وكان النفوذ الروحى فى ذلك الوقت له وزنه الخاص ، فحاولوا بكل قوة أن يقطعوا الطريق عليهم حتى لا يصلوا الى شىء من السلطة الزمنية ، فيكمل لهم الامر ويتسع لهم مجال القوة للانقضاض عليهم ، وزوال ما بأيديهم من ملك مغصوب .

وكانت الامة الاسلامية لذلك العهد تتطلع الى أن تكون الخلافة الاسلامية فى البيت العلوى من ذرية الحسنين ، لانهم كانوا يعتبرونه نفس البيت النبوى ، فهم بهذا يحاولون بها الرجوع الى منبعها الاصيل الذى خرجت منه ، لعلهم يجدون فيهم ضالتهم المنشودة ، فى سياسة الامة بالاخلاق والدين ، التى كانوا يرونها مفقودة بين من بنوا سياستهم على المكر والخداع ، والتقتيل لمجرد وشاية متقنة ، حتى شملت تلك السياسة نكبة البرامكة الذين كانوا رجال دولة العباسيين على عهد هارونهم الرشيد ، فلم يزل الحاسدون لهم والواشون بهم يصورونهم لطبيعة الملك الاستبدادى بأنهم يساوونهم فى درجتهم ، ويزينون لهم ما اشتد من وطأتهم ، وسماع كلمتهم ، حتى ضاق صدرهم منهم ، فعند ذلك خشى صاحب الملك المغصوب ولم يبق له الا اللجوء لطبيعة الاستبداد ، فجعل يتبع عوراتهم ويسجل معايبهم ، وهفواتهم ، ويغض العين عن محاسنهم ، حتى يسهل عليه أن ياخذهم بمساويهم ، ولو كانت مصنوعة بخيوط من عنكبوت الوشاة ، فجاءت المحنة ، وقتل هارون الرشيد ثلاثة رجال من كبارهم ، وهم : يحيى بن خالد وولداه جعفر والفضل ، وقد كان هؤلاء الثلاثة من كبار الدولة عند الرشيد حتى رآهم الناس بعد العز المتين ، والشرف المبين منكوبين بسبب وشايات حاسديهم .

وقد طغت روح الانتقام من جانب الحكم الفردى فى عصر المتوكل حتى صار لا يقنع بقتل من يعنيه قتله ؛ بل يتبع قتله بمصادرة ماله ، من متاع منقول وعقار ، ولو ادى ذلك الى ضياع اهل بيته ؛ فالى هذا الحد وصل ضعف الوازع الدينى فى قلوب المستبدين من أهل الحكم الفردى فى صدر العصور الاسلامية ؛ وقد ثبت بهذا عند المؤرخين ان شهوة الانتقام ازدادت طغيانا حتى حالت بين القوم وبين دينهم الذى نهى عن التعذيب والتصليب والمثلـــة .

المراد بالآل فى الاحاديث الواردة فيهـــم

اخرج الحاكم عن ابى هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : خيركم خيركم لاهلى من بعدى . وأخرج الطبرانى والحاكم عن عبد الله بن ابى أوفى ؛ ان النبى صلى الله عليه وسلم قال : سألت ربى ان لا اتزوج الى احد من أمتى . ولا يتزوج الى احد من امتى الا كان معى فى الجنة فأعطانـــى ذلك .

واخرج الشيرازى فى الالقاب عن ابن عباس رضى الله عنهما ان النبى صلى الله عليه وسلم قال : سألت ربى ان لا ازوج الا من اهل الجنة ، ولا اتزوج الا من اهل الجنة . قد تقدم بعض الكـــلام علـــى الآل ، وعلـــى الآية الواردة فيهم ، ونأتى هنا بمزيد من الادلة فنقول : اخرج الامام احمد عن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه ان آية قوله تعالى : انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس اهل البيت ويطهركم تطهيرا » نزلت فى خمسة : النبى صلى الله عليه وسلم ، وعلى ، وفاطمة ، والحســـن ، والحســـين . واخـــرج ابـــن جريـــر مرفرعا بلفظ انزلت هذه الآية فى خمسة : فى وفى على ، والحسن والحسين وفاطمة . واخرجه الطبرانى ايضا ، ولمسلم فى صحيحه ، انه صلى الله عليه وسلم ادخل اولائك تحت كساء عليه ، وقرا هذه الآية . وصح انه صلى الله عليه وسلم جعل على هـــؤلاء كساء ، وقال : اللهم هؤلاء اهل بيتى وخاصتى اى خاصتى اذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا ، فقالت أم سلمة : وانا معهم ، قال : انك على خير . وفى رواية انه قال : بعد قوله وطهرهم تطهيرا ، انا حرب لمن حاربهم وسلم لمن سالمهم وعدو لمن عاداهم .

وفى رواية اخرى القى عليهم كساء ، ووضع يده عليها ، ثم قال :

اللهم ان هؤلاء آل محمد فاجعل صلواتك وبركاتك علـــى آل محمد انك حميـــد مجيـــد ٠

وفى أخرى ان الآية نزلت ببيت أم سلمة ، فأرسل صلى الله عليه وسلم اليهم وجللهم بكساء ثم دعا لهم ٠ وفى اخرى انهم جاءوا واجتمعوا فنزلت ، فان صحتا حملا على نزولها مرتين ٠ وفى رواية أخرى انه قال : اللهم اهلى اذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا ، ثلاثا ٠ وان ام سلمة قالت له : الست من اهلك ؟ قال بلى وانه ادخلها الكساء بعد ما قضى دعاءه لهم ٠ وفى أخرى انه لما جمعهم ودعا لهم بأطول مما مر ، قال واثلة : وعلىّ : يا رسول الله ، فقال : اللهم وعلى وواثلة ٠

وفى رواية صحيحة قال واثلة : وأنا من اهلك ؟ قال : وأنت مـــن اهلى ٠ قال واثلة : انها لمن أرجى ما ارجوه قال البيهقى : وكأنه جعله فى حكم الاهل ، تشبيها بمن يستحق هذا الاسم لا تحقيقا ٠

واشار المحب الطبرى الى ان هذا الفعل تكرر منه صلى الله عليه وسلم فى بيت ام سلمة وبيت فاطمة رضى الله عنهما وغيرهما ٠ وبه جمع بين اختلاف الروايات فى هيئة اجتماعهم ، وما جللهم به وما دعا به لهم ، وما اجاب به واثلة وام سلمة وازواجه ويؤيد ذلك رواية ـــ انه قال : نحو ذلك لهؤلاء ، وهم فى بيت فاطمة ٠ وفى رواية انه ضم الى ذلك بقيـــة بناته وأقاربه وأزواجه .

وصح عن أم سلمة ، فقلت يا رسول الله أنا من اهل البيت ؟ فقال : بلى ان شاء الله ٠ وذهب الثعلبى الى ان المراد من أهل البيت فى الآيـــة جميع بنى هاشم ، ويؤيده الحديث الحسن انه صلى الله عليه وسلم اشتمل على العباس وبنيه بملاءة ثم قال : يارب هذا عمى وصنو أبى ، وهؤلاء اهل بيتى ، فاسترهم من النار كسترى اياهم بملاءتى هذه ، فأمنت اسكفة الباب وحوائط البيت فقال آمين ، وهى ثلاثا ٠ وفى رواية فيها من وثقـــه ابن معين وضعفه غيره ثم جعل القبائل بيوتا فجعلنى فى خيرهم بيتا ، وذلك قوله عز وجل : انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا » والحاصل انه لما كان سياق الآية فى مخاطبة أزواجه صلى الله عليه وسلم لانهم اهل بيت سكناه وكان قد يخفى ذريته من شمول الآيـــة لهم بينهم صلى الله عليه وسلم بطريق النص الصريح حتى لا يخفى علـــى احد ما هو المراد من الآية ، وانهم هنا ما يعم بيت سكناه وغيره ، وهـــم ازواجه واهل بيت نسبه من بنى هاشم والمطلب ٠

وفى بعض طرق الحديث بالسند الحسن عن الحسن رضى الله عنه وأنا من أهل البيت الذين اذهب الله عنهم الرجس ، وطهرهم تطهيرا . فبيت النسب مراد فى الآية كبيت السكنى . واخرج مسلم فى صحيحه عن زيد بن ارقم انه سئل ، أنساؤه من اهل بيته ؟ فقال : نساؤه من أهل بيته ، ولكن اهل بيته من حرم الله الصدقة عليهم . فأشار الى ان نساءه من اهل بيت سكناه الذين امتازوا بكرامات ، وخصوصيات ايضا لا من أهل بيت نسبه ، وانما أولائك من حرمت عليهم الصدقة . وكان ابتداء الآية الشريفة بأنما لافادة الحصر ، فهذه الارادة الالاهية خاصة بأهل بيت سكناه وبيت نسبه ومنحصرة فيهما ، ولان الله تعالى خصهم باذهاب الرجس عنهم الذى هو الاثم أو الشك فيما يجب الايمان به ، وطهرهم تطهيرا من سائر الاخلاق والاحوال المذمومة ، ولان فاطمة احصنت فرجها فحرم الله ذريتها على النار . وكذلك بنو هاشم كما تقدم قريبا من أن النبى صلى الله عليه وسلم دعا لهم وقال : واسترهم من النار كسترى اياهم بملاءتى هذه . وذلك هو التطهير وغايته . ومنه الهام الانابة الى الله تعالى ، واذهاب الخلافة الفاسدة عنهم ، حتى يتفرغوا للخلافة الروحية بالاعمال الصالحة ، وعوضهم سبحانه بها عن حقهم فى الخلافة الجسمانية التى استحالت ملكا عضوضا كما ثبت ذلك كله عنه صلى الله عليه وسلم وتجردت من الخلافة الروحية ، وكانت شرا على من تولاها . وأولائك اشتغلوا بالخلافة الروحية ، حتى ذهب قوم الى أن قطب الاولياء فى كل زمان لا يكون الا منهم فى الغالب وقد يكون من غيرهم وذلك فضل الله يوتيه من يشاء ، وهو مذهب الشيخ أبى العباس المرسى تلميذ الامام الشاذلى ، ونقله عنه تلميذه التاج بن عطاء الله .

ومما هو من جملة التطهير فى حقهم تحريم صدقة الفرض عليهم بل والنفل على قول للامام مالك ، لانها أوساخ الناس ، مع كونها تنبىء عن عز المعطى وذل الآخذ والماخوذ ، وعوضوا عنها بحقهم فى خمس الخمس من الفىء والغنيمة المنبىء عن عز الآخذ وذل الماخوذ منه .

أدب المواساة والوصلة مع الشريف

وينبغى لمن اراد ان يصلهم بشىء اكراما لهم ولجنابه الشريف صلى الله عليه وسلم وعلى جهة الادب معه ، أن يكون ذلك على وجه الهدية ، من غير أن يكون صدقة فرض ولا نفل ، مراعاة لتطهير الله اياهم ظاهرا

وباطنا ، ومثل صدقة الفرض فى التحريم عليهم تحريم النذر ، والكفارات ، وخالف فى ذلك بعض المتاخرين ، وقال : ان النذر كالنفل ، فيحمل على خفـــة الامـــر .

وبعد ما منعوا من اخذ حقهم من الخمس افتى العلماء : للمحتاج والمضطر منهم بحل زكاة الفرض والنفل والنذر ، والكفارات الى غير ذلك مما يباح للمضطر شرعا ، أما الغنى منهم فلم تتغير الحرمة فى حقه ، فهى باقية لان علتها موجودة والقاعدة ان العلة تدور مع المعلول وجودا وعدما، بحيث يلزم من وجود الغنى وجود حرمة أخذ الصدقة ، وتنتفى حرمتهـــا للمحتاج والمضطر ، اما من عرف نفسه بأنه فى غنى عنها ، فلا يزاحـــم المحتاج والمضطر عليها فانها حرام عليه . والقدر الذى يحصل به الغنى ان يكون له كفاية قوت سنته ، فلا يحتاج فيها الى الصدقـــة والمحتـــاج والمضطر لها من لا يملك قوت يومه .

واستدل الشافعى رحمه الله لحل صدقة النفل لهم بقول الباقر رضى الله عنه لما عوتب فى شربه من سقايات بين مكة والمدينة . قال : انما حرم علينا الزكاة المفروضة . ووجهه ان مثله لا يقال من قبل الـــراى لتعلقـــه بالخصائص ، فيكون مرسلا لان الباقر تابعى جليل ، وقد اعتضد مرسله بقول اكثر اهل العلم ، وتحريم ذلك يعم بنى هاشم والمطلب ومواليهم ، قيل وازواجه وهو ضعيف ، وان حكى ابن عبد البر الاجماع عليه أى القول بالحرمة ، ولزوم نفقتهن بعد الموت يحرم الاخذ ، الا من جهة الفقر والمسكنة بخلافه من جهة اخرى كدين او سفر اى فانه لا يحرم الاخذ كما هو مقرر فى كتب الفقه . وفى خبر انها تحل لبعض بنى هاشم من بعض لكنه ضعيف مرسل فلا حجـــة فيـــه .

واما شربه صلى الله عليه وسلم من سقايات زمزم ، فواقعة حال ، تحمل على أن الماء الذى فيها من نزعه صلى الله عليه وسلم ، او نزع ماذونه، فلم يتحقق انه من صدقة العباس . وحكمة قول الله تعالى فى ختم الآية بتطهيرا ، المبالغة فى وصولهم لاعلاه ، وفى رفع التجوز عنه ، والحكمة فى تنوينه ايضا للتعظيم والتكثير والاعجاب المفيد انه ليس من جنس مـــا يتعارف ويؤلف ، ثم اكد ذلك كله صلى الله عليه وسلم بقوله لهم فى تكرير طلبه اللهم هؤلاء اهل بيتى الى آخر ما مر ، ثم اكده ايضا بادخال نفسه معهم فى العد لتعود عليهم بركة اندراجهم فى سلكه .

وفى رواية انه اندرج جبريل وميكائيل ، اشارة الى علو قدرهم ثم

زاده تأكيدا بطلب الصلاة عليهم ، بقوله : فاجعل صلواتك وبركاتك الخ ما مر ، ثم زاده تأكيدا ايضا بقوله ، أنا حرب لمن حاربهم · وفى رواية انه قال بعد ذلك : الا من آذى قرابتى فقد آذانى ومن آذانى فقد آذى الله تعالى · وفى اخرى والذى نفسى بيده لا يومن عبد بى حتى يحبنى ولا يحبنى حتى يحب ذوى · فاقامهم مقام نفسه ، ومن ثم صح انه صلى الله عليه وسلم قال : انى تارك فيكم ما ان تمسكتم به لن تضلوا : كتاب الله ، وعترتى · والحقوا به ايضا فى قصة المباهلة كما تقدم · والحاصل ان المراد فى الاحاديث المتقدمة بالآل ، وذوى القربى ، وعترتى ، وقرابتى ، وذوى ، هم مومنوا بنى هاشم والمطلب على العموم ، لشمولهم الدخول فى الخمس وتحريم الزكاة عليهم · ثم تاتى بعدهم فى درجة القرب منه صلى الله عليه وسلم ، وهم خاصة الخاصة ، ، وهم من شملهم الكساء ، وقصة المباهلة ، وآية انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ، وهم المعروفون باهل البيت الى الآن ، وما بعد الان · وهم النبى صلى الله عليه وسلم وعلى ، وفاطمة والحسن ، والحسين وذريتهما الى يوم القيامة . وأما خبر آلى كل مومن تقى ، فهو ضعيف بالمرة · ولو صح لتأيد به جمع بعضهم بين الاحاديث ، بأن الآل فى الدعاء لهم بالصلاة يشمل كل مومن تقى ، وفى تحريم الصدقة عليهم يشمل مومنى بنى هاشم والمطلب ويختص بهم ، ويختص أهل البيت منهم بقصة المباهلة ، وآية انما يريد الله الاية ، والدخول تحت الكساء ، وهم خاصة الخاصة به صلى الله عليه وسلم واصحاب كل فضل · ويؤيد ذلك خبر البخارى : ما شبع آل محمد من خبز مادوم ثلاثا ، اللهم اجعل رزق آل محمد قوتا .

وفى قول : ان الآل هم الازواج والذرية فقط ، ويؤيد ذلك خبر مسلم انه صلى الله عليه وسلم خرج ذات غداة فى مرط مرجل من شعر أسود ، فجاء الحسن فأدخله ثم الحسين فأدخله ، ثم فاطمة فأدخلها ، ثم على فأدخله ، ثم قال : انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا » وفى رواية اللهم هؤلاء اهل بيتى .

وفى رواية اخرى ان ام سلمة ارادت الدخول معهم ، فقال صلى الله عليه وسلم بعد منعه لها : انت على خير · وفى رواية أخرى انها قالت : يا رسول الله ، وأنا ؟ فقال : وانت من اهل البيت العام · بدليل الرواية الاخرى ، لما قالت وأنا ؟ قال : انت من أهلى وكذلك قال صلى الله عليه وسلم : لواثلة ، لما قال : يارسول الله ، وانا ؟ فقال : انت من اهلى

وروى انه صلى الله عليه وسلم قال لعلى : سلمان منا أهل البيت . وهى رواية صحيحة . فاتخذه لنفسك وعده منهم تحقيقا باعتبار صدق صحبته ، وعظيم قربه وولائه وهو فوز عظيم لسلمان رضى الله عنه ، حيث ادخله النص من صاحب الشرع صلى الله عليه وسلم والحقه بأهل بيته وخاصته ، وفى ذلك قيل :

عليك بتقوى الله فيما تريده ولا تترك التقوى اتكالا على النسب
فقد رفع الاسلام سلمان فارسى وقد وضع الكفر الشريف ابا لهب

فهنيئا لك ياسلمان على ما نلته من القرب من رسول الله صلى الله عليه وسلم بسبب صدق محبتك له ولاهل بيته ، حتى ادخلك النص الصريح فيهم ، فأحل لك ما يحل لهم وحرم عليك ما يحرم عليهم ، فهنيئا لك لقد طهرت نفسك ، وزكى عملك ، وربحت الاندماج فى آية قوله تعالى : انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس الآية . هكذا ينبغى أن يدفع الحب الصادق بصاحبه حتى يجعله من اهل البيت الذين هم خاصة رسول الله صلى الله عليه وسلم الادنين ، وقد دفعت بك الاقدار من دولة آبائك واجدادك فارس الذين تركتهم وراءك غارقين فى بحر المجوسية ثم انتقلت منها الى الكنيسة النصرانية ، طالبا بها دينا يرضيك فلم تجده ، ثم هاجرتها وابتعدت عنها باحثا عن دين صحيح يقنعك ويرضيك فى المعرفة بربك ثم رمت بك الاقدار الى ان سبيت والحقت بعروض التجارة ، فبعت بثمن بخس سقطت به قنا بيد يهودى من يهود يثرب ، فكان ذلك سببا لانعام الله عليك بنعمة الايمان والاسلام ، الذى ما فتئت من أجله تبحث عن دين سماوى تسكن اليه نفسك ، ويطمئن اليه ضميرك ، ولما فتح الله على المسلمين بالهجرة من القرية الظالم اهلها الى أرض عز الاسلام وانتصاره « يثرب » فوصل الى سمعك ان الاوس والخزرج ، اجتمعوا بقباء على رجل يزعم انه نبى ، تشوقت نفسك اليه ، فذهبت لاختباره بما عندك من علم عليه ، فعثرت على ضالتك المنشودة عند ما جئته ووجدته يودع جنازة بالبقيع فتأخرت من وراء الرسول صلى الله عليه وسلم فعلم انك تريد منه شيئا تطلع عليه فكشف لك عن السر الذى كنت طالبه ، فتأكدت من ضالتك المنشودة ، فأسلمت وجهك لله وانت محسن واستمسكت بالعروة الوثقى بعد أن انتقلت اليها من أرباب بلغ عددهم بضعة عشر سيدا وكم حال أعداء الاسلام بينك وبين هذه النعمة الكبرى حتى لا تصل اليها بحال ، وعند ما اشتد عزمك على الوصول

اليها ، لطمت على خدك فى سبيلها من سيدك اليهودى فجئت شاكيا لرسول الله صلى الله عليه وسلم فأشار عليك بالكتابة من سيدك ، فأعانك وعمل معك بيده الشريفة فى حائط سيدك ، ثم أدى عنك بيضة النضار — أى الذهب — من الغنيمة ، فصرت حرا مسلما شريفا من أهل بيت الرسول صلى الله عليه وسلم وخاصته الادنين ، فهنيئا لك يا سلمان بهذا الاب العطوف والرحيم الرءوف ، وقد ثبت فيك حديث : ان الله ليرضى لرضى سلمان ، ويسخط لسخطه ، وان الجنة لتشتاق الى سلمان اشد من اشتياق سلمان الى الجنة . ولما سئل عن نسبه قال : أنا سلمان ابن الاسلام ، ولم يزد على ذلك شيئا ، وعاش سلمان مائتى وخمسين سنة على الاصح ، وكان عطاؤه أيام الخلفاء الراشدين مع ذوى القربى خمسة آلاف درهم سنويا ، فكان يفرقها وياكل من كسب يده من صنعة الخوص أى الاطباق المصنوعة من ورق النخيل ، ومهما كانت العواقب حسنة كان كل ما يلقاه الانسان فى سبيلها سهلا ، لقولهم ما نيل عظيم الا بجسيم ، ومن لم يركب الاهوال لم ينل الآمال ، وفى مثل ذلك قيل :

لا تكره المكروه عند حلوله ان العواقب لم تزل متباينة
كم نعمة لا تستقل بشكرها لله فى طى المصائب كامنة

وفى رواية : اسامة منا اهل البيت ظهر البطن . وروى الامام احمد عن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه ان الذين نزلت فيهم الآية : النبى صلى الله عليه وسلم وعلى وفاطمة ، وابناهما رضى الله عنهم . وكذلك اشتمل النبى صلى الله عليه وسلم بملاءة على عمه العباس وبنيه رضى الله عنهم ، وقال : يارب هذا عمى وصنو ابى ، وهؤلاء أهل بيتى فاسترهم من النار كسترى اياهم بملاءتى هذه ، فأمنت اسكفة الباب وحوائط البيت آمين ، آمين ، آمين . وحديث مسلم اصح من هذا ، واهل البيت فيه غير اهله فى حديث العباس وبنيه المذكور . لما مر ان له اطلاقين اطلاقا بالمعنى الاعم ، وهو ما يشمل جميع الآل تارة والزوجات أخرى ، ومن صدق فى ولائه ومحبته اخرى . واطلاقا بالمعنى الاخص وهم من ذكر .

وفى خبر مسلم وقد صرح الحسن رضى الله عنه بذلك ، فانه حين استخلف وثب عليه رجل من بنى أسد فطعنه وهو ساجد بخنجر لم يبلغ منه مبلغا ، ولذلك عاش بعده (20) سنة ، فقال يا أهل العراق اتقوا

الله فينا فانا أمراؤكم وضيفانكم ، ونحن اهل البيت الذين قال الله عز وجل فيهم : انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا » قالوا ولانتم هم ؟ قال : نعم .

وسبق عن زيد بن أرقم ، ان نساءه من أهل بيته ، ثم قال : ولكن اهل بيته الخ ويوخذ منه انهم من أهل بيته بالمعنى الاعم ، دون الاخص ، وهم من حرمت عليهم الصدقة . ويؤيده خبر مسلم السابق قريبا . ويؤيد الآل بالمعنى الاعم تفسير الامام الشافعى رحمه الله الآل ببنى هاشم والمطلب ، وعوضوا عن حقهم فى الصدقة بحقهم فى خمس الخمس من الفىء والغنيمة المذكور فى الآيتين من سورتى الانفال والحشر اذ هم المراد بذى القربى فيهما . وهما قوله تعالى : واعلموا أنما غنمتم من شىء الآية . وقوله : ما أفاء الله على رسوله الآية . وقوله صلى الله عليه وسلم انما بنو هاشم والمطلب شىء واحد ، فضيلة أخرى ، وهى انه حرم عليهم الصدقة ، وعوضهم عنها خمس الخمس فقال : ان الصدقة لا تحل لمحمد ولا لآل محمد .

قال : وذلك يدل ايضا على ان آله الذين أمرنا بالصلاة عليهم معه ، هم الذين حرم عليهم الصدقة ، وعوضهم عنها خمس الخمس ، فالمسلمون من بنى هاشم والمطلب يكونون داخلين فى صلاتنا على آل نبينا صلى الله عليه وسلم فى فرائضنا ونوافلنا وفيمن أمرنا بحبهم هـ .

وقصر الامام مالك وأبو حنيفة النعمان رضى الله عنهما تحريم الزكاة على بنى هاشم وعن أبى حنيفة جوازها لهم مطلقا ، وقال الطحاوى : من أصحاب أبى حنيفة ، جوازها لهم مقيد بان حرموا حقهم من سهم ذوى القربى . هـ وصاحبه أبو يوسف يقول : تحل من بعضهم لبعض . ومذهب اكثر الحنفية والشافعى واحمد ، حل اخذهم صدقة النفل . وهو رواية عن مالك ايضا ، وعنه ايضا اخذ الفرض دون التطوع لان الماخوذ الاكثر . ولم يقيد الاخذ بحرمانهم من حقهم فى خمس الخمس الا الطحاوى من الحنفية . والباقى سكتوا عن التقييد ، ويفهم من سكوتهم عنه الاطلاق ، أخذوا أو منعوا . واسند المحب الطبرى خبر استوصلوا بأهل بيتى خيرا فانى أخاصمكم عنهم غدا ، ومن اكن خصمه اخصمه ومن اخصمه دخل النار قال الحافظ السخاوى لم اقوله على أصل أعتمده ، وفى معناه : ما صح عن أبى بكر رضى الله عنه أنه

قال : ارقبوا محمدا ، أى احفظوا عهده ووده ، صلى الله عليه وسلم فى أهل بيته . قد يظن بعض الناس ان الائمة المجتهدين ، وجميع أهل السنة قصروا كلامهم على الامور النظرية ، والحق انهم كثيرا ما تعرضوا للمسائل السياسية بالانتقادات المرة . كمسألة الامامة ، فقد نقم الامام أبو حنيفة رضى الله عنه على العباسيين سطوتهم وشدتهم ، ومال الى العلويين ، بعد موت العبقريين : محمد النفس الزكية ، وأخيه ابراهيم . وقد روى ان المنصور استدعا أبا حنيفة من الكوفة الى بغداد لاتهامه بمناصرة ابراهيم ، فظل بها (15) يوما ثم توفى ، وكانت وفاته سنة (150) هجرية وقيل انه دس له السم فمات مسموما .

وكان مالك بالمدينة يفتى الناس بأنه ليس على مكره يمين ، فامتحن بالضرب والتطويف ، ومعنى هذا أن من بايعهم على ما كانوا عليه من أخذ يمين البيعة على الناس بالطلاق ليلا يرجعوا فيها ، ويبايعوا محمدا النفس الزكية ، وكان أخذهم البيعة على ذلك على جهة الاكراه ، فكان مالك يفتى ضدهم ، بأنه ليس على مكره يمين ، ولا تلزمه ان هو أداها كرها . فامتحن على ذلك بالضرب بالسياط والتطويف بأسواق المدينة على عظم قدره رضى الله عنه ، وكان يقول : له أن يتحلل منها متى شاء ، ويبايع غيرهم ، ويروى عن مالك رضى الله عنه انه كان يطاف به على حمار ووجهه الى الخلف . وهو لشدة صلابته فى رأيه ، كان يقول : من عرفنى فقد عرفنى ومن لم يعرفنى فأنا مالك بن أنس طلاق المكره لا يلزم . وذلك أقسى شىء على سياسة العباسيين وسلطتهم المختلسة فى الظلام ، وبطريق المكر والخداع ولذلك جنت جنونهم فى الفتك بغيرهم .

قل لا أسألكم عليه أجرا الا المودة فى القربى

ورد فى تفسير هذه الآية احتمالات ، وكلها ترجع الى معنى واحد ، وهو التودد لقرابته صلى الله عليه وسلم . سبب نزول الآية وشاهده مختصر صحيح ، كان سبب نزولها افتخار الانصار بآثارهم الحميدة فى الاسلام على قريش ، فأتاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فى مجالسهم فقال : الم تكونوا أذلة فأعزكم الله بى ، قالوا بلى : يا رسول الله ، قال الا تقولون ؟ الم يخرجك قومك ؟ فآويناك ، أو لم يكذبوك فصدقناك ؟ أو لم يخذلوك فنصرناك ؟ فما زال يقول لهم حتى جثوا على الركب ، وقالوا أموالنا وما فى أيدينا لله ورسوله . فنزلت الآية . وفى

رواية أخرى ضعيفة ان سبب نزولها ، انه صلى الله عليه وسلم لما قدم المدينة كانت تنوبه نوائب وليس فى يده شىء فجمع له الانصار مالا ؛ فقالوا يا رسول الله انك ابن أختنا ، وقد هدانا الله بك ، وتنوبك نوائب حقوق وليس معك سعة ؛ فجمعنا لك من أموالنا ما تستعين به عليها ؟ فنزلت الآية . وكونه ابن أختهم جاء فى الرواية الصحيحة ؛ لان أم عبد المطلب من بنى النجار منهم ما صدق الآيـــة .

واخرج الامام أحمد ، والطبرانى وابن أبى حاتم والحاكم عن ابـــن عباس أن هذه الآية لما نزلت قالوا . يا رسول الله ، من قرابتك هؤلاء الذين وجبت علينا مودتهم ؟ قال على وفاطمة وابناهما . وروى أبو الشيخ وغيره عن على كرم الله وجهه ، فينا آل حم آية لا يحفظ مودتنا الا مومن ، ثم قرأ : قل لا أسألكم عليه أجرا الا المودة فى القربى » .

واخرج البزار والطبرانى عن الحسن رضى الله عنه من طرق بعضها حسان ، انه خطب خطبته من جملتها من عرفنى فقد عرفنى ؛ ومن لـــم يعرفنى فأنا الحسن بن محمد صلى الله عليه وسلم ثم تلا : واتبعت ملة آبائى ابراهيم واسحاق ويعقوب ما كان لنا أن نشرك بالله من شىء ذلك من فضل الله علينا وعلى الناس ولكن اكثر الناس لا يشكرون » ثم قال : أنا ابن البشير انا ابن النذير ، ثم قال : وانا من أهل البيت الذين افترض الله مودتهم وموالاتهم فقال : فيما أنزل على محمد صلى الله عليه وسلم : قل لا أسألكم عليه أجرا الا المودة فى القربى » وفى رواية الذين افترض الله مودتهم على كل مسلم وأنزل فيهم : قل لا أسألكم عليه أجرا الا المودة فى القربى ومن يقترف حسنة نزد له فيها حسنا » واقتراف الحسنـــة مودتنا اهل البيت . واخرج الطبرانى عن زين العابدين انه لما جىء به أسيرا ، واقيم على درج دمشق ، قال : بعض أعدائهم من جفاة أهـــل الشام ، الحمد لله الذى قتلكم ، واستأصلكم ، وقطع قرن الفتنة ، فقال له : اما قرات : ؟ قل لا اسألكم عليه أجرا الا المودة فى القربى » قال : وأنتم هم ؟ قال : نعم .

واخرج الامام احمد عن ابن عباس رضى الله عنهما فى قوله تعالى : ومن يقترف حسنة نزد له فيها حسنا » قال : الموالاة لآل محمد صلى الله عليه وسلم . ونقل الثعلبى والبغوى عنه انه لما نزل قوله تعالى : قـــل لا أسألكم عليه اجرا الا المودة فى القربى » قال قوم فى نفوسهم : ما يريد الا أن يحثنا على قرابته من بعده ، فأخبر جبريل النبى صلى الله عليه

وسلم : بأنهم اتهموه ، فأنزل الله : أم يقولون افترى على الله كذبا فان يشا الله يختم على قلبك ويمح الله الباطل ويحق الحق بكلماته انه عليم بذات الصدور » فقال القوم : يا رسول الله ، انك صادق ، فنزل : وهو الذى يقبل التوبة عن عباده ويعفو عن السيئات ويعلم ما يفعلون » ونقل القرطبى وغيره عن السدى ، انه قال : فى قوله تعالى : ان الله غفور شكور » غفور لذنوب آل محمد شكور لحسناتهم . ورأى ابن عباس رضى الله عنهما حمل القربى فى الآية على العموم ·

وفى صحيح البخارى وغيره ، عنه ان سعيد بن جبير لما فسر القربى بآل محمد قال له: عجلت اى أسرعت فى التفسير ، انه صلى الله عليه وسلم لم يكن بطن فى قريش الا كان له فيه قرابة ، فقال : الا أن تصلوا ما بينى وبينكم من القرابة ·

وفى رواية عنه : قل لا أسألكم على ما ادعوكم اليه أجرا الا المودة بأن تودوا قرابتى فيكم وتحفظونى فى ذلك ·

وفى أخرى انهم لما أبوا أن يبايعوه ، أنزل الله عليه ذلك ، فقال صلى الله عليه وسلم يا قوم اذا أبيتم أن تبايعونى فاحفظوا قرابتى ولا توذونى · وتبعه على ذلك عكرمة ، فقال : كانت قريش تصل الارحام فى الجاهلية فلما دعاهم صلى الله عليه وسلم الى الله ، خالفوه وقاطعوه ، فأمرهم بصلة الرحم التى كانت بينهم وبينه ، فقال : ان لم تحفظونى فيما جئت به ، فاحفظونى لقرابتى فيكم · وجرى على هذا التفسير قتادة ، والسدى ، وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم وغيرهم · ويؤيده ان السورة مكية ، وقيل انها مدنية ، وعلى صحة هذا القول تكون نزلت مرتين ، وعلى كل فانها لا تنافى ما مر فانها لا تنافى تخصيص القربى بالآل ، لان من ذهب اليه كابن جبير اقتصر على أخص افراد القربى ، وبين أن حفظهم آكد من حفظ بقية تلك الافراد ، ويستفاد من الاقتصار عليها طلب مودته صلى الله عليه وسلم وحفظه بالاولى ، لانه اذا طلب حفظهم لاجله ، فحفظه هو أولى بذلك وأحرى . ولذا لم ينسب ابن عباس ابن جبير الى الخطأ ، بل الى العجلة ، اى السرعة عن تأمل ، أن القصد من الآية العموم ، والاهم منها أولا وبالذات ، وده صلى الله عليه وسلم ، ومما يؤيده انه لا مضادة بين تفسيرى ابن جبير وابن عباس ، ان ابن جبير كان يفسر الآية تارة بهذا وتارة بهذا ، فافهم صحة ارادة كل منهما فيها ، بل جاء عن ابن عباس ما يوافق تفسير ابن جبير ، وهو رواية الحديث الذى ذكرنا : ان فيه

تشيعيا غاليا ، لكنه صدوق ، ولا ينافى ذلك كله أيضا تفسيرها بأن المراد الا التودد الى الله . لما أخرجه غير واحد عن ابن عباس رضى الله عنهما مرفوعا . لا أسألكم على ما آتيتكم به من البينات والهدى أجرا الا أن تودوا قرابتى . وتتقربوا اليه بطاعته . ووجه عدم المنافات بين التفسيرين ان من جملة مودة الله سبحانه والتقرب اليه ، مودة رسوله التى منها مودة أهل بيته وذكر بعض معانى اللفظ لا ينافى ما يضاده منها ، فضلا عما يومىء ويشير اليه .

وقيل الآية نزلت بمكة وهى منسوخة ، لان المشركين كانوا يوذونه . فأمرهم بمودته وصلة رحمه ، فلما هاجر الى المدينة ، وآواه الانصار . ونصروه ألحقه الله باخوانه من الانبياء . فأنزل عليه : قل ما سألتكم من اجر فهو لكم ان اجرى الا على الله » وهذا تنصل ظاهر من مودة أهل البيت ، لان النبى صلى الله عليه وسلم سماه ثقلا ، والتنصل من مودتهم يلزم عليه التنصل من مودته صلى الله عليه وسلم ومودة الله سبحانه لانهما طاعة واحدة وحقيقة لا تتجزا ، كما تقدم الكلام على ذلك قريبا ، وقد رده الحافظ البغوى بما نصه : ان مودته صلى الله عليه وسلم وكف الاذى عنه وعن اقاربه ، لانها اذاية له ، ومودة اقاربه والتقرب الى الله بالطاعة والعمل الصالح من فرائض الدين اى الباقية على ممر الابد فلم يجز ادعاء بنسخ الآية المحكمة ، لان حكمها باق ومستمر ، فكيف يدعى رفعه ونسخه وقد رده الامام الثعلبى أيضا فى تفسيره وبالغ فى الرد فقال : وكفى قبحا بقول من زعم ان التقرب الى الله بطاعته ومودة نبيه وأهل بيته صلى الله عليه وسلم منسوخ ولا دليل عليه ، لان سياق الآية التى اتى بها فى قصة نوح عليه السلام مع قومه الذين كانوا يهددونه ويتحدونه ، ثم يعرضون عنه ، فوصف الله حاله معهم تسليا للنبى صلى الله عليه وسلم بما وقع لاخوانه من أولى العزم مع قومهم فقال : ثم اقضوا الى ولا تنظرون » جوابا على تحديهم وتهديدهم له ، ثم قال : فى توليهم عنه ، وعدم سماعهم له : قل ما سألتكم من اجر فهو لكم » تهكما عليهم فى بعد عن امتنانهم عليه ، اى فان أعرضتم عن تذكيرى ونصحى فما سألتكم من اجر فأوجب التولى ، أو ما سألتكم من اجر ففاتنى ذلك بتوليكم ؟ ثم أجابهم الله تعالى عنه بقوله : ان اجرى الا على الله » ، وهو الثواب المنتظر فى الدار الآخرة ، اى ما نصحتكم الا لله لا لغرض من أغراض الدنيا . وقد قال صلى الله عليه وسلم : فان لم تستحى فاصنع

مـــا شئت .

ويصح دعوى انه متصل ، بخبر الملاق سيرته ، ان الله جعل أجرى عليكم المودة فى القربى وانى سائلكم عنهم غدا ، وحينئذ فتسمية ذلك أجرا ، مجـــاز .هـ

وصح من طرق عن ابن عباس رضى الله عنهما انه فسر قولـه تعالى : قل لا أسألكم عليه أجرا الا المودة فى القربى » بأن المراد منه انه ما من بطن من بطون قريش الا وللنبى صلى الله عليه وسلم فيها ولادة ، وقرابة قريبة ، أى ان لم تؤمنوا بما جئت به ، وتتابعونى عليه ، فلا أسألكم مالا ، وانما أسألكم ان تحفظوا القرابة التى بينى وبينكم فـلا توذونى ، وتنفروا الناس عنى صلة للرحم التى بينى وبينكم ، اذ انتم فى الجاهلية كنتم تصلون الارحام ، ولا تدعوا غيركم من العرب يكون اولى منكم بحفظى ونصرتى . وتبعه على ذلك جماعة من تلامذته ، ولكن خالفه أجلهم الامام سعيد بن جبير ، ففسر بحضرته الآية فان المراد قل لا أسألكم أيها الناس مالا على ما بلغته اليكم ، وانما الذى أسألكموه أن تصلوا قرابتى وتودوهم ولا توذونى فيهم ، وكان ابن جبير مع ذلك يفسر الآية بالوجه الاول أيضا ، وهو التحقيق ، لانها صالحة لكل منهما ، لكن يؤيد الاول ان السورة مكية ، وقد رد ابن عباس على ابن جبير تفسيره ، ولم يرجع اليه أى الى التفسير الاول . وجاء من طرق ضعيفة أن ابن عباس فسرها بما فسر به ابن جبير ، ورفع ذلك الى النبى صلى الله عليه وسلم فقال : قالـــوا : يا رسول الله ، عند نزول الآية من قرابتك هؤلاء ؟ الذين وجبت علينا مودتهم قال على وفاطمة وابناهما . وفى حديث سنده حسن الا ان لكل نبى تركة وضيعة ، وان تركتى وضيعتى الانصار فاحفظونى فيهم . ويؤيد ما مـــر تفسير ابن جبير ان الآية فى الآل ، ما جاء عن على كرم الله وجهه قال : نزلت فينا فى الرحم آية .

وأخرج الدولابى ان الحسن كرم الله وجهه ووجه أبيه ، قال : فى خطبته ، انا من اهل البيت الذين افترض الله مودتهم على كل مسلم ، فقال : لنبينا صلى الله عليه وسلم : قل لا أسألكم عليه أجرا الا المودة فى القربى ومن يقترف حسنة نزد له فيها حسنا » واقتـــراف الحسنـــة مـــودتنـــا اهـــل البيت .

وأورد المحب الطبرى . انه صلى الله عليه وسلم قال : ان الله جعل أجرى عليكم المودة فى أهل بيتى ، وانى سائلكم غدا عنهم .

وقد جاءت الوصية الصريحة بهم فى عدة احاديث : منها حديث انى تارك فيكم ما ان تمسكتم به لن تضلوا بعدى الثقلين : احدهما أعظم من الآخر ، كتاب الله حبل ممدود من السماء الى الارض ، وعترتى ، أهل بيتى ، ولن يفترقا حتى يردا على الحوض ، فانظروا كيف تخلفونى فيهما . قال فيه الترمذى حسن غريب . وأخرجه آخرون ولم يصب ابن الجوزى فى اخراجه فى العلل المتناهية . كيف ؟ وفى صحيح مسلم وغيره فى خطبته قرب رابغ مرجعه من حجة الوداع قبل وفاته بنحو شهر ، انى تارك فيكم ثقلين : أولهما كتاب الله فيه الهدى والنور ثم قال : واهل بيتى ، أذكركم الله فى أهل بيتى ، أذكركم الله فى أهل بيتى ، أذكركم الله فى أهل بيتى ثلاثا ، فقيل لزيد ابن أرقم : راويه ، من أهل بيته ؟ أليس نساؤه من أهل بيته ؟ قال نساؤه من أهل بيته ، ولكن أهل بيته من حرم عليهم الصدقة بعده . قيل ومن هم ؟ قال : هم آل على ، وآل عقيل ، وآل جعفر ، وآل العباس رضى الله عنهم ، قيل : كل هؤلاء حرم عليهم الصدقة ؟ قال : نعم .

حذار من بغض آل البيت

ان بغض آل البيت من الآفات فى الدين ، فليتب الى الله من كان يجد فى نفسه شيئا عليهم ، وليحذر على دينه الذى هو عصمة أمره ، حتى فيمن تظهر عليه الخطيئة منهم ، فانه قلما يطول أمره منحرفا عن الصواب ، لان ذلك حظ البشرية من كل مومن ، فاذا كانت الطينة الطاهرة محفوظة غير مشوبة بما سواها ، فلا بد من ان ترجع الى اصلها الاصيل والامة فى ذلك على قسمين : فيها التوابون ، وفيها المتطهرون ، وكل القسمين محبوب عند الل هتعالى مصرحا به فى قوله : ان الله يحب التوابين ويحب المتطهرين ». قال المفسرون قدم التوابين ليلا ييأسوا ، واخر المتطهرين ليلا يعجبوا والكل محبوب اليه تعالى . والذى مات بلا توبة فحكمه انه موقوف فى المشيئة . لقوله تعالى : ان الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء » وهو مذهب أهل السنة وهذا البغض اذا كان راجعا الى أمر قلبى ، أما اذا تعداه الى البغى عليه والحاق الاذاية به فى نفسه أو ماله أو ولده فلا شك ان اذايته بمثل هذا اذاية لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، واذايته صلى الله عليه وسلم اذاية لله تعالى . لان أعمال أمته تعرض عليه صلى الله عليه وسلم مرتين فى كل أسبوع ، وقد تقدم فى ذلك حديث : من اذى عليا فقد أذانى ومن آذانى فقد آذى الله . واليك ما ورد فى النهى عن ذلك ، صح عنه انه صلى الله عليه وسلم قال : والذى نفسى بيده لا يبغضنا أهل

البيت أحد الا أدخله الله النار . وأخرج الامام أحمد مرفوعا من أبغض أهل البيت فهو منافق . لانه قد دلت التجارب من عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم على أن بغض أهل البيت لم يكن يوجد الا فى المنافقين ، ومعاذ الله أن نرمى أحدا ممن صحب رسول الله صلى الله عليه وسلم بهذا الخطر فى الدين من غير المنافقين ، لانها حرفتهم التى يتوجون بها كفرهم الباطنى . وأخرج الترمذى عن جابر ، ما كنا نعرف المنافقين الا ببغضهم عليا .

وأخرج الطبرانى حديثا ، وفى سنده ضعف عن الحسن رضى الله عنه مرفوعا لا يبغضنا ولا يحسدنا أحد الا ذيد عن الحوض يوم القيامة بسياط من النار .

وفى رواية له ضعيفة أيضا من جملة قصة طويلة ، انت الساب عليا لئن وردت عليه الحوض وما أدراك ترده ، لتجدنه مشمرا حاسرا عن ذراعيه يذود الكفار والمنافقين عن حوض رسول الله صلى الله عليه وسلم . قول الصادق المصدوق محمد صلى الله عليه وسلم وأخرج الطبرانى يا على معك يوم القيامة عصا من عصى الجنة تذود المنافقين بها عن الحوض وأخرج الديلمى مرفرعا بغض بنى هاشم والانصار كفر ، وبغض العرب نفاق.

وفى رواية فلو ان رجلا صفن بين الركن والمقام — أى جمع قدميه — فصلى وصام ثم لقى الله وهو مبغض لآل محمد صلى الله عليه وسلم دخل النار . وصح أيضا انه صلى الله عليه وسلم قال : ستة لعنتهم ولعنهم الله وكل نبى مجاب : (1) الزائد فى كتاب الله ، و (2) المكذب بقدر الله ، و (3) المتسلط على أمتى بالجبروت ليذل من أعز الله ، ويعز من أذل الله ، و (4) المستحل حرمة الله ، وفى رواية لحرم الله ، و (5) والمستحل من عترتى ما حرم الله و (6) التارك للسنة . وفى رواية زيادة سابع والمستأثر بالفىء .

وورد من سب أهل بيتى فانما يرتد عن الله والاسلام ، ومن آذانى فى عترتى فعليه لعنة الله ، ومن آذانى فى عترتى فقد آذى الله ، ان الله حرم الجنة على من ظلم أهل بيتى او قاتلهم ، أو أعان عليهم ، أو سبهم ، يا أيها الناس ان قريشا أهل أمانة فمن بغاهم العواثر كبه الله عز وجل لمنخريه مرتين ، من يرد هوان قريش أهانه الله ، خمسة أو ستة لعنتهم وكل نبى مجاب : الزائد فى كتاب الله ، والمكذب بقدر الله ، والمستحل محارم الله ، والمستحل من عترتى ما حرم الله ، والتارك للسنة .

وأخرج الامام أحمد عن أبى دجانة كان يقول : لا تسبوا عليا ولا أهل

هذا البيت ان جارا لنا قدم من الكوفة فقال : الم تروا هذا الفاسق بن الفاسق ان الله قتله ، يعنى الحسين رضى الله عنه فرماه الله بكوكبين فانطمس بصره ·

وأخرج القاضى عياض فى الشفاء ما حاصله ان من سب أبا أحد من ذريته صلى الله عليه وسلم ولم تقم قرينة على اخراجه صلى الله عليه وسلم من ذلك قتل ·

وقد تقدم ان من أبغض أحدا من أهل بيتى حرم شفاعتى · وحديث لا يبغضنا الا منافق شقى . وحديث من مات على بغض آل محمد جاء يوم القيامة مكتوب بين عينيه آيس من رحمة الله · وقال الحسن رضى الله عنه من عادانا فلرسول الله عادى · وروى الامام أحمد وغيره : من ابغض اهل البيت فهو منافق . وفى رواية بغض بنى هاشم نفاق · وصح انه صلى الله عليه وسلم قال : يابنى عبد المطلب انى سألت الله لكم ثلاثا : أن يثبت قائلكم ، وأن يهدى ضالكم ، وأن يعلم جاهلكم سألت الله ان يجعلكم كرماء نجباء رحماء ، فلو ان رجلا صفن بين الركن والمقام فصلى وصام ثم لقى الله وهو يبغض آل بيت محمد صلى الله عليه وسلم دخل النار ·

وقد أخرج الثعلبى فى تفسير قول الله تعالى : وعلى الاعراف رجال يعرفون كلا بسيماهم » عن ابن عباس رضى الله عنهما انه قال : الاعراف موضع عال من الصراط ، عليه العباس ، وحمزة ، وعلى بن أبى طالب ، وجعفر ذو الجناحين ، يعرفون محبيهم ببياض الوجوه ، ومبغضيهم بسوادها· وقد صرح الامام البيهقى والامام الحافظ البغوى ان محبة آل البيت من فرائض الدين · كما نص على ذلك الامام الشافعى رضى الله عنه محب آل البيت فيما نقل عنه من قوله :

يا أهل بيت رسول الله حبكم   فرض من الله فى القرآن أنزله
يكفيكم من عظيم المجد انكم   من لم يصل عليكم لا صلاة له

وعلم مما أوردنا ذكره من الاحاديث السالفة ، ان بغض آل البيت حرام ، والاقدام عليه اقدام على أعظم جرم ، وأكبر اثم ، اذ هو من الكبائر التى قد تجر بصاحبها الى الكفر والعياذ بالله ، وذلك هو الضلال البعيد ، والخسران المبين ، وفقنا الله واياكم لما فيه رضى الله ، واجتناب سخطه .

وأورد الديلمى وابنه معا ، لكن بلا اسناد ان عليا رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم ارزق من ابغضنى وأهل

بيتى كثرة المال والعيال ؛ كفاهم بذلك أن يكثر مالهم فيطول حسابهم . وان تكثر عيالهم فتكثر شياطينهم ؛ قال : وحكمة الدعاء عليهم بذلك انه لا حامل لهم على بغضه صلى الله عليه وسلم وبغض أهل بيته الا الميل الى الدنيا لما جبلوا عليه من محبة المال والولد ، فدعا عليهم صلى الله عليه وسلم بتكثير ذلك مع سلبهم نعمته ، فلا يكون الا نقمة عليهم لكفرانهم نعم من هدوا على يده ايثارا للدنيا الفانية على الاخرى الباقية . ومن هذا المعنى قوله تعالى : أيحسبون أنما نمدهم به من مال وبنين نسارع لهم فى الخيرات بل لا يشعرون » وهذا بخلاف دعائه صلى الله عليه وسلم بتكثير المال والولد لانس بن مالك ، خادمه صلى الله عليه وسلم ومحبه رضى الله عنه اذ القصد منه اتمام نعمة الله عليه جزاء له على قيامه بخدمته عشر سنين وقد جمع له صلى الله عليه وسلم بذلك الدعاء بين نعمتى الدنيا والاخرة . فكان كثرة المال والولد بالنسبة له نعمة أيما نعمة ، بخلاف الاول . فان نعمة كثرة المال والولد ستنقلب عليه شرا فى دينه ، فتكون فى حقه نقمة أيمـــا نقمـــة .

احترام عموم قريش احترام له عليه الســلام

أخرج الشيخان عن جابر بن عبد الله ان النبى صلى الله عليه وسلم قال : الناس تبع لقريش فى هذا الشأن ، مسلمهم تبع لمسلمهم ، وكافرهم تبع لكافرهم ، والناس معادن خيارهم فى الجاهلية خيارهم فى الاســلام اذا فقهوا . واخرج البخارى عن معاوية ان النبى صلى الله عليه وسلم قال : ان هذا الامر فى قريش لا يعاديهم احد الا اكبه الله على وجهه فى النار . واخرج البيهقى عن جبير بن مطعم ان النبى صلى الله عليه وسلم قال : يا ايها الناس لا تتقدموا قريشا فتهلكوا ، ولا تخلفوا عنها فتضلوا ولا تعلموها وتعلموا منها فانهم اعلم منكم ، لولا أن تبطر قريش لاخبرتها بالذى لها عند الله عز وجل . واخرج الطبرانى عن ابن عباس رضى الله عنهما ان النبى صلى الله عليه وسلم قال ، امان لاهل الارض من الغرق القوس ، وامان لاهل الارض من الاختلاف الموالاة لقريش ، قريش أهل الله ، فاذا خالفتها قبيلة من العرب صاروا حزب ابليس . ومعنى القوس فى الحديث هو القوس المشهور « بقوس قزح » وسمى بذلك لانه أول ما رؤى فى الجاهلية على قزح جبل بالمزدلفة ، او لان قزح هو الشيطان ، ومن ثم قال على كرم الله وجهه ، لا تقل قوس قزح ، فان قزح هو الشيطان ، ولكنها قوس الله تعالى ، وهى علامة كانت بين نوح عليه السلام وبين ربه

عز وجل ، وهى امان لاهل الارض من الغرق .

واخرج الامام احمد والترمذى والحاكم عن سعد ان النبى صلى الله عليه وسلم قال : من يرد هوان قريش اهانه الله . واخرج الامام مسلم وأحمد عن جابر ان النبى صلى الله عليه وسلم قال : الناس تبع لقريش فى الشر والخير .

واخرج الامام أحمد عن ابن مسعود ان النبى صلى الله عليه وسلم قال . أما بعد : يا معشر قريش فانكم أهل هذا الامر ما لم تعصوا الله ، فاذا عصيتموه بعث عليكم من يلحوكم كما يلحى هذا القضيب . ولحيه ازالة قشرته .

واخرج الامام مسلم وأحمد عن معاوية ان النبى صلى الله عليه وسلم قال : ان هذا الامر فى قريش لا يعاديهم احد الا أكبه الله ما أقاموا الدين .

واخرج الامام أحمد والنسائى والضياء عن أنس ان النبى صلى الله عليه وسلم قال : الائمة من قريش ولهم عليكم حق ولكم مثل ذلك ما أن استرحموا رحموا وان استحكموا عدلوا ، وان عاهدوا وفوا ، فمن لم يفعل ذلك منهم فعليه لعنة الله والملائكة والناس اجمعين ، لا يقبل الله منه صرفا ولا عدلا .

واخرج الطبرانى عن جابر بن سمرة ان النبى صلى الله عليه وسلم قال : يكون بعدى اثنا عشر اميرا كلهم من قريش .

واخرج الحسن بن سفيان وابو نعيم ان النبى صلى الله عليه وسلم قال اعطيت قريش ما لم يعط الناس ، اعطوا ما امطرت السماء ، وما جرت به الانهار ، وما سالت به السيول ، واخرج الحاكم والبيهقى أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : الائمة من قريش ابرارَها امراء ابرارها ، وفجارها امراء فجارها ، وان امرت عليكم قريش عبدا حبشيا مجدعا فاسمعوا له واطيعوا ، ما لم يخير احدكم بين اسلامه وضرب عنقه ، فان خير بين اسلامه أى تركه وضرب عنقه فليقدم عنقه .

واخرج الامام احمد وغيره ، ان النبى صلى الله عليه وسلم قال : انظروا قريشا فخذوا من قولهم وذروا واخرج البخارى فى الادب والحاكم والبيهقى عن أم هانىء ان النبى صلى الله عليه وسلم قال : فضل الله قريشا بسبع خصال : لم يعطها احد قبلهم ولا يعطاها احد بعدهم ، فضل

الله قريشا ، انى منهم ، وان النبوة فيهم ، وان الحجابة فيهم ، وان السقاية فيهم ، ونصرهم على الفيل وعبدوا الله (20) سنة لا يعبده غيرهم، وأنزل الله فيهم سورة من القرآن ، لم يذكر فيها أحدا غيرهم : لايلاف قريش » واخرج الخطيب البغدادى وابن عساكر عن ابى هريرة ان النبى صلى الله عليه وسلم قال : اللهم اهد قريشا فان عالمها يملأ طباق الارض علما ، اللهم كما أذقتهم عذابا فأذقهم نوالا . وقد نص العلماء على أن المخصوص بالاشارة فى الحديث ، هو الامام أبو عبد الله محمد بن ادريس ابن عبد الله الشافعى المطلبى القرشى فهو اصيل فى قريش من بنى المطلب . واخرج ابن عرفة العبدى ان النبى صلى الله عليه وسلم قال : أحبوا قريشا فان من احبهم احبه الله · واخرج الامام مسلم والترمذى وغيرهما عن واثلة ان النبى صلى الله عليه وسلم قال : ان الله اصطفى كنانة من بنى اسماعيل ، واصطفى من بنى كنانة قريشا واصطفى من قريش بنى هاشم ، واصطفانى من بنى هاشم . وفى رواية ان الله اصطفى من ولد آدم ابراهيم ، واتخذه خليلا ، واصطفى من ولد ابراهيم اسماعيل ، ثم اصطفى من ولد اسماعيل نزارا ، ثم اصطفى من نزار مضرا ، ثم اصطفى من مضر كنانة ، ثم اصطفى من كنانة قريشا ثم اصطفى من قريش بنى هاشم ثم اصطفى من بنى هاشم بنى عبد المطلب ، ثم اصطفانى من بنى عبد المطلب ·

واخرج الامام أحمد بسند جيد عن العباس بن عبد المطلب رضى الله عنه قال : بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم ما يقول الناس : فصعد المنبر فقال : من أنا ؟ قالوا أنت رسول الله فقال : أنا محمد بن عبد الله ابن عبد المطلب ، ان الله خلق الخلق فجعلنى من خير خلقه وجعلهم فرقتين فجعلنى من خيرهم فرقة ، وخلق القبائل ، فجعلنى من خيرهم قبيلة وجعلهم بيوتا ، فجعلنى من خيرهم بيتا ، فأنا خيركم بيتا ، وأنا خيركم نفسا .

وأخرج الامام احمد والمحاملى والمخلص الذهبى وغيرهم عن عائشة رضى الله عنها قالت : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : قال جبريل عليه السلام ، قلبت مشارق الارض ومغاربها فلم اجد بنى اب افضل من بنى هاشم · وخصهم الله تعالى بدعاء الامة لهم بالصلاة عليهم .

شرعت الصلاة عليهم تبعا الصلاة عليه (ص)

وتلك هى غاية شريفة لاهل البيت رضى الله عنهم ، لو قدروها حق قدرها لطووا ليلهم ونهارهم فى عبادة الله تعالى ، واتقوه حق تقاته ، شكرا

لهذه النعمة الجزيلة العظيمة ، اذ شرع الله تعالى لامة نبيه صلى الله عليه وسلم ، الدعاء لهم بالرحمة وجعله فرضا على كل مسلم فى عبادته لله تعالى فى سائر أوقات صلاته فرضا ونفلا ، وتلك مزية عظيمة لو قدرها كل شريف حق قدرها لاستحيى من الله تعالى ان يقف حيث نهاه ولطوى من اجل شكرها فى عبادته ليله ونهاره .

وأخرج أبو الشيخ من جملة حديث . يا أيها الناس ان الفضل والشرف والمنزلة والولاية لرسول الله صلى الله عليه وسلم وذريته فلا تذهبن بكم الاباطيل . الحديث وروى الامام احمد : أعطيت فى على خمسا هن أحب الي من الدنيا وما فيها . أما واحدة فهو بين يدى الله حتى يفرغ من الحساب . وأما الثانية فلواء الحمد بيده آدم ومن ولد تحته ، وأما الثالثة فواقف على حوضى يسقى من عرف من امتى الحديث . فان قلت ان هذه الذرية قد أصبحت فى منئى بعيد عن العمل بما يقتضيه شرفها ومنزلتها من النبى صلى الله عليه وسلم . قلت ان الجهل والامية قد ابتلعتا أهل عصرنا ومن قبلهم بطبقة أو طبقتين . وعم الاكثرية منهم . فلم يبق بأيديهم الا التمسك بالاصول الضرورية البارزة من تعاليم الايمان والاسلام . وجهلوا كل شيء عن أنفسهم وعن دينهم حتى اصبحت الجاهلية الاولى تناديهم بالرجوع اليها ، وقد زينت لهم جميع أحوالها ، ولكنهم رغم ذلك فلن نعدم فيهم الاستعداد الفطرى السليم لقبول كل خير والمسارعة اليه ، ولا ينقصهم الا الموجه والمرشد الذى اشتدت اليه الحاجة الآن أكثر من كل وقت مضى حتى يتخلصوا من الاحوال التى أصبحت مفروضة من قبل الظروف القاهرة . واننا على يقين من ان سلفنا الصالح وخصوصا الذين ساعدهم عصر الازدهار العلمى كانوا سادة أجلاء عملوا بما ورثوه من العلم ، فكانوا أعبد الناس واتقاهم لله تعالى ، فحققوا فضل انتسابهم اليه صلى الله عليه وسلم بشرف العلم والعمل الصالح ، فكان وصولهم اليه عن طريق النسب الدينى اولى من وصولهم اليه عن طريق النسب الطينى ، بل قد جمعوا بين الغايتين ، وتلك هى اسمى الغايات لكل من انتسب اليه صلى الله عليه وسلم من ذرية الحسنين ومن غيرهم من ذوى القربى الذين حرمت عليهم الزكاة المفروضة . واليك ما ورد فى حقهم .

روى النسفى فى تفسير قوله تعالى : ان الله وملائكته يصلون على النبىء يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما » سئل عليه السلام عن هذه الآية فقال : ان الله وكل بى ملكين فلا اذكر عند عبد مسلم

فيصلى على — أى فيقول اللهم صلى على محمد عبدك ورسولك النبىء الامى وعلى آله وصحبه وسلم تسليما — أو نحوه من كل صيغة من صيغ الصلاة عليه صلى الله عليه وعلى آله وسلم ، الا قال : ذانك الملكان غفر الله لك ، وقال الله : وملائكته جوابا لدينك الملكين أمين ، ولا أذكر عند عبد مسلم فلا يصلى على الا قال ذانك الملكان : لا غفر الله لك . وقال الله تعالى : وملائكته جوابا لدينك الملكين آمين .

ثم هى واجبة مرة فى العمر عند الطحاوى من الحنفية وكلما ذكر اسمه صلى الله عليه وسلم عند الكرخى ، وهو الاحتياط وعليه الجمهور . وان صلى على غيره بحسب التبع فلا كلام فيه ، كقوله صلى الله على النبى وآله . واما اذا افرده غيره بالصلاة عن أهل البيت فمكروه ، وهو من مبتدعات الروافض وشعائرهم قبح الله سعيهم . وقال غيره من المفسرين هذه الآية فيها أعظم دليل على انه صلى الله عليه وسلم مهبط الرحمات وأفضل الخلق على الاطلاق ، اذ الصلاة من الله على نبيه رحمته المقرونة بالتعظيم ، ومن الله على غير النبى مطلق الرحمة ، لقوله تعالى : هو الذى يصلى عليكم وملائكته ليخرجكم من الظلمات الى النور » وذلك هو الفضل بين الصلاتين والفرق بين المقامين ، والمراد بالملائكة جميعهم ، والصلاة منهم عليه صلى الله عليه وسلم الدعاء له بما يليق به وهو الرحمة المقرونة بالتعظيم ، فصار بذلك مهبط الرحمات ، ومنبع التجليات ، فرحمته صلى الله عليه وسلم من رحمة الله تعالى : التى وسعت كل شىء وقوله تعالى : يا أيها الذين آمنوا صلوا » أى ادعوا وهو أمر منه تعالى لامته صلى الله عليه وسلم بالدعاء له بهذا اللفظ المشروع عن الله سبحانه ، فان قلت كان النبى صلى الل هعليه وسلم فى غنى عن صلاة ودعاء امته له بصلاة الله وملائكته جميعهم عليه ، فما الفائدة من صلاة أمته بعد ذلك على جهة التبعية لصلاة الله والملائكة ، قلت حكمة صلاة الملائكة والمومنين عليه تشريفهم بذلك ، ولتبقى صلتهم به صلى الله عليه وسلم الى قيام الساعة كأنهم معه اظهارا لتعظيم الله اياه ، ومكافاة لبعض حقوقه على امته لانه الواسطة العظمى فى كل نعمة وصلت اليهم ، وحق على من وصل النعمة لاحد أن يكافئه عليها ، فصلاتهم عليه مكافاة له ببعض ما كان يجب عليهم من الحقوق له ، فان قلت هذا قليل فى حقه صلى الله عليه وسلم عليهم ، قلت قد علمالله عجزهم عن مكافاته بغير ذلك ، فلم يكلفهم الا بما هو فى وسعهم واما الصلاة الواصلة اليه من الله تعالى فلا يعلم كنهها الا هو ،

فهى فى ازدياد دائم مستمر بدوام الله سبحانه لا رب سواه ·

واعلم ان العلماء اتفقوا عل ىوجوب الصلاة والسلام على النبى صلى الله عليه وسلم ثم اختلفوا فى تعيين الواجب ، فعند الامام مالك تجب الصلاة والسلام على النبى صلى اللهه عليه وسلم ، مرة فى العمر ، وعند الامـــام الشافعى تجب فى التشهد الاخير من كل صلاة مفروضة من الصلوات الخمس ، والى ذلك يشير فى قوله : من لم يصل عليكم لا صلاة له ، أى فهى باطلة ، وعند غيرهما تجب فى كل مجلس مرة أو هى واجبة عند ذكره كما تقدم ، وقيل يجب الاكثار منها بغير تقييد بعدد لان أمرها عظيم ، وفضلها جسيم وهى من افضل الطاعات واعظم القربات ؛ حتى قال بعض العارفين : انها توصل الى الله من غير احتياج الى شيخ او مرب لانه صلى الله عليه وسلم هو السند فيها بنفسه لانها تعرض عليه ويصلى على المصلى بخلاف غيرها من الاذكار فلا بد فيها من شيخ عارف لمن واظب عليها حتى يكون فى مأمن فىطريقه من جميع الآفات الذى قد يلقاه فى اسرار أسمـــاء اللـــه الحسنى ، ولا سيما الاسم المفرد . « الله » · وصح عن كعب بن عجرة قال : لما نزلت هذه الآية قلنا يا رسول الله قد علمنا كيف نسلم عليك ، فكيف نصلى عليك ؟ قال : قولوا اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على ابراهيم وعلى آل ابراهيم ، وبارك على محمد وعلى آل محمد كمـــا باركت على ابراهيم وعلى آل ابراهيم فى العالمين انك حميد مجيد ·

وفى رواية للحاكم : فقلنا يا رسول الله : كيف الصلاة عليكم اهل البيت ؟ قال : قولوا اللهم صل على محمد وعلى آل محمـــد الى آخره . فسؤالهم بعد نزول الآية واجابتهم باللهم صل على محمد وعلى آل محمد ، دليل ظاهر على الامر بالصلاة على اهل البيت وبقية آله مراد من هـــذه الآية ، والا لم يسالوا عن الصلاة على اهل بيته وآله عقب نزولها ولـــم يجابوا بما ذكر فلما اجيبوا به دل على ان الصلاة عليهم من جملة المامور بة ،وانه صلى الله عليه وسلم اقامهم فى ذلك مقام نفسه ، لان القصد من الصلاة عليه مزيد تعظيمه ، ومنه تعظيمهم بها ، ومن ثم لما ادخل من مر فى الكساء قال : اللهم انهم منى وانا منهم فاجعل صلاتك ورحمتك ومغفرتك ورضوانك على وعليهم · وقضية استجابة هذا الدعاء ان الله صلى عليهم معه ، فحينئذ طلب من المومنين صلاتهم عليهم معه · ويروى ولا تصلوا على الصلاة البتراء ، فقالوا وما الصلاة البتراء ؟ قال : تقولون اللهم صل على محمد وتمسكون ، بل قولوا اللهم صل على محمد وعلى آل محمد ·

وفى رواية اياكم والصلاة البتراء ، قالوا وما هى يا رسول الله ؟ قال : أن تصلوا على دون آلى ولا ينافى حذف الآل ما تقرر فى الصحيحين ، قالوا يا رسول الله كيف نصلى عليك ؟ قال : قولوا اللهم صل على محمد وعلى أزواجه وذريته كما صليت على ابراهيم الخ لان ذكر الآل ثبت فى روايات أخر ، وبه يعلم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : ذلك كله فحفظ بعض الرواة ما لم يحفظه الآخر ، ثم عطف الازواج والذرية على الآل فى كثير من الروايات يقتضى انهما ليسا من الآل ، وهو واضح فى الازواج بناء على الاصح فى الآل انهم مومنوا بنى هاشم والمطلب ، واما الذرية فمن الآل على سائر الاقوال ، فذكرهم بعد الآل للاشارة الى عظيم شرفهم .

وروى ابو داود من سره أن يكتال بالمكيال الاوفى اذا صلى علينا أهل البيت فليقل : اللهم صل على النبى محمد وأزواجه أمهات المومنين وذريته واهل بيته كما صليت على ابراهيم انك حميد مجيد . وقولهم علمنا كيف نسلم عليك ؟ اشاروا به الى السلام عليه فى التشهد كما قاله الامام البيهقى : وغيره .

ويدل له خبر مسلم : أمرنا الله أن نصلى عليك فكيف نصلى عليك ؟ فسكت النبى صلى الله عليه وسلم حتى تمنينا اننا لم نسأله ، ثم قال : صلى الله عليه وسلم قولوا اللهم صل على محمد وعلى آل محمد الحديث ، وزاد آخره والسلام كما قد علمتم اى من العلم . ويروى من التعليم ، لانه صلى الله عليه وسلم كان يعلمهم التشهد كما يعلمهم السورة من القرآن . وصح ان رجلا قال : يا رسول الله ، اما السلام عليك فقد عرفناه ، فكيف نصلى عليك ؟ اذا نحن صلينا عليك فى صلاتنا صلى الله عليك فصمت صلى الله عليه وسلم حتى احببنا ان الرجل لم يسأله .

وصح ايضا انه صلى الله عليه وسلم سمع رجلا يدعو فى صلاته لم يمجد الله ، ولم يصل على النبى صلى الله عليه وسلم ، فقال : عجل هذا ثم دعاه فقال له : أو لغيره ، اذا صلى أحدكم فليبدأ بتحميد ربه والثناء عليه ثم يصلى على النبى صلى الله عليه وسلم ثم يدعو بما شاء . ومحل البدء بالتحميد والثناء على الله تعالى جلوس التشهد وبهذا كله اتضح قول الامام الشافعى رضى الله عنه بوجوب الصلاة على النبى صلى الله عليه وسلم فى التشهد ، لما علمت منه انه صح عنه صلى الله عليه وسلم الامر بوجوبها فيه ، ومن انه صح عن ابن مسعود تعيين محلها ، وهو بين التشهد

والدعاء فكان القول بوجوبها لذلك الذى ذهب اليه الشافعى هو الحق الموافق لصريح السنة ، ولقواعد الاصوليين .

واعلم ان النووى رحمه الله نقل عن العلماء كراهة افراد الصلاة والسلام عليه صلى الله عليه وسلم ، ولا يحتج بتعليمهم كيفية الصلاة السابقة لان السلام سبقها فى التشهد فلا افراد فيه ، وقد جاء ذكر الصلاة مقرونة بالسلام فى مواطن : منها عقب ما يقال عند ركوب الدابة كما رواه الطبرانى فى الدعاء مرفوعا وانما حذف فى بعض المواطن اختصارا ، وكذا حذف الآل .

وروى الديلمى ان النبى صلى الله عليه وسلم قال : الدعاء محجوب حتى يصلى على النبى صلى الله عليه وسلم واهل بيته . اللهم صل على محمد وآله . وكأن قضية الاحاديث السابقة وجوب الصلاة على الآل فى التشهد الاخير ، كما هو مذهب الامام الشافعى واما قوله فى احد البيتين المشهورين عنه :

كفاكم من عظيم القدر انكم   من لم يصل عليكم لا صلاة له

فهو يشير الى كلا قوليه فى مذهبه ، فليحتمل لا صلاة له ، اى لا صلاة له صحيحة فتكون باطلة اذا خلت من الصلاة على آله صلى الله عليه وسلم . وهو القول بوجوبها فى الصلاة لانها ركن من اركانها ، ومن ترك ركنا من اركان الصلاة بطلت صلاته . ويحتمل قوله لا صلاة له ، اى لا صلاة له كاملة فيوافق الاظهر من قوله ، فتكون الصلاة على القول الثانى صحيحة وانما لم يات بها على الوجه الاكمل المطلوب فيها طلبا غير جازم . واخذ القول بالوجوب من الامر فى الحديث المتفق عليه ، قولوا اللهم صل على محمد وعلى آل محمد ويؤيده الحديث الذى اخرجه الدارقطنى والبيهقى وفى سنده ضعف : من صلى صلاة ولم يصل فيها على وعلى اهل بيتى لم تقبل منه هـ .

واجب أهل البيت فى أنفسهم

فمن الواجب على اهل البيت ان يقوموا مقام مشرفهم صلى الله عليه وسلم اقتداء بسلفهم من اهل البيت المطهر المكرم ، وان يجروا فى جميع احوالهم على هديه وسنته ، اعتقادا ، وعبادة ، ومعاملة ، وزهدا ، وورعا ، وتقوى كاملة كما فعل اولائك العباقرة من العارفين بالله فى صدر السلف الصالح ، ولا تستبعد ان تصل الى ما هو أعلى من ذلك ، لان فضل

الله لا يحجر ، ولا يلتفت الى قول بعض من فسدت نيتهم ، وكسدت سلعتهم فى أسواق الربح من العمل الصالح ، بدعوى فساد الازمنة والاخلاق ، وعدم المعين على الخير . فانى أقول قال العلماء : أهل السنة والجماعة من كان على الحق ولو واحدا ، لقوله تعالى : ان ابراهيم كان أمة قانتا لله حنيفا ولم يك من المشركين » .

واعلم انه وقع خلاف فى التفضيل بين الصحابة ومن جاء بعدهم من صالحى هذه الامة . فقد ذهب الامام العلامة أبو عمر بن عبد البر الى أنه يوجد فيمن ياتى بعد الصحابة من هو أفضل من بعض الصحابة . واحتج لذلك بخبر : طوبى لمن رآنى وآمن بى مرة ، وطوبى لمن لم يرنى وآمـــن بى سبع مرات . وبخبر عمر رضى الله عنه قال : كنت جالسا عند النبى صلى الله عليه وسلم فقال : أتدرون أى الخلائق أفضل ايمانا ؟ قلنا : الملائكة . قال : وحـــق لهم بل غيرهم ؟ قلنا : الانبياء ، قال : وحـــق لهم ، بـــل غيرهم ؟ ثم قال : صلى الله عليه وسلم أفضل الخلق ايمانا ، قوم فى أصلاب الرجال ، يومنون بى ولم يرونى ، فهم أفضل الخلق ايمانا . وبحديث مثل أمتى مثل المطر لا يدرى آخره خير ام أوله . يأتى أيام للعامل فيهن أجر خمسين ، قيل منهم أو منا يا رسول الله ؟ فقال : بل منكم . وفى رواية أخرى زيادة وكيف ذاك يا رسول الله ؟ قال : أنتم تجدون على الحق أعوانا ، وهم لا يجدون على الحق أعوانا .

وبخبر : ليدركن المسيح اقواما انهم لمثلكم أو خير ثلاثا ، ولن يخزى الله أمة انا أولها والمسيح آخرها . وبخبر : يا رسول الله هل أحد خير منا ؟ اسلمنا معك ، وجاهدنا معك قال قوم يكونون من بعدكم يومنون بى ولم يرونى . ويؤيد ذلك ما روى عن عمر بن عبد العزيز لما ولى الخلافة كتب الى سالم بن عبد الله بن عمر رضى الله عنهم ، ان اكتب لى سيرة عمر بن الخطاب لاعمل بها ، فكتب اليه سالم ، ان عملت بسيرة عمر فأنت أفضل من عمر ، فان زمانك ليس كزمن عمر ، ولا رجالك كرجال عمر . وكتب الى فقهاء زمانه ، فكلهم كتب بمثل قول سالم . قال العلامة : ابو عمر بن عبد البر ، فهذه الاحاديث تقتضى مع تواتر طرقها وحسنها التسوية بين أول هذه الامة وآخرها فى فضل العمل بطاعة الله تعالى ، الا أهل بـــدر والحديبية وقال : وأما خبر : خير الناس قرنى فانه خرج مخرج الغالب ، لان منهم المنافقين واهل الكبائر الذين أقيمت على بعضهم الحدود . وبعض هذه الاحاديث له طرق قد يرقى بها الى درجة الصحة . والحديث الذى

رواه الترمذى ، وهو من الستة المتفق على صحة كتبها — ان المفضول قد تكون فيه مزية لا توجد فى الفاضل ، وقال : مجرد زيادة الاجر لا تقتضى الافضلية المطلقة ، والخيرية بينهما انما هى باعتبار ما يمكن أن يجتمعا فيه وهو عموم الطاعات المشتركة بين سائر المومنين ، فلا يبعد حينئذ تفضيل بعض من ياتى على بعض الصحابة فى ذلك ، وسياتى الكلام على ما اختص به الصحابة رضوان الله عليهم بعد اتمام الكلام على أهل البيت .

اقول : ان ظروفا ألمت بأهل البيت فى زماننا هذا والذى قبله ، وأنزلت الاغلبية منهم منزلة من الجهل كادت أن تلقى بهم فى مهاوى الضلال البعيد ، فأصبح من بين فضلائهم من لا تتوفر فيه الشروط لامامة الصلوات الخمس والجمعة ، لعدم معرفته بأحكام ما تصح به الصلاة والطهارة وما تبطل به على وجه اجمالى . اذا هو رشح لها من طرف من اختاروه لخيارته وفضله وتقواه ، وعلى هذا فانه اصبح من المؤكد على أهل البيت الشريف الاعتناء بتحصيل العلوم الدينية والشرعية قبل غيرهم ، وتوفا مع شريعة جدهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ويتأكد ذلك على كل من حفظ القرآن الكريم منهم . ثم يسترسل فى دراسة علوم العربية من نحو ومعقول وبلاغة وفقه فى العبادات والمعاملات وغير ذلك مما هو معلوم من الدين بالضرورة ، ولا ينبغى لهم أن يقفوا عند تحفيظ القرآن الكريم لاولادهم ، ويقنعوا بثمن الربع من الخير كله وانى اعرف انهم يتوفرون على كمية هائلة من الشباب الذى لا يتجاوز الخمسة عشر سنة من حفاظ القرآن الكريم ، ولكن مجهودات هذا الشباب كثيرا ما تذهب سدى من وجهين اثنين : الاول فقر الوالدين وجهلهما ، والثانى عدم المرشد والمشجع وارجو من أولياء أمورهم أن يتجافوا بفلذات اكبادهم وان لا يجازفوا بهم فى التنافس الدنيوى المهلك ، وقد رايت طائفة من خيار أهل البيت من ابناء العلميين من الذين جمعوا بين العلم والقرآن الكريم ، غرتهم الدنيا بزخارفها واتبعوا سبل الشيطان والهوى ، فتحقق فيهم قول الشاعر :

نرقع دنيانا بتمزيق ديننا   فلا ديننا يبقى ولا ما نرقع

وقد كنت آمل ان يسلكوا سبيل الاكياس وان يجمعوا بين خيرى الدنيا والآخرة ويحققوا بذلك ما قال حاكم الشعراء :

ما أحسن الدين والدنيا اذا اجتمعا   وما اقبح الكفر والافلاس بالرجل

رزقنا الله واياهم الثبات على كتاب الله وحفظه ، والعمل بمقتضاه

والسير على هداه ، ووفقنا واياهم لتدارك المجتمع الاسلامى المهدد بأعمال الشياطين المحفوف بالاخطار التى تمس العقيدة والدين والايمان بالله الذى هو رأس مال كل مسلم ، ولن يزال رجاؤنا فيهم وطيدا حتى يحققوا لنا نهضة علمية دينية تخلد لهم مجد ميراث الآباء والاجداد فى المحافظة على الايمان والدين لهذه الامة الاسلامية ، ويطردوا من مجتمعهم وصمة عار الجهل المخيم على هذا المجتمع ويحققوا انبعاثا جديدا من خير قادات لخير سادات ، تلك عهود من الآباء توارثتها الابناء . ولهذا راى العلماء انه يتأكد على المسلمين عامة وعلى أهل البيت خاصة الاعتناء بتحصيل العلوم الدينية والشرعية ، لانه لا خير فى اسلام ولا فى نسب بغير العلوم الدينية والشرعية ، ودلائل الحث على تحصيلها وتحصيل آدابها ، وآداب العلماء والمتعلمين ، وتفضيل ذلك كله ظاهر معروف من كتب الائمة فراجعه هناك . وقد قدمت لك الكلام على جملة من عباقرة اهل البيت والمشاهير من اقطابهم رضى الله عنهم الواحد تلو الآخر من ذرية الحسنين بالمشرق وسأزيدك الكلام على ما بقى منهم بالمغرب ان شاء الله ، وستراهم بتراجمهم حتى يكون خاتمهم الشيخ مولانا عبد السلام بن مشيش الذى وضع الكتاب من أجل التعريف بأولاده ونسبهم اليه .

ولك فى ذلك أيها الاخ الشريف أحسن قدوة بأولائك العباقرة الافذاذ من آبائك واجدادك وأبناء عمك الذين ملأت شهرتهم مشارق الارض ومغاربها ، وانى لك أيها الاخ الشريف أن يتحقق لك مقام بين أولائك بدون الاستقامة والسير على طريقهم ، والتأسى بهم فى جميع أحوالهم فانهم حققوا لك خيرا جزيلا ، وخلفوا لك من ورائهم ذكرا جميلا . وكما أود لك أن تتباعد عن غرور الجهلاء الذين يريدون أن ينبذوا سبيل آبائهم وأجدادهم فى الحصول على أسمى المقامات فى الفضل والصلاح وأن يعتمدوا على مجرد الانتساب فى الوصول الى ذلك ، ولا أحسب ذلك الا غرورا من وحى اللعين وخذلانا بما يزينه لهم الشيطان الرجيم . أجل ، فانه ليس بعد الحق الا الضلال ، فانه من اقبح القبح واظلم الظلم أن يتبع الشريف غير طريق آبائه واجداده فى الاخلاق والفضل والدين ويتكل على الامانى الكاذبة قال تعالى : فانه لا يامن مكر الله الا القوم الخاسرون » وقد رأيت هناك طائفة من المعتوهين قضوا حياتهم فى ظلمات الغفلة متمسكين بأوهام كاذبة وربما كان معينا لهم على ذلك من كان غارقا فى الكبائر من المنتمين الى العلم والتقوى المصنوعة بخيوط عنكبوتية ، فى سبيل الحصول على النفع الدنيوى وما يتبع ذلك من

امانى الاستغلال ، وعلى مثل هذا سارت الادمغة الفارغة المملوءة بأحلام النائمين من حلفاء ابليس ومردة الشياطين . الذين زين لهم جهلهم وغرورهم ان ما هم عليه من الدين ، ولم يكتفوا بذلك فى أنفسهم بل جعلوا يصورون للغاوين أن أعمالهم وسائر ما ينتجونه من الدين ، وقد كنت منذ الصغر وأنا اكره ما ينتجونه من هذه الترهات والاباطيل ، وانا فى ضيق نفسانى منها حيث لم يكن عندى من العلم ما يبطلها ، وقد كان حبب الله الى العمل بالدين ، وبعد ما حفظت القرآن الكريم شرعت فى الترحال فى طلب العلم تأسيا بقوله تعالى : فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا فى الدين ولينذروا قومهم اذا رجعوا اليهم لعلهم يحذرون » ولما من الله علينا بنصيب من العلم تمكنت من مقاومة اولائك الجاهلين المغرورين ودحض شبهاتهم الباطلة التى وجدت لها محلا فى ادمغة الكثيرين ، وبعد ما دخلت معهم فى صراع اصطدمت بصخور صلبة من كبار أهل الجهل والغرور من عشيرتى ، فكانت عاقبتى معهم أن سد فى وجهى كل سبل الحياة ووجوه النفع ، فاقتضى الحال ان أعيش منبوذا مطرودا من بين ذوى وعشيرتى فى أهلى ، فمر بى الحال على ذلك أياما واياما ، وقد كان من قدر الله ان لا بد للحق ان ينتصر ، وبعد ما ذهبت تلك الايام بأتوامها وجاءت ايام أخرى بآخرين ، زالت العقبات فواصلت السير على ما كنت عليه من بيان ما هو الحق ، وتيسر لى ان اتصل بأبناء عمى فى كل ناحية من انحاء بلدتى فقمت فى كل مناسبة بمحاضرة مشتملة على ما هو الصواب فى العقائد الصحيحة فيما بين الانسان وربه ، وان كل ما وصل الى اذهانهم من غير ذلك فهو جهل وغرور ، فلا يصح ان يدان الله به . فحاضرت بجامع قرية تزية ، ثم جامع قريتنا افرنو السفلى ، ثم سيدى مشيش ، ثم سيدى سلام وقد تكرر ذلك بتكرار المناسبات وقد استحسنت ان اركز جهادى على تنظيف العقيدة للمسلم من كل ما علق بها من الاوهام الكاذبة والغرور الشيطانى الامر الذى قد يجر بصاحبه ان ترك على ذلك الى العودة الى الشرك المحرم على هذه الامة المحمدية والعياذ بالله ، وقد جعلت تأليف هذا الكتاب من مكملات جهادى فى هذا السبيل لما اشتمل عليه من تصحيح المعتقدات فى كل حال من الاحوال . وفى الحديث :

لعن الله الداخل فينا بلا نسب

لقد فتح ابليس اللعين بابا من أبواب الخسران المبين ، للذين طغت عليهم أهواؤهم من الذين ساءت سريرتهم وخبثت نفوسهم ، وتعطلت احوالهم وأعمالهم غير مبالين او متأولين ما ورد فى الحديث الشريف من اللعنة عند ما

ادعوا لانفسهم ولوج النسب الشريف ، ولم يقنعهم الاسلام ومبادئه أن يدخلوا به على النبى صلى الله عليه وسلم فى مسجده من جميع أبوابه عن طريق التقوى والعمل الصالح وحبهم لله ولرسوله ولاهل بيته الطاهرين المكرمين ، حتى يرفع الاسلام من درجاتهم ويلحقهم بقائد المتقين والمحبين فى الله ورسوله وأهل بيته وعشيرته الاقربين . من قد علم الله منه صدق ايمانه ، واخلاص محبته . فشرفه نصا منه باذن من الله سبحانه ان يلحقه بأهل البيت . فقال : صلى الله الله عليه وسلم « سلمان منا أهل البيت » وأكد له ذلك حين أخذ من تمر الصدقة : يحرم عليك يا سلمان ما يحـرم على أهل البيت ، ويحل لك ما يحل لهم . ومثله فى الالحاق بهم أسامـة ابن زيد رضى الله عنه . وواثلة ، وأبو ذر الغفارى رضى الله عنهم ، فكل هؤلاء أدخلهم الاسلام على النبى صلى الله عليه وسلم فى المسجد من جميع ابوابه ، ولم يطلبوا منه أن يكونوا من أهل بيته . فقد رفعهـم ايمانهـم واسلامهم وحبهم الصادق فى رسول الله صلى الله عليه وسلم وأهل بيته ، حتى جاءتهم البشارة وألحقهم النبى صلى الله عليه وسلم نصا بأهل بيته . وكل من أراد اللحوق بهم فعليه أن يسلك سبيلهم ولو خلا من النص لانهم انتقلوا من البيت العام الذى هو المسجد الى البيت الخاص الذى هـو القرب منه صلى الله عليه وسلم بسبب اخلاصهم وحبهم فى الله ورسوله وأهل بيته . فهؤلاء قد ولجوا البيت من بابه ، وكل من كانت له رغبة فى الوصول الى ما وصلوا اليه ، كان لازما عليه أن يسلك سبيلهم ، لانهـم مثلهم فيما لهم وفيما عليهم . وقد أخذوا سهم ذوى القربى معهم فكانت لهم احكام أهل البيت سواء بسواء ، وفى ذلك قال بعضهم :

عليك بتقوى الله فيمـا تريـده ... ولا تترك التقوى اتكالا على النسب

فقد رفع الاسلام سلمان فارسى ... وقد وضع الكفر الشريف أبا لهب

ومن أحاديثه ما رواه الحاكم وصححه ، أخرج ابن مردويه عن سلمان الفارسى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : اذا كان حج الملوك نزهة ، والاغنياء للتجارة ، والمساكين للمسألة والقرآن رياء وسمعة ، فعند ذلك يظهر نجم له ذنب . ولذلك يظهر ان البيت الخاص به صلى الله عليه وسلم ليس له الا بابان : الاول باب فاطمة الزهراء وذريتها الى يوم القيامة فانهم باجماع الامة الاسلامية أهل بيته صلى الله عليه وسلم وخاصته الادنون ، وهم من تقدم الكلام عليهم ، والثانى باب أحباب النبى صلى الله عليه وسلم وأحباب ذريته الطـاهرة . اذ هو القائل فيه للرجل الذى

سأله عن الساعة ؟ فقال صلى الله عليه وسلم ما أعددت لها ؟ فقال : ما أعددت لها من كبير صلاة ولا صيام ولا صدقة ، ولكنى احب الله ورسوله ، فقال : صلى الله عليه وسلم أنت مع من احببت ، فقال الحاضرون من الصحابة : ما فرحنا بشيء أشد من فرحنا بقول : رسول الله صلى الله عليه وسلم أنت مع من احببت والباب الثانى هو باب سلمان الفارسى ومن عطف عليه رضى الله عنهم . بل هو باب كل محب لله ورسوله وأهل بيته وذريته فاطمة الزهراء الى يوم القيامة ، وهو أحسن باب للدخول فى أهل البيت ، والحصول على ما تشرفوا به من خيرى الدنيا والآخرة ولا بد فى ولوج البابين من تحقيق التقوى والابتعاد عن الامانى الكاذبة لاهل الباب الاول والثانى ، لقوله صلى الله عليه وسلم ايتونى بأعمالكم لا بأنسابكم . وقوله ومن أبطأ به عمله لم يسرع به نسبه . ولو لم يكن فى زجر أهل الامانى الكاذبة من أهل البيت الا هذان الحديثان لكانا كافيين فى حملهم على التقرب اليه صلى الله عليه وسلم بالتقوى والعمل الصالح ، والابتعاد عن الاوهام الباطلة واحلام المخذولين من اهل الكبائر والكسل . لقوله تعالى : يا أيها الناس انا خلقناكم من ذكر وانثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا ان اكرمكم عند الله اتقاكم » فكان لازما على من أراد ولوج احدى البابين أن يكون من أهل التقوى امتثالا لامر الله واقتداء بالسلف الصالح رضوان الله عليهم واما من أراد الدخول فى صفوف اهل البيت من باب هواه فلن يكون واصلا اليهم ابدا وليتبوا مكانا مرموقا من لعنة الله عليه من دعوته صلى الله عليه وسلم عليه بذلك ، وذلك هو عين الخسران المبين والعذاب المهين، لان قائده الى هلاكه هواه ونفسه الامارة ، فهو جسور على النبى صلى الله عليه وسلم ولذلك لعنه وطرده من رحمة الله ، فأصبح مع الشياطين ومردة ابليس اللعين ، لا يقبل الله منه صرفا ولا عدلا حتى يتوب .

وقد نقلت من كتاب الاملاء للنقيب العلامة ابن عبد الوهاب الفرنيوى الذى هو النسابة الفقيه سيدى على بن عبد السلام بن عيسى بن يوسف ابن يوسف مكرر بن عبد الوهاب كان من أهل القرن العاشر ، وكان معاصرا للمولى اسماعيل العلوى ما نصه : وفى الذخيرة : من انتسب الى النبى صلى الله عليه وسلم كاذبا يضرب ضربا وجيعا ويسجن طويلا حتى تظهر توبته ، لانه استخف بحق النبى صلى الله عليه وسلم و فى الحديث عنه عليه الصلاة والسلام : من انتسب الى غير أبيه وهو يعلم فالجنة عليه حرام . رواه البخارى . وفى صحيح البخارى أيضا من انتسب الى غير أبيه أو تولى

غير مواليه ، فعليه لعنة الله والملائكة والناس اجمعين · وحديث الترجمة قوله صلى الله عليه وسلم لعن الله الداخل فينا بلا نسب ، والخارج منا بغير نسب · وقال تعالى : ادعوهم لآبائهم هو أقسط عند الله فان لم تعلموا آباءهم فاخوانكم فى الدين ومواليكم » ونظرا لرقة الديانة وقلة الخشية من الله جهلا بمصير العواقب ، فقد كثر اليوم أكثر من كل وقت مضى المتطلعون لولوج النسب النبوى رغبة منهم فى الحصول على التحلية الدنيوية الفانية التى تعقبها الندامة والحسرة ، تاركين وراءهم ما هو افيد من تقوى الله والعمل الصالح الذى قد يرفع بهم الى درجة سلمان الفارسى رضى الله عنه · ولم يكن ولوج النسب الشريف حادثا خاصا بأهل هذا الزمان ، بل كان ولوج النسب النبوى الشريف غرض كثير من ينتمى لدين الاسلام فى مختلف العصور من لدن الصدر الاول للاسلام الى يومنا هذا ، ولذلك فتح النبى صلى الله عليه وسلم الباب لمن سلك سبيل الوصول الى اهل البيت ، وكان هناك من قدر له الدخول فدخل لانه سلك سبيل الباب اليه · وان هناك كثيرين ممن اخطأوا سبيل الباب فضلوا عنه ولم يصلوا اليه فحرموا الدخول فى صفوف أهل البيت · وكان من بين هؤلاء من أقحم نفسه وادعى النسب الشريف لنفسه ، فباء بلعنة الله عليه وملائكته والناس اجمعين ، ومن أجل ذلك أصبح ملعونا مطرودا من رحمة الله ، فصار من حزب ابليس ولم يبق من حزب الله ، لانه افتات على صاحب الشرع فكان جزاؤه الطرد من رحمة الله التى وسعت كل شيء ، وليس هناك ظلم للنفس اضر بصاحبه من هذا الافتيات الشنيع · فكيف يرجو الجزاء بالحسنى فى المعاد هذا الشقى الذى تسبب فى حرمان نفسه من جزاء الايمان والاسلام ، وعرضها للعقاب والعذاب المهين لكونه ادعى لنفسه ما ليس له عن طريق الزور والتدليس وركن الى ذلك معجبا بنفسه ومتحديا بذلك ضميره ودينه الذى يحرم عليه ذلك ، فأين العقل والمروءة اللذان يحفظان صاحبهما من الوقوع فى مثل هذا ؟ وأين الحياء من الاقدام على رسول الله بدعوة النسب المزور ؟ فأين انت يا مدعى النسب المزور من قول رسول الله صلى الله عليه وسلم فان لم تستحيى فاصنع ما شئت ؟ فما أعظمها فرية واعمقها سخافة ! وأين أنت من الطعن الذى يتبعك من الخلف ، فهيهات هيهات أن تعيش مع ما زورته لنفسك مطمئنا مرتاح البال ، وكفاك بذلك زجرا وقد كان لك يا معتوه فى تقوى الاسلام ما يكفيك ويغنيك عن اقحام نفسك فى مثل هذا مدعيا ما ليس لك ، فكيف قدومك على رسول الله صلى الله عليه وسلم فستجده متنكرا لك لانه لم يعرفك من اهل بيته · اللهم ان هذا من المنكرات المحدثة والمتعلق

به لا عقل له ، وسيقال لهم يوم القيامة : وذلكم ظنكم الذى ظننتم بربكم أرداكم فأصبحتم من الخاسرين » لانهم سيفضحون على رؤوس الاشهاد يوم القيامة ، اذ ينادى كل شريف باسم ابيه ، وتنادى الامة بأسماء امهاتها سترا عليها ، واين يكون حينئذ هذا الكذاب الملعون من شهادة الواقع عليه ، وتكذيب ضميره ، وضلال شيطانه ، ولعنة الله ورسوله عليه ، ولن يكون الحامل لهم على ارتكاب مثل هذا الخطأ الشنيع الا الاعجاب بالنفس ، والكبر ، وحب المحمدة والرضى عن النفس ، وهذه كلها امراض نفسانية محبطة للعمل . وانى أنصحك أيها الاخ الكريم أن تشفق على نفسك واهلك ، ولا تقحمها واياهم فيما ليس لك فتظلمها بما هو حرام عليك من الانتساب اليه صلى الله عليه وسلم عن طريق الزور والبهتان لان ذلك لا يرفع من قيمتك ولو كنت منهم حقا ، واعتمد على العمل الصالح ، وجرده من دعوى الزور والبهتان ان أردت التقرب للنبى صلى الله عليه وسلم . لان الانتساب المجرد لا يكفى حتى لمن كان منهم . فما هذا الغرور وما هذا الخذلان ! ؟ وما هذا الهول الذى أصاب العقيدة السالمة ؟ وقد عاش الكثير من المسلمين فى انسابهم بتقوى الله والعمل الصالح . وما ضرهم ذلك ، حتى أصبح اليوم الولد ينازع اباه على بقائه فى الاسم العائلى القديم ، واننى اعرف من نازع اباه على ذلك فلم يرجع اليه ، وخالفه واطلق على نفسه اسما لاشهر العائلات الشريفة ، مقتنعا فى ذلك بتشريف من يعرفه من جديد ، كما أعرف أن هناك كثيرا من المتطلمين للانسلاخ من الاسم العائلى القديم ، واستبداله بغيره ، والظاهر ان التهاون أصاب العقيدة حتى أصبح كل شىء على من أراده سهلا ، فان كان هناك بقية من الايمان بالله فالله تعالى يقول : ادعوهم لآبائهم هو اقسط عند الله فان لم تعلموا آباءهم فاخوانكم فى الدين ومواليكم » وليس لنا أن نقول بعد هذا شيئا الا ما قال الشاعر :

فلا والله ما فى العيش خير ولا الدنيا اذا ذهب الحياء

والحياء اثر ومظهر من مظاهر العقل فى الانسان لانه يمنع صاحبه من فعل ما هو منكر ويلومه عليه قبل أن يقع فيه ولهذا كانت خلته فى الانسان محمودة ، وقال عليه الصلاة والسلام لكل دين خلق وخلق الاسلام الحياء . وقال ايضا الحياء شعبة من الايمان . وقال الامام على فى الحياء : من كساه الحياء ثوبه لم ير الناس عيبه .

انظر الى الصحابى الجليل سلمان الفارسى الذى قدمنا الكلام عليه رضى الله عنه كيف رفعه عمله واخلاصه وحبه الصادق حتى فاز بنص من

الشارع : سلمان منا اهل البيت . الم تقنع ان تكون فى الاسلام بمنزلة سلمان ، اذا أردت ان تكون مثل سلمان فاسلك سبيله ، فان سلمان من الذين اقنعهم الاسلام ، وكن انت مثله ، واجب عن نفسك بمثل ما اجاب به لما سئل عن نسبه ، فقال : أنا سلمان بن الاسلام . ولم يزد على ذلك شيئا ، ولم يكن ليجهل نسبه ، لانه كان من سلالة مالكة باصبهان ، ولكن عقله الراجح ، واسلامه المتين ، ونيته الخالصة ، وحبه فى النبى صلى الله عليه وسلم ، وصحبته له أقنعته بأن يتجاهل نسبه الجاهلى مبتدئا طريقه الصحيح من الاسلام . وهكذا ينبغى أن يفعل كل الذين يتوقون فى الوصول الى ما وصل اليه عن طريق اللاشرعى ، ما اخس نفوس أولائك الذين يريدون أن يعيشوا مع الانتساب المزور قسرا والالسنة تطعنهم من الخلف الى الابد قاطعة عليهم الطريق حتى لا تركن نفوسهم الى ما انتحلوه زورا لانفسهم ، ولا ريب ان ذلك اكبر جزاء لهم فى هذه الحياة الدنيا ، وفى الآخرة سيلقون الخزى والفضيحة والعار يوم ينادون بأسماء أمهاتهم تحقيرا لهم على ما صنعوه وابتدعوه لانفسهم من النسب المكذوب على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهم يعلمون . قال العلماء قد ورد التحذير العظيم من الانتساب الى غير الآباء وان منتحله كافر ملعون ، ففى صحيح البخارى عن ابن عباس رضى الله عنهما قال : قال : رسول الله صلى الله عليه وسلم ، من انتسب الى غير ابيه أو تولى غير مواليه فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين . اعلم ان اللعنة الواردة فى الحديث هى الطرد والبعد من رحمة الله فمرتكب من استحق هذه اللعنة كان نظير ابليس فى ذلك البعد والطرد من رحمة الله ، ومن اجل ذلك صار من حزبه ، فالرحمة والدخول فيها وشمولها لكل عاص من اهل الكبائر هو آخر ما ينتظره المسرفون على انفسهم من الذين اعترفوا بذنبهم ولم يتوبوا حتى ماتوا على ذلك . وقال الله فى المتقين الكبائر : ان الذين يخشون ربهم بالغيب لهم مغفرة واجر كبير » واخرج البخارى فى صحيحه : ان النبى صلى الله عليه وسلم قال : من انتسب الى غير ابيه وهو يعلم فالجنة عليه حرام . وروى عن الامام مالك فى الاحكام الفقهية من كتاب الذخيرة ما نصه : من انتسب الى بيت النبى صلى الله عليه وسلم كاذبا يضرب ضربا وجيعا ويسجن طويلا حتى تظهر توبته هـ وفى الحديث ان الداخل فيهم وليس منهم يفتضح بين الخلائق — اى يوم القيامة — اذا لم يدع باسم ابيه ويستحيى . وهذا اذا لم يكن هو المتسبب فيه ، واما المدعى الكذاب الاول فما يناله من العقوبة واللعنة ابشع ، وافضح من فضيحة تابعيه اذا لم يكن يعلم باعتداء آبائه ومما يحمل

على العجب والاندهاش ان بعض العلماء ممن يزعم ان له القيادة فى علم الحديث ، والتصوف فى السلوك الربانى وقد نصب نفسه فى هذا العصر لتربية السالكين لم يتورع دعوة النسب الى اهل البيت ، ويظهر ذلك على وجه تآليفه انه ادريسى وحسنى النسب ، ولم يعرف أحد من عامة الناس وخاصتهم ان له نسبا لا فى الحسنية ولا فى غيرها كيف وقد مر على ما ذكرنا من الاحاديث والاحكام الفقهية وغيرها ولم يعد الى رشده ؛ ولم يحمله ذلك كله على التورع أن يدعى ما ليس له وينتسب الى رسول الله صلى الله عليه وسلم كاذبا ؟ وكيف لا ياخذك العجب من أمثال هذه الشخصية التى لها وزنها فى المجتمع بين العلماء المعاصرين دون أن ياخذه الحياء والخجل من الاقدام على مثل هذه الفرية والوقوع فى المغامرة المخزية ؛ ولكن ضعف الوازع الدينى هو الذى يهون على صاحبه كل جليل خطير ؛ ويجل له كل هين حقير . ان دعوة النسب صارت فى بلدنا شعار كل سياسى محتال ، او متصوف زاهد نصب نفسه لتربية الامثال . وأما العامة المساكين فهم مثل الانعام ، لا يصرفهم عن الانتساب المذكور الا العصا وفصل القضاء . وقد بردت الهمم فلم تبق غيرة لخواص المسلمين ولا لعامتهم على هذا النسب الذى هو نسب نبيهم وينشأ عنه ضبط أولاد سيدهم ؛ حتى لا يدخل فى نسبه الشريف من ليس من أهله ، وقال العلماء : ينبغى لكل أحد من المسلمين أن تكون له غيرة على هذا النسب الشريف وضبطه حتى لا ينتسب اليه صلى الله عليه وسلم احد الا بحق ، فان انساب أهل البيت النبوى لم تزل مضبوطة على تطاول الايام ولم تزل أحسابهم التى بها يتميزون محفوظة عن أن يدعيها اللئام من الجهال ، قد الهم الله من يقوم بتجديدها وتصحيحها فى كل زمان ، ومن يعتنى بحفظ تفاصيلها فى كل أوان ، خصوصا انساب الطالبيين والمطلبيين ، ومن وقع الاصطلاح على اختصاص الذرية الطاهرة ببنى فاطمة الزهراء من بين ذوى الشرف كالعباسيين والجعافرة بلبس الاخضر اظهارا لمزيد شرفهم .

وقد نقل عن العلامة القاضى فى حينه سيدى الحسن الالالى فى اجوبة له ، صححها تلميذه العلامة القدوة سيدى سعيد العميرى رحمهما الله ، ونصه : قال : وجواب التاسعة أن صيانة هذا النسب الكريم من المنتسبين المختلسين ، وحماية حماه من المنتحلين فى زماننا لهذا النسب الكريم جراة على سيدى الوجود صلى الله عليه وسلم ، وجهلا منهم بالوعيد الوارد فى حديث من انتسب الى غير أبيه الحديث المتقدم ، وانضم الى ذلك تساهل

العوام فى شهادتهم ومسامحة الخاصة فى الانكار على كل من انتسب الى هذا النسب الشريف ظنا منهم ان ذلك أسلم لهم ، وهيهات فانى السلامة ؟ وقد أسلموا الذخيرة الحسنى الذى هو النسب النبوى الذى اليه المفزع معاشا ومعادا ، ومنه استمداد العالم ظاهرا وباطنا وتركوه فى أيدى العوام يبيعونه بثمن بخس ، فما رامه منتحل الا وجده على طرف التمام ، وقد علموا انه محض حق الله ، الذى تجب المبادرة فيه بالامكان ، فكان حقا عليهم أن يعتنوا بحفظ نور نبيهم وضبط أولاد سيدهم اذ هو نفس دخائرهم ، فيقدر قدره ، وتستمطر بركته وسره ، فيستسقى به الغمام ، وتستشفى بسه العاهات والاسقام . ويستعان على ذلك بأن يامر الامام ، زين الله بسه الليالى والايام ، رجلا من الافاضل يجمع خاصة البلد عند قاضيه ، ويوقعون شهادتهم بين يديه على افراد شرفاء ذلك البلد بحسب ما هو محق عندهم كالشمس من مجمع عليه مع كونه متواترا أو حادثا فتدون تلك الجواهر المجمع عليها مع بيان المتواتر منها والحادث ، لتبنى الاحكام الشرعيسة على ذلك حسبما أسلفناه من كلام البرزلى ، قال فى آخر كلامه بعد ان فصل المهمة التى يقوم بها نقيب الاشراف المعين من طرف من له الولاية العامة قال : فهو خصم لكل دخيل فى النسب الاثيل ، والرب سبحانه يوفق الكل ويسدده ويعمر أرجاء قلوبنا بمحبة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم ومحبة أصحابه ، وأزواجه وذرياته ، وان يحيينا على سنته ، ويتوفانا على ملة الاسلام مع السلامة والعافية ، والمقامات الكاملة الدائمة فى الدين والدنيا والآخرة بمنه وكرمه . وكتبه غبار نعال آل البيت الحسن الالالى . رحمه الله.

روى البخارى فى صحيحه ان من أعظم الفرى ان يدعى الرجل الى غير أبيه او يرى عينه ما لم تر . وروى ايفاليس من رجل ادعى لغير ابيه ، وهو يعلمه الا كفر . وروى جماعات أحاديث أخر ، ان ادعاء نسب بالباطل أو التبرى منه كفر . اى للنعمة أو استحل ما يؤدى اليه ، ومن هنا توقف كثير من قضاة العدل عن الدخول فى الانساب ثبوتا أو انتفاء ، لا سيمـا نسب أهل البيت الطاهر المطهر . وعجيب من قوم يبادرون الى اثباته بأدنى قرينة من حجة موهومة ، يسألون عنها يوم القيامة : يوم لا ينفع مال ولا بنون الا من اتى الله بقلب سليم » .

فضل الصحبة يتفاوت

الصحابى : هو كل من اجتمع برسول الله صلى الله عليه وسلم

مومنا به ومات على ذلك سواء رآه أو لم يراه . قال ابو منصور البغدادى من أكابر ائمتنا : لقد اجمع اهل السنة والجماعة على ان أبا بكر الصديق رضى الله عنه افضل أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم على العموم، ثم عمر ، رضى الله عنه ، وقال عليه الصلاة والسلام : عمر بن الخطاب حسنة من حسنات ابى بكر الصديق ، ثم عثمان ثم على بن أبى طالب كرم الله وجهه ، ثم بقية العشرة المبشرين بالجنة ، وهم سعد ، وسعيد ، وطلحة والزبير ، وعبد الرحمن بن عوف وأبو عبيدة بن الجراح ، بعد الخلفاء الاربعة . ثم أهل بدر من غير هؤلاء ، ثم باقى اهل أحد ، ثم باقى أهل بيعة الرضوان بالحديبية ، ثم أصناف الصحابة فى الفضل على هذا الترتيب ، (1) المهاجرون ، و (2) الانصار ، والثالث خلفاؤهم من الذين جاءوا بعدهم ، و (4) من أسلم يوم الفتح ، أو بعده ، ثم السابقون من الانصار أفضل من متأخرى المهاجرين وسباق المهاجرين افضل من سباق الانصار ، ثم هناك تفاوت آخر اعتبارى قرب متأخر اسلاما أفضل ممن تقدم بين المهاجريـــن كعمر رضى الله عنه ، فانه افضل ممن تقدم عليه كبلال بن رباح ، قال الامام ابن حجر الهيتمى : محب آل البيت رحمه الله ، واما ما اختص به الصحابة رضوان الله عليهم ، وفازوا به من مشاهدة طلعته صلى الله عليه وسلم المباركة ، ورؤية ذاته المكرمة المشرفة ، فأمر من وراء العقل ، اذ لا يسع أحدا أن ياتى من الاعمال وان جلت بما يقارب ذلك فضلا عن أن يماثله ، ومن ثم سئل عبد الله بن المبارك ، وناهيك به جلالة وعلما ايما أفضل ؟ معاوية أو عمر بن عبد العزيز ، فقال : الغبار الذى دخل أنف معاوية مع رسول الله صلى الله عليه وسلم خير من عمر بن عبد العزيز ، كذا وكذا مرة . اشار بذلك الى أن درجة صحبته صلى الله عليه وسلم ورؤيتـــه لا يعد لها شىء ، ومن ذلك علم الجواب عما سبق من مساوات عمر بن عبد العزيز لعمر بن الخطاب فى الفضل ، وقد استدل ابو عمر بن عبد البر بقضية عمر بن عبد العزيز ، وقول اهل زمانه له : انت أفضل من عمـــر ، وقالوا انما ذلك يخرج بالنسبة لما تساويا فيه من العدل فى الرعية ، واما من حيث الصحبة وما فاز به عمر رضى الله عنه من حقائق القرب ، ومزايا الفضل ، والعلم والدين الذى شهد له به النبى صلى الله عليه وسلم ، فأنى لابن عبد العزيز أو غيره ان يلحقه فى ذرة من ذلك ، فالصواب ما قاله جمهور العلماء سلفا وخلفا لما ياتى ، وعلم من قول أبى عمر بن عبد البر ، الا اهل بدر والحديبية ، ان الكلام فى غير أكابر الصحابة ممن لم يفز الا بمجـــرد رؤيته صلى الله عليه وسلم ، وقد ظهر انه فاز بما لم يفز به من بعده ،

وان من بعده لو عمل ما عساه أن يعمل لا يمكنه أن يحصل على ما يقرب من هذه الخصوصية ، فضلا عن أن يساويها ، هذا فيمن لم يفز الا بذلك ، فما بالك بمن ضم اليها انه قاتل معه صلى الله عليه وسلم أو فى زمنه بأمره أو نقل شيئا من الشريعة الى من بعده ، أو أنفق شيئا من ماله بسببه فهذا مما لا خلاف فى ان أحدا من الجائين بعده لا يدركه ، ومن ثم قال تعالى : لا يستوى منكم من انفق من قبل الفتح وقاتل ، أولائك أعظم درجة من الذين أنفقوا من بعد وقاتلوا وكلا وعد الله الحسنى » الحديد . ومما يشهد لما عليه الجمهور من السلف والخلف من انهم خير خلق الله وافضلهم بعد النبيئين وخواص الملائكة المقربين ، ما هو مسطر فى كتب السلف والخلف . والذى منه حديث الصحيحين لا تسبوا أصحابى فلو ان احدا انفق مثل أحد ما بلغ مد احدهم ولا نصيفه وفى رواية لهما فلو ان أحدكم بكاف الخطاب هـ ورواية الترمذى لو أنفق أحدكم الحديث والنصيف بالفتح لغة فى النصف . وروى الدارمى وابن عدى وغيرهما انه صلى الله عليه وسلم قال : أصحابى كالنجوم بأيهم اقتديتم اهتديتم . ومن ذلك أيضا الخبر المتفق على صحته . خير القرون أو الناس أو أمتى قرنى ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم . ويطلق القرن على أهل زمن واحد متقارب لو اشتركوا فى وصف مخصوص مقصود . وقد اختلفوا فى تفسيره ، فقيل من عشرة أعوام الى مائة وعشرين غير التسعين والمائة والعشرة ، فلم يحفظ قائل بهما ، وما عداهما قيل به . وأعدل الاقوال فى ذلك قول صاحب المحكم ، هو القدر المتوسط من أعمال اهل كل زمن ، والمراد بقرنه صلى الله عليه وسلم فى الحديث الصحابة وآخر من مات منهم على الاطلاق بلا خلاف ، وآخر من مات منهم هو أبو الطفيل عامر بن واثلة الليثى كما جزم به الامام مسلم فى صحيحه ، وكان موته سنة مائة من الهجرة النبوية على صاحبها أفضل الصلاة والسلام على الصحيح . وقيل سنة سبع ومائة ، وقيل سنة عشر ومائة ، وقيل سنة عشرين ومائة وصححه الذهبى لمطابقته للحديث الصحيح ، وهو قوله صلى الله عليه وسلم قبل وفاته بشهر : على رأس مائة سنة لا يبقى على وجه الارض ممن هو عليها اليوم أحد .

وفى رواية لمسلم ارايتكم ليلتكم هذه ، فانه ليس من نفس منفوسة ياتى عليها مائة عام . فأراد بذلك انخرام القرن بعد مائة سنة من حين مقالته . وأما القول بأن عكراش بن ذؤيب عاش بعد وقعة الجمل مائة سنة غير صحيح ، وعلى القول به فانه استكملها بعد ذلك لا انه بقى بعدها

مائة سنة ، وبهذا القول قال الائمة . واما ما قاله جماعة فى رتن الهندى ، ومعز المغربى ونحوهما فقد بالغ الائمة سيما الذهبى فى تزيفه وبطلانه ، وقال الائمة فى ذلك : ولا يروج ذلك على من له ادنى مسكة من العقل . وافضلية قرن من يلى قرنه صلى الله عليه وسلم هم التابعون بعد أصحابه ، ثم تابع التابعين رضوان الله عليهم اجمعين . وبعد هذه الطبقات الثلاث اقرا عليها قول سعد وابن مسعود رضى الله عنهما ؛ ونظمه بعضهم فقال :

هذا الزمان الذى كنا نحاذره　　فى قول سعد وقول ابن مسعود
ان دام هذا ولم يحدث له غير　　لم يبك ميت ولم يفرح بمولود

وروى الديلمى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : من أحب الله احب القرآن ومن أحب القرآن احبنى ومن احبنى احب أصحابى وقرابتى.

واخرج الانصارى عن أنس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : يا أبا بكر ليت انى لقيت اخوانى فقال ابو بكر نحن يا رسول الله اخوانك ؟ قال : لا ، انتم اصحابى ، اخوانى الذين لم يرونى وصدقوا بى واحبونى حتى انى لاحب الى أحدهم من ولده ووالده ؛ قالوا يا رسول الله انحن اخوانك قال : لا ، أنتم اصحابى الا تحب يا أبا بكر قوما أحبوك بحبى اياك ؛ فأحبهم ما احبوك بحبى اياك . وفى رواية أخرى قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : يا ايها الناس احفظونى فى أحبائى واصهارى واصحابى لا يطالبنكم الله بمظلمة أحد منهم فانها ليست مما يوهب رواه الخلعى . وروى المخلص الذهبى انه صلى الله عليه وسلم قال : الله الله فى اصحابى لا تتخذوهم غرضا بعدى ، من أحبهم فقد أحبنى ومن ابغضهم فقد ابغضنى ، ومن آذاهم فقد آذانى ، ومن آذانى فقد آذى الله ، ومن آذى الله يوشك أن ياخذه . وهذا الحديث والذى قبله خرج مخرج الوصية بأصحابه على طريق التأكيد والترغيب فى حبهم ، والترهيب عن بغضهم ، وفيه ايضا اشارة الى أن حبهم ايمان ، وبغضهم كفر ، لان بغضهم اذا كان بغضا له صلى الله عليه وسلم كان كفرا بلا نزاع ، لخبر : لن يومن احدكم حتى أكون أحب اليه من نفسه .

وهذا يدل على كمال قربهم منه حيث انزلهم منزلة نفسه ، حتى كان اذاهم واقعا عليه صلى الله عليه وسلم ، وفيه ايضا محبة من احبه النبى صلى الله عليه وسلم كآله وأصحابه رضى الله عنهم علامة على محبة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، كما ان محبته صلى الله عليه وسلم علامة على محبة الله تعالى . وكذلك عداوة من عاداهم ، وبغض من ابغضهم وسبهم

علامة على بغض رسول الله صلى الله عليه وسلم ،وبغضه صلى الله عليه وسلم وعداوته وسبه علامة على بغض الله تعالى وسبه ،قال الله تعالى : لا تجد قوما يومنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله ولو كانوا آباءهم او ابناءهم أو اخوانهم أو عشيرتهم أولائك كتب فى قلوبهم الايمان وأيدهم بروح منه » فحب اولائك أعنى آله صلى الله عليه وسلم وازواجه وذرياته وأصحابه من الواجبات العينية كما ان بغضهم من المهلكات ، ومن محبتهم توقيرهم ، وبرهم ، والقيام بحقوقهم والاقتداء بأخيارهم ، وأهل الفضل والصلاح منهم ، والمشى على سنتهم وآدابهم ، وأخلاقهم والعمل بأقوالهم مما ليس فيه للعقل مجال ، وفيه مزيد الثناء عليهم ، وحسنه بأن يذكروا بأوصافهم الجميلة على قصد تعظيمهم ، فقد أثنى الله عليهم فى آيات كثيرة من كتابه المجيد ، ومن اثنى عليه فهو واجب الثناء ، ومن الثناء الاستغفار لهم ، وثواب المستغفر لهم راجع اكثره عليه ·

وقال العلامة : سهل بن عبد الله التسترى لم يومن برسول الله صلى الله عليه وسلم من لم يوقر أصحابه · وقد قال صلى الله عليه وسلم : لا يومن احدكم حتى اكون أحب اليه من نفسه ، وماله ، وولده ، والناس أجمعين · وقال : ويتفاوت الناس فى الايمان على قدر تفاوتهم فى محبتى ، الا لا ايمان لمن لا محبة له · فبمحبته صلى الله عليه وسلم نال من نال ، وسعد من سعد حتى وصل الى درجات الكمال والحق بالاهل كسلمان رضى الله عنه ، اللهم ارزقنا قلبا كقلب سلمان ، وعقلا كعقله ، ومحبة فى الله ورسوله كمحبته آمين·

توقيـــر أهـــل البيت وقـــار لـــه عليـــه السلام

والعمل بتوقير اهل البيت يظهر فى العفو عن مسيئهم لوجهه صلى الله عليه وسلم ومن ذلك ما فعله الامام مالك رحمه الله مع جعفر بن سلمان الذى جلده وطاف به فى اسواق المدينة لعدم خضوعه لخداعهم ومكرهم السياسى بالناس ولما حج ابو جعفر المنصور وعرض عليه القود من جعفر امتنع وقال : والله انى جعلته فى حل كلما رفع سوطه عنى لوجه رسول الله صلى الله عليه وسلم وكذلك الامام أحمد رضى الله عنه لما امتحن فى قضية خلق القرآن فى عصر المامون واخيه محمد المعتصم فانه جلد وسجن من اجل قوله : القرآن كلام الله غير مخلوق ·

ولما عرض عليه العفو والقود ، قال مثل مقالة مالك فيمن فعل به ذلك وهذا هو التوقير ، وله نظائر كثيرة مذكورة فى حق اهل البيت وغيرهم ،

واليك منها ما جاء فى جواهر العقدين فى فضل الشرفين : شرف العلم الجلى وشرف النسب العلى ، للامام جمال الدين عبد الله السمهودى الحسنى ما نصه ومن العجب ان ابا المحاسن نصر الله بن عين الشاعر ، توجه الى مكة المكرمة ومعه مال وقماش ، فخرج اليه بنو الاشراف المقيمون بوادى الصفراء فأخذوا ما كان معه وجرحوه ، فكتب فى ذلك قصيدة الى الملك العزيز طغتكين بن ايوب التركى صاحب اليمن ، وقد كان اخوه الملك الناصر ارسل اليه يطلبه ليقيم بالساحل المفتتح من قبل الافرنج ، فكتب اليه ابن عين يزهده فى الساحل ، ويرغبه فى اليمن ويحرضه على الاشراف المذكورين بقصيدة بعثها اليه ومطلعها :

أغنت صفات نداك المصنع اللسنا	وحزتفى الجود فخر الحسينوالحسنا
وما تريد بجسم لا حياة له	من خلص الزبد ما أبقى لك اللبنا
ولا تقل ساحل الافرنج افتحه	فما يساوى اذا قايسته عدنا
وان اردت جهادا فادن سيفك من	قوم أضاعوا فروض الله والسننا
طهر بسيفك بيت الله من دنس	وما احاط به من خسة وخنا
ولا تقل انهم أولاد فاطمة	لو ادركوا آل حرب حاربوا الحسنا

وبعد نظمه لهذه القصيدة رأى فى نومه سيدتنا فاطمة الزهراء رضى الله عنها وهى تطوف بالبيت وسلم عليها فلم تجبه ، فتضرع اليها وتوسل وتذلل لها ثم سألها عن ذنبه الذى اوجب ذلك الاعراض ، فأنشدته رضى الله عنها ابياتا :

حاشا بنى فاطمة كلهم	من رجس بغيض او من خنا
وانما الايام فى غدرها	وفعلها السوء اساءت بنا
فتب الى الله فمن يقترف	اثما بنا لا يامن مما جنا
أئن ساء من ولدى واحد	يجعل كل السوء عمدا لنا
فاكرم بعين المصطفى أحمد	ولا تهن من اهله أعينا
فكل ما نالك منهم غدا	تلقى به فى الحشر منا منا

قال : فانتبهت من نومى فزعا وقد اكمل الله عافيتى مما كنت أجده من الم الجراح والمرض ، فكتبت الابيات وحفظتها ، وتبت الى الله تعالى مما قلت وقطعت تلك القصيدة وقلت فى أخرى :

عذرا الى بيت نبى الهدى	تصفح عن ذنب محب جنا
وتوبة مقبولة من اخى	مقالة توقعه فى العنا
والله لو قطعنى واحد	منهم بسيف البغى أو بالقنا

لم أر ما يفعـل اللـه سيئـا بـل انـه فى الفعل قد أحسنا

هذه اقوالهم رحمهم الله وان صحت الرؤيا كانت كرامة لصاحبها ومنقبة عظيمة لاهل البيت النبوى الشريف مع جدتهم البتول فاطمة الزهراء رضى الله عنها ويستفاد منها كرامة الاولياء بعد موتهم . والرد على مـن أنكر ذلك ، مستشهدا له بنظائر ويستفاد منها أيضا ان رسول الله صلى الله عليه وسلم سيشمل بعطفه وشفاعته كل من أتاه متظلما من أولاد فاطمة بل وكل من اتاه متظلما من أهل البيت على العموم . كما تقدم فى قصة الامامين : مالك وأحمد رضى الله عنهما ، ولهذه القصة نظائر فى الذنب المغفور ، من ذلك قصة الصحابى البدرى الجليل حاطب بن أبى بلتعة رضى الله عنه الذى نزل عفوه فيها قرآنا يتلى . روى ان مولاة لابى عمرو بـن صيفى بن هاشم يقال لها سارة ، اتت رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة وهو يتجهز للفتح . فقال لها : أمسلمة جئت ؟ قالت : لا . أفمهاجرة جئت ؟ قالت : لا ، قال : فما جاء بك ؟ قالت احتجت حاجة شديدة ، فحث عليها بنى عبد المطلب فكسوها وحملوها ، وزودوها . فأتاها حاطب بن ابى بلتعة ، واعطاها عشرة دنانير ، وكساها بردا واستحملها كتابا الى أهل مكة نصه : من حاطب بن ابى بلتعة الى أهل مكة اعلموا ان رسول الله صلى الله عليه وسلم يريدكم فخذوا حذركم . فخرجت سارة ونزل جبريل بالخبر فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم عليا ، وعمارا ، وعمر ، وطلحة ، والزبير ، والمقداد ، وأبا مرثد ، وكانوا فرسانا وقال : انطلقوا حتى تاتوا روضة خاخ ، فان بها ظعينة معها كتاب من حاطب بن أبى بلتعة الى اهل مكة فخذوه منها وخلوها . فان أبت فاضربوا عنقها ، فادركوها فجحدت وحلفت فهموا بالرجوع ، فقال على : والله ما كذبنـا ولا كذب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وسل سيفه وقال : اخرجى الكتاب او تضعى راسك ، فأخرجته من عقاص شعرها ، واستثنيت يوم الفتـح من الامان فقتلت ، فاستحضر رسول الله صلى الله عليه وسلم حاطبا ، وقال ما حملك عليه ؟ فقال يا رسول الله ، ما كفرت منذ اسلمت ، ولا غششتك منذ نصحتك ولا احببتهم منذ فارقتهم ، ولكنى كنت امرأ ملصقا فى قريش اى حليفا ولم اكن من انفسها ، وكل من معك من المهاجريـن لهم قرابات بمكة ، يحمون أهاليهم وأموالهم غيرى فخشيت على أهلى ، فأردت أن اتخذ عندهم يدا ، وقد علمت ان الله ينزل عليهم بأسه ، وان كتابى لا يغنى عنهم شيئا . فصدقه رسول الله صلى الله عليه وسلم وقبل عذره ، فقال عمر : رضى الله عنه يا رسول الله دعنى أضرب عنق هذا المنافق ،

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : وما يدريك يا عمر لعل الله أطلع على أهل بدر فقال لهم : اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم . وأى ذنب أعظم من هذا ؟ — فنزل توبيخا لحاطب قول الله تعالى : يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوى وعدوكم أولياء » آيات من سورة الممتحنة ، فكان مشهده ببدر حصانة أى حصانة ، وفرت عليه حياته بعد ما ارتكب ضد الاسلام ما يؤدى بحياته ، لولا الحصانة البدرية ، انظر مقدار جرم ما ارتكب حاطب ضد الاسلام ، وهو بدرى ، وضد رسول الله ومن معه من المسلمين وفى أحرج الظروف ، ولولا الوحى لكان خيانة كبرى من حاطب وكان اقراره اعترافا بما جنى على نفسه ، ومنها أخذ العلماء ان الكبيرة لا تسلب الايمان .

ومن الذنب المغفور قصة يوسف عليه السلام مع اخوته . اذ قال : لا تثريب عليكم اليوم يغفر الله لكم » حيث أخذوه معهم للعب على عهد من أبيهم وفعلوا به ما فعلوا ، وقال تعالى : لقد كان فى يوسف واخوته آيات للسائلين » .

وقصته : انهم عقدوا مؤتمرا فى غيبة أبيهم فيما بينهم على انه واخاه امتازا بحب ابيهم لهما دونهم : اذ قالوا ليوسف واخوه أحب الى ابينا منا ونحن عصبة ان ابانا لفى ضلال مبين اقتلوا يوسف أو اطرحوه أرضا يخل لكم وجه أبيكم وتكونوا من بعده قوما صالحين قال قائل منهم لا تقتلوا يوسف والقوه فى غيابات الجب يلتقطه بعض السيارة ان كنتم فاعلين » ثم عقدوا عزمهم على ما وقع اتفاقهم عليه فاحتالوا على أبيهم حتى أرسله معهم للرعى واللعب فنفذوا ما قد كانوا عقدوا عليه العزم من أحد ثلاثة أشياء : القتل ، أو الطرح فى الارض أو الالقاء فى الجب ، فوقع اختيارهم على هذا الاخير فألقوه فى الجب قال تعالى : فلما ذهبوا به وأجمعوا أن يجعلوه فى غيابات الجب واوحينا اليه لتنبئنهم بأمرهم هذا وهم لا يشعرون وجاءوا اباهم عشاء يبكون قالوا ياأبانا انا ذهبنا نستبق وتركنا يوسف عند متاعنا فأكله الذيب وما انت بمومن لنا ولو كنا صادقين وجاءوا على قميصه بدم كذب » زاعمين انه دمه ، وهو دم سخال ذبحوه وجعلوا من دمه على قميصه ليوهموا اباهم انه دم يوسف ، فلم يثق فيهم ولكنه استسلم لامر الله وقضائه ، قائلا لهم : بل سولت لكم أنفسكم أمرا فصبر جميل » وهو الذى لا شكوى فيه لغير الله والاحتساب اليه وحده وقد علمت مصير يوسف من وقت الالقاء فى الجب الى وقت المسغبة وهى مدة تزيد على أربعين سنة ، ثم جاء دور يوسف عليه السلام ، واحتال عليهم فى أخذ شقيقه بالسرقة

المصطنعة ، فلما ظهرت السرقة عليه قال بعضهم فى وجـه يوسف عليـه السلام وهو يجهله : أن يسرق فقد سرق أخ له من قبل فأسرها يوسف فى نفسه ولم يبدها لهم » وقال فى نفسه : أنتم شر مكانا والله أعلم بما تصفون » وفى نهاية الدور اعترفوا بكل ما صنعوه وحلفوا ليوسف بأنهم كانوا فى فعلهم خاطئين متعمدين للاثم : قالوا تالله لقد آثرك الله علينا وان كنـا لخاطئين قال لا تثريب عليكم اليوم يغفر الله لكم وهو أرحم الرحمين » وقال يوسف عليه السلام شاكرا الله على ما أسدى اليه من نعم بعد البـلاء الذى أصابه : وقد احسن بى اذ اخرجنى من السجن وجاء بكم من البدو من بعد أن نزغ الشيطان بينى وبين اخوتى ان ربى لطيف لما يشاء انه هو العليم الحكيم » أى لطيف فى تدبيره عليم بتأخير الآمال الى الاجال ، حكيم بالائتلاف بعـد الاختـلاف ٠

ومن الذنب المغفور قصة خالد بن الوليد الذى سماه رسول اللـه صلى الله عليه وسلم سيف الله ، وهى انه قتل مالك بن نويرة وتـزوج امرأته ، وقد شهدت بينة من من الصحابة بأن مالكا راجع الاسلام ، فطلب له عمر القود من أبى بكر الصديق من أجل قتله لمالك بن نويرة ، والذى اكد مضمون التهمة التى وقع من أجلها الاشهاد هو تزويجه امرأته فى دار الحرب ، فألح عمر بن الخطاب على أبى بكر فى القصاص من خالد واقامة حد من حدود الله عليه ، وقد كان أبو بكر حريصا على أن لا يسمع قول عمر فى خالد بن الوليد رضى الله عنه ، ولما أكثر عمر على أبى بكر فى الحاحه عليه ، أجابه فقال : خالد تأول فأخطأ ، فارفع لسانك عن خالد ، فانى لا أشيم سيفا سله الله على الكافرين ، فاستبد أبو بكر على عمر ولم يبـال برأيه وطلبه فى خالد كما لم يهمه موت مالك بن نويرة وان كان ثبت اسلامه بشهادة الشهود ، وذلك كله حرصا على خالد ومكانته فى الاسلام والجهاد ، وقد حمل قضيته على انه تأول فأخطأ ، وهى شبهة تدرأ عنه الحد ، لقوله صلى الله عليه وسلم ادرأوا الحدود بالشبهات وتلك شبهته التى درأت عنه الحد ، ويا ليت شعرى لو تأول الناس أغلاط أهل البيت ويجعلوا لهم مبررات لاغلاطهم التى وقعوا فيها عن قصد أو عن غير قصد ، وقد فهم هذا كبار علماء الاجتهاد الذين امتحنوا على يد اهل البيت حسبما اسلفنـا الكلام على ذلك فى محله ، فكان وقارهم لهم وقارا له صلى الله عليه وسلم وكان عفوهم عنهم ابتغاء وجهه صلى الله عليه وسلم ولا يعرف قدر ذوى الفضل الا ذووه ، ومن هذا العفو قضية الطلبة الذين احتجزهم الشريف مولاى أحمد الولى الصالح المجاهد المخلص فى سبيل الله وذلك من أجل

شنآن كان بين قبيلتى بنى عروس وبنى يدر قبيل فرض الحماية على المغرب، وذلك ان هؤلاء الطلبة كانوا يقرؤون العلم مهاجرين من القبائل على العلامة الولى الصالح سيدى احمد السرحانى بقرية العنصر من بنى يدر خرجوا من جامعهم قاصدين زيارة الولى الصالح الشيخ مولا عبد السلام ولما كانوا آيبين فى حال رجوعهم الى جامعهم ومروا بقرية تزية أمر الشريف المذكور أصحابه بالقاء القبض عليهم ، ولما وصل الخبر لقبيلة بنى يدر عزموا على انتزاع الطلبة بالقوة ، ولما راى الشريف المذكور انه لا قبل له بقوة قبيلة بأسرها أمر بقتلهم جميعا فقتلوا . ولما بلغ خبر الحادث لشيخهم العلامة السرحانى المذكور ، طلب الناس منه أن يتوجه فيه الى الله ليأخذ له الحق فى طلبته الذين قتلوا ظلما . فقال لهم ، سامحته فى ذلك ، وبعد أن الحـــوا عليه قال لهم : والله لا اقدر أن أقف بين يدى جده رسول الله وأنا أواخذ ولده بمظلمتى . هكذا ذكر لى شيخى سيدى محمد بوزد رحمه الله وهو من احد طلبة العلامة المذكور .

الزهــد والــورع خلقــان لدار النبــوة

أخرج الامام احمد وغيره ، ما حاصله : انه صلى الله عليه وسلم كان اذا قدم من سفر اتى فاطمة الزهراء رضى الله عنها ، واطال المكث عندها وفى بعض الايام صنعت لها مسكين من ورق بكسر الراء أى الفضة وقلادة وقرطين ما يوضع فى الاذن ، وستر لباب بيتها ، فقدم صلى الله عليه وسلم ودخل عليها ثم خرج ، وقد عرف الغضب فى وجهه حتى جلس على المنبر فظنت انه انما فعل ذلك لما راى مما صنعته ، فأرسلت به اليه ليجعله فى سبيل الله ، فقال : فعلت فداها ابوها ثلاث مرات ، ليست الدنيا من محمد ولا من آل محمد ، ولو كانت الدنيا تعدل عند الله من الخير جناح بعوضة مـــا سقى الكافر منها شربة ماء . ثم قام صلى الله عليه وسلم فدخل عليها ، زاد الامام احمد انه صلى الله عليه وسلم أمر ثوبان أن يدفع ذلك الى بعض أصحابه ، وأن يشترى لها قلادة من عصب ، وسوارين من عاج ، وقال ان هؤلاء اهل بيتى ، ولا احب أن ياكلوا طيباتهم فى حياتهم الدنيا . فتأمل ذلك تجد الكمال ليس الا بالتحلى بالزهد والورع ، والدأب علـــى الطاعات ، والتخلى عن سائر الرذالات ، وليس فى التحلى بجمع الاموال ، ومحبـــة الدنيا ، والترفع بها الى غاية المتاعب والنقائص والمثالب ، ولهذا طلق الامام على الدنيا ثلاثا ، وقال : لقد رقعت مدرعتى أى قميصى هذه حتى استحييت من راقعها ، وستقف على فضائل اخرى من فضائله وأخلاقه رضى الله عنه .

المساواة فى الواجبات

قال الله تعالى : يا أيها الناس انا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا ان أكرمكم عند الله أتقاكم » روى الامام أحمد وغيره يا أيها الناس ان ربكم واحد وان أباكم واحد ، ألا لا فضل لعربى على عجمى ولا لاسود على أحمر الا بالتقوى خيركم عند الله أتقاكم لله . وقد سئل صلى الله عليه وسلم أى الناس أكرم ؟ قال : أكرمهم عند الله أتقاهم لله ، ثم قال : خيارهم فى الجاهلية خيارهم فى الاسلام اذا فقهوا . وعن ابن عباس رضى الله عنهما ، ليس أحد أكرم من أحد الا بتقوى الله . وروى الامام أحمد : ان النبى صلى الله عليه وسلم قال لابى ذر : انظر فانك لست بخير من أحمر ولا أسود الا أن تفضله بتقوى الله . وروى الطبرانى المسلمون اخوة . ولا فضل لاحد على أحد الا بالتقوى . وصح على نزاع فيه انه صلى الله عليه وسلم خطب الناس بمكة ، فكان من جملة خطبته . يا أيها الناس ان الله قد أذهب عنكم عبية الجاهلية ، بفتح العين وكسرها ، وتعاظمها بآبائها . فالناس رجلان : رجل بر تقى ، ورجل شقى هين على الله ، ان الله يقول : يا أيها الناس انا خلقناكم » الآية . قال : أقول قولى هذا وأستغفر الله لى ولكم . وفى رواية لينتهين أقوام يفتخرون بآبائهم الذين ماتوا انما هم فحم جهنم ، أو ليكونن أهون على الله من الجعل الذى يدهده الخرا بأنفه ، أى يدحرجه ، ان الله قد أذهب عنكم عبية الجاهلية ، انما هو مومن تقى ، وفاجر شقى ، الناس كلهم بنو آدم ، وآدم خلق من تراب .

وفى هذا حجة على من ترك العمل بالتقوى من أهل البيت النبوى الشريف واتكل على شفاعة الآباء والاجداد ، مومئا بذلك الى قوله تعالى : الذين آمنوا واتبعتهم ذريتهم بايمان ألحقنا بهم ذرياتهم وما ألتناهم من عملهم من شىء » ولا يغنى عمن أبطل العمل بالتقوى الاتكال على عمل الآباء والاجداد مع الاشتغال بالافتخار بالاحساب والانساب عند الله : يوم لا ينفع مال ولا بنون الا من أتى الله بقلب سليم » روى ابن جرير وغيره ، ان الله لا يسألكم عن احسابكم ولا عن انسابكم يوم القيامة الا عن أعمالكم : ان أكرمكم عند الله اتقاكم » واخرج القضاعى والنووى فى الاربعين من أبطأ به عمله لم يسرع به نسبه . رواه الامام مسلم فى صحيحه .

واخرج ابن حبان يا بنى هاشم لا ياتين الناس يوم القيامة بالآخرة يحملونها على ظهورهم ، وتاتون بالدنيا على ظهوركم لا أغنى عنكم من

اللــــه شيئـــا ٠

واخرج البخارى فى الادب المفرد : اوليائى يوم القيامة المتقون ، وان كان نسب اقرب من نسب ، لا ياتين الناس بالاعمال ، وتاتون بالدنيـــا تحملونها على رقابكم ، فتقولون يا محمد فأقول هكذا وهكذا واعرض فى كــلا عطفيــــه ٠

قال العلامة ابن حجر : رحمه الله ، واعلم انه استفيد من قوله صلى الله عليه وسلم فى الحديث السابق ان اوليائى منكم المتقون ، وقوله انمـــا وليى الله وصالح المومنين ، ان نفع رحمه وقرابته وشفاعته للمذنبين مـــن أهل بيته ، ان لم تنتف عنهم بسبب عصيانهم ولاية الله ورسوله لكفرانهم نعمة قرب النسب اليه بارتكابهم ما يسوءه صلى الله عليه وسلم عند عرض عملهم عليه ، ومن ثم يعرض صلى الله عليه وسلم عمن يقول له منهم يوم القيامة يا محمد كما تقدم ٠ وقال عليه الصلاة والسلام : ايتونى بأعمالكم لا بأنسابكم ٠ ولابن جرير الطبرى فى تفسيره والعسكرى : الناس لآدم وحواء ، ان الله لا يسألكم عن احسابكم ولا عن انسابكم يوم القيامة ، الا عـــن أعمالكم : ان اكرمكم عند الله أتقاكم » يا اهل البيت لا يضل سبيل الحق عنكم ، ولا يغرنكم بالله الشيطان ، وجنوده من الانس والجن ، حتى تصبح دعوتكم مثل دعوة اليهود والنصارى القائلين ما حكاه القرآن عنهم ، قـــال تعالى : وقالت اليهود والنصارى نحن ابناء الله واحباؤه » اى كأبنائه فى القرب والمنزلة ، وهو كأبينا فى الرحمة والشفقة ٠ وفى احتمال آخر نحن أبناء رسل الله ، وأبناء أوليائه ، فكان جوابهم من الله تعالى : قل » أى يا محمد : فلم يعذبكم بذنوبكم » أى وقد عذبكم فأنتم كاذبون فى زعمكم ، ثم قال تعالى : بل انتم بشر ممن خلق » اى أنتم من مطلق البشر لكم ما لهم وعليكم ما عليهم : يغفر لمن يشاء » اى المغفرة له ، : ويعذب من يشاء » أى عذابه فلا اعتراض عليه فيهما ، وفى خبر من قبلهم ما جاء القرآن يقصه علينا كذلك فى سورة هود عليه السلام ، من خبر نبى الله ورسوله نوح عليه السلام مع ولده كنعان ، الجمهور انه ولد صلبه ، وقيل ربيبه ، وعلى كل فهو من أهله كما جاء نصا فى القرآن : ان ابنى من أهلى » فانه لمـــا طغا الموج واضطربت السفينة ، تفقد ابنه ، فوجده فى معزل عن السفينة أى بعد عنها رق عليه بعد تأكده من غرقه فناداه قائلا له : اركب معنـــا ولا تكن مع الكافرين » أى اخلص اسلامك لله واركب معنا ولا تكن مع الكافرين : قال سآوى الى جبل يعصمنى من الماء » ثم نصحه بقوله : لا

عاصم اليوم من امر الله الا من رحم » اى وهو الله سبحانه وتعالى : وحال بينهم الموج فكان من المغرقين » ثم توجه الى الله فى شأنه ، لعل الله يقبل شفاعته فيه قائلا : رب ان ابنى من أهلى وان وعدك الحق وانت احكم الحاكمين قال يا نوح انه ليس من اهلك انه عمل غير صالح فلا تسألنى ما ليس لك به علم انى أعظك أن تكون من الجاهلين » .

وقوله : انه ليس من اهلك ، نفى له منهم ثم علل سبحانه انتفاءه بقوله : انه عمل غير صالح ، قال : العلامة النسفى ، فيه ايذان بأن قرابة الدين غامرة لقرابة النسب وان نسيبك فى دينك وان كان عبدا حبشيا ، وكنت قريشا لصيقك ، ومن لم يكن على دينك ، وان كان امس أقاربك رحما فهو أبعد بعيد هـ اى أبعد من كل بعيد منك ، وجعلت ذاته عملا غير صالح مبالغة فى ذمه ثم قال : وفيه اشعار بأنه انما أنجى من انجى من أهله لاصلاحهم ، لا انهم اهله ، وهذا لما انتفى عنه الصلاح لم تنفعه أبوته ، اى قرابته الطينية ، وقد تبين من هذا انه كان منافقا متظاهرا بالايمان لابيه ، ولم يكن مومنا حقا ، والا فما صح له أن يناديه ويطلب منه الركوب معه لانه كان قد نهاه الله عن ان يكلمه فى شأن الظالمين الكافرين بقوله تعالى : ولا تخاطبنى فى الذين ظلموا انهم مغرقون » وقال الجلال : انه أى سؤالك اياى بنجاته عمل غير صالح على حذف مضاف ، وعليه فيكون الضمير لنوح عليه السلام ، والمعنى على هذا قال الله : له يا نوح ، ان سؤالك عمل غير صالح ، اى غير مقبول ، لان الله لا يقبل الشفاعة الا فى المسلمين، فسؤالك خطأ ، لان نوحا عليه السلام كان يظن اسلامه ، لانه كان يظهره ، والرسل يعتمدون على الحكم بالظاهر ، وعلى هذا فلا خلاف بأنه كان منافقا ، وقد علم الله ما يحويه باطنه من الكفر فنهاه عن الشفاعة فيه تفصيلا كما نهاه عن الشفاعة فى الكفار اجمالا بقوله : ولا تخاطبنى فى الذين ظلموا انهم مغرقون » ولهذا فان الاخذ بالاحوط كان أسلم ، وهو مذهب السلف رحمهم الله من أهل البيت ، أى وهو العمل على التقوى وفى هذا المعنى قيل :

عليك بتقوى الله فيما تريده ... ولا تترك التقوى اتكالا على النسب
فقد رفع الاسلام سلمان فارسى ... وقد وضع الكفر الشريف أبا لهب

وفى معناه قيل :

ولا تتكل الا على ما فعلته ... ولا تحسبن المجد يورث بالنسب
فليس يسود المرء الا بنفسه ... وان عد آباء كراما ذوى حسب
اذا العود لم يثمر وان كان شعبة ... من المثمرات اعتده الناس فى الحطب

وفى معناه : فخر الفرزدق وهجو جرير قال الفرزدق مفتخرا :

أولائك آبائى فجئنى بمثلهم ... اذا جمعتنا يا جرير المجامع

رد جرير فى الهجو قائلا :

لئن فخرت بآباء ذوى شرف ... فقد صدقت ولكن بيسما ولدوا

ومن أقوال السلف قال الحسن المثنى رضى الله عنه ، لبعض الغلاة فيهم ويحكم أحبونا لله ، فان أطعنا الله فأحبونا ، وان عصيناه فابغضونا ، ويحكم لو كان الله نافعا بقرابة رسول الله صلى الله عليه وسلم بغير عمل بطاعته لنفع بذلك من هو أقرب اليه منا ــ يعنى بذلك اباه وأمه وابا طالب ، لما روى من أنهم كانوا يستغفرون لهم فنهاهم الله تعالى عنه بقوله : ما كان للنبىء والذين آمنوا ان يستغفروا للمشركين ولو كانوا أولى قربى من بعد ما تبين لهم أنهم أصحاب الجحيم » وفى ابيه وأمه صلى الله عليه وسلم خلاف بين العلماء والله أعلم لانهما من اهل الفترة ، ثم قال : والله انى أخاف أن يضاعف للعاصى منا العذاب ضعفين ، وأن يتولى المحسن منا اجره مرتين . وكأنه أخذ ذلك من قوله تعالى : يا نساء النبىء من يات منكن بفاحشة مبينة يضاعف لها العذاب ضعفين » وقوله تعالى : واخشوا يوما لا والد عن ولده ولا مولود هو جاز عن والده شيئا ان وعد الله حق فلا تغرنكم الحياة الدنيا ولا يغرنكم بالله الغرور » وقد ذكر أهل السير : ان زيد بن موسى الكاظم خرج على الخليفة المامون فظفر به فأرسله الى اخيه على الرضى الذى كان ولى عهده فوبخه بكلام طويل ، من جملته : ما أنت قائل لرسول الله صلى الله عليه وسلم اذا سفكت الدماء بغير حق ، واخفت السبيل ، واخذت المال من غير حله ، اغرك حمقى أهل الكوفة ؟ أو غرك حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم فاطمة أحصنت فرجها فحرم الله ذريتها على النار . ؟ اعلم ان هذا يا أخى لمن خرج من بطنها فقط لا لى ولا لك، فو الله ما نالوا ما نالوه الا بطاعة الله لا بالاتكال على الحديث ، فان أردت بمعصية الله ما نالوه بطاعة الله ، فأنت اذا لاكرم على الله منهم . واخرج الطبرانى ان أهل بيتى هؤلاء يرون انهم أولى الناس بى وليس كذلك انما اوليائى منكم المتقون من كانوا وحيث كانوا . وأخرج الشيخان عن عمرو بن العاص رضى الله عنه انه كان يقول : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم جهارا غير سر يقول : ان آل بنى فلان ليسوا بأوليائى انما وليى الله وصالح المومنين ، لكن لهم رحم سابلها ببلالها . يعنى سأصلها بصلتها .

ووجه عدم المنافاة كما قاله المحب الطبرى وغيره من العلماء انه

صلى الله عليه وسلم لا يملك لاحد شيئا نفعا ولا ضرا ، لكن الله عز وجل يملكه نفع اقاربه بل وجميع امته بالشفاعة العامة والخاصة ، فهو لا يملك الا ما يملكه له مولاه كما اشار اليه بقوله : غير ان لكم رحما سابلها ببلالها . وكذا قوله لا أغنى عنكم من الله شيئا أى بمجرد نفسى من غير ما يكرمنى به الله من نحو شفاعة او مغفرة . وخاطبهم بذلك رعاية لمقـــام التخويف والحث على العمل ، والحرص على أن يكونوا أولى الناس حظا فى تقوى الله وخشيته ، ثم أومأ الى حق رحمه ، اشارة الى ادخال نوع طمانينـــة عليهـــم .

وروى الامام مسلم فى صحيحه : ان الله لا ينظر الى صوركم وأموالكم، ولكن ينظر الى قلوبكم وأعمالكم . وروى الامام احمد ان أنسابكم هذه ليست بمسبة على أحد ، كلكم بنو آدم ليس لاحد على أحد فضل الا بدين أو تقوى.

ولابن لال والعسكرى : الناس كلهم كأسنان المشط وانما يتفاضلون بالعافية . اى كلهم متساوون فى الصور ، وانما يتفاوتون بالاعمال ، فلا تصحبن احدا لا يرى لك مثل ما ترى له . ولابى يعلى وغيره : كرم المومن دينه ، ومروءته عقله ، وحسبه خلقه . وقال عمر : رضى الله عنه للمفتخر بآبائه القائل : أنا بن بطحاء مكة كدئها وكدائها ـــ قال : ان يكن لك ديـــن فلك كـــرم ، وان يكن لك عقل فلك مروءة ، وان يكن لك مال فلك شرف ، والا فأنت والحمار سواء .

علامـــة تميـــز الاشراف مـــن غيرهـــم

قد تكون تلك العلامة حسية جلية طبيعية يمتاز بها الشريف من غيره وهى لا تكاد تخفى على احد ، فهى معروفة من طرف الخاص والعام ، وقد تكون معنوية ، وتدرك كذلك بالاحساس الباطنى ، ومن ثم كان جلاؤها غير خاف على أحد ، فيحكم العقل السليم على أن صاحب هذه الاخلاق او الخلال الحميدة لا يكون الا شريفا اصيلا ، والامثلة الموجودة على ذلك شاهدة فى كل مكان حل به الاشراف المعروفون ، وقد حاول الخليفة المامون (7)الخلفاء العباسيين ان يتخذ شعارا للفاطميين، وخصه بلباس الثوب الاخضر، لان شعار العباسيين كان لباس الاسود ، ومن حسن سياسته انه اراد ان يرد الخلافة الى بيت على ، فقام عليه ابناء عمه وحاربوه ، فلما راى الامر سيفضى الى ما لا تحمد عواقبه ، رجع الى شعاره الاول السواد ، بعد ان كان استبدله بالشعار الاخضر الذى اختاره شعارا للعلويين ، وبقى

اللون الاخضر شعارا للفاطميين من العلويين وحدهم ، لكنهم حولوه عن اللباس الى قطع خضر توضع فوق العمائم واستمر ذلك الى آخر القرن الثامن، وفى سنة 773 هجرية امر السلطان الاشرف شعبان بن الناصر محمد بن قلاوون التركى أن يمتازوا على الناس بعصائب خضر تجديدا لامر الخليفة المامون ، وامر بذلك فى كل بلد يقيم بها الاشراف المذكورون ، كمصر والشام ، والحجاز ، من البلدان التى كانت خاضعة لنفوذهم ، وقال فى ذلك الاديب : محمد بن ابراهيم بن بركة الدمشقى المزنى :

اطراف تيجان أتت من سندس خضر بأعلام على الاشراف
والاشرف السلطان خصهم بها شرفا ليعرفهم من الاطراف

وقد انتقد ذلك الشاعر الاديب ، الاندلسى الاعمى المعروف بابن جابر نزيل حلب بقوله :

جعلوا لابناء الرسول علامة ان العلامة شأن من لم يشهر
نور النبوة فى كريم وجوههم يغنى الشريف عن الطراز الاخضر

قال بعض العلماء من السلف الصالح رحمه الله ، ولم تزل انساب اهل البيت التى اليها ينتمون ، وبها يتميزون على تطاول الايام مضبوطة ومن صيانة كل خلل محوطة ، على تداول الايام والاعوام ، وفى كل زمن يقيد الله لهم من يقوم بتصحيح نسبهم ، وضبط اتصالاتهم من علماء الامة ، ومن يعنى بتبريز عموم العدالة فيهم ، فى كل عصر من النسابين والمؤرخين نقل الخلف عن السلف ، سيما من ظهرت بركة الدعوة فيهم من نسل البتول رضى الله عنها ومن اشرقت انوارهم على آفاق الوجود من بنى السبطين على الشمول لا يمترون فيمن حاز منهم نسبة الشرف المنبعث من تلك المعنى الكامن فى اصولهم تراه يظهر فى وجوههم وسمة لائحة ، ونفحات طيب عرفهم فائحة وفى ذلك قيل :

ومن يقل للمسك اين الشذا كذبه فى الحال من شمه

وذلك المعنى الذى هو كامن فيهم يظهر شعاعه فى جميع احوالهم ، ومن ثم كان صعب الحصر والتفسير ، وذلك المعنى ينتقل بالوراثة فى ذرية فاطمة خاصة ، وقد ظهر لاول مرة فى الحسنين رضى الله عنهما ، ولذلك كانت تختلف تفسيرات الناس من اهل عصرهم فيه ، وكان مبغضوهم يفسرونه بالتيه ، فواجه بعضهم الامام الحسن رضى الله عنه فى محاورة جرت بينهما فقال الوقح للامام الحسن : ان بك لتيها ، فقال الامام ليس

ذاك بنيه ؛ انما هو نور ورثناه من مقام النبوة ، فلم يقتنع ، فرد عليه مجادلا ، ما ارى ذلك الا تيها ، فغضب الامام وقال مرتجلا :

لنـــا الفضل فى الدنيـــا وأنفك راغم ونحـــن لكم يـــوم القيامة أفضل

ونحن اذ نستحسن تفسير الامام الحسن له رضى الله عنه لكثرة ما نشاهده عنهم فى مختلف أحوالهم من مجتمعنا بما فيه ابناؤنا نرى من خلال ذلك ما يصح التعبير عنه بما يطلق عليه « نشوة الشرف » وتلك النشوة يبتدىء ظهورها فى الطفل من ثلاث أو اربع سنوات ، ولبا تفسيرات شتى ؛ لا يمكن لاحد كائنا من كان ان يحصرها فى زاوية خاصة لكثرة تشعب معناها؛ فكان ذلك تحقيقا شبيها بشعاع الشمس الوهاج الذى لا تنحصر اطرافه ؛ أو هو كموج البحر فى الحركة والكثرة على الدوام ، ومن الذى فى وسعه ان يحصر شعاع الشمس او حركة موج البحر ، وكأننا سناخذ جانبا من هذا التفسير ، من أحوال الامام على رضى الله عنه اذ قيل للامام الشافعى فيه : كان الناس يفرون من الامام على لما يلاحظون عليه من اللامبالات فقال : ان عليا كان زاهدا ، والزاهد لا يبالى بالدنيا واهلها وكان عالما والعالم لا يبالى بأحد ، وكان شجاعا ، والشجاع لا يبالى بأحد ، وكان شريفا والشريف لا يبالى بأحد ، فكانت هذه هى بعض ملاحظاتهم عليـــه رضى الله عنه رغم ما هو عليه من النبل ، والذكاء والفطنة ، وما اوتيه من غزارة عقل ورجاحة حلم وحكمة وسعة علم ؛ واما ما وهب له من القوة والمنعة فحدث ولا حرج ، فهو بحر زاخر تجمعت فيه جميع معانى الخير والفضل : ذلك فضل الله يوتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم » وتاريخ الامام على فى حياة رسول الله صلى الله عليه وسلم شاهد صدق على ذلك ، وكذلك مواقفه فى حياة الخلفاء الثلاثة قبله ، وكذلك المواقف التى وقفها لما عهد اليه بخلافة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فانه كالذين تقدموه ابلى فيها بلاء حسنا ، مما يحتم على أن اقول بحق ، ان ذلك لامر يبعث على الدهشة والعجب من رجل مثل امير المومنين على الجامع لاوصاف الفضل بعد الخلفاء الثلاثة ، ولن يكون هناك فى الصحابة مـــن يساويه أو يدانيه فيها ، كيف لا يستقيم له الامر ، ولا تجتمع له كلمة الامة ، وكلهم معترف بفضله وكفاءته . ! انظر الى هذه الشمائل التى كـــانت تؤثر على امير المومنين على كرم الله وجهه ، وكان الناس يلاحظون عليه انه ينفعل لها ، وتاخذ من عزمه وشدته واخلاقه وصفاته الجامعة ، هب انها اجتمعت بأخلاق النبوة المنحدرة من طريق فاطمة الزهراء ، دون بقية

اخواتها اللاتى كن تحت الغير ، وظهرت تلك الوراثة النبوية جلية فى الحسنين رضى الله عنهما ، فأكدها النبى صلى الله عليه وسلم بالنص الصريح ، بأنهما ابناه مباشرة ، وبدون واسطة ، ومن ثم لا يشك احد فى ان هذه الوراثة حقيقة محضة قد ظهرت معالمها كاملة . وغير ناقصة فى ذرية الحسنين ، من فاطمة الزهراء رضى الله عنها فجاءت منها بثمرات أولائك الاقطاب المشاهير من العارفين بالله ، فامتلا بهم المشرق والمغرب ، من بلاد ما وراء نهر جيحون الى أندونسيا الى افريقيا من دول المحيط الاطلسى، الى غرب أوربا ، فكل هذه البلاد لا تخلو من ذرية فاطمة الزهراء فى القديم والحديث ، وكل ذلك ببركة ذلك المعنى الموروث عن السر النبوى الشريف الذى انعكس شعاعه على ذرية على من فاطمة الزهراء رضى الله عنها . فتراه جليا تارة على ظاهر محياهم ، وتارة يكون كامنا ويتولى الكشف عنه روح المومن النقى وتارة يظهر سر ذلك المعنى فى ذكاء فائق . يهيىء صاحبه لعبقرية نادرة ، وتارة يظهر فى ناحية أخرى من الاخلاق كالشجاعة والكرم ، فتهيآن صاحبهما لان يكون عبقريا فى ميدان التضحية والبذل النفسانى ، وتارة يظهر فى ناحية أخرى من البذل والعطاء حتى تهيئان صاحبهما لان يكون حاتم زمانه ، وتارة يظهر فى حب الله ورسوله والعمل بطاعته ، فسرعان ما يتحقق له الوصول ، ويصبح من أكابر العارفين بالله ، ولا عجب فيما اذا انعكس الامر ، ورأينا ذلك المعنى ظاهرا فى الطغيان والجبروت ، وقد تجتمع بعض تلك المعانى فى اشخاص وتنفرد فى آخرين ، ولا يخلو شريف أصيل من شيء من ذلك المعنى اصلا ولو انحط قدره عن المكانة الاجتماعية فيما يظهر للعيان ، فان أصله من ذلك المعنى الموروث سوف يحتفظ له بالخير ويرفعه الى أسمى درجات الفضل والتقى وتلك سنة الله مع أوليائه وأحبائه . وتارة يطغى ذلك المعنى فياخذ صاحبه من طريق الجذب ويخرجه من صفوف العقلاء ، فيرتفع عنه التكليف ، وينقطع عن عالم الاحساس فيهيم ، ومن اجل هذا فانه يصعب علينا أن نفسر مستقبل أولادنا فى الغالب لما نراهم عليه من غلبة « تلك النشوة الشرفية » عليهم ، لانه لا يستطيع احد أن يعرف الى اين يتجه ذلك المعنى الكامل الوراثى مع مستقبل الايام ، ويشترك فى ذلك المعنى بالطبع الذكور والاناث على السواء ، ويزداد ذلك المعنى الوراثى فى الذرية بالتزوج ببنات العم أكثر من التزوج بغيرهن فى الغالب ، وتارة يبرز كأنه فتور وفراغ فكرى يفقد صاحبه توازنه الفكرى والعقلى ، واذا لازمه طويلا ولم يتغير مع المستقبل كان أكبر عائق له عن بلوغ اسمى الغايات التى يرغب فيها

الراغبون ، ويتنافس فيها المتنافسون . وهو نوع من تلك « النشوة الشرفية »
وتظل هذه ميزة لهم وراثية معروفة عند كل احد حيثما كانوا الى الابد .
وكل من ادعى دعوتهم ودخل فى صفوفهم حتى عد منهم فانه لا يحظى
بهذه الوراثة بل تصحبه وراثته الاصلية حتى يظل متميزا بها ومعروفا عند
كل احد ، لما بين الوراثتين من البون الشاسع ، ولا يمكن أن يحظى بميزتهم
النبيلة ما بقى الميراث ، ولهذا سيبقى منعزلا عنهم حتى لا يخفى على احد
بأنه لا نسب له لانه فاقد لوراثتهم فلم يحظ بحظوتهم من « النشوة الشرفية »
فهى الاصل لمن كان نسله من نسب الحسنين ظاهرا أو باطنا وقد تكثر
تلك النشوة فى بعض العائلات كثرة فاحشة تفقد صاحبها التوازن الفكرى
والعقلى حتى يصبح فى عداد الانعام ، فلم يبق له الا رسم بنى آدم ، فحينئذ
يكون صاحبها جديرا أكبر من غيره بعطف غيره عليه ، والتودد الفعلى
اليه ، لقوله تعالى : قل لا أسألكم عليه أجرا الا المودة فى القربى » والمودة
الرحمة ، والرحمة تقتضى التفضل والانعام الفعلى . ولن يغيب عنا ان
هناك مرضا نفسانيا عضالا لا ينجو منه الا من له قلب سليم ، وهو داء
الحسد ، وان هناك قلوبا تحترق غيظا وحسدا من طرف من هم مرضى
النفوس على تلك النعمة التى هى منحة الاهية لا توجد فى الاسواق
معروضة للبيع ، حتى يشتريها أولائك الذين تطاولت اعناقهم اليها ، وانى
لهم بها ، فتظل صدورهم موغرة على الدوام ومن ثم تنبعث نار الحاسد
عن شهوته الانتقامية ، فيبيد شره كل ما وجدته على وجه الارض من
الحرث والنسل ، وكل المعاداة التى بين البشر فان لها أصلا واحدا وهو
داء الحسد وشروره وافساده ، ولخطره العظيم أمر الله سبحانه وتعالى :
بالتعوذ منه فقال : ومن شر حاسد اذا حسد » ولهذا والله أعلم طلب الله
سبحانه وتعالى : من امة نبيه أن يودوا قرابة النبى صلى الله عليه وسلم
حتى لا يذهبوا ضحية الحسد وهم لا يشعرون ، ولهذا فاننا نعانى من
جيران السوء مرارة تنغص الحياة وتتعطل معها اسباب كل خير ، : فانا
لله وانا اليه راجعون » ومن تتبع تاريخ اهل البيت وما نزل بهم فى كل
زمان ومكان من الكوارث العظمى علم ان وصاية القرآن بهم ظلت من
طرف الامة الاسلامية حبرا على ورق الا فى فترات قليلة من الزمن قد لا
تدخل فى حساب ، فقدمت طاعة الهوى والنفس الامارة وارضت شيطانى
الجن والانس ، وما علينا الا ان نرد الامر فى ذلك كله الى الله سبحانه ،
ولا حول ولا قوة الا به ، اليه المصير ، وبيده ملكوت كل شىء ، وهو
على كل شىء قدير لا رب سواه .

افترق أهل العلم فى أهل البيت على ثلاث فــرق

الفرقة الاولى هى التى تحب اهل البيت بلا جدال ، وتعتقدان هذا الحب حق لهم على غيرهم ، ولا يكمل ايمان المسلم الا به ، امتثالا لقوله صلى الله عليه وسلم والله لا يدخل قلب رجل الايمان حتى يحبكم للــه ولقرابتكم منى . وهى الفرقة الموفقة وقليل ما هم ، وعلى رأسهم الايمة المجتهدون كما تقدم الكلام على معاملتهم نحوهم ، وقال الامام الشافعى فيهم معربا ومعبرا عن حبه لهم : « انا من شيعة اهل البيت حتى قيل كيت وكيت » . وأما غيره فكل واحد قدم من التضحيات فى سبيلهم ما يدل على حبهم وتقديرهم لاهل البيت الشريف رضى الله عنهم وأرضاهم .

والفرقة الثانية ادعت لنفسها النسب الشريف ، ووضعت نفسها بين أهله وتخلصت من عبء الحب لاهله ، فهى لا ترى لاحد منهم فضلا يزيد على فضلها وشرفا زائدا على شرفها ، وقد تقدم الكلام على من ادعى لنفسه النسب الشريف وليس من اهله ، فراجعه تجده مقرونا بأدلته .

والفرقة الثالثة هم المتنصلون المتأولون الذين أولوا الآيات والاحاديث الواردة فى حب اهل البيت ومودتهم ، فمثلا قالوا فى آية : قل لا اسألكم عليه اجرا الا المودة فى القربى » هذه الآية لا شاهد فيها لحب اهل البيت ومودتهم، ولو كان ذلك لكان من جنس الاجر على تبليغ الرسالة ، وكان آخر الآية يناقض أولها ، فانتفى بذلك دلالتها على حبهم ومودتهم وموالاتهم ، وكمــا اولوا الاحاديث الواردة فى حبهم بأحد الامرين ، اما ان يتهموه بأنه مــن مختلقات الشيعة وهذا النوع محكوم عليه بالوضع طبعا فلم يدخل فيما يسمى بالحديث وفى معناه الحديث الضعيف عندهم فلا تقوم به حجة لهم ، فلا يلزمهم اعتباره والعمل بمقتضاه ، غاضين بصرهم عما ذهب اليــه العلماء فى شأن الحديث الضعيف من انه يعمل بمقتضاه فى المناقب وفضائل الاعمال بشروط خمسة (1) ان يعتقد صدوره من النبى صلى الله عليه وسلم ، (2) ان يكون له اصل يعضده بان يكون مندرجا تحت أصل عام ، و (3) ان لا يشتد ضعفه حتى يلحق بالموضوعات ، و (4) ان لا يعارضه خاص ، و (5) يعمل به فى المناقب وفضائل الاعمال . وحب أهل البيت منقبة عظيمة ، والحديث الضعيف صالح للدلالة عليها والامر الثانى اذا ورد عليهم حديث صحيح مسلم ، قالوا خبر الآحاد ، ولا يلزم العمل به ، والحديث الذى تقوم به الحجة هو المتواتر ، وبهذه التاويلات تنصلوا من موالات اهل البيت ، فسلبهم الله حلاوة الايمان ، فأصبحوا فى تاويلاتهم

كعلماء بنى اسرائيل ، الم يوخذ عليهم ميثاق الكتاب ان لا يقولوا على الله الا الحق » وقد ذهب العلماء المجتهدون الى ان حب آل البيت من فضائل الاعمال ، بل يتجاوزها الى حدود الواجب كما يوخذ ذلك من صريح كثير من الاحاديث ، وقال غلاة المتنصلين : اذا كان حب آل البيت أمرا مشروعا لهم ، فهو عبادة لهم مثل عبادة الوثنية ، والقرآن يحرم عبادة غير الله ، فلا يستحق احد منهم فى زعمه حقا على غيره ، ويجعل الحى والميت من اهل البيت فى ذلك سواء ، سيما وهم يشددون فى النكير علـــى الاولياء الاموات من اهل البيت وغيرهم ، ويصورون ذلك للسذج من العامة ان زيارة الاولياء مثل عبادة الوثنية ، ملبسين عليهم فى ذلك ، ولا يفرقـــون لهم بين الزيارة الشرعية والبدعية ، وحجتهم فى ذلك يقيمونها لهم مـــن أنفسهم هو انهم يقاطعون زيارة كل ولى لله ، مع المبالغة فى التنفير مـــن زيارته ، وسياتى الكلام على زيارة القبور سواء كانت للاولياء او لعامـــة المسلمين ، خلافا لغلاة المتنصلين . والحق الذى لا مراء فيه ان هذا النوع من العلماء يسيرون وراء هواهم ولا يشعرون بضلالهم لانهم آمنوا مكر الله وغدر الشيطان بهم ، : ولا يامن مكر الله الا القوم الخاسرون » ولذلك تراهم يتكلفون حمل الشريعة على ما يوافق هواهم الذى هـــو الاههم الحقيقى ، ولذلك لا تراهم يتهمون أنفسهم بالضلال عن سبيل الحق ، فهم عن الوقوع فى الضلال آمنون ، وعن زيغ الشيطان بهم مطمئنون ، وقد ذكر الله فى القرآن هذا النوع من هؤلاء العلماء فقال : أفرايت مـــن اتخذ الاهه هواه واضله الله على علم وختم على سمعه وقلبه وجعل على بصره غشاوة فمن يهديه من بعد الله » اللهم وفقنا واياهم لاتباع الحق واهدنا اليه ، وان بعضهم يعتمد على ما كتبه الامام أحمد بن تيمية ، ولكنه يختار منه ما يوافق هواه ، ويسكت على ما سواه .

يقول قائد الثورة العقائدية ، شيخ الاسلام الامام تقى الدين احمد ابن تيمية رحمه الله فى كتابه المسمى « قاعدة جليلة فى التوسل والوسيلة » ما نصه : تحت رقم 25 ما يفند مزاعم هذه الفرقة المضلة المتنصلة ، « ولهذا كانت زيارة قبور المسلمين على وجهين : زيارة شرعية ، وزيارة بدعية ، فالزيارة الشرعية أن يكون مقصود الزائر الدعاء للميت ، كمـــا يقصد بالصلاة على جنازته الدعاء له ، فالقيام على قبره من جنس الصلاة عليه ، ومعنى القيام الاقامة ، عند القبر للدعاء للميت سواء كان القائم جالسا او مضطجعا ، فالتعبير بالقيام جرى مجرى الغالب والممنوع العكوف عند القبر لا بقصد الدعاء له ، فقد كان النبى صلى الله عليه وسلم يصلى

على جنائز المسلمين ، ويقف على قبورهم ، وفعل ذلك برئيس المنافقين عبد الله بن أبى بن سلول ارضاء للمنافقين رجاء توبتهم ، فنهاه الله سبحانه وتعالى أن يعود الى ذلك مع باقى المنافقين فقال : « ولا تصل علـى أحد منهم مات أبدا ولا تقم على قبره » فنهى نبيه عن الصلاة عليهم ، والقيام على قبورهم ، ثم علل الله تعالى ذلك بقوله : انهم كفروا بالله ورسوله وماتوا وهم فاسقون » أى كافرون ، فلما نهى عن هذا وهـذا لاجل هذه العلة وهى الكفر دل ذلك على انتفاء هذا النهى عند انتفاء هذه العلة — وهى الكفر فالنهى خاص بالكفر — ودل تخصيصهم بالنهى على ان غيرهم مـن المسلمين يصلى عليه ويقام على قبره . اذ لو كان هذا غير مشروع فى حق احد لم يخصوا اى المنافقون بالنهى المعلل بكفرهم ، ولهذا كانت الصـلاة على الموتى من المومنين والقيام على قبورهم من السنة المتواترة ، فكان ذلك تشريعا لامته صلى الله عليه وسلم ، وكان اذا دفن الرجل من امته ، يقوم على قبره ويقول : سلوا له التثبيت فانه الآن يسئل . ومن هنا يوخذ ما يقرا عند حشر الميت من قولهم : وهو ما رواه ابو داود ، اللهم ان صاحبنا قد نزل بك وخلف الدنيا وراء ظهره وافتقر الى ما عندك ، اللهم ثبت عند المسألة منطقه ولا تبتله فى قبره بما لا طاقة له به والحقه بنبينا عليه السلام . رواه أبو داود وغيره وكان صلى الله عليه وسلم يزور أهل البقيع بالمدينة ، وشهـداء أحـد .

ذكر ابن هشام فى سيرته رقم 624 عن محمد بن اسحاق ان رسول الله صلى الله عليه وسلم ذهب فى جوف الليل مع مولاه أبى مويهبة الى بقيع الغرقد مقبرة المدينة فلما وقف بين اظهرهم قال : السلام عليكم يا أهل المقابر ، ليهنأ لكم ما اصبحتم فيه مما اصبح الناس فيه ، اصبحت الفتن كقطع الليل المظلم يتبع آخرها اولها ، الآخرة اشر من الاولى ، قال أبو مويهبة : ثم اقبل على فقال : يا ابا مويهبة ، انى أوتيت مفاتيح خزائن الدنيا والخلد فيها ثم الجنة ، فخيرت بين ذلك ، وبين لقاء ربى والجنة ، قال : فقلت بأبى انت وأمى فخذ مفاتيح خزائن الدنيا والخلد فيها ثم الجنة ، قال : لا ، والله يا ابا مويهبة ، لقد اخترت لقاء ربى والجنة ، ثم استغفر لاهل البقيع ثم انصرف ، فكان وجعه الذى قبض فيه ه وكان يعلم اصحابه اذا زاروا القبور ان يقول احدهم : السلام عليكم اهل الديار من المومنـين والمسلمين ، وانا ان شاء الله تعالى بكم لاحقون ، ويرحم الله منا ومنكم المستقدمين والمستأخرين ، نسأل الله لنا ولكم العافية اللهم لا تحرمنـا

أجرهم ولا تفتنا بعدهم ﻫ وفى صحيح مسلم عن أبى هريرة رضى الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج الى المقبرة فقال : السلام عليكم دار قوم مومنين ، وانا ان شاء الله بكم لاحقون . والاحاديث فى ذلك صحيحة معروفة ، فهذه الزيارة لقبور المومنين مقصودها الدعاء لهم ، وهذه غير الزيارة المشتركة اى بين المسلم والكافر ، وهى الزيارة التى تذكر بالموت التى تجوز فى قبور الكفار كما ثبت فى صحيح مسلم ، وأبى داود ، والنسائى وابن ماجة ، عن أبى هريرة انه قال : أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم قبر أمه فبكى . وبكى من حوله ثم قال : استأذنت ربى فى أن أستغفر لها فلم ياذن لى فاستأذنته أن أزور قبرها فأذن لى . فزوروا القبور فانها تذكركم الآخرة ﻫ .

فهذه الزيارة التى تنفع فى تذكير الموت تشرع ولو كان المقبور كافرا بخلاف الزيارة التى يقصد بها الدعاء للميت . فتلك لا تشرع الا فى حق المومنين انتهى قول الامام ابن تيمية رحمه الله ، تأمل كلامه وما يشيعه عنه أولائك الدعاة الفششة الذين ياخذون من كلامه ما يوافق أهواءهم . ويتركون ما سواه ، مع مقاطعتهم لزيارة أولياء الله من المسلمين والدعاء لهم ، وتبيين ذلك للعامة كما يقوله الامام ، فذلك كله حجة على كذبهم عليه . وشاهد صدق عليهم بأن الاهم الذى يدعون اليه هواهم كما قال الله فيهم : وأما كلام الامام رحمه الله فهو ما رأيته ووقفت على نصه ، فهو برىء من أقوالهم وأفعالهم المكذوبة عليه ، وسيحاسبهم عند الله على ما ينسبونه اليه مما هو برىء منه . ويشددون فى النكير على من يزور اولياء الله من غير أن يبينوا للناس ما هو الوجه المشروع من غيره فى زيارة أولياء الله وغيرهم من المسلمين ، بل لبسوا عليهم فى ذلك وكرهوا لهم كل من يتردد الى زيارة مقابر المسلمين . وصوروهم لهم بأنهم عباد أوثان ، وحرموهم من أجر سنة صحيحة متواترة عن النبى صلى الله عليه وسلم كما تقدم عن الامام رحمه الله .

وبعد ان اتممت الكلام على الجناح الاول من السبطين من أهل المشرق وما يتبع ذلك مما هو ضرورى الذكر فى هذا المبحث الرقيق ، اتبعته بالبحث فى الكلام على الجناح الثانى من أهل المغرب مبتدئا ذلك ببيت الحسن المثنى بن الحسن السبط بن على وفاطمة الزهراء رضى الله عنهم فأقول : أكرم بيت يتشرف به النسب فى بلاد المغرب هو :

بيـــت الحســـن المثنـــى

فهو الحسن المثنى بن الحسن السبط دفين ينبوع النخيل بين المزرعة وذى هجر ؛ يشتمل بيته على ما ياتى من الاولاد الذكور ٠

1 ـــ عبد الله الملقب بالمحض لمحض شبهه بالنبى صلى الله عليه وسلم ؛ والكامل لكمال نسبه من جهتى أبيه وأمه ؛ لان أمه فاطمة بنت الحسين ؛ ومن اجل ذلك كان يقول أنا أقرب الناس الى رسول الله صلى الله عليه وسلم كأنه ولدنى مرتين ٠ و (2) الحسن ؛ وهو المعروف بالحسن المثلث ؛ و (3) ابراهيم وأمهم فاطمة بنت الحسين شهيد كربلاء رضى الله عنه ؛ و (4) جعفر ؛ و (5) داود أمهما أم ولد ٠ و (6) محمد أمه بنت سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل ٠

بيـــت عبـــد اللـــه الكامـــل

فهو عبد الله الكامل بن الحسن المثنى مات فى سجن المنصور ودفن ببغداد وبيته يشتمل على ما ياتى من الاولاد الذكور ؛ 1 ـــ محمد وهو الملقب بالنفس الزكية لقب به لدينه وفضله وأخلاقه ؛ 2 ـــ ابراهيم ؛ 3 ـــ ادريس ؛ 4 ـــ موسى وهو الملقب بالجون ؛ وكلمة الجون من اسماء الاضداد تستعمل فى البياض والسواد ؛ واستعملت هنا فى السواد ؛ لما كان غالبا على أديمه من الدهمة التى تميل الى السواد ؛ 5 ـــ عيسى أمه عاتكة بنت عبد الملك بن الحارث المخزومى ؛ 6 ـــ يحيى أمه ركيم بنت ابى عبيدة بن عبد الله بن زمعة ٠ وناسب أن أذكر هنا نسب القطب الربانى مولانا عبد القادر الجيلانى ؛ دفين بغداد ؛ فهو رحمه الله الشيخ مولانا عبد القادر الجيلانى المتوفى سنة 561 هجرية ابن موسى بن عبد الله بن يحيى بن محمد بن داود بن موسى الثانى بن عبد الله الرضى بن موسى الجون بن مولانا عبد الله الكامل ٠

بيت عبد الله الكامل ورأى الامـــة فى الخلافة

كان البيت الكاملى يرى الحق لنفسه فى الخلافة الاسلامية وانـــه اولى بها من كل احد من اهل البيت ؛ وعليه راى أكثر الامة الاسلامية ؛ ومن اجل ذلك ابهم الدعوة بنو عمهم ابناء العباس فى كلمة اهل البيت ؛ وكانت تفسر سرا بالبيت العباسى ؛ وظاهرا بالبيت العلوى ؛ وكان جمهور الامة الاسلامية يختار رجوعها للبيت العلوى ؛ وكان يتزعم هذا الراى

محمد بن عبد الله الكامل ، الملقب بالنفس الزكية ، وكان يتزعم الدعوة السرية من البيت العباسى محمد بن على بن عبد الله بن عباس ، وكان ابتداء الدعوة سنة 117 هجرية ، فى خلافة عمر بن عبد العزيز ، الاموى الى أن ظهرت وتمكنت من يد بنى العباس سنة 132 هجرية ، وكان رأى الامصار الاسلامية بالاجماع ان المرشح الوحيد لها فى نظرهم ، هو محمد ابن عبد الله الكامل « النفس الزكية » بعد خروجها من بيت بنى أمية . وكان بنو هاشم انتخبوه للخلافة ، وبايعوه بها سرا فى أواخر عهد بنى أمية ، وكان ممن بايعه منهم أبو جعفر المنصور . بينما هو وانصاره يعدون العدة للخروج على بنى أمية ، اذ فاجأهم أبناء عمهم أهل البيت العباسى بالاسبقية للخروج على بنى أمية لانهم كانوا يعملون فى الخفاء بواسطة مواليهم بخراسان ، وكان دعاتهم هناك قد أتقنوا لهم الدعوة السرية فى الخفاء . وعلى رأسهم أبو مسلم الخراسانى . وكان فى الخبرة الحربية يعادل ما يسميه أهل هذا العصر بالجنرال ، ولخمس بقين من رمضان سنة 129 هجرية نزل أبو مسلم قرية من قرى مرو ، يقال لها « سفيدنج » وبث دعاته فى الناس ليجتمعوا اليه فاجتمع اليه خلق لا يحصون عددا ، ثم عقد لواءين : أحدهما يسمى الظل ، والآخر يسمى السحاب ، وكان طول الاول 7 أذرع ، والثانى 6 أذرع وأمر بلبس السواد ، وكان شعارهم قول الله تعالى : أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا وان الله على نصرهم لقدير » وقد ساعد العباسيين على انتظام الدعوة وانبعاثها مركزهم « بالحميمة » وكانت اقامة محمد بن على بن عبد الله بن عباس بها سببا فى انتظام المواصلات وكتم سرها ، كما اختاروا بلاد خراسان لتكون مشرقا لدعوتهم ، فتم لهم ما أرادوا بحول الله وقوته .

وأما أهل الكوفة وهم شيعة على بن أبى طالب ، فقد حاولوا الاخذ بثار الحسين السبط شهيد كربلاء ، بحفيده زيد بن على بن الحسين ، وزينوا له الخروج على الامويين فى زمن هشام بن عبد الملك وكانت مدته 19 سنة ، وكان يعد من خيار خلفاء بنى أمية ، وفى سنة 120 هجرية خرجوا على هشام ، وجاهدوا مع زيد حتى سقط شهيدا وصلب جسده بباب الكناسة من ابواب الكوفة وصلب راسه بباب دمشق ، ولم يلبث ابنه يحيى بعده الا قليلا حتى خرج بعد أبيه فكان مصيره مصير ابيه فى القتل والتصليب ، وهذه ثلاث ضحايا من البيت العلوى سقطت فى عهد الامويين ، لان شوكتهم فى هذا العهد كانت لا زالت عزيزة الجانب ، ولم يحن الوقت

للتغلب عليها ، والى زيد هذا تنسب الشيعة الزيدية وبهذا انتهى أمر بنى الحسين ولم يقم بعد منهم أحد .

ثم بلغ الوقت لان تفتضح دعوة بنى العباس ، وكان افتضاحها بكتاب من ابراهيم بن محمد بن على المذكور ، وقع فى يد مروان بن محمد الى أبى مسلم الخراسانى داعية اهل البيت العباسى يامره فيه بقتل كل من يتكلم اللغة العربية بخراسان فأرسل مروان الى عامله بدمشق أن يلقى القبض على ابراهيم بن محمد بن على فسلم ابراهيم نفسه ، واوصى الى اخيه أبى العباس السفاح ، وأمر اهله بالسير الى الكوفة ، والسمع والطاعة لابى العباس ، فسجن « بحران » ولم يزل فى السجن حتى مات به ، وسبب موته مجهول ، وأما اهله فقدموا الكوفة فى صفر سنة 132 هجرية ، وكان رئيسها أبو سلمة الخلال ، الذى كان يعرف فى ذلك الوقت بوزير آل محمد ، فأنزلهم فى احدى دور الكوفة وكتم امرهم عن سائر القواد 40 ليلة وكان لا يزال فى معسكره بحمام اعين خارج الكوفة ، ويقال انه لما سبر احوالهم عزم على العدول عنهم الى بنى على ابن أبى طالب ، فكتب الى ثلاثة من اعيانهم : 1 ــ جعفر الصادق بن محمد الباقر من ذرية الحسين ، و 2 ــ عبد الله الكامل من ذرية الحسن المثنى ، و 3 ــ عمر الاشرف بن على زين العابدين بن الحسين ايضا ، شهيد كربلاء وأرسل الكتاب مع رجل من مواليهم ، وقال له : اقصد أولا جعفر الصادق ، فان اجاب فابطل الكتابين الآخرين ، فان لم يجب فارفع الكتاب الى عبد الله الكامل ، فان أجاب فابطل كتاب عمر الاشرف ، وان لم يجب فألق الكتاب الى عمر الاشرف ، أما جعفر الصادق فانه قال : مالى ولابى سلمة وهو شيعى لغيرى ، فأحرق الكتاب على السراج وقال : للرسول هذا هو الجواب ، أما عبد الله الكامل الملقب بالمحض ، فانه قرأ الكتاب وقبله ، وركب فى الحال الى جعفر الصادق يستشيره فى الامر ، وقال له : هذا كتاب أبى سلمة يدعونى فيه للخلافة ، وقد وصل الى على يد بعض شيعتنا من أهل خراسان ، فقال له جعفر : ومتى كان اهل خراسان شيعتك ؟ انت وجهت اليهم أبا سلمة ؟ هل تعرف أحدا منهم باسمه أو صورته ؟ فكيف يكونون شيعتك وانت لا تعرفهم وهم لا يعرفونك ؟ فقال عبد الله الكامل : كأن هذا الكلام منك لشىء ؟ قال جعفر : قد علم الله انى أوجب النصح على نفسى لكل مسلم ، فكيف ادخره عنك ؟ فلا تمن نفسك الاباطيل ، فان هذه الدولة ستتم لهؤلاء ، وقد جاءنى مثل الكتاب الذى جاءك ، ثم انصرف عبد الله الكامل غير راض ، وأما

عمر بن على زين العابدين فانه رد الكتاب وقال : انا لا أعرف صاحبه فأجيبه ، فلما أحس بعض القواد بأمر ابى سلمة أحبطوا ما أراده ، فذهبوا الى الكوفة وقابلوا أبا العباس السفاح ، وسلموا عليه بالخلافة ، ودخل بعدهم ابو سلمة ففعل كما فعلوا ووصله الخبر بما فعل ابو سلمة فأوجد فى نفسه عليه . ولما تم له الامر بالبيعة التى اخذها من القواد ابو العباس السفاح نفسه خرج لاول مرة فصلى الجمعة بالكوفة فى 13 ربيع الاول سنة 130 هجرية ، وكان بين عقد أبى مسلم لالويتى الخلافة الظل ، والسحاب ، وخروج أبى العباس للصلاة 5 أشهر و 8 أيام . وقد ذكر فى خطبته بعد أن حمد الله وأثنى عليه ، وافتخر بقرابته من رسول الله صلى الله عليه وسلم وأثنى على الخلفاء الرشدين ونعى على بنى حرب ، وبنى مروان اثرتهم وظلمهم ثم قال : وانى لارجو ان لا ياتيكم الجور من حيث أتاكم الخير . ولا الفساد من حيث أتاكم الصلاح . وما توفيقنا أهل البيت الا بالله . يا أهل الكوفة أنتم محل محبتنا ومنزل مودتنا . أنتم الذين لم تتغيروا عن ذلك ، ولم يثنكم عنه تحامل أهل الجور عليكم ، حتى أدركتم زمننا ، وأتاكم الله بدولتنا ، فأنتم أسعد الناس بنا ، وأكرمهم علينا. وقد زدتكم فى اعطياتكم مائة درهم . فاستعدوا « فأنا السفاح المبيح والثائر المنيح » وبهذه الجملة لقب بالسفاح ، كان السفاح على علم بما يفعله بنو عبد الله الكامل الذين يهيئون الخلافة لانفسهم لانهم المستحقون لها بيتا وعلما وفضلا ، فشروط القيادة الروحية كانت متوفرة لديهم بكثير الا أن الوصول اليها أصبح من الامر العسير ، وكان الاصل لديهم فى انتخاب الخليفة رضى الامة ، ومنها كان يستمد قوته ، وهذا الاصل هو الذى جعل المغترين من البيت العلوى يتطلعون اليها ، ويطمعون فيها لكثرة ما كانوا يرون من تأييد الناس لهم ، وهذا هو الذى جعل الاجلة منهم يسقطون صرعى الميدان من أجلها ولم تتحقق الا لاثنين منهم ، الاول : ادريس بن عبد الله الكامل منهم بالمغرب الاقصى لان الادارسة قد دامت دولتهم به ثلاث سنوات ، ومائتا سنة ابتدئت بتاريخ 172 هجرية ، وكان انتهاؤها بتاريخ 375 هجرية ايضا ، وكيف يكتب البقاء لهذه الدولة الفتية بين عملاقين : عملاق فى الشرق مقره ببغداد ، وعملاق فى الغرب مقره قرطبة من بلاد الاندلس ، كل منهما يريدها لنفسه تكون ملكا له من جملة املاكه ، والثانى : الحسن بن زيد بن محمد بن اسماعيل بن الحسن بن زيد بن الحسن السبط بن الامام على ، وفاطمة الزهراء بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم قد نجح السيد الحسن فى تكوين هذه الدولة الزيدية

بفضل شيعته وأنصاره ، واقتطعها من ملك بنى العباس « بطبرستان » وكانت دولته تعاصر دولة المستعين بالله العباسى بتاريخ 247 هجرية ، وكان لهم على هذه الولاية الشاسعة الاطراف ، آل طاهر ، ودخل تحت يده منها اقليم عظيم ، تحميه جبال طبرستان والديلم واستمر وجود هذه الدولة نحو قرن كامل ، ابتداء من 250 هجرية ، وانتهاء بتاريخ 355 هجرية ايضا ، ولم تطل حياة السفاح حتى توفى سنة 136 هجرية ايضا ، فكانت خلافته نحو ست سنوات ، ثم تولى الخلافة بعده أخوه ابو جعفر المنصور ، واسمه عبد الله بن محمد بن عبد الله بن عباس ، تمت بيعته فى اليوم الذى توفى فيه أخوه أبو العباس السفاح ، وكان يقابله فى الاندلس عبد الرحمن الداخل بن معاوية بن هشام بن عبد الملك ، المعروف بالسقر سنة 138 هجرية الى 172 هجرية أيضا ، ويعاصرهم فى فرنسا شارلمان 768 — 814 للميلاد ، وكانت شيعة آل البيت قد افترقت ثلاث فـــرق فرقة ترى ان امام المسلمين معين بالنص أى من طرف الخليفة الحق ، وهو على وابنه الحسن ، ولا يكون الا من ذرية فاطمة الزهراء ، وهؤلاء هم الشيعة الامامية وكانوا يرون ان مستحقها امامهم : جعفر الصادق ، وفرقة ترى ان امام المسلمين يكون من بنى فاطمة الا أنه معين بالوصف ، لا بالاسم ويرون الخروج مع كل امام دعا لنفسه من بنى فاطمة الزهراء رضى الله عنها ، متى وجدت فيه صفات الامام وهى : العلم ، والشجاعة، والورع ، وغير ذلك ، وهؤلاء هم الذين نصروا زيدا بن على زين العابدين، وابنه يحيى ، وسمو الشيعة الزيدية ، وفرقة ترى ان الامام فى أهل البيت ، ولكن من غير تقييد ببنى فاطمة الزهراء ، وهؤلاء هم الذين نصروا بنى العباس ، وكانت الفرقتان الاوليتان منتشرتين فى الآفاق فى كثير من الاقاليم الاسلامية سواء منها العربية أو العجمية ، وقد علمت ان الدعوة فى اول الامر كانت مبهمة لحاجة فى نفس يعقوب ولما عقدت الوية الخلافة لبنى العباس من طرف داعيتهم أبى مسلم الخراسانى فى مرو ، سقط فى يد العلويين ، وتفطنوا للمكيدة ، وعلموا عمق الهوة بينهم وبين بنى عمهم من بنى العباس ، فصاروا ينقمون عليهم خدعتهم هذه كما عدوهم غاصبين لحقهم ، وكما نقموا ذلك على عدوهم الاول جميعا بواسطة شيعتهـــم المتفرقين فى جميع البلدان ، ومنهم اهل الامصار كانوا متتبعين لعوراتهم متربصين للانقضاض عليهم متى رأوا الفرصة مناسبة لذلك مما ينقمـــه الناس عليهم من سياسة الظلم والطغيان التى اخذوا بها على سابقيهم بنى امية ، حتى أعانوهم عليهم ، وكان خلفاء بنى العباس يرون ويلمســـون

ان بنى فاطمة أكبر خطر يهدد دولتهم ، وان بابهم يعسر سده ، وكان يعاصرهم لهذا العهد منهم امامان عظيمان ، هما : جعفر الصادق من ذرية الحسين السبط شهيد كربلاء وثانيا : الامام محمد بن عبد الله الكامل الملقب النفس الزكية من ذرية الحسن السبط . فاما الاول فانه كانت لديه تعاليم عن أبيه محمد الباقر آمن بها بأنه لا شيء له فيها ، ولذلك لم يغوه طمع ، ولم يحرك ساكنا ، وكان يوصى شيعته وأصحابه بالركون الى السكينة ، والرضى بما تم للعباسيين لان الامر لهم ، واما الثانى فكان طمع فى الامر لما حصل عليه من بيعة بنى هاشم له أواخر عهد بنى أمية ، وكان أبو جعفر المنصور أحد مبايعيه معهم ، وهو الآن من قد علمت مكانه ، وهو من أولى الشدة والشوكة فرجع على الامام محمد وأخذ يطلب البيعة منه ، فاختفى له ، ولما تم الامر لابى جعفر المنصور حج سنة 141 هجرية، فلما كان بالمدينة حضر اليه بنو هاشم جميعا الا محمد النفس الزكية وأخاه ابراهيم ، فسأل عنهما فقال له أمير المدينة : زياد بن عبد الله الحارثى ما يهمك من أمرهما أنا آتيك بهما فضمنه اياهما وابقاه عاملا على المدينة ثم دعا بنى هاشم رجلا رجلا كلهم يخليه فيسأله عنهما فيقول يا أمير المومنين قد علم انك قد عرفته يطلب هذا الشأن قبل اليوم ، فهو يخافك على نفسه ، وهو لا يريد لك خلافا ، ولا يحب لك معصية ، وكان من بينهم حسن بن زيد بن الحسن السبط ، فانه أخبره ، وقال : والله ما آمن وثوبه عليك ، يعنى الخلافة ، فر فيه رأيك ، فأيقظ بقوله هذا من لا ينام .

محنة أبناء عبد الله الكامل وأبناء عمهم بنى الحسن

احتال أبو جعفر المنصور بجميع الوسائل حتى يعلم نية عبد الله الكامل من ابنه محمد النفس الزكية ، وما عنده من أخبار عليه فحج سنة 142 هجرية ، فدعاه وسأله عن ابنيه محمد وابراهيم ، فأنكر أن يكون عنده علم بهما ، فتيقن المنصور انه يخفى الحقيقة عليه ، فاتهمه بتواطئه معهما ، وأمر بسجنه ، ومصادرة أمواله ، ثم اتهم ابن زياد عامله على المدينة فعزله وولى بدله محمد بن خالد بن عبد الله القسرى ، وبسط يده فى النفقة فى طلبهما ، حتى انفق كثيرا من المال فى هذا السبيل ، وبحث عنهما بحثا كبيرا فى المدينة وغيرها فلم يحصل على خبرهما ، فعزله المنصور أيضا ، واشير عليه أن يولى على المدينة رجلا من آل الزبير حتى يستغل ما بين آل الزبير وآل على من العداوة ، ويجعل ذلك شائقا له فى البحث الشديد والجد فى الامر ، فلم يفد المنصور شيء من ذلك فى أمرهما ، ثم

آلى أن لا يجعل عليها الا صعلوكا من صعاليك العرب ، فولى على المدينة رياح بن عثمان بن حيان المرى فورد المدينة فى شهر رمضان سنة 144 هجرية ، وهو عازم على عسف الاعراب وظلمهم الذين يستخفون محمـــدا واخاه عندهم ، فكان اول شيء فعله ان استهان بمحمد بن خالد القسرى ، الذى كان عاملا قبله ، وعذبه هو وكاتبه ، ثم أرهق محمد بن عبد الله طلبا حتى لقى الشدائد فى طلبه ، ما كان يراها فى عهد أسلافه من ولاة المدينة ، فقال فى ذلك : « منخرق السربال يشكو الوجا » تنكبه الاطراف مرو وحـــداد .

طـــرده الخـــوف وأزرى بــه	« كذا من يكره حر الجلاد »
قد كان فى الموت له راحـــة	« والموت حتم فى رقاب العباد »

وزاد المنصور فى ارهاق محمد وأخيه ، فألقى القبض على أبناء عمهما من بنى الحسن السبط ، وكان عددهم 13 رجلا ، وحبسهم بالمدينة ، ولما علم محمد بذلك جاء الى امه هند ، وقال لها انى قد حملت عمومتى وأبى مالا طاقة لهم به ، ولقد هممت ان أضع يدى فى أيديهم ، فعسى أن يخلى عنهم ، فقالت امهل حتى اراجع اباك فى السجن ، فتنكرت ولبست أطمارا أى ثيابا بالية ، ثم جاءت السجن كهيئة رسول ، فاستاذنت فأذن لها ، فلما رآها عبد الله الكامل اثبتها فنهض اليها ، فأخبرته بما قال ابنه محمد النفس الزكية ، فقال : كلا بل نصبر ، فو الله انى لارجو أن يفتح الله به خيرا ، قولى له : فليدع الى امره ، وليجد فيه ، فان فرجنا بيد الله ، فانصرفت واستمر محمد واخوه على اختفائهما ، وبنو الحسن مساجـــن عنده ، وفى شهر ذى الحجة ، من تلك السنة حج أبو جعفـــر المنصور ، فاستقصى الامر ، فلم يجد ما يبرد غلته من جهة محمد وأخيه ابراهيم ، فأمر بحملهم الى العراق ، واشخص معهم محمد بن عبد الله بن عمرو بـــن عثمان بن عفان رضى الله عنهم ، وهو أخو بنى حسن بن حسن لامهم، اذ أن أمهم جميعا فاطمة بنت الحسين بن على كرم الله وجهه ، وكان ابراهيم بن عبد الله صهره على ابنته ، فحملوا مقيديـــن فى الاثقـــال والاغلال ، وسيق بهم على شر ما تكون الاحوال ، حتى وصلوا العراق، فحبسوا بقصر بن هبيرة ، وهو بموضع شرقى الكوفة مما يلى بغـــداد على نهر الفرات ، وقد ارتكب معهم المنصور من العظائم فى تعذيبهم مالا قبل لاحد به فى تاريخ الانسانية ، ولا طاقة لاحد من الناس حتى يقوى على سمعه ، فضلا عن تسطيره ، فكانت الغاية من ذلك أن مات جلهم

تحت العذاب ، ودعاة بنى العباس ملاوا الدنيا تهويلا ورياء بأنهم خرجوا انتقاما من قتلة الحسين شهيد كربلاء ، وحفيده زيد وحفيد حفيده يحيى ، ويعلم الكل ان هؤلاء قتلوا فى ميادين القتال وهم خارجون ، ولم يقتل بنو امية احدا من آل على بالشكل الفظيع الذى قتلهم به ابناء عمهم بنو العباس ، ولما وصل محمدا كل ما فعل ابو جعفر المنصور بأهل بيت على من التعذيب والتقتيل ، اضطره ذلك أن يخرج بعد اختفاء دام 14 سنة ، وهل يظل الانسان حياته مختفيا من لقاء الواقع الذى لا مفر منه ؟ كلا ، بل ان محمدا فضل ان يلقى مصيره الحتمى بكل ما أوتى من ايمان وحزم وعزم وشجاعة نادرة كما لقيه اخوانه من آل بيت على من الذين لم يكتب لهم البقاء والنصر على اعدائهم ، وفضلوا الموت بالسيف فى ميدان الشرف على حياة الذل والخنوع لمن لا يرونه أهلا لان يطيعوه ، لانهم كانوا رضى الله عنهم اولى همم عالية موروثة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم الذى قال فيه سيدنا حسان :

له همم لا منتهى لكبارها وهمته الصغرى أجل من الدهر

فأعلن خروجه وتحدث اهل المدينة بذلك ، فجعل رياح امير المدينة يعد العدة للقائه ، فعاجله محمد ودخل المدينة فى 25 رجلا فأتى السجن ففتحه ، واخرج منه من كان بقى فيه ولم يقاومه اهل المدينة بل اعانوه وخذلوا رياحا ، ووافق خروجه أول يوم من رجب سنة 145 هجرية ، وبعد ان استولى على البلد صعد المنبر وقال : أيها الناس انه كان من أمرنا وامر الطاغية عدو الله ابى جعفر المنصور ما لم يخف عليكم من بنائه القبة الخضراء التى بناها معاندا الله فى ملكه ، وتصغير الكعبة الحرام ، وانما اخذ الله فرعون حين قال : انا ربكم الاعلى ، وان أحق الناس بالقيام بهذا الدين ابناء المهاجرين الاولين ، والانصار المواسين ، اللهم انهم قد احلوا حرامك وحرموا حلالك وامنوا من اخفت ، واخافوا من امنت ، اللهم فاحصدهم عددا ، واقتلهم بددا ولا تغادر منهم احدا ، ايها الناس ، والله ما خرجت بين اظهركم وانتم عندى اهل قوة ولا شدة ، ولكن اخترتكم لنفسى والله ما جئت هذه وفى الارض مصر يعبد الله فيه الا وقد اخذت لى فيه البيعة . وكان محمد هذا يتحلى بخصال الخير التى كانت ترفع من شأنه فى اعين أهل المدينة ، وكان من أهل الفضل والصلاح يمتاز بحب الخير للناس ، ويتجنب الميل للعسف والظلم ، بل كان يكره سفك الدماء ويتجنبه ما وجد الى ذلك سبيلا ، وكان الناس

لا يرون فيه غشم أبى جعفر المنصور ، ولذلك كانوا يلقبونه « النفس الزكية » وسئل الامام مالك امام دار الهجرة فى الخروج مع محمد ، وقيل له : ان فى اعناقنا بيعة للمنصور ، فقال : انما بايعتم مكرهين وليس على مكره يمين ، وكان الامام مالك يرى الخروج على بنى العباس ضروريا ومؤكدا لانهم استولوا على الامة عن طريق المكر والخداع ، والظلم والاستبداد فلا تلزم الامة بيعتهم ولا يمينهم بالطلاق والعتاق على سبيل الاكراه ، ولذلك افتى بعدم لزوم طلاق المكره ، لانهم أوقعوا الامة فى حرج عظيم وضنك جسيم تبريرا لاستبدادهم بالامر وانتزاعهم من أهله أهل بيت على رضى الله عنهم ومن أجل ذلك أخذه والى المدينة جعفر بن سليمان وجلده حتى حمل مغشيا عليه وطيف به فى سوق المدينة على حمار ووجهه الى الخلف ، فكان يقول فى صراحة وشجاعة نادرة يعز وجودها أن تكون صفة لاى فقيه غيره ، قولته الشهيرة : « من عرفنى فقد عرفنى ومن لم يعرفنى فأنا مالك بن أنس طلاق المكره لا يلزم » وكان ابو جعفر المنصور يبعث اليه ويطلب منه البيعة . ويعده على ذلك أن يحمل جميع الناس على مذهبه ، فأبى وضحى بنفسه فى سبيل نصرة الحق ، فأصيب بآفة فى جسمه وبقى سبع سنين لم يصل الى المسجد النبوى ، فقيل له فى ذلك فقال اخشى أن أصيب مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم بأذى ، لانه لم يجد قدرة على امساك البول من شدة ما لقيه من الجلد والتعذيب ، وهو من هو رضى الله عنه بين علماء عصره ، وكفى بذلك تعسفا لابى جعفر المنصور المجنون على حرص الرياسة الغاشمة ولما عيب عليه ذلك ولقى التشنيع عليه فى جميع الاقطار الاسلامية ، رأى ان يحج فى تلك السنة ، ويعرض على مالك القود من جعفر بن سليمان الجلاد الظالم ، فقابله مالك بالعفو عن ظالمه لقرابته من رسول الله صلى الله عليه وسلم .

ثم نرجع الى اتمام الكلام على العبقرى الثائر سيدنا محمد النفس الزكية ، فقد تقدم اليه محمد بن خالد القسرى بنصيحة مفيدة لو كان عمل بها ، ولكنه كانت له خطة فلم ير بدا من تنفيذها لما كان يراه من أن امامه عقبات كأداء ، لا سبيل لتخطيها والخروج منها سالما ، فقال : انك قد خرجت فى هذا البلد ، والله لو اتى عدوك ووقف على نقب من انقابها لهلك أهله جوعا وعطشا ، فانهض معى فانما هى عشر حتى نضربه بمائة الف سيف فأبى عليه ، وصمم العزم على اللقاء ولا عليه فيما وراء

ذلك ، ويظهر ذلك من جوابه فى كتابه للمنصور ، وان السبيل الوحيد الذى بينه وبين عدوه هو ميدان اللقاء ، ولن يكون هناك فهم صحيح يفسر خروجه بعد كمومه الطويل الا ذلك ، لا سيما وهو من اهل العلم والحجا والزهد والورع والدين ، ومن ثبتت له تلك الاوصاف يكون بعيدا ان يختار الحياة الذميمة تحت طاعة من كان بايعه بالخلافة بالامس ، ولن يسهل ذلك الا على من كان ذليلا خنوعا يرى لغيره ما يراه لنفسه ، واما ما نسبه اليه بعض المؤرخين من الغرور والخطأ فانما ذلك من قصورهم التصورى لفهم ابعاد ما كان يرمى اليه الزعيم الثائر ، ومراعاة الظروف وتقدير القيم للعظماء من الرجال ، ولو كان من كان من السياسيين وسقط فى مثل ما سقط فيه هذا الزعيم الثائر لكان مصيره مصيره ، وتبع ذلك ظروف احاطت بأهل بيت على يشبه بعضها بعضا فى التنكيل بكل عبقرى ظهر فيها ، ولا سبيل لخروجهم من محنتهم الا بمثل ما رآه هذا العبقرى الثائر ، ولكن من لم تحنكه التجارب لا يلام على رأيه . وبعد ان وصل خبر خروجه للمنصور استشار الخبراء الحربيين فأشار عليه الربيع بن عبد الله بن عبد المدان بقوله : هلك محمد خرج والله فى غير عدد ولا رجال ، وموقع المدينة لا يعد من المواقع الاستراتيجية ، وان محمدا كما تقدم عرف ذلك واعرب عنه فى خطبته ، ولكنه فضل اللقاء على الارض المقدسة حتى لا يحرم جسده الشريف من جوار جده رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان المنصور مشغولا ببناء بغداد ، فخرج الى الكوفة حتى يرى أخبارها ويرعى أحوالها بنفسه ، لان أهلها شيعة لآل على ، ويخاف منهم أن يخرجوا لمساعدة محمد فأقفل ابوابها حتى لا يخرج منها أحد ولا يدخلها أحد ، وراسل محمدا قبل الخروج للحرب .

تبادل الرسائل

فكتب المنصور اليه كتابا نصه : بسم الله الرحمن الرحيم من عبد الله امير المومنين ، الى محمد بن عبد الله أما بعد : قال الله تعالى : انما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله ويسعون فى الارض فسادا أن يقتلوا أو يصلبوا أو تقطع أيديهم وأرجلهم من خلاف أو ينفوا من الارض ذلك لهم خزى فى الدنيا ولهم فى الآخرة عذاب عظيم الا الذين تابوا من قبل أن تقدروا عليهم فاعلموا أن الله غفور رحيم » ولك عهد الله وميثاقه وحق نبيه صلى الله عليه وسلم ان تبت من قبل أن نقدر

عليك أن أؤمنك على نفسك وولدك واخوتك ، ومن بايعك وتابعك وجميع شيعتك وأن اعطيك الف درهم ، وان انزلك من البلاد حيث شئت ، واقضي لك ما شئت من الحاجات ، وان اطلق من في سجني من اهل بيتك وشيعتك وانصارك ، ثم لا اتبع منكم أحدا بمكروه ، فان شئت أن تتوثق لنفسك فوجه الى من ياخذ لك من الميثـاق والعهـد والامـان مـا احببت والسـلام .

فأجابه محمد بن عبد الله بكتاب نصه : بسم الله الرحمن الرحيم من عبد الله محمد المهدى أمير المومنين الى عبد الله بن محمد أما بعد : قال الله تعالى : طسم تلك آيات الكتاب المبين نتلوا عليك من نبأ موسى وفرعون بالحق لقوم يومنون ان فرعون علا في الارض وجعل اهلهـا شيعا يستضعف طائفة منهم يذبح أبناءهم ويستحيى نساءهم انه كـان من المفسدين ونريد ان نمن على الذين استضعفوا في الارض ونجعلهم أئمة ونجعلهم الوارثين ونمكن لهم في الارض ونرى فرعون وهامان وجنودهما منهم ما كانوا يحذرون » وانا أعرض عليك من الامان مثل الذى أعطيتنى وقد علمت ان الحق حقنا ، وانكم انما طلبتموه بنا ، ونهضتم فيه بشيعتنا وخبطتموه بفضلنا ، وان ابانا عليا عليه السلام كان الوصي والامام ، فكيف ورثتموه دوننا ونحن أحياء ، وقد علمت انه ليس أحد من بنى هاشم يمت بمثل فضلنا ، ولا يفخر بمثل قديمنا وحديثنا ونسبنا وسببنا ، وانا بنو أم رسول الله صلى الله عليه وسلم فاطمة بنت عمر في الجاهليـة دونكم ، وبنو بنته فاطمة في الاسلام من بينكم فأنا أوسط بنى هاشم نسبا ، وخيرهم أما وابا ، لم تلدنى العجم ، ولم تعرق في أمهات الاولاد ، وان الله تبارك وتعالى لم يزل يختار لنا فولدنى من النبيئين افضلهم محمد صلى الله عليه وسلم ومن اصحابه اقدمهم اسلاما واوسعهم علما واكثرهم جهادا على بن ابى طالب ، ومن نسائهم افضلهن خديجة بنت خويلد اول من آمن بالله ، وصلى الى القبلتين ، ومن بناته افضلهن سيدة نساء اهل الجنة ، ومن المولودين في الاسلام الحسن والحسين سيدى شباب اهل الجنة ، ثم قد علمت ان هشاما ولد عليا مرتين ، وان عبد المطلب ولد الحسين مرتين ، وان رسول الله صلى الله عليه وسلم ولدنى مرتين ، من قبل جدى الحسن والحسين ، فما زال الله يختار لـى فولدنى ارفع الناس درجة في الجنة ، فأنا ابن خير الاخيار ، وأنا ابن اهل الجنة ، ولك عهد الله ان دخلت في بيعتى أن أومنك على نفسك وولدك ، وكل مـا

أصبته الا حدا من حدود الله او حقا لمسلم أو معاهد ، فقد علمت ما يلزمك فى ذلك ، فأنا أوفى بالعهد منك وأحرى بقبول الامان . فأما امانك الـذى عرضت على . فأى الامانات هو ؟ أآمان ابن هبيرة ؟ ام آمان عمك عبد الله بن على ؟ ام آمان ابن مسلم ؟ والسلام .

ذكر له هؤلاء الرجال الثلاثة لانهم كانوا قوادا عظاما حاربوا الدولة الاموية حتى شردوها فى الآفاق ، ونصبوا بدلها دولة بنى العباس ، فغدروا بهم وقتلوهم خوفا منهم ، وحرصا على بقاء ملكهم ، شأن كل غادر ماكر ، وهناك جواب من المنصور على الرسالة المذكورة ، كله سفه وكذب يستحيى العاقل من نشره ، ثم ان المنصور اختار لقتال محمـد النفس الزكية ، المذكور عيسى بن موسى بن محمد بن على بن عبد الله ابن عباس ، ابن اخيه والمرشح لولاية العهد عندهم بعد أبيه ، وكان السفاح جعله وليا للعهد بعد المنصور ، فقال عيسى للمنصور : شاور عمومتك ؟ فقال له المنصور : امض ايها الرجل فو الله ما يراد غيرى وغيرك ، وما هو الا ان تشخص او اشخص وزوده بوصية فقال : يا عيسى انى بعثتك الى ما بين هذين ، واشار الى كتفيه فان ظفرت بالرجل فشم سيفك ، وان تغيب فضمنهم اياه حتى ياتوك به ، فانهم يعرفون مذاهبه. ثم جهز المنصور جيشه احسن تجهيز ، ثم بعثه ، ولما وصل الى فيد بعث الى رجال من اهل المدينة فى خرق من الحرير ، ولما وردت كتبه المدينة تفرق ناس عن محمد ، وخرج معه بعضهم الى عيسى ، وفيهم من آل على ، وقد كان قبل ان يصله الخبر بمجيء عيسى بن موسى خندق حول المدينة اقتداء برسول الله صلى الله عليه وسلم ثم أقبل عيسى بجنوده حتى وصل المدينة فأرسل فصيلة من الجند تحرس طريق مكة حتى لا يهرب محمد ، فقدم له عيسى دعوة الى الاستسلام والخضوع فلم يجبـه ، وهناك لقيه محمد البطل بمن معه من الجند القليل ، فدارت المعركة بين الجانبين ، فأظهر محمد شجاعة نادرة فى القتال ، حتى ظهر ظهورا عظيما، الا ان قوة العدو كانت اكثر مما يكون فى الحساب ، وظلت المعركة يومها الاول والثانى ، وفى آخر الثانى سقط محمد البطل شهيد المعركة ، وبذلك حقق شعار آل البيت العلوى الذى يقول فيه سيدنا على زين العابدين رضى الله عنه :

اذا كانت الابدان للموت أنشئت   فقتل امرىء فى الله بالسيف أفضل

وبموته ظهرت الاعلام السوداء على مرتفعات المدينة ، وعلـى

منارة المسجد النبوى ، وكان ابتداء القتال فى اليوم 12 من رمضان ، ونهايته فى آخر اليوم 14 منه سنة 145 هجرية ، ثم أرسل عيسى برأس محمد وبمصادرة أمواله مع جميع اموال بنى الحسن الذين سقط جلهم فى ميدان المعركة الشرفية الى أبى جعفر المنصور بالعراق ، بعد أن أمن اهل المدينة . وفى 19 من رمضان شخص يريد مكة ، وكانت مدة ايام محمد بن عبد الله النفس الزكية من اليوم الذى ظهر فيه واعلن خروجه على اعدائه الى أن استشهد فى ميدان المعركة 77 يوما . والبقاء لله وحده لا رب سواه ، وان ذلك هو ما كان صمم عليه العزم محمد البطل وفضله على أن يعيش بين يدى من كان يراهم من الاوباش ، ويعرفهم أهل مكر وخديعة وخوف على ملكهم المغتصب بسياسة المكر والخداع ، وقوة البطش بالاهل والانصار . وقد كان يعلم أن الولاية العامة فى الاسلام يجب أن تكون باختيار الامة الاسلامية ، كما كان الشأن فى عهدها الاول ، ويتولاها افضل الناس من بيت النبوءة علما وتقوى وزهدا وورعا ، وتلك كانت عندهم صفات امام الحق ، الذى تكون ولايته رحمة على من سواه ، ولم يكن يتقدم فيها أحد على البطل محمد بن عبد الله النفس الزكية ، لذلك كان يرى ان الحق حقه فيها ، وأما غيره فيعتبر غاصبا لحق غيره الشرعى ، ولهذا لم يكن يبالى بما هو عليه خصمه من الملك المغصوب بطريق القوة والقهر والخداع ، لان ذلك يخالف شريعة الاسلام ، وليس من شأنه ولا من شأن الامة المسلمة ، وانما هو رجوع بالاسلام الى ما كانت عليه الجاهلية ولن يكون من صفة أمة ، دينها الاسلام ونبيها محمد صلى الله عليه وسلم وكتابها القرآن .

وأما مصير اخيه ابراهيم بن عبد الله الكامل ، فانه ذهب الى البصرة ودخلها سرا رغم ما كان عليها من الحصار من قبل ابى جعفر المنصور لما كان يخشاه ان يخرج بها لما علمت من قبل ، وطلب البيعة الى اخيه محمد ، فبايعه الكثير من أهلها والى جانب ذلك اجابه الكثيرون من فتيان العرب ، وكان ابو جعفر قد حصنها باشارة من خبيره الحربى جعفر بن حنظلة البهرانى ، وكان ذا راى وخبرة فى الحرب فأشار عليه بقوله بعد ظهور أخيه محمد بالمدينة ، ليست المدينة بمكان للحرب وحصن البصرة واهل الكوفة تحت قدمك ، واما اهل الشام فانهم اعداء لآل ابى طالب فاهتم بارسال الجنود واقامة المساليح بين الكوفة والبصرة ، حتى لا يخرج اهل الكوفة لمساعدة ابراهيم ، وبعد قليل ظهر ابراهيم بالبصرة ، واستولى عليها وعلى ما قرب منها من الاهواز وواسط ، ولم يزل على

امره ذلك حتى اتاه نعى اخيه محمد من المدينة قبل عيد الفطر بثلاثة أيام ، فصلى بالناس يوم الفطر وعليه اثر الحزن فأرسل ابو جعفر المنصور الى عيسى بن موسى يستحثه فى القدوم كى يتصدى لحرب ابراهيم أيضا ، فأسرع نحو البصرة فخرج اليه البطل ابراهيم بن عبد الله الكامل ، فالتقيا عند باخمرى ، ودامت المعركة بين الجانبين نحو شهر ونصف وكان ابراهيم يتفوق على عيسى فزاد المنصور فى عدد الجند والعدة الحربية حتى تفوق بكثير على ابراهيم ، ومع ذلك فقد ابلى معه بلاء حسنا الى أن سقط شهيد المعركة كأخيه محمد لخمس بقين من ذى القعدة الحرام. سنة 145 هجرية ، وكان محمد واخوه ابراهيم من أحسن الطالبيين خلقا وانظفهم تاريخا لم يعرف عنهما ما يشينهما فى معاملة الناس لينا ، وفى صفاء السريرة وصدق العزيمة ، الا ان الحظ خانهما فلم يكتب لهما النجاح ، كما لم يكتب لمن تقدمهما من آل البيت الفاطمى النظيف ، ثم قام المنصور بعدهما خطيبا فنعى عليهما وعلى كل قائم من أهل هذا البيت باللائمة ، وأعطى لنفسه من الحق والصواب ما يوهم الناس ان الملك خلق له ، وهو خلق للملك وليس هناك فى الوجود من ينزع منه هذا الحق ، وختم خطبته بقوله : فقر الله الحق مقره . واظهر مناره ، : فقطع دابر القوم الذين ظلموا والحمد لله رب العالمين » وكان افتتاح خطبته بعد النصر الذى حققه ، على اهل خراسان ، يا أهل خراسان انتم شيعتنا وانصارنا ، واهل دولتنا ، ولو بايعتم غيرنا لم تبايعوا من هو خير منا ، وان اهل بيتى هؤلاء ، من ولد على بن ابى طالب ، تركناهم والذى لا الاه غيره ، والخلافة ، فلم نعرض لهم فيها بقليل ولا بكثير ، فقام على بن أبى طالب فتلطخ وحكم عليه الحكمين ، فافترقت عنه الامة . واختلطت عليه الكلمة ، ثم وثب عليه شيعته وانصاره وأصحابه وبطانته، وثقاته ، فقتلوه ، ثم قام من بعده ابنه الحسن ، فو الله ما كان فيها برجل ، قد عرضت عليه الاموال فقبلها ، فدس اليه معاوية أنى أجعلك ولى عهدى من بعدى فخدعه فانسلخ له مما كان بيده وسلمه اليه ، فأقبل على النساء يتزوج فى كل يوم واحدة فيطلقها غدا ، فلم يزل على ذلك حتى مات على فراشه ، ثم قام من بعده الحسين بن على فخدعه اهل العراق واهل الكوفة من أهل الشقاق والنفاق والفتن والاغراق ، اهل هذه المدرة السوداء ، وأشار الى الكوفة ، فو الله ما هى بحرب فأحاربها ، ولا هى بسلم فأسالمها ، فرق الله بينى وبينها فخذلوه وأسلموه ثم قام من بعده زيد بن على فخدعه أهل الكوفة وغروه

فلما اخرجوه اظهروه وسلموه وقد كان أتى محمد بن على فناشده فى الخروج، وسأله الا يقبل أقاويل أهل الكوفة وقال له أنا نجد فى بعض علمنا أن بعض أهل بيتنا يصلب بالكوفة ، وأنا أخاف أن تكون ذلك المطلوب ، وناشده عمي داود بن على ، وحذره غدر أهل الكوفة فلم يقبل ، وأتم على خروجه ، فقتل وصلب بباب الكناسة من الكوفة ، ثم وثب علينا بنو أمية ، فأماتوا أشرافنا ، واذهبوا عزنا ، والله ما كانت لهم عندنا ترة يطلبونها ، وما كان ذلك كله الا فيهم ، وبسبب خروجهم عليهم ، فنفونا من البلاد وصرنا مرة بالطائف ، ومرة بالشام ، ومرة بالشراة ، حتى ابتعثكم الله لنا شيعة وأنصارا فأحيا شرفنا وعزنا بكم أهل خراسان ، ودمغ بحقكم أهل الباطل ، وأظهر حقنا وأصار الينا ميراثا من نبينا صلى الله عليه وسلم . فلما استقرت الامور فينا على قرارها من فضل الله علينا . وحكمه العادل لنا ، وثبوا علينا ظلما وعدوانا وحسدا منهم لنا لما فضلنا الله به عليهم ، وأكرمنا من ميراث نبيه صلى الله عليه وسلم دونهم ، ثم نزل وهو يتلو : وحيل بينهم وبين ما يشتهون كما فعل بأشياعهم من قبل انهم كانوا فى شك مريب » .

وكان من ذلك أن بقيت بقايا بنى الحسن مشردين فى الاقطار ، فى عهد أبى جعفر ، بعد أن قتل منهم من قتل ، ومات من مات منهم فى سجنه ، وبقى فيه من بقى ، وهكذا يفعل كل ظالم غاصب وصل اليه هذا الامر الذى عصم الله منه كل ولى له ، وخصوصا أمثال هؤلاء العباترة الكرام من اهل البيت الطاهرين الذين أراد الله منهم أن يلقوه فى حلل الشهادة رافلين ، وتلك سنته مع أوليائه وأصفيائه . ولن تجد لسنة الله تبديلا » وقال الله ايضا فيهم انما : يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا » وليس هناك من شك فى ان منصب الولاية على شؤون المسلمين قد تحولت بعد الخلفاء الراشدين الى أهل البغى والظلم المعبر عنه بالرجس الذى طهرهم الله منه ، ولذلك لم يكتب النجاح فيها الا لم يكن طاهرا من بيت النبوة ، : فالله خير حفظا وهو أرحم الرحمين »
ومن غريب ما نقل عن محمد بن جرير الطبرى ، ان محمد المهدى بن جعفر المنصور لما تولى الخلافة بعد ابيه ، فآلت اليه خزانته ، فدخلها مع زوجه ريطة ، فاذا أزج ، اى البيت الطويل ، ويجمع على ازج ، فيه جماعة من قتلى الطالبيين وفى آذانهم رقاع فيها انسابهم ، وفيهم أطفال ورجال ، وشباب ،ومشائخ عدة كثيرة ، فلما راى ذلك محمد المهدى ، ارتاع لما راى ، وامر بهم فحفرت لهم حفيرة فدفنوا فيها وبنى عليهم دكان .

ترجمـــة مولانـــا عبد الله الكامـــل :

لقب بذلك لكمال نسبه من جهة أبيه وأمه ، وقيل لشبهه بالنبى صلى الله عليه وسلم وهو عبد الله بن الحسن المثنى بن الحسن السبط ابن على وفاطمة الزهراء بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم . كان رضى الله عنه من كبار التابعين وروى عنه الامام محمد بن اسماعيل البخارى فى كتاب التوحيد بواسطة . وكان كبير بنى هاشم فى وقته ، قال ابن سعد : وكان من أهل العلم والتقوى والعبادة وله عارضة وهيئة . قال مصعب الزبيرى : ما كان علماء المدينة يكرمون أحدا ما يكرمونه . وثقه ابن معين ، والنسائى وغيرهما ، وله رواية عن أمه فاطمة بنت الحسين رضى الله عنها . ولد سنة 68 هجرية . وتوفى فى سجن المنصور تحت هدم . ودفن بالقادسية ، وعلى قبره مشهد عظيم يزار ، سنة 143 هـ وله من العمر 75 سنة . وروى عنه انه قال : أتيت عمر بن عبد العزيز الاموى ، فى حاجة فقال لى : اذا كانت حاجة فارسل الى أو اكتب فانى أستحيى أن يراك الناس على بابى .

ونقل فى نظم الدرر والعقيان فى شرف بنى زيان ، ان من وصاياه لولده سيدى محمد النفس الزكية ، اياك ومعادات الرجال ، فانك لن تعدم مكرم حليم ومعاصات لئيم . لم يمض غير قليل على خلافة بنى العباس حتى توالى الخارجون عليهم ، سواء من اهل البيت العلوى او من أبناء عمهم الاقربين من ذرية العباس انتقاما من ظلمهم وطغيانهم ، وكان من بين القائمين الافراد الآتى ذكرهم من بيت على ، حتى انه لم يخل خليفة لهم من قائم ، وأول قائم عليهم من العلويين محمد بن سليمان بن داود بن الحسن المثنى فخلع أمير العباسيين من مكة وخطب لنفسه بها فى الموسم ، وقال : الحمد لله الذى أعاد الحق الى نظامه ، وأبرز زهر الايمان مـــن اكمامه ، واكمل دعوة سيد المرسلين بأسباطه لا ببنى اعمامه ، صلى الله عليه وعلى آله الطاهرين ، وكف عنهم أيدى المعتدين ، وجعلها كلمـــة باقية فى عقبه الى يوم الدين ، ثم أنشد :

لاطلبن بسيفى ما كان للحـــق دينا   واسطون بقوم بغوا وجارو علينـــا
يهدون كل بلاء من العراق الينـــا

وبقى بها حتى مات ثم ملكها بعده ابن ابنه جعفر بن الحسين بن محمد ابن سليمان ، ثم أبو الفتوح بن جعفر ، ثم شكر بن أبى الفتوح واتســـع نفوذ هذا حتى عم الحرمين ، وجميع أرض الحجاز ، وهو المدعو « بالشريف

ابن هاشم » تزوج الجارية بنت الحسن بن سرجان الذى كان بينه وبين بنى هلال ما تحدث الناس عنه ، ومات ولم يعقب . فانقرضت دولة السليمانيين من مكة اذ قام عليهم الهواشم من ولد أبى هاشم محمد بن الحسن بن محمد بن موسى بن عبد الله بن أبى الكرام بن موسى الجون ، وكان بين هؤلاء الهواشم وبين بنى عمهم السليمانيين فتن متصلة ، ولما مات الشكر الذى يدعوه بنو هلال . « الشريف ابن هاشم » صاحب الجارية . تقدم رجل لم يكن من بيت الامارة . فقام عليهم الهواشم ، ورئيسهم محمد ابن جعفر بن أبى هاشم ، فأخرجهم عن الحجاز ، وساروا الى اليمن . وبه انتبت دولة السليمانيين من مكة . انتهى وفيه ما فيه

ثورة الحسين بن على بن الحسن المثلث

وفى عهد موسى الهادى خرج عليه بالمدينة الحسين بن على بن الحسن المثلث بن الحسن المثنى بن الحسن السبط رضى الله عنهم . وكان ذلك فى 14 ذى القعدة سنة 169 هجرية ، وكان والى المدينة لوقته عمر بن عبد العزيز بن عبد الله بن عبد الله بن عمر بن الخطاب رضى الله عنه . وسبب خروجه ان والى المدينة المذكور . أخذ الحسن بن محمد النفس الزكية ، وجماعة ، اتهموهم بأنهم كانوا على شراب لهم ، فأمر بهم فضربوا جميعا ، ثم أمر بهم فجعل فى أعناقهم حبال وطيف بهم فى المدينة ، فسار اليه الحسين المذكور فكلمه فيهم ، وقال له : ليس عليهم هذا ، وقد ضربتهم ولم يكن لك أن تضربهم لان أهل العراق لا يرون به باسا ، ولم تطوف بهم ؟ فبعث اليهم وقد بلغوا البلاط أن ردهم الى ثم ردهم وأمر بهم الى السجن فحبسوا يوما وليلة ، ثم كلم فيهم فأطلقهم جميعا ، وكان آل على يراقبون ويعرضون على والى المدينة كل عشية مثل الشياه ، ففقد الحسن بن محمد فتكفل به الحسين بن على الثائر ، ويحيى بن عبد الله الكامل ، لان الوالى العمرى كان يكفل بعضهم بعضا اذا غيب أحد منهم ، فغاب عن العرض ثلاثة أيام ، فأخذ الكفيلين وسألهما عنه فحلفا انهما لا يدريان موضعه ، فكلمهما بكلام اغلظ لهما فيه ، فحلف يحيى بن عبد الله الا ينام حتى ياتيه به ، أو يضرب عليه باب داره ، حتى يعلم انه قد جاءه به ، فلما خرجا من عنده ، قال له الحسين : سبحان الله ، ما دعاك الى هذا ؟ واين تجد حسنا ؟ حلفت له بشىء لا تقدر عليه ، قال : والله لا نمت حتى اضرب عليه باب داره بالسيف ، فقال الحسين : اذا تكسر ما كان بيننا وبين أصحابنا من الصلة ، قال : قد كان بيننا وبين أصحابنا الذى كان وكانوا قد تواعدوا أن يخرجوا بمكة

او منى أيام الموسم ، وكان بالمدينة جماعة من أهل الكوفة من شيعتهم ، وممن كان بايع الحسين بن على ، ففى آخر الليل خرجوا وجاء يحيى بن عبد الله حتى ضرب باب مروان بسيفه على العمرى تبريرا ليمينه ، فلم يجده فيها وتوارى منهم ، فجاءوا حتى اقتحموا المسجد ، ولما اذن الصبح جلس الحسين على المنبر وعلى رأسه عمامة بيضاء ، وجعل الناس ياتون المسجد فاذا رأوهم رجعوا ولا يصلون فلما صلوا الصبح جعل الناس ياتون ويبايعون على كتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم للمرتضى من آل محمد وقاومهم جماعة من نصراء الدولة فلم يقدروا عليهم ، ولما تم للحسين بن على ما أراد انتهبت جماعته ما فى بيت المال ، فأقام الحسين بالمدينة بعد اعلان الخروج 11 يوما ثم فارقها لست بقين من ذى القعدة سنة 169 ه قاصدا مكة ثم انتهى خبر الحسين الى موسى الهادى وكان قد حج وفد من بنى العباس وأمر عليهم موسى الهادى ، محمد بن سليمان بن على ، وكتب كتابا بتوليته على الحرب وخرج فى عدة من السلاح تقدر بثلاثين ألف مقاتل ، فشمر للحرب وسار نحو الحسين بن على فلقيه بموضع يدعى « فخ » على بعد نحو ستة أميال من مكة ، ودارت المعركة بين الجانبين فى 8 من ذى الحجة الحرام ، وأبلى فيها الابطال من بنى على بلاء حسنا بعد أن أظهروا شجاعة فائقة فى ميدان القتال وكانت العاقبة أن سقط البطل الحسين شهيد المعركة فى وسط جماعة من الجانبين ، وكان لهذه المعركة صدى كبير فى الاوساط التاريخية ، وأفلت من المعركة رجلان لهما تاريخ جليل ، وهما ادريس بن عبد الله الكامل فر الى المغرب وكون هناك دولة ابتدئت بتاريخ 172 — 375 هجرية ، وفر أخوه يحيى بن عبد الله الكامل أيضا الى بلاد الديلم ، ياتى الكلام عليها ، ونقف هنا وقفة المتأمل حتى نستعرض احوال هؤلاء الابطال كيف يحيون وكيف يذهبون عبثا ، قد يقول قليل الفكر فى حياتهم : ان هؤلاء السادات كثيرا ما يتعرضون للهلاك دون ان يحققوا آمالا لانفسهم سوى الانتحار فى المعركة ، وقد يكون الدافع الى ذلك قلة التفكر فى العواقب ، والحق ان أولائك السادات كانوا مضطرين ان يدفعوا ثمن هذه المعارك التى يكون فيها حتفهم ، لان كثيرا من الناس لا يتصورون حياة أولائك الاباة وسط جحيم يحيط بها ضغط سياسى ، واقتصادى واجتماعى ، فهم يشعرون انهم فى حياتهم سجناء ، وهم يعرفون حقهم المغصوب من طرف عدوهم الخائف والامة كلها تعترف بأن الحق حقهم ، وهم سلبوا منه بالقهر والقوة الغاشمة وهم الى جانب ذلك تحت حصار وضيق مستمر من طرف الولاة المباشرين ، هذا وان عدوهم لهم

بالمرصاد لا تنام له عين عنهم ، فكم يصبر عزيز النفس على هذه الحياة التعسة ؟ وكيف لا يفضل الانتحار فى ميدان الشرف على حياة المراقبة والعرض كل مساء على وال البلد ؟ فهو لا يملك حرية التنقل حتى فى مصالح نفسه ، كيف لا يفضل الانتحار أولائك العباقرة الافذاذ فى ميدان الشرف على حياة الذل والخنوع لمن لا يخشى الله ولا يراقبه فى حقوق عباده ؟ ان هى الا الدنيا شقى بها قوم وسعد بها آخرون ، قال الله تعالى : ولولا أن يكون الناس أمة واحدة لجعلنا لمن يكفر بالرحمن لبيوتهم سقفا من فضة ، ومعارج عليها يظهرون ولبيوتهم أبوابا وسررا عليها يتكئون وزخرفا وان كل ذلك لما متاع الحياة الدنيا والآخرة عند ربك للمتقين » ولم يكن اضطراب الدولة العباسية وزعزعة الامن فيها ناشئا من العلويين وحدهم ، بل كان هناك كثير فى الامة من ينعى على الخلفاء استبدادهم وظلمهم ومكرهم وغدرهم ، وعدم الوفاء للامة بكتاب الله وسنة نبيه ، ومنهم الخوارج الذين كانوا متفرقين فى البلدان ، فانهم حاربوهم والحقوا بهم شر الهزائم المنكرة ، عبر مختلف السنين من أيام حياتهم .

ومما يحسن ذكره ما رواه الطبرى قال : دخل عيسى بن دأب على قائد موسى الهادى ، موسى بن عيسى عند منصرفه من فخ ، فوجده خائفا يلتمس عذرا من قتل من قتل ، فقال : أصلح الله الامير ، وأنشده من شعر اليزيد بن معاوية بعد قتل الحسين ، مطلعه :

يا أيها الغادى لطيته ... على عضافرة فى سرها قحم

الى أن قال :

لا تركبوا البغى ان البغى مصرعة ... وان شارب كأس البغى يتخم
قد جرب الحرب من كان قبلكم ... من القرون وقد بادت بها الامم
فانصفوا قومكم لا تهلكوا بذخا ... فرب ذى بذخ زلت به القدم

قال : فسرى عن موسى بعض ما كان فيه من الغم ، ثم اشتد تطلع أهل البيت الفاطمى الى قلب نظام الدولة ، بعد أن رأوا أبناء عمهم العباسيين ازدادوا تصلبا عليهم ، وغيروا من أمرهم بعد أن كان دعاتهم يقدمون عليا على الشيخين قلبوا ذلك وقدموا الشيخين على على رضى الله عنهم ، ثم امعنوا فى شدة التضييق على آل على ، حتى صاروا كالطائر المحبوس فى قفصه يحاول التخلص منه على غير هدى ، بعد أن فتك المنصور بأخيار آل بيت على ، وقضى على كل عبقرى منهم شم عليه انه يتطلع لهذا الامر ، وان كانت بقيت منهم بقايا ولكنه اكتفى بحراستهم بدل الاخذ بالشدة والعنف ،

ولما جاء محمد المهدى وضعهم تحت نظره ببغداد ، والذين كانوا بالمدينة اكتفى بمراقبة أميره لهم ، فكانوا يعرضون عليه كل يوم كالانعام ، الا أنه غير سياسة أبيه معهم وأطلق كل من كان فى سجن أبيه المنصور منهم ، الا من كان لاحد قبله مظلمة أو حق ، ولما جاء هارون الرشيد غير سياسة الشدة معهم أول أمره واستمال قلوبهم بشيء من الاحسان اليهم ، وأول ما صنعه معهم أن رفع الحجر عمن كان معه منهم ببغداد ، وسيرهم الى المدينة ، ولكن حزازات النفوس لا تنجبر بالاحسان ، فهذا يحيى بن عبد الله الكامل مات أبوه فى سجن المنصور ، كما تقدم ، وأخوه محمد النفس الزكية واخوه ابراهيم ، وابن عمه الحسين بن على فى فخ كل هؤلاء علاوة على ما قتله المنصور فى سجنه منهم بطريق التعذيب والتنكيل ، مما وجد بعضه بعده فى الازج ، كما رأيت . كل ذلك لا ينسيه احسان الرشيد ، وكان هناك مشجع آخر ، وهو اغراءات الشيعة فى كل مصر فهى بمثابة النار التى تكمن فى الرماد ، فانهم يتطلعون بكل حرارة وتلهف ، وليسوا بمنفكين حتى يردوا الامر الى البيت العلوى الذى هو أعز بيت لديهم طال الزمان أم قصر ، وبناء على هذا وذاك خرج يحيى بن عبد الله .

خروج يحيى بن عبد الله الكامل ببلاد الديلم

قد تقدم ان يحيى بن عبد الله الكامل أحد الناجين من وقعة فخ فى عهد موسى الهادى ذهب الى بلاد الديلم فاكتسب أنصارا بها ، فزينوا له الخروج على الرشيد فخرج عليه بها ، فقوى أمره ، واشتد ساعده بها حتى نزع اليه الناس من الامصار والكور ، فاغتم الرشيد لذلك ، وترك شرب النبيذ ، ثم ندب الى قتاله الفضل بن يحيى بن خالد البرمكى فى 50 ألفا ، وفيهم صناديد القواد فصار فى اتجاه يحيى وكتب الى صاحب الديلم وجعل له ألف الف درهم على ان يسهل له خروج يحيى ، وحملت اليه بالفعل ، ولما وصل ذلك الى يحيى علم ان صاحب الديلم قد أسلمه فى مقابلة ما أخذه من الاموال ، وكان الفضل بن يحيى قائد الجند يكاتبه فى التنازل على الامان ، واشار عليه، وبسط له الامل فلم يسع يحيى الا ان يختار طريق التنازل ، أو يسلم فى مقابلة ما أخذه صاحب الديلم على اسلامه ، وان الدائرة فى النهاية ستدور عليه ، فرأى ان التنازل على الامان خير له ، والمصالحة على يد الفضل بن يحيى البرمكى أصوب له ، فاشترط أن يكتب الرشيد الامان بخطه ، فكتب الفضل بذلك الى الرشيد فسره وعظم موقعه عنده فكتب الامان وأشهد عليه الفقهاء والقضاة ، وأجلة بنى هاشم ومشائخهم ثم وجهها الى الفضل مع

جوائز وكرامات ، وهدايا سنية عظيمة ، ثم وجه الفضل ذلك الى يحيى ابن عبد الله فقدم عليه بالامان والصلح . ثم قدم به الى الرشيد ولما ورد الفضل بغداد لقيه الرشيد بكل ما طلب واحب ، وامر له بمال كثير ، وأجرى عليه ارزاقا سنية ، وانزله منزلا بعد ان اقام بمنزل الفضل أياما . وكان يتولى امره بنفسه ، ولا يجعل ذلك الى غيره ، وأمر الناس بزيارته بعد انتقاله من منزل يحيى البرمكى ، وبلغ الفضل الغاية من اكرام الرشيد لانجاح سياسته التى اراحته من حرب يحيى ، ولكن الامراء المستبدين يجعلون آذانهم صيدا لكل قول ، وتلك ثغرة فتحها اهل الاهواء للتوصل بها الى مرادهم ، وكثيرا ما يلعبون بالامراء ، وهم لا يشعرون ، ويحرمونهم خدمة الصالحين الصادقين فهؤلاء بطانة سوء لهم ، ومن وقى بطانة السوء فقد وقى فهم غير منفكين عن اظهار النصح لمن والوهم تحت كتمان الحقيقة . وهم لا يزالون فى حبك التهم وتوجيهها الى اصحابها كى يتقربوا بها حتى ينالوا ما ارادوا ويصبحوا من المحظوظين عند من قدموا لهم تلك النصائح المسمومة الساذجة التى ذبجتها يراعتهم وحلتها بحلل القبول والاستحسان. فقد كان ابو الفضل يحيى بن خالد البرمكى هو القائم بأمر الرشيد أيام أخيه محمد المهدى وكان الرشيد يدعوه يا أبى ، وكانت أم الفضل ظئرا للرشيد وأرضعت الخيزران ام الرشيد الفضل بن يحيى البرمكى حتى كان المامون يقول : لم يكن كيحيى بن خالد وولده الفضل احد فى الكفاية ، والبلاغة والجود والشجاعة ، وكان الفضل من أهل الورع ، والعقل والنجدة ، وترك الشراب مع الرشيد حتى انه كان يقول : قد علمت ان النبيذ ينقص من مروءتى فما شربته ، وانقطع عن الرشيد حتى كان أبوه ينهاه عن ترك الانس به ، فيترك امر ابيه فيه ، ويقال انه كتب اليه حين أعيته الحيلة فيه ، انى انما اهملتك ليعثر الزمان بك عثرة تعرف بها أمرك وان كنت لاخشى أن تكون كالتى لاشوى لها . ولكن سرعان ما تغيرت الاحوال على يحيى بن عبد الله الكامل ، وذهب ذلك الاكرام والاستنزال الحسن مع تلك العهود والامان فى مستقبل الزمان ادراج الرياح ، بعد ما تدخلت السعاة ورفعوا عن يحيى ما يريب ، وكان الرشيد يرتاب لادنى شىء ، فرموه بتهمة قاتلة ، وهى ان يحيى بن عبد الله لا يزال يدعو لنفسه ، وانما ينتظر الفرص ، وكان اكثر الناس سعاية فى ذلك بكار بن عبد الله الزبيرى ، وكان شديد البغض لآل ابى طالب وكان يبلغ عنهم الرشيد ويسىء بأخبارهم قصد الفتك بهم ، فكان من وراء تلك السعايات ان سجن الرشيد يحيى بن عبد الله الكامل بعد العهد والامان المكتوب بخطه ، وضيق عليه فى سجنه لكى يقتله ،

ولم يكن يمنعه الا أن يقول الناس فيه شيئا لما كتبه من كتاب الامان بيده ، فرجع الى العلماء حتى ياخذ رخصة تمكنه من قتله ، فأحضر أحد قضاته ، وهو أبو البحترى ، واحد الفقهاء وهو محمد بن الحسن الحنفى صاحب أبى يوسف ، فقال هذا ما تصنع بالامان ، وجعل يعد له وجوه النقض ثم رفعه الى درجة قاضى القضاة ، وقال له أنت أعلم بذلك فخرق الامان . وكانت هناك يد أخرى تحرك هؤلاء السعاة من وراء جدار ، وهى يد الفضل بن الربيع لانه كان يحسد الفضل بن يحيى على المزلة التى نالها بحسن سياسته وأخلاقه ، عند الرشيد فى استنزال يحيى بن عبد الله بالامان وكان يحاول أن ينال مع الرشيد مركز البرامكة . وفى بعض الايام اجتمعا عند الرشيد فنظر يحيى بن خالد البرمكى الى الفضل بن الربيع وقال له : هذا من آفاتك ، فجعل البرامكة يجتهدون فى تخليص يحيى بن عبد الله الكامل من ظلمه وقد جعل الفضل بن الربيع على جعفر بن يحيى عينا من خدمه وخاصته قال أبو محمد الزيدى وكان فيما قيل : أعلم الناس بأخبار القوم ، فقال : من قال : ان الرشيد قتل جعفر بن يحيى البرمكى بغير سبب يحيى بن عبد الله الكامل فلا تصدقه . وذلك ان الرشيد كان دفع يحيى بن عبد الله الى جعفر بن يحيى البرمكى فحبسه ثم دعا به ليلة من الليالى ، فسأله عن شيء من أمره فأجابه فدخلا فى حوار جدلى حتى قال يحيى بن عبد الله لجعفر : اتق الله فى أمرى ولا تتعرض أن يكون خصمك غدا محمد صلى الله عليه وسلم ، فو الله ما أحدثت حدثا ولا آويت محدثا فرق جعفر البرمكى عليه وقال له : اذهب حيثما شئت من بلاد الله ، قال : وكيف اذهب ولا آمن أن أوخذ بعد قليل ، فارد اليك أو الى غيرك ؟ فوجه معه من اداه الى مأمنه وبلغ الخبر الفضل بن الربيع من طرف العين التى كانت له عليه من خاصته ، فاستقصاه فوجده حقا ، وانكشف عنده فدخل على الرشيد فأخبره الخبر ، فأراه انه لا يعبأ بأوامره ، فقال الرشيد ، وما أنت وهذا ؟ لام لك ، فلعل ذلك عن امرى فانكسر ابن الربيع وخاف على نفسه ، فجاء جعفر ودعا بالغداء فأكلا ، وجعل يلقمه ويحادثه الى أن كان آخر ما دار بينهما ، أن قال الرشيد ما فعل يحيى بن عبد الله ؟ قال هو بحاله يا أمير المومنين فى الحبس الضيق والاكبال ، قال : بحياتى فاحجم جعفر وكان من أدق الخلق ذهنا ، وأصحهم فكرا ، فهجس فى نفسه انه قد علم بشيء من أمره ، فقال : لا ، وحياتك ياسيدى قد علمت انه لا حياة به ، ولا مكروه عنده ، فأطلقته ، قال : نعما فعلت ، ما عدوت ما كان فى نفسى ، فلما خرج أتبعه نظره حتى كاد يتوارى عن وجهه ، ثم قال : قتلنى الله

بسيف الهدى على عمل الضلالة ان لم أقتلك ؛ وهكذا كانت حياة القوم اخطر على الوزراء وكبار الدولة ، وكان سبب عدم نجاح يحيى بن عبد الله في ثورته قربه من مركز الخلافة بغداد ، كما كان السبب في نجاح أخيه ادريس بالمغرب بعده عن مركز الخلافة بغداد في قيام دولته بالمغرب الاقصى

ادريس بـــن عبد اللـــه الكامـــل في المغـــرب

قد أدت محنة البيت العلوي صاحب النفوذ الروحي الى أمر لم يكن في الحساب عند أبناء عمهم العباسيين ، وهو انهم قد استطاعوا الحصول على أوفر قسط من عطف الامة الاسلامية عليهم بسبب ما مر بهم أيام قيام الدولتين : الاموية ، والعباسية ، وما قدموه من ضحايا خلال قرن كامل حتى استطاعوا من خلال ذلك أن يؤثروا على الدولة العباسية العتيدة في عنفوان شبابها ، وقد تبين ذلك من خلال حادثتين :

1 — جعفر البرمكي رق على يحيى بن عبد الله الكامل فمن عليه وأطلقه بدون أمر الرشيد ، وأمره ان يذهب حيث يشاء من بلاد الله بل رافقه رجلا ابلغه مأمنه ، وقد سبب ذلك ريبة في قلب الرشيد من رجال دولته ، فجعل يشدد في العقوبة على من يتهم بالميل اليهـــم ، والعطف عليهم ، ثم شدد في التضييق على من بقي منهم بالمدينة ، وجاء بموسى الكاظم بن جعفر الصادق الى بغداد ليقيم تحت ولاية نظره .

2 — واضح الذي كان من موالي بني العباس على بريد مصر فانه هو الذي سهل لادريس المرور بأرض مصر مع معرفته به ، وكان والي مصر وعاملها علي بن سليمان الهاشمي .

قصة فـــرار الامام ادريـــس الى المغـــرب

خرج الامام ادريس من مكة بعد ان افلت من وقعة فخ يوم التروية ، ثامن ذي الحجة الحرام سنة 169 هـ ، قاصدا بلاد المغرب الاقصى ، سرا خوفا على نفسه من موسى الهادي رابع الخلفاء العباسيين ، فاستصحب معه مولاه راشدا ولما وصلا الى مصر ، ومرا بدار حسنة اعجبهما حسنها فخرج اليهما رجل فسلم عليهما وبعد كلام دار بينهما كشف الحال انه واضح الذي كان على بريد مصر ، ثم استرسلا معه في الكلام فسألاهما من هما ؟ ومن اين أتيا ؟ فخافا منه أن يصدقاه في الجواب ، فعرض عليهما الضيافة فأضافهما ، وبعد أن استوثقا منه عرفاه من هما ومن أين أتيا ، فأعطاهما

الامان وطمأنهما على أنفسهما واعلمهما بأنه من شيعة آل البيت الفاطمى ؛ وبعد أن أدخلهما منزله أقاما معه مدة فى اكرام ونعيم ، ثم وصل خبر الضيفين الى عامل البلد ، فاستدعى واضحا ، وأبلغه ما عنده من أمر الخليفة بأنه لا يترك أحدا من الغرباء يمر حتى يسأل عن حاله ، ويعلم صحة نسبه ، ومن أين قدم ؟ والى أين يسير ؟ ثم افاده بأنه يكره التعرض لآل البيت الفاطمى . ثم قال له : أبلغهما عنى الامان ، واعلمهما بمقالتى لهما وقل لهما يخرجان من عملى ليلا يصل خبرها الى الخليفة الهادى ببغداد ، وقد أجلتكم فى الخروج ثلاثة أيام . ثم أتى اليهما واضح ، فجهزهما ، واشترى لهما راحلتين ولنفسه أخرى ، وصنع لهما زادا يبلغهما الى افريقيا ، وقال لراشد اخرج أنت مع الرفقة ، على الجادة ، وأخرج أنا على طريق لا تسلكه الرفاق ، وموعدنا مدينة برقة . ثم خرجا من مصر فى زى التجار حتى بلغا مدينة برقة . وفيها لقيه برفيقه . وودعهما بعد ان اشترى لهما زادا يبلغهما . ثم رجع الى مصر فسارا حتى وصلا الى القيروان . فأقاما بها مدة ثم خرجا منها . فى اتجاههما الى المغرب الاقصا . فغير راشد ما كانا عليه من الزى فى سفرهما فألبس الامام ادريس مدرعة صوف خشنة وعمامة غليظة ، وصيره كالخادم له يامره وينهاه ، حتى وصلا الى تلمسان ، فاستراحا بها أياما . ثم ارتحلا عنها عبر وادى ملوية فدخلا بلاد السوس الادنى ثم سارا عبر شواطىء المحيط الاطلسى ، فشاهدا ما فى بلاد المغرب من خصب وخيرات ، فاستمرا فى طريقهما حتى وصلا الى مدينة طنجة ، وهى يومئذ قاعدة بلاد المغرب فأقاما بها أياما ، فلم يجدا بها اكراما ، ثم رجعا فى طريقهما حتى وصلا الى مدينة وليلى قاعدة جبل زرهون وكان لها سور عظيم من بنيان الاوائل ، فنزل الامام ادريس بها على صاحبها اسحاق ابن عبد المجيد الاوربى المعتزلى ، فأكرمه وبالغ فى اكرامه ، ثم عرفه ادريس بنفسه وبسره ، فوافقه على حاله ، فتولى خدمته والقيام بشؤونه ، وكان نزوله بها فى فاتح ربيع الاول بسنة 172 هجرية ، وبوصوله للمغرب ظهر جرح جديد فى جنب الدولة العباسية ، حيث اجترات امة من الامم الاسلامية وهى امة البربر بالمغرب الاقصا ان تخرج عن طاعتها معتقدة انها وجدت ضالتها المنشودة من بنى فاطمة الزهراء والذى كان العالم الاسلامى كله متطلعا الى خلافة بنى فاطمة دون أن يستطيع أحد أن يحقق شيئا من ذلك ، طيلة قرن كامل فنال المغرب بذلك حظا اعلى من بين مختلف أقاليم المملكة الاسلامية الكبرى المترامية الاطراف من مدينة طاشقند فيما وراء نهر جيحون الى نهاية قشتالة من بلاد الاندلس فى اسبانيا غرب اوربا

فعلا صيت المغرب فى العالم الاسلامى داويا لانه عثر على رجل من آل البيت النبوى الشريف ، فأعلن انفصاله عن عاصمة بغداد حاضرة خلافة العالم الاسلامى فخاف الرشيد من المغاربة لانهم كانوا يعرفونهم أهل حرب وشدة من الفتح الاسلامى لما اشتهر من وصفهم بأنهم مثل موج البحر ، كلما بادت أمة خلفتها أخرى ، وهكذا بدون انقطاع ، فأقام الرشيد بافريقيا دولة الاغالبة ، وجعل مقرها القيروان كى تكون فاصلا بين عاصمة الخلافة والدولة الادريسية الجديدة ، كما يفعل من رأى حريقا شب بجزء من داره ، فاجتهد أن يفصل بين ما تناولته النار وبين سائر البيت وهذا ما استطاع أن يقوم به هارون الرشيد تلافيا لهذا الحادث الخطير .

الامـــام ادريس يقيم دولـــة بالمغـــرب

وبعد استقرار الضيف الكريم بأرض المغرب جعل اسحاق بن عبد المجيد الاوربى يستشير أعيان قبائل البربر فى الدعوة الى ادريس واقامـــة دولة جديدة بالمغرب مستقلة عن حاضرة بغداد . فاستحسنوا رأيه . ثم جعل يدعو رؤساء البربر وأعيانهم للاجتماع الى دعوته ، فاجتمع عليه خلق كثير كلهم مسرورون بالدعوة للضيف الكبير وبعد أن تم الجمع بايعوه بالخلافة بمدينة وليلى ، وافق ذلك يوم الجمعة 14 رمضان المعظم ، سنة 172 هجرية ، على أن يقيم فيهم كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم ، وأول من بايعه قبائل مكناسة ، وغمارة ، ولماية ، ولوانة ، وصدراتة ، وغيانة ، ونفزة من قبائل أوربة ، ثم زناتة ، ثم اصناف قبائل البربر ، منهم زواغة ، وزواوة ، ولما تم له الامر صار ينظم الجيوش ويجمع العدة الحربية ، ثم خرج يفتح البلاد حتى وصل الى مدينة تلمسان ، وفى عزمه غزو افريقيا كلها ، فهال الامر هارون الرشيد فجعل يفكر فى أمره ، فأراد ان يرسل اليه جيشا لحربه ، ولكن خبراءه نصحوه بأن لا يفعل ، ولا يجوز أن يرتكب طريق الفشل ، معللين له ذلك ببعد المسافة عن حاضرة الخلافـــة بغداد وحسنوا له أن يستخدم الغيلة ، فجعل يبحث عن متطوع كفء لذلك حتى يسهل عليه الانتقام من ادريس الخليفة المغربى المستقل ، فعثر على سليمان ابن جرير الشماخ ، وطلب منه ان يحتال فى قتل ادريس ، وزوده مالا وطرفا يستعين بها على مراده فتوجه الى المغرب وبعد وصوله اليه اظهر عداوته للعباسيين ، ففرح ادريس به ، وآواه وطلب اليه أن يقيم عنده ليتعاون معه ، وكان عالما ذكيا فصيحا أديبا ، فأصاب من قلب ادريس موقعا فرحب به

لانه كان فى أمس الحاجة الى امثاله ، ليعينوه على القيام بالمهمة ، التى انيطت به ، ولما آنس من موقعه فى قلبه جعل يتحين الفرصة لتنفيذ رغبته ، فلم يجد له احسن من الاختلاء به ، حين اتفق له يوما أن خرج مولاه راشد للاصطياد فاختلى به فسمه فى قارورة طيب أهداها اليه ، وقال لـــه : يا مولاى هذا نوع من الطيب الجيد أتيت به معى من الشرق ، لا يصلح الا لك ، فلما شمه ادريس سقط من حينه مغشيا عليه فمات ، وفر سليمان ابن جرير ، متجها فى سبيله الى بلاد الشرق من حيث أتى ، ولما جاء مولاه راشد ووجده ميتا علم المكيدة ، ثم ركب فى الحين جوادا أعده لذلك ، وركب معه جماعة من شبان البربر ، ثم توجهوا فى طلبه ، قاصدين طريقه ، فأعيت بهم خيلهم وتبعه راشد وحده ، فلحق به فى وادى ملوية ، فتضاربا بالسيف فى وسط الوادى فأصابه راشد بجراح وقطع يده اليمنى ، ففر مثخنا بالجراح مقطوع اليد اليمنى ، وقد أخبر من رآه ببغداد ويده اليمنى مبطولة وبرأسه وجسده اثر الجراحات قد برئت ثم رجع راشد الى سيده ادريس الخليفة المرحوم ، فجهزه ودفنه هو ومن حضر معه من أعيان البربر بجنب مدينة وليلى ، ثم استدعى راشد رؤساء القبائل ووجوه الناس بعد فراغه من دفن سيده ادريس ، فأخبرهم ان الامام ادريس المرحوم لم يترك ولدا الا حملا بجاريته كنزة النفزية ، وهى فى الشهر السابع من حملها ، ثم قال لهم : فان رأيتم أن تصبروا حتى تضع الجارية حملها ، فان كان ذكرا ربيناه حتى اذا بلغ مبلغ الرجال بايعناه ، وان كان جارية نظرتم لانفسكم مـــن ترضونه وترونه أهلا لذلك ، فقالوا له : أيها الشيخ المبارك ما لنا رأى الا ما رأيت ، فأنت عندنا عوضا من ادريس الرحوم تصلى بنا وتقوم بأمرنا وتحكم فينا بما يقتضيه الكتاب والسنة كما كان الامام ادريس رحمه الله ، حتى تضع الجارية حملها ، فان كان غلاما ربيناه وبايعناه ، وان كان جارية نظرنا فى أمرنا ، فشكرهم راشد على ذلك ودعا لهم وانصرفوا ، فقام راشد فى الامر حتى اتمت الجارية اشهر حملها ، فوضعت غلاما شبيها بوالده ادريس المرحوم ، فدعا راشد اعيان البربر ورؤساءهم فأخرج اليهم الغلام قبل سابع الولادة ، فلما نظروا اليه ووجدوه شبيها بأبيه المرحوم اقترحوا أن يكون اسمه كأبيه ثم اجمع رايهم على أن يسموه باسم أبيه ، فسموه ادريس ، فهو ادريس الثانى بن ادريس الاول ، واسم أمه كنزة النفزية ، ونفزة قبيلة كبيرة من بلاد طرابلس وسكانها برابرة ، وقد استوطن منهم المغرب من بايعوا المولى ادريس ، وصاهروه منهم وقد تقدم ان نفزة من قبائل أوربة ، وأوربة من ولد أورب بن برنوس كان لها أيام الفتح الاسلامى

التقدم على سائر القبائل البربرية لكثرة عددها ، وقوة بأسها ، ومنها كسيلة، قاتل الصحابى الجليل عقبة بن نافع بأرض تلمسان من عمالة الجزائر اليوم، وقبره هناك رضى الله عنه مزارة مشهورة . وكان وضع ادريس الثانى صبيحة يوم الاثنين 3 رجب سنة 177 هجرية من السنة التى مات فيها أبوه رحمه الله . وكانت خلافته بالمغرب 4 أعوام و 7 أشهر ثم أقام راشد على كفالة ادريس الثانى بأمر من رؤساء البربر وأعيانهم الى أن بلغ مبلغ الشباب ، وظهرت نجابته وهو ابن 8 أعوام ، حفظ فيها القرآن . وعلمه الفقه والسنة والادب والنحو والشعر وأمثال العرب وحكمها . وسير الملوك وسياستها ، وعرفه أيام الناس ، ورباه على ركوب الخيل ، وعلمه الفروسية والرمى بالسهام كما علمه مكايد الحروب وبعد أن أخذ تعليمه من ذلك كله ، وكملت له من السنين 11 سنة أخذ له مولاه راشد البيعة من قبائل البربر بالمغرب فبويع له بجامع مدينة وليلى ، وكان ذلك يوم الجمعة 17 ربيع الاول سنة 188 هجرية قاله البكرى والبرنوسى : استعجل راشد بذلك لما راى على المولى ادريس الثانى من النبل والذكاء والعقل والعلم ما جعله جديرا بذلك ، وقد ظهر عليه من الفصاحة والبلاغة واصابة مواقع الكلام ونضج الذوق ما أذهل عقول الخاصة والعامة . وبعد أن أخذ له البيعة صعد على المنبر وخطب الناس فى ذلك اليوم فقال :

الحمد لله أحمده وأستعين به ، وأستغفره وأتوكل عليه ، وأعوذ به من شر نفسى وشر كل ذى شر ، واشهد أن لا الاه الا الله ، وأن محمدا عبده ورسوله المبعوث الى الثقلين بشيرا ونذيرا ، وداعيا الى الله باذنه وسراجا منيرا ، صلى الله عليه وسلم وعلى آل بيته الطاهرين الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا .

أيها الناس ، انا قد ولينا هذا الامر الذى يضاعف فيه للمحسن الاجر ، ويضاعف للمسىء فيه الوزر ، ونحن — والحمد لله — على قصد جميل ، فلا تمدوا الاعناق الى غيرنا ، فان ما تطلبونه من اقامة الحق انما تجدونه عندنا ، ثم دعا الناس الى بيعته وحضهم على التمسك بطاعته ، فتعجب الناس من نبله وفصاحة لسانه ، وقوة جأشه وثبوت جنانه على صغر سنه ، ثم نزل عن المنبر فتسارع الناس الى اتمام بيعته ، وازدحموا عليه مقبلين يديه ورجليه ، فبايعه كافة قبائل المغرب من زناتة ، واوربة ، وصنهاجة ، وغمارة ، وسائر قبائل البربر ، وتم له بذلك البيعة ، وبعد بيعته بقليل توفى مولاه راشد والله اعلم . واياك أن تنسى يقظة العباسيين

واقامتهم دولة الاغالبة بافريقيا ، فاستغلوا فرصة قرب بهلول بن عبد الواحد من الامام ادريس الثانى فأرادوا أن يعيدوا الكرة عليه مثل التى صنعوا بأبيه ، فجعله ادريس من خاصته لانه كان رئيسا معظما فى قومه ، فكاتبه ابن الاغلب عامل الرشيد على افريقيا ، واستماله اليه بالمال فمال اليه ، وبايع لهارون الرشيد ، فأحس به الامام ادريس فقال فى ذلك :

أبهلول قد سمتت نفسك خطة ... تبدلت منها صولة برشاد
أضلك ابراهيم من بعد داره ... فأصبحت منقادا بغير قياد
كأنك لم تسمع بمكر ابن أغلب ... غدا آخذا بالسيف كل بلاد
ومن دون ما منتك نفسك خاليا ... ومنك ابراهيم شوك قتاد

فدس ابن الاغلب من أبلغ الى بهلول بن عبد الواحد أموالا كثيرة . وقد كان ذلك لما عزم راشد على أخذ البيعة لادريس . وكان له من العمر 11 سنة ، و 5 أشهر . فأخذ بهلول المال . وقتل راشدا . وقد تم له ذلك سنة 188 هجرية . فقام بأمر ادريس بعده أبو خالد يزيد بن الياس العبدى ، وفى رواية أخرى هو الذى أخذ البيعة لادريس الثانى بعد موت راشد بـ 20 يوما ، يقول عامل افريقيا فيما كتب به الى الخليفة ببغداد : بعد نجاح المكيدة الثانية يعرفه بخدمته ونصيحته :

ألم ترنى بالكيد أرديت راشدا ... وانى بأخرى لابن ادريس راصد
تناوله عزمى على بعد داره ... بمحتومة قد هيأتها المكايد
فتاه أخو عك بمقتل راشد ... وقد كنت فيه شاهدا وهو واقد

وابن عك هو منافسه فى عمالة افريقيا محمد بن مقاتل العكى ، سبقه بالكتاب الى الرشيد يعلمه بأن قتل راشد مولى ادريس هو من صنعه وتدبيره ، وكتب صاحب البريد الى هارون الرشيد بكذب العكى ، فعزل عن افريقيا ، وكان الذى دس لقتل راشد هو ابراهيم بن الاغلب ، فصدق وكذب العكى وفى ذلك قيل :

فلو كنت ذا عقل فقل لابن أغلب ... فلا تحد من هارون تقتل راشدا
دثرت طريق الحق ويلك حاسدا ... وأنت على بعد ولا شك حايدا
أيا راشدا والله لا زلت راشدا ... لقد طال ما قد كنت لله ساجدا
خديم لاهل البيت ما دمت ناصحا ... وقمت قياما يافظا ومشاهدا
فكنت تقى ادريس فى كل شدة ... بنفسك من لص ومن كان حاسدا
زمانا طويلا فى أمور شظيظة ... مع الاب ثم النجل معه شدائدا
فما صحبت نفس وما ملكت يد ... كمثلك راشد لمن كان راشدا

شرقت فى أرض الغرب شمسا منيرة — وادريس فلك السيران كان راصدا
فعرف بأن الرشد منه اشتقاقـــه — دليـــل لاهـــل العلم فيـــه معاهدا
جزاك الاه العرش خيـــر جزائـــه — وأسكنك الفـــردوس ما دمت خالدا

وبعد ان تمت البيعة لادريس الثانى ثبتت الخلافة الحسنية بالمغرب الاقصا على رغم الرشيد وعملائه . وبذلك قد بطل ما بذل هو وأعوانـــه على ابطـــالهـــا .

وفى سنة 193 هجرية توفى هارون الرشيد 3 جمادى الاخيرة . موافق 24 مارس سنة 808 ميلادية ، وكانت مدته ثلاثة وعشرين سنة وشهرين ، وكان سنه 48 سنة ، وكان يعاصره فى الاندلس عبد الرحمن ابن معاوية بن هشام بن عبد الملك الاموى الملقب بالصقر ، وهو المعروف بعبد الرحمن الداخل ، وكانت مدته من 138 — 172 ثم جاء بعده ابنه هشام بن عبد الرحمن من 172 — 180 ه ثم الحكم بن هشام من 180 — 206 ه ولم يبق الخطر على دولة هارون الرشيد قاصرا على المغرب ، بل تعداه الى غرب اوربا ، فقد اقتطع منها قطر الاندلس عبد الرحمن الداخل وبنى فيه دولة أخرى للامويين على رغم أنف العباسيين ، وليس خطـــر المغرب وغرب اوربا ، بأقل خطرا من خطر المشرق فيما وراء نهر جيحون ، فقد حصل ما يوذن بخطر مستقبل من جراء والى خراسان ، وهكذا أحاط الخطر بدولتهم بسبب مكرهم وتعسفاتهم حتى من رجال دولتهم والامـــر للـــه سبحـــانـــه .

البيعـــة وولايـــة العهـــد

اقتضى الحال شرح البيعة وولاية العهد ، وان كان ذكرها استطراديا لان الكتاب له مساس بالاحـــوال التاريخية ، ولذلك كـــان لا مندوحة عن العرض لها من الوجهة الاسلامية . والناس فى امرهم يفعلون ما يشاءون ، فالبيعة مأخوذة من البيع ، وهو التعاقد بين الطرفين اللذان هما البائـــع والمشترى ، فانهما كانا يتصافحان بالايدى عند الرضى بالثمن فيفترقـــان على ذلك ، وقد تم عقد البيع بينهما ، وكان النبى صلى الله عليه وسلم يفزع اليها عند الشعور بالوقوع فى خطر داهم، كما وقع فى خطر الحديبية،فانه عندما شعر بأن الخطر داهمه دعا اصحابه وقال لهم : من يبايعنى على الموت، ومديده الكريمة وقال : هذه يدى ومعها يد عثمان ، وقد ضرب عليها كل من كان معه وكان عددهم 1500 من المهاجرين والانصار ، ووقعت هـــذه

المبايعة بالقرب من مكة تحت شجرة فسميت بشجرة الرضوان ، ومع مرور الزمن جعل الناس يزورونها ويتبركون بها ، فأمر عمر بن الخطاب رضى الله عنه فى زمن خلافته بقطعها ، وكانت هذه البيعة أصلا للبيعة فى الاسلام . لان خليفة الحق منها كان يستمد قوته . وكانوا يرون الوفاء بها من الزم ما يوجبه الدين على كل مسلم ، وكان عقدها يتم من طرف اهل الحل والعقد بين جمهور المسلمين ، لان الاصل فى انتخاب الخليفة رضى الامة وبهذا اخذ المسلمون بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم . وأول من انتخب برضى الامة فى الاسلام أبو بكر الصديق ، اعتمادا على أن رسول الله صلى الله عليه وسلم رشحه لها بأمره بالنيابة عنه فى الصلاة فى مرضه الذى مات فيه ، وقالوا : لقد رضيه لديننا افلا نرضاه لدنيانا ؟ فاجتمعت كلمة الصحابة له ، وتم بذلك انتخابه للخلافة الاسلامية . فبايعوه بها ، أى عاهدوه على السمع والطاعة فيما فيه رضى الله ورسوله . وعهد هو اليهم أن يحكم فيهم بمقتضى كتاب الله وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهذا التعاقد بين الخليفة والامة . هو معنى البيعة تشبيها له بما ينعقد بين البائع والمشترى ، واما ولاية العهد فهى ترشيح الخليفة من رءاه كفؤا لتحمل أعباء الخلافة ، وهى سنة ابى بكر قد رشح لها من رءاه كفئا من غير عشيرته ، وهو امير المومنين عمر بن الخطاب ، فاختاره لها أهل الحل والعقد وجمهور الصحابة واتبع هو فيها سنة أبى بكر ، ولما راى كثرة الاكفاء من غير عشيرته جعلها شورى بين ستة تعينها القرعة ، فكانت من نصيب الخليفة عثمان رضى الله عنه ، وهذا لم يرشح لها احدا لانه مات مغصوبا مظلوما ، فتولاها الخليفة على بن أبى طالب بترشيح الامة واختيار أهل الحل والعقد من كبار الصحابة ، فتمت بيعته بعد ذلك ، وهو لم يرشح لها احدا وتركها لاختيار الامة ، فرشحت لها الامام الحسن ، وانعقدت له البيعة باختيار اهل الحل والعقد وجمهور الصحابة والتابعين وتمت خلافته بالتنازل لمعاوية بن ابى سفيان فجعلها هذا الاخير هرقلية كما تقدم ، فكان ذلك من جملة الاسباب التى عاقته عن أن يدخل فى عداد الخلفاء الراشدين ، وتبعه على ذلك الخلفاء العباسيون فكانت ولاية العهد من جملة الاسباب التى زعزعت ركن دولتهم ولم يعتبروا بمن مضى فجلبوا على انفسهم من الشرور والفتن ما كان السبب فى تقويض دولتهم ، قال الله تعالى : قل اللهم مالك الملك توتى الملك من تشاء وتنزع الملك ممن تشاء وتعز من تشاء وتذل من تشاء بيدك الخير انك على كل شىء قدير » والدوام والبقاء لله وحده . وبالخلافة الحسنية فى المغرب ، والخلافة الاموية فى

الاندلس تم خروج اقليمين عظيمين من الولاية العباسية الواسعة الاطراف ، ثم بعد ذلك ظهرت دولة الحسن بن زيد بطبرستان سنة 250 — 355 هـ ، وظهرت دولة الفاطميين بافريقيا ، فاستولوا عليها ، وعلى الجزائر والمغرب الاقصا ، ثم مدوا سلطانهم على مصر وسوريا والحجاز ، واليمن وشواطىء الفرات ، وكادت نارهم تلفح وجه الدولة العباسية ، وقد اتخذ احد الثوار العراقيين هذه الدعوة ذريعة الى التمكن من الامر ، وخطب للعلويين سنة كاملة على منابر بغداد ، ولما راى العباسيون انهم عاجزون عن دفع هذا العدو اللدود عنهم لجأوا الى ما ظنوا أنه يفيدهم ، وهو آخر سلاح بأيهم وهو الطعن فى نسبهم ، فكتبوا محضرا بذلك فى بغداد ، ودعوا العلماء والفقهاء والقضاة لتوقيعه ، وكذلك دعوا من كان تحت نظرهم ومراقبتهم من كبار بنى هاشم ، وقالوا ان نسب العبيديين بمصر غير صحيح ، وانهم ادعياء ملعونون ولما وصل ذلك الى نقيب الطالبيين ببغداد الشريف الرضى قال فيهم :

ما مقامى على الهوان وعندى	مقول صارم وانف حمى
واباء محلق بى عن الضيـ	ـم كما زاغ طائر وحشى
اى عذر له الى المجد ان ذ	ل غى غمده المشرفى
البس الذل فى ديار الاعادى	وبمصر الخليفة العلوى
من ابوه أبى ومولاه مولا	ى اذا ضامنى البعد القصى
لف عرقى بعرقه سيد النا	س جميعا محمد وعلى
ان ذلى بذلك الجو عـز	واو امى بذلك النقع رى
قد يذل العزيز ما لم يشمر	لانطلاق وقد يضام الابى
ان شرا على اسراع عزمى	فى طلاب العلا وعزمى بطى
ارتضى بالاذى ولم يقف العز	م قصورا ولم تعز المطى
كالذى يخبط الظلام وقد اقمـ	ـر من خلفه النهار المضى

ولما عتب الخليفة القادر بالله على والده انكرها ، ولم يثبتها فى ديوانه وهى مشهورة عنه ومن طراز شعره ، ولم تفدهم محاولاتهم هذه شيئا فى رتق الفتق واطفاء نار الفتن المشتعلة فى ولايتهم ، ومما زاد النار اشتعالا ، والفتن اتساعا ان بنى بويه الذين استولوا على بغداد فى منتصف القرن الرابع كانوا شيعة لآل على ، فأباحوا للشيعة الظهور فى بغداد بما يشتهون من البدع والعادات التى كانوا ياتونها يوم عاشوراء ، فقد كانوا يجعلونه يوم حزن يخرج فيه النساء حاسرات نادبات لاطمات ينعين الحسين

شهيد كربلاء رضى الله عنه ، وصار الناس يتقربون الى السلطان بالتشيع ، ولما جاء المامون بن هارون الرشيد . ورأى الخطر محدقا بدولته ، سلك مع العلويين غير سياسة ابيه لما راى من عطف رجال الدولة وأنصار الدعوة على العلويين والميل اليهم وكراهة ما نالهم على أيديهم ، واظهروا مزيد الشفقة عليهم من أن يلحقهم مثل ذلك . فغير سياسة الشدة معهم وتقرب اليهم ببعض ما يحبون ، مما يرضي رغبة العاطفين والمائلين . حتى يكسر من حدتهم ويخفف من عملهم وشيعتهم ضد الدولة . فاختار لقربه منه الشريف على الرضى بن موسى الكاظم الحسينى الذى يتولاه أكثر الشيعة . فقربه اليه وولاه عهده ، وزوجه ابنته . وقد فعل ذلك ارضاء لوزيره الحسن ابن سهل لانه كان أحد شيعة آل على . وأحد رجال نعمة المامون فى سوق الخلافة اليه بعد تنحية اخيه الامين عنها . وبقدر ما أرضى المامون بهذه السياسة الجانب العلوى ومن تبعهم من الشيعة ، اغضب رجال عصبيته من العباسيين فثاروا ضده ببغداد . وخلعوه . واختاروا من بينهم عمه ابراهيم ابن المهدى فلم يجد امامه ما يلئم به هذا الصدع الخطير . الا أن يحتال أولا فى التخلص من وزيره الحسن بن سهل . فبعث اليه من تناولوه باسيافهم . ثم تخلص ثانيا من صهره وولى عهده على الرضى فسمه وقتله ، وهناك قرائن قوية تدل على ذلك ، ثم رجعت الامور الى مجراها فرجعت اليـــه عصبية أبناء عمه العباسيين ، وانحرفوا عن عمه ابراهيم بن المهدى ولكن المامون ظل متمسكا بعد ذلك بعطفه على العلويين وشيعتهم ، والولاء لعلى ابن أبى طالب معلنا ذلك فى كلامه وفى خطبـــه وكتبه . حتى اذا رأى منهم ما يبعث على الريبة والخروج عليه جعل يلاطفهم ، ولكن الى متى تظل سياسة الملاطفة والمجاملة ؟ مع الخـــوف مـــن اغضاب عصبيتـــه عليـــه . فلم يسعه مع ذلك الا أن يغير سياسته معهم ويرجع الى سياسة ابيه فى الاحتياط والحذر منهم ، وامر أن لا يدخلوا عليه بعد أن ثار عليه بعضهم باليمن ، فرأى أن يؤسس دولة باليمن ، شبيهة بدولة الاغالبة بافريقيا وهى الدولة الزيادية ، والغرض منها قطع الطريق على من باليمن من العلويين وشيعتهم حتى لا يخرجوا عليه مرة أخرى ، ثم سلك سياسة الحجر مع ائمة الشيعة فأماطهم على مرأى ومسمع من أعينهم ببغداد ، وفى سامرا بعد اختطاطها .

سرد ترتيب الخلفـــاء العباسيين

ولتمام الفائدة رأيت سرد من تولى الخلافة من العباسيين علـــى الترتيب مصحوبا بتاريخ البدء والنهاية لكل واحد منهم مع تطور العصور التى مروا بها ، الى أن خرجت الخلافة من أيديهم الى بنى أيوب من الاكراد

والاتراك : وتلك الايام نداولها بين الناس » ٠

1) فأولهم : عبد الله أبو العباس الذى لقب نفسه « السفاح » ابن محمد بن على بن عبد الله بن عباس عم النبى صلى الله عليه وسلم بويع بالخلافة يوم الخميس 13 ربيع الاول سنة 132 هـ ٠

2) أخوه عبد الله أبو جعفر الملقب المنصور تولى الخلافة سنة 136 هجرية ٠

3) ابنه محمد المهدى تولى الخلافة بعد أبيه سنة 158 هجرية ٠

4) موسى البادى بن محمد المهدى بويع بالخلافة سنة 169 هجرية — 785 ميلادية ٠

5) هارون الرشيد بن محمد المهدى أخوه بويع بالخلافة سنة 170 هجرية — 786 ميلادية ٠

6) محمد الامين بن هارون الرشيد بويع بالخلافة سنة 193 هجرية — 808 ميلادية ٠

7) عبد الله المامون بن هارون الرشيد بويع بالخلافة يوم خلع أخوه محمد الامين سنة 198 هجرية — 813 ميلادية ٠

8) محمد المعتصم بالله بن هارون الرشيد بويع بالخلافة سنة 218 هجرية — 833 ميلادية ٠

9) هارون الواثق بالله بن المعتصم بويع بالخلافة سنة 227 هجرية — 842 ميلادية ٠

10) جعفر المتوكل على الله بن المعتصم بالله بويع بالخلافة سنة 232 هجرية — 847 ميلادية ٠

11) محمد المنتصر بن المتوكل بايعه قواد الاتراك سنة 247 هجرية — 861 ميلادية ٠

12) أحمد المستعين بالله بن محمد بن المعتصم بالله بويع بالخلافة سنة 248 هجرية — 862 ميلادية ٠

13) المعتز بالله بن المتوكل بويع بالخلافة سنة 252 هجرية — 866 ميلادية ٠

14) محمد المهتدى بالله بن الواثق بالله بن المعتصم بويع بالخلافة سنة 255 هجرية — 869 ميلادية ٠

15) أحمد المعتمد على الله بن المتوكل بن المعتصم بويع بالخلافة سنة 256 هجرية ـــ 870 ميلادية ·

16) أحمد المعتضد بالله بن أبى طلحة الموفق بن المتوكل بويـــع بالخلافة سنة 279 هجرية ـــ 892 ميلادية ·

17) على المكتفى بالله بن المعتضد بن أبى طلحة الموفق بويـــع بالخلافة سنة 289 هجرية ـــ 902 ميلادية ·

18) جعفر المقتدر بالله بن المعتضد بن أبى طلحة الموفق بويـــع بالخلافة سنة 295 هجرية ـــ 908 ميلادية ·

19) محمد القاهر بالله بن المعتضد بن أبى طلحة الموفق بويـــع بالخلافة سنة 320 هجرية ـــ 933 ميلادية ·

20) أحمد الراضى بالله بن المقتدر بن أبى طلحة الموفق بويع بالخلافة سنة 322 هجرية ـــ 935 ميلادية ·

21) ابراهيم المتقى الله بن أحمد بن المعتمد بن المتوكل على الله بويع بالخلافة سنة 329 هجرية ـــ 942 ميلادية ·

ثم جاءت الخلافة الصورية تحت سلطان آل بويه الديلميين ·

22) عبد الله المستكفى بالله بن المكتفى بن المعتضد بويع بالخلافة سنة 334 هجرية وظلت هذه الخلافة الصورية من هذا التاريخ الى سنة 447 هجرية تداولها 5 خلفاء فى مدة تقدر بـــ 113 سنة أولهم المستكفى ثم المطيع ، ثم الطائع ، ثم القادر ، ثم القائم ، كلهم يستمدون السلطـــة والنفوذ من آل بويه الديلميين ، وتسمى بلادهم جيلان والديلم ، وتقع غربى شاطىء بحر الخزر سهلها لجيلان ، وجبالها للديلم ، وقصبتها روزبار ، كانت فى القديم تابعة لحكم فارس ، الا أن أهلها لم يكونوا من عنصر فارسى، بل كانوا اهل عنصر يمتازون على غيرهم بخلال الجودة والهمة الرفيعة العظيمة ، ولذلك سموا الديالمة أو الجيلانية ، وكانت بلادهم مما فتحه الخليفة عمر بن الخطاب رضى الله عنه ، واستمروا خاضعين للنفـــوذ الاسلامى مع بقائهم على وثنيتهم ، ولم يؤثر عليهم النفوذ الاسلامى فـــى تحويل مجتمعهم الجاهلى ، كما لم يفقدهم جنسيتهم ، وكانت تجاورهـــم أقاليم طبرستان التى قامت فيها الدولة العلوية المسماة بالدولة الزيدية التى تقدمت الاشارة اليها سابقا ، وكانت عاصمتها مدينة آمل وكان جل أهلها يدينون بالاسلام ، ويتشيعون لبيت آل على كرم الله وجهه ·

23) الفضل المطيع لله بن المقتدر بالله بن المعتضد بالله بويع بالخلافة سنة 335 هجرية — 947 ميلادية · وكان النفوذ فى حياته لمعز الدولة من آل بويه ، ومما أحدثه فى الاسلام سنة 352 هـ أن أمر باغلاق الدكاكين ، وابطال الاسواق ، وترك البيع والشراء فى يوم « عاشوراء » عاشر المحرم وجعله يوم حزن على الامام الحسين شهيد كربلاء من كل سنة، وأباح للنساء فيه أن يظهرن النياحة ، وأن يخرجن حاسرات الى الشوارع ، ناشرات الشعور مسودات الوجوه ، قد شققن ثيابهن متجولات فى الشوارع، مولولات نائحات لاطمات خدودهن باكيات على الامام الحسين ، ولم يكن لاهل السنة والجماعة قدرة على منعهن لكثرة الشيعة وتأييدها من طرف السلطة الحاكمة ، كما أحدثت لهم ذكرى أخرى فى يوم 18 حجة ، وجعلها يوم عيد للفرحة والسرور ، احياء لذكرى « غد يرخم » احتفالا به ، وأمر باظهار الزينة فى البلد ، وايقاد الشموع والنيران ليلا بمجلس الشرطة مع اظهار كل نوع من أنواع الفرح ، وتفتح الاسواق ليلا ، كما هو الشأن فى ليالى الاعياد ، وضرب الدفوف والابواق ، وان يكون اليوم يوما مشهودا · وسبب هذه الذكرى ما روى عن النبى صلى الله عليه وسلم بموضع غد يرخم ، من أنه قال فيه : من كنت مولاه فعلى مولاه اللهم وال من والاه ، وعاد من عاداه · وما انه الا قد امتحن الله المسلمين بخروجها من يداهلها « قريش » فعم عليهم سلطان عدوهم من الروم ، واكتسح البلاد شرهم ، فقتلوا وحرقوا ، وسبوا ونهبوا ، ولم يستطع أحد أن يقف فى وجوههم فى ظرف ثلاث سنوات ، من 358 — 361 هجرية أغار ملك الروم فيها على الدهى ونواحيها ، وهى مدينة تقرب من نهر الفرات ، فهرب اهلها عنها ، وساروا فى الجزيرة بين الدجلة والفرات حتى وصلوا الى نصيبين ، فنهبوا وسلبوا وحرقوا وخربوا البلاد ، وفعلوا مثل ذلك بديار بكر بن وائل ، ولم يظهر من أبى تغلب حاكم الموصل فى ذلك العهد حركة ولا سعى فى دفع ذلك الخطر عن البلاد ، لانه خاف على نفسه فدفعهم عنه بالاموال التى حملها اليهم فلم يقصدوه فتحركت جماعات من أهل تلك البلاد فساروا الى بغداد مستنصرين ومستنجدين بمن فيها ، فأقاموا فى المساجد والمشاهيد يستنفرون المسلمين ذاكرين لهم ما فعله الروم الغازون لبلادهم من القتل والنهب والسلب والاسر ، فاستعظم ذلك الناس وخافوا من انفتاح الطريق اليهم ، وطمع الروم فيهم ، ولم يروا من يمنعهم منهم ، فاجتمع معهم اهل بغداد وقصدوا دار الخلافة وارادوا الهجوم عليها فمنعوا من ذلك بغلق الابواب فى وجوههم ، وكان والى البلاد باختيار يصطاد بنواحى الكوفة

فخرج اليه وجوه أهل بغداد منكرين ومستغيثين وناقمين عليه انشغالـــه بالصيد وقتاله عمران بن شاهين صاحب البطيحة ، وهو مسلم ، وترك جهاد الروم ومنعهم وردهم عن بلاد الاسلام ، لانهم قد عثوا فيها فسادا ، وأهلكوا الحرث والنسل ، حتى توغلوا فى معظم البلاد الاسلامية فوعدهم التجهز للغزو وأرسل الحاجب سبكتكين وأمره بالتجهز للقتال ، واستنفار العامة . فاجتمع اليه عدد كثير ، فكتب باختيار الى أبى تغلب بن حمدان صاحب الموصل يأمره باعداد الميرة والعلوفات ، ويعلمه بعزمه على قتال الروم الغازين للبلاد الاسلامية ، فأجابه باظهار السرور واعداد ما طلب منه ، ثم أنفذ باختيار عامل بغداد الاستبدادى الـــى الخليفـــة الصورى (المطيع لله) يطلب منه مالا ، فقال له : ان الغزو والنفقة عليه وعلى غيره من المسلمين ، فمتى كانت مصالحهم تلزمنى ؟ فان كانت الدنيا فى يدى والاموال تجبى الى كنت أكفيك ما طلبت الى ، وأما اذا كانت حالى ما انا عليه . فليس يلزمنى شىء من ذلك . وانما يلزم من كانت البلاد فى يده والامـــوال تجبى اليه . وأما انا فلم يبق فى يدى الا الخطبة . فان شئتم ان اعتـــزل فعلت ، ثم ترددت الرسائل بينهما الى أن وصل الحال الى تهديد الخليفة . فبذل الخليفة المطيع لله اربعمائة ألف درهم ، احتاج فيها الى بيع ثيابه . وأثاث داره ، وشاع بين أهل العراق ان الخليفة صودر ، وشاع ذلك فى خراسان وغيرها من بلاد الاسلام ، فلما قبض عامل بغداد باختيار المال صرفه فى مصالحه وبطل حديث الغزو هكذا صارت الخلافة فى يد المطيع لله ، فعلى من تكون اللائمة يا ترى ؟ وفى ذلك العهد استرد الروم جميع الثغور الاسلامية الكبرى ، وصار اهل الشام وأهل الجزيرة من المسلمين يهابونهم وبنو بويه وبنو حمدان يجاوب بعضهم بعضا ، وهم عما نابهم من عدوهم مشغولون وفى خوضهم يلعبون ، وفى سنة 361 هجرية استولى عامل الخلفاء الفاطميين جوهر الصقلى بعد رجوعه من المغرب على مصر وصارت تابعة لافريقيا ثم بعده معد الفاطمى .

24) عبد الكريم الطائع لله بن المطيع لله بن المقتدر بالله ، بويع بالخلافة سنة 363 هجرية — 974 ميلادية .

25) احمد القادر بالله بن اسحاق المقتدر بالله بويع بالخلافة سنة 381 هجرية — 984 ميلادية .

26) عبد الله القائم بأمر الله بن أحمد القادر بالله بن اسحاق بويع بالخلافة سنة 422 هجرية — 1031 ميلادية .

27) عبد الله المقتدى بأمر الله بن الذخيرة بن القائم بأمر الله بويع بالخلافة سنة 467 هجرية — 1077 ميلادية ·

28) أحمد المستظهر بالله بن محمد القائم بأمر الله بويع بالخلافة سنة 487 هجرية — 1121 ميلادية ·

29) الفضل المسترشد بالله بن محمد القائم بأمر الله بويع بالخلافة سنة 512 هجرية — 1166 ميلادية ·

30) المنصور الراشد بالله بن المسترشد بالله ، بويع بالخلافة سنة 530 هجرية 1136 ميلادية ·

31) يوسف المستنجد بالله بن المقتفى لامر الله ، بويع بالخلافة سنة 555 هجرية — 1160 ميلادية ·

32) الحسن المستضىء بالله بن المستنجد بالله ، بويع بالخلافة سنة 566 هجرية — 1171 ميلادية ·

33) احمد الناصر لدين الله بن المستضىء بالله ، بويع بالخلافة سنة 575 هجرية — 1181 ميلادية ·

34) محمد الظاهر بأمر الله الناصر لدين الله ، بويع بالخلافة سنة 622 هجرية — 1225 ميلادية ·

35) المنصور المستنصر بالله بن الظاهر بالله ، بويع بالخلافة سنة 623 هجرية — 1226 ميلادية ·

36) عبد الله المعتصم بالله بن المنتصر بالله ، بويع بالخلافة سنة 640 هجرية — 1242 ميلادية ·

وفى هذا العمود 36 خليفة ، أولهم أبو العباس السفاح ، وآخرهم المعتصم بالله ، المتوفى بين يدى هلاكوخان التترى فى حرب التتار للعالم الاسلامى ، توفى فى 20 محرم سنة 656 هجرية — 27 يناير سنة 1258 م ، والدوام والبقاء لله ، وبموته طفىء سراج البيت العباسى فى الشرق والغرب وكانت ايامهم 524 سنة قمرية : ولله الامر من قبل ومن بعد » ما هو مصير بغداد بعد سقوط الخلافة الاسلامية الكبرى ؟ فقد كان من الطبيعى أن يجرى عليها ما جرى على سواها من أمهات المدن الاسلامية الكبرى بعد قتل معظم اهلها ، ولم يبق المغول الا جماعة من الشيعة ، ومن كان على دين النصرانية ثم سكن بغداد اشتات واخلاط تجمعوا اليها من شتى الاقطار المختلفة الذين زحفوا اليها مع هولاكوخان ، واصطبغت حاضرة الخلافة

الاسلامية بصبغة دولة لا تعرف للدين اسما ولا معنى بعد أن كانت شمسا للدين والعلم تمد العالم الاسلامى بشعاعها الوهاج ؛ ثم ما هو مصير ولايتها الشاسعة الاطراف ! من وراء نهر جيحون شرقا الى بلاد الاندلس فى غرب أوربا غربا . فقد كان مصيرها بعد سقوط الخلافة العباسية أن انقسمت على نفسها الى 13 ولاية مستقلة بعضها عن بعض .

1) دولة بنى نصر . والقائم بالامر فيها مؤسسها محمد الغالب بالله ابن يوسف بن نصر وعاصمتها « قرطبة » من سنة 629 — 671 هجرية .

2) دولة الموحدين بشمال افريقيا بالمغرب الاقصا . والقائم بالامر فيها : أبو حفص عمر المرتضى بن اسحاق بن أبى يعقوب يوسف بن عبد المومن ؛ وعاصمتها « مراكش » من سنة 646 — 665 هجرية .

3) الدولة الزيانية بالجزائر ؛ والقائم بالامر فيها يغمراسن بن زيان مؤسس الدولة ؛ وعاصمتها « الجزائر » من سنة 633 — 681 هجرية .

4) الدولة الحفصية بتونس والقائم بالامر فيها أبو عبد الله محمد المستنصر بالله بن ابى زكرياء يحيى بن عبد الواحد بن أبــى حفــص ؛ وعاصمتها « القيروان » من سنة 647 — 675 هجرية .

5) قيام دولة جديدة بالمغرب الاقصا للمرينيين ؛ والقائم بالامر فيها أبو يوسف يعقوب بن عبد الحق المرينى . وعاصمتها « مراكش » وكان قيامهم بتاريخ 620 هجرية — 912 هجرية ؛ أيضا .

6) دولة المماليك البحرية بمصر . والقائم بالامر فيها المنصــور نور الدين على بن المعز عز الدين ايبك ؛ وعاصمتها « القاهرة » من سنة 655 — 675 هجريــة .

7) الدولة الرسولية باليمن ؛ والقائم بالامر فيها المظفر بالله بن يوسف بن المنصور بالله عمر بن على بن رسول ؛ وعاصمتها « صنعاء » وقام بها من ائمة الزيدية المتوكل شمس الدين أحمد .

8) وحاز الاول شطرا من اليمن من سنة 647 — 674 هجرية ؛ والثانى من سنة 656 — 680 هجرية .

9) قيلج أرسلان الرابع ركن الدين من السلاجقة بتركيا من بلاد الروم من سنة 655 — 666 هجرية .

10) نجم الدين غازى السعيد من الدولة الارتقية بماردين من سنة 637 — 658 هجرية .

11) أبو بكر بن سعيد بن زنكى بن مودود من الاتابكية السلغرية بفارس من سنة 623 — 658 هجرية ·

12) الهزار سبية دكلا بن هزار سب من الاتابكية بلورستان من سنة 650 — 657 هجرية ·

13) قتلغ خاتون من دولة قتلغ خان بكرمان من سنة 655 — 681 هجرية ·

ملخص دولة العباسيين

تولى العباسيون الخلافة الاسلامية سنة 132 هجرية ، من لدن بويع لاولهم عبد الله أبى العباس السفاح بالكوفة ، واستمرت خلافتهم الى سنة 656 هجرية وانتهت بسقوط عبد الله المعتصم بالله بين يدى هلاكوخان المغولى من أعقاب جنكيز خان ، موحد التتر الذى ثار على بلاد الاسلام · وكانت هذه الثورة أعظم محنة مرت بأرض الاسلام لشمولها لاكثر الاقطار الاسلامية الا مصر ، وافتتحت الدولة العباسية شعارها بالرايات السوداء من بلاد المشرق الى أن تمكنت من الاستيلاء على جميع بلاد الاسلام وبانتهاء اجلها ظهرت رايات التتر ، من مشرق بلاد التركستان ، فثلت عرشهم ومحت اسمه من بغداد زهرة العالم الاسلامى فى المشرق وجنته الدنوية ، فمن المشرق أشرق كوكب سعدهم ، ومنه بزغ نجم نحسهم ، استمرت خلافتهم 524 سنة هجرية استخلف منهم فيها 37 خليفة ، فمتوسط الخلافة منهم نحو 14 سنة ، وأكبر مدة قام فيها خليفة عباسى 46 سنة ، وأقلها سنة فما دونها ·

ميزان القوة فيها

مكثت الدولة العباسية 100 سنة لخلفائها الكلمة العليا ، والسيادة الفعلية التامة على العالم الاسلامى ، ما عدا المغربين مغرب افريقيا ومغرب أوربا ، يقولون فيسمع قولهم ، ويأمرون فيأتمر الناس بأمرهم ، ولا يستطيع احد ان يجسر على مخالفتهم من صنائعهم من الاجناد غير منافسيهم فى القرب من رسول الله صلى الله عليه وسلم وبعض الخوارج الذين خرجوا على راى على بن ابى طالب ، فانهم ما تكاد تخبو نارهم وتلمع حتى تفاجأ بقوة عباسية قاهرة ماحقة لهم ولمذاهبهم الهدامة ، واقام فى هذا العصر الباهر منهم 8 خلفاء : السفاح والمنصور ، والمهدى ، والرشيد ، والامين ، والمأمون ، والمعتصم ، والواثق ، ومتوسط خلافة الواحد منهم 12 سنة

ونصف ، وينتهي هذا الدور بوفاة الواثق ، سنة 232 هجرية ثم جاء بعد ذلك قرن آخر من سنة 222 — 334 هجرية اخذت الدولة في النزول شيئا فشيئا ، وضعفت تلك القوة ، وانهدت تلك المكانة التى كانت لهم ، في أنفس الامم ، الاسلامية فاجترأ الامراء بالاطراف على الاستقلال ، وصار أمر الدولة في الاضمحلال ، حتى لم يبق بيدهم الا العراق ، وفارس ، والاهواز ، وهى مملوءة اضطرابا وفتنا ، فآل الامر الى أن يتولى بغداد مملوك ديلمى أو تركى يطلق عليه أمير الامراء ، فهو صاحب السيـــادة والنفـــوذ الفعليين والسلطان المطلق ، والولاية العامة . وليس للخليفة معه الا الخطبة قـــام في هذا العصر 12 خليفة ، وهم : المتوكل والمنتصر ، والمستعين ، والمعتز ، والمهتدى، والمعتمد ، والمعتضد ، والمكتفى ، والمعتمد ، والقاهر ، والمتقى ، والمستكفى . الذى ملك بنو بويه في آخر عهده ، ومتوسط خلافة الواحد منهم ، 8 سنوات ونصف ، ولم يمت منهم موتا طبيعيا الا أربعة ، والباقون خرجوا من الخلافة بين قتيل ومخلوع ، وكان استيلاء بنى بويه على بغداد سنة 334 هجرية ثم جاء بعد ذلك دور ثالث من نفس هذا التاريخ الى 447 هجرية ليس للخليفة فيه الا اسم الخلافة . وكانت السيادة والسلطة الفعلية للامة الديلمية التى كانت في العصور الجاهلية تابعة للامة الفارسية، وكان ممثل الديالمة من آل بويه (توزون) الذى حظى من طرف المستكفى بشرف عز الدولة ، وهو الذى كانت اليه الكلمة العليا ، يستوزر من شاء ، ويعزل عنها من شاء ، حتى ضربت السكة في اسمه ، وبقى الخليفة كرئيس شرفى للدين ، وكان الديالمة شيعة زيدية لآل على يرون الحق لال على ، في الخلافة ، ومن ثم كان توزون الملقب بعز الدولة يعزم على تنحية الخليفة العباسى وابداله بخليفة علوى صاحب الحق المغصوب ، ولكـــن بعض خواصه نصحه واشار عليه بأن لا يفعل ، والا فضل بأن يظل مأمورا بعد ان كان اميرا ، قائلا له : انك مع خليفة تعتقد انت واصحابك انه ليس من اهل الخلافة ، ولو أمرتهم بقتله لقتلوه مستحلين دمه ، ومتى اجلست بعض العلويين خليفة كان معك من تعتقد أنت واصحابك صحة خلافته ، فلو أمرهم بقتلك لفعلوا ، فاعرض عما كان قد عزم عليه وابقى اسم الخلافة لبنى العباس ، وظل الخليفة على هذا الحال كأنه مطلق موظف مع الدولة له كاتب واحد يدير شؤونه واقطاعاته ، ويتناول منهم ما يقوم بأوده ، ليس له تصرف ولا نفوذ ، يومر فيأتمر ، ويفعل ما يراد منه ، لا ما يريد وليس له على أنفس المالكين شيء من النفوذ الروحى لانهم أجانب عـــن ديـــن الاسلام ، فعقيدته وعقيدتهم متباينتان ، وكونهم شيعة غلاة في على وآل

بيته لا يصرفهم عن عقيدتهم باطنا ، وان كانوا يتظاهرون بالاسلام ، ويفضلون آل على على من عاداهم ، وقد رأيتهم كيف قدموا مصلحتهم على حق شيعتهم ، وابقوا الخليفة العباسى الصورى كرئيس شرفى لهم ، ليكون أمره هينا عليهم يبقونه متى رأوا المصلحة ببقائه ويعزلونه متى رأوا عزله خيرا لهم، ان لم يفضلوا قتله ، وقد قام فى هذا الدور المستكفى بالله ، والمطيع ، والطائع ، والقادر ، والقائم ، ومتوسط مدة الخليفة منهم 22 سنة ونصف ، وكان القائم هو حلقة الاتصال فى هذا الدور ، يليه فيه الثلاثة الاولون من خلفاء هذا الدور ، خلعهم بنو بويه ، ثم جاء بعد هذا دور آخر ، من سنة 447 – 550 هجرية ، انتقل النفوذ الفعلى فيه الى أمة تركية ، يمثلها قيم من آل سلجوق يقيم ببلاد الجبل من تركيا ، وكان بنو العباس فى هذا الدور أحسن حالا منهم مع بنى بويه الديلميين . وذلك لما كان بين الطرفين من النفوذ الروحى ، لان الامراء الاتراك كانوا متدينين بالمعنى الصحيح ، ولذلك كانوا يحترمون خلفاءهم العباسيين ، ويبدون لهم من مظاهر التعظيم والاجلال ، ما يقضى به منصبهم الدينى لقربهم من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقد ولى فى هذا الدور 7 خلفاء ، وهم : المقتدى ، والمستظهر ، والمسترشد ، والراشد ، والمقتفى ، والمستنجد ، والمستضىء ، ومتوسط خلافة الواحد منهم نحو 20 سنة ونصفا ، ولم يكن الخلفاء فى هذه المدة على حال واحدة ، فانهم من عهد المسترشد ، شرعوا يستردون السيادة والنفوذ الفعلى شيئا فشيئا ، فى بغداد حاضرة خلافتهم وما جاورها من بلاد العراق ، والذى ساعدهم على ذلك خضوع بنى سلجوق ، وبعدهم عن حاضرة الخلافة بغداد ، وهم بتركيا وتفرقهم فى البلدان ، ووقوع الحرب بينهم حتى تم استبدادهم بأمر العراق فى عهد المقتفى ثم انقضت دولة السلاجقة سنة 490 هجرية على يد خوارزم شاه ، واضمحل نفوذهم فى العراق تماما ، ثم مكث العباسيون بعد سقوط السلاجقة ، 66 سنة لم يكونوا فيها تحت سلطان احد ، بل كانوا مستقلين بنفوذهم فى العراق الى قيام المغول التتر بثورتهم ضد العالم الاسلامى ، وقد ابتدئت حركتهم بأقصى بلاد التركستان فعصف ريحهم بالبلاد الاسلامية قتلا وحرقا وتخريبا ، ولما انتهوا الى بغداد حاضرة الخلافة الاسلامية ، قتلوا بها فى ظرف 24 ساعة الفى الف وستمائة الف 2،600،000 نسمة ، ثم قتلوا الخليفة المعتصم بأمر الله ، والقوا بخزائن كتب العلم فى نهر الدجلة ، حتى كانوا يمرون عليها بخيلهم ، وعلقوا مصاحف القرآن الكريم فى أعناق الكلاب ، فدخل رعبهم صدور الناس ، حتى

كان التترى الواحد يوقف 40 رجلا ويذبحهم وحده ، واحدا تلو الآخر وهم ينظرون مثل الاكباش . ليس منهم من يحرك ساكنا ، وبموت المعتصم بالله خمد نفس الدولة العباسية ودخلت فى خبر كان على يد هلاكوخان سنة 656 فى النصف الثانى من القرن 7 الهجرى : لله الامر من قبل ومن بعد » لا رب سواه .

ملخص الاعمار التى مرت بالدولة العباسية

العصر والسنة :

100 — عصر القوة والعمل الحاسم من سنة 132 — 232 .
102 — عصر استبداد المماليك والاتراك من سنة 232 — 334 .
113 — عصر استبداد الملوك من آل بويه من سنة 334 — 437 .
083 — عصر استبداد آل سلجوق الاتراك من سنة 447 — 530 .
126 — عصر استعادة العباسيين بعض نفوذهم من سنة 530 — 656
مجملها سنة 524 .

ترجمة ادريس الثانى فى المغرب

فهو رحمه الله ادريس الثانى بن ادريس الاول بن عبد الله الكامل ابن الحسن المثنى بن الحسن السبط بن على وفاطمة الزهراء بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم . مولده بمدينة (وليلى) من بلاد المغرب الاقصى ، خلق يوم الاثنين 3 رجب الفرد الحرام عام 177 هجرية ، وكنيته أبو القاسم صفته صفات أبيه كان ابيض اللون مشوبا بحمرة أكحل العينين جعد الشعر جميل الوجه اقنى الانف مليح العينين ، ابلج ، افلج ، أدعج ، واسع المنكبين، شثن الكفين والقدمين ، مربوع القد ليس بالطويل ولا بالقصير ، وهو فيما بين ذلك ، وكان فصيحا بليغا أديبا ، عاملا بكتاب الله وسنة رسوله ، قائما على حدوده ، راويا لحديث النبى صلى الله عليه وسلم ، عارفا بالفقه والسنة ، والحلال والحرام وفصول الاحكام ، ورعا تقيا ، جوادا كريما حازما بطلا ، شجاعا عبقريا صاحب حلم واسع ، وعقل راجح ، ورأى مصيب ، جرىء مقدام فى مهمات الامور ، معاصروه ، يعاصره الخليفة المامون فى بغداد من بلاد الشرق من سنة 198 هجرية ق سنة 813 ميلادية الى 218 هجرية ق 833 ميلادية وفى مغرب اربا من بلاد الاندلس الحكم بن

هشام ثالث أمراء بنى أمية بها من سنة 180 — 206 هجرية ، ثم ابنه عبد الرحمن الثانى من سنة 206 — 238 هجرية ويعاصره فى افريقيا من بنى الاغلب عبد الله بن ابراهيم بن الاغلب ، من سنة 196 — 201 هجرية . ثم ابنه زيادة الله بن ابراهيم ، فاتح جزيرة صقلية من سنة 201 — 223 هـ . ويعاصره فى فرنسا شارلمان المتوفى سنة 814 ميلادية ، ويعاصره فى القسطنطينية ليون الارمينى من سنة 813 — 820 ميلادية ، ثم ابنه ميخائل الثانى الملقب التمتام من سنة 820 — 829 ميلادية .

مناقب ادريس ، قال داود بن القاسم : شهدت مع ادريس بن ادريس بعض غزواته للخوارج الصفرية من البربر ، فلقيناهم وهم ثلاثة أضعافنا ، فلما تقارب الجمعان نزل ادريس فتوضأ وصلى ركعتين ثم دعا الله تعالى فركب فرسه . فتقدم للقتال ، فقاتلناهم قتالا شديدا فكان ادريس يضرب فى هذا الجانب مرة . ثم يكر فى الجانب الثانى لم يزل على ذلك حتى ارتفع النهار ، ثم رجع الى رايته . فوقف بازائها ، والناس يقاتلون بين يديه . فجعلت أنظر اليه ، وأكثر من الالتفات نحوه . وهو تحت ظلال البنود أى الاعلام يحرض الناس ويشجعهم ، فأعجبنى ما رأيت من شجاعته وقوته وثبات جأشه ، فالتفت الى وقال : ياداود مالى أراك تكثر النظر الى ؟ فقلت ايها الامام : لقد أعجبنى منك خصال لم أرها فى غيرك ، فقال ، وما هى ؟ فقلت (1) ما أراه من حسنك وجمالك وثبات عقلك ، وطلاقة وجهك ، وما خصصت به من البشر عند لقاء العدو ، فقال : ياداود ، ذلك الذى رأيت هو ما ورثناه من بركة جدنا الرسول صلى الله عليه وسلم ، ودعائه لنا وصلاته علينا ، ثم هو وراثة عن أبينا الامام على كرم الله وجهه ، ثم قلت له : (2) أيها الامام انى أراك تبصق بصاقا مجتمعا ، وانا اطلب قليلا من الريق فى فمى فلم أجده ، فقال : يا داود ان ذلك من اجتماع عقلى وقوة بأسى عند اللقاء فى الحرب ، وأما عدم الريق من فيك فلطيش بك ، وافتراق عقلك ، وما خامرك من الرعب ، ثم قلت له : (3) ايها الامير ، انى اتعجب من كثرة تقلبك فى سرجك ، وقلة قرارك فى موضعك فقال : ذلك الذى تراه منى هو من زمعى الى القتال، مع حزم وصرامة وهو احسن ما يكون فى الحروب ، فلا تظنه رعبا ، ثم جعل ينشد ويقول :

أليس أبونا هاشم شد ازره	وأوصى بنيه بالطعان وبالضرب
فلسنا نمل الحرب حتى تملنا	ولم نشتك قط ما يؤول الى النصب

وكان شاعرا مجيدا ، ومن مناقبه رضى الله عنه بناء مدينة فاس ،

وسبب بنائها انه فى سنة 189 هجرية ، وفدت عليه وفود غزيرة من العرب المهاجرين الذين كانوا يتشيعون للبيت العلوى ، فوجد فيهم انسه ، وحتى يامن بهم من غدر البربر ، ولن يزال شعار نقص فى رجولتهم ، ووصمة عيب فى أخلاقهم فهى منقصة وراثية فى الاخلاق لا زالت طابع عقبهم أصلح الله من شأنهم ، ويظهر ذلك من فعل بهلول بن عبد الواحد المتقدم فـى الذكر براشد ، ثم أعاد الكرة على ادريس فتفطن له وقال فى ذلك شعرا . ثم نمى ذلك وتكرر بتكرار الفتن مع الادارسة حتى كان خاتمة عقدهم الحسن ابن كنون ياتى الكلام عليه ، ومن أجل هذه الخلة الماكرة جعل ادريس يبحث عن العنصر العربى ليعينه فى مأمن من الغدر من أعدائه الاغالبة ، فاستوزر من الوافدين عليه من العرب ، عمير بن مصعب الازدى ، وكان من فرسانهم وسادتهم ، ولابيه مصعب مآثر عظيمة بافريقيا والاندلس ومشاهد كثيرة فى غزو الروم ، كما استقضى منهم عامر بن محمد بن سعيد القيسى مـن قيس عيلان ، وكان رجلا صالحا ، ورعا ، فقيها نظيفا سمع من الامام مالك وسفيان الثورى ثم خرج الى الاندلس برسم الجهاد ، ثم وفد على ادريس فى جملة من وفد عليه من العرب ، ثم لما استقرت الامور ، وكثرت الوفود العربية عنده ، وقد اجتمع اليه خلق كثير من البربر فى مدينة وليلى حتى ضاق بهم المكان ، وكثرت الحاجة الى الماء الغزير ، ثم جعل ادريس يفكر فى انشاء مدينة فى موضع كثير المياه ، ومرت مدة فى البحث على العثور على مكان صالح لاقامتها فلم يوجد ، ثم بعد ذلك ندب وزيره (عمير) بن مصعب الازدى فى جماعة ، حتى يتخيروا مكانا صالحا لبنائها ، ولما وصل الى مكان مدينة فاس نظرا الى غيظلة بين جبلين ملتفة بالاشجار مطردة العيون والانهار ، وكان فى بعض جهاتها خيام من شعر يسكنها قبائل من زناتة ، يعرفون بزواغة ، وببنى يرغيثن ، فرجع الى الامام ادريس ، وأعلمه بمـا وقع عليه استحسانه من هذه الارض ، لكثرة مائها وطيب هوائها ، وجودة تربتها ، ورطوبة موقعها الصحى ، مع اعتدال فى المناخ بها فسأل عن مالك الارض ، فقيل له : هى لقوم من زواغة يعرفون ببنى الخير فقال الامـام ادريس هذا فال حسن فبعث اليهم كاتبه الفقيه ابا الحسن بن عبد الله ابن مالك الخزرجى الانصارى ، فاشترى منهم مواضع المدينة بستة آلاف درهم ودفع لهم الثمن واشهد عليهم بذلك ، وكانوا اهل اهواء مختلفة ، منهم من كان على الاسلام ومنهم من كان على المسيحية النصرانية ، ومنهم من كان على اليهودية ، ومنهم من كان على المجوسية ، وهم بنو يرغيثن ،

وكانت خيامهم بما يعرف اليوم بحومة الاندلس ، وكان بيت نارهم بالشيوبة أو شيلوبة ، وكانت قبيلة زواغة بعدوة القروييين ، وكان القتال مستمرا بين القبيلتين على مر الايام من اجل حدود الارض بينهما ، فبعث اليهما المولى ادريس من ندبهما الى الصلح ، فأصلح بينهما ، ثم اشترى منهما الغيظة ، وكانت لتراكم أشجارها يسكنها أجناس من الحيوانات كالسباع والخنازير ، وقد تم بيع الغيظة المذكورة يوم الخميس غرة ربيع الاول من سنة 191 هجرية .

بنـاء مـدينـة فـاس

ثم نزل الامام ادريس بها وضرب أبنيته وقبابه بالموضع المعروف اليوم بجرواوة ثم شرع فى بناء السور ، ودور عليها سياجا من القصب والخشب ، وسمى الموضع بجرواوة . وفى سنة 192 هجرية اختط عدوة الاندلس وفى سنة 193 اختط عدوة القرويين ، وبنى مساكنه بها ثم انتقل اليها ، ثم ادار السور بها . وكان ابتداؤه من جهة القبلة . كما بنى بها الجامع الذى برجته البير المعروف بجامع الاشياخ . وأقام فيه الخطبة ، ثم رجع لعدوة القرويين ونزل منها بموضع يعرف بالقرمدة فضرب قبة قيطونه بها ثم شرع فى بناء الجامع المعروف الآن بجامع الشرفاء ، شرفها الله بذكره ، واقام فيه الخطبة ، ثم اخذ فى بناء دار سكناه ، وهى المعروفة الآن بدار القيطون ، التى يسكنها الشرفاء الجوطيون من أحفاده ، ثم بنى القيسارية الى جانب المسجد الجامع ، وادار الاسواق حوله من كل جانب ، ثم قال لهم من ابتنى موضعا وغرسه قبل تمام السور بالبناء فهو له هبة ابتغاء وجـه اللـه .

دعاء المولى ادريس عنـد الشروع فى البنـاء

وذكر انه لما اراد الشروع فى البناء توجه لله رافعا يديه اليه ، قائلا فى دعائه : اللهم اجعلها دار علم وفقه ، يتلى بها كتابك ، وتقام بها حدودك ، واجعل اهلها مستمسكين بالسنة والجماعة ما أبقيتها ، ثم اخذ المعول بيده وابتدأ بحفر الاساس ، وانسب ما يروى فى سبب تسميتها بفاس ، ما ذكر من أن راهبا اتى المولى ادريس وسأله عن العمل الذى يقومون به ، فأخبره بانه شرع فى بناء مدينة بهذا الموضع ، فأخبره الراهب بأن مدينة قديمة العهد كانت هنا فخربت منذ 17 قرنا وكانت تسمى ساف ، ولكن اقلبوا اسمها

فتلبوه فأتى منه « فاس » فسميت مدينة فاس ، ولما فرغ الامام ادريس رضى الله عنه من بناء المدينة انتقل اليها بمحلته ، واستوطنها واتخذها دار ملكه ، وحاضرة الخلافة الحسنية فى المغرب الاقصى . وفى سنة 197 هجرية ، خرج برسم غزو قبائل المصامدة من بلاد انفيس ، وتعرف اليوم بقبائل سوس ، ومدينة اغمات ففتح سائر بلاد المصامدة ثم رجع الى فاس واقام بها الــى شهر المحرم من سنة 199 هجرية . ثم خرج برسم غزو قبائل نفزة ــ وتعرف اليوم بقبارل بنى يزناسن ــ وما اليها من بلاد تلمسان . فحاربها ودخل مدينة تلمسان ، فنظر فى أحوالها وأصلح أسوارها وجامعها ، وصنع فيها منبرا فقال أبو مروان : عبد المالك . دخلت مسجد تلمسان فى سنة 255 هجرية . فرأيت فى راس منبرها لوحة من بقية منبر قديم سمرت عليه مكتوب فيها . هذا ما أمر به ادريس بن ادريس بن عبد الله الكامل بن حسن بن الحسن بن على رضى الله عنهم فى شهر المحرم سنة 199 هجرية ، ثم أقام ادريس بها 3 سنوات ثم رجع الى مدينة فاس فلم يزل بها حتى توفى رحمه الله سنة 213 هجرية وله من العمر 36 سنة ، ودفن بمسجد الشرفاء بازاء الحائط الشرقى منه ، والصحيح انه دفن بقبلته حيث هو الى اليوم . ولذلك تنبغى زيارته والترحم عليه من قبل وجهه الشريف من وراء القبة بنفس الشارع المرور الى جامع القرويين وهو الصواب ، واما ما يفعله الجهلة داخل القبة من الدخول تحت الكسوة والكلام السرى والتمسح بالشباك وغيره فهو من البدع المنكرة . وقال البرنوسى توفى ادريس بن ادريس بمدينة وليلى من بلاد زرهون فى ليلة 12 من جمادى الاخيرة ، سنة 213 هجرية ، ودفن الى جانب قبر أبيه فى رباط وليلى ، وكان سبب وفاته انه أكل عنبا فشرق بحبة منه فمات من حينه ، وكانت خلافته بالمغرب 26 سنة قمرية .

بيت الامــام ادريس الثــانــى

خلف الامام ادريس الثانى من الذكور 12 ولدا ذكرا وهم على المشهور:

(1) محمــد .	(7) يحيــى .
(2) عبد الله .	(8) القــاسم .
(3) عيسى .	(9) عمــر .
(4) ادريس .	(10) علــى .
(5) احمــد .	(11) د ا و د .
(6) جعفــر .	(12) حمــزة .

وكان محمد اكبر اخوته سنا ولذلك خلف اباه ادريس فى الامامة بعهد منه اليه ولذلك بويع بالخلافة فى 15 من جمادى الاخيرة أى بعد ثلاثة أيام من وفاة ابيه .

ترجمة الامام محمد بن ادريس الثانى

فهو الامام محمد بن ادريس الثانى بن ادريس الاول بن عبد الله الكامل بن الحسن المثنى بن الحسن السبط بن على وفاطمة الزهراء بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم أمه حرة من أشراف نفزة فهى من عائلة جدته كنزة النفزية ، ومن أوصافه انه كان أسمر اللون ، حسن القد مليح الوجه شاب السن جعد الشعر ، ولما تم له الامر بعد البيعة قسم بلاد المغرب بين اخوته ، وذلك باشارة جدته كنزة ، فاختص (1) القاسم منها بطنجة وسبتة ، وقصر مصمودة (القصر الصغير) والبصرة ، وقلعة حجر النسر ، وتطوان ، وما والى ذلك من القبائل والبلاد ، واختص (2) عمر منها بتكساس وترغة ، وما حولها من قبائل غمارة وصنهاجة ، واختص (3) داود ببلاد هوارة ، وتسول ، وتازا وما حول ذلك من قبائل مكناسة وغياثة ، واختص (4) يحيى بأصيلا والعرائش والقصر أى الكبير ، وما والى ذلك من بلاد ورغة ، واختص (5) عيسى بسلا وشالة — وهى خربة بجانب الرباط على نهر ابى رقراق — وتامسنا وآزمور ، وما والى ذلك من قبائل تامسنا ، واختص (6) حمزة بمدينة وليلى وأعمالها واختص (7) احمد بمدينة مكناسة ، ومدينة تادلا وما حولها من قبائل فازاز واختص (8) عبد الله بأغمات وبلاد النفيس ، وجبال المصامدة ، وبلاد لمطة والسوس الاقصى . واما الباقون فكانوا صغارا لا زالوا تحت كفالته وكفالة جدتهم كنزة ، ثم توفى الامام محمد فى 15 من جمادى الاخيرة ، سنة 221 هجرية ، وكانت ولايته 8 اعوام وشهرا واحدا ، ودفن بجانب قبر ابيه واخيه عمر ، بازاء الحائط من مسجد الشرفاء . واستخلف على امامة المغرب ولده عليا الملقب بحيدرة ، واستعير له هذا اللقب من لقب جده الامام على كرم الله وجهه ، بويع له بالخلافة قبيل وفاة أبيه ، وكان له من العمر 9 سنوات واربعة اشهر ، سنة 221 هجرية . وهو آخر من تولى الخلافة فى سلك عقد العلميين .

ترجمة الامام على حيدرة

فهو الامام على الملقب حيدرة بن محمد بن ادريس الثانى بن ادريس

الاول ، وقال فى الاستقصا : هو جد الاشراف العلميين ـ أهل جبل العلم ـ ومنهم المشيشيون أولاد مولانا عبد السلام بن مشيش رضى الله عنه . وأولاد سيدى محمد بن يملاح ، وأولاد سيدى الحاج موسى الرضا . وسيأتى الكلام على تفاصيل الشرفاء العلميين وفروعهم مع الاصل الذى يجمعهم . ولصغر سنه قامت بتربيته الحاشية والاولياء من العرب والبربر ، وأحسنوا كفالته وطاعته فكانت أيامه خير أيام ، واسم أمه رقية بنت اسماعيل بن عمير بن مصعب الازدى فهى عربية ، وقد ظهر عليه من الذكاء والنبل والفضل ما يقتضيه شرفه ونسبه الصحيح ثم سار فى الناس بسيرة أبيه وجده فى الدين والفضل والحزم والعدل . واقامة الحق وضبط الثغور وقمع الاعداء ، وكان المغرب فى زمانه فى أمن ودعة ورخاء ، ثم توفى رحمه الله فى شهر رجب الفرد سنة 234 هجرية ، وكانت مدته نحو 13 سنة قمرية . ولم يعهد لابنه مزوار وكان خاتمة السلسلة المشيشية من بنى ادريس ، ثم اتبعت هذه السلسلة المباركة بحلقات أخرى من النساك والاولياء والاقطاب من العارفين بالله حتى بلغت الى الكوكب الساطع . والبدر اللامع الذى لقبه أهل عصره « بالشيخ الجامع » مولانا عبد السلام ابن مشيش الذى رنت شهرته مسامع العالم الاسلامى من أهل الشرق والغرب والعرب والعجم ، ولن تقف أقلام الكاتبين فى البحث عن فضله ومنبع علمه . ولا اخاله الا امتدادا من ذلك النور المنبعث من فاطمة الزهراء رضى الله عنها ، معبرا تعبيرا صادقا عن ذلك السر الذى استودعه فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم ببركة دعائه لها يوم زفت لبيت على بن أبى طالب ، وبعد أن رفع على رأسه من السجود شكر الله ، قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم بارك الله لكما ، وبارك فيكما ، وأعز جدكما وأخرج منكما الكثير الطيب ، كما تقدم فى ترجمتها ، وتلك السلسلة المباركة من الاقطاب هى ثمرة اجابة دعوته صلى الله عليه وسلم ، وفى رواية للنسائى : اللهم بارك فيهما ، وبارك لهما فى نسلهما .

العواصف التى مرت بالادارسة

لما كنت بصدد البحث عن الكوارث ، والاحداث التى مرت بأهل بيت على فى الشرق والغرب عبر العصور التى مروا بها ، لم يكن من المناسب ان انتبع التاريخ وأحواله ورجاله ، غير انى أخذت من كل حال ما يناسب المقام .

قد نشأت الدولـــة الادريسية الفتية بالمغـــرب بـــين عملاقين عظيمـــين كانا يهيمنان عليها ؛ أحدهما بالمشرق وينبعث شره مـــن حاضرة الخلافـــة الاسلامية ببغداد ، ويمر في طريقه بمركزها الانتقامى بافريقيا (القيـــروان) بتونس ، والآخر كان مقره (قرطبة) من بلاد الاندلس في غرب اربا ، وكانت دولة الادارسة بينهما كلسان ميزان يتراجح بين ثقل احدى كفتيه على الاخـــرى .

استيـــلاء العبيـــديين علـــى المغـــرب الاقصى

وكان ذلك على يد قائدهم مصالة بن حبوس المكناسي قائد عبد الله الشيعي قد تقدم الكلام على الاغالبة ولاة افريقيا . وكان ابراهيم بن الاغلب آخرهم ، وانه أورث بها ملكا لبنيه . فاستمرت دولتهم بها الى أواخر المائة الثالثة ، وانقرضت على يد أبي عبد الله المحتسب داعية العبيديين ، وكان سبب ذلك ان المحتسب حج واجتمع بحجاج كتامة من أهل المغرب فتعرف اليهم ، ووعدهم بظهور المهدى من آل البيت على أيديهم ، ويكون لهم معه الملك والسلطان ، فتبعوه على رايه وصحبهم الى بلادهم ورأس فيهم رياسة دينية ، وقرر لهم مذهب الشيعة فاتبعوه وتمسكوا برأيه ثم بايعوا مولاه عبد الله المهدى أول خلفاء العبيديين ، فاستولى على افريقيا في خبر طويل . ثم سمت همته الى تملك المغرب الاقصى ، فأغزاه على يد قائده .

(1) **مصالة بن حبوس** المكناسي صاحب تاهرت (الجزائر) والمغرب الاوسط ، ثم زحف مصالة الى المغرب الاقصى سنة 305 هجرية حتى انتهى الى فاس ، فبرز اليه يحيى بن ادريس بن عمر بن ادريس الثانى الذى كان واليا على المغرب الاقصى في جموع من العرب والبربر والموالى ، وكان لقاؤهما بقرب مكناسة ، فانهزم يحيى وعاد مغلولا الى مدينة فاس ، ثم تقدم مصالة الى فاس فحاصرها الى أن صالح مصالة يحيى على مال يؤديه اليه ، وعلى البيعة لعبيد الله المهدى فقبل يحيى الشرط ، وخرج له عن أمر المغرب ، وانفذ بيعته الى عبيد الله المهدى وعقد له مصالة على عمالة فاس وسكناه بها ، كما عقد لابن عمه موسى بن ابى العافية المكناسي ، على ما سوى ذلك من بلاد المغرب ، وموسى هذا هو صاحب تسول ، وبلاد تازا ، وكان كبير مكناسة بالمغرب الاقصى على الاطلاق وكان قد خدم مصالة حين قدم الى المغرب وتعرف اليه ، وهاداه ، وقاتل معه في جميع حروبه بالمغرب ، فحسنت منزلته لديه ، فولاه بلاد المغرب كله ، ما عدا مدينة فاس واعمالها ،

فانه تركها بيد الامام يحيى ، وصار المغرب الاقصى خاضعا لنفوذ العبيديين وانصهرت الدولة الادريسية فى مملكتهم . وقال فى الاستقصا ناقلا عن ابن خلدون ؛ كان يحيى واسطة عقد البيت الادريسى واعلاهم قدرا ، وابعدهم ذكرا ، واكثرهم عدلا ، واغزرهم فضلا ، واوسعهم ملكا ، وكان فقيها حافظا للحديث ذا فصاحة وبيان ، بطلا شجاعا حازما ، ذا صلاح ودين وورع ، لم يبلغ احد من الادارسة مبلغه فى الدولة والسلطان ، الى ان طما عليه عباب بحر العبيديين القائمين بافريقيا فاغرقه . وكان قائد المغرب موسى ابن ابى العافية ، بعد رجوع قائده مصالة بن حبوس الى القيروان ، كلما أراد الظهور والاستبداد بالمغرب غمره يحيى بن ادريس بحسبه ونسبه وفضله ودينه ، فتحطم عليه بذلك كل ما كان يريده من الاستبداد والظهور عليه ؛ وكان على قلبه منه عبء ثقيل ، وانتهز فرصة رجوع قائده مصالة من القيروان للمرة الثانية سنة 309 فسعى به عنده حتى أوغر صدره عليه ؛ ولما قرب مصالة من فاس خرج يحيى للقائه والسلام عليه فى جماعة من وجوه دولته ، فالقى القبض عليهم وعليه ، وقيده بالحديد وتقدم الى فاس فدخلها ويحيى بين يديه ، موثقا على جمل فاستصفى أمواله وذخائره ثم عذبه بكل انواع العذاب ، ثم نفاه الى نواحى اصيلا ، وقد ساء حاله ، وانفض جمعه ، فأقام عند بنى عمه ببلاد الريف مدة ، فوصلوه من أموالهم بما يصلح حاله ويقيم أوده ، فلم يرض الاستكانة ، فغادرهم يريد افريقيا فاعترضه ابن ابى العافية فى طريقه ، فقبض عليه وسجنه ، بمدينة الكاى ما يقرب من 20 سنة ، ثم أطلقه بعد ذلك ، فواصل سيره الى افريقيا ، وهو فى حالة فقر وذلة ، قد بلغ سوء الحال منه كل مبلغ ، فوصل الى المهدية التونسية على تلك الحال ، فصادف بها فتنة أبى يزيد مخلد بن كيداد اليفرنى ، وحصاره اياها ، فمات بها جائعا غريبا ، قالوا : وكان أبوه ادريس بن عمر بن ادريس الثانى قد دعا عليه أن يميته الله جائعا غريبا فأجيبت دعوته فيه ، وكان موته سنة 332 هجرية .

ثم عاد المغرب الاقصى الى الادارسة بعد ظهور الحسن الحجام بن محمد بن القاسم بن ادريس الثانى ، وبعد ان أطاح مصالة بن حبوس بدولة يحيى وعذبه واستصفى امواله وذخائره استعمل على فاس ريحان الكتامى ثم عاد الى القيروان ، ومكث ريحان عاملا على فاس وأحوازها نحو ثلاثة أشهر ، فثار عليه الحسن الحجام سنة 310 هجرية ودخل فاس فى جماعة من شيعته وأنصاره ، وكان شجاعا مقداما ، دخلها على

حين غفلة من اهلها فاستولى عليها ، وقتل ريحان ، وقيل نفاه عنها ، واجتمع الناس على بيعته ، ودخل فى طاعته أكثر قبائل البربر بالمغرب ، واستولى على عدد من مدنه ، مثل مدينة صفرو ، ومدين ، ومدائن مكناسة ، والبصرة. واستقام له الامر بالمغرب . وعرف بالحجام لانه كان بينه وبين عمه أحمد ابن القاسم بن ادريس الثانى حرب فحمل الحسن على أصحاب عمه فانهزموا فطعن منهم ثلاثة من الخلف فى مكان المحاجم ، فقال عمه المذكور : ابن أخى الحجام ، فلزمه ذلك اللقب ، وفى ذلك قال :

وسميت حجاما ولست بحاجم ... ولكن لطعن فى مكان المحاجم

ثم هاجمه الطاغية على أهل البيت الادريسى موسى بن أبى العافية . خليفة مصالة على ولاية المغرب . فخرج اليه الحسن الحجام فالتقى معه بفحص الزاد على مقربة من وادى المطاحن . ما بين فاس وتازا . فأوقع الحسن الحجام بابن العافية وقعة عظيمة ، لم يقع فى دولة الادارسة مثلها ، قتل فيها من عسكر ابن العافية نحو الالفين وثلاثمائة ، من بينهم ابنه منهال ، وقتل من عسكر الحسن نحو السبعمائة ، ثم كانت العاقبة لموسى على الحسن الحجام ، لعودة عسكره الى فاس مغلولا ، ولما فطن الحسن بغلول الجيش تعجل ودخل الى فاس وحده ، وترك عسكره خارج المدينة فغدر به عامله عليها حامد بن حمدان الهمدانى ، ويقال الاوربى من قرى افريقيا دخل عليه ليلا فى داره فقيده وأخذه اليه ، وأغلق المدينة فى وجه الجند ثم بعث الى موسى بن أبى العافية يخبره بصنعه ، ويستعجله فى القدوم عليه ليمكنه منه لانه كان موثقا لديه ، فسارع اليه ابن أبى العافية فدخل عدوة القرويين لم يلق فيها حربا ولقيها من عدوة الاندلس ، فحاربها حتى استولى عليها ، فطلب من حامد أن يمكنه من الحسن الحجام ليأخذ منه الثار بولده منهال او سهل ، فكره حامد أن يسلمه له لما عرف من مصيره بيد عدوه موسى ، وجعل يماطله فى تسليمه لما كرهه من مجاهرة سفك دماء أهل البيت ، فجاء اليه ليلا واطلقه من القيد ، وأدلاه عن سور المدينة دون حبل فسقط وانكسرت رجله من الساق ، فتحصن بعدوة الاندلس فمات مستخفيا بها بعد ثلاثة أيام من الحادث سنة 313 هجرية ، وكانت ولايته نحو عامين ، ثم غضب ابن أبى العافية على حامد واراد ان يقتله ، ففر منه والتحق بالمهدية التونسية ، ثم خلص الامر لابن أبى العافية بالمغرب ، وضم اليه جميع مدنه ، واخذ البيعة لنفسه .

موسى بن أبى العافية عدو الادارسة

من هو هذا الطاغية العتيت ؟ واللدود الحسود الذى لقى جزاء

فعله بموته شريدا طريدا عن ملك المغرب بواد ملوية ، بعد انتقامه من أهل البيت الكرام ، لم يمكث بعد محنتهم على ولاية المغرب الا 11 سنة كلها حرب عليه حتى قتل بعد رجوعه من الصحراء بوادى ملوية شريدا طريدا حقيرا ذليلا بعد العز والسلطان . هذا هو موسى بن أبى العافية . بن أبى تاسل بن أبى الضحاك المجدولى المكناسى التسولى وفى سنة 313 هجرية تم استيلاؤه على فاس وأخذ البيعة لنفسه ، فبايعه القبائل والاشياخ ، ولم يكن مستقلا بنفسه بل كان داعيا عميلا لاسياده مصالة ولى نعمته وعبيد الله الشيعى أمير القيروان وحاضرته المهدية التونسية ، وسماها المهدية لادعائه انه المهدى الفاطمى المنتظر . وكان هدفه توحيد المغرب مع افريقيا لان المغرب فى عصر الادارسة أهل فاس لم يكن تابعا لاحد من الشرق والغرب بل كان مستقلا بنفوذه الى عهد يحيى بن ادريس المتقدم . فبعث عبيد الله الشيعى قائده مصالة بن حبوس المكناسى فى تحقيق مراده . وبعد سقوط يحيى جمع الامر لابن عمه وتركه فى يده موسى بن أبى العافية. وبعد أن تمكن من النفوذ شرع فى تصفية الادارسة من المغرب فجعل يطاردهم ويقتلهم ويخرجهم من ديارهم فى جميع نواحى المغرب وخصوصا مدينة فاس وشالة وأصيلا والبصرة ، ولما اشتد الخناق عليهم والجيش يطاردهم من ورائهم ويقتلهم لجؤوا بأجمعهم الى قلعة حجر النسر التى يأتى الكلام عليها ثم نزل عليهم وحاصرهم بها كى يستأصلهم من المغرب ، وبعد أن اشتد الحصار عليهم وضاق بهم الامر الى أن يئسوا من الحياة ، وقد كان ذلك على مرأى ومسمع من بنى اخوالهم البرابرة ، فرقوا لهم واشفقوا عليهم ، وكان الى بعضهم الكلمة والرأى فى سياسة المغرب مع ابن أبى العافية ، فعذلوه على سوء فعله ، وقبح نيته معهم ، وقالوا له : أتريد أن تقطع دابر أهل البيت من المغرب وتقتلهم اجمعين ؟ فهذا أمر لا نوافقك عليه ولا نتركك له ، فخاف وارتحل عنهم الى مدينة فاس ، وخلف عليهم قائده أبا الفتح التسولى فى ألف فارس يمنعهم من التصرف ، وكان ذلك سنة 317 هجرية ، وبعد أن رجع الطاغية الى فاس قتل عاملها على عدوة الاندلس ، عبد الله بن ثعلبة بن محارب بن عبود الازدى ، وولى مكانه أخاه محمد بن ثعلبة ، ثم عزله وولى مكانه طوال بن أبى يزيد ، فلم يزل عاملا عليها الى أن خرجت فاس عن يد ابن أبى العافية ، ثم انتقل الى تلمسان ، وجعل يطرد من بقى من الادارسة بأرضها ، وكانت بيد الحسن ابن أحمد أبى العيش بن القاسم كنون بن محمد بن القاسم بن ادريس الثانى واستعمل على المغرب ولده مدين ، وأنزله بعدوة القرويين ، ثم

التحق به جيش كبير الى بلاد تلمسان فأخرج منها الحسن المذكور وتحصن بمدينة مليلية من جزائر ملوية . ثم زحف ابن أبى العافية الى مدينة النكور فملكها أيضا . ثم حاصر الحسن فى حصنه اه من الاستقصا . وقال ابن أبى زرع : ثم زحف على مدينة تكرير ، وهى التى تعرف اليوم بتاوريرت ، فتم له الاستيلاء عليها ، وقال فى الاستقصا ثم عقد سلما للحسن على حصنه ، وبعث بالبيعة لعبد الرحمن الناصر لدين الله الاموى بالاندلس ، وانتقب على دعوة العبيديين . ثم قام بدعوته وخطب له على جميع منابر المغرب ، سنة 320 هجرية . فتصل خبره بعبيد الله الشيعى بالمهدية التونسية . بأنه نكث بيعته وبايع للامويين بالاندلس فبعث عبيد الله الشيعى قائده حميد بن سهل الكتامى . ومعه حامد بن حمدان الذى كان سابقا عاملا على فاس . وهرب من ابن أبى العافية . فى أمر عدم تسليم الحسن الحجام. ومعه 20 ألف من العساكر ، فالتقى بابن ابى العافية بموضع يعرف بفحص ميسون ، فجرت بينهما حرب طاحنة . ثم ان حميد بيته ليلة فضرب فى عسكره ليلا ، فانهزم ابن أبى العافية واصحابه ، وفر الى مدينة بأرض تسول ، تسمى عين اسحاق ، فتحصن بها ، وارتحل حميد بن سهل الى فاس ، فلما قرب منها هرب عنها عاملها مدين بن أبى العافية ، فدخلها حميد بن سهل قائد عبيد الله الشيعى ، ورد عليها عاملها السابق حامد ابن حمدان ، فوصل الخبر لاهل قلعة حجر النسر بخبر هزيمة ابن أبى العافية ، وهروب ابنه عن مدينة فاس فثاروا على أبى الفتح التسولى ونهبوا عسكره وخرجوا من حصارهم الذى دام عليهم أربع سنوات ، وقد تم ذلك سنة 321 هجرية ، وأثناء ذلك ثار أحد عمال ابن أبى العافية ، أحمد بن بكر بن عبد الرحمن بن سهل الجذامى على حامد بن حمدان عامل فاس من قبل حميد بن سهل قائد عبيد الله الشيعى ، وقتله ، وبعث برأسه وبولده الى موسى بن أبى العافية ، ثم قام هو ببعثه الى عبد الرحمن الناصر لدين الله الاموى بعدوة الاندلس من غرب اربا ، ونصب عاملا آخر على فاس من قبل ابن أبى العافية داعيا للمروانيين بالمغرب ، بعد موت عبيد الله الشيعى سنة 322 هجرية ، وعادت الدعوة فى المغرب الى بنى مروان ، ثم ولى بعد عبيد الله الشيعى ابنه أبو القاسم بن عبيد الله المهدى ، ولما وصله خبر ما صار اليه المغرب من دعوة المروانيين وجه اليه قائده ميسور الفتى كما عند ابن أبى زرع والخصى ، والاستقصا سنة 323 هجرية ، اثر وفاة والده عبيد الله الشيعى ، فزحف على مدينة فاس فحاصرها أياما الى أن خرج اليه أحمد بن أبى بكر مبايعا بعد أن أحجم ابن أبى العافية

عن لقائه . وفر وتحصن بمدينة آلكاى . وقدم بين يديه هدايا جليلة ؛ فقبض ميسور الهدايا والاموال . ثم ألقى القبض على بكر فقيده وبعث به الى المهدية التونسية . ولما انذر أهل فاس عليه واغلقوا ابوابهم دونه . وقدموا على انفسهم حسن بن فحاصرهم ميسور سبعة اشهر . فرضخوا للسلم . فصالحهم ستة آلاف دينار . وانطاعا . ولبودا . وقربا للماء . واثاثا . الى أبى القاسم المهدى الشيعى بالمهدية التونسية . وخطبوا فاس كلها فقبل منهم ميسور ذلك . وارتحل عنهم الى مواص ابن أبى العافية . وكانت هذه فرصة سانحة وانتصارا عظ من بنى ادريس على طاغيتهم وعدوهم أتاهم الله بها من حي ثم التحق ابناؤهم بجيش ميسور الفتى لملاحقة عدوهم من العافية . ثم تبعه ميسور حتى لحق به . وجرت بين الف طاحنة . ولى معظمها الابطال من بنى ادريس . فقاتلوه حتى امامهم فى الصحراء . وتفرق عنه من كان معه من الجيش بالصحراء شريدا طريدا . الى أن رجع للمغرب فريدا وحيدا فلقى حتفه وقتل ببعض بلاد ملوية . سنة 331 هجرية . و وقيل سنة 328 وبذلك انتهى امر طاغية أهل البيت الادري عليهم معه ما يقرب من 20 سنة ؛ ذاقوا فيها أعظم بلاء من والنفى والتشريد ؛ والجوع والتقييد ؛ وكانت نيته فى التصفي الى الابادة الكلية ؛ لولا العقلاء من وجوه رجاله . الذين فوقفوا فى وجهه ؛ ومنعوه من تنفيذ مراده ؛ فى أهل البيت ال واليهم يرجع الفضل فى بقاء هذه الذرية الطاهرة المباركة اليوم ؛ والحمد لله على فضله واحسانه اذا لكل منه والي

ترجمة عبيد الله الشيعى

قال المؤرخون : موئل الدولة الفاطمية (قرية سلمي حمص من بلاد ما يعرف اليوم بسورية ؛ والعبيدية هى ولخوفهم من العباسيين كانوا يختفون من وراء العناوين وراء الاسوار والاحجار والاشجار واللباس ؛ وقد ارتك عليهم حتى لا يرصدونهم فيتمكنوا من قوتهم ؛ لانهم كانوا آثار أبناء العلويين ؛ ومن أجل ذلك صاروا يظهرون تارة

وتارة فى مغايره ، حتى يلتبس الحال عليهم وتضل عنهم حقيقة أمرهم ، فلا يعيرونهم كبير الاهتمام بهم فينجوا من مكرهم والفتك بهم كما فعلوا بسلفهم ، فمنهم المقتول فى المعركة ، ومنهم المسموم ، ومنهم المعذب المسجون وقد مر الكلام على جميع ما نالهم من قبلهم فراجعه فى محله ان أردته. ويرجع نسل عبيد الله الشيعى الى نسل ميمون القداح من الديصانيين والديصانية والباطنة هما من صنع أهل البيت العلوى ، صنعوا ذلك كى يتوصلوا الى الظهور عن طريق الدعاة من شيعتهم دون أن يتفطن لهم أبناء عمهم العباسيون ، وقد انتقلوا الى قرية سلمية من البصرة ، وأن عبيد الله المهدى المعروف بالشيعى رأس الدولة الفاطمية العبيدية من نسل ميمون القداح ، واسمه الحقيقى (سعيد بن الحسين) بن عبد الله بن ميمون القداح ، وانه تسمى بعبد الله لما ورد على مصر بالغرض السياسى المذكور، والعناوين مهما كانت سرية الا وحامت حولها الظنون ، وجعلتها الشكوك فى ظلمات حتى لا تتميز حقيقتها فنشأ عن هذا المذهب قوتان كبيرتان : احداهما منظمة معتدلة ، ومركزها قرية سلمية وهى موئل الدولة الفاطمية العبيدية ، ومجمع أسرارها على غرار ما كانت عليه الحميمة أيام الدعوة العباسية .

والاخرى قوة منحرفة ذات فوضى وجور ونكوب عن الطريق ، ولاول ظهورها كان مركزها بالعراق ، قد ظهرت بوادر شرها فى عهد المعتمد على يد القرامطة من شيعة آل على ، وانظر التاريخ على الباطنية وأفعالهم وأحوالهم ، وان آل على وشيعتهم بمثل هذا مع مرور الزمن أتوا على الدولة العباسية من أساسها حتى كان لهم شأن الى جانبها أيام ضعف أمرها .

وكان عبيد الله الشيعى أحد الدهاة السياسيين ، وفى نسبه خلاف طويل ، وقد تقدم بعض الكلام عليهم ، وان على الرضى نقيب الطالبيين ببغداد قال : انهم منهم ، وقد نقلت من شعره ما يدل على ذلك وانهم أبناء عمهم الا أن السياسة هى التى منعتهم من لباسهم الحقيقى ، وقد كان هذا بث رجالا من شعيته فى المغرب يبشرون بزمان ظهور المهدى المنتظر ، ويدعون اليه ، فاستجاب لهم خلق كثير ، ولما اتصل خبرهم بالمكتفى بالله العباسى طلب القائم بدعوتهم ففر مختفيا الى أن وصل الى سجلماسة ، فقبض عليه عاملها، وعلى ابنه أبى القاسم ، ولما استفحل أمر داعية عبيد الله الشيعى فى افريقيا قدم الى سجلماسة واخرجهما من السجن ثم رجعوا الى افريقيا ، وبويع له فى القيروان البيعة العامة سنة 297 هجرية واستقام أمره ،

وبعث العمال الى النواحى ، واختط مدينة المهدية بافريقيا (تونس) سنة 303 هجرية وفرغ منها سنة 308 واتخذها قاعدة ملكه الى أن مات بها سنة 321 هجرية ، وكانت أيامه نحو 24 سنة .

قلعة حجر النسر معقل الادارسة

وهو حصن منيع مرتفع جدا طالع فى عنان السماء بناه محمد بن ابراهيم بن محمد بن القاسم ابن ادريس الثانى . يطل من أحد جانبيه على قبيلتى آل سريف وبنى يوسف وموقعه فى الجانب الغربى من قبيلة سماتة . ويبعد عن تطوان فى الجنوب بنحو 100 ميل ، ولن تزال به معالم أثرية من البنيان والنحت الحجرى ما يشهد بواقع الامر ، وما كان عليه الناس من العظمة والسلطان فى أيامهم حتى فى رؤوس الجبال ويوجد تحته قرية صغيرة تسمى (دار الراطى) يوجد بها من جمال النساء ما يلفت الانظار ، وذلك معروف بين سكان قبيلة سماتة . وفوق القرية المذكورة يوجد مشهد عظيم يعلوه خمس قباب بنى فى عهد المولى عبد الرحمن العلوى الوسطى منها لضريح الولى الصالح جد الاشراف العلميين سيدنا العارف بالله تعالى الناسك العابد أحمد مزوار المتوفى سنة 350 وتاريخ بناء القبة 1213 هـ وكان المشرف على بنائها عامل العرائش وناحيتها السيد أبو سلهام أزطوط وأمام روضته قبر ابراهيم بن محمد بن القاسم بن ادريس الثانى .

وبعد أن استراح الاشراف الادارسة من عدوهم اللدود موسى بن أبى العافية ودخل سلطانه فى خبر كان ، اجتمع الاعيان والوجهاء منهم بقلعة حجر النسر معقلهم وعاصمة أمرهم فى الشدة والرخاء فى عهدهم الاخير ، ورشحوا لامامة المغرب خيرهم وأفضلهم الامام القاسم الملقب كنون بن محمد بن القاسم ابن ادريس الثانى ، ثم أخذت له البيعة من جميع مدن المغرب وقبائله ما عدا مدينة فاس لان فيها للمؤرخين قولين ، ثم يأتى ثالث ، (1) للبرنوسى ، فانه قال : لما مات موسى بن أبى العافية ولى الامر بعده ولده عبد الله ابن ابراهيم بن موسى بن أبى العافية الى أن توفى سنة 360 هجرية ، فولى بعد عمله ولده محمد ، وعليه انقرضت أيام بنى ابن أبى العافية المكناسيين ، وهناك رواية أخرى فى محمد هذا وفى أسلوبها بعض الغموض لاختلاط الامر واشتباهه على المؤرخين ، ومن تأمل وجد السبيل مذللا سهلا وذلك انه ذكر بعض المؤرخين لايامهم ، انه لما توفى عبد الله بن ابراهيم المذكور ، ولى بعده ابنه محمد المحارب للمتونة فكانت بينه وبينهم حروب

كثيرة الى أن غلب عليه يوسف بن تاشفين مؤسس دولة المرابطين فقتلــه واستأصل شأفة ذرية ابن أبى العافية من المغرب ، وكانت أيامهم على هذا من سنة 305 ـ 445 هجرية نحو 140 سنة قمرية وكان يقابله فى قرطبة عبد الرحمن الناصر لدين الله المروانى الاموى الى قيام لمتونــة ومحاربة يوسف لابن أبى العافية . و (2) يقول لما صالح **ميسور الفتــى** أهل مدينة فاس وأخذ منهم البيعة لابى القاسم المهدى بن عبيد الله الشيعى، أقر عليهم عاملا نصبوه باختيارهم . وهو حسن بن القاسم اللواتى . وبقى عاملا عليها حتى أطلق سراح أحمد بن أبى بكر بن عبد الرحمن بن سهل من سجن المهدية التونسية فرجع الى المغرب عزيزا مكرما عاملا على مدينة فاس . وبمجرد وصوله اليها تخلى له عنها حسن بن القاسم اللواتــى ؛ واستأنف أحمد بن أبى بكر بن سهل عمله عليها سنة 341 هجرية ومكث نحو 18 سنة اهـ . وقال : ابن الباز فى تاريخه المسمى بجلاء الاذهان . لما فر موسى بن أبى العافية أمام ميسور الفتى . صارت رياسة المغرب بعد فراره أو قتله على أصح التعبير لابن محمد بن القاسم بن ادريس الثانى . وهو القاسم كنون المتقدم . وكان القاسم هذا وأخوه ابراهيم ابنا محمد ابن القاسم بن ادريس الثانى . أخوين شقيقين . فتقدم منهما لامامة المغرب كنون وهذا لا معارضة فيه مع عامل فاس احمد بن أبى بكر بن عبد الرحمن ابن سهل على أحد القولين أو محمد بن عبد الله بن ابراهيم بن موسى بن أبى العافية ؛ فان الواحد من المذكورين كان عاملا على فاس وحدها مــن طرف أبى القاسم بن عبيد الله الشيعى ؛ وانه أى أحمد بن سهل المذكور كانت له صفة الاستقلال بها عن بقية المغرب .

وكان الامام القاسم كنون واليا عاما على جميع مدن المغرب وقراه؛ ما عدا مدينة فاس فان الادارسة ما دخلوا اليها بعد أن أخرجهم منها موسى ابن أبى العافية ؛ وكانت قلعة حجر النسر حاضرتهم ايام ملكهم الاخيرة . هذا هو التحقيق فى شأنهم بعد البحث والتنقيب عن منساقبهم وأحوالهم ؛ وكان الامام القاسم كنون يلى شؤون المغرب من قلعة حجر النسر فانــه أقام على ولايته بها الى ان توفى سنة 337 هجرية ؛ على ما فى ذلك من الخلاف وكانت أيامه نحو 7 سنوات وكانت ولايته وبيعته بعد وفاة ابن أبى العافية سنة 331 هجرية . ثم ولى بعده ابنه احمد المكنى أبو العيش وابنه الحسن هو الذى طرده موسى بن أبى العافية من تلمسان وتحصن بمدينة مليلية ومن ثم جهل أمره الى الآن . وأحمد أبو العيش بن القاسم كنون بن

محمد بن القاسم بن ادريس الثاني ؛ بويع له سنة 337 هجرية لمكانته بين الادارسة وفضله وحلمه كان عالما فقيها ، متدينا ورعا خبيرا بتاريخ الناس وأحوالهم وأنسابهم ؛ وأنساب قبائل العرب والبربر ؛ وكان يعرف بين بنى ادريس (بأحمد الفاضل) وكان يميل الى تبعية بنى مروان ، ويفضلها ، فانه لما ولى بعد أبيه قطع الدعوة للعبيديين ، وبايع لعبد الرحمن الناصر لدين الله الاموى بقرطبة ، وخطب له على منابر عمله ، ولكن الناصر لم يقنع منه بذلك ؛ حتى يقطع طنجة وسبتة ويمكنه منهما ، فامتنع أبو العيش من ذلك ثم بعث الناصر بفصائل الجيوش الى قتاله ، والتضييق عليه ، فصالحه على ما طلب منه ، فأعطاه سبتة وطنجة ، وبقى أبو العيش مع اخوته وبنى عمه على مدينة أصيلا ، والبصرة ، وقلعة حجر النسر ، تحت وطأة الناصر القاهرة ؛ وفي كنفه متمسكين بدعوته ، ثم ان الناصر لم يكتف بما صالحه عليه أبو العيش من طنجة وسبتة ؛ بل جعل يجلب الجيوش للمغرب وجعل يحتله ويحارب من لم يدخل تحت طاعته من البربر ، وكان الناصر ممدا لهم بماله ورجاله ، حتى دخل في طاعته أكثر بلاد المغرب ، وبايعه كبريات قبائله من زناتة وغيرهم من البربر ، وخطب له على جميع منـــابر المغرب ؛ من (تاهرت) الجزائر الى مدينة طنجة ما عدا ((**سجلماسة**)) ، فانه كان قائما بها لذاك العهد ((**مناذر البربري**)) ثم امتد سلطانه الى فاس فبايعه أهلها ، وولى عليهم عامله محمد بن الخير ابن محمد اليفرني الزناتي ، وكان من أبسط أمراء زناتة يدا ؛ وأعظمهم شأنا ؛ وأخلصهم الى بنى أمية طوية ،وذلك لان جدهم حربا أسلم على يد عثمان بن عفان رضى الله عنه ،وكان يقدمه على قومه زناتة ؛ فصارت محبتهم لبنى أمية وراثية ، فأقام **محمد بن الخير** على فاس نحو سنة ؛ ثم طلب الجواز لارض العدوة بقصد جهاد الروم، وخلف مكانه على مدينة فاس ابن عمه احمد بن أبى بكر بن احمد بن عثمان ابن سعيد المغراوى الزناتي ؛ وهو الذى أمر بتجديد صومعة القرويين بفاس سنة 344 هجرية ، وهذا قول ثالث في مصير مدينة فاس بعد ابن أبى العافية ، والعلم كله لله . ولما ضاق الامر بالامام احمد أبى العيش من فعل الناصر به في المغرب كتب اليه الى قرطبة يستأذنه في الجهاد ؛ وأمر أن يبنى له في كل منزل ينزله قصرا من الجزيرة الخضراء الى الثغر وأن يجرى لـــه في كـــل منـــزل الف دينار في اليوم ضيافة ، ومن الفرش والاثاث والطعـــام والشراب ما يقوم بالقصر ؛ فبنى له ذلك ؛ واجرى فيها ما يلزمه ؛ فكانت منازله في رحلة 30 منزلا ، فلم يزل متنقلا فيها حتى وصل الى الثغر ؛ وكان

استخلف على عمله بالمغرب اخاه الحسن بن كنون الذى عصفت به رياح الشرق والغرب فكانت ايامه خاتمة عقد ابناء البيت الادريسى فى المغرب ، واما أخوه المذكور احمد ابو العيش فانه مات شهيدا فى جهاد الروم بأرض عدوة الاندلس سنة 448 هجرية ويعتبر احمد ابو العيش هذا رئيسا لدولة الادارسة الثانية بالريف ؛ حيث انها لم تكن فى درجة دولتهم الاولى فى الاستقلال والاستبداد بالامر فى المغرب ، وقال فى الاستقصا : وكان السواد الاعظم من اهل المغرب الاقصى لهم محبة موروثة فى جانب آل ادريس ، وايثارهم لهم لا يبغون بهم بدلا ما وجدوا الى ذلك سبيلا .

ترجمة الامام الحسن بن كنون

وفى سنة 447 هجرية ، ولى الناصر على مدينة طنجة واحوازها يعلى ابن محمد اليفرانى فنزلها فى قبائل يفران . وامضى أمره ونهيه فيها ، وكان الامام الحسن بن القاسم كنون آخر من تولى الخلافة الادريسية بالمغرب الاقصى من الادارسة وكان فى سياسته كأخيه أبى العيش يميل للمروانيين . ولم يكن لاحد الاخوين فى هذه الدولة الادريسية الثانية الريفية استقلال بالنفوذ السياسى بل كان كل منهما تابعا للمروانيين ، وحيث رأى أخوه أبو العيش أن لا راحة له مع هذه التبعية طلب الخروج من المغرب برسم الجهاد الى الاندلس سنة 443 هجرية ، عهد الى أخيه الحسن بن كنون . وبعد ما اتصل الخبر بالخليفة الشيعى المعز لدين الله (معد) بن اسماعيل العبيدى ، بغلبة الناصر لدين الله الاموى ، واستيلائه على أرض المغرب ، وان القائم به صار مواليا له ، وان جميع من بها من قبائل زناتة والبربر ، رفضوا دعوتهم ، ودخلوا فى دعوة بنى امية ملوك عدوة الاندلس عظم الامر عليه ، ثم بعث قائده **جوهر الصقلى** بن عبد الله الرومى المعروف بالكاتب فى جيش كثيف يقدر بـ 20 الف فارس من قبائل كتامة وصنهاجة وغيرهم ، وامره ان يوطئ بلاد المغرب ويذللها ، ويستنزل من بها من الثوار ويشد وطأته عليهم ، فخرج القائد جوهر من القيروان سنة 347 هجرية يؤم بلاد المغرب ، فاتصل خبره بيعلى بن محمد اليفرنى صاحب طنجة ، وقائد الناصر على عدوة المغرب فحشد قبائل زناتة ، ونهض الى القائد جوهر ، فالتقى الفريقان بمدينة (تاهرت) الجزائر ، فالتحمت الحرب بين الفريقين ، فأخرج القائد جوهر الاموال وبذلها فى قواد كتامة ، فضمنوا له قتل أمير زناتة ، يعلى المذكور ولما اشتد القتال ، صممت فرقة من قواد كتامة ، وانجادها ، وقصدوا يعلى

فقتلوه واحتزوا راسه ، واتوا به الى القائد جوهر ثم بذل لهم مالا جزيلا على النصر الباهر الجديد ، ثم بعث بالراس المذكور الى مولاه المعز لدين الله ، فطيف به فى القيروان ، ثم تقدم جوهر الى سجلماسة . وكان يراسها محمد ابن الفتح بن ميمون بن مدرار المعروف (بالشاكر لله) وكان قد ادعى الخلافة وتسمى بأمير المومنين ، وضرب السكة فى اسمه . وكتب عليها (تقدست عزة الله) وكانت السكة تعرف بالشاكرية وكانت فى غاية الجودة ، وكان سنيا مالكى المذهب ، فنزل عليه جوهر وحاصره بسجلماسة ، ثم فتحها عنوة ، وهرب الشاكر عنها ، ثم عاد بعد يومين أو ثلاثة ، ودخل متنكرا فعرف والقى القبض عليه ، وأوثقه جوهر فى الحديد ، وساقه أسيرا بين يديه ، حتى نزل على مدينة فاس بعد ان أفنى حماة الصفرية ورجالها بالسيف فحاصرها وأدار بها القتال من كل جهة ما يقرب من نصف شهر . وكان ذلك سنة 349 هجرية ثم فتحها عنوة على يد زيرى بن مناد الصنهاجى ، فانه تسنم أسوارها ليــلا ودخلها وقتل بها خلقا كثيرا ، فالقى القبض على أميرها ، أحمد بن أبى بكر الزناتى الذى ولاه الناصر عليها ، ونهب المدينة ، وقتل حماتها وشيوخها ، وسبى نساءها وهدم اسوارها ، فكان الحادث بها عظيما ، ثم استولى القائد جوهر على بلاد المغرب بعد أن قتل أولياء المروانيين ، فخافته البربر ، وذهبت قبائلها امامه ، فأنفذ أمره فى المغرب الاقصى 30 شهرا ، فانتهى الى البحــر المحيط واصطاد سمكه وجعله فى قلال الماء ، بعد ان دوخ البلاد وأثخن فيها وقطع منها دعوة المروانيين ، وردها الى العبيديين ، فخطب لهم على جميع منابر المغرب ، انظر قد وقع كل هذا بالمغرب من القائد جوهر ، ولم يمس شرف الامام الحسن بن كنون ، امير قلعة حجر النسر ، ولعل ذلك كان بايعاز من رئيسه (معد) لما كان يزعمه من الدعوة الفاطمية ، وفيه دليل على القرابة الجامعة بينهما ثم انصرف القائد جوهر عن المغرب متوجهــا الى المهديــة التونسية ، حاملا معه امير سجلماسة ، الشاكر لله واحمد بن أبى بكــر الزناتى ، ودخل بهما اسيرين بين يديه فى اقفاص من خشب على ظهور الجمال، جاعلا على راسيهما قلنسوتين من لبد مستطيلة ، منبتة بالقرون فطيف بهما فى بلاد افريقيا ، واسواق القيروان ثم ردا الى المهدية وحبسا بها حتى ماتا فى سجنها ، وكان الامام الحسن بن كنون قد بايع للعبيديين فيمن بايعهم عند غلبة جوهر على بلاد المغرب واخضعه لهم ، وفى سنة 349 هجرية انصرف جوهر الى افريقيا ، دون أن يخلف حامية وراءه من المروانيين تحمى المغرب منهم ، وبعد انصرافه وجد الامام الحسن بن كنون نفسه مضطرا الى بيعة المروانيين ، والتمسك بدعوة الناصر ، ثم ابنه الحكم المستنصر فبايع ونكث

بيعة العبيديين خوفا منهم لقرب بلاده من بلادهم ، واقام على ذلك الى أن قدم **بلكين بن زيرى** ، قائد المعز بالله بن معد بن اسماعيل من افريقيا للاخذ بثار أبيه زيرى بن مناد ، قد كانت زناتة قتلته سنة 361 هجرية ، وحمل رأسه الى الخليفة الاموى الحكم المستنصر بالله بن الناصر بالاندلس فزحف بلكين بجيوشه على زناتة ، فقتلهم واستأصلهم ، وقتل جميع الموالين لبنى مروان ، وقطع دعوتهم من المغرب ، وقد اخذ البيعة من جميع اهل المغرب للمعز بالله معد بن اسماعيل ، كما فعل جوهر قبله ، وكان الامام الحسن ابن كنون أول من سارع معه الى قتل أولياء المروانيين ، ونصرته عليهم وكشف عن وجهه فى بيعة العبيديين ، والعمل الجدى من أجلهم ، ثم اتصل خبره بالحكم المستنصر فحقد عليه لذلك ، ولما انصرف بلكين بن زيرى الى افريقيا ، بعث الحكم المستنصر صاحب عدوة الاندلس قائده بن القاسم بن طملس فى جيش كثيف الى قتال الامام الحسن بن القاسم كنون ، فخرج من الجزيرة الخضراء مارا فى طريقه على سبتة ، فى عدد كبير وعدة كاملة ، وذلك فى شهر ربيع الاول سنة 362 هجرية فزحف اليه الحسن بن كنون فى قبائل البربر ، فالتقى الجمعان فى احواز طنجة بموضع يعرف بفحص مصرخ فكان بينهما حرب عظيمة ، قتل فيها محمد بن القاسم قائد الحكم المستنصر بالله ، وقتل معه عدد كبير من جنوده ، وفر الباقون فدخلوا سبتة وتحصنوا بها ، وكتبوا الى الحكم يستغيثون به ، فبعث اليهم صاحب حروبه وانتصاراته مولاه غالبا ، البعيد الصيت المعروف بالشهامة والنجدة والدهاء ، والخبرة الحربية واعطاه الحكم اموالا جليلة ، وجيوشا كبيرة ، وعدة وافرة ، وأمره بقتال آل ادريس واستنزالهم من معاقلهم ، وقال له : عند وداعه ، يا غالب ، سر مسير من لا اذن له فى فى الرجوع ، الا حيا منصورا ، او ميتا معذورا ، ولا تشح بالمال ، وابسط يدك يتبعك الناس ، ثم خرج غالب من قرطبة فى آخر شوال ، سنة 362 هجرية .

فاتصل خبر قدومه بالامام الحسن بن كنون ، فخاف على نفسه منه ، واخلى مدينة البصرة وحمل منها حرمه وامواله وذخائره الى قلعة حجر النسر ، فعبر غالب البحر من الجزيرة الخضراء الى قصر مصمودة ، فلقيه الامام الحسن بن كنون هناك بمن كان معه من جنود البربر ، فقاتله اياما فدس غالب الاموال الى رؤساء البربر ، لانه الاسلوب الذى جرب لفشلهم فى الحروب منذ العهود القديمة ، فأخرج غالب الاموال وبثها بين رؤساء البربر ، ووعدهم وأمنهم على مصيرهم ، ففروا عن الامام الحسن بن كنون دون حياء

ولا كرامة ، واياك أن تغيب الفطرة البربرية عنك ، فهى لا زالت خلة موروثة لهم منذ العهود القديمة ولن تزال فى عقبهم خلفا عن سلف ، فهى ثلمة نقص فى خلقهم وطبعهم لا تفارقهم ابدا والمنصفون منهم يشهدون بها فى أنفسهم ، ويعدونها نقصا فى خلقهم رغم ما أوتوه من عزة نفس ، وحمية أنف ، وكرم طبع ، وشهامة عند اللقاء فى المكارد ، وصلابة وشدة فى العصبية والرأى ، وهم مع ذلك كله لا يستطيعون الثبات أمام الدينار والدرهم ، ولو كان فيه بيع دينهم بدنيا غيرهم ، مثلهم مثل بضاعة وقود معروضة لمن يملك النفوذ والنقود والسلطة الواسعة والمال الكثير ، فحاجتهم الى شرف المال قضت على كل شرف . أغناهم الله من فضله ورزقهم الله كرم الطبع والاخلاق الكريمة ورزقنا واياهم الثبات على الايمان والكرامة ، والخاتمة الحسنة . فلم يبق مع الامام الحسن الا خاصته ورجاله ، وعند ذلك فر بأهله الى قلعة حجر النسر . وتحصن به . فتبعه غالب ونزل عليه بجميع جيوشه . فحاصره وقطع عنه جميع موارد الحياة . ثم أمده الحكم من ارض العدوة بجيش آخر فيه العرب . ورجال الثغور سنة 363 هجرية .

ثم ازداد الحصار اشتدادا على الامام الحسن المذكور حتى اضطر الى النزول عن الحصن فطلب من غالب الامان على نفسه واهله ، وماله ورجاله ، ثم بعد ذلك يسير معه الى قرطبة فيكون بها ، وينزل اليه عن الحصن ، فأجابه غالب الى ذلك وعاهده عليه ، فنزل الامام الحسن بأهله وماله ورجاله ، وأسلم الحصن الى غالب ، وبذلك تم له الاستيلاء على جميع بلاد المغرب ، واستنزل جميع العلويين من معاقلهم واجلاهم عن وطنهم ، ولم يترك به رئيسا منهم ، ثم انصرف غالب الى العدوة ، وحمل معه الحسن بن كنون ، وجميع من استسلم له من رؤساء الادارسة ، وبعد ان وطأ المغرب فرق العمال فى نواحيه ، وقطع منه دعوة العبيديين ، ورد ولايته الى المروانية الاندلوسية ، وكان خروجه من مدينة فاس فى آخر شهر رمضان سنة 363 هجرية وقطع البحر عن طريق مدينة سبتة ، واستقر بالخضراء ، وكتب الى مولاه المستنصر بالله يعلمه بقدومه وبمن قدم معه من العلويين الادارسة ، وعند ما وصل كتابه الى الحكم المستنصر بالله ، أمر الناس بالخروج الى لقائهم ، وركب هو فى جمع عظيم من وجوه دولته للقائهم والسلام عليهم ، فكان يوم دخولهم قرطبة يوما مشهودا ، وكان ذلك اول يوم من المحرم سنة 364 هجرية ، فسلم الحسن بن كنون على الخليفة الحكم المستنصر بالله فأقبل عليه وعفا عنه ، ووفى له بعهده ، واوسع له ولرجاله فى العطاء ، واجرى عليهم الجرايات الكثيرة ، وخلع عليهم الخلع

الرفيعة ، وأثبت جميع اهله ورجاله فى ديوان العطاء ، وكانوا 700 رجل انجاد يعدلون سبعة آلاف من غيرهم ، واسكنه قرطبة وأقام الحسن فى مأمن بين اهله وعشيرته سنة واحدة ، وفى سنة 365 هجرية وقع خلاف بينه وبين الحكم المستنصر بالله على قطعة عنبر فى شكل غريب ، كبيرة الحجم حملها الحسن بن كنون معه من المغرب لانه كان يتوسدها ويتكىء عليها ، كـان قد ظفر بها من بعض سواحل البحر بالمغرب ، فبلغ خبرها للخليفة الحكم ، فاستوهبها منه ليضمها الى ذخائره ، على أن له حكمه مسمطا (أى سهلا مجوزا نافذا) فامتنع الحسن من تسليمها اليه ، فنكبه عليها ، وصادر جميع أمواله حتى القطعة فجعلها فى خزانة الامويين ، وظلت محفوظة بها الى أن غلب ابن حمود الادريسى العمرانى على المروانية الاموية بالاندلس ، حتى نفذ الى قطعة العنبر التى كانت لابن عمه ملكا فنكب عليها ، ثم وجدها محفوظة قائمة العين ، قد عقبتها الايام حتى رجعت الى أهلها ، ووجد الحكم ذلك سبيلا الى الاستراحة من عبئهم ، والتخفيف من نفقـاتهم ، فأمـر بتغريبهم ، ثم وجههم عن طريق البحر من المرية الى المهدية التونسية سنة 365 هجرية ، ومنها ساروا الى مصر ، فنزلوا بها على نزار بن معد ، فأقبل عليهم ، وأكرم وفادتهم ، ووعد الحسن النصر ، والاخذ بثاره وأقام عنده نحو 8 أعوام ، من سنة 365 ــ 373 وفى أيام هشام المؤيد بالله الاموى كتب نزار بن معد بعهده على المغرب ، وامر عامله على افريقيا بلكين ابن زيرى بن مناد أن يقوى الحسن بالجيوش الكافية لاحتلال المغرب ، فاقتطع له جيشا يوصله قوامه ثلاثة آلاف فارس ، فاقتحم بلاد المغرب حتى وصل ــ الى قلعة حجر النسر ــ فسارعت اليه قبائل البربر بالطاعة ، فعاد أمره الى ما كان عليه من الظهور بالمغرب فاتصل خبره بالمنصور بن أبى عامر ــ حاجب المؤيد بالله ، والقائم بملكه ــ فبعث اليه ابن عمه الوزير ابا الحكم عمرو بن عبد الله بن ابى عامر ــ المعروف بعسكلاجة ــ فـى جيش كثيف ، وقلده امر المغرب ، وسائر أعماله ، وامره بقتال الحسن بن كنون ، فعبر اليه البحر من الجزيرة الخضراء الى سبتة ، ومنها خرج الى حرب الحسن ، فأحاط به وحاصره اياما ــ بقلعته ــ ثم بعث المنصور مددا آخر الى ابن عمه الوزير ، وأجازه من سبتة فى اثره ، قوامه جيش كثيف ، ويراسه ابنه عبد الملك ، وعند ما ضاق الامر بالحسن ولم يجد منفذا ولا حيلة يلجأ اليها من ابن أبى عامر اضطر ان ينزل بالامان على نفسه وعلى ان يسير معه الى بلاد الاندلس كما فعل فى الاولى ، فأعطاه الوزير ابو الحكم ما وثق به من الامان ، وكتب الى ابن عمه المنصور بالخبر ، وأن

يمضى له الامان ولما بلغ الكتاب للمنصور لم يمض له الامان ، وأم
به الى قرطبة موكلا به من يحفظه . فعجل الوزير بالحسن .
الخبر الى المنصور بقدومه بعث اليه من قتله فى طريقه . فدفن ،
مقتله . وحمل رأسه الى المنصور وكان ذلك فى جمادى الاولى
هجرية ، وبموته تفرق أبناء عمه الادارسة فى المغرب ، ولاذوا ب
أن خلعوا شارة ذلك النسب الشريف واستحالت صبغتهم منه ال
ومن العجب أن ريحا هبت بعد قتل الحسن بن كنون واحتم
فطلبوه فلم يجدوه بعد . وقالوا ان الحسن هذا كان فظا غليظا ؛
وكان اذا ظفر بعدو أو سارق أو قاطع طريق أمر به فطرح من
بقلعة حجر النسر . الى الارض . وكان الحصن مرتفعا جدا
خشبة للمجرم فيهوى منها الى الارض فتتقطع أوصاله قبل أن
وبموت هذا العبقرى الادريسى انتهت ولاية الادارسة بالمغ
ابتداؤها يوم الجمعة الرابع من شهر رمضان المعظم سنة
يوم بويع للامام ادريس الاول بمدينة وليلى ، واستمرت الخ
الى أن قتل الحسن بن كنون فى شهر جمادى الاولى سنة 5
من سنة 172 — 375 هجرية وتداول هذه الخلافة 12 رجلا
مدة أيامهم 202 من السنين وخمسة أشهر وكانت ولايتهم م
الاقصى الى مدينة تلمسان ، ووهران ، وقاعدة ملكهم الاولى
ثم البصرة ، ثم قلعة حجر النسر ، وكانوا ينافسون الخلفا
الخلافة الا أنهم كان يقعدهم ضعف سلطانهم ، وقلة مالهم . وك
سلطانهم بلغ الى مدينة تلمسان . واذا ضعف واضطرب ال
يجاوز البصرة والعرائش وأصيلا ، الى قلعة حجر النسر ال
أيامهم بعد دولتهم الثانية الريفية التى كان ابتداؤها بعد انطا
موسى بن أبى العافية الى نهاية الامام الحسن بن القاسم
الله ، وبموته طفىء سراج الادارسة بالمغرب والدوام والبقا
لا رب غيره ولا معبود بحق سواه .

واليك ملخص من ولى الامر من الادارسة ، مع تاريخ
هجريا وميلاديا الا واحدا منهم فلم يوجد من بين المؤرخين من أ

1 — ادريس بن عبد الله الكامل بن الحسن المثنى بن الحس
172
ت : 177

2 ـــ ادريس الثانى بن ادريس الاول بـــن عبـــد الله الكامـــل ولـــى
188 هـ ق 804 م
تـــ : 213 هـ ق 829 م

3 ـــ محمـــد بـــن ادريس الثانى بن ادريس الاول بن عبد الله الكامل ولى
213 هـ ق 829 م
تـــ : 221 هـ ق 837 م

4 ـــ على الاول الملقب حيدرة بن محمد بن ادريس الثانى بن ادريس الاول و
221 هـ ق 837 م
تـــ : 234 هـ ق 851 م

5 ـــ يحيى الاول اخو على الاول ابنا محمد بن ادريس الثـــانـــى ولى
234 هـ ق 851 م
تـــ : 250 هـ ق 866 م

6 ـــ يحيى الثانى بن القاسم بن ادريس الثانى بن ادريس الاول الملقب العوام ولى
250 هـ ق 866 م
تـــ 292 هـ ق 904 م

7 ـــ على الثانى بن عمر بن ادريس الثانى بن ادريس الاول

8 ـــ الحسن الاول الملقب (بالحجام) ابن محمد بن القاسم بن ادريس الثانـــى ولى
311 هـ ق 904 م
تـــ : 313 هـ ق 915 م

9 ـــ يحيى الثالث بن ادريس بن عمر بن ادريس الثانى المتوفى جائعـــا غريبا ولى
300 هـ ق 925 م
تـــ : 332 هـ ق 934 م

10 ـــ القاسم الملقب (كنون) ابن محمد بن القاسم بن ادريس الثانى ولى
332 هـ ق 934 م
تـــ : 337 هـ ق 929 م

11 ـــ أحمد المكنى (أبو العيش) بن القاسم كنون بن محمد بن القاسم ابن ادريس الثانى ولى
337 هـ ق 930 م
تـــ : 348 هـ ق 935 م

12 ـــ الحسن بن القاسم كنون بن محمد بن القاسم بن ادريس الثانى ولى
343 هـ ق 935 م
تـــ : 375 هـ ق 967 م

ترجمة أكبر النساك العارف بالله مزوار بن على حيدرة

فهو الولى الصالح جد أجداد الاشراف العلميين سيدى مـــزوار . واسمه أحمد بن على حيدرة بن محمد بن ادريس الثانى بن ادريس الاول ابن عبد الله الكامل بن الحسن المثنى بن الحسن السبط بن على وفاطمة الزهراء رضى الله عنهم بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم تجرد للعبادة بعد نهاية الفواجع والكوارث العظيمة والحوادث المؤلمة ، التى ألمت بأهل البيت الادريسى بالمغرب ، والتى كانوا هدفا لها عبر عصورهم وأيام حياتهم فى الشرق والغرب ، فى ملجاه الاخير بقلعة حجر النسر الى أن توفى بـهـا . ودفن هنالك بالقرب منها . فهو معدود فى سلك البارزين من العارفين بالله فى السلسلة العلمية الى أن انتهت الى حفيده الشيخ الجامع « القطب » اللامع مولانا عبد السلام بن مشيش خاتم تلك الفواجع والاحداث الـتـى أودت بحياة الكثير من أخيارهم وعباقرتهم ، وكانت قلعة حجر النسر ملجاهم الاخير بعد نكبة ابن أبى العافية الذى كان يريد تصفيتهم من المغرب ، فبارك الله فى أعقابهم حتى كان منهم الخير الكثير ، ولن تزال ذريتهم متفرقـــة فى قبيلتى سماتة وبنى عروس الى يومنا هذا ، وتقدم الكلام على ضريحه فى الكلام على قلعة حجر النسر ثم ارتبطت حلقات السلسلـــة وتتابعت بالاحفاد من صلبه الى الآن وحتاه حسبما تقف عليه مسطرا محفوظا نقلا عن العلماء الاعلام من أهل الدراية بأنساب أهل البيت الكرام من أهل سكان جبل العلم وغيرهم ، ومن بينهم أولاد الشيخ مولانا عبد السلام ، واليك أسماءهم على الترتيب ، وفى بدايتهم الولى الصالح الذى عقدت الترجمـــة من أجله . فهو رحمه الله الولى الصالح سيدى (1) أحمد مزوار بن على حيدرة ابن محمد بن إدريس الثانى ، بن ادريس الاول بن عبد الله الكامل ابن الحسن المثنى بن الحسن السبط بن على وفاطمة الزهراء بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم .

(2) ثم ابنه سيدى سلام بن مزوار دفين بالقرب من قرية مجمولـــة بموضع يدعى (البيمل) دفن بالقرب من دار سكناه التى كان يعرف موضعها عند أهل البلد (بالركن) وكانت خربتها باقية الى هذا التاريخ فخربها بعض الجهلة ليحرث موضعها ويقع هذا الموضع على بعد ميل من سوق خميس

بنى عروس الى جهة القبلة عن يسار الصاعد الى قرية مجمولة .

(3) ثم ابنه الولى الصالح سيدى عيسى بن سلام المذكور أعلاه دفين بالقرب من قرية بوعمار بموضع يقع أسفل القرية من جهة القبلة أيضا

(4) ثم ابنه الولى الصالح سيدى بوحرمة بن عيسى المذكور أعلاه . دفين بالقرب من قرية مجازليين .

(5) ثم ابنه الولى الصالح سيدى على بن أبى حرمة المذكور أعلاه دفين بارض أوجة على جرف الوادى تجاه قرية بوجبل بالقرب من سوق الخميس على نحو نصف ميل عن يمين القبلة . وبه سمى السوق المذكور فيقال له خميس سيدى على .

(6) ثم ابنه الولى الصالح « سيدى أبو بكر » بن على المذكور أعلاه دفين بالقرب من قرية عين الحديد بموضع يدعى بغابة الدك عن يمين طريق السيارات الصاعدة الى سوق الخميس وهو على بعد عنه بنحو اربعة أميال.

ومن سلام المذكور أعلاه الى أبى بكر لم يوجد لاحد منهم الا عقب واحد ليس له غيره ، ولابى بكر هذا سبعة رجال ، وكان عقبه من خمسة منهم ، وفيهم يجتمع النسب العلمى من قبيلتى بنى عروس وسماتة ، واثنان لم يعقبا وهما سيدى ميمون بن أبى بكر دفين قبيلة سطا فى أعلى الجبل وهو مزارة مشهورة بين أهل تلك البلاد ، والآخر سيدى الفتوح بن أبى بكر دفين بموضع يدعى العناصر بالقرب من مدشر عين زيانه ، وعلى مسافة قريبة من مدفن أبيه ، ويتعاهد زيارته أهل تلك البلاد المجاورة له ، وأما الابناء الخمسة المعقبون فسيأتى الكلام عليهم مع ترجمة كل واحد منهم ، وهؤلاء من مزوار الى الشيخ مولانا عبد السلام كانوا يعيشون فى فترة تاريخية ما بين سنة 235 الى سنة 530 تقريبا ، حيث اننا لم نعثر على اى تاريخ لاحد منهم لانهم كانوا يعيشون فى ظروف تحت المراقبة والاهمال السياسى ، ولم يبق لهم الا الحياة الروحية .

سبب تسمية القبيلة ببنى عروس

ويعلم ذلك مما ينكر ، وتلقيته عن أكابر قبيلة بنى عروس ، وذلك ان قصة مجىء الولى الصالح سيدى سلام بن مزوار اليها لما روى فى قصة مجيئه ما كان السبب فى تسميتها بهذا الاسم ، ويرجع سبب ذلك الى أن

بعض قبائل الهبط التى كانت تسكن بالقرب من قلعة حجر النسر ؛ لما سكنت الفتن وارتفع سوط العذاب عن بنى ادريس ، وبقيت منهم بقية بقلعة حجر النسر وكان على راسهم مزوار . اجتمع أهل الفضل والدين من اخيار السكان المجاورين ، وقالوا نذهب الى هذا الشيخ بقلعة حجر النسر ، ونأتى برجل من أهله نسكنه بيننا تبركا بأهل بيت النبى صلى الله عليه وسلم فى بلادنا . واجتمع من أجل ذلك بعض أهل هذه الطوائف التى سنذكر وهى 8 طوائف وهم : 1 — أولاد العافية ، 2 — وأولاد بوحرات ، 3 — وأولاد الرواص . وكانوا يدعون بأولاد عبد الله . 4 — وأولاد التمـوش . 5 — وأولاد الكعموش . 6 — وأولاد سبو . 7 — وأولاد الحايك . 8 — وأولاد العبورى . ولا تزال بقية أعقاب هذه الطوائف بقبيلة بنى عروس وسماته ثم انتدبت هذه الطوائف افرادا عنها . فذهبوا الى قلعة حجر النسر . وكان رئيس القوم العابد الناسك الولى الصالح سيدى مزوار ، وتقدم أن له اسما غير هذا وأما كلمة مزوار فكانت تطلق على رئيس القوم ونقيبهم ، وكان رحمه الله رجلا دينا من أهل الخير والصلاح والتقوى ، فاتصلوا به وقدموا اليه طلبهم ، وما اقتضته وجهة نظرهم بأن يرسل معهم من أولاده أو أهله من يسكن معهم تبركا بأهل بيت النبى صلى الله عليه وسلم . فما كان منه الا أن لبى طلبهم وحقق رغبتهم ، فانتدب ابنه « سلاما » واسمه عبد السلام ، واطلق عليـه سلام تخفيفا للاسم الاول ، قيل كان فى تلك الايام عريسا ، فوقع اختيار أبيه عليه لما قيل من أنه جمع أولاده أو أهله ، وأجرى عليهم اختبارا دقيقا لـم يتفطنوا لما هو المقصود منه ، وجعل يدعوهم ويختبرهم واحدا تلو الآخر بسؤال كان يلقيه عليهم ، وهو : يا ولدى من يصنع معك الخير والمعروف فى حياتك ، بماذا تكافئه ؟ فيقول طبعا اكافئه بالخير ، ومن يعمل معك الشر بماذا تكافئه ؟ فيقول طبعا بالشر ، : وجزاء سيئة سيئة مثلها » ثم يتركـه وينادى الآخر ، فأجابوا كلهم بجواب واحد ، الا سلاما العروس فانه أجاب على عمل الشر بقوله : أنا أكافئه على شره بالخير حتى يغلب خيرى على شره ، فعند ذلك أجابه أبوه قائلا له : يا ولدى أنت الذى تصلـح لمعاشرة الناس ، لما أعطاك الله من مكارم الاخلاق ، والصبر على المكروه ، ومجازاة السيئة بالحسنة ثم ذكر له الغرض المذكور الذى جاء الناس من أجله ، فقال له : يا أبت أنا فى طاعتك ورضاك ، فافعل ما بدا لك ، تجدنى شمسع نعلك ، ولا أعصى لك أمرا ترى فيه صلاح حياتى . فأمره بالاستعداد للتوجه صحبة القوم للاجابة الى ما طلبوا ولما أخذوه صحبة زوجه العروس ، وأرادوا مغادرة القلعة ، أوصاه بتقوى الله والصبر والسماحة فى معاشرة القوم ، ثم

دعا لهم بالخير والبركة والاستقامة فى طاعة الله تعالى : وقال لهم : قد أعطيتكم « ابنى عروس » فكونوا منه كما تكونون لانفسكم وأهليكم فهو واحد منكم واليكم ، ثم ودعهم وانصرفوا به آيبين الى قراهم ولما بلغوا الى أرض تدعى البيمل بالقرب من مدشر مجمولة اليوم حيث يوجد مدفنه بها ، وكانت تلك الارض ملكا لاحد أولاد الرواص الذين كانوا يسمون بأولاد عبد الله احدى الطوائف المنتدبة المتقدمة الذكر . وكانت أرضا زراعية خصبة ، عند الوادى الكبير فعرضها عليه فأعجبته وأعجبه المقام بها وأراد أولاد العافية أن يصحبوه معهم الى قريتهم . وكذلك أولاد بوحرات . ولكنه أبى عليهم وقال لهم هذا هو المنزل ان شاء الله . وعند ما حظى الرواص بمقامه بأرضه تبرع عليه بها وجعلها له هدية . قائلا له : « قد أهديتها لك مجمولة » ثم تكونت قرية بالقرب من هذا المكان . وأطلق عليها اسم مجمولة . وهى موجودة الى اليوم وأكثر سكانها حفدة الولى الصالح العروس ولن تزال بقية من أولاد الرواص بها يسكنون معهم الى الآن . ثم سكن الولى الصالح بها مدة حياته حتى توفى ودفن بها . ولم يخلف سوى ولد واحد اسمه (عيسى) فتنازعت فى أخذه معهم الى قريتهم طائفتا أولاد العافية ، وأولاد بوحرات ، وكانت طائفة أولاد العافية أقوى من طائفة أولاد بوحرات فاخذت نجل الضيف الكريم الى قريتها وعاش معهم وبين أكنافهم حتى توفى ودفن بالقرب من قريتهم حيث هو الآن . بالمشهد العظيم ، ولن تزال القرية المسماة مرج حمود عامرة بأبناء أولاد العافية الى الآن . ويعتبر أهلها من أقوى قرى بنى عروس كما وكيفا ، ولم يخلف الولى الصالح سيدنا عيسى ابن سلام سوى ولد واحد اسمه « بوحرمة » أخذته الى قريتها مجازليين طائفة أولاد بوحرات وعاش بين أكنافهم مكرما مرفوعا كأبيه حتى توفى ودفن بالقرب من القرية المذكورة ، وعليه مشهد عظيم مثل مشهد أبيه ، ولم يخلف الولى الصالح سيدنا بوحرمة بن عيسى سوى ولد واحد اسمه « على » تربى بين أحضان ابيه وأمه عزيزاً مكرما ، ولما توفى دفن بالقرب من مكان جده سلام العروس ، ويعتبر هذا الموضع بمثابة القلب من قبيلة بنى عروس ، وليس لهما مشهد بل عليهما حوش من الحجارة كالعادة ، ولم يخلف الولى الصالح سيدنا على بن بوحرمة ، سوى ولد واحد اسمه « ابو بكر » بن على ، وعاش بقرية الحصن ، وتوفى بقرية عين الحديد ودفن بالقرب منها بموضع يدعى بغاية الدك ، وعليه مشهد عظيم ، وان دلت تلك المشاهد الفخمة المبنية فى وسط الغابات ، تحيط بها الاشجار الباسقة المخضرة على شيء فانما تدل على مقدار اعتناء المحبين لاهل بيت

النبى الكريم صلوات الله وسلامه عليه وعليهم أجمعين ، ويذكر انه توجد عادة متبعة لاحفاد أولاد العافية ، من لدن أجدادهم الاقدمين خلفا عن سلف . هى تحضير مقبرة الولى الصالح سيدنا عيسى بن سلام المتقدم ويفتتحون بها موسم الحرث من كل سنة ؛ ومن أجل ذلك ظلت بركة هذه النية الحسنة مضفاة على أهل هذه القرية الخير والبركة الى الآن ، ولن تزال ميزة خاصة بهم فى لم شملهم وجمع كلمتهم ، وهى ظاهرة فريدة لهم حتى ان الكلمة والرأى فى قبيلة بنى عروس لن يبت فيها دونهم ، وعليهم الاعتماد فى الامور الجليلة ولو أتيت قريتهم . وخبرت مجتمعهم لرأيت فيهم من التوفيق والوفاق ، وسداد الرأى وجمع الكلمة ، والحزم فى الامور شيئا عجبا ولن يكون نساؤهم بأقل من رجالهم فى ذلك كله فهى عهود من الآباء توارثها الابناء . وعند ذلك يتحقق ولا ريب ان صلاح الفرع من صلاح أصله . بأن سابقيهم فازوا بدعوة مستجابة تخلدت بركتها فى أعقابهم الى اليوم وما بعده ان شاء الله . أن لم يرفضوا العهد بينهم وبين أسلافهم . فان رفضوا : فان الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم » .

والملاحظ على طائفة أولاد بوحراث اهل قرية مجارليين انهم كانوا أهل قوة وشدة بالاضافة الى ان لهم سمعة طيبة ، كما انهم من أهل الخير والدين والصلاح ، وأنتجت قريتهم رجالا كانت تشار اليهم الاصابع فى سداد الرأى وعلو الكلمة والجاه ، وقد كان مجتمعهم يكاد ينافس الطائفة الاولى فى اختصاصاتها ، ولن يزال ذلك وراثة لهم عن أسلافهم الى العهد القريب فانهم اصابتهم نكسة وجعل بأسهم بينهم وأصابهم تدهور لما ساد الغاوون منهم وجعل بعضهم ينتقم من بعض ارضاء لشهوة الحسد ، وحقدا على التنافس العائلى ، وأظن ان ذلك أصابهم عند ما ساد المغرورون منهم وانحرفوا عما كان عليه أسلافهم مع أهل البيت المقيمين بينهم ، وارتموا على دعوة النسب النبوى لانفسهم وانهم من أعقاب أولاد مولاى عبد السلام، ورفعوا قضاياهم مع أولاد مولاى عبد السلام الذين منعوهم من أخذ فتوحاته معهم الى المحاكم وزوروا حججا بذلك وادعوها لاسلافهم ، والحق ان أسلافهم كما علمت بريئون منها فكانت عاقبتهم أن حكمت المحاكم ببطلان ما ادعوه كما ستقف على ذلك فى آخر الكتاب ان شاء الله ، ورجاءى منهم أن يتوبوا ويأووا الى رشدهم ولهم فى التقوى والدين وصحبة أهل الخير والفضل والصلاح أعظم شرف ، تلك هى طريقة أهل الخير والدين من أسلافهم ؛ ولو فكروا قليلا أصلح الله من شأنهم لآووا الى رشدهم وكانوا خير مجتمع

من خير أناس يضاهون بذلك ما كان عليه الآباء والاجداد من خير ورشاد . رحمهم الله وأثابهم وأسكنهم فسيح جناته ؛ وفقنا الله واياهم لما فيه رضى الله ورسولـــه .

ترجمــة أبــى بكــر الجــد الجامــع لنسب العاميــين

فهو الولى الصالح سيدنا أبو بكر الجد الجامع لنسب العلميين بن الولى الصالح سيدى على بن الولى الصالح سيدى أبى حرمة بن الولـــى الصالح سيدى عيسى بن الولى الصالح سيدى سلام العروس بن الولى الصالح سيدى مزوار . ولم نعثر على من ذكر رقما تاريخيا لهؤلاء الاجلاء . ولعل الامر راجع فى ذلك الى ظروف الاهمال التى تحتمها حالـــة العباد والزهاد فى الدنيا . وخصوصا هؤلاء الذين كانوا يعيشون فى بعد عــن السياسة والظهور تحت الرقابات التى أعقبتهم بعد دولتهم كما هو الشأن فى كل من عاش الحياة الدولية ثم أبعد عنها ؛ ولعله كان يعيش حوالى النصف الثانى من القـــرن الخامس .

بيت الولــى الصالــح سيــدنــا أبــى بكــر

خلف الولى الصالح سيدنا أبو بكر الجد الجامع لنسب العلميين من الاولاد الذكور سبعة ؛ اثنان منهم لم يعقبا وقد تقدم الكـــلام عليهمــــا ؛ والمعقبون منهم خمسة أجلة . نذكرهم على سبيل الترتيب وهم : ابنه الاول .

(1) سيدنا (سليمان) المشتهر بلقب « مشيش » بالميم ؛ وقيل بالباء دفين قرية أغيل عليه حوش فوق القامة مطلى بالجير ؛ وبالقرب من الخلوة المخضرة مسجده القائم الى الآن واثر دار سكناه ؛ ولن يزال مسجده محفوظا للصلاة لا يصل اليه الا من أراد الصلاة والعبادة والذكر فى الخلوة ؛ وأما القرية المذكورة فقد أقفرت منذ ما يقرب من 52 سنة هجرية ؛ وتفرق سكانها فى القبائل المجاورة وكان منهم الفقيه العلامة الشهير المعروف بالفقيه مرسوا المتوفى اثر احتلال الاسبان لجبل العلم ؛ وهو السبب فى جلاء أهل القرية عنها ؛ وكان ذلك بعد فرض الحماية على المغرب ؛ عام 1346 هجرية موافق 1927 ميلادية ؛ ودفن بالقرب من ضريح عمه سيدى مشيش ؛ وبالقرب من الضريح المذكور دور قليه ساكنة تسمى بوعلقمة ؛ وهى قريبة مـــن مدشر اغيـــل الخرب .

(2) ابنه سيدنا « يونس » بى أبى بكر ؛ دفين بأعلى قرية الحصن

فى سفح جبل العلم من جهة القبلة . وعليه حوش من الحج
فى قليل من أشجار الدلم .

(3) ابنه سيدنا « على » بن أبى بكر دفين قرية م
نمريحه بالقرب من القرية المذكورة فى خلوة من الاشجار
حوش من الحجارة دون طين وتحيط به مقبرة لحفدته وبنى
من سكان أهل القرية .

(4) ابنه سيدنا « أحمد » بن أبى بكر دفين بغابة الدك
داخل السور فى جبهة القبلة عن يمين الصاعد الى القرية
من الحجارة دون طين .

(5) ابنه سيدنا « محمد » بن أبى بكر الملقب الملبى .
الى جانب قبر أبيه بغابة الدك . ولا يبعد عنه الا بنحو خم
وعليه حوش من الحجارة دون طين ، مطلى بالجير . ه
القرية وغيرهم من أهل القرى المجاورة لهم . فهؤلاء الذ
هم المعقبون من أولاد سيدنا أبى بكر بن على رحمهم الله
كل من صحت نسبته الى جبل العلم ، دون غيرهم من ابناء
ولو سكنوا بينهم بالحرم العلمى . ولن يزال عقب كل واحد م
المذكورين الى الآن . فى دائرة عائلات كثيرة متفرقة فى ة
وغيرها ، وسنأتى لك بتفصيل عن تلك العائلات الشريفة
وربطها بالمشاهير من الآباء والاجداد ، حتى تراها موصولة
فى الصدور عن طريق المعرفة والمشاهدة العيانية الى ر
الله عليه وسلم حسبما وقفت عليه مضبوطا ومفصلا فى
العلمى لعدة نقباء رسميين كانوا منتدبين لاجل هذا ال
دولهم التى عاشوا معها ، ومبتدئا فى ذلك بالابن الاول لسيدن
الرقم الاول المتقدم ، الى نهاية الرقم الخامس ، من سـ
سيدنا محمد الملبى ، وقد ابتدىء بمشيش لكثرة عقبه ،
الاكثرية من الشرفاء العلميين ، وبالله التوفيق وعليه التـ

البيت المشيشى

قد خلف الولى الصالح (سليمان) الملقب « مشيشر
ولا يعرف له غيرهم .

(1) الشيخ الجامع والقطب اللامع صـــاحب الاشارات العليـــة ، والعلوم الفقيية والدينية والهمة العرشية ، من حاز الكمالات ، فى المواهب الالاهية : وذلك فضل الله يوتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم » أبو محمد « مولانا عبد السلام » بن مشيش دفين قنة جبل العلم حيث هو موجود وضريحه قائم الى الآن .

(2) أخوه الاكبر منه سنا الولى الصالح سيدنـــا « الحـــاج موسى الرضى » دفين أعلى قرية دار بجاو بالقرب من قرية تزروت العلمية . ولا يبعد عنها الا بنحو ثلاثة أميال ، وعليه حوش بناؤه مرتب من الحجارة دون طين فى قنيل من أشجار البرى . وبالقرب منه مسجده للصلاة . ولا يزال بناؤه محفوظا لمن أراد الصلاة والذكر فى الخلوة . توفى قبل أخيه الشيخ المذكور بـــ 20 سنة ، ويروى ان الشيخ المذكور كان يزور قبر أخيه كـــل جمعة الى وفاته . وكان يلقاه فى طريقه اليه قبر أبيه .

(3) أخوهما سيدنا « يملاح » بن مشيش المدفون وراء قبر أبيه على امتار بينهما وعليه حوش من الحجارة نحو الذراع مطلى بالجير . وكلهم اشقاء من الام المصونة سيدتنا زهرة ، أخت سيدنا ابراهيم بن عريف دفين وسط الجبل ، ويعرفه كل الناس لانه مزارة مشهورة متبرك به حيا وميتا ، ينتهى نسبها لسيدى حنين فهى شريفة عمرانية ادريسية . مدفونة بموضع يعرف بخندق ابران كانت به قرية فخربت قديما ، وعليها حوش من الحجارة دون طين مطلى بالجير ، يظهر للعيان من قنة المنازه .

بيت الشيـــخ الجامـــع مولانـــا عبـــد الســـلام

قد خلف الشيخ المذكور مولانا عبد السلام بن مشيش أربعة رجـــال وبنتا واحدة اسمها فاطمة ، وهم ولده :

(1) سيدنا « محمد » وهو أكبر أولاده سنا المدفون وراء ظهر أبيه داخل الروضة المباركة ، وبين يدى أبيه خديمه ابن خدامة ، فالروضـــة الشريفة مشتملة على ثلاثة قبور لمن ذكر ، ذكره الشيخ مولاى عبد الله الغزوانى ، ونقله من خط شيخه العلامة سيدى محمد بن أحمد المسناوى رحمه الله . ثم ولده .

(2) سيدنا « احمد » بن مولانا عبد السلام ، مات فى حياة أبيـــه رجلا ذا أولاد ودفن بالقرب من دار سكنا أبيه ، بموضع كان يدعى (أديباز الفوقانى) كانت به قرية فخربت قديما ، ولم يبق بها الا الاطلال ، وكانت

توجد هذه القرية على مسافة ميلين من ضريح القطب ، ومنها كان يصعد للعبادة بمسجده المعروف بقنة الجبل المدعو اليوم بجامع الملائكة ، وانتقل أهل القرية الخربة الى موضع آخر قريب من الاولى اسفل منها بموضع فضائي لان القرية الاولى كانت تحيط بها غيظة الاشجار من كل جانب . ويوجد بها رسوم دار الشيخ رحمه الله ومسجده الخربتين ، ومن وراء المسجد عدة قبور أكثرها للاطفال محيت معالمها الا قليلا . ومن بينها قبر زوجة الشيخ مولانا عبد السلام سيدتنا خديجة بنت عمه . ولن يزال معلما باننا وبالقرب منها عين ماء لا زالت على حالها ولم تتغير مع طول الزمن ، وسيأتي التعريف بزوجة الشيخ قريبا رحمهما الله . وبأسفل دار الشيخ بقليل يوجد ضريح ابنه السيد أحمد المذكور ، وعليه حوش من الحجارة المرتبة دون طين مطلي بالجير . وبالقرب منه بنيت له مسجد لمن أراد العبادة والخلوة فيها . قد أقامه في العهد القريب اولاد السيد أحمد المذكور : اولاد الطريق واولاد أغيلال . ومن هذه القرية كان الشيخ رحمه الله في أيام الدفء يخرج من داره في الثلث الاخير من الليل . ويصعد الى مسجده الخاص ، وكان له مسجد آخر بالقرب من عين البركة نعيده قائم البناء قبل احتلال الاسبان لشمال المغرب ، ثم خرب وبقي بموضعه كومة من الاحجار . والى جانبه المصلى الصغيى لن يزال قائم العين . وكان الشيخ رحمه الله يتوضأ بعين البركة ويصعد لمسجد بقنة الجبل المعروف اليوم بالمنازه ، وبالقرب من باب المسجد توجد مغارة الشيخ على بعد نحو اربعة أمتار ، وهي صالحة للجلوس فقط كان يعمرها في وقت الحر متجه القبلة ، وعن يمين المسجد على مسافة نحو 70 مطرا توجد مغارة أخرى ، كان يسكنها في العهد الاخير عابد يدعى الحاج الودراسي وقد بني اليوم فوق المغارة الاولى خزان للمياه ، الا ان صخرة المغارة لم تتغير ومن الخزان المذكور يتدفق الماء الى محلات الوضوء بالضريح ، والى القرية والسوق . وياخذ الخزان المذكور ماءه من عيون بأسفل الجبل على مسافة نحو ميل ونصف من الضريح ، من الجهة الغربية ، وكان اصلاح هذه المياه داخلا في الاصلاح الجديد الذي انشيء بضريح الشيخ سنة 1392 هجرية ق 1972 م بواسطة جهاز ناري أعد لذلك في بناية محكمة ، ومسجد الشيخ الذي بجانب المغارة مبني بحجارة مرتبة دون طين ، مفروشا بالفرشي ولم يزل بناؤه على حاله القديم لم يتغير فيه الا نافذة كانت بمحرابه كان الشيخ يرقب منها الفجر ، ولعله خرب وأعيد بناؤه فتركت .

(3) اخوهما سيدنا « على » المدعو علال بن الشيخ مولانا عبد السلام دفين مدينة شفشاون حيث مقبرة حفيده مولاى على بن راشـــد مؤسس مدينة شفشاون ، وعليه حوش مبنى نحو القامة بناء عاديا مطليا بالجير وقيل غير ذلك .

(4) اخوهم سيدنا « عبد الصمد » بن مولانا عبد السلام بن مشيش ، توفى رحمه الله بقبيلة بنى مصور ، ودفن بالقرب من قرية المنازل ، وبنى عليه حوش من الحجارة دون طين ، تحيط به أشجار الغابة الملتفة ، وحوله مقبرة لاهله وللجيران القربى منه .

الزوجـــة المصونـــة سيدتنـــا خديجـــة اليونسيـــة

وكل الانجال البررة الكرام أشقاء من أمهم المصونة سيدتنا خديجة بنت عمه سيدنا يونس رحمه الله فهى شريفة علمية ، ولم يثبت انه تزوج غيرها وقد حذفت من الترتيب اسم بنت الشيخ مولانا عبد السلام سيدتنا فاطمة شقيقة أولاده الاربعة المذكورين ، اكتفاء بذكرها أولا ، ولانهم فـــى دواوين النسب لا يذكرون فى تراجمهم الا الرجال ، للاعتداد بالنسب مـــن طرف الرجال فقط ، واما البنت فلا يذكرونها الا على وجه التبعية لاخوتها ، وسيأتى الكلام عليها قريبا عند زواجها ، وفى آخر جمادى الاخيرة سنة 1392 هـ ق 28 غشت 1972 م تيسر لى ان أصل اليها وأزور قبرها بالموضع المذكور سابقا ، وترحمت عليها واهديت الى روحها سورة من القرآن الكريم، وقد رافقنى الى زيارتها رجلان محبان لم أكن قد عرفتهما قبل فسألانى عن القبر لمن هو فعرفتهما به ، ولم يبق من علامة قبرها الا الحجر الاساسى المغروز فى الارض ، فجعلت أرد الحجارة الى تعليم القبر فأعانانى عليـــه حتـــى عاد القبـــر معلما كمـــا كـــان .

زواج السيـــدة فاطمـــة بنت القطب مولانـــا عبـــد السلام

لما بلغت السيدة فاطمة بنت القطب مولانا عبد السلام سن الزواج ، وكان لديها ابن عمها الشاب الانجب سيدنا « محمد » بن يملاح ، الذى مات أبوه عنه وتركه صغيرا يتيما فربى فى حجر عمه الشيخ مولانا عبد السلام ، وتحت ولاية نظره ورعايته وكانت السيدة فاطمة من سهمـــه وسعادته زوجة له ، تزوجها على الكتاب والسنة وكان تزويجها منه باشارة من عمه سيدنا الحاج موسى الرضى .

وقصة ذلك حسبما وقفت عليه منصوصا فى مناقبهم ، هى ان الشيخ المذكور سيدنا الحاج موسى الرضى اقترح على ابن أخيه محمد بن يملاح أن يتزوج ابنة عمه السيدة فاطمة ، مع العلم بأنه ربى فى حجر عمه وتحت حضانته يتيما فقيرا ، فأجاب عمه المذكور ، قائلا له : قد علمت ان عمى كفلنى صغيرا وربانى وأنا الآن أستحيى أن أكلمه فى شىء كهذا ، ! فكان من أمره أن أخذ بيده وذهب به الى أخيه ، ولما دخلا عليه وجلسا عنده قليلا ، ودار الحديث بينهما اقترح سيدنا الحاج موسى الرضى وجهة نظره على أخيه الشيخ مولانا عبد السلام فى أن يزوج ابنته السيدة فاطمة من ابن أخيه السيد محمد بن يملاح ، قائلا له : يا أخى زوج ابنتك من ابن أخيك السيد محد بن يملاح ، فانه كفؤ لها وابن عمها بكلمة الله العلية ، وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم التى اليها استناد البرية فسكت الشيخ قليلا عن اجابة أخيه مفكرا فى الامر ، ثم تكلم السيد الخاطب ولعله فهم علة السكوت من أخيه فأجابه بأبيات ، وهى هذه :

يعيب الناس كلهم الزمانا	وما لزماننا عيب سوانا
نعيب زماننا والعيب فينا	فلو نطق الزمان اذا هجانا
فليس الذيب ياكل لحم ذيب	وناكل بعضنا بعضا عيانا

ثم تكلم أبو الخطيبة الشيخ مولانا عبد السلام ، فقال : الحمد لله الذى جعل النكاح عصمة لانبيائه ، وشعارا لمن تمسك بالدين وارتدى بردائه، فسكت ، ثم تكلم الشيخ الخاطب فقال : مكتوب فى التوراة ، الكريم لا يضام أبدا ، وفى الانجيل : مال البخيل تاكله العدا ، وفى الزبور : الحسود لا يسود أبدا ، وفى الفرقان : والذى خبث لا يخرج الا نكدا » ثم تكلم أبو الخطيبة مجيبا أخاه وقائلا له : انى قد فوضت اليك فى شأنها فزوجها منه .
ويظهر من محاورة الشيخين ان موضوع محاورتهما كان يدور حول الكفاءة الاقتصادية ، وقد علم الشيخ مولانا عبد السلام رحمه الله ان ابنته لا ترضى بابن عمها الذى ياكل من تحت يد أبيها ليتمه وفقره ، فكان الامر كذلك ، ولم ترض بالزواج منه ، فأجبرها عمها الخاطب فرفضت أن تتزوج منه ، ولم تتزوج منه الا بعد ان أرضاها أبوها تطييبا لخاطرها ، بأنه يضمن لها السعادة الدنيوية ان أجابت وقبلت ، فقبلت على مضض حياء من ابيها وعمها ثم تزوجت منه ، فأنجبت له ببركة الله ولدين ذكرين هما السيد عبد الغفار والسيد عبد الجبار ، فهما أصلان وجدان للشرفاء اليملاحيين حيثما كانوا ، ولهذا السبب أطلق عليهما « شرفاء دار الضمانة »

وادركنا الآباء والاجداد يتحدثون بهذا وأما ما يروى من انها كانت قبيحة المنظر فامتنع ابن عمها المذكور من الزواج بها ؛ فأرضاه أبوها بأنه يضمن له السعادة الدنيوية ثم تزوجها ؛ فهو من الحدسيات التى يتطفل بها غيرنا علينا ؛ وليس فى بناتنا الاصيلات من هى قبيحة المنظر الى الآن وذلك معلوم مشهور عن طريق الحس والعيان فلا يحتاج الى بيان : وما توفيقى الا بالله عليـــه توكلت واليـــه أنيب » .

بيت سيدنـــا محمد بن الشيخ مولانا عبد السلام

قد خلف الولى الصالح سيدنا محمد بن الشيخ مولانا عبد السلام ولدا واحدا اسمه عبد الكريم ؛ دفين قرية تزيه بحومة أولاد عيسى فوق طريق السيارات الصاعدة الى ضريح جده الشيخ مولانا عبد السلام بـــن مشيش ؛ ويقع قبره الشريف تحت شجرة الدلم الكبيرة الحجم ؛ وعليـــه حوش من الحجارة دون طين طلى بالجير فى العهد القريب ؛ وبالقرب منه مقبرة لاحفاده واهله وأبناء عمه .

بيت ابنـــه سيدنـــا عبـــد الكـــريم

قد خلف الولى الصالح سيدنا عبد الكريم بن سيدنا محمد بن القطب مولانا عبد السلام على الاصح ولدين ذكرين هما السيد عبد الوهاب ، واخوه السيد عبد الواحد وأما ما قيل من أن هناك ثالثا اسمه العافية ، وذكره صاحب مرآة المحاسن فى طرة والحقه بسيدى محمد بن الشيخ مولانا عبد السلام ؛ وادعى انه أخ للسيد عبد الكريم ، فهو من المدسوسين فى النسب العلمى ولا اصل له فيه ، واظن انه دسته فيه اليد الآثمة ، لاننا قد بحثنا اولا عمن اسمه العافية بين الادارسة فلم نجده الا واحدا عند القاسميين لما قد علمت من أن هذا الاسم هو اسم لعدو الادارسة ، وليس من المعقول ان يسمى احد ابنه باسم عدوه ، فضلا عن الادارسة بأنهم غالبا لا يسمون ابناءهم الا بأسماء الاخيار من اجدادهم واحبابهم ثم بحثنا عنه من جهـــة اخرى أين كان يسكن من قرى قبيلة بنى عروس ، فوجدت العلامة السيد محمد بن التهامى الشهير ببن رحمون قد اثبت له سكنى فى قرية تجزرت وذكر ان له أولادا بها ؛ فرفعنا الامر لكبار اهل السن من شرفاء تجزرت

فأنكروا أن يكون لهم علم ولا لآبائهم الذين كانوا يحدثونهم عن عائــلات النسب الشريف ، وعن المقيم والظاعن منهم وأين هو ؟ كما كانوا يحدثونهم عن مشاهير القبور لمن هى ؟ وكل اهلها مشهور ومعروف بينهم ، ولم يذكر أحد منهم بتاتا انه له علم بسماع أو معرفة عن احد من ابناء العافية كان موجودا فى هذه القرية فانقطع نسله أو انتقل منها الى قرية أخرى ، ومعروف عند الخاص والعام من أهل النسب كما عندهم أيضا ان أهل تجزرت هم من أبناء ثلاثة رجال الهاشمى ، والطاهر ، والحضر ، وانهم يضغطون علــى أبنائهم لحفظ عمود نسبهم الى الآن لشدة تحفظهم من الدخلاء ، وقد غلط العلامة بن رحمون حيث لم يتثبت فى النقل ، ولم يوجد بيننا وبينه الا 272 سنة ومثل هذه المدة لا يمكن أن يندثر السماع بعائلة شهيرة ولو اندثر أفرادها فيها ، وعليه فوجود حديث العافية بين أبناء سيدى محمد بن عبد السلام من الازليات الخيالية الشبيهة بالاسرائليات الدخيلة على الاسلام .

فسيدنا عبد الوهاب بن عبد الكريم المذكور هو دفين بالمقبرة التى بجانب أبيه وأما أخوه السيد عبد الواحد فهو دفين بأعلى قرية دشر الاثنين من قبيلة بنى يدر فرقة بنى احمايد .

بيت سيدنـــا عبـــد الوهـــاب الاكبـــر

قد خلف الولى الصالح سيدنا عبد الوهاب الاكبر بن سيدنا عبــد الكريم ولدا واحدا وعقبه منه وهو سيدنا يوسف ، وعقب هذا من ابنــه سيدنا ابراهيم وعقب هذا من ولدين : وهما السيد مبخوث ، وأخوه السيد محمد ، فمبخوث هو الذى ينتهى اليه نسب الردام بقرية افرنو السفلى لا المسمى الردام بقرية ميزن فهو غير شريف النسب ، وابناء عمهم أولاد عيسى من قرية تزيه الذين منهم الشريف المجاهد فى أعداء الله ، المخلص عمله فى سبيل الله الذى كان يميل الى الجذب المتوفى فاتح ذى الحجــة عام 1346 هجرية موافق 1927 ميلادية ودفن عند الحجر المعروف بسيدى المدنى بالقرب من ابيه وأمه ، وسنم قبره بالحجارة وأما اخوه سيدنا محمد فابنه سيدنا عبد الوهاب الاصغر ، والى هذا ينتسب جميع شرفاء أولاد بن عبد الوهاب على مختلف فرقهم الذين اشتهروا بأسماء أخرى كالعمريين ، واللهيويين ، والصيديين ، والتايديين ، واليوسفيين ، وأما الوهبيون منهم

فهم ممن لم يتغير لهم اسم الوهابية وباقون على الاسم القديم . كما سياتى بيان ذلك ، وعبد الوهاب الاصغر الذى يجمعهم هو دفين قرية افرنو السفلى فى وسط خلوة ملتفة بالاشجار البرية ، وعليه حوش صغير من الحجارة الغير المرتبة طلى بالجير فى العهد القريب ، ويتبع تحت الطريق الذى تمر عليه السيارات الى الشيخ مولاى عبد السلام أو الى تطوان ، والى جانبه قبر ابنه الولى الصالح سيدنا عيسى (1) بن عبد الوهاب الاصغر ، وعقبه منه ومن أخويه الولى الصالح سيدنا محمد (2) ابن عبد الوهاب دفين مدشر تزية بمقبرة أولاد ابن عبد الوهاب ، عند حومة اياوش وأخيه الولى الصالح سيدنا يوسف (3) بن عبد الوهاب ، ولم أعثر على مدفنه .

بيت سيدنا عيسى بن عبد الوهاب الاصغر

قد خلف الولى الصالح سيدنا عيسى بن سيدنا عبد الوهاب الاصغر اربعة رجال ، هم سيدنا محمد بن عيسى المذكور بن عبد الوهاب الاصغر ، ليس له عقب وكان عقبه من باقى الثلاثة ، (1) الولى الصالح سيدنا عمر ابن عيسى بن عبد الوهاب دفين عند ضريح جده القطب مولانا عبد السلام ، (2) أخوه الولى الصالح سيدنا أحمد بن عيسى بن عبد الوهاب الاصغر دفين مقبرة أولاد بنخجو بقرية بوبيين بالقرب من شفشاون ، و (3) اخوهما الولى الصالح سيدنا ابراهيم بن عيسى بن عبد الوهاب الاصغر ، دفين بالقرب من أبيه وجده بقرية افرنو السفلى .

ترجمة سيدنا عمر بن عيسى المذكور

فهو الولى الصالح العلامة الصوفى العارف بالله تعالى صاحب أخى الانوار المحمدية العارف بالله ابى عبد الله محمد بن على الخروبى الطرابليسى أوفده الى المغرب كسفير سلطان الاتراك على بلاد لبيا والجزائر الى سلطان المغرب ابى عبد الله محمد الشيخ السعدى فى شأن الحدود بين المغرب والجزائر . قدم عليه بمراكش سنة 961 هجرية ، ثم رجع للجزائر وتوفى بها سنة 963 هجرية ودفن خارج الجزائر . وصاحب مولاى عبد الله الغزوانى المراكشى ، سيدنا عمر بن عيسى بن عبد الوهاب الاصغر

ابن محمد بن ابراهيم بن يوسف بن عبد الوهاب الاكبر بن عبد الكريم بن محمد بن الشيخ الجامع والغوث اللامع مولانا عبد السلام بن مشيش كان الله له . توفى سنة 1019 هجرية ودفن أمام قبر جده الاكبر مولانا عبد السلام . وعليه سور من الحجارة دون طين مطلى بالجير منذ عهد قديم . والى جانب قبره مغارة . وفوقها حجرة للآذان للصلوات الخمس . فى وقت المصيف . وقد صنع فى العهد القريب درج لصعود المؤذن عليها للاذان وتقام صلاة الجماعة بجانبها الايمن كما ان الساحة المواجهة لضريح الشيخ هى ماوى الطلبة حملة القرآن الكريم . وتقام بها حلقة واسعة لقراءة حزب القرآن بعد صلاة الصبح والمغرب من كل يوم ثم يقوم الطلبة الغير الشرفاء والشرفاء الذين ينتمون الى غير الشيخ مولانا عبد السلام . ويبقى حملة القران من أولاد الشيخ مولانا عبد السلام ياخذون الهدايا من الزوار . ويدعون الله لهم فى ان يستجيب لهم رغبتهم التى جاءوا من اجلها وهنا ياتى قوله صلى الله عليه وسلم انما الاعمال بالنيات . وانما لكل امرىء ما نوى الحديث . وكثيرا من الناس يقصدون ماوى الطلبة المذكورين ويقدمون لهم الهدايا تلو الهدايا للدعاء معهم ومع من يحبونهم من الاهل والجيران بأن يبلغ الله لهم حاجات أولئك المحبين ويستجيب للراغبين . ثم انك لا تسمع فى هذا المكان المعظم الا صوت القرآن ، وصوت الدعاء ، وكلمة آمين . وأما لو رأيت ختمات القرآن الكريم ، واهداء ثوابها الى روح الولى الصالح الشيخ مولانا عبد السلام ومن حوله من أهله وأحفاده . لتحققت أن أرواح : أولائك م ع الذين أنعم الله عليهم من النبيئين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا ذلك الفضل من الله وكفى بالله عليما » ولسيدى عمر المذكور مسجده الخاص لعبادة ربه على غرار ما كان عليه آباؤه وأجداده من الخلوة للعبادة والذكر وتلاوة القرآن بحومة ايوش بمدشر تزيه ، ولن يزال قائم البناء لمن يريد العبادة والخلوة فيه ، وقد بلغ هذا المقام أوجه فى تلاوة القرآن واهداء توابها للارواح المومنة بالله ، أيام كان شمال المغرب زاخرا بحملة ورش والقراءة السبعية وهناك تمنيت أن لو حضر كل محب لله ورأى بعينه وسمع بأذنه كلام الله يتلى بالقراءة السبعية لوجد نفسه فى غير هذا العالم المظلم الذى أوصلنا القدر اليه فذهب ذلك الزمان بخيره ورجاله ، وجاء زماننا بفضيحة العرض وقلة الحياء ، وجاءت الفتاة ولا أقول المسلمة لانها لم تمتثل أمر الله ، متبرجة تبرج الجاهلية كأنها ليست

فى أرض الاسلام مكشوفة عن عورتها المغلظة والمخففة ، وهى تجول بين الرجال فى غير حياء ولا حشمة لا من الله ولا من العباد . وكانت زينتها فى الاسلام الحياء ، وقد قال عليه الصلاة والسلام : الحياء حسن وهو فى النساء أحسن ، وقال : من لا حياء له لا ايمان له . فكيف جمعن بين محبـــة أولياء الله ومعصية الله . هذا ضلال مبين ، وامتثال لما أمر به الشيطان اللعين . وكان عليها وعلى أوليائها المسؤولين أمام الله عنها قبل أن تتوجه الى هذا المكان المحترم الذى يجتمع فيه أهل الله . والمحبون فى أولياء الله أن تغير من حالها وتطرح اللباس الذى فيه سخط الله عنها ثم تلبس لباس المسلمين الذى فيه رضى الله . لتكون متأدبة بآداب الاسلام . وان لا تجرح فى مثل هذا المقام عواطف المسلمين . ثم هى فى حاجة أن يستجيب الله دعاءها ، فالله لا يستجيب دعاءها حتى تتوب وترجع الى آداب الاسلام لانها فى مقام الرجل الذى ورد فى الحديث : ان الله طيب لا يقبل الا طيبا . وان الله أمر المومنين بما أمر به المرسلين الى أن قال : صلى الله عليه وسلم ثم ذكر الرجل يطيل السفر أشعث أغبر يمد يديه الى السماء يارب يارب ومطعمه حرام ومشربه حرام ، وملبسه حرام ، وغذى بالحرام فانى يستجاب له . أى فهو بعيد من الاستجابة لان من القواعد المقررة النساء والرجال شقائق فى الاحكام ، والوارد على سبب خاص معتبر عمومــه عنـــد الاكثـــر .

بيت سيدنـــا عمـــر بن عيسى المذكـــور

قد خلف الولى الصالح سيدنا عمر بن عيسى المذكور ولدين ذكرين وعقبه منهما ، وهما سيدنا « محمد » بن عمر دفين قرية ادياز ، واخـــوه سيدنا « أحمد » بن عمر بن عيسى دفين حومة النيارين زنقة سيدى احمد ابن عمر بمدينة تطوان ، وقبره مشهور متبرك به عند الخاص والعام ، وعليه بناية قديمة العهد ولا أثر لتعهدها واصلاحها ، وكل الهدايا التى تصله يأخذها أولاده وفى هذا الوقت وجدت به رجلا أجنبيا يقيم به ويأخذ فتوحاته ، وذلك من كثرة الاهمال من طرف أولاده .

بيت سيّدنـــا محمـــد بـــن عمـــر

قد خلف الولى الصالح سيدنا محمد بن عمر ثلاثة أولاد ذكور ، أما

أحدهم وهو علي فلا عقب له ، وعقبه من اثنين ، هما سيدي محمد رقم (1) وسيدي أحمد رقم (1) فسيدي محمد صاحب الترجمة هو ابن عمر دفين قرية ادياز . وأما محمد رقم (1) فهو سيدي محمد بن محمد بن عمر ، وسيدي احمد الرقم الاول هو سيدي أحمد بن محمد بن عمر .

بيت سيـــدي محمـــد رقم (1)

قد خلف الولي الصالح سيدي محمد بن محمد بن عمر ثلاثة أولاد ذكور وعقبه الموجود الى الآن من اثنين منهما . وأما الثالث فقد انقرض عقبه . فالاثنان الباقي عقبهما هما : سيدي أحمد بن محمد بن محمد مكرر . ابن عمر ، وأخوه سيدي عبد السلام بن محمد بن محمد مكرر أيضا . بن عمر .

بيت سيدي أحمـــد رقم (1)

قد خلف سيدي احمد بن محمد بن عمر ولدين ذكرين ، وعقبه منهما . وهما : سيدي التهامي رقم (7) وسيدي الطاهر رقم (8) فالاول هو سيدي التهامي بن أحمد بن محمد بن عمر . وأخوه سيدي الطاهر . هو سيـــدي الطاهر بن أحمد بن محمد بن عمر وياتي للمؤلف انـــه خلف ستـــة أولاد مـــن صلبـــه .

بيت سيدي التهامـــي رقم (7)

قد خلف سيدي التهامي بن أحمد بن محمد بن عمر . ثلاثـــة أولاد ذكور ، هم سيدي محمد وسيدي عبد السلام ، وسيدي المهدي . ومستقرهم بتطوان بعد القرن الحادي عشر الى الآن ، 1392 هجرية .

بيت سيدي الطاهر رقم (8)

قد خلف سيدي الطاهر بن أحمد بن محمد بن عمر ثلاثة أولاد ذكور ، وعقبه منهم ، وهم : سيدي عبد السلام ، وسيدي محمد الاكبر ، وسيدي محمد الاصغر ، ومستقر هؤلاء قرية افرنو الاسفل . وأما ابناء أعقاب هؤلاء فقد تشعبت فروعهم ولا يمكن ضبطهم الا عن طريق عقود أصدقاء نسائهم على يد نقيب خبير بأنسابهم وتتبع محلات سكناهم ، ولذلك سنذكرهم على الطريقة التي اتبعها النسابون في تدوين أنسابهم قال المؤلف : وأما أولاد سيدي عبد السلام أخي سيدي أحمد المذكور فهم أولاد سيدي علي بن عبد

السلام من ولديه **السيد ادريس والسيد الهاشمى** . وله ثلاثة أولاد ذكور ، هم : السيد على ، واخوه السيد محمد ، وأخوهما السيد ادريس أبناء الهاشمى ، فالاول وهو على مسكنه بقرية افرنوا السفلى . والثانى وهو محمد فمسكنه بقرية أولاد الفقية الحسانية . والثالث وهو ادريس غاب فى ناحية الشرق غيبة انقطاع . وأما السيد محمد بن السيد ادريس بن السيد على بن السيد عبد السلام . والسيد الهاشمى بن الطاهر بن السيد عبد السلام . وولدا اخى السيد على بن عبد السلام . وهما : السيدان على ، والسيد الهاشمى بن عمر بن عبد السلام فمستقرهم افرنوا السفلى . وأما ولدا أخيهما السيد محمد . فهما السيد الهاشمى والسيد عمر ، ومستقرهما قرية أفرنوا السفلى . وانتقل عنهما أخوهما الى مدينة شفشاون . وهما : السيد محمد والسيد عبد السلام . قاله المؤلف ابن الصادق رحمه الله فى زمانه 1191 هجرية . وخلف سيدى أحمد بن محمد بن عمر المذكور ستة أولاد ذكور من صلبه ، هم : السيد محمد الاكبر . والسيد محمد الحاج . والسيد احمد والسيد عبد الوهاب ، والسيد ادريس . والسيد عمر . فأحفاد السيد محمد الاكبر هم : السيد عبد السلام والسيد على . والسيد التهامى بنو عمر بن محمد الاكبر وأما ولدا السيد على المذكور فهما : السيد ادريس والسيد محمد ، وأما ولد السيد التهامى فهو السيد محمد ، ولهم أولاد صغار من غير تأهل وكلهم بمدشر ميسرة العروسية ، ولا بد من البحث عما بقى بها من أعقابهم لانها قرية لها موقع ممتاز فى قبيلة بنى عروس من الناحية الاقتصادية .

وأما أولاد السيد ادريس أخى السيد الهاشمى المذكور ، قبل بمحوله فوق السطر ، فهم السيد محمد بن الخضر بن ادريس ، وأبناء عمه السيد محمد والسيد ادريس ولد الحاج محمد بن محمد بن ادريس ، ومقرهم أفرنوا السفلى ، وأما أولاد السيد بن عمر فهم ثلاثة فرق ، وهم الفقيه السيد محمد بن على ، بن عمر ، وولدا عمه السيد عبد السلام بن عمر ، وهما السيد محمد واخوه السيد احمد ابنا السيد عبد السلام بن عمر ، فأولاد السيد محمد هم : السيد ادريس ، والسيد عبد السلام والسيد العربى ، وأما أخوه السيد أحمد فله ولد واحد اسمه السيد الطاهر ، ومقر الفقيه السيد محمد بن على بن عمر المتقدم فهو قرية افرنوا السفلى ، ومقر

السيد محمد بن علي بن عبد السلام بن عمر فهو قرية ميزن ولن تـزال أعقابهم بها الى الآن . أو انتقلوا لمدينة تطوان . أو بشفشاون ؛ وله بهـا ولدان هما : السيد محمد والسيد الطاهر . وله ولد ثالث اسمه ادريس بتي بقبيلة بني عروس . في قرية مجازليين . وله ولد رابع أيضا . اسمه العربي مقره مع ابيه بقرية ميزن . وأما السيد محمد الحاج وأخوه السيد عبد الوهاب فلم يعقبا ؛ اهـ .

بيـت سيدي محمـد بـن عمـر

ومن أبناء سيدي محمد بن عمر العائلات المتنقلة من قرية اغرنوا الاسفل الى قبيلة الغربية . وعنهم نقلت سلسلة نسبهم . وهـم : أولاد ابن الهاشمي سكان قرية دشر جديد وتبتدىء سلسلة نسبهم من الشريف سيدي عبد الله بن احمد بن محمد بن الهاشمي بن علي بن الهاشمي بن علي بن عبد السلام بن محمد بن محمد مكرر بن عمر بن عيسى بن عبد الوهاب الاصغر . وباقي النسب معروف مما سبق . وأبناء عمهم أولاد ابن الهاشمي مدشر جلاولة . وهم أولاد السيد الهاشمي بن الصادق بن محمد ابن الهاشمي بن أحمد بن علي بن عمر بن عبد السلام بن محمد بن محمد المكرر بن عمر المذكور . وأولاد عمهم المعروفون بأولاد القاضي . فهم عائلة دار السطيطو ؛ وهم السيد محمد وأخوه السيد عبد السلام ابنا السيـد أحمد بن محمد بن محمد المكنى السطيطو بن أحمد المدعو القاضي ؛ بـن الطاهر بن محمد بن محمد القاضي أيضا زمن مولاي سليمان 1204 بـن الطاهر بن أحمد بن محمد بن محمد المكرر بن عمر المذكور بن عيسى بن عبد الوهـاب الاصغـر .

وأبناء عمهم المعروفون بأولاد سيدي الطاهر ؛ وهم أولاد السيد محمد بن محمد الكبير بن أحمد المدعو القاضي بن الطاهر بن محمد بن محمد ابن الطاهر بن أحمد بن أحمد بن محمد المكرر بن عمر المذكور بن عيسى بن عبد الوهاب الاصغر . وابناء عمهم اولاد سيدي المختار ؛ وهم اولاد السيد أحمد واخيه السيد عبد الصمد ابنا السيد المختار بن السيد أحمد المدعو القاضي بن الطاهر بن محمد بن محمد بن الطاهر بن أحمد بن محمد بن محمد المكرر بن عمر المذكور ؛ بن عيسى بن عبد الوهاب الاصغر . وأبناء عمهم

أولاد بن الشيخ ، فهم أولاد السيد عبد السلام بن محمد بن عبد السلام المدعو سلام بن الطاهر بن محمد بن محمد بن الطاهر بن أحمد بن محمد ابن محمد المكرر بن عمر المذكور بن عيسى بن عبد الوهاب الاصغر . وأبناء عميم أولاد ابن صالح ، فهم أولاد السيد أحمد بن صالح بن محمد بن الطاهر بن محمد بن محمد بن الطاهر بن أحمد بن محمد بن محمد المكرر ابن عمر بن عيسى بن عبد الوهاب الاصغر ولهم دار بتطوان ، وبها سكناهم بزنقة الوطيا .

بيت عم المكى بن عبد الوهاب بتطوان

خلف السيد المكى المذكور ولدين هما السيد محمد والسيد أحمد وخلف السيد محمد ثلاثة أولاد هم محمد وأحمد ومصطفى وخلف أخوه السيد أحمد أربعة أولاد هم المكى وعبد السلام ، والحسن والحسين وكانا توامين . وخلف السيد محمد بن محمد المذكور أربعة ذكور هم عزة والحسين وجعفر وعبد الالاه ، وكلهم عزاب ، وسكناهم بهذا التاريخ 1396 هجرية بعمارة الحبس الكبيرة خارج باب العقلة .

وأما أخوه السيد أحمد فانه خلف ذكرين هما المهدى ، وجهاد وسكناهم بحومة النيارين بالقرب من جامع المصمدى فى دار واحدة فى درب صغير ، وأما السيد مصطفى المحترف مهنة العدالة بتطوان فلم يخلف أحدا ، وكذلك السيد المكى بن أحمد فلم يخلف ذكرا وله بنات وأما شقيقه السيد عبد السلام فقد خلف ولدا واحدا اسمه جعفر ولن يزال أعزب ، وأما السيد الحسين بالتصغير فانه مات أعزب .

وأما الفقيه العلامة القاضى السيد الحسن الذى يملى على هذه المعلومات عن بيتهم المكرم فله ثلاثة ذكور ، هم جمال الدين وصلاح الدين ولسان الدين وكلهم أشقاء ، والمتأهل منهم اثنان : لسان الدين وله ولد اسمه عامر وأما جمال الدين فحديث عهد بالتأهل وصلاح الدين لن يزال أعزب . وأما عمود نسبهم فانه يبتدىء من السيد لسان الدين بن الحسن المذكور بن أحمد بن المكى بن المهدى بن أحمد بن عبد السلام بن عمر بن أحمد ابن محمد بن محمد مكرر بن عمر بن عيسى بن عبد الوهاب الاصغر وباقى النسب معلوم .

بيت الولى الصالح سيــدى أحمـــد بن عمـــر

فهو سيدنا أحمد بن عمر بن عيسى بن عبد الوهاب الاصغر ، دفين حومة النيارين بتطوان ؛ والغالب من ذريته انه آت عن طريق ابنه السيد محمد بن احمد بن عمر وقال العلامة : السيد محمد التهامى بن رحمون ، كان السيد أحمد بن عمر المذكور نقيبا للاشراف العلميين بتاريخ 983 هجرية أيام السلطان عبد الملك السعدى صاحب معركة وادى المخـــازن ، مـــع البرتغاليين ، وكان له من الاولاد عشرة ، هم : محمد الاول ومحمد الثانى واحمد الاول ، وأحمد الثانى ، وعمر ، وعيسى ، وعبد الله ، وعبد الرحمن ، وعبد السلام ، وعبد القادر ؛ اهـ . من مرآة المحاسن وهذه هى الذرية الآتية من نسل ابنه محمد الاكبر ، وعبد القادر هذا كان نقيبا للاشراف العلميين فى وقته . وكذلك حفيده كان نقيبا لهم أيضا وهو مولاى احمد بن محمد بن عمر بن عبد القادر بن أحمد الولى الصالح العالم بن العلامـــة الولى الصالح سيدنا عمر بن عيسى بن عبد الوهاب نقله العلامة ابن رحمون.

أولاد اللهيـــوى (1)

ومن أولاد السيد محمد بن الولى الصالح سيدنا أحمد بن عمر صاحب الترجمة ـــ أولاد اللهيوى العائلة التى ينتسب اليها مؤلف هذا الكتاب بقرية افرنوا السفلى وهم نسب مرفوع الى النبى صلى الله عليه وسلم حسبما ستقف عليه رفعا رسميا عن طريق عقد نكاحه ، وهو مسجل بدفتر الانكحة بتطوان رقم 36 صحيفة 88 رقم 43 بتاريخ 1374 هجرية موافق 27 غشت سنة 1954 ميلادية ونصه بعد خطبته : أما بعد : فهذا الذكر الذى نطقت به عن اقوى المحابر السنية الاقلام ، وتذفت بدرره النفيسة بحور الكلام ، فان النكاح سنة مشروعة ، وأحكام على وفق اتصال الاسبـــاب وحفظ الانساب مطبوعة ، وعصمة للدين وسبب للتعاطف بين الاقربين والابعدين فمن أخذ بها فقد استوثق نصف الدين ، واستوفى بالاحصان وجوه التحصين ووضع أمانة الاسرة فى يد القوى المعين ، ولما علم الفقيه الاجل الشريف المثيل الافضل العالم المبجل سيدى الطاهر بن عبد السلام بن عبد الوهاب ابن الطاهر بن الهاشمى بن محمد بن محمد مكرر بن أحمد بن عمر بن عيسى ابـــن عبد الوهــــاب الاصغــر بـــن محمـــد بـــن ابراهيــــم

ابـــن يوســـــف بـــن عبد الوهـــــاب الاكبـــــر بـــن عبد الكريـــــم ابن محمد بن القطب الجامع والغوث اللامع « مولانا عبد السلام » بـــن مشيش بن أبى أبى بكر بن على بن حرمة بن عيسى بن سلام بن مزوار بن على المدعو حيدرة بن محمد بن أدريس الازهر بن ادريس الانوار بن عبـــد الله الكامل بن الحسن المثنى ابن الحسن السبط بن باب مدينة العلم صهر رسول الله سيدنا الامام على بن أبى طالب وسيدتنا ومولاتنا فاطمة الزهراء البتول بنت سيدنا ومولانا رسول الله صلى الله عليه وسلم وشرف وكرم ، ومجد وعظم ، أنجح الله مقاصده ، ويسر للصالحات رغائبه ومصادره وموارده ، ما فى النكاح من محسنة هى من تمام الدين وكماله ، وشرط لازم فى أعمال التقى وأفعاله ، أراد لطهارة أثوابه ومحاسن شيمه اللدنية وأسبابه التحصن بالنكاح الذى رغب فيه الله تعالى فى كتابه ، وندب صلى صلى الله عليه وسلم الى اقتنائه واكتسابه فخطب من الشريف الوجيـــه الاثيل الاصيل الفاضل الاسعد سيدى عبد الله بن عبد السلام بن محمد الصيد كريمته المصونة ودرته النفيســة الثمينة السيدة رحمة خطبة قابلها بالقبول والاقبال ، وتلقى دواعيها بالاحسان والافضال ، وعلم انه الكفؤ الذى يغبط بمثله أحسن اغتباط ، وشرح صدر الانبساط ، وانعقد النكاح على الزوجة المذكورة لزوجها المذكور وأمضاه ، على وفـــاق الشرع ومقتضاه ، والدها المذكور بما جعل الله للآباء فى أمر بناتهن الابكار ، اذ هى بكر فى حجر المولى عليها من الرفق فى كل ايراد واصدار ، بأتم ما يدليــــه كافـــل مكفولا ، وهى خال من كل ما يمنع عقد النكاح عليها مستوفاة الشروط التى توطن لها أصولا ، وتؤكد لها فصولا ، بالغ فى سنها حل للتزويج شرعا وعلى أكمل الاحوال التى تعتبر فى صحة العقد وترعى ، انعقادا صحيحا أضحى له التوفيق زائرا ، والبشر المتكفل بتوالى السعود ودوامها مصباحا مساعدا، على حكمى كتاب الله الذى عز شأنه وعلا سلطانه ، وعلى سنة رسول الله التى باتباعها يزكو للمربى ايمانه وعلى صداق مبارك سوغت الشريعة مبذوله ، وربطت بالتحليل وصحة العد مقبوله ، قدره اربعمائة ريـــال سكة اسبانية ، دفع الزوج المذكور الى يد والد الزوجة المذكورة من الصداق المذكور ، ثلاثمائة ريال * حازها حوزا تاما اعترافا ، وأبراه منها فبرىء ، والباقى ومقداره مائة ريال ، يؤديها بحكم الحلول الذى لا يبرئه الا الواجب على أن تكون هذه البضعة لدى زوجها من الكرامة وحسن المعاشرة والمراقبة

امتثالا لما أمر الله به في حق الزوجات من امساك بمعروف أو تسريح باحسان في نص القرآن واتباعا لقول مولانا رسول الله صلى الله عليه وسلم استوصوا بالنساء خيرا فانهن عندكم عوان . والله تعالى يبارك لهما وعليهما بأعز ما توجيه عنايته الكاملة وتقتضيه . ويجمعهما على أفضل ما يحمده كل من صاحبه ويرتضيه . ويسعدهما ويحفظهما بمنه ويجعل السعد والاقبال موافقيهما آمين .

عرف المتعاقد ان قدره شهد على اشهادهما بالمذكور فيه عنهما وهما بأتمه وعرفهما في سابع وعشرين حجة الحرام عام ثالث وسبعين وثلاثمائة وألف موافق 27 غشت سنة 1954 عبد ربه احمد بن ادريس الحسني العلمي وعبد ربه التهامي المؤذن الحسني العلمي ، نص الاداء الحمد لله اديا فقبلا واعلم به خلافة عبد ربه محمد بن محمد العثماني كان الله له . قال العلامة ابن الصادق : في ديوانه فتح العليم الخبير . فأما أولاد اللهيوى فيهم السيد محمد بن أحمد اللهيوى وأخوه السيد ادريس بن السيد أحمد بن عمر صاحب الترجمة . وابن عمهما السيد عبد الوهاب بن عبد السلام بن عمر المذكور ، وابن أخيه السيد محمد بن المهدى بن عبد السلام المذكور . وابن عمهم السيد محمد بن عمر بن عمر المذكور ، وابن عمهم السيد الهاشمي ابن محمد بن أحمد بن عمر المذكور بتطوان ، وابن أخيه السيد أحمد بن محمد بمدشر تفروت اليدرية بضم الراء ، وأبناء عمهم محمد بن محمد بالضم بأولاد كنون اليدرية ، وله بداره صبي يدعى انه ولده . وهو قد وجده ملقى فالتقطه ورباه وسماه المهدى — مات اللقيط ولم يعقب — والسيد الطاهر وولده التهامي بقرية افرنوا السفلى وأخوه السيد عبد السلام انتقل الى قرية اشتريش من قبيلة بني يدر ، والسيد الهاشمي بالخروب الحبيبى ، وولده السيد محمد وأخوه السيد أحمد بقرية افرنوا السفلى ، وقد كان ابن عمهم السيد أحمد بن الحسن بمدشر تلفتة اليدرية ، وولده السيد محمد بقرية افرنوا السفلى .

احصاء أولاد اللهيوى الاصيليين

وهم على ثلاث فرق اهل قرية افرنو السفلى وتمزجيدة أبناء رجل واحد وهو السيد عبد الوهاب بن الطاهر ، وأبناء عمهم دار سى ابن أحمد

المنتقلون لزاوية الشيخ التليدى من قبيلة الاخماس لاسباب قاهرة أدت الى انتقالهم أوائل القرن الرابع عشر . ولا زالت اصولهم وديارهم تنسب اليهم بالمدشر المذكور ؛ وأهل قرية بومزود من قبيلة جبل حبيب ؛ فأهل قريـة اغرنو السفلى وتمزجيدة اليوم هم أبناء الشيخ المسن السيد عبد الوهـاب ابن الطاهر اللهيوى المتوفى سنة 1349 هجرية عن سن يناهز المائة سنة . وخلف اربعة رجال . هم : السيد محمد والسيد أحمد والسيد الطاهر والسيد عبد السلام . أما السيد محمد فقد انقرض نسله ؛ وأما السيد أحمد فقد خلف ولدا واحدا اسمه السيد عبد الله . وخلف السيد عبد الله ثلاثة أولاد ذكور . هم : السيد محمد . والسيد عبد السلام والسيد عيسى ؛ ولهم أولاد ذكور فأما أولاد السيد محمد بن عبد الله بن أحمد بن عبد الوهاب المذكور ؛ فهم خمسة رجال . هم : السيد المختار والسيد محمد . والسيد أحمد والسيد عبد الواحد والسيد عبد السلام . وأما أخوه السيد عبد السلام بن عبد الله ابن احمد بن عبد الوهاب المذكور . فله أربعة أولاد ذكور هم محمد والبشير وعبد الواحد وأحمد . وأما السيد عيسى فله ولد واحد اسمه أحمد ؛ وأما ابناء عمهم السيد الطاهر فهم من ابنه السيد عبد السلام وأما أخوه السيد محمد فلم يعقب . وعقب السيد عبد السلام بن الطاهر بن عبد الوهاب المذكور . ثلاثة رجال هم السيد محمد والسيد الطاهر والسيد أحمد ؛ وقد انتقلوا بعد موت أبيهم واستوطنوا بوخلف وعين الزياتن من أحواز طنجة مع اخوالهم الشرفاء التايديين . وهم اربعة رجال ؛ عبد السلام وأحمد وعلى وعيسى والرابع هو أب مؤلف الكتاب السيد عبد السلام بن عبد الوهـاب المذكور المتوفى سنة 1385 هجرية عن سن يناهز التسعين سنة ؛ قد خلف خمسة أولاد ذكور ؛ هم : السيد محمد والسيد احمد والسيد الطاهر والسيد المختار والسيد الحسن ؛ ولكل واحد منهم أولاد ذكور ؛ فأما السيد محمد فله ولدان ذكران هما السيد الامين وعبد العزيز ؛ وللامين ولد اسمه نور الدين ؛ ولعبد العزيز ولد اسمه رضوان ؛ واما اخوه السيد احمد فله ولد واحد ذكر اسمه عبد السلام ؛ واما اخوهما السيد الطاهر فله خمسة أولاد ذكور ؛ هم : السيد احمد عصام ؛ والسيد محمد عاصم ؛ والسيد عبد السلام سعيد والسيد عبد الكريم اسماعيل ؛ والسيد جعفر ؛ وهم يسكنون بتطوان بحومة مولاى الحسن من سانية الرمل ؛ وأما السيد المختار بن عبد السلام اخوهم فله من الاولاد الذكور خمسة هم : السيد محمد والسيد أحمد والسيد

عبد السلام والسيد عبد الهادى والسيد ادريس . وهم مع عمهم احمد يسكنون بحومة تمزجيدة . واما السيد الحسن بن عبد السلام ، فله من الاولاد الذكور خمسة . هم : السيد المصطفى والسيد عبد الخالق ، والسيد الامين ، والسيد الحسن والسيد السعيد . وهم يسكنون بقرية الخميس الجديدة . واما أهل الاخماس المعروفون باهل دار سى ابن احمد . فهم : السيد الحسن ابن عبد السلام بن الفقيه محمد المنتقل بن أحمد بن عبد السلام اللهيوى وله من الاولاد الذكور أربعة هم : السيد محمد . وله والدان السيد محمد والسيد المصطفى . والسيد عبد السلام الاكبر وهو يقيم بطنجة مع أمه المطلقة بنت الشاهد الثيبى بحومة الدار البيضاء تجاه المدارس الثانوية ، وعبد السلام الاصغر . وشقيقه السيد الحسن . ولن يزالا فى كفالة أبويهما بزاوية الاخماس . واما أولاد عمه السيد محمد فقد بقى منهم ولد واحد اسمه السيد المفضل بن عبد السلام بن محمد . بن الفقيه محمد اللهيوى المنتقل المدعو سى ابن أحمد . واما أبناء عمهم المعروفون بأولاد العلمى المنتقل من قرية أبو جبل الى زاوية الاخماس . وأخوه السيد محمد المنتقل الى مدشر عين احبار من قبيلة بنى عروس . وبها عقبه . واما أولاد السيد العلمى اسما ونسبا . فهم السيد أحمد وأخوه السيد العياشى . وللسيد أحمد أربعة اولاد ذكور ، هم : السيد محمد والسيد أحمد ، والسيد المصطفى والسيد الحسن ، وأما ولدا اخيه السيد العياشى فهما السيد محمد واخوه السيد احمد ، وهؤلاء عدة أولاد اللهيوى الموجودين بقبيلة الاخماس ، واما السيد محمد أخو السيد العلم المستوطن بقرية عين احبار ، فله ولدان السيد محمد والسيد الحسن ، فأما محمد فقد توفى وخلف ولدا واحدا اسمه السيد الحسن وقد استوطن مدشر بولقمة ، واما عمه السيد الحسن فهو لا يزال بقرية عين احبار ، وله أولاد لم تبلغنى أسماؤهم لصغرهم ، وتلقيت هذه المعلومات عنهم عن اكبرهم سنا السيد الحسن المذكور اولا . واما أهل مدشر بومزود فقد اتصلت بأكبرهم سنا السيد الطيب بن السيد العلم اللهيوى بتاريخ 24 جمادى الاولى سنة 1393 هجرية موافق 26 يونيه سنة 1973 ميلادية بسوق ثلاثاء جبل حبيب وقد افادنى بأنه يتجاوز 90 سنة ، وبعد ما سألته استدعى ابن اخيه السيد عبد السلام ، وكان لديه اكبر شرفاء أولاد افيلال من مدشر الجبيلة الحبيبى المكنى السيد عبد السلام

ولد طريقة ، وسنه يقرب من الاول ، فأجابني بأنه لم يدرك في مدشر بومزود الا دارين احداهما لابيه السيد العلم اللهيوى والاخرى لعمه السيد الطاهر اللهيوى ، وقد خلف أبوه السيد العلم 4 ذكورة ، هم السيد محمد ، والسيد أحمد ، والسيد الطيب والسيد المفضل . ولكل واحد من الاخوة الثلاثة عقب الا السيد المفضل فلا عقب له . فاما السيد محمد فقد خلف ولدين . وهما السيد عبد السلام ، وشقيقه السيد الامين ، أما السيد عبد السلام فـلا عقب له ، وأما أخوه السيد الامين فله ولدان ذكران وهما السيد محمد والسيد المصطفى ، وأما السيد الطيب الحاضر المجيب ، فله أربعة أولاد ، هم السيد محمد والسيد العلم ، والسيد المصطفى ، والسيد عبد السلام ، وللسيد محمد ولدان هما السيد عبد الواحد ، والسيد عبد السلام ، وللسيد العلم ولدان هما السيد محمد والسيد عبد السلام والاخران أعزبان وأمـا السيد احمد بن العلم فقد خلف اربعة أولاد ، هم السيد محمد والسيد عبد السلام ، والسيد المختار والسيد علال ، وللسيد عبد السلام ولدان بطنجة هما السيد محمد والسيد السعيد ، وباقي الاخوة عزاب . وأما السيد الطاهر اخو العلم المذكور فقد خلف ولدين هما السيد أحمد والسيد الطاهر ، وللسيد أحمد ولد واحد اسمه المختار ويسكن بتطوان حرفته حلاق بزنقة المقدم ، ولاخيه السيد الطاهر ولدان هما : السيد محمد ، والسيد عبـد السلام . انتهى احصاء أولاد اللهيوى الذين لا شبهة فيهم ، وقد سألته عن اخواله المدعويين بأولاد المامون وأولاد المكى الحاملين لاسم اللهيوى الساكنين بقرية افرنو السفلى النازحين اليها أوائل القرن 14 فأجابني غير أنه يعرف عنهم انهم كانوا سبع اخوة خرجوا من مدشر تنوعة الحبيبية ، منهم مـن استوطن القرية المذكورة بأفرنو السفلى ، ومنهم من استوطن قرية بني مرقي من قبيلة آل سريف ومنهم من استوطن غير ذلك ، والذين لهم عقب منهم بقرية افرنو السفلى هما دار المكى ودار المامون ، وقد سمعت سماعا فاشيا من اهل قريتنا من نساء ورجال وخصوصا أهل السن منهم انهم لا نسب لهم وان حملوا اسم اللهيوى ، ولربما وصل اليهم عن طريق امرأة شريفة من عائلة اللهيوى فدعى أولادها بهذا الاسم ، وهذه طريقة مسلوكة لولوج النسب لمن ليس من اهله ، وقد كان جدنا المسن السيد عبد الوهاب ينفيهم من النسب وهو أعلم بهم لانه كان يسكن بمدشر بومزود من قبيلـة

جبل حبيب فى أول عهده ؛ ثم رجع الى مسقط راس الآباء والاجداد بحومة تمزجيدة الى ان توفى بها ، ولم يذكر العلامة بن الصادق رحمه الله اى دار للشرفاء أولاد اللهيوى بمدشر تنوعة الحبيبية ونظرا للغمـوض والطعـن الحاصل فيهم أخرجتهم من بين صفوف العائلة اللهيوية ولم اعد احدا مـن عقبهم فيها ؛ وقد طلبتهم بعمود نسبهم فلم يدلو بحجة فى الموضوع وقد ازددت ارتيابا فى دعوتهم ، ولم اجد ما يطمئن اليه البال ، والله أعلم بحالهم .

أولاد أيـو العاميين (2)

ومن أبناء سيدى أحمد بن عمر صاحب الترجمة أولاد أيو ومركزهم الاصلى قرية تزية وهم السيد محمد بن أحمد بن الهاشمى بن محمد بالضم ابن أحمد بن عمر المذكور ، وهو بقرية تزية مع بنيه السيد الهاشمى ، والسيد الطاهر والسيد عمر ، والسيد عبد السلام ذهب الى بنى منصور ، وابن عمهم السيد محمد بن الفقيه السيد محمد بالضم ، وأولاد عمهم السيد عبد السلام ، وهم السيد الطيب ؛ والسيد الطاهر ، والسيد عبد الوهاب ، وولد السيد الطيب السيد العربى ، وكلهم بقرية تزية ، وولد أخيهم السيد المفضل بن محمد بقرية اكرسان من قبيلة سمانة ؛ وابن أخيهم أيضا السيد الحاج محمد بن أحمد بن عبد السلام المذكور بقرية تزية ؛ وأبناء عم السيد محمد بن احمد المذكور . الادنون اربعة رجال ؛ هم : السيد العربى والسيد احمد والسيد الطاهر والسيد التهامى ؛ وكلهم بقرية تزية ؛ وأخوهم السيد ابن الهاشمى مع ولديه السيد محمد والسيد عبد السلام ؛ بمدشر بنى راشن الحزمرية ؛ وولد عم الجميع السيد محمد بن عبد الله بن الهاشمى المذكور بمدشر الملاح الجرفطى ؛ وولده السيد محمد بمدشر غنبيش منها أيضا ؛ والسيد محمد بن محمد بالضم بقرية تزية .

أولاد الفاسى (3) العلميون

من أولاد سيدى احمد بن عمر المذكور اولاد الفاسى بمدينة شفشاون وهم : السيد المفضل بن العربى ؛ واخوه السيد العلم بقرية غيروزيم الخمسية واخوهما السيد احمد ؛ وابن عمهم السيد محمد بشفشاون ؛ وكلهم من نسل السيد احمد لقب الفاسى .

أولاد بـــن عبد الوهـــاب العمـــريـــون (4)

ومن أولاد سيدى احمد بن عمر صاحب الترجمة ؛ أولاد ابن عبد الوهاب العمريون ، قيدتهم بهذا لوجود غيرهم من أبناء عمهم الذين اشتركوا معهم فى الوهابية ، ولانهم اشتهروا بهذا النسب قديما ، وقد بقى لهم الى الآن ؛ وهم أهل قرية الحارش وتجزرت ودار الحيط ، فأهل قرية الحارش هم : السيد احمد بن أحمد بن عمر مع ولده السيد عبد السلام ، وابن اخيه السيد الحاج محمد بن عبد السلام بن أحمد ، وأولاد عمه السيد محمد بن عمر المذكور ، وولدا عمهم السيد محمد والسيد عبد السلام ، وولد السيد على بن عمر المذكور ، وكلهم بالحارش ، وتفصيلهم الآن يتلخص فى اربعة ديار ، هم : سكان الحومة الفوقية ، فأولهم دار عم على ، ومنهم المعروف اليوم بالسيد العلم سعودة ، وابن عمه السيد محمد المعروف بولد سلامة ، ابن عبد السلام بن محمد بن عبد السلام المدعو الطويل ؛ ومنهم السيد العلم بن عبد السلام المدعو ولد الحليمية ، بن على ، وثانيا دار بن احمد ، ومنهم السيد محمد بن محمد ، واخوه المرابط ، واما السيد احمد بن على المدعو القليز ، فهو من دار عم على المتقدم وكذلك ابن عمه السيد على بن على واخوه السيد الطيب بن على ، وثالثا دار البشير ، ومنهم السيد الحسين المدعو ولد شقافة بن على بن البشير ، وولد أخيه السيد أحمد بن عبد السلام ، وكذلك ولد اخيه السيد المختار بن عبد السلام ، ومن ابناء عمه السيد عبد السلام بن محمد بن الحاج محمد . ومنهم السيد محمد ابن الصادق المدعو ولد الحرشية المقيم بطنجة بالقرب من جامع السوانى ، الحامل لنيابة النقيب ، وله من الاولاد الذكور ، السيد احمد وهو اكبرهم والسيد الفاضل ، والسيد المختار ، والسيد محمد البشير ، والسيد عبد السلام ، ولا زالوا فى كفالة ابيهم ، ومن ابناء عمه العلم اهل السكان أبناء المرحوم السيد عبد السلام ، ومن أولاده الذكور السيد محمد وهو بمدينة العرائش ونور الدين ، وادريس ، ولمحمد عبد الحق ، وعبد العزيز ، ومحمد ، وعبد المالك ، وعبد الحفيظ وانتقلوا من قرية السكان ، واخوان السيد المرحوم أبو السيد محمد الذى بالعرائش ايضا هم السيد الحسين وهو بمدشر السكان ، واخوهم السيد احمد المجذوب وهو بمدشر السكان ايضا وابناء عمه عبد السلام الساكن بقرية طردان ومنهم السيد أحمد بن عبد

السلام بن عبد السلام المكرر ، واخوه السيد محمد ، والبشير والحسن وعبد العلي وعبد السلام ولهم أبناء عمهم بناحية فاس ، واما اخوهم احمد فانه ترك السيد عيسى ولم يعقب ومن أبناء السيد الصادق بن البشير المذكور السيد عبد السلام وهو أخ السيد محمد النقيب المذكور ، وله ابن اسمه الصادق . وقد خلف محمدا والحسين . واما اخوه احمد فقد ترك محمدا واخوهما العلمى ترك عبد العزيز وعبد السلام ، والمصطفى . ومحمد وسعيد والبشير ، وادريس ، وكلهم خرجوا من قبيلة بنى عروس بتاريخ 1954 ميلادية 1373 هجرية واستوطنوا مدينة طنجة وكلهم أولاد السيد أحمد بن البشير ، وهذا عمود نسبهم ويبتدىء من السيد محمد الحامل لنيابة النقيب . وهو محمد بن الصادق المكنى ولد الحرشية بن أحمد بن محمد بن البشير بن محمد بن أحمد بن الخضر بن أحمد بن أحمد بن عمر بن عيسى بن أحمد بن عمر بن عيسى بن عبد الوهاب الاصغر .

وأبناء عمهم اهل تجزرت فهم أبناء ثلاثة رجال ، أولاد الطاهر ، وأولاد الخضر وأولاد الهاشمى . فأما أولاد السيد الطاهر فهم السيد محمد والسيد الوافى والسيد على ، والسيد الطيب ، والسيد الهاشمى ، بنو السيد أحمد ابن الطاهر المذكور ، وعمهم السيد الذهبى ، واخوه السيد عبد المالك . وولد السيد الطاهر وولد اخيهما السيد احمد الخضر ، وهما السيد محمد والسيد الشاهد ، وولد اخيهما أيضا السيد المهدى بن الحسنى بضم الحاء ، وكلهـم بقريـة تجـزرت .

واما أولاد الخضر فهم السيد العربى بن أحمد بن الخضر المذكور ، واولاد التهامى والراضى ، والمصطفى ، واولاد اخويه السيد الهاشمى ، والسيد احمد ولدا السيد ابى البركات بن احمد بن الخضر المذكور ، والسيد البشير بن محمد بن احمد بن الخضر المذكور ، وكلهم بقرية تجزرت ، وامـا اولاد الهاشمى ، فهم البركة الولى الصالح السيد عبد السلام ، والسيد عبد الكريم ، وأولاد اخيهما السيد ادريس وهم السيد المواهب ، والسيد محمد ، والسيد احمد ، والسيد ادريس ، وابناء اخيهم ايضا السيد عمر بن الهاشمى المذكور ، وهما السيد المفضل ، والسيد عبد السلام وكلهم بقرية تجزرت ، وكلهم اهل النسب المرفوع الى النبى صلى الله عليه وسلم وهذا عمـود نسبهم توصلت به املاء عن الفقيه الاستاذ الشريف السيد الامين بن السيد

أحمد بن السيد محمد بن الحسن بن الطاهر بن محمد بن عبد السلام بن الهاشمى بن احمد بن عمر بن عيسى بن أحمد بن عمر بن عيسى بن عبد الوهاب الاصغر . الجد الجامع للوهابيين وابناء عمهم أهل دار الحيط ويدعون اولاد ابن عمر ؛ وهم أولاد العلامة السيد الطاهر بن محمد بالضم ؛ وولدا اخيه السيد أحمد والسيد عيسى ؛ وولد عمه صنو أبيه السيد عبد السلام ابن محمد وأولاده هم : العلامة السيد محمد والسيد عمر والسيد الطيب ؛ وكلهم بقرية دار الحيط وهم أهل النسب المرفوع ؛ ويبتدىء نسبهم من الشريف الوجيه السيد المختار بن محمد بن عبد السلام بن عمر بن عبد السلام بن عمر بن عبد السلام بن محمد بن عمر بن عيسى بن أحمد بن عمر بن عيسى بن عبد الوهاب الاصغر . انتهى الكلام على أولاد سيدى احمد بن عمر .

أولاد سيدنا أحمد بن عيسى المذكور

واما اهل قرية تايدة ؛ فهم أولاد سيدنا احمد بن عيسى بن عبد الوهاب الاصغر وهو اخو سيدنا عمر المتقدم ؛ فسيدنا « احمد » هذا دفين مقبرة اولاد بن خجو بقرية بوبيين الحسانية ؛ خلف رحمه الله ولدين ذكرين ؛ هما: السيد احمد الاكبر ؛ واخوه السيد أحمد الاصغر ؛ أما السيد احمد الاكبر فهو دفين بالقرب من قرية تايدة ؛ ويدعى بسيدى أحمد تايدة ؛ وهو من المزارات الشهيرة ؛ وعلى يد أولاده بركة ملموسة لمن اصيب بوجع البطن ؛ من طرف ريح الجن ؛ وهم دار علم وتقوى وأخلاق شريفة طيبة ؛ خلفا عن سلف ؛ وتوجد قريتهم على بعد اربعة أميال من ضريح القطب مولانا عبد السلام الى جانب قرية تزية ؛ ولسيدى احمد الاكبر ولد واحد اسمه عمر ؛ وخلف الولى الصالح سيدى عمر هذا ولدين ذكرين هما : سيدى احمد وسيدى عمر ؛ فأولاد السيد أحمد هم الفقيه البركة السيد الطيب ؛ وشقيقه الفقيه السيد التهامى ؛ ابناء الفقيه العالم الورع الزاهد العارف بالله تعالى الولى الصالح المكنى أبا حفص عمر بن أحمد اخى عمر المتقدم الذكر وابن عمهما الفقيه السيد العربي بن الولى الصالح البركة سيدى احمد بن أحمد المذكور وكل هؤلاء يقطنون قرية تايدة ؛ الا السيد الطيب فان له دارا اخرى يسكنها بمدشر عين مطيع من قبيلة بنى مصور ؛ وابن عمهم السيد احمد بن

على بن أحمد المذكور ، بقرية بوبيين ، وأبناء عمهم السيد الطاهر واخواه من الاب السيد محمد والسيد أحمد الاول بقرية بوبيين ، والآخرون بقرية « كر » من قبيلة جبل حبيب ، وهم بنو السيد محمد بن احمد المذكور ، وأما أولاد السيد عمر بن عمر المذكور ، فهم السيد محمد والسيد أحمد والسيد عمر بنو السيد عبد السلام بن عمر المذكور ، وبنو عمهم السيد عبد الهادى ، والفقيه السيد الرشدى ، والفقيه السيد ادريس ، والسيد الهاشمى ، بن الحاج الهاشمى ، بن عمر المذكور ، وبنو عمهم الفقيه الاستاذ البركة سيدى محمد ، والسيد عبد السلام ، والسيد أحمد الخضر والعلم ورضوان الاولون بقرية تايدة ، والآخرون ببنى حرشان من قبيلة بنى مصور ، وهم بنو السيد أحمد بن عمر المذكور ، وهم أهل النسب المرفوع ، قد توصلت من طرف الحرشنيين برفع عمود نسبهم من يد الشريف السيد عبد الكريم ، وهو عبد الكريم بن عبد السلام بن الطيب بن الوافى ، بن السيد الرشدى ابن الحاج الهاشمى بن عمر بن عمر بن السيد أحمد بن الولى الصالح سيدى أحمد بن عيسى بن عبد الوهاب الاصغر . وباقى النسب معلوم فلا حاجة الى ذكره ، كما توصلت أيضا من طرف أحد شرفاء كر بقبيلة جبل حبيب برفع عمود نسبهم بوثيقة عقد نكاحه ، وهو ثابت بمحكمة العدل بطنجة تحت عدد 799 بتاريخ فاتح رجب عام 1389 هجرية ق 17 شتنبر 1969 ميلادية نص الوثيقة المذكورة الحمد لله باذن من يجب أعزه الله ببطاقة تحت عدد 135 / 98 بتاريخ 18 غشت 1969 وبمقتطع 73 عدد 88 بتاريخه يعرف الواضع شكله عقب تاريخه الشرفاء أهل تايدة الاخوان هم : السيد محمد ، والسيد مصطفى ، والسيد عبد المجيد أبناء الشريف السيد محمد بن الطيب بن عمر التايدى بن السيد محمد بن السيد الطيب بن السيد عمر بن السيد أحمد بن السيد عمر بن السيد أحمد الاكبر بن السيد عيسى بن عبد الوهاب الاصغر الجد الجامع لبنى عبد الوهاب ، وباقى النسب معلوم .

الشرفاء المنوفيون أهل مكة والمدينة

وأما السيد أحمد الاصغر فانه غادر بلده بقصد أداء فريضة الحج صحبة ابن عمه الفقيه العالم سيدى محمد بن عمر بن عيسى بن عبد الوهاب، أوائل القرن 11 ثم استوطن دون ابن عمه بلدة منوفة ، وهى قرية من بلاد

مصر ، وترك بها ولدا اسمه محمد ثم انتقل هذا الاخير منها الى مكة المكرمة واستوطنها وترك بها اربعة اولاد ذكور ، هم : السيد محمد سعيد ، والسيد زين العابدين ، والسيد أحمد ، والسيد عارف ، أما أحمد وعارف فقد انقرض عقبهما ، واما أولاد السيد محمد سعيد فهم الفقيه العالم السيد ابراهيم ، والسيد محمد سعيد ، والسيد على ، والسيد عثمان ، وهم بنو الفقيه العالم السيد سالم بن الفقيه العالم السيد ابراهيم بن محمد سعيد ، بن جعفر بن محمد سعيد المذكور وهم بمكة ، ويدعون الشرفاء المنوفيين ، وأما السيد زين العابدين فقد ترك أولادا ذكورا بالمدينة المنورة ، وهم الفقيه العالم أحد خطباء المسجد النبوى السيد محمد سعيد ، وأخوه السيد محمد عبد السلام ، واخوهما السيد أحمد ، وهم بنو السيد عز الدين بن السيد عبد الرحمن بن السيد زين العابدين المذكور ، ويعرفون بها أيضا بأهل البيت المنوفى انتهى الكلام على أولاد السيد أحمد ويليه الكلام على أولاد أخيه ابراهيم بن عيسى ابن عبد الوهاب .

بيت ابراهيم بن عيسى المذكور

فابراهيم هذا هو أخو السيد عمر والسيد احمد ، وكلهم بنو السيد عيسى بن عبد الوهاب الاصغر . وقد كان يعرف أولاده فى القديم بأولاد ابن الحاج . وقد اشتهرت فرقة منهم بأولاد الطالب نسبة الى جدهم سيدى أحمد الطالب بن الطاهر المدعو الطالب دفين قرية تزية بالقرب من الجامع القديم الخرب كان فى الظاهر من المجاذيب ، وفى الباطن من اهل الاسرار والبركات ، واما الفرق الاخرى فهى على ما وجدته منصوصا : أولاد ابن قاسم ، وأولاد الصيد واولاد الحويك بالتصغير .

أولاد الطالب

فأما أولاد الطالب فهم السيد محمد بن احمد الطالب بقرية تزية ، والسيد ادريس والسيد على ، وأبناء عمهم السيد محمد بن العربى ، والسيد الهاشمى بن محمد بالضم وكلهم بقرية عين معبد من بنى ومراس ، وابن عمهم السيد الطاهر بن محمد وابن اخيه السيد امحمد بالفتح بن عبد السلام ، وابن عمه السيد عبد السلام بن النادى وأخوه السيد محمد بن النادى بقرية

ميسرة ، قد انتقل اليها من قرية عين الحديد وولد عمه السيد محمد بـــن محمد بالضم ؛ وابن عمهم السيد محمد بن قاسم ؛ والسيد عبد السلام ابن محمد وهم بقرية عين الحديد ، واخوته السيد ادريس ؛ والسيد مشيش والسيد الطاهر ؛ والسيد أبو بكر ؛ وكلهم بنو السيد محمـــد المذكـــور ؛ ومستقرهم بقرية أبى جارية مع أولاد أخيهم السيد ابراهيم ؛ والسيد الخضر. وولد ابن اخيهم السيد المفضل بن محمد بن الهاشمى ؛ وابن عمهم السيـــد المجاهد بن عبد الله بن الهاشمى وأخوه السيد الطيب . وعميم السيد احمد ابن الهاشمى المذكور . وابن عمه السيد التهامى بن عيسى الطالب . وابن عمه السيد بن ادريس ؛ وكلهم بقرية أبى جارية وابن عمهم السيد محمد بن محمد بن النادى بالمعب من قبيلة سماتة ؛ وابن عميم السيد محمد بن أبى حرمة الطالب بمدشر امغارت الحزمرية ؛ وابن عمهم السيد الطاهر بـــن عبد السلام الطالب بمدشر مزيوش اليدرية ؛ وداران منهم بالفرغور مـــن قبيلة تسول فى هوارة الحجر ؛ للسيد محمد بن على الطالب ؛ والسيد العربى ابن محمد بالضم الطالب قال المؤلف رحمه الله ؛ وأما اهل غيروزيم الخمسية الذين سموا أنفسهم بأولاد الطالب وأولاد الرحمونى فلا نسبة لهم مع أولاد القطب مولانا عبد السلام ، ودعواهما النسب الشريف داحضة ؛ ومنبوذة فى القديم والحـــديث .

أولاد بـــن قاســـم

وأما أولاد ابن قاسم فهم السيد أبو حرمة بقرية مجازليين ؛ وأخـــوه السيد محمد بدار بن راطية ، العروسية ، فهما ولدا السيد أحمد بن قاسم ابن محمد بن قاسم ، وأبناء عمهما السيد محمد والسيد الطيب ، فالاول ابن أحمد ، والثانى ابن محمد بدار بن راطية أيضا ، وابن عمهم السيد على بن محمد بن قاسم بمدينة طنجة ، وأبناء عمهم السيد الطاهر والسيد العربى ؛ أبناء السيد أحمد بن قاسم بقرية بغورة ، وابن أخيهما السيد الطيب بن احمد بن أحمد المذكور ؛ بمدشر دار الصف الجرفطية ؛ وابن عمهم السيد قاسم بن الطاهر بقرية تزية .

أولاد الصيـــد

وأبناء عمهم اولاد الصيد ، قال المؤلف : هو لقب حادث لهم ، وكانوا

يدعون قبل بأولاد ابن عبد الوهاب ، ومركزهم الاصلى قرية تزية ، وهم :
السيد أحمد بن أحمد الصيد وأخوه السيد عبد الوهاب ، الاول بشفشاون ،
وله دار مع أخيه المذكور بقرية بوبيين الحسانى ، وأخوهما السيد الطاهر
بتزية ، وأبناء عمهم السيد عبد السلام بن محمد المدعو اليوسفى الصيـــد
بتزية ، وأولاد عمهم السيد أحمد وولد أخيه السيد محمد والسيد الفضيل ،
وولد السيد محمد بتزية ، وأخوهما السيد الطاهر بقرية ميزن ، وولد أخيهما
السيد عبد السلام بخندق ابران ، — خرب منذ زمن بعيد — وأولاد عمهم
السيد محمد بالضم بن على ، وأولاد السيد محمد ، والسيد عبد الوهاب ،
والفقيه البركة سيدى على ، والفقيه البركة سيدى الطاهر ، والسيد أحمد
والسيد عبد السلام ، أولاد السيد محمد بالضم بن أحمد الصيد بقرية تزية .
وهم أهل عمود النسب المرفوع ، وتوجد لهذا العهد جماعة وافرة منهم بعين
مديونة من قبيلة صنهاجة بناحية فاس ، وهم : السيد ادريس وأخوه السيد
عبد الوهاب ، والسيد الصغير ، وأولاد السيد ادريس منهم السيد محمد بن
ادريس واخوته قد ضلت عنى أسماؤهم والسيد محمد بن عبد الله ، وعنهم
نقلت عمود نسبهم ويبتدىء من الشريف السيد لحسن بن المكى بن العلم بن
محمد بن أحمد بن عبد السلام بن عبد الوهاب بن أحمد المعروف بالكبير
وهو الملقب الصيد بن محمد بن ابراهيم بن عيسى بن عبد الوهاب الاصغر ،
وكان انتقالهم من قرية بوبيين ، وأما أبناء عمهم الباقون بقرية تزية فهم السيد
أحمد بن أحمد الصيد واخوه السيد عبد الوهاب الاول بشفشاون وله دار
مع أخيه المذكور بقرية بوبيين ، وأخوهما السيد الطاهر بتزية وابناء عمهم
السيد عبد السلام بن محمد المدعو اليوسفى الصيد بتزية ، وأولاد عمهم
السيد أحمد وولد اخيه السيد محمد والفضيل وولد السيد محمد بتزية ،
وأخوهما السيد الطاهر بقرية ميزن ، وأولاد عمهم السيد محمد بالضم بن
على وأولاد السيد محمد والسيد عبد الوهاب ، والفقيه البركة سيدى على ،
والفقيه البركة سيدى الطاهر ، والسيد أحمد والسيد عبد السلام أولاد محمد
بالضم بن أحمد الصيـــد بتزيـــة .

• أولاد الحـــويك

وأبناء عمهم أولاد الحويك بالتصغير ، ومستقرهم قرية عين الحديد ،

وهم السيد الحسن بن قاسم الملقب « الكويك » وولداه السيد محمد والسيد قاسم وولدا أخيه السيد العربى بن المهدى وولد عمه بن عيسى ، والسيد الفضيل وابن عمهم السيد المفضل بن محمد بن على بن عيسى ، وابن اخيه السيد محمد بن العربى وولدا عمه السيد محمد والسيد العربى ابنا السيد محمد بن قاسم بن على ، وكلهم بقرية عين الحديد الا ابن عمهم المعروف باسم الحويك وهو السيد محمد بن محمد فقد استوطن قريـــة العشايش الهبطى من قبيلة الاخماس السفلى .

أولاد ابخـــوث بـــن ابــراهيم

فمبخوث هذا هو مبخوث بن ابراهيم بن يوسف بن عبد الوهاب الاكبر ابن عبد الكريم بن محمد بن القطب مولانا عبد السلام . ومن أولاده أولاد الردام بقرية اغرنو السفلى وليس ردام قرية ميزن منهم . ومن أولاده ايضا أولاد عيسى بقرية تزية . ومن أولاده ايضا أولاد بنعلى بقرية تزية ايضا ؛ وهذه القرية هى المعقل الاصلى لشرفاء بنى عروس من ذرية سيدنا عبد الكريم ، كما هى قرية اغرنو السفلى المعقل الاصلى لشرفاء أولاد بن عبد الوهاب لوجوده بها ، وقد التبس الحال على المؤلف هنا سيدى محمد بـــن الصادق حتى عد أولاد الردام من أولاد ابراهيم بن عيسى ، وذلك لعـــدم توصله بالوثائق التى يعتمد عليها ، ولم يحقق المسألة عند مرآة المحاسن ، والحق كما جاء بها واعتمادا على عمود نسبهم انهم من أولاد ابراهيم بـــن يوسف المذكور فى الترجمة ، ولعله اعتمد فى ذلك على ما بغله عن الشرفاء الذين التبس عليهم الحال ولم يحققوا المسألة ، والتحقيق ما ذكرته اعتمادا على ما وجدته عند صاحب مرآة المحاسن ، وشهد به ما وجدته بأيديهم من الوثائق الرسمية المشتملة على رفع عمود نسبهم ، وتعتبر عائلة دار الردام بافرن الاسفل من اخير عائلات القرية واكرمهم ، وهى دار فضل وخيارة وكرم واخلاق فاضلة ، وتلاوة قرآن ، ويكفى فى ذلك شهرة المقرىء السبعى الشهير بالفقيه الردام ، ويذكر انه كان مقرئا لطلبتى الجن والانس ، وحدثنى أولاده ان جنيا جاء معزيا فى الفقيه المذكور وترك لهم آنية كانت تعرف عندهم بآنية الجن ، توفى الفقيه المذكور عن سن عالية سنة 1320 هجرية ، وهم أهل عمود النسب المرفوع الى النبى صلى الله عليه وسلم ؛ فجدهم المعروف

بالسيد أحمد الردام وهو دفين قرية احمايمون التابعة لقبيلـــة آل سريف بأسفل قلعة حجر النسر ، وقد خلف السيد أحمد الردام هذا ثلاثة أولاد هم : السيد محمد ، والسيد على ، والسيد عبد الهادى ، فهذا الاخير هـــو دفين جامع قرية دار زهيرو من قرى فحص طنجة ، ولا عقب له ، والمعقبان هما محمد وهم أهل دار عم الصادق الردام ، وعلى ، وهم اهل دار الفقيه الردام ، ويبتدىء نسب دار عم الصادق الردام من حفيده السيد المختار بن الفقيه محمد بن الصادق بن أحمد بن محمد بن المفضل بن محمد بن أحمد الحميمونى بن محمد بن قاسم بن على بن مبخوث بن احمد بن أبى بكر بن ابخوث بن ابراهيم بن يوسف بن عبد الوهاب الكبير بن السيد عبد الكريم ابن الولى الصالح سيدنا محمد بن القطب الجامع والغوث اللامع الشيـــخ « مولانا عبد السلام » ويبتدىء نسب أهل دار الفقيه الردام مـــن حفيده السيد عبد السلام بن عبد السلام بن محمد الفقيه المقرىء المذكور . بـــن عبد السلام بن محمد بن على بن أحمد الحميمونى بن محمد بن قاسم بن على ابن مبخوث بن احمد بن أبى بكر بن ابخوث بن ابراهيم بن يوسف بن عبد الوهاب الكبير بن السيد عبد الكريم بن الولى الصالح سيدنا محمد بن القطب الجامع والغوث اللامع الشيخ « مولانا عبد السلام » وباقى النسب معلوم فلا نطيل به . وأما أبناء عمهم أولاد عيسى فانهم يجتمعون معهم فى ابخوث بن ابراهيم عن طريق أحمد بن عيسى بن موسى بن سليمان بن عبد الكريم بن ابخوث ، وأبناء عمهم السيد العربى بن احمد بن عيسى ، وابـــن عمه السيد عبد السلام بن قاسم ، وابن عمه السيد أحمد بن الطاهر وابـــن عمهـــم السيـــد محمـــد بـــن محمـــد بـــن قاسم بـــن عيســـى وعمـــه السيـــد محمـــد بـــن محمـــد بـــن عيســـى وهـــو بمدشـــر عيـــن اسمـــن السريفـــى ، والفقيه المدعو المحجور هو السيد محمد بن محمد ووالده السيد المامون ، والسيد احمد واخوه الفقيه السيد الطاهر وولده بمدشر الخب الحبيبى ، هو السيد محمد ، وولد اخيهما السيد محمد ابن أحمد المحجور بقلعة مرجانة المصورية ، وغير الخارجين عن بنى عروس فمستقرهم قرية تزية ، وأبناء عمهم السيد محمد والسيد احمد ، وولدا السيد محمد بالضم بن عيسى بقرية عين الحديد ، وابن اخيهما أيضا السيد عيسى ابن عمر ، واولاد السيد أحمد المذكور ، خمسة رجال ، هم : السيد العربى ،

والسيد أحمد ؛ والسيد محمد والسيد امحمد بالفتح بقرية عين الحديد .

واما ابناء عمهم أولاد بنعلى فانهم يجتمعون معهم فى احمد بن أبى بكر ابن ابخوث بن ابراهيم وهم السيد أحمد بن ابى بكر بن على بن مبخوث بن احمد بن أبى بكر المذكور . وباقى ابناء عمهم فهم السيد محمد بن محمد بالضم بقرية تزية . وولده السيد عبد السلام بمدشر أولاد كنون اليدرية — وتعرف اليوم بدار الشريف — وولد أخيه السيد محمد بن أحمد بتزية ؛ والسيد الخضر بن محمد بن على ببنى حزمر ؛ وابن عم الجميع السيد ادريس بن عبد السلام بن على بقرية ظهر جعادة . ومنهم أولاد بن على بقرية عين زيانة ؛ وابناء عمهم بقرية عين قمور من قبيلة بنى يدر .

أولاد يوسف بن عبد الوهاب الاصغر

ومن أولاده العلامة النقيب النسابة سيدى على بن عبد السلام صاحب املاء فى النسب العلمى المعاصر للمولى اسماعيل العلوى 1101 هجرية وهو السيد على بن عبد السلام بن عيسى بن يوسف بن يوسف مكرر بن عبد الوهاب الاصغر . ولم نعلم له عقبا يذكر الا أن نسبه يجتمع مع ابناء عمه فى عيسى ومنهم أولاد ابن لحسن الذين وقع الغلط فيهم للمؤلف سيدى محمد بن الصادق فتوهم انهم من أبناء سيدى أحمد بن عمر المتقدم ؛ والحق انهم من أولاد يوسف بن عبد الوهاب الاصغر ؛ وهم : السيد عبد السلام وشقيقه السيد الحسن بافرن الاسفل ؛ وولدا السيد أحمد بن لحسن ؛ وابن أخيهما محمد بن محمد بن أحمد بن الحسن بمدينة شفشاون ؛ وأبناء عمهم السيد لحسن وشقيقه السيد عبد السلام وابناء السيد أحمد بن لحسن بقرية ظهر جعادة ؛ وبها ايضا الشريف الوجيه المسمى ولد عيشة رقية ؛ وعنه نلقت عمود نسبهم وهو السيد عبد السلام بن عبد السلام بن محمد ابن الطاهر بن عبد الكريم بن الحسن بن احمد بن الحسن بن أحمد بن الحسن بن عيسى بن يوسف بن يوسف مكرر بن عبد الوهاب الاصغر . ومن أبناء عمهم أولاد السيد محمد بن عبد الوهاب وهم السيد الهاشمى بن عبد الوهاب بن محمد المذكور ؛ واولاد عمه السيد على والسيد محمد أبناء السيد عيسى بن محمد المذكور ؛ وكلهم بقرية افرنو السفلى ولهم أبناء عمهم بمدشر الصخرة المصورية ؛ والسيد الهاشمى بدار بن عثمان اليدرية ؛ وولد السيد

الطاهر بن محمد المذكور ، وعم جميعهم السيد أحمد بن محمد المذكور وولده السيد محمد فهما ببنى ومراس ، وولد ابنه السيد محمد بن المهدى بافرنو السفلى والغالب على الظن انهم من ذرية يوسف بن عبد الوهاب الاصغر . وهذه أسماء عائلات منهم توصلت عنهم بعمود نسبهم الا واحدة لم أتوصل عنهم بشيء والمعروفون هم دار الفقيه بن الحاج ، وهذا عمود نسبهم ، ويبتدىء من الشريف الوجيه الفقيه السيد أحمد بن الفقيه السيد محمد بن الفقيه السيد محمد المتوفى عن سن يناهز المائة سنة 1370 هجرية ابن محمد بن محمد بن الحاج محمد بن الحسن بن أحمد بن الحسن بن أحمد ابن الحسن بن أحمد بن عيسى بن يوسف بن يوسف بن عبد الوهاب الاصغر . نقلته عن عقدى صداق أحدهما يناهز المائة والآخر يناهز المائتين ، وهذه عائلة أخرى توصلت عنها بعمود نسبها عن عقد صداق لاحد أجدادها ، وكانوا يعرفون بدار عم عبد السلام بن على . ويبتدىء عمود نسبهم من الشريف الوجيه السيد أحمد بن عبد السلام بن على بن عيسى بن محمد بن محمد بن عبد الوهاب بن عيسى بن يوسف بن يوسف مكرر بن عبد الوهاب الاصغر . ويرجع تاريخ هذا العقد الى سنة 1242 هجرية . ودارهم القريبة من المسجد هى الدار التى كان يسكنها الولى الصالح سيدى عيسى بن عبد الوهاب وكلهم انتقلوا منها الى مدينة طنجة وهم ثلاث اخوة السيد أحمد المذكور وأخوه السيد عبد السلام ، وأخوهما السيد على وكلهم لهم أولاد ذكور ولا نعرفهم وأما عائلة أولاد ابن عبد الوهاب الوهبيين قد قيدتهم بهذا للفرق بينهم وبين أبناء عمهم الحاملين لهذا الاسم أيضا لانهم لم نجد بأيديهم الا اسم الوهابية مع اقامتهم بالاصل دون تحول عنه الى غيره من لدن جدهم عبد الوهاب الاصغر ، ومن تحول عنه من أبناء عمهم الاقربين فانهم يعرفونهم ، وقد صعب علينا أن نعرف من الاجداد المشاهير من يجتمع فيه تعددهم مع أبناء عمهم ، وذلك لغلبة الامية عليهم حتى وجدنا ان حامل القرآن لا يوجد بينهم الا نادرا ، واخيرا وقفت على تأليف العلامة سيدى محمد بن التهامى بن رحمون فى النسب الادريسى والعلمى فوجدت لاولاد بن عبد الوهاب بقرية ظهر جعادة عمود نسبهم ، وقيل لى انهم اقرب أبناء عمهم اليهم ، وعليه فهم ينتمون الى يوسف بن عبد الوهاب الاصغر المترجم له.

أولاد محمد بـن عبد الوهاب بالفتح

وكانت هذه العائلة تعرف عند أهل القرية ، بأولاد ابن الحاج ، ومنهم عائلة دار سى الهاشمى ؛ وعنهم نقلت عمود نسبهم ، ويبتدىء من الشريف الوجيه السيد أحمد بن شيخنا القرآنى السيد الهاشمى المتوفى سنة 1388 هجرية ، بن السيد أحمد المقرىء الجليل بن السيد الهاشمى بن احمد بـن الهاشمـى بـن محمـد بـن محمـد بـن محمـد بـن محمـد بالفتـح بـن عبـد الـوهـاب الاصغـر ، وهـو دفيـن بمقبـرة أولاد بـن عبـد الوهـاب بجـانب حومة اياوش ، فى وسـط غيظة من اشجار تشت الباسقة ، وعليه حوش من الحجارة دون طين ولا جير . فهؤلاء هم عائلات أولاد بن عبد الوهاب من بيت عبد الوهاب الاصغر ، ويستثنى منهم أولاد مبخوث بن ابراهيم ؛ فانهم لا يحملون اسم الوهابية لان الوهابية خاصة بعبد الوهاب الاصغر وقد قيدتهم بأسماء عائلاتهم المشتهرين بها ؛ وهم أولاد الردام بأفرنو السفلى وأولاد عيسى وأولاد بـن على بقرية تزية ، والذين خرجوا عنها واستوطنوا غيرها .

قرية أفرنو السفلى معقل أولاد بن عبد الوهـاب

نذكر هذه القرية لاهميتها وجمال موقعها المنخفض فى سفح جبـل وهوائها الصحى ، ومياهها العذبة الجارية خلال فصول السنة كلها ، وبذلك تكون حقولها المخضرة فى أيام المصيف تطفى عليها حلة تشبية تسحر الناظر اليها والى جانب ذلك تحيط بها الجبال المخضرة على الدوام الغنية بالاشجار الباسقة ذات الالوان المزهية ، تتخللها الدور البيضاء فى وسط الغابات وذلك ما يزيدها جمالا ساحرا فى أعين الناظرين ، والى جوانبها القرى المحيطة بها التى لا يقل جمالها عن القرية المذكورة ، فهى متشابهة المناظر ، ويغلب عليها الريح الشرقية فى بعض فصول السنة من بعض السنين ، وتفصل بينها وبين قرية افرنو الاعلى التى يسكنها شرفاء أولاد مـرون ، طريق السيارات الصاعدة الى مدينة تطوان أو الى ضريح القطب « مولانـا عبد السلام » ولا تبعد عنه الا بنحو 15 ميلا ، وهى القرية الخالصة مـن سكان غير الاشراف باستثناء النزلاء الجدد المشبوهين الذين تكلمنا عنهم وعن اصولهم سالفا عند الكلام على أولاد اللهيوى ومن غير هؤلاء لم يكن بهـا

سكنى قديما لغير أولاد بن عبد الوهاب . الا ما كان من حومة تمزجيدة ، فانها يسكنها العناصر الآتية ، هم : أولاد اللهيوى واولاد بن عبد الوهاب ، واولاد شقور المتنقلون اليها من زاوية بنى حمايد من قبيلة بنى يدر وهؤلاء شرفاء ، وبها من غيرهم أولاد الركاز المتنقل من قرية دار الشريف اليدرية ، واولاد بوكر السوسى الدمناتى الاصل ، وبها المدعو احمد ولد العربية المربى ابوه المجهول الاصل بقرية ابى زهرى ، وتزوج امراة شريفة من اولاد الخراز الفرنيوى فولد معها ثلاثة أولاد ، هم : محمد الذى توفى وترك أولادا مع الشريفات بتمزجيدة وطردان وادياز ولا اعرف أسماءهم ، واحمد أخوه وهو بحومة تمزجيدة الا انه متزوج ببنت الركاز ، وله معها أولاد ذكور ، واخوهما عبد السلام ، وهو متزوج بامراة شريفة بنت خاله من أولاد الخراز ويسكن حاليا بتطوان بحومة كديوة الشجر ، وله أولاد ذكور معها ، ونظرا لكثرة الدخلاء المشبوه فيهم والمعروفين بين العائلات الشريفة ، فان الحاجة ماسة الى تنصيب نقيب كفء ثقة ورع صارم عالم بأصول العائلات الشريفة على غرار ما كان عليه الحال عند الاجداد القدماء مع ملوك زمانهم للسهر على النسب النبوى الشريف من دخول غيره فيه ، ومن بدل أو غير فالله حسيبه ، ان الدنيا الا كسحابة صيف لا يغتر بها الا الجاهل والاحمق ، وأما العاقل فبعيد عن الاغترار بها ، وتلك سنة الله ولن تجد لسنة الله تبديلا . ويتلخص اولاد ابن عبد الوهاب فيما ياتى من العائلات :

اولا : بيت سيدنا عمر بن عيسى بن عبد الوهاب الاصغر ، ويتألف هذا البيت من ولدين هما : سيدى محمد بن عمر دفين قرية ادياز ، وأخوه سيدى أحمد بن عمر دفين تطوان .

بيت سيدنا محمد بن عمر ومن اولاده

1 ــ اولاد محمد بن محمد بن عمر
2 ــ اولاد احمد بن محمد بن عمر
3 ــ اولاد احمد بن محمد بن محمد بن عمر
4 ــ اولاد عبد السلام بن محمد بن محمد بن عمر
5 ــ اولاد التهامى بن أحمد بن محمد بن عمر

6 ـ أولاد الطاهر بن احمد بن محمد بن عمر

7 ـ اولاد محمد بن التهامى

8 ـ أولاد عبد السلام بن التهامى

9 ـ أولاد محمد الاكبر بن الطاهر

10 ـ أولاد محمد الاصغر بن الطاهر

11 ـ أولاد المهدى بن التهامـــى

12 ـ اولاد على بن عبد السلام

13 ـ اولاد محمد بن عبد السلام

هذه هى الاصول ، ولتشعب الفروع من باقى العائلات ذكرتها اجمالا كما ذكرها المتقدمون ، وهم من أولاد بن عبد الوهاب العمريين . ولفروع هذه العائلات أسماء أخرى .

بيت سيدنا أحمد بن عمر ومن أولاده

1 ـ أولاد اللهيـــوى

2 ـ أولاد ايـــو

3 ـ أولاد الفاسى

4 ـ أولاد بن عبد الوهاب العمريون أهل الحارش وتجزرت

5 ـ أولاد ابن عمر دار الحيط من العمريين الوهابيين

بيت سيدنا أحمد بن عيسى بن عبد الوهاب الاصغر . ومن أولاده :
التايديون ، وهم خمس عائلات :

1 ـ اهل ترية تايدة

2 ـ واهل بنى حرشان فى بنى مصور

3 ـ واهل ترية كـــر فى جبل حبيب

4 ـ والمنوفيون « اهل مكة واهل المدينة »

بيت سيدنا ابراهيم بن عيسى ومن أولاده :

1 ـــ أولاد الطـــالب

2 ـــ أولاد بـــن قاسم

3 ـــ أولاد الصيـــد

4 ـــ اولاد الحـــويك

بيت ابخوش بن ابراهيم بن يوسف ومن أولاده :

1 ـــ اولاد الردام بقرية افرنو السفلى

2 ـــ وأولاد عيسى بقرية تزية

3 ـــ وأولاد بنعلى بقرية تزية . وليست هذه من اولاد بن عبد الوهاب

بيت يوسف بن عبد الوهاب الاصغر ، ومن أولاده :

1 ـــ اولاد بـــن لحسن

2 ـــ اولاد محمد بن عبد الوهاب

3 ـــ اهل دار الفقيه بن الحاج

4 ـــ اهل دار عم عبد السلام بن على

5 ـــ اولاد بنعبد الوهاب الوهبيين

واغلب هذه الفرق الوهابية تسكن قرية افرنو السفلى ، وقد بلغت الفرق الوهابية بين من يسكن فى الاصل ومن خرج عنه الى 31 عائلة كمـــا رايتها معدودة الواحد تلو الاخرى وكلها تجتمع تحت أصل واحد وهو عبد الوهاب الاصغر . وقد تنوعت عن طريق ثلاثة من أولاده هم :

1 ـــ الولى الصالح سيدنا عيسى دفين قرية افرنو السفلى

2 ـــ واخوه سيدنـــا يوسف

3 ـــ واخوهما سيدنا محمد بفتح الميم دفين مقبرة أولاد بن عبـــد الوهاب بتزية والظاهر ان عبد الوهاب الاصغر هذا كان من أوائل القـــرن التاسع الهجرى . وكل هذه العائلات الوهابية توجد اصولها بقرية افرنو السفلى ، ومن انتقل منهم بقى ربعه أو عقاره بها ، على ملكه ، او ملك

اعقابه . وقد تنوعت الوهابية الى أن بلغت فى عددها 35 عائلة فاغلب اصولها لا زالت تسكن قرية أفرنو السفلى ومن تلك الاصول من خرج عنها وسكن فى جهات أخرى لكن الذين لم ينقطعوا عن الاتصال بأصولهم بها فهم معروفون عند أبناء عمهم وغيرهم واما الذين انقطعوا عن أصولهم ولم يبق لهم بها صلة من قريب أو بعيد . فذلك ليس من أسباب جهالتهم . اللهم الا ان يكون بيدهم وثائق صحيحة تشهد بأصالتهم . وتشهد لهم بصحتها عموم شرفاء أهل العلم على العموم لما لديهم من الخبرة بأبناء عمهم حيثما كانوا من بلاد المغرب أو غيرها . وكل هذه العائلات يجمعها عبد الوهاب الاصغر عن طريق ثلاثة من أولاده . هم : سيدنا عيسى بن عبد الوهاب الاصغر المذكور وسيدنا يوسف بن عبد الوهاب الاصغر المذكور . وسيدنا محمد بن عبد الوهاب الاصغر فنحا .

بيت سيدنا عبد الواحد بن عبد الكريم

ومن أولاده أولاد ابن حليمة . وهم عائلة شهيرة الصيت معروفة برجالها الاخيار الابرار ، والفضل والعلم ، وهم نسب مرفوع الى النبى صلى الله عليه وسلم الا أنهم التصق بهم من الدخلاء فى نسبهم ما قد يربو على عددهم الاصيل ، فانك كلما طرق سمعك ابن حليمة وبحثت عنه ، وجدته دخيلا فى اسمها العائلى ، ولا شىء أضر عليها من هذا الداء الذى كان ينبغى لاهل النظر منهم ان ينهضوا للذب عن انفسهم حتى يطهروا صفوفهم ، لان بيدهم أحسن الوسائل ، وهو عمود نسبهم الخالص ، فمن وجد بيده فهو منهم ، ومن لا شىء له الا المشاركة فى الاسم طردوه واعلنوا عنه ، انه ليس منهم ، ويساندهم فى ذلك جميع ابناء عمهم من سكان جبل العلم ، والخطب فى ذلك سهل كما كان يجب لهم أن يجادلوهم فى انتمائهم اليهم فى كل مكان لقوهم فيه ويرتفعون معهم الى المحاكم ، وما عليهم فى ذلك اثم ولا عار ، وانما هو دفاع مشروع لتطهير صفوفهم وازالة وصمة العار من بينهم ، ولو بواسطة وكيل يقيمونه على ذلك منهم ، لما فى المثل ، ما حك جلدك مثل ظفرك ، كما يجب على الدخلاء ان يتوبوا الى الله ولا يفرحوا بالاسم المزور ، لانه سرعان ما يزول وترجع الحقيقة الى أصلها ، ومن أجل ذلك وجب عليهم ان يرجعوا عن الاندماج فى النسبة الطاهرة ، وهم يعلمون

انهم ليسوا من اهلها حتى لا يحيون ملعونين ثم تكون فضيحتهم فى القيامة على رؤوس الاشهاد ، ولو حققوا التقوى كفتهم رتبة الاسلام ، وليكن اسم عائلتهم ما كان ، ولا يمكن أن تتصور التوبة مع الاصرار على الذنب ، واين التقوى بلا توبة ، ويا حسرتهم يوم القيامة على هذه النسبة المزورة وحلاوتها فى هذه الدنيا الفانية ، ولو تصدقوا وصلوا وصاموا وحجوا وزاروا فان ذل المعصية لا يفارق رقابهم . ولا يكون ذلك صارفا عنهم ما استوجبوه من اللعنة انظر ما تقدم من الادلة الواردة فى الموضوع ، أما أولاد ابن حليمة واقرب أبناء عمهم اليهم أولاد الخراز فهم السيد الحاج العربى بن حليمة ابن الطاهر بن على بن قاسم بن يوسف بن الحسن بن يوسف بن أحمد بن عيسى بن أحمد بن عيسى بن الولى الصالح سيدنا عبد الواحد بن عبد الكريم صاحب الترجمة ، بن سيدنا محمد بن القطب الجامع والغوث اللامع « مولانا عبد السلام » بن مشيش ، وباقى النسب معلوم فلا نطيل به ، وولده السيد المهدى ، وحفيده السيد الطاهر بن محمد بن العربى المذكور ، وكلهم بقرية ادياز مقرهم الاصلى الواقعة فى سفح جبل العلم غربا ، واخوه الوجيه المكرم السيد الطيب بن السيد الطاهر المذكور ، وأولاد السيد على وهم أيضا بقرية ادياز واخوته السيد محمد والسيد محمد بالفتح ، والسيد المفضل ، والسيد الحسن ، وهؤلاء انتقلوا واستوطنوا قرية « كر » من قبيلة جبل حبيب ، وبنو عمهم السيد الحسن والسيد الغالى ، والسيد ادريس بنو السيد الهاشمى بن الطاهر المذكور فهم أيضا بقرية كر ، وأولاد عمهم الحاج على بن محمد ، وأخوه السيد محمد بالفتح ، والسيد قاسم ، وكلهم بتطوان ، وبها أيضا أبناء عمهم الحاج محمد بن الوافى والسيد الطاهر بن على وأما السيد المفضل بن على ، فهو بمدشر منكال اليدرية ، وابن أخيهما السيد عبد السلام بن محمد بن على بمدشر بنى وخلف اليدرية ، وابنه السيد على ، واخوه السيد محمد بمقرهم الاصلى قرية ادياز ، مع ابن أخيه السيد الطاهر بن الطاهر ، بن حليمة ، وابن عمهم السيد أحمد بن احمد المقدم ، وولده السيد محمد ، وولد عمهم السيد محمد المحجور ، والمشاع الذائع بين سكان أهل قرية ادياز من اولاد دار حليمة ، وغيرهم من اهل القرى المجاورة لهم ان الذين اشتهروا بأولاد المحجور ، وترقوا قريبا لابن حليمة ، وجعلوا من هذا الاسم حلة جديدة ، وصار المحجور الاصيل نسيا منسيا

لعدم الاستعمال ، وقد كانوا فى أول أمرهم يدعون أولاد المجبور ، لما يقال من أن اباهم كان لقيطا مجبورا ربى عند احد أفراد هذه العائلة ، وكــان الناس ينادونه به ، فكان يسوءه ذلك ، فحول اسمه الى المحجور وندب الناس اليه ، وكان اجداد الاولاد الحاليين لا يستطيعون أن يجهروا بأنهم أولاد بن حليمة الى أن انخرق برزخ البحرين بعهد الاستقــلال والحريــة المطلقة ، وكانوا لا ياخذون من فتوحات الشيخ مولانا عبد السلام ؛ ولما جاء أولادهم وجدوا الطريق معبدا فأصبحوا مثل الشرفاء ، غير انهم يلقون الطعن من الشرفاء من أمام ومن خلف وهذا الذى تحدث به الاوائل من خاصة قبيلة بنى عروس وعامتهم الى الآن . اللهم انى أعوذ بك أن ادخل احدا فى النسب الشريف وهو ليس من أهله ، أو اخرجه منه وهو من اهله ، والحق فى هذا الباب أحق أن يقال ، والعلم لله بغيبه وأحكامه ومنهم أبناء عمهم أولاد الفقيه القاضى فى حينه 1191 هجرية سيدى قاسم بن حليمة ، هم : السيد احمد والسيد امحمد بالفتح والسيد قاسم والسيد عمر ، وابن عمهم السيد محمد ابن سليمان ، وولده السيد سليمان ، والسيد ادريس ، وكلهم بمقرهــم الاصلى قرية ادياز ، واولاد السيد الهاشمى بن محمد بقرية طردان هما السيد محمد وولده السيد محمد أيضا ، وأما السيد عبد السلام بن الهاشمى فهو بمدشر عين بوعامر من قبيلة آل سريف .

أولاد الجبيلــى

واما أولاد الجبيلى فهم فرع من أولاد بن حليمة ، وهم السيد محمد ابن مولاى عبد الرفيع واخوه السيد عبد السلام ، ولم يخلف رحمه الله سواهما ، وابناء عمهم السيد محمد بن محمد بتطوان ، والسيد محمد والسيد الطيب ، ولدا السيد العربى الجبيلى بمدشر بنى وخلف اليدرية ، ولهذا العهد توجد دار بمدشر ازكاوط اليدرية لربها السيد العربى ولد الجبيلية .

أولاد الخــراز نسبا لاحرفــة

وابناء عمهم من اولاد سيدنا عبد الواحد صاحب الترجمة اولاد الخراز نسبا لاحرفة وأما اولاد الخراز حرفة فلا نسب لهم ، ومن اولاد الخراز نسبا الشريف المسن الذى تجاوز المائة سنة ، السيد محمد بن السيد احمد بــن

عمر بن قاسم بن عبد الكريم بن يوسف الاصغر المذكور فى سلسلة أولاد بن حليمة لانه الجد الذى يجتمعان فيه ، وتوفى السيد محمد المسن فى مدشر عين ابوط اليدرية ، واولاده هم : السيد احمد والسيد عبد المجيد ، والسيد عبد المالك ، وهم مع ابيهم بمدشر عين ابوط ، والسيد عبد الجليل والسيد التهامى يسكنان بمقرهم الاصلى قرية العجالية ، واما ولد اخيه السيد على بن احمد فهو بمدشر بنى راثن الحزمرية ، واولاده معه بها ، وهم : السيد محمد والسيد النادى ، والسيد عبد السلام ، وله ابن آخر اسمه السيد العربى ببنى ومراس وله ابن آخر اسمه السيد الخضر بقرية منكال اليدرية ، وأما ولدا السيد محمد بن على المذكور ، فالسيد على بمدشر بنى راثى الحزمرية، والسيد الراضى بمدشر امفارث الليتية واولاد عمهما السيد الحسن الخراز فهم اربعة رجال ، السيد الطاهر والسيد احمد والسيد محمد والسيد عبد السلام ، وكلهم بمدشر الدرادر الليتية ، واما حفيده السيد محمد بن محمد فهو بمدشر بنى عمران الحسانية ، وبالقرب من دار افكث الليتية السيد ادريس بن محمد الخراز ، وبمدشر العجالية مقرهم الاصلى السيد الهاشمى ابن محمد وولد أخيه السيد محمد بن محمد بالفتح ، وولد عمه السيد الهاشمى ابن محمد بالضم بن قاسم الخراز وولد عهم السيد على بن احمد وولد اخيه السيد محمد بن قاسم بن احمد المذكور العم مقره بضريح القطب مولانا عبد السلام وابن أخيه بمدشر اراريوش وولد عمهم السيد قاسم بن عيسى الخراز ، وولداه السيد محمد والسيد المهدى ، واخواه السيد عبد القادر والسيد محمد ابنا السيد عيسى المذكور ، وابن عمهم السيد محمد بالفتح بن محمد بالضم الخراز ، واولاد السيد الحاج الخراز هم السيد محمد وولداه السيد التهامى والسيد الطيب ، واخوهما السيد النادى وولده السيد محمد وابن أخيهما السيد قاسم بن الطاهر وكلهم بمقرهم الاصلى مدشر العجالية، ومنهم أولاد الفرنيوى وسبب تسميتهم بهذا الاسم كما رويته عنهم ان امراة شريفة تزوجت رجلا من أبناء عمها اولاد الخراز ، فأتت منه بولد فمات زوجها عنها وترك بيدها الطفل صغيرا ، ثم تزوجت رجلا آخر فنقلها الى محل سكناه بافرنو الاعلى فعاشت معه هناك مدة حتى كبر ولدها اليتيم وصار رجلا ، ثم مات الزوج الثانى عنها فرجعت بولدها الاول الى دار أبيه بالقرب من قرية ادياز ، ثم أطلق عليه هذا الاسم من طرف أبناء عمه

أولاد الخراز ، لتربيته بقرية افرنو الاعلى قال المؤلف : وهم اربعة رجال : السيد محمد بن قاسم ، والسيد أحمد بن محمد بقرية ادياز والسيد عبد السلام بن محمد بن احمد بقرية عين الحديد .

أولاد مـــرون

ومن ابناء عمهم أولاد مرون ومقرهم الاصلى قرية افرنو الاعلى . وفى مرآة المحاسن هم أولاد السيد محمد بن أبى القاسم بن ابى القاسم بن مبخوث بن محمد بن عيسى بن أحمد بن عيسى بن أحمد بن عبد الواحد بن عبد الكريم بن محمد بن القطب الجامع والغوث اللامع « مولانا عبد السلام » ابن مشيش . ومن أولاده السيد عيسى بن عمر وولداه السيد الفقيه الحاج محمد والسيد عبد الكريم ، وولد ابن أخيه السيد محمد بن محمد بن السيد على بن على بن عمر المذكور . وابن عمهم السيد محمد بن عبد الرحمن والسيد عمر وابن أخيه السيد محمد بن سليمان وابن السيد محمد بن محمد المذكور ، وهؤلاء الثلاثة بقرية طردان ، ومن ابناء عمهم من انتقل الى تفلت وهى قرية على طريق الخميسات من ارض الشلوح وتبعد عن سلا بنحو 150 ميلا ، ومنهم أهل عمود ، وهم جماعة كبيرة ، ومشاهير معروفون لدى ابناء عمهم الباقين بمقرهم الاصلى قرية افرنو الاعلى ، ويستثنى منهم المعروف بالعربى الليثى فانه من عوام بنى ليث ، ومن أبناء عمهم أولاد بن قاسم بن مبخوث ، وهم السيد عبد الواحد بن السيد على ، وابن عمه السيد الحسن بن السيد محمد بالضم ، واخوه السيد عبد السلام بن السيد محمد ، وله ولدان السيد احمد والسيد محمد ، وابن عمهم السيد محمد بن الهاشمى واخوه الحاج الطاهر ، وابن اخيهما السيد محمد بن محمد بالضم بن الهاشمى المذكور ، وولد عمهم السيد عيسى بن على بن احمد ، واخوه السيد الطيب والسيد عبد السلام والسيد عبد الكريم ، وابن اخيهما ايضا السيد على بن احمد بن على المذكور ، وابن عمهما السيد محمد بن الحاج عيسى وولدا عمهم السيد عبد الكريم والسيد محمد ابنا السيد قاسم ، وولدا أخويهما السيد الطيب بن احمد بن على ، والسيد الطاهر بن عبد السلام وابن عمهما السيد محمد بالفتح ، وابن عمهم السيد محمد بن عيسى ، وأولاد السيد عيسى وعبد الكريم وأحمد ، ومبخوث وعبد السلام ، واخواه الحاج أبو حرمة والسيد عبد السلام ،

واولاد السيد محمد بقرية بوبيين الحسانية ، والسيد امحمد بالفتح بالصحفة والسيد أحمد والسيد عمر ، وابن عمهم السيد أحمد بن مبخوث والسيد على مع ما تقدم بقرية تفلت ، ومن لم ينتقل منهم فهو باق بمقره الاصلى افرنسو الاعلـــى .

أولاد الشعــل

ومن أبناء عمهم أولاد الشعل ومقرهم الاصلى قريـــة عين احبار ويعرفون بأولاد موسى بن مسعود ، وفى مرآة المحاسن هم أولاد السيد عبد الرحمن بن موسى بن مسعود بن موسى بن عبد الرحمن بن عيسى بن أحمد بن عيسى بن أحمد بن عبد الواحد صاحب الترجمة بن عبد الكريم ابن محمد بن القطب الجامع والغوث اللامع الشيخ « مولانا عبد السلام » ابن مشيش ومنهم السيد الهاشمى بن سليمان وولده السيد محمد وحفيده السيد محمد بن السيد عمر بن الهاشمى المذكور ، والسيد محمد بالضم ابن سليمان المذكور ، وولده السيد الهاشمى ، وابن عمهما السيد امحمد بالفتح ، وولده السيد محمد وأخوه السيد محمد ، وهو بقرية دار الحيط والسيد المهدى ، والسيد الفضيل بن السيد محمد بن السيد الطاهر ، وهو بمدشر الخروب الحبيبى واخوه بمقره الاصلى ولا نعرف اسمه الآن ، والسيد عبد السلام بقرية افرنو الاعلى .

أولاد القصــرى

ومن ابناء عمهم أولاد سيدنا عبد الواحد صاحب الترجمـــة اولاد القصرى ومقرهم الاصلى قرية ادياز وهم أبناء ستة رجال ، هم : السيد محمد بن عبد السلام وولده السيد الهاشمى ، وأخوه السيد التهامى ، وابن اخيهما السيد محمد فتحا بن عبد القادر ، وكلهم بقرية ادياز ، واما السيد عبد الكريم بن محمد وابن عمه السيد محمد بن عبد السلام فقد استوطنا بقرية عين بوعامر السريفية ، وابناء عمهم المعرفون بأولاد المودن ، قد اشترك فى اسم المودن ثلاث عائلات شريفة هم : اليونسيون ، وهم أشهرهم بهذا الاسم لكثرة أفرادهم ، واليملاحيون ، وأعمام أولاد القصرى مـــن اولاد عبد الواحد هؤلاء المذكورين ، ولا بد فى ذكر المؤدن مـــن تقييـــده

باليونسى مثلا أو اليملاحى ، أو عبد الواحد ، والمعروف منه دار واحدة بادياز ، ويانى للمؤلف ان المودن اليملاحى كانت لهم داران بخندق ابران ، ودار بقرية ادياز ، وعليه فلا بد لمعرفة كل منهما بعينه من الرجوع بسه الى اسم جده ، وله هنا عدة أفراد هم : السيد قاسم بن عبد الرحمن وأخوه السيد محمد وابن أخيهما السيد الطاهر بن على بن عبد الرحمن ، وابن عمهم السيد عبد السلام بن أحمد المودن بقرية ادياز والسيد عبد السلام بن عبد السلام بقرية افرنو الاعلى لم يبق له وجـود بهـا الآن 1395 هجريـة .

التـزام المـؤلف

قد التزم المؤلف سيدى محمد بن الصادق فى ديوانه أن لا يسجل مشبوها فيه وان اقتضى الحال تسجيله فانما يسجله بقصد الطعن فيه ، وعدم ثبوت نسبه ليعرفه الخاصة والعامة ، لانه لا ينبغى التلبيس فى هذا الموضوع لمن يومن بالله واليوم الآخر ، لان من شروط صحـة النسب الاستفاضة والسلامة من الطعن وتسليمه من طـرف عموم الشرفـاء العلميين ، فاذا شاع بـ ين الناس شرفه ، وسلم من الطعن ، وسلمـه الخصوص والعموم من الشرفاء العلميين ، لكثرة معرفتهم بمن هو منهم ومن ليس منهم ، فكل من توفرت له هذه الشروط الثلاثة فهو محكوم بصحة نسبه عند الخاص والعام ، والا فلا ، وقد يضاف الى هذا مخايل النسب التى لا تكاد تخفى على أحد من الناس ، وعلى هذا فشد يدك والحق أحق أن يتبع ، وأمر الله يجب أن يطاع ، : وما توفيقى الا بالله » .

المجـاهـديون أهـل قريـة طردان

ومن أبناء عمهم أولاد سيدى عبد الله المجاهد ، ومقرهم الاصلى بقرية مدفن جدهم المذكور طردان ، وفى هذا الولى الصالح يجتمع نسبهم من أولاده الاربعة هم السيد محمد بالضم ، والسيد أحمد ، والسيد على والسيد عيسى وكلهم بمقرهم الاصلى قرية طردان ، وهم على فرق كما سنذكرهم واحدة تلو الاخرى ، وكلهم يجتمعون فى الجد المذكور .

العـــلالقيـــون

وهم أولاد السيد محمد بالضم بن عبد الله المجاهد ، وهم : السيد الطاهر بن محمد الملقب العلالق ، وأخوه السيد على ، وولدا أخويهما السيد محمد بن محمد ، والسيد عبد السلام بن الحسن ، وهو بتطوان ، وولد السيد الطاهر المذكور السيد عبد السلام والسيد عبد الله ؛ وله غيرهما من غير تأهل ، وابن عمهم السيد محمد الملقب هبول والسيد عبد الوهاب، والسيد أحمد ، وابن عمهم السيد محمد بن عبد القادر وابن عمهما السيد أحمد وهو بمدشر « كــر » الحبيبى ؛ وابن عمهما السيد محمد بالضم الملقب ذو الواد ؛ لسكناه قرب الوادى ؛ وولده السيد محمد ، واولاد عمهم السيد أحمد بن عبد السلام وهم : السيد عبد السلام ؛ والسيد محمد، والسيد الطيب وأولاد عمهم محمدان ومحمد بالضم بنو السيد عبد الله بن عبد السلام ، وبنو عمهم السيد أحمد بن عبد السلام ، بن أحمد بن عبد السلام أيضا ، وأخوه السيد أحمد والسيد محمد بنو السيـــد محمـــد الملقب المقـــدم .

المقـــدميـــون

وابن عمهم السيد الهاشمى بن الطاهر المقدم ، وولد عمه السيد محمد ابن الحسن المقدم واخوه السيد الطيب والسيد عيسى ، وابن عمهما السيد عبد الرحمن والسيد عبد السلام ؛ ولدا السيد احمد المقدم ، وابن الثانى عبد الله بن عبد السلام وابن عمهم السيد مجمد بن الطاهر وابن اخيه السيد محمد بن السيد عبد السلام بن الطاهر .

أولاد أحمـــد ومنهم بـــن جيـــد

واما أبناء عمهم السيد أحمد ، فهم : السيد عبد الكريم بن أحمد وابن اخيه السيد محمد بن محمد ، وولدا عمه السيد محمد والسيد عبد السلام ، وولدا السيد الحسن بن على ، وابن عمهم الفقيه العالم الحاج محمد بن على ، وابن عمهم السيد الحسن بن محمد الملقب المحاجر ، وأبناء عمهم السيد على ، والسيد محمد أبناء ابى حرمة ، وابن عمهمـــا السيد عبد الله بن عبد السلام بن عبد الله ، وابن عمه السيد محمد بن

الحسن ، وهو بقرية عين زيانة ، وولدا السيد الطيب بن عبـــد السلام وهما السيد محمد والسيد الحسن ، وأولاد ابن أخيه السيد محمد ، وهم السيد عبد السلام والسيد العلم ، والسيد أحمد وولد اخيه السيد عيسى والسيد عبد السلام ابنا السيد أحمد ، وأولاد عمهم السيد محمد ، والسيد أحمد ابنا المرحوم بالله تعالى ، الملقب « الجيد » وابن عمهم السيد أحمد ابن الطاهر الجيد ، وابن عمهم السيد ادريس بن الحسن بن عبد السلام الملقب المحجور ، ومنهم دار الحاج بركة .

أولاد على ومنهم أعبيـــدو

وأما أبناء السيد على ، فهم : السيد محمد الملقب اعبيدو ، وأبناء أخويه السيد النادى والسيد احمد ابنى عبد الله ، وابن أخى السيد أحمد المذكور ، هو السيد الطيب بن عبد الله اعبيدو ، وابن أخيه السيد محمد ابن الحسن ، وابن ولد أخى السيد محمد المذكور اولا ، هو السيد الطاهر ابن عبد السلام بن الطاهر ، وأولاد أخيه أيضا هم ثلاثة ، السيد ادريس ، والسيد الهاشمى ، والسيد الطاهر بنو عبد السلام وابن عمهم السيد محمد ابن على اعبيدو ، وابن اخى السيد محمد المذكور ، أيضا السيد الحسن ابن على ، وهو بمدشر بودعلال ، اليدرية ، وابن عمه السيد محمد بن الطاهر وهو بقرية « كـــر » الحبيبى ، وأولاد المرحوم بالله تعالى السيد عبد السلام بن أحمد اعبيدو وهم يتامى صغارا .

أولاد عيســـى

واما أولاد السيد عيسى فهم السيد محمد بن عيسى بتطوان وولد اخيه السيد محمد بن عمر بقرية بوعمار ، والسيد عبد السلام بقرية تولة السماتية فهذه جملة أولاد الولى الصالح سيدى عبد الله المجاهد ، ولم تزل اعقاب هذه الاصول بمستقرهم الاصلى قرية طردان ، وأهلها أكثر أبناء عمهم نداء بعضهم بعضا بالالقاب كما انهم الطفهم خلقا وخلقا ، وقـــد توصلت بمعود نسبهم من طرف الشريف السيد بوسلهام ، من نسخـــة صداق لابيه يرجع تاريخها الى سنة 1305 هجرية . فهو السيد بوسلهام ابن عيسى بن مولاى الطاهر بن الشريف البركة السيد الحاج الهاشمـــى

المنعقد الصداق باسمه ، المدعو « العلالق » بن الطاهر بن محمد فتحا ابن عبد الله بن محمد فتحا أيضا ؛ بن الولى الصالح سيدى عبد الله المجاهد بن على بن الحسن بن عيسى بن أحمد بن عيسى بن أحمد بن الولى الصالح سيدنا عبد الواحد بن سيدنا عبد الكريم بن سيدنا محمد بن القطب الجامع والغوث اللامع الشيخ « مولانا عبد السلام » بن مشيش ؛ وباقى النسب معلوم فلا نطيل به . كما توصلت أيضا من طرف ابن عمه الشريف المدعو زروق بنسخة كتب عليها عمود نسبه ؛ وهو السيد محمد بن محمد بن أحمد بن الحاج عبد السلام بن محمد بن الهاشمى بن الطاهر ابن محمد بن عبد الله بن محمد فتحا بن الولى الصالح سيدنا عبد الله المجاهد بن على بن الحسن بن عيسى بن أحمد الثانى بن عيسى بن أحمد الاول ؛ بن الولى الصالح سيدنا عبد الواحد بن سيدنا عبد الكريم ؛ بن الولى الصالح سيدنا محمد بن القطب الجامع الشيخ « مولانا عبد السلام » ابن مشيش ويتلخص أبناء سيدنا عبد الواحد بن سيدنا عبد الكريم بن مولانا محمد بن القطب الشيخ مولانا عبد السلام بن مشيش فى العائلات الآتية ؛ وهم :

1 — أولاد بن حليمة
2 — وأولاد الجبيلى
3 — وأولاد الخراز
4 — وأولاد مرون
5 — وأولاد الشعل
6 — وأولاد القصرى
7 — والعلالقيون
8 — والمقدميون
9 — واولاد احمد منهم بنجيد
10 — وأولاد على منهم اعبيدو
11 — وأولاد عيسى
12 — وأولاد الحاج بركة لعلهم منهم

وتتلخص عائلات أبناء سيدنا « محمد » بن القطب مولانا عبد السلام ابن مشيش فى 49 عائلة كما رأيتها مرتبة الواحدة تلو الاخرى ، وتعتبر أصولا الآن لما عليه أبناء الشيخ مولانا عبد السلام من الفروع لان احصاءها بهذه الاسماء كان فى زمن النقيب العلامة سيدى محمد بن الصادق الريسونى.

بيت سيدنا ((أحمد)) بن الشيخ مولانا عبد السلام

الذى تقدمت ترجمته فى عداد اخوته . ويتألف بيت السيد أحمد المذكور من عائلتين اثنتين هما : أولاد الطريبق . وأولاد اغيلال .

فأما أولاد الطريبق مقرهم الاصلى مدشر بغورة . الواقع فى سفح جبل انازول الفارق بين قرى قبيلة بنى عروس وقبيلة بنى يدر ، ويعتبر موقعه من أهم المواقع الجامعة بين جمال الجبل ومياهه الجارية خلال فصول السنة وسهول البطاح المحيطة به ، وهو بلد اللحم الطيب والشهد والزبد ، ولا نظير لموقعه فى ذلك ، وهم : السيد محمد بن محمد بالضم الملقب الطريبق وولده السيد الحسن ، وأولاد عمه السيد محمد بن السيد المدعو الطريبق والسيد المفضل . فأبناء السيد أحمد الطريبق المذكور . هم : السيد محمد والسيد عبد السلام ، وابناء عمهم السيد العربى بن محمد ، والسيد الحسن بن محمد وولده السيد محمد وأخوه السيد التهامى ، وكل هؤلاء بمدشر بغورة . وأما ابن عمهم السيد محمد بن على ، وولده السيد العربى فهو مستوطن بقرية تزروتن الحبيبية ، وبمدشر بغورة السيد محمد والسيد الطيب ابنا السيد أحمد الطريبق ، وأما السيد الطيب بن على ، فقد استوطن مدشر أولاد كنون اليدرية ، وأما السيد عبد السلام بن أحمد الطريبق المتقدم الذكر فهو مستوطن ببنى وسيسم اليدرية ، وأما ثلاثة ديار الموجودة فى بنى مسارة وتعرف عندهم بدوار أولاد ابن الطريبق ، فهى للسيد الخضر وأخيه السيد أحمد وأخيهما السيد الهاشمى ، فهم من أولاد الطريبق المعدودين شرفاء ، وقد استوطن تزروتن أيضا السيد محمد بن على المدعو الشريف ، وأما السيد أحمد بن على الطريبق فمستوطن بثغر الرباط ، وتوجد لهم دار بعين التين المصورية للسيد التهامى ، وبعين مديونة دار أخرى للسيد الغالى ، وبالقرب من ضريح القطب توجد دار للسيد محمد الطريبق بالضم ، وقد انتقل لمدشر

امسملل بعد حدوثه ، وموقعه أسفل قرية السكان المحدثة أيضا ولـه أولاد عدة اسم أحدهم محمد ، والآخرون لم تصلنى أسماءهم . وهـؤلاء المذكورون هم الاصول الصحيحة لاولاد الطريبق ومسلمة عند شرفاء بنى عروس ، بلا نزاع وأما غير المذكورين من الذين يحملون اسم الطريبق فليس لهم من الشرف الا المشاركة فى الاسمية لاهل النسب الشريف ، وهم أهل قرية بوعباد من قبيلة انجرة ، واهل مدشر واد الزرجون من قبيلة الحوز ، وقد نفت دعوتهم النسب الشريف جميع دواوين النسب العلمى ، فليس لهم الا الادعاء المجرد وكافة شرفاء بنى عروس على علم من ذلك ، ومن اجل ذلك ظل الباب موصدا فى وجوههم الى عهد فاتح الاستقـلال بعد جلاء الحماية الاربية عن المغرب وسوف نتكلم على هذا العهد وما ظهر فيه من سفاهة ، وتساهل فى الدين واستهزاء بالقيم الاخلاقية التى هى من تعاليم القرآن ، من طرف من لا يراقب الله ولا يخشى سوء العواقب من مغرورى الشرفاء أنفسهم سواء من هؤلاء أو من غيرهم ، فانهم قـد بدلوا وغيروا وسوف يلقون جزاء ما صنعوا : الا الى الله تصير الامور »

قال المؤلف رحمه الله ، وأما أبناء عمهم أولاد أفيلال فهم القاطنون بقرية مجمولة بالقبيلة العروسية وهم : الفقيه المسن السيد محمد بن محمد افيلال وولده الفقيه السيد احمد والسيد النادى ، وله غيرهما من غير تأهل ، وتقدم له أن لا يذكر فى هذا الديوان الا المتأهل ، واخوانه السيد على والسيد الطاهر والسيد عبد السلام ، وكلهم بقرية مجمولة ، واما أبناء عمهم القاطنون بقرية الفلالسة ، وقرية الجبيلة من القبيلة الحبيبية ، فهم السيد عبد الوهاب والسيد محمد ابنا السيد عبد السلام ، والسيد محمد بن عمر وولداه : السيد محمد والسيد النادى وابن عمه السيـد النادى بن محمد ، وبن اخيه السيد محمد بن المهدى وابن عمهم السيد الحسن بن محمد ، وكلهم مع الاول بالقبيلة الحبيبية ، وبتطوان السيـد الهاشمى ، والسيد التهامى بعين مديونة ، والسيد الغالى ، وبعين التين الفحصية وهى الآن من قبيلة بنى مصور السيد على الطريبق ، والذى وجدناه مسلما وسالما من الطعن فى هاتين العائلتين أولاد الطريبق وابناء عمهم أولاد أفيلال ، القاطنين بقرية الفلالسة واهل قرية الجبيلة مـن القبيلة المذكورة ، ولهم ابن عم بقبيلة الغربية يسكن موضعا يدعى تويزة

القريب من قرية البريدية ، هو السيد الحسن أفيلال ، وقد تعرفت على نجله السيد البشير أثناء دراستنا العلمية بها سنة 1360 هجرية .

وأما افيلال تطوان : فالصحيح فيه انه على ضربين : ما يعرف بافيلال السياغين وما يعرف بأفيلال المطامر . والمعروف بأفيلال السياغين هما اخوان السيد محمد وأخوه السيد المامون . ولهذا الاخير ولد واحد اسمه السيد أحمد . وأما أخوه السيد محمد فقد انقرض نسله ، وأما افيلال المطامر وهم المدعو القاضى التهامى وابنه المدعو الحاج محمد افيلال الذى كان وزيرا للعدل فى عهد النفوذ الاسبانى بتطوان ، وأخوه المسمى البشير . وعمهم الحاج عبد السلام . ولكل منهم أولاد الا البشير ، فانه لا عقب له ؛ فانهم كانوا عند قدماء أهل البلد يعرفونهم بأولاد الزغمورى لقدومهم من قرية صغيرة من قبيلة بنى يدر تعرف بالزغامرة . وكانوا يعرفونهم أيضا بأولاد هيدور ، وأصلهم أيضا من قرية صغيرة ببنى يدر تدعى دار هيدور ولهم أبناء عم فى قبيلة بنى سلمان من قبائل غمارة . كانت لهم دعوة فى النسب الشريف فحكم بطردهم منه نقيب الاشراف مولاى أحمد بن أحمد بن عمر بن عبد القادر بن أحمد بن عمر فى حينه سنة 1121 هجرية ، وعليه فدعوتهم النسب الشريف كانت تكميلية لما أوتوه من المال والجاه والنفوذ السلطانى فى عهد الحماية الاسبانية . وقد كان الناس يعرفون العداوة المستمرة بين المطامر والسياغين لعدم خضوع افيلال السياغين للمال والجاه والنفوذ السلطانى وتلقيت الشهادة بهذا عن كبار العلماء المحققين وأهل المعرفة من أهل البلد بتطوان والذى كتب غير هذا فانما اعتماده فى ذلك على حفظ المجاملة والمصالح الشخصية ويتلخص أولاد سيدنا « أحمد » ابن القطب الجامع والغوث اللامع الشيخ « مولانا عبد السلام » بن مشيش فى عائلتين اثنتين هما :

1 ــ أولاد الطريبق

2 ــ اولاد افيلال

بيت سيدنا « على » المدعو علال

ابن الشيخ مولانا عبد السلام ، الذى تقدمت ترجمته فى جملة اخوته

وله عدة اولاد فى مواضع متفرقة من المغرب ، ومقرهم الاصلى قريـــة غيروزيم القريبة من مدينة شفشاون ؛ وبمدينة فاس ويعرفون بالشرفاء الشفشاونيين ؛ وبمدينة مراكش ويعرفون بأولاد ابن مسعود ؛ ويأتـــى الكلام عليهم وهم أهل عمود النسب المرفوع الى النبى صلى الله عليه وسلم فأهل غيروزيم هم حفدة الولى الصالح سيدى عبد الله الشريف بن الولى الصالح سيدى سعيد بن الولى الصالح سيدى عبد الوهاب بـــن سيدنا « علال » صاحب الترجمة ؛ ومن حفدته أيضا السيد الطاهر بن السيد عبد العالى ؛ وابنه السيد أحمد ، وابن عمهم السيد ادريس بن محمد ابن الولى الصالح سيدى عبد الله الشريف ، وابنه الفقيه السيد محمد .

وأما أهل شفشاون الذين هم بحومة السوق منها فهم الفقيه السيد احمد بن محمد بن عبد العالى ؛ وأخوه السيد محمد بن محمد بن عبد العـــالى المـــذكـــور .

وأما ابن عمهم السيد علال بن الحاج محمد بن عبد الله فهو بمدينة وليلى عند ضريح جده المولى ادريس الاول ؛ ويعرفون اليـــوم بأولاد الدحيش ، واما أخوه السيد محمد بن الحاج بن عبد الله فهو بزاويـــة « بجعاد » زاوية العارف بالله تعالى سيدى محمد الشرقى ؛ قال المؤلف : وهو اعزب من غير تأهل ، وذكره لبعده عن أبناء عمه ، وابن أخيهمـــا السيد محمد بن عبد الله الشريف المذكور بشفشاون ولهم أولاد ، ومـــن أبناء عم الجميع أيضا ، السيد الغالى بالمعجمة ، وأخوه السيد رضوان ابنا السيد محمد بن الواقى الملقب « المجبح » وهما بشفشاون أما أولاد الفقيه الاجل المرحوم بكرم الله عز وجل ، سيدى محمد بن عبد القادر بن محمد بن عبد الله الشريف المذكور ومستقرهم بغيروزيم ، هم : الفقيه السيد محمد بن محمد بن محمد بن عبد الله الشريف المذكور اولا ، وابناء عمه الثلاثة ، الحاج محمد واخوه السيد الواقى ابنا السيد عبد السلام ، وهما بشفشاون ايضا ، واما اخوهما السيد محمد فهو بالسند بالقرب من وزان وابناء عمه الثلاثة هم السيد عبد الوهاب ، وهو بشفشاون ؛ والسيد عبد القادر وأخوه السيد محمد وهما بغيروزيم ، بمقرهم الاصلى ؛ وبه أيضا بنو سعيد بن محمد بن عبد القادر المذكور ؛ وابن عمهم السيد عبد القادر بن محمد بن عبد القادر المذكور ، المتنقل لمدشر اعبادة الحسانى ؛

وبقى اخواه السيد على والسيد أحمد بمنزلهما الاصلى غيروزيم وأما ابناء عمهم أولاد سيدى على الشريف ، وهم السيد الهاشمى وأخوه السيد محمد وولد السيد موسى بن على ، وأبناء السيد الهاشمى المذكور ، السيد أحمد والسيد الطاهر ، وولدا اخيه السيد محمد والسيد الطيب ، وكلهم بقرية غيروزيم ومعهم به ايضا السيد عبد الوهاب بن التهامى بن على المذكور . وابن اخيه السيد محمد المحجور ، وعمه السيد محمد بن على ، اما ولداه السيد على والسيد محمد فهما بثغر سلا ، وابن عمهم السيد الطيب بن احمد بن على المذكور ، وابنه السيد محمد وابن عمه السيد التهامى بن محمد ، وأبناء عمهم عبد السلام هم : السيد عبد القادر ومحمدان وابن عمهم السيد محمد بن على المذكور ، وابنه السيد علال ، وكلهم بقرية غيروزيم .

وأما أولاد ابن مسعود فهم أولاد سيدى عثمان بمراكش ، وهو عثمان ابن سعيد بن عبد الوهاب بن الولى الصالح سيدنا علال بن القطب « مولانا عبد السلام » بن مشيش ، وباقى النسب معلوم فلا نطيل به . وسيدى سعيد المذكور هو الجامع بينهم وبين أبناء عمهم شرفاء غيروزيم ، ومنهم داران بحومة القصور بمراكش احداهما للسيد الفاضل البركة الشهير الذكر فى الآفاق الكريم المائدة على الاطلاق ، مولاى مسعود ، والاخرى لاخيه ابى محمد مولاى عبد القادر المقتفى آثار آبائه فى المحاسن والمفاخر ، ابنا السيد عبد الرحمن ، وثلاثة ديار بالمواسين منها وساكنوها الفقيه السيد محمد بن المهدى ، وعمه السيد عبد الله بن المهدى وابن عمهما السيد ابو العباس ، وأما ابن عمهم السيد المبارك فهو بدرب اصبان وستة منهم بزاوية ابى العباس السبتى رحمه الله ، قال المؤلف لم تحضرنى اسماؤهم الآن ، واما الترغيون ابناء عم من ذكر فقد انقرض نسلهم ، وكان آخر من مات منهم بفاس الشيخ الاشهر سيدى محمد بن على المذكور ، وورثه بنو عمه الاقربون من اهل مراكش من عقب مولاى مسعود نزيل القصور ، باذن من قاضى الوقت أبى العباس سيدى أحمد ابن عرضون الشفشاونى الزجلى واخذوا ما كان لابناء عمهم بشفشاون وغيرها سنة 1110 هجرية ، وأما أبناء عمهم الرواشد اولاد سيدى محمد ابن عبد القادر ، واولاد سيدى عبد الله بن محمد بن مولاى عبد الله

الشريف المذكور من اهل غيروزيم فقد انقرض نسلهم أيضا والدوام والبقاء لله وهذا ما أجمع عليه أولاد سيدنا علال بن القطب مولانا عبد السلام واما شرفاء القوس فقال المؤلف : وقع فيما سلف للشرفاء أولاد بن عبد الوهاب فيهم كلام ، وانكروهم فى قرابتهم من الشيخ مولانا عبد السلام ، ومنعوهم من اخذ حقهم فى فتوحات الشيخ المذكور ، سواء منها الواردة من القصر الملكى أو من غيره ، وفى سنة 1105 هجرية اجتمع الشرفاء العلميون بفاس بأمر من المولى اسماعيل العلوى لدراسة أحوالهم وتنظيمها، فدرسوا جميع أحوالهم ، وما عرجوا على قضية شرفاء القوس ، قال المؤلف: وقد ثبت عندنا بعد البحث التام عن نسبهم للقطب المذكور نسبهم له ، وهو معتقدنا ، وعليه معولنا بالادلة القاطعة ، والبراهين الساطعة ، وكل من اراد سلامة نفسه ، وبراءة ذمته فليسلك مسلكنا ، ومن أراد خلاف ذلك فهو ادرى بنفسه ، والآخرة تجمعنا والحق أحق أن يتبع ، واليه يرجع ، وبه يوخذ ويسمع ، سلك الله بنا سبيل المهتدين وجعلنا من أهل بيت نبيه الطيبين الطاهرين آمين ، وذكر صاحب مرآة المحاسن أسماء لبعض العائلات من أهل هذا النسب الشريف العلالى ، وهى تتلخص فيما يلى :

1 — أهل غيروزيم مقرهم الاصلى
2 — أهل حومة السوق بشفشاون
3 — الشرفاء الشفشاونيون بفاس
4 — أولاد السيد علال بن الحاج محمد بمدينة زرهون
5 — أولاد الوافى الملقب المجبح
6 — اولاد سيدى على الشريف
7 — أهل العدوة عند شفشاون
8 — اولاد ابن مسعود بمراكش بن سيدى عثمان .

واما بنو راشد والترغيون فقد انقرضوا

فأهل غيروزيم هم أولاد سيدى سعيد بن عبد الله الشريف بن سعيد ابن موسى بن عيسى بن على بن سعيد بن عبد الوهاب بن الولى الصالح سيدنا علال بن القطب الجامع مولانا عبد السلام .

بيت سيدنا عبد الصمد بن الشيخ مولانا عبد السلام

قد تقدمت ترجمته فى عداد اخوته ، ويتألف احفاده من اربع عائلات ومقرهم اليوم قبيلة سماتة ، قال المؤلف رحمه الله : وهم ابناء فرقتين لا ثالث لهما الاولى ، هم : أولاد ادريس بن حمو . والثانية هم : أولاد عمر ابن على بن حمو ، وهم المدعوون بأولاد الشنتوف .

أولاد ادريس بــن حمــو

فأما أولاد السيد ادريس بن حمو ، فهم المتنقلون من حومة تمزجيدة من قرية اغرنو السفلى الى مدشر بومزود الحبيبى ، وهم : السيد محمــد ابن الطاهر وابن عمه السيد العربى بن محمد النسب . واخوه السيــد الحسن ، واخوهما السيد النادى وابن اخيهم السيد الهاشمى ، واخوه السيد على ، وولد عمه السيد محمد بن الهاشمى ، وولد عمه السيد محمد بن محمد ، وابن عمهم السيد عمر بن ادريس وعمهم السيد محمد بن محمد بن ادريس ، وكلهم بمستقرهم الاصلى قرية تولة من قبيلة سماتة ، ومعهم بها السيد عبد السلام بن الطاهر ، واما السيد محمد بن الحسن فهو بقرية دار بــن صدوق الحبيبية ، ومستقرهم الاصلى قرية الخربة من قبيلة سماتة .

ومــن أولاده أولاد الشنتــوف

واما أولاد الشنتوف فهم أولاد السيد عمر بن على بن حمو ، ومستقرهم الاصلى قرية الخربة ، وهم : السيد الهاشمى بن عمر وابن اخيه السيد عمر ابن على بن عمر وابن عمه السيد أحمد بن عبد السلام ، وابن عمه السيد محمد بن أحمد ، وابن عمه السيد محمد بن التهامى ، وابن عمه السيد احمد ابن النادى وكلهم بمقرهم الاصلى المذكور ، واخو السيد احمد بن النادى المذكور ، غادر بنى عروس ، وابن عمه السيد محمد بن عبد الله وابن عمهم السيد محمد بن قاسم ، الاول بمدشر الربطة ، والثانى بقريــة بوحمصى وابن عمهم السيد عمر بن قاسم ، وابن اخيه السيد الحسين بن الطاهر ، واخوه السيد أحمد وابن عمه السيد عبد السلام بن محمد ، وابن عمــه السيد محمد بن عمر ، وابن عمه السيد محمد بن محمد ، وابن عمه السيد على بن احمد ، وكلهم بقرية تولة .

واما ابن عمهم السيد أحمد بن الطاهر ، فبو بقرية بوحمصى ، ولابناء عمهم ثلاث ديار بقرية اغيل ، الاولى للسيد احمد بن محمد ، وابن أخيـه السيد محمد بن الهاشمى والسيد محمد بن احمد ، وببنى يحيى من قبيلة بنى يوسف ، والثانية للسيد محمد بن النادى ، والثالثة ، ببنى ومراس من قبيلة بنى عروس للسيد عمر بن الحسين وتوجد دار واحدة ببنى احمايد البدرية للسيد محمد بن الهاشمى ، وبهوارة الوطاوية من قبيلة الحياينة ، دار واحدة للسيد الطاهر بن أحمد الشنتوف ، وبقرية العيون الجرفطية ، دار واحدة للسيد الطاهر بن عبد الله .

أولاد عمــر بــن ابراهيم الشنتوف

فهؤلاء أولاد عم السيد عمر بن على بن حمو ، وهم : السيد عمر بن ابراهيم بن السيد على بن عبد السلام الشنتوف ، وابن عمه السيد محمد بن ابراهيم ، وابن عمه السيد عبد السلام بن الحسين ، وابن عمه السيد عمر ابن عبد الصمد واخوه السيد قاسم ، وابن عمه السيد عيسى بن عبد السلام ، وولده السيد محمد ، واخوه السيد الحسين ، وابن عمهم السيد محمد بن عبد السلام ، وابن أخيه السيد محمد بن أحمد ، واخوه السيد الطاهر ، وكلهم بمقرهم الاصلى قرية تولة .

أولاد السيد على بــن ابراهيم

فهؤلاء ايضا هم أولاد اخى السيد عمر بن ابراهيم ، وهم : السيد محمد ابن على بن ابراهيم واخوه السيد الهاشمى ، وأخوهما السيد الطاهر ، والسيد عبد الله ، وابن عمهم السيد محمد بن محمد ، وابن عمهم السيد محمد بن الطيب ، وابن أخيه السيد محمد بن عبد السلام ومستقر هؤلاء الاربعة بقرية الخربة من قبيلة سماتة ، وابن عمهم السيد الطاهر واخـوه السيد عمر ، وابن عمه السيد عمر بن محمد ، ومستقر هؤلاء الثلاثة بقرية تولة ، وبقرية ميسرة من قبيلة بنى عروس السيد أحمد بن عبد السلام مـع ولده السيد عبد السلام ، وإما ابن أخيه السيد عبد السلام بن النادى وابن عمه عمر بن أحمد فهما بقرية عين الحديد ، وبمدشر الملاح الجرفطى دار للسيد عبد السلام بن المهدى ، وهؤلاء المذكورون ، هم أولاد سيدنا عبد

الصمد صاحب الترجمة المجمع عليهم فى الديوان الذى اجتمع عليه الشرفاء العلميون بفقهائهم وفضلائهم ، واخيارهم بأمر من المولى اسماعيل العلــوى رحمه الله فى شهر صفر سنة 1005 هجرية ، واتفقوا على انه لا عقب لسيدى عبد الصمد صاحب الترجمة سوى من ذكر ، وأما أهل كنفاوة فلم يثبت نسبهم عند المؤلف رحمه الله ، لانه لم يجد ذكرهم فى دواوين من تقدمه من النسابين السالفين وكتب عنهم فى الديوان ما نصه ، ثم أولاد سيدى عبد الصمد بن الشيخ بن مولانا عبد السلام ، هم سيدى عمر بن على بن حمــو الشنتوف بخرية سماتة ، وبنو عمه بالمدشر المذكور ، وبمدشر تولة مـــن القبيلة المذكورة ، ولهم دار واحدة بحومة تمزجيدة تعرف لاولاد ادريس بن حمو ، اذ لا عقب لسيدى عبد الصمد سوى من ذكر من الشناتفة ، ومــن ذكر منهم ، ولا يعلم له سواهم ، انتهى .

وقد ذكر هذا الملخص لاخراج سبعة ديار لاهل كنفاوة المذكورين بقبيلة آل سريف ، ادعت النسب لسيدنا عبد الصمد صاحب الترجمة ، فقطع عليهم الطريق الى الوصول اليه بهذا الاجماع المذكور ، والديوان المذكور ، ولا يزال محفوظا بالخزانة الملكية بالرباط ، وكل من وجد بغير هذه الاصول فعليه الاثبات من اين انتقل ؟ واقول بين تاريخنا الحالى 1392 هجرية مـــن 27 رمضان المعظم وتاريخ المؤلف ، وهو 1191 هجرية ، مائتا سنة وتسعة شهور ، وبه انتهى الكلام فى هذا المقام على جميع احفاد القطب الجامـــع والغوث اللامع الشيخ « مولانا عبد السلام » بن مشيش . وهم أهل النسب المرفوع الى النبى صلى الله عليه وسلم وقد تلقيت عمود نسبهم عن الفاضل المحترم الاستاذ الشريف السيد محمد بن أحمد الشنتوف وهو كما يلى : حسبما وصل اليه ميراثا عن الآباء والاجداد ، وهو : الشريف السيد محمد بن احمد ابن محمد بن محمد بن عمر بن النادى بن عمر بن على بن ابراهيم بن على ابن أحمد بن على بن محمد بن عيسى بن يوسف بن ابراهيم بن ادريس بـــن محمد بن الولى الصالح سيدنا عبد الصمد بن القطب الجامع الشيخ مولانا عبد السلام بن مشيش وباقى النسب معلوم فلا نطيل به . وقد جاء فى ترجمة الاستاذ المذكور انه خلف من أبوين شريفين كلاهما من نسب الشنتوف بقرية تولة ، وبها تربى وحفظ القرآن الكريم ثم خرج فى طلب العلم فجال فى قبائل الجبال فتلقى المبادىء العلمية بها ثم انتقل الى الحواضر لتتميم دراسته بها

فدرس بتطوان وفاس على مشائخ عديدة ، ثم رجع الى مسقط راسه واقام به مدة ، ثم اخذ وظيفته بالتعليم كأستاذ وانتقل الى مدينة العرائش حيث هـو بهـا الآن .

ويتلخص اولاد سيدى عبد الصمد بن الشيخ مولانا عبد السـلام فى اربع عائلات هى الاصول لجميع فروع ذريته :

1 ــ أولاد ادريس بن محمد المدعو حمو ومن اولاده أولاد الشنتوف
2 ــ أولاد عمر بن ابراهيم الشنتوف
3 ــ اولاد سيدى على بن ابراهيم الشمنتوف
4 ــ وأولاد عمر بن قاسم الشنتوف .

بيت سيدنـا الحـاج موسى الرضى بن مشيش

قد خلف الولى الصالح الحاج موسى الرضى الذى ذكرت ترجمته مع اخويه ، ثلاثة اولاد ، هم : 1 ــ سيدنا سليمان المكنى ابا بكر ، واشتهر بكنيته دون اسمه كجده مشيش فهو سليمان ابو بكر بن الحاج موسى الرضى ابن مشيش ، 2 ــ اخوه سيدنا حمدون بن الحاج موسى الرضى بن مشيش ، 3 ــ اخوهما سيدنا عمر بن الحاج موسى الرضى بن مشيش بن الولى الصالح أبى بكر ولكل واحد من الثلاثة عقب ونسب مشهور ، وهم أهـل النسب المرفوع الى النبى صلى الله عليه وسلم .

أولاد شقـور

من اولاد سيدنا سليمان ابى بكر اولاد شقور ، ومقرهم الاصلـى قرية الحصن مسقط راس الآباء والاجداد لجميع الشرفاء العلميين بعد نزيل قرية مجمولة العريس ، ويوجدون متفرقين فى الاماكن الآتية : وهى المعول عليها فى ضبطهم ، ومعرفة بعضهم بعضا بها ، والمؤرخ انما يعتمد علـى حفظهم ومعرفتهم فمنهم بقرية ادياز ، ومنهم بقرية تزية ، ومنهم بمدشر أذرو ومنهم بمدينة شفشاون ، ومنهم بمدشر بنى راثن الحزمرية ، ومنهم بقرية منكال اليدرية ومنهم بمدشر الحجيين اليدرية أيضا ، ومنهم بمدشر تاخيمت منها ايضا ، وبقرية زاوية مولاى عبد الله الغزوانى منها أيضا فرقة بنـى

احمايد ، وبنى ومراس من القبيلة العروسيـــة ، ومنهم بـــدار الشاوى المصورية دار واحدة للسيد أحمد بن العربى وبمدينة فاس دار للفقيه العلامة الولى الصالح بن الفقيه العلامة القاضى سيدى الطيب بن موسى بن الحسن ابن موسى ، بن على بن محمد بن الحسن بن عبد الله بن عيسى بن محمد ابن موسى بن سليمان المكنى « أبا بكر بن الولى الصالح والهدى الواضح سيدنا الحاج موسى الرضى بن مشيش بن الولى الصالح سيدنا أبى بكر الجد الجامع للنسبة العلمية ، وقد توصلت عنهم برفع عمود نسبهم من طرف الشريف المتنقل الى تطوان من قرية العميريش ، وهو السيد المختار بـــن محمد الملقب « المرابط » بن محمد المعروف بالحجيوج بن الحاج محمد بن الحسن بن عيسى بن على بن قاسم بن موسى بن على بن محمد بن الحسن ابن عبد الله بن عيسى بن محمد بن موسى بن سيدنا سليمان المكنى أبا بكر ابن الولى الصالح سيدنا الحاج موسى الرضى بن مشيش . وسليمان المذكور هو دفين قرية بوسرواس مستقرهم الثانى بعد قرية الحصن ، واما أولاد شاقور بمد الشين وتخفيف القاف الذين هم بمدشر امزال من قبيلة وادراس فلا نسب لهم معهم بل نسبتهم ساقطة ودعواهم النسب الشريف داحضة لا معول عليها فى القديم والحديث ، رزقنا الله واياهم تقواه ، وسلك بنا وبهم أقوم هداه ، والاعتصام بحبل سلمان الفارسى رضى الله عنه القائل لما سئل عن نسبه ولم يكن يجهله « أنا سلمان بن الاسلام » وقد علمت ان النبى صلى الله عليه وسلم الحقه بأهل البيت نصا ، بسبب حبه لله ورسوله واهل بيته . وكان ياخذ حظه من الفىء مع أهل البيت كما تقدم ، اللهم ارزقنا توفيق سلمان وهداية القرآن و .

أولاد عبـــد الله الولانتيـــون

ومن أبناء عمهم من أولاد سليمان أولاد عبد الله الولانتيون لسكناهم ببنى ولنت ويعرفون اليوم عند أهل وادراس بشرفاء الواد ، قال المؤلف : وقدومهم اليها كان من أجل الجهاد فى النصارى دمرهم الله ، ومنهم السيد محمد بن عبد السلام ، والسيد أبو القاسم بن موسى ، والسيد عبد القادر بن موسى المذكور ، وأخوهما عبد اللطيف وأخوهم السيد عبد الرحمن ، وأخوهم السيد عبد الله ، وأخوهم السيد عيسى والسيد أحمد بن عيسى المذكور ،

وأخوه السيد محمد والسيد عيسى بن محمد المذكور أولا وأخوه السيد عبد السلام ، وأخوه السيد الهاشمى ، وأخوه السيد الخضر والسيد محمد بن ابراهيم ، والسيد على ، والسيد عبد الرحمن بن على المذكور ، والسيد عبد العالى بن محمد ، وأخوه السيد الحاج العربى الساكن بمدينة تطوان ، وبها أيضا السيد محمد بن على . وبها أيضا السيد عبد الكريم أخو السيد الحاج العربى المذكور وأخوه السيد الحسن والسيد أحمد والسيد عبد الخالق ابن قاسم المذكور ، واخوه السيد الطيب أيضا واخوه السيد موسى ، والسيد عبد السلام بن ابراهيم المذكور ، واخوه السيد الحسين ، وأخوه السيد على والسيد العربى بن عبد الله المذكور وأخوه السيد عبد الكريم . وأخوه أبــو مدين ، والسيد الهاشمى بن محمد بن عيسى المذكور ، والسيد عبد الغنــى ابن عبد السلام بن محمد المذكور ، وأخوهم محمد . ومنهم دار بشجرة البغل بالقرب من حد بليطة من قبيلة الغربية ، وبليطة اسم مدينة أثرية وأهلهــا كانوا يعيشون فى عصر الاشوريين ، وكانوا على الديانة البوذية ومنهم على غير ذلك كما يدل عليه أثر موتاهم . كما يسكنها منهم رجلان اسم أحدهما السيد أحمد واسم الآخر السيد الطيب ، وكان لهم عم يسكن بقرية طردان من الحرم العلمى ، ومنهم بقبيلة بنى حزمر . وهم نسب مرفوع الى النبى صلى الله عليه وسلم .

أولاد بــن يحيــى

ومن أبناء عمهم من أولاد سليمان أولاد بن يحيى ، وهم أولاد سيدى احمد بن يحيى ومقرهم الاصلى قرية بوسرواس ، ومنها انتقلوا لمدينة فاس ، ويعرفون بها بالشرفاء الشفشاونيين ، وسبب انتسابهم لشفشاون ان جدهم سيدى أحمد بن يحيى المذكور كان يقرىء العلم بمدينة شفشاون ، وطالت مدته بها حتى ظهرت نجابته ، ثم انتقل الى مدينة فاس لتتميم دراسته بمعهــد القرويين ، ومكث بها حتى اشتهر فضله وعلمه بين أشياخــه ، فدعــوه بالشفشاونى ، ثم إستوطنها بعد قراءته فنسب بنوه اليه ، وبعد أن كثرت جماعته اشتهروا بالشرفاء الشفشاونيين فالشفشاونية فى فاس اذا أطلقت على الشرفاء العلميين الموجودين بها فانها تتناول بعمومها أولاد سيدى علال ابن الشيخ مولانا عبد السلام ، وابناء عمهم أولاد بن يحيى من ذرية سليمان

ابن الحاج موسى الرضى ، أخى الشيخ مولاى عبد السلام ولن تزال لهم هذه النسبة الى الآن 1191 هجرية ، قال المؤلف : وهم جماعـــة وافــرة ، مشتغلون بما يعنيهم ، ذووا ثروة وجاه ، ومن أجلهم وأفضلهم فى الوقت الحاضر ، العلامة الناسك البركة القدوة ذوالخلق الحسن والهدى المستحسن امام ضريح المولى ادريس ، والمدرس به والخطيب على منبره ، ابو البقاء والفضل أبو زكرياء سيدى يحيى بن مولاى المهدى بن الطالب بن العربى بن محمد بن الفقيه سيدى أحمد بن يحيى المدعو الشفشاونى المذكور .

أولاد سى الحسن الفقيـــه

ومن أبناء عمهم من أولاد سليمان المذكور أولاد سى الحسن الفقيه . ومستقرهم الاصلى قرية السلالم ، ومنه انتقلوا الى مدشر تمسيلة المصورية. وهم أولاد سيدى قاسم بن عبد الرحمن . ومنهم دار بمدشر بريكشة من قبيلة رهـــونـــة .

أولاد كـــرمـــون

ومن أبناء عمهم أولاد كرمون ، وهم أولاد عبد الله بن عيسى بن محمد ابن عيسى بن على بن محمد بن الحسن بن عبد الكريم بن حمدون بن الولى الصالح سيدنا الحاج موسى الرضى بن مشيش . ومقرهم الاصلى قرية الحصن وتليامن بجانبها وبمدشر بوجبل القريب من سوق خميس بنى عروس دار للسيد أحمد بن الخضر وبقرية الماورجير من بنى جبارة الخمسية ، وابن عمهم السيد أحمد ببنى حسان وابن عمهم السيد أحمد أيضا بقبيلة بنى ليث ، ولهم داران بعين سالم فى قرية أبى زهرى من بنى عروس ، يقال لربها السيد عيسى ، ودار أخرى بدار بن شعيب من قبيلة بنى جرفط يقال لربها السيد الحســـن دركـــول .

أولاد ألواث حمدونيون

ومن أبناء عمهم ايضا أولاد الواث ، وهم : أولاد السيد محمد بن محمد ابن عمر بن محمد بن أحمد بن موسى بن الحسن بن ابراهيم بن على بن عبد الكريم بن الولى الصالح سيدنا حمدون بن الحاج موسى الرضى بن مشيش .

ومقرهم الاصلى قرية السلالم ومنه انتقلوا الى عين خنزيرة اليوسفيــة ، والى قرية بوهانى الجرفطية والى قرية بوحمصى السماتية ، وبها السيد محمد بن الحسن ، وولداه السيد الحسن والسيد عمر ، والسيد محمد بن الحسن ، والسيد عبد الوهاب أولاد السيد على ، وأولاد السيد عيسى بقرية اكرسان السماتية وبها أيضا السيد الطاهر بن الحسن بالملعب ، ولم يوجد به غيره ، ولهم دار أخرى بقبيلة بنى زروال ، وقد ثبت وجودهم بها فى الديوان القـــديـــم .

فضيحة الطاهر بن الفقيه عمـــر بفاس

وله أخ بها أيضا يسمى محمد بن عمر وأخوهما أيضا يسمى أحمــد ابن عمر بمكناس . ولهم أبناء عم بالملعب من قبيلة سماتة ، وبنى ومراس العروسية ، وبمدشر تزجلوت منها أيضا . وله أوصاف مشؤومة ، فهو ازرق العينين أشقر غليظ الانف أشيب طويل القامة ، المدعى الواث ، وأخوه محمد بن عمر المسن ، هو يتعاطى مهنة الشهادة بمدينة فاس ، واخوهما أحمد المستوطن بمكناس يتظاهر بالتنسك والدين . وقصة الطاهــر المذكور ، هو انه لعب دورا للشريف سيدى قاسم الواث السلالى الذى عصب فى آخرها لك من أقرب بنى عمه بفاس ، وكان لموروثه دار بها ، الا أن سيدى قاسم المذكور كان رجلا خيرا يتظاهر بالمسكنة والغفلة ، وله نية طيبــة حسنة ، لانه كان من أهل الخير والدين بين الاشراف العلميين بفاس وكان بيده رسوم وحجج تشهد بأصله وبقرابته لابن عمه الهالك ، فاحتال عليه الطاهر المذكور حتى وكله ليستخلص له حقه ، فوضع ثقته فيه ووكله ، ثم مكنه من جميع الحجج والرسوم التى كانت بيده ، ثم ذهب الوكيل الــى أخيه المتعاطى لحرفة الشهادة ، وتآمرا عليه على أن يحلا محلــه فى هذا الميراث ، وينكراه ، ثم هو لا يقدر أن يتصارع معهما ، ففعلا به كل مـــا سولته لهما نفسهما ، وعند ما كلمهما فى أمره أعطياه قلنسوة بيضاء لابـــن عمه قائلين له لم يكن يملك غيرها : فقال لهما الشريف المسكين : وهـــلا صبغتماها سوداء ؟ ثم رفعت القضية الى نقيب الاشراف فى حينه السيد محمد ابن الطيب بن عبد القادر المعروف « ببن عبو » الشريف الشبيهى الجوطى القاسمى الادريسى فقام بالبحث عن الوكيل المذكور واخوانه ، وجميع أهله ،

فاستدعاه وأنكر كل ما فعله مع الشريف المذكور ، ثم دخل معه النقيب فى البحث عن ثبوت نسبهم ومعرفة أصلهم ، فاستظهروا له برسم مضمنه أن أصلهم الاول بموضع من قبيلة بنى عروس يعرف « بامنكرط » بالقرب من عياشة ، وهم حراطين الاصل ، وكان هذا الرسم للنقيب زغبوش فى عصر المولى اسماعيل ، وذكر أن النقيب المذكور سبق له أن بحث معهم فى أصلهم، فوجد دعوتهم النسب الشريف مزورة ، ثم رفعت القضية لمن بيده الامر فألقى القبض على الفقيه عمر أبى الوكيل المذكور ، وأخويه . ولم يتخلصوا من السجن الا بعد أن استشفعوا بالشريف سيدى محمد الواث العلمى الذى كان مستوطنا بفاس فجمع عليه الاشراف والطلبة وغيرهم من أهل الفضل يطلبونه أن يقبل براءتهم من عائلة أولاد الواث . فاشترط الشريف المذكور أن يرد جميع ما أخذ لابن عمه من رسوم ومتاع . ثم رد له كل ما كان أخذه من ابن عمه الشريف المسكين من الرسوم وغيرها ، ثم مكنه من جميع الرسوم المزورة . وأشهد عليهم بذلك بعد أن أنكرهم انه لا يعرفهم من أبناء عمه ، ثم أحاله على أبناء عمه أولاد الواث بمقرهم الاصلى مدشر السلالم من الحرم العلمى ، وبعد أن وصلهم خبره اجتمعوا وأشهدوا العدول على أنفسهم والقضاة ان الفقيه عمر وأولاده الثلاثة ليسوا من أصل أولاد الواث ، وان رسم الانتقال الذى بيدهم عنهم انهم يجهلونه ولا علم لهم به أصلا ، فتبين انه محض زور وكذب وبهتان ، ثم بعثوا به لنقيب الاشراف ، وبعد أن وصله أشهد عليه عدول فاس وقاضيها على شهادة عدول وقاضى العلميين بأنهم يجهلونهم ولا يعرفونهم منهم . وقد تم بذلك طرد هذه العائلة الحرطانية من النسب العلمى طردا رسميا عند قاضى الجماعة مولانا عبد القادر رحمه الله ، بالمسجد الاعظم بحضرة مكناسة الزيتون بجنب سارية منه ، وبذلك سميت السارية سارية الواث . ثم بقى لصاحب الدور الوكيل المذكور ، وأبيه واخوانه وابناء عمه الفضيحة والخزى والعار ، والخراب والدمار .

أولاد الحوات

ومن أبناء عمهم أولاد الحوات الا أنهم من أبناء سليمان المتقدم الذكر ، وهم أولاد القاسم بن عبد عبد الواحد بن محمد بن الحسن بن عبد الله بن

عيسى بن ابراهيم بن موسى بن عبد الله بن سليمان أبى بكر بن الولى الصالح سيدنا الحاج موسى الرضى بن مشيش ومقرهم الاصلى قرية بوسرواس ، وأصولهم انحدرت من القاسم ، وعبد الله ، وعيسى وموسى ، ومنهم بمدشر السلالم المجاور لقرية بوسرواس ، وبعضهم انتقلوا فمنهم من استوطن مدينة شفشاون ، وهذا ما عند العلامة بن رحمون .

وعند النسابة ابن عمه سيدى محمد بن الصادق انهم من أولاد حمدون ومستقرهم الاصلى قرية السلالم ، ومنها انتقلوا الى مدينة شفشاون ، وظهر بها العلامة الاديب فريد عصره مولاى سليمان بن العلامة البركة السيد محمد بن عبد الله بن محمد بن على بن موسى بن الحسين الشهير بالحوات ابن ابراهيم بن على بن على بن سيدنا حمدون بن الولى الصالح والهدى الواضح سيدنا الحاج موسى الرضى بن مشيش . وابن عمه السيد عبد الله ابن الهاشمى ، ومنهم بقرية البحاير من فرقة الخطوط الجرغطية ، ومنهم بقرية بوزهرى العروسية دار واحدة للسيد محمد الحوات ، وذهب السيد العربى بن على منهم الى قرية بوحمد من فرقة بنى زرويل الخمسية ، وذهب السيد على الى مدشر السواقى من قبيلة بنى يدر وله أولاد بها .

أولاد الحـــراق

ومن أبناء عمهم أولاد الحراق ، وهم أهل النسب المرفوع الى النبى صلى الله عليه وسلم ومستقرهم الاصلى قرية الحارشة السماتية وبها مدفن الجد الذى يجتمعون فيه مع أبناء عمهم وهو : الولى الصالح سيدى مالك ، وهم عائلات كثيرة جدا متفرقون فى القبائل والمدن ، ومنهم بقرية الصفصاف بآل سريف ، وهم أولاد السيد أحمد بن محمد وله عشرة أولاد ، بن موسى ابن على بن الحسين بن عثمان بن الولى الصالح سيدنا مالك بن عبد الكريم ابن حمدون بن الولى الصالح والهدى الواضح سيدنا الحاج موسى الرضى ابن مشيش . وأهل تمزلان ببنى يوسف هم أولاد السيد عبد الوهاب بن ابراهيم بن محمد بن ابراهيم بن مالك ، بن الحسن بن احمد بن يوسف بن الحسين بن الولى الصالح سيدنا مالك بن عبد الكريم بن حمدون بن الولى الصالح والهدى الواضح سيدنا الحاج موسى الرضى ، ومنهم اهل الحجر ، وهم أولاد الحراق المدعو وردين ، وهم أولاد السيد محمد بن على بن عبد

الله بن على بن على مكرر بن حجاج بن الحسن بن عبد الكريم بن الولى الصالح سيدنا مالك بن عبد الكريم بن حمدون . وابناء عمهم اولاد السيد على وردين بن حجاج بن الحسن بن عبد الكريم بن الولى الصالح سيدنا مالك بن عبد الكريم بن حمدون . واهل التليعة من اولاد الوردين ؛ وهم أولاد السيد محمد بن العربى بن محمد بن قاسم بن يحيى بن حجاج بن الحسن بن عبد الكريم الولى الصالح سيدنا مالك بن عبد الكريم بن حمدون . وأولاد السيد محمد بن احمد بن على بن عبد الكريم بن عبد الرحمن بن محمد بن عبد الكريم ابن الولى الصالح سيدنا مالك بن عبد الكريم بن حمدون . وأولاد السيد محمد ابن أحمد بن عبد الرحمن بن الحسن بن عبد الكريم بن عبد الرحمن بن محمد ابن عبد الكريم . وأولاد السيد الطيب بن عبد الكريم بن الحسن بن عبد الكريم ابن عبد الرحمن بن محمد بن عبد الكريم . واولاد عبد السلام بن محمد بن عبد الرحمن بن أحمد بن عبد الله بن عبد الرحمن بن محمد بن عبد الكريم الجد الجامع . وأما الحراق صاحب زاوية باب المقابر بتطوان ، فهو السيد عرفة بن الولى الصالح سيدنا ادريس بن الحسين بن محمد بن محمد مكرر ابن عبد الواحد بن يحيى بن عمر بن الحسن بن على بن عبد الله بن محمد ابن عيسى بن موسى بن الحسن بن الولى الصالح سيدنا مالك بن عبد الكريم ابن حمدون بن الولى الصالح والهدى الواضح سيدنا الحاج موسى الرضى ابن مشيش . وهذا ما عند العلامة النسابة سيدى محمد بن التهامى بن رحمون . والذى عند ابن عمه العلامة سيدى محمد بن الصادق فى ديوانه ان مقرهم الاصلى قرية الصفصاف ، والقزقاز من قبيلة آل سريف ومنهم بالخريبة وببدران ، وبقرية الحارشة من قبيلة سماتة ، وبحجر الشرفاء عند ضريح الجد الاعلى سيدى مزوار ، وبقرية العنصر ببنى عبد الله من قبيلة بنى يوسف وبتمزلان ، ولهم دار بقرية الصخرة الجرفطية ، وباقيهم متفرقون بآل سريف ، وسماتة وبنى يوسف ، غير أنه شاع وذاع عند الاشراف العلميين وغيرهم ان هؤلاء الشرفاء أولاد الحراق ادخلوا فيهم من العوام من ليس منهم لانهم ثافنوا العوام وخالطوهم بالمصاهرة وغيرها ، حتى انه لا يستطيع موسوى من بنى عمهم ولا غيره من أهل العلم بالفتح ، ولا من غيرهم ممن يراقب الله تعالى أن يجزم بشرف جميعهم ، ولا يمكن تنقيحهم وتخليصهم الا بشهادة افاضيل الاشراف ، واعيان القبائل والجيران

القاطنين معهم . اه وبعد أن أطلعوا على ما كتبه المؤلف هنا عنهم بنحو 13 سنة فى ديوانه استدركوا الموقف المزرى بهم وقاموا بتصفية نسبهم وتنقيح أصولهم ، وبذلوا فى ذلك أكبر مجهود حتى يخلصوا نسبهم ممن خالطوهم من العوام ، وجاءوا باستدراك هذا نصه : الحمد لله هذا تقييد يحتوى على تصحيح لنسب الشرفاء أولاد الحراق المنتمين للولى الصالح سيدنا الحاج موسى الرضى ، صاحب الترجمة ، وانهم أعقاب لاولاد ثلاثة ، هم : سيدى عبد الله ، وسيدى على ، وسيدى ابراهيم ، وكلهم أبناء السيد الحسن ابن عبد الله بن الحسن بن مالك بن عبد الكريم بن حمدون بن الولى الصالح والهدى الواضح سيدنا الحاج موسى الرضى .

أولاد عبد الله الحراق

فأولاد السيد عبد الله الحراق المذكور ، هم : السيد عبد الله بن عمر والسيد أحمد بن الهاشمى وابن عمهما السيد على بن عبد السلام ، والسيد محمد بن محمد السماتى وأخوه السيد أحمد القاطنين بمدشر القزقاز من قبيلة آل سريف ، والسيد أحمد بن الحسن بقرية عين السمن منها ، والسيد الهاشمى بن الحسن ، وأخوه السيد عبد الله والسيد أحمد ابن محمد ، وأخوه السيد عبد السلام ، وأخوهما السيد عمر ، والسيد محمد بن عبد السلام ، والسيد أحمد بن السيد عبد السلام ، والسيد الهاشمى بن أحمد وهؤلاء بمدشر الخربة السماتية ، والسيد محمد بن الطاهر وأخوه السيد على ، والسيد أحمد بن الحسن ، والسيد محمد بن الحسن ، والسيد محمد بن أحمد ، وأخوه السيد الحسن وكلهم بمدشر الحرشة السماتية أيضا ، والسيد عبد السلام بن مالك ، والسيد عبد السلام بن أحمد ، والسيد محمد بن محمد ، والسيد بن مالك ، وأخوه السيد أحمد والسيد محمد بن عمر والسيد التهامى بن أحمد والسيد الحسن بن أحمد ، والسيد الهاشمى بن أحمد والسيد على بن محمد ، والسيد محمد ابن مالك .

أولاد على الحراق

وأما ابناء عم من ذكر فهم السيد الهاشمى بن أحمد ، وأخوه السيد

أحمد والسيد عبد السلام بن محمد واخوه السيد محمد واخوهما السيد الطيب ، والحسن بن الحسن وولد أخيه السيد محمد بن محمد ، والسيد التهامى بن الحسين ، والفقيه السيد المفضل بن أحمد ، واخوه السيد الطاهر ، وكلهم بمدشر العنصر ببنى عبد الله اليوسفية والسيد محمد بن على وابنه السيد محمد هما بمدشر الصفصاف من آل سريف والسيد محمد بن الهاشمى وأخوه السيد على والسيد محمد بن على ، والسيد عبد السلام بن محمد وأخوه السيد محمد ، والسيد محمد بن أحمد ، وولد اخيه السيد محمد بن عبد الرحمن والسيد قاسم بن احمد ، وأخوه السيد محمد والسيد الهاشمى ، وكلهم بمدشر الخريبة السماتية ، والسيد محمد بن احمد ، وابن عمه السيد الطاهر بن محمد ، وأخوه السيد الحسين ، وكلهم بمدشر الحجر بالقرب من قلعة حجر النسر ، والسيد مالك بن الحسن وولد أخيه السيد الحسن ، وأخوه السيد أحمد والسيد على بن احمد واخوه السيد محمد ، والسيد محمد بن محمد ، واخوه السيد عبد السلام ، والسيد محمد بن عمر ، والسيد أحمد بن عبد الله ، والسيد محمد بن الهاشمى وأخوه السيد عبد السلام .

أولاد ابراهيم الحراق

وأما ابناء عم من ذكر ، فهم : السيد عمر بن على ، وأخوه السيد محمد بن على ، والسيد أحمد بن ابراهيم والسيد أحمد بن محمد والسيد احمد بن الهاشمى والسيد محمد بن عمر ، والسيد أحمد بن عمر ، والسيد الحسن بن محمد والسيد عبد السلام بن أحمد وأخوه السيد محمد والسيد احمد بن الحسن ، وأخوه السيد العربى ، والسيد بن الحسن فى مدشر الخربة ، والسيد محمد بن الحاج وأخوه السيد الطيب وأخوهما السيد على والسيد الطاهر بن على وأخوه السيد الهاشمى وأخوهما السيد عبد السلام والسيد محمد بن أحمد ، وأخوه السيد مالك ، والسيد عبد السلام بن مالك ، وأخوه السيد الطاهر ، واخوهما السيد محمد ، وابن عمهم السيد على بن عيسى ، وكلهم بمدشر بودران ، والسيد محمد بن على بن ابراهيم ، وولد أخيه السيد الهاشمى ، فهذه جملة شرفاء اولاد الحراق من غير شك ولا ريب ، ومن ادعى زيادة على من ذكر فدعوته باطلة ، لا عمل عليها ،

ولا التفات اليها ، والسلام . وكتب بثانى عشر شوال ، عام 1204 هجرية ، ثم ذكر عدد الشهود ، وكلهم شرفاء حراقيون ، وأدى جلهم الشريف سيدى محمد بن الطاهر الذى كان قاضيا فى عهد المولى سليمان العلوى ، المتقدم الذكر فى اولاد سيدى محمد بن عمر من قضاة أولاد ابن عبد الوهاب بقرية افرنو السفلى ، وقد انجز هذا الاستدراك فى حياة المؤلف رحمه الله ، لانه توفى سنة 1234 هجرية .

أولاد العسارى

ومن أبناء عم من ذكر أولاد العسارى ، ومقرهم الاصلى قرية بوسرواس ، ومنهم بقرية تازروت ، ولهم بها داران ، دار للسيد عيسى. ودار للسيد عبد الله ، ومن أبناء عم من ذكر .

— اولاد البكورى ، ومن أبناء عم من ذكر .

— اولاد التملالى ، ومنهم بمدشر تغنيمن السماتية . ومن أبناء عم من ذكر من يدعون .

— اولاد الجبرى ، وبمدشر بومنديل من أبناء عم من ذكر من يدعون .

— بأولاد عبد الله ، وبمدشر الحرشة السماتية دار للسيد الطاهر ابن محمد وبقرية بنى يحيى اليوسفية دار للسيد الطاهر بن قاسم ، ومن ابناء عمهم بمدشر تزجلوت ، بفرقة الخطوط من قبيلة بنى جرفط دار للسيد محمد بن عبد الله ، وبقبيلة الساحل دار لابن أخيه ، وببنى ومراس العروسية دار للسيد محمد بن الحسن ، وابن عمه السيد محمد بن أحمد .

ويتلخص البيت الموسوى الكريم فيما يلى من العائلات :

1 — أولاد شقور

2 — اولاد عبد الله منهم الولانتيون بودراس وتطوان

3 — اولاد بن يحيى ومنهم الشفشاونيون بفاس

4 — اولاد سى الحسن الفقيه

5 — اولاد كرمون

6 — اولاد الدواث

7 ـ أولاد الحـوات

الحـراقيـون

8 ـ أهل الصفصاف ، وهم : أولاد السيد محمد بن موسى

9 ـ واهل تمزلان ، وهم : أولاد عبد الوهاب بن ابراهيم

10 ـ وأولاد السيد محمد بن عبد الله

11 ـ وأولاد على الحراق المدعو وردين وهم أولاد محمد بن عبـد الله بـن علـى .

12 ـ واهل القليعة من أولاد الوردين

13 ـ وأولاد السيد محمد بن أحمد بن على بن محمد بن عبد الكريم

14 ـ وأولاد السيد محمد بن أحمد بن عبد الله بن عبد الرحمن

15 ـ واولاد الطيب بن عبد الكريم بن الحسن بن عبد الكريم

16 ـ واولاد السيد عبد السلام بن محمد بن عبد الرحمن بن عبد الله

17 ـ وأولاد عبـد الله الحـراق

18 ـ واولاد على الحـراق

19 ـ وأولاد ابراهيـم الحـراق

20 ـ واولاد العسـاري

21 ـ وأولاد البكـوري

22 ـ واولاد التمـلالـي

23 ـ وأولاد الجبرى بقرية بوسرواس

24 ـ وبمدشر الحرشة أولاد عبد الله . وبتزجلوت ، وببنى ومراس من بنى عروس وبقرية بنى يحيى اليوسفية ، وبفرقة الخطوط الجرفطية ، وبقبيلة الساحل وهؤلاء غير المذكورين اولا ببنى ولنت ومدينـة تطـوان .

بيت سيـدنـا يمـلاح بـن مشيش

قد خلف الولى الصالح سيدنا يملاح بن مشيش الذى ذكرت ترجمته

مع اخويه سابقا ولدا واحدا هو سيدنا محمد الآتى ذكره ؛ وقــد تقدمت ترجمته وانه ربى يتيما فى حجر عمه الشيخ مولانا عبد السلام ؛ وزوجه ابنته الكريمة الوحيدة المصونة سيدتنا فاطمة ، وأنجبت له ولدين ذكرين ثم توفى ودفن بأسفل قرية الحصن وعليه حوش من الحجارة دون طين فى وسط أشجار الدلم وقبره هناك معروف ومشهور ؛ ويتعهده أبناؤه اليملاحيون سكان القبائل بالحفلة على رأس كل سنة احياء لذكراه المجيدة فى شهـــر غشت الفــلاحـى .

بيت سيدنـــا محمد بن يمـــلاح

قد خلف الولى الصالح سيدنا محمد بن يملاح ولدين ذكرين همـــا السيد عبد الجبار ؛ وشقيقه السيد عبد الغفار . ولكل واحد منهما عقب ؛ وقد غلب عليهما شهرتهما باليملاحيين ؛ فلم يعرف أبناء عبد الجبار مـــن أبناء عبد الغفار الا عن طريق عمود نسبهم وهم أهل النسب المرفوع الى النبى صلى الله عليه وسلم ومقرهم الاصلى قرية تزروت العلمية العروسية ؛ وبها مدفنهما أسفل القرية فى خلوة كبيرة محترمة ؛ كما يوجد بها عدد كبير من الاولياء المشاهير نفعنا الله ببركاتهم وحشرنا فى زمرتهم آمين .

الــوزانيــون

قد غلبت هذه الشهرة على فرقة من أولاد سيدى محمد بن يملاح ؛ بعد استيطانهم لمدينة وزان ؛ وهم من أولاد سيدنا عبد الجبار ؛ وخصوصا أبناء المتنقل من قرية تزروت وهو الولى الصالح أبو محمد « مولانا عبـــد الله الشريف » الى مدينة وزان المصمودية ؛ وقد توصلت بمعمود نسبهم من طرف بعض أحفاده بتطوان وهو الشريف السيد محمد بن عبد الله بن أحمد المعروف بالوزانى بن التهامى بن أحمد بن عبد الله بن العربى بـــن التهامى بن محمد بن الولى الصالح مولاى عبد الله الشريف بن ابراهيم بن موسى بن الحسن بن موسى بن ابراهيم بن عمر بن أحمد بن سيدنا عبـــد الجبار الولى الصالح ابن سيدنا محمد بن يملاح بن مشيش بن أبى بكر الجد الجامع للنسبة العلمية . وعند ابن رحمون العلمى من طريق آخر هم : أولاد الطاهر بن محمد بن التهامى بن محمد بن عبد الله بن ابراهيم بن موسى

ابن الحسن بن ابراهيم بن عمر بن احمد بن سيدنا عبد الجبار بن محمد ابن يملاح بن مشيش بن أبى بكر . توفى مولاى عبد الله الشريف يوم الخميس 12 شعبان سنة 1089 هجرية ودفن بها وله مشهد عظيم مقصود للتبرك به وزيارته من طرف أحفاده وغيرهم من أهل المحبة فى أهل بيت النبى الكريم صلوات الله عليه وعليهم أجمعين ؛ ومن أجله صارت مدينة وزان مستقرهم الاصيل ؛ ومنهم من انتقل الى مدينة فاس ، وتطوان ؛ ومنهم من استوطن القبائل الى الآن .

أولاد حمـــدان

ومن أبناء عم من ذكر أولاد حمدان ؛ ومستقرهم الاصيــل قريــة الحصن ؛ ومنها انتقلوا الى قبيلة بنى ليث ؛ والى قرية تزروتن والخروب من القبيلة الحبيبية والى مدشر بوغنبيش من القبيلة الجرفطية ؛ وبها دار للسيد أحمد بن الحسين وبقبيلة بنى حسان داران للسيد التهـامى بـــن الحـــاج الهـــاشمـــى .

أولاد المـــودن اليمـــلاحيـــون

ومن أبناء عم من ذكر اولاد المودن اليملاحيون ؛ ولهم دار بقريــة ادياز ؛ ومنهم بقرية اوراغيل من بنى ليث وتمزار منها ايضا وافرطان كذلك منها أيضا ، وبقبيلة جبل حبيب ثمان عائلات فى ثمانية ديار ، وبمدشر الهار منها ايضا دار للسيد المهدى بن محمد وبقرية ميسرة من قبيلة بنى عروس داران لهم ، وبمدينة مراكش داران للسيد العربى بن على ، وبمكناسة الزيتون دار للسيد محمد بن محمد بالضم وبقرية احمايمـــون السريفيـــة وبقرية تيفلت بقبائل الشلوح فى مجاورة أبناء عمهم شرفاء أولاد مرون دار لرجل منهم اسمه الطاهر بن احمد اليملاحى ، ولا نعلم هل له عقب أم لا ؟

أولاد الصغيـــريـــن

ومن ابناء عم من ذكر اولاد الصغيرين ويدعون بناس ابراهيم ، ومستقرهم الاصلى قرية الحصن وتليامن ، وهم من اولاد عبد الغفار ، ويبتدىء عمود نسبهم كما عند ابن رحمون من اولاد أحمد بن عبد الله بـــن

محمد بن أحمد بن ابراهيم بن محمد بن موسى بن على بن محمد بن سيدنا عبد الغفار بن محمد بن يملاح بن مشيش بن أبى بكر الجد الجامع للنسبة العلمية ، ومنهم بخندق الحمراء السريفية ، والمعروف منهم السيد محمد بن محمد الصغير ، وبالقصر الكبير السيد على ، وعمهما السيد الطاهر البناء حرفة انقرض نسله ، ومنهم بمدشر حمايمون السريفية ، واما اولاد الصغيرين الذين هم بقرية خميس الساحل ، فانه وقع للشرفاء العلميين فيهم اضطراب فمنهم من أثبت ومنهم من نفى ، ومنهم من توقف ، وقد شهد بعض الثقات من الاشراف بصحة نسبهم ، ومن القواعد الشرعية أن المثبت مقدم على النافى .
وفى عصرنا هذا 1392 هجرية لم نزل نراهم يتعهدون ذكرى جدهم سيدنا محمد بن يملاح كل سنة فى شهر غشت الفلاحى وبعد الاحتفال يتوجهون فى حال سبيلهم مارين بين المداشر والقرى من قبيلة بنى عروس ، وهم فى جمع نساء ورجالا واطفالا والطبل يضرب عليهم من ورائهم . .ومنهم أولاد عبد السلام بتليامن ، ومنهم من انتقل واستوطن قرية أولاد عبد الله من قبيلة بنى زجل الغمارية ، ولهم داران بمدشر ماهر من القبيلة الجرفطية ، احداهما للسيد محمد بن أحمد الصغير والاخرى للسيد محمد بن موسى الصغير ، ومنهم اولاد اللحيانى ومستقرهم الاصلى قرية تزروت العلمية ، ولهم دار بمدشر أكلا من قبيلة بنى يوسف ، ولهم دار بقرية الصخرة الجرفطية للسيد احمد بن عبد السلام اللحيانى ، ولهم دار بقبيلة الساحل للسيد محمد بن رشيد اللحيانى ، وبتطوان السيد محمد بن الرزاق اللحيانى، وهناك طائفة متفرقة من أولاد اللحيانى الذين لا نسب لهم ومن هؤلاء بتطوان من يدعى اللحيانى وقد تصاهر مع الشريف السيد عبد الواحد بن عبد الوهاب اللحيانى العلمى ، وهو وجميع ابناء عمه فليسوا من اهل العلم بفتح اللام بل هم اخوان أهل الهار الحبيبى ، وابناء عم لمن هم بالريف بدوار العقدة من قبيلة قلعية ، واما الرسوم التى تحت أيديهم فلا عبرة بها لانها لا يثبت بها النسب اذ القاعدة المقررة عند شرفاء اهل العلم بالفتح هى ان كل فرع بمقره الاصيل يعرف افراده ويرجع اليه فيمن يدعى نسبهم اذا جهل أصله على الشرفاء العلميين ، واما اذا كان معلوما لديهم فلا يحتاجون الى الرجوع اليهم فى نفيه ، وكل من انقطع عن اصله وعن صلة رحمه فيه

حتى جهل أمره عند الخصوص والعموم ضاع نسبه من مجتمع أبناء عمه ، وان لم يضع مع الله ان كان صحيح الواقع ، وذلك موافق للاحاديث الواردة فى صلة الرحم منها قوله صلى الله عليه وسلم الرحم معلقة بالعرش من وصلها وصله الله ومن قطعها قطعه الله . ومنها من أراد أن ينسا الله له فى عمره فليصل رحمه . وهذا هو ضابط صحة النسب الشريف ، ومن ورائه الجمع العام ، وعلى رأسه كبار الشرفاء من أهل العلم والسن المرتفع . ومن وراء ذلك كله الاستفاضة العامة بين الذين ساكنوهم حينا من الزمن ؛ لانها من الاسس التى يعول عليها فى صحة النسب عندهم ، كما هى ضمانة صحيحة لهم يعول عليها فى اخراج الدخلاء من بين صفوفهم ، من الذين طالت أعناقهم واشرأبت نفوسهم الى ولوج هذا النسب الشريف الذى لا يجوز شرعا لغير أهله أن يدعيه ابتداء أو تقليدا لمن ادعاه كذبا وزورا وبهتانا.

أولاد ابـــن عمـــر اليملاحيـــون

ومن أبناء عم من ذكر أولاد بن عمر ، ومقرهم الاصلى قرية تزروت العلمية ، وعند مسكنهم بها توجد عين ماء بقبلة المسجد المعروف بجامع الشرفاء لاولاد ابن عمر اليملاحيين المذكورين ، وبالقرب من الطريق والخندق الجارية أوان الشتاء ، وينزل اليها من ارتفاع درجتين . قد كان الولـــى الصالح سيدنا محمد بن على فتحا يقول فى حال صحوه من الجذب من أراد أن يكون أحفظ الناس فليشرب من مائها ، وهو مجرب عندهم للحفظ والبركة. ومنها انتقل الى مدينة تطوان أولاد السيد عبد السلام بن أحمد المودن وبقبيلة زرهون دار للسيد المهدى بن عبد السلام المودن ، ومنهم من انتقل الى مدينة وزان . وهذه أسماء عائلاتهم المشهورة بينهم ، منها :

ــ أولاد السيد قاسم بن عمر اليملاحى وأبناء عمهم :

ــ اولاد السيد عبد السلام بن عمر اليملاحى وأبناء عمهم :

ــ أولاد بن سليمان اليملاحى ، بقرية تزروت ، وأبناء عمهم :

ــ أولاد افيداح بقرية تزروت ، أيضا وأبناء عمهم :

ــ أولاد الربيع بها أيضا ، كما يوجد بها أيضا أبناء عمهم :

ــ أولاد الشكريوى ، كما يوجد بها أيضا ابناء عمهم :

ـــ أولاد ابن الاشهب ، وبمدشر بوسرواس أبناء عمهم :

ـــ أولاد القاطى ، ويوجد بمدشر السلالم أبناء عمهم :

ـــ أولاد الدحمان ، ومعبم به ايضا أبناء عمهم :

ـــ أولاد ابن يعقوب ، وبقرية تزروت أبناء عمهم :

ـــ أولاد ابن محمد بالضم ، وبقرية الدشير أبناء عمهم :

ـــ أولاد عبد الرحمن ، ومنهم من خرجوا من مقرهم الاصلى قرية تزروت العلمية واستوطنوا قرية لهرة الجرفطية :

ـــ وهم يعرفون بأولاد الشاعر ، ولهم دار واحدة بها كما ذكرنا ذلك فى الديوان القديم ، ومعرفتهم بها بطريق الاستفاضة ، وشهادة من يعرفهم من ابناء عمهم الاقربين ، وممن خرج منهم أيضا عن اصل سكناه بالحرم العلمى دار بمدشر الجبيلة الفحصية القريبة من اشقار للسيد محمد بن التهامى الربيع ، ولاولاد الدحمان دار ببنى عمار بقبيلة الاخماس للشريف السيد الطاهر بن احمد ، كما لهم بعين معبد العروسية ، ثلاثة ديار ، دار للسيد عبد السلام بن محمد الربيع ، ودار لابن عمه السيد ادريس بن الهاشمى ، ودار لابن عمهما السيد محمد بن الطاهر واربعة ديار بصاف الاخلاف السريفية ، دار منها للشريف السيد الحسين بن عبد الله ودار للسيد على بن عمر ، ودار للسيد محمد ، ودار للسيد عبد السلام بن محمد ، ولاولاد بن يعقوب دار بمدشر الملعب من سماتة ، للسيد قاسم بن محمد ، وبعين الزياتن الزكارية دار للسيد محمد بن محمد ، وأما عائلة أولاد ابن محمد بالضم ، وهو مستوطن فرقة بنى زرويل الخمسية ، وتوجد دار واحدة لاولاد عبد الرحمن بقرية بنى يحيى اليوسفية . للشريف السيد التهامى بن محمد بن عبد الرحمن وبمدشر ماهر الجرفطى دار للسيد محمد بن محمد ، وتوجد دار اخرى بمدشر الخربة من قبيلة سماتة للسيد محمد بن محمد ابن عبد الرحمن .

ويتلخص البيت اليملاحى من العائلات فيما يلى :

1 ـــ الوزانيون أولاد مولاى عبد الله الشريف وأبناء عمهم :

2 ـــ أولاد حمدان وأبناء عمهم .

3 — أولاد المودن اليملاحيون وأبناء عمهم .

4 — أولاد الصغيرين وأبناء عمهم .

5 — أولاد ابن عمر ، اليملاحيون وأبناء عمهم .

6 — أولاد السيد قاسم بن عمر اليملاحيون وأبناء عمهم .

7 — أولاد السيد عبد السلام بن عمر اليملاحيون وأبناء عمهم .

8 — أولاد ابن سليمان اليملاحى وأبناء عمهم .

9 — أولاد اغيداح بقرية تزروت وأبناء عمهم .

10 — أولاد الربيع بها أيضا وابناء عمهم .

11 — اولاد الشكريوى بها أيضا وأبناء عمهم .

12 — اولاد بن الاشهب بها أيضا وأبناء عمهم .

13 — أولاد القاطى بقرية السلالم ، وأبناء عمهم .

14 — أولاد الدحمان بقرية السلالم أيضا وأبناء عمهم .

15 — أولاد ابن يعقوب بقرية تزروت ، وأبناء عمهم .

16 — أولاد ابن محمد الشريف بقرية بنى زرويل بالاخماس وأبناء عمهم

17 — أولاد عبد الرحمن ومقرهم الاصلى قرية تزروت ، وابناء عمهم .

18 — أولاد الشاعر ولهم دار واحدة بقرية لهرة الجرفطية وابناء عمهم

19 — اولاد اللحيانى بقرية تزروت العلمية .

وهنا انتهى الكلام على أولاد الولى الصالح سيدنا مشيش دغيـــن اغيل بن ابى بكر الجد الجامع للنسبة العلمية .

ثم ننتقل الى الكلام على اخوته الاربعة وبنى أعقابهم للاحاطة بشرفاء أهل العلم ، مبتدئا منهم بأبناء الولى الصالح والهدى الواضح سيدنا يونس ابن أبى بكر .

بيت سيدنـــا يونس بن أبى بكر

قد خلف الولى الصالح سيدنا يونس بن أبى بكر الذى ذكرت ترجمته

فى عداد اخوته ، ولدين ذكرين وبنتين : فاطمة وزوجها من ابن أخيه الحاج موسى وخديجة وزوجها أيضا من ابن أخيه الاصغر القطب « الشيخ مولانا عبد السلام » وجميع أولاده منها وقد تقدم الكلام عليها ، اما الولدان المذكوران فهما : 1 — سيدنا عبد الله بن الولى الصالح سيدنا يونس بن أبى بكر الشريف العلمى الادريسى الحسنى و 2 — سيدنا عبد الرحمن بن الولى الصالح سيدنا يونس بن أبى بكر المذكور ، رضى الله عنه .

بيت سيدنا عبد الله بن سيدنا يونس

قد خلف سيدنا عبد الله اليونسى المذكور ابنا واحدا اسمه محمد ومنه عقبه قال : حفيده المؤلف : سيدى محمد بن الصادق الريسونى اليونسى رحمه الله الموجود منهم الآن 1191 هجرية المعروفون بشهرتهم العائلية : الشرفاء :

أولاد ابن ريسون

وهم أولاد الولى الصالح والنور الواضح العارف بالله تعالى سيدنا محمد فتحا بن على دفين قرية تزروت العلمية مقرهم الاصلى بجوار المسجد الجامع وعليه هناك مشهد عظيم فهو مزارة عظيمة لاهل الخير والصلاح ، المشتهر بلقب بن ريسون ، قد خلف الولى الصالح المذكور من الاولاد الذكور ثلاثة عشر رجلا ، وعقبه من خمسة منهم . وهم أهل النسب المرفوع الى النبى صلى الله عليه وسلم فالولى الصالح المذكور هو سيدنا محمد بفتح الميم بن على بن عيسى المكنى أبا مهدى بن عبد الرحمن بن الحسن بن موسى ابن الحسن بن عبد الرحمن بن على بن محمد بن عبد الله بن يونس بن ابى بكر الجد الجامع للشرفاء العلميين .

والمعقبون هم : 1 — أبو مدين بن محمد الغالى بن أبى مدين بن عيسى ابن محمد بن على فتحا ، و 2 — أحمد بن على بن محمد بن على بن الحسين ابن على زين العابدين بن الحسين بن محمد بن على فتحا ، و 3 — محمد الطاهر بن الوافى بن عبد الله بن محمد بن على فتحا ، و 4 — الطاهر بن التهامى بن الوافى بن القروانى بن محمد بن على فتحا ، و 5 — أبو المواهب ابن أبى المواهب بن الحسن بن محمد بن على فتحا ، وأما أخوه المكنى أبا

زيد سيدنا عبد الرحمن بن على الحامل للقب بن ريسون فانه مات أعـــزب ودفن بأعلى قرية تزروت العلمية ؛ وقد ترجم لهما ابن عسكر فى دوحة الناشر وريسول اسم امهما ؛ وكانت من المومنات الصالحات . وكانا رحمهما الله تلميذين للعارف بالله تعالى مولاى عبد الله الغزوانى ؛ ومن حكياتهم عنه انه كان يقول لاتباعه فى المعرفة بالله : الهبطى للكلام ؛ والتليدى للطعام . ومولاى عبد الرحمن الشريف ياقوتة تضيء فى جبل العلم .

أولاد مـــرســـو

ومن أبناء عمهم أولاد مرسو ومستقرهم الاصيل قرية الحصن . ومنها انتقلوا الى قرية اغيل الخربة منذ نيف و 50 سنة عهد الاحتلال الاسبانى . والى أبى علقمة والى قرية الحارش . والى قرية طردان ؛ والى قرية عين الحديد ؛ ودار بن راطية ومدشر اغنيش من قبيلة بنى جرفط وقرية العيون . وسعدانة منها أيضا وبفرقة الخطوط منها أيضا ؛ والى دشر احريق الحبيبى؛ وتوجد دار بدار اكلو للسيد الطيب بن عبد الرحمن مرسو ؛ ورجل من اهل العمود بفحص طنجة هو السيد محمد بن على مرسو ؛ والى مدشر العيون بفتح الواو اليدرى ؛ والى مدشر الزيتونة منها ؛ والى مدشر بوحذيفـــة الحبيبى ؛ وبه دار للسيد محمد بن الهاشمى مرسو ؛ وقد كان لهم فيما سلف دار بالحجرة الحبيبى ؛ ومنه انتقلوا لقرية دشر احريق ؛ وكانت لهم دار بحومة تمزجيدة ؛ مع افرنو السفلى ومنها انتقلوا الى قرية العيون اليدرية . وقد رفع عمود نسبهم الولى الصالح ابن عمهم سيدى محمد بن على فتحا ؛ وقد وجد بخط أولاد مرسو بالسين المهملة ؛ هم : أولاد السيد الحســـن ابن موسى بن سليمان بن مبخوث بن عبد الرحمن بن ابراهيم بن على الجد الجامع لهم مع أبناء عمهم أولاد بن ريسون بن عيسى ابى مهدى بن عبد الرحمن بن الحسن بن موسى بن الحسن بن عبد الرحمن بن على بن محمـــد ابن عبد الله بن الولى الصالح والبدى الواضح سيدنا يونس بن أبى بكر الجد الجامع للنسبة العلميـــة .

أولاد المـــودن اليـــونسيـــون

ومن أبناء عمهم أولاد المودن ؛ ومقرهم الاصلى قرية دار الحيط ؛ ومنها

انتقلوا الى قرية الحارش ، والى قرية ميسرة ، والى قرية الاحرش الجرفطية ودار الصف بها أيضا ، وبالاحرش خمس ديار لهم ، وبمدشر ماهر منهما داران ، وبقرية الخطوط لهم داران أيضا بها ، ولهم دار واحدة بقرية الصخرة منها أيضا ، ولهم داران بقرية اكرسان من قبيلة سماتة ، ولهم دار واحدة بقرية بنى يحيى اليوسفية ، ولهم ثلاثة ديار أيضا بمدينة تطوان ، وهم المعول عليهم فى معرفة أبناء عمهم طبق الضوابط المقررة عند أهل النسب العلمى ، ومنهم دار بزاوية سيدى محمد المودن بقبيلة الغربية .

أولاد ابـــن رحمـــون

وأبناء عمهم أولاد ابن رحمون أولاد الولد الثانى المسمى عبد الرحمن ابن الولى الصالح سيدنا يونس بن أبى بكر الجد الجامع للنسبة العلمية ، ومقرهم الاصلى قرية تزروت العلمية حيث مدفن جدهم الذى ينتهى اليه نسبهم وهم أولاد الفقيه الاجل سيدى محمد بن عبد الرحمن بن على بـــن عبد الرحمن بن عبد الرحمن مكرر ، بن أحمد بن عبد الرحمن ، بن الولى الصالح والهدى الواضح سيدنا يونس بن أبى بكر الجد الجامع ومنهم من انتقل الى قرية أبى زهرى ، والى مدشر المصابحة من قبيلة رهونة ولهم به دار واحدة للسيد الهاشمى بن محمد بن رحمون ، وله ثلاثة أولاد الآن 1191 للسيد محمد والسيد أحمد وهما رجلان ، والسيد عبد الله وهو لا يزال طفلا صغيرا . وبمدينة تطوان دار الفقيه العلامة النسابة العدل مؤلف كتـــاب شذور الذهب فى علم النسب الادريسى ، والانجم الزاهرة فى الذرية الطاهرة فى النسب العلمى ، وهو الفقيه أبو عبد الله سيدى التهامى بن محمد المدعو « ابن رحمون » بن امحمد فتحا بن على بن محمد بن محمد بن عبد الرحمن الملقب برحمون بن محمد بن محمد بن على بن على مكرر بن عبد الرحمن ابن عبد الرحمن مكرر بن عبد الرحمن بن عبد الرحمن مكرر أربع مرات ، ابن احمد بن احمد مكرر أيضا بن عبد الرحمن بن الولى الصالح والهدى الواضح سيدنا يونس صاحب الترجمة بن ابى بكر الجد الجامع للنسبـــة العلمية . وباقى النسب معلوم ومنهم ابن عمه الفقيه العدل السيد عبـــد السلام واولاده واولاد اخيه ، والفقيه العالم سيدى الطيب بن محمد بـــن المهدى بن محمد بن أحمد بن رحمون ، وابن عمهم السيد محمد بن محمد

المعروف بالفاسي ، وابن عمهم السيد المهدى بن عبد العزيز بن المهدى المذكور ، وصنوه السيد احمد ، ولهم دار واحدة بثغر آزمور ، للسيد احمد ابن الصغير بن محمد بن اخى السيد التهامى المذكور ، وله بها أولاد عدة ، ومن أبناء عميم ثلاث عائلات :

ـــ أولاد الشلوشي ، ومن أبناء عمهم .

ـــ أولاد مهدى بقرية القراقرة السريفية وأبناء عمهم .

ـــ أولاد بن يونس أيضا بقرية القراقرة السريفية أيضا .

وأما المعروفون بأولاد مرسو فى مدينة القصر الكبير ، الذين منهم مقدم الولى الصالح سيدى على بن أبى غالب ، المدعو السيد أحمد مرسو فان أولاد مرسو العلميين يجهلونهم ولم يثبت نسبهم الى سيدنا يونس لا قديما ولا حديثا ، وعليه فليس لهم فى النسب العلمى الا المشاركة فى الاسم لاهله فقط كسائر نظرائهم الموجودن داخل النسب العلمى .

ويتلخص البيت اليونسى فيما يلى من العائلات :

1 ـــ أولاد ابن ريسون وأبناء عمهم .

2 ـــ أولاد مرسو وأبناء عمهم .

3 ـــ أولاد المودن اليونسيون وأبناء عمهم .

4 ـــ أولاد ابن رحمون وأبناء عمهم .

5 ـــ أولاد الشلوشي ، وأبناء عمهم : وهؤلاء غير سالمين من الطعن .

6 ـــ أولاد مهدى وأبناء عمهم .

7 ـــ أولاد ابن يونس وأبناء عمهم .

8 ـــ أولاد اللبانى ، وأبناء عمهم : بريف الواديين ، وأولاد عمهم .

9 ـــ أولاد القرقرى ، نص على هذين الاخيرين العلامة ابن رحمون فى شذور الذهب ثم ننتقل الى ذرية أخيه سيدنا على الميزنى .

بيت سيدنا على بن أبى بكر

قد خلف الولى الصالح سيدنا على بن الولى الصالح سيدنا أبى بكر

الجد الجامع للنسبة العمية . الذى ذكرت ترجمته فى عداد اخوته ، ثلاثة أولاد ذكور ، ذكروا بألقابهم هم : أخريف ، ومعلى ، وزروق ، وكلهم لهم عقب.

أولاد اخـــريـــف

وأما أولاد اخريف فهم أبناء عم لمن ذكر ، ومستقرهم الاصلى قرية دار الحيط فى قبيلة بنى عروس ، ومنها انتقلوا الى قرية الحارش ، وبوعلتمة وقرية ظهر جعادة ، وقرية مجمولة ، وبقرية ميسرة دار للسيد العربى بن احمد اخريف ، ولهم دار بقبيلة بنى جرفط للسيد على بن محمد اخريف ، ولهم دار بقبيلة بنى سعيد للسيد قاسم بن على اخريف ، وبمدينة تطوان دار للسيد محمد بن عبد الله اخريف ، وبقرية بوحمحى دار للسيد محمد بن محمد بن على اخريف ، وبقبيلة سماتة ، وبقرية غيروزيم الخمسية دار للسيد محمد بن على اخريف .

أولاد معلـــى

وأما أبناء عمهم أولاد معلى فمقرهم الاصلى قرية دار الحيط أيضا ، ومنها انتقلوا الى قرية أبى زهرى ، والى أبناء عمهم بقرية ظهر جعادة ، وبها دار الفقيه السيد ادريس ، ومنهم بمدشر الجزيرة اليوسفية ، دار للسيد محمد بن أحمد معلى ، وبمدشر بوجبل دار للسيد احمد معلى ، وبقرية غيروزيم دار للسيد ادريس معلى .

أولاد زروق

وأما أبناء عمهم أولاد زروق ، ومقرهم الاصلى قرية دار الحيط ، ومنها انتقلوا لقرية ظهر جعادة ، ولهم بها دار للسيد محمد زروق ، ولهم دار بأغرنو الاعلى للفقيه السيد محمد زروق ، وبقرية مجمولة دار للسيد محمد ابن الطيب زروق ، ولهم دار بقرية مجازليين هى للسيد الفضيل بن المهدى زروق ، ولابن عمهم السيد الهاشمى دار بقرية تزروت العلمية ، ولهم دار بمدينة تطوان لابن عمه السيد محمد زروق اه .

بيت سيدنـــا أحمـــد بـــن أبـــى بكـــر

قد خلف الولى الصالح سيدنا أحمد بن أبى بكر الذى ذكرت ترجمته

فى عداد اخوته ولدا واحدا وله فرع واحد ويعرفون بأولاد القمور ، ومقرهم الاصيل قرية الحصن ، ومنها انتقلوا الى القصر الكبير . ولهم به سبع ديار ، ولهم الآن — عصر المؤلف — ثلاثة ديار بفاس لثلاثة رجال ، هم : الفقيه السيد قاسم بن احمد القمور . بدرب الطويل . وابن اخيه السيد الطاهر بن عبد الرحمن ، والسيد الحاج العربى بن قاسم . ودار السيد محمد بن موسى . ولهذا واخيه السيد احمد بن موسى داران بقرية ميسرة . وبقرية عين الحديد دار للسيد محمد بن عيسى القمور وللسيد على بن محمد المسن دار بقرية عين معبد . وقد انتقل اليها من قرية دار اللماعى المصورية، ولاخيه السيد محمد بن الحسين القمور دار بقرية عين زيانة ولهم أربع ديار بقبيلة بنى أحمد من قبائل صنهاجة ، منها دار للسيد الهاشمى بن الطاهر القمور . ودار لاولاد اخيه . ودار للسيد محمد بن الهاشمى القمور . ودار للسيد محمد بن على القمور .

ومـــن أولاده أولاد أحمـــد

وبمدشر أورغازن بالقبيلة اليوسيفية . أولاد أحمد ومنهـــم بمدشر العنصر ومنهم بمدشر بوبرقاق ، ومنهم بمدشر عين كلبة ، ومنهم بمدشر كندامس ، وسيدى أبـــى مغـــرة . مـــن القبيلـــة السريفيـــة ولهم دار أيضـــا بمدشر صف خمســـين من القبيلة الجرفطيـــة ، للسيد على بـــن قاسم واولاده ، ومنهم السيد محمد فتحا بن محمد فتحا له دار بقرية تزروت العلمية ، وبها أيضا دار لابن أخيه السيد أحمد بن الهاشمى ، ولهم دار أيضا بمدينة وزان ، قد انتقل اليها أحد الاربعة ديار المذكورين بقبيلة بنى احمد ، وهؤلاء المذكورون من أولاد القمور ، وأولاد أحمد ، وقع فيهم خلاف شهير بين الاشراف العلميين ، فمنهم من يقول ان نسبهم عيشونى من أولاد سيدى قاسم بن ادريس الثانى ، ومنهم من يقول ان نسبهم علمى ، وينتهى لسيدنا احمد بن أبى بكر المذكور ، مع القطع التام والجزم العام انهم شرفاء أدارسة ، وليس هناك شك فى نسبهم ، وقد رجعوا الى القول المشهور ، وهو انهم من أولاد أحمد المذكور ، والى هذا ذهب جميـــع النسابـــين العلميـــين المتأخـــريـــن .

ويتلخص بيت السيد أحمد المذكور فى عائلتين اثنتين ، همـــا :

1 ــ أولاد القمـور .

2 ــ وأولاد أحمـد .

بيت سيدنـا محمـد الملهـى فتحا بن أبى بكـر

قد خلف الولى الصالح سيدنا محمد الملهى بالالف المقصورة لقبا بن أبى بكر الذى ذكرت ترجمته فى عداد اخوته ، ولدا واحدا ، وليس له الا فرع واحد وقد اغفل ذكر مقرهم الاصلى من قبيلة بنى عروس ، ومنهـم اولاد الحداد المنتقلون الى مدشر تاكنت الجرفطى ، ولهم به ثلاثة ديار ، منها للسيد محمد بن الحسين بن قاسم بن على ، ودار لاخيه السيد عبد السلام ، ودار لابن عمهم السيد محمد بن الطاهر بن قاسم المذكور ، قال المؤلف : وفى ديوان النقيب العلامة سيدى على بن عبد السلام بن عبد الوهاب الذى تقدمت ترجمته فى الكلام على أهل قرية أفرنو السفلى مـا نصه : وكان ممن صحت نسبتهم فى قبيلة آل سريف وسلمته القبيلة المذكورة، يعنى بنى عروس ، بموجب شرعى ، اولاد عبد المجيد بقرية عين السمن ، ومنهم بعين مرداز ، وعددهم أحد عشر دارا ، الـى أن قال : وأولاد الحداد أربع ديار بمدشر المنجرة ، منها دار للسيد الحسن الشريف الملهوى، وأخيه السيد على ، وداران آخران بمدشر تفر من القبيلة السريفية وهما للسيد عمر ، والسيد عبد الرحمن ، والسيد محمد بالما ، ولهم أربع ديار بالقصر الكبير ، منها دار للسيد سليمان ، ودار للسيد عزيـز ، وداران لاولاد عمهم السيد أحمد بن الحسن ، اه . ومثله فى ديوان النقيب الصادع بالحق العلامة سيدى عبد القادر الشهير ببن عبو الشبيهى الجوطـى القاسمى المكناسى . ولا بد من البحث على هؤلاء المذكوريـن بآل سريف والقصر الكبير .

هل بقى منهم أحد الآن ــ عصر المؤلف ــ أم لا ؟ اذ لا علم عندنا بحقيقة أمرهم ، ولا سبيل لاثباتهم الآن ، ولا لنفيهم ، الا بعد البحث التام عنهم والله الموفق الهادى الى سبيل الحق والصواب ، عليه توكلت واليه أنيب ، وهو حسبى ونعم الوكيل . وبه انتهى الكلام على الاولاد المعقبين من ذرية الولى الصالح والهدى الواضح سيدنا أبى بكر بن على الجد الجامع لنسب الشرفاء العلميين . قاله مقيده : العبد الفقير المذنب الجانى علـى

نفسه المرتجى عفو ربه عن سوء كسبه « محمد بن محمد الصادق » بن ريسون اليونسى العلمى الادريسى الحسنى ، غفر الله له ولدالديه ، ولاشياخه ، ولاحبائه ، وللمومنين والمؤمنات الاحياء منهم والاموات . وقد انتهى والحمد لله ما أردناه من تقييد الشرفاء العلميين ، وتتبع فروعهم ومساكنهم ، وذكرت كل فرع على ما هو عليه وأشرت الى كل من نبذت دعوته ، ودحضت حجته ، وقد اعتمدت فى ذلك على الفضلاء المحققين . والنبهاء المارسين ، من الاشراف المعتنين المذكورين جعله الله من العمل المقبول ، وبلغنا به غاية المطلوب والمامول ، اذ هو المرتجى والمسؤول ، والحمد لله رب العالمين ، وكان الفراغ منه فى ذى القعدة الحرام سنة 1191 هجرية . قال فى مرآة المحاسن : هذا ما انتهت المعرفة اليه ووقع التوفيق من أهل العلم عليه ، من الشجرة الطيبة الشماء ، التى أصلها ثابت وفرعها فى السماء ، بوأنا الله من كنفها مقعدا شريفا ومد علينا من ظلالها ظلا وريفا . وليس فى المغرب فيما نعلمه من الادارسة من يبلغ فى صراحة نسبه مبلغ أهل العلم ، والجوطيين وهم أولاد يحيى الجوطى بن محمد بن يحيى العوام بن القاسم بن ادريس ، وهذا هو ما عند ابن خلدون ، وقال غيره يحيى الجوطى هو ابن القاسم ، والقاسم هذا هو دفين شاطىء البحر المحيط الاطلسى سواحل طنجة والجوطى نسبة الى جوطة بضم الجيم وبالطاء المهملة قرية كانت على نهر سبو بالعدوة الجنوبية منه ، نزلها يحيى الجوطى بن محمد بن يحيى العوام نسب اليها ودفن بها وقبره مشهور بها .

فتوى العلامــة الحــاج أحمد الرهونى التطوانى
فى الزجــر عــن بغض آل البيت

ولما كثر البغض الناشىء عن داء الحسد ، وانتشر فى السواد الاعظم من الامة ، واشتغل الغاوون بلمز أهل البيت والطعن فيهم وفى أعراضهم ، وسوق كل رذيلة اليهم ، وارادة السوء بهم والانتقام منهم ، والتنقيص من قدرهم من اجل المكر بهم من طرف الحاقدين عليهم المحرضين فى كل ناد وترحال ، ولن يكون السبب فى ذلك الا انهم لم يقتنعوا بمقامهم فى الاسلام ، ولم يجدوا الى ولوج مقامهم سبيلا ، ولذلك قد فضل البعض منهم انتحال دعوة النسب الشريف وفضل أن يعيش حياته تحت الاسم المزور ، فى لعنة

من الله بنص السنة وليس عليه ماذا يكون الجزاء وراء ذلك ، وقد كان عليه أن يراجع نفسه ان لم يكن دنيء الهمة ، ويتقي الله في الانتساب الى النبي صلى الله عليه وسلم كاذبا ، وليقنع برضى الله وتقوى الاسلام فانهما لمن اكبر نعم الله على عبده ومن اجل ذلك كان النسب وحده لا يغنى صاحبه من عقاب الله ، نعم اذا اراد الدخول في النسب والكون من أهله فلا بد من حبهم حبا صادقا يعلمه الله عنه ويقبله منه ، وتلك هي طريقة سلمان الفارسي التي تقدم الكلام عليها القائل لما سئل عن نسبه أنا سلمان ابن الاسلام .

ومن ثم لما رأى العلامة المذكور انتهاك حرمة النبي صلى الله عليه وسلم من طرف من ذكر ، وعدم مراقبة الله تعالى والخشية منه في مراقبة حقوق أهل البيت الكرام ، ومراعاة حرمتهم ، وعدم القيام بما يجب له صلى الله عليه وسلم نحو آل بيته الاكرمين الطاهرين ، ورجا ان لو تحقق ما يرجوه من مجرد الكف عن بغضهم وارادة الحاق السوء بهم واذايتهم ، والاضرار بهم وبمصالحهم، نصح لكل من تمسك بالاسلام دينا وهو محسن بفتواه القيمة في الزجر عن بغض آل بيت النبي صلى الله عليه وسلم مبينا ما جاء نصا في احترامهم عن شريعة الاسلام فقال رحمه الله : الحمد لله كما ينبغي لجلاله ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد خير أنبيائه وارساله ، وعلى صحابته الاكرمين ، وآله الواجب تعظيمهم مدى بكور الدر وآصاله ، أما بعد فقد ثبت بموجب الثبوت شرف السادات المذكورين أعلاه ، ونسبتهم الطاهرة ، فيجب على كل مسلم أن يعرفهم ويحترمهم ويعظمهم ، وتحرم اذايتهم بكل وجه ، ومن اذايتهم تلقيبهم بغير لقبهم المشهور الذي يشهد لهم به من خيار بلادهم الجمهور ، ومن آذاهم بذلك او غيره ، فقد تعرض لغضب الله وسخطه ولعنته ، وغضب أشرف رسل الله وصفوته ، ويجب زجرهم عن ذلك بما يكون رادعا لهم ، وللعصاة أمثالهم ، ويجب عليهم في أنفسهم التوبة من هذا الامر العظيم الموجب لهم في الدنيا والآخرة الخزى الجسيم ، فالويل ثم الويل لهم مما ارتكبوه من هذه الرذيلة العظمى المؤذنة بعدم سلامة عقيدتهم وانهم في ظلمة وعمى اذ بدلوا محبة آل البيت الواجبة عليهم وعلى كل مسلم بالكتاب والسنة والاجماع ، بأن قابلوهم بلقبهم بما ينقصهم ، ويوجب لهم

مع طول الزمن النزاع ، فمن الكتاب قال الله تعالى : قل لا أسألكم عليه اجرا الا المودة فى القربى » اى لا أسألكم على تبليغ القرآن اجرا ، لكن اسألكم ان تودوا قرابتى . وقال عليه الصلاة والسلام : من أهان قريشا أهانه الله) وقال عليه الصلاة والسلام لآل بيته : والله لا يدخل قلب رجل الايمان حتى يحبكم لله ولقرابتكم منى) وقال عليه الصلاة والسلام : الله الله فى اهل بيتى فقال له أصحابه : من آل بيتك يارسول الله ؟ فقال صلى الله عليه وسلم : اهل بيتى ذرية « فاطمة » الى يوم القيامة . فمن أحبهم فبحبى أحبهم ، ومن أبغضهم فببغضى أبغضهم ، أى بغضه اياى أبغضهم) وقال عليه الصلاة والسلام : من مات على بغض آل محمد لم يرح رائحة الجنة) فويل لمن تعرض لاذاية هؤلاء السادات ، بما شهد عليه بمحو له ، ثم ويل له، وكل من ارتكب ذلك ولم يتب فهو فاسق سوء ، لا تقبل له شهـــادة ولا امامة ، ولا يسلم عليه . ولا يصلى عليه أهل الفضل والدين ان مات ويجب على من ولاه الله أمر المسلمين أن يزجرهم بالضرب والسجن ان لم يرجعوا حتى يرجعوا ويتوبوا أو يموتوا فى السجن ، وكل ذلك قليل فى حق مـــن يؤذى آل رسول الله صلى الله عليه وسلم . الذى لا ايمان لمن لا يكون عنده أحب اليه من نفسه وماله وولده والناس أجمعين ، رزقنا الله محبته الكاملة ، ومحبة آله كذلك حتى يميتنا عليها يارب العالمين . قاله وكتبه عبيد ربه : أحمد بن محمد الرهونى وفقه الله بمنه آمين .

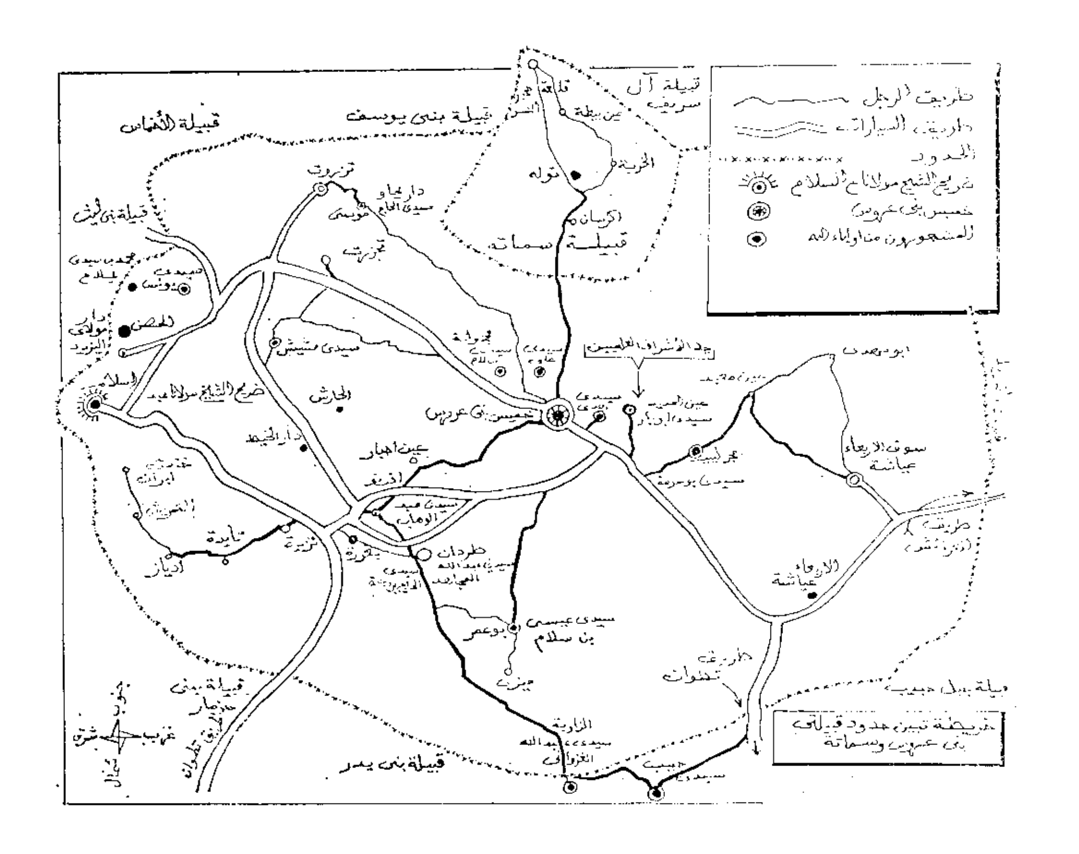
مهيـــع الوصول لربط الفـــروع بالاصـــول

ان ذرية الشيخ مولانا عبد السلام الحالية التى تقدم الكلام علـــى ربط فروعها بأصولها تعيش الآن على رأس القرن الرابع عشر للهجرة فى فترة وركود ، وظلم وأمية وجهل ، وقد تناءت فيه فروعها عن أصولها بنحو ستة اباء لمدة قرنين من الزمن ، لم يأبه بها أحد فى تجديد نسبها وتصفيته واحصائه منذ العلامة سيدى محمد بن الصادق ، وقد اكد علينا كتابة هذا التاريخ المجيد ان نبذل كل ما فى وسعنا حتى نحصل علـــى ربط الفروع بأصولها ، وقد انجزت من ذلكما هو مسطور فيما سبق فكل عائلة وافتنى بعمود نسبها فقد اثبته حرفيا كما بلغنى عنها ، وقد استعنت فى ذلك بمـــا كتبه العلامة سيدى التهامى بن رحمون فى جرائد كتابه ، حتى كدت أستوعب

وصول جميع العائلات العلمية بأصولها ، الا قليلا منها ، ولم أدخر فى ذلك وسعا سعيا وراء تحقيق هذا الغرض النبيل وكان للاوائل فى هذا الشأن اتصال بالامراء الذين كانوا يمدون لهم يد المساعدة ابتغاء تحقيق الغرض المقصود من هذا الشأن ، الذى كان يعتبر جزءا من الدين ، فى هذا الوطن العزيز ، وقد انصرفت اليوم الهمم عن هذا الاتجاه وتبـدلت الاشخاص بالاشخاص والوجوه بالوجوه ولم يعد هناك من يفكر فيه لا من هؤلاء ولا من أولئك ، وقد ظل الحال على هذا مدة قرنين من الزمن لم أر فيه من حرك قلمه فى هذا الموضوع أو سعى فى الحصول على شىء منه ، ولربما كان السبب فى ذلك راجعا الى فقد المغرب استقراره مع ما لحقه من عقود بنود الحماية مع العدو المحتل وظل المغرب حقبة من الزمن يحكمه أعداؤه فى الملة والدين ، فشوهوا معالمه الاسلامية التاريخية ، وصاروا يبنون لانفسهم ودنياهم ، كان الارض أرضهم ، والدنيا ملك لهم ، ولم يغادروا أرض المغرب الا بعد أن تأكدوا ان الشجرة التى غرسوها اعطت أكلها أحسن مما كانوا ينتظرون وكان لهم فضل التأسيس ولاهل المغرب البناء ، وقد نتج عن ذلك ما نشاهده اليوم من سب الدين ومحاربة ما بقى من دين الاسلام بيـن أهله ودياره من طرف من كان آباؤهم أهله بالامس ، وهم يريدون الاطاحة لا قدر الله بدار الاسلام ، التى بنتها يد أجدادهم بالكفاح المسلح منذ اثنى عشر قرنا من الزمن فى هذا الاقليم العزيز من أرض المغرب الكبير ، واتلاف راس مالها الذى كان فيه عصمة أمرها دنيا وأخرى سعيا وراء الغير فى مدنيته الكاذبة الساحرة ، فويل للذين بدلوا دينهم الذى فيه عصمة أمرهم ، واختاروا العاجلة الجاهلية على حياة ضمنت لهم سعادة الدنيا والآخرة فى ظل العزة والكرامة ، ونظرا لهذه العوامل المتكررة المتجددة ناءت بنـا الظروف فلم نستطع الوصول ولا الاتصال بأهل القدرة الذين فى وسعهم ان يسهلوا لنا ما أردناه من تحقيق رغائب فى هذا الموضوع الخطير ، ومن اجل العجز ساهمت فيه بما تيسر لى من الفكر ، والعزم ، والعمل الفردى تحقيقا لما لا يمكن كله ، لا يترك جله ، فاتصلت بما أمكننى الاتصال به من ابناء عمى وطلبت لهم ما تحت أيديهم من حجج ابتغاء تحقيق الغرض المقصود الذى هو ربط فروعهم بأصولها اقتداء بالسلف الصالح من العلماء والنقباء الساهرين على تحصين النسب النبوى الشريف ، صيانة له من دخول غيره

فيه واختلاط أمره ، فوجدت الطريق عندهم معبدا لا صعوبة فيه ولا التواء ، الا انه فى حاجة الى مزيد الوقت الكافى الى نهاية الغرض المطلوب ، ثم رتبت العائلات العلمية ، وربطتها بالمشاهير من رجالها الابرار رضوان الله عليهم ، ثم وجدت نفسى فى حاجة الى التنصيص على الدخلاء الجدد فأقول : انه لا عبرة شرعا وعقلا بالمندمجين فى عائلات النسب الثابت الواضح المتصل عموده بالنبى صلى الله عليه وسلم ، اذ لا معول عليه ولا التفات اليه ، ولو كان بموافقة تلك العائلات التى وقع فيها الاندماج لا سيما هذا الاندماج ينكره عموم الشرفاء القاطنون فى بنى عروس فهو غير مسلم من طرفهم ، وقد تقدم فى ضابط ثبوت النسب انه متوقف على تسليم عموم الشرفاء المذكورين ، واستفاضته بين المتساكنين معهم ، والمتساكنون لا يعرفون لهم نسبا لا فى القديم ولا فى الحديث . ومن ذلك ما فعله شرفاء اولاد افيلال واصهارهم أبناء عمهم أولاد الطريبق ، الذين ادخلوا عليهم فى نسبهم جميع من كان يدعى دعوة نسبهم حتى من شهدت جميع دواوين النسب العلمى بنفيه ، من الذين ظل الباب موصدا فى وجههم الى عهد فاتح الاستقلال 1376 هجرية 1956 م فان عموم شرفاء القبيلتين سماتة وبنى عروس الشناتفة وأولاد بن عبد الوهاب وغيرهم مـن ابناء عمهم العلميين كلهم لن يوافقوا ولم يوافقوا علىثبوت نسب من يعرفون بالاشياخ اهل قرية بوحمصى من قبيلة سماتة وابناء عمهم أهل الخطوط من القبيلة الجرفطية ، وكذلك من يعرفون بالبغاغرة فى قبيلة بنى يدر ، لان هؤلاء كانت لهم دعوة فى النسب قديمة ، ولم تثبت عند شرفاء القبيلتين فأوصدوا باب الاعتراف بدعوتهم احقابا طويلة من الزمن الى العهد المذكور عهد التفسخ والانحلال الاخلاقى والدينى والاجتماعى ، ففى سنة 1391 هجرية ق 1971 ميلادية ظهر نسب هؤلاء بين شرفاء اولاد افيلال الفلالسيين واصهارهم اولاد الطريبق البغوريين وعمروا معهم حفلة جدهم سيدنا أحمد بن الشيخ مولانا عبد السلام التى تقام فى شهر غشت من كل سنة ، ومن ثم خرجوا بعد تمام الحفلة المذكورة ، وصعدوا الى ضريح القطب مولانا عبد السلام ، ثم وثبوا على أمين الفتوحات وطلبوه بحظهم فنفاهم وقام من كان حاضرا

من شرفاء السكان ، واكدوا نفيهم بحجة انهم لم يعرفوهم أبناء عمهم ، وكاد يقع الضرب بينهم ثم وثبوا على الامين وانتزعوا منه ما كان عنده فى حقيبته قسرا وذهبوا فى حال سبيلهم ، ونظرا لانعدام النقيب الذى يرجع اليه فى مثل هذه القضايا ، لم يتبعهم أحد من الشرفاء ، ولان ممثل السلطة فى القبيلة رجل اجنبى عنهم لا يقيم وزنا للداخل فى النسب ولا للخارج عنه ، وقد ضموا اليهم كذلك من قبيلة جبل حبيب من لا يعرف أحد من القبيلة المذكورة لهم نسبا الوكيل المدعو ابخيطة واخاه المختار الممثل الفلاحى . وقد سألت اهل العلم من القبيلة عن نسبهم فأجابوا بأنهم لم يعرفوا لهم نسبا ولا يعرفون لهم دعوة فيه الى اليوم . وقد شاهدت الشخصين المذكورين فى الحفلة السنوية لسيدى احمد المذكور ، وكذلك اعترفوا لافيلال المطامر وضموه اليهم ، وكذلك طريبق قرية بوعباد الذين كان منهم القائد سابقا من الذين نفتهم جميع دواوين النسب العلمى ، وهناك بواد الزرجون من قبيلة الحوز طائفة أخرى تدعى بأولاد الطريبق لم يعرف لهم أهل القبيلة نسبا ، وليس لهم الا المشاركة الاسمية ، وقد رايت الاتصال بين الفريقين المتباعدين نسبا وصهرا وكما شاهدت الدخلاء ينادون أولاد الطريبق وأولاد افيلال بكلمة « ولد عمى » وهناك من أولاد الطريبق واولاد افيلال من لا يرضى بذلك ويستنكره . وليس المقصود من الاعتراف المذكور وجه الله وابتغاء ثواب الآخرة ، وانما ذلك لحاجة فى نفس يعقوب قضاها ، وهم من وراء ذلك يهدفون الى التكتل والظهور بمظهر القوة والكثرة بين الشرفاء الجدد الذين اتيحت لهم الفرصة ليعيشوا شرفاء مزورين ملعونين ، واعوذ بالله من الجهل وغلبة هوى النفس على الخشية من الله ، ولم يقف الحد فى هؤلاء المذكورين بل لو اراد كائنا من كان من الناس ان يدخل معهم لوجد الباب مفتوحا ، وعلى هذا استمرت الاحوال واستقرت الاهداف بين الشرفاء أولاد افيلال ، وبعض أبناء عمهم من أولاد الطَريبق ، وارجو منهم اذا قرأوا كتابى هذا أن يؤوبوا الى رشدهم ويرجعوا عن غرورهم الى ما فيه رضى الله ورسوله وذلك اولى لهم لان الآخرة ستجمعهم ، رزقنا الله واياهم



خريطة تبين حدود قبيلتي بني عروس وسماتة
طريق الرجل
طريق السيارات
الحدود
ضريح الشيخ مولاي عبد السلام
خميس بني عروس
المشهورون من أولياء الله
قبيلة آل سريف
قبيلة بني يوسف
قبيلة الأخماس
قبيلة بني ليث
قبيلة سماتة
قبيلة بني يدر
قبيلة بني حزمار
قبيلة بني حبيب
تزروت
تولة
الخربة
عين بيطة
الحصن
الحارش
سيدي مشيش
دار الحيط
عين أهبار
خميس بني عروس
سيدي عبد الوهاب
طردان
سيدي عيسى بن سلام
بوعمر
الزاوية
سوق الأربعاء عياشة
الأربعاء عياشة
أبو جعدي
طريق تطوان
طريق القصر
أدياز
جد الأشراف العلميين
شمال
جنوب
شرق
غرب

الثبات على اليقين الى يوم لقائه سالمين آمنين آمين .

وكل ما ذكرته من تصحيح العائلات العلمية ، فانما كان احصاؤه من طرف العلامة النسابة سيدى محمد بن الصادق الريسونى اليونسى رحمه الله وطيب ثراه ، سنة 1191 هجرية ، والشرفاء العلميون اليوم فى أمس الحاجة الى احصاء جديد ، وتتبع فروعهم وضمها الى أصولها ، على غرار ما فعله المتقدمون رضوان الله عليهم .

« تنبيه » لا عبرة بما يوجد فى الحالة المدنية من ألقاب العائلات الشريفة ، فان الشرفاء أنفسهم قد استغلوها واستبدلوا أسماء عائلتهم بأسماء عائلة أخرى ، وكذلك استغلها غير الشرفاء من الذين كانوا يحملون اسماء خاصة بعائلاتهم ، أنكروها وتسموا بأسماء العائلات الشريفة .

احصاء القرى الموجودة فى قبيلتى بنى عروس وسماتة

هذه هى القرى الأصلية لمأوى الشرفاء العلميين بين بنى عروس وسماتة بعد ان عينت حدود قبيلة بنى عروس وعرفت بين القبائل المجاورة كان لا بد لها أن تشتمل على قرى اصلية يسكنها حفدة سيدنا سلام العروس القادم اليها من قلعة حجر النسر ، مقرهم الريفى بعد جلائهم عن مدينة فاس مقر جدهم ادريس وعاصمة ملكهم ، وبعد أن استقرت الاحوال بعد العواصف التى مرت بهم من الشرق والغرب اشتغلوا بعبادة الله تعالى وطاعته ، فكثرت ذريتهم وسكنت فى القرى الآتية ، وهى : أولا ، قرية مجمولة لانها مأوى سيدنا سلام العروس ، و 2 قرية الحصن لان بها مولد الشيخ مولانا عبد السلام بن مشيش ، و 3 قرية تزية لانها منبع أولاد سيدنا محمد بن القطب مولانا عبد السلام ، و 4 قرية افرنو السفلى لانها مأوى عبد الوهاب الاصفر وهي المقر الاصلى لاولاد بن عبد الوهاب ، و 5 قرية ادياز لانها اصل ومقر لاولاد عبد الواحد دفين دشر الاثنين ، و 6 قرية تزروت لانها مقر اليونسيين واليملاحيين ، و 7 قرية بوسرواس والسلالم

الحمد لله وحده — وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد



صك الحسن الأو[ل]
بتوقير حفدة الجد العلمي

أنهضنا بحول الله وقوته وشامل يمنه ومنته [illegible] المقام الشريف [illegible]
العلميين أهل جبل العلم وهم الأولاد [illegible] بقبائل [illegible] علم البلاد وحصرهم
النبوية الحسنية ليبقوا [illegible] جدهم الشيخ الأكبر والولي الأشهر في الكرامات
والخوارق [illegible] مولاي عبد السلام بن مشيش نفعنا الله به [illegible]
[illegible] العشر [illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible] عبد الله [illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible] ما كان عليه [illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]

لانهما اصلان لحفدة الحاج موسى الرضى فهذه المذكورات مأوى الاصول ، والباقى مأوى الفروع ، وهى : 8 أفرنو الاعلى ، و 9 بفورة ، و 10 طردان، و 11 عين احبار ، و 12 دار الحيط ، و 13 الحارش ، و 14 تجزرت ، و 15 اغيل الخرب ، و 16 بوعلقمة ، و 17 تزجلوت ، و 18 بومنديل ، و 19 الدشير ، و 20 دار بجاو ، و 21 بوزهرى ، و 22 ظهر جمادة ، و 23 ميزن ، و 24 عين زيانة ، و 25 بوعمار ، و 26 مرج حمود ، و 27 خجيون ، و 28 بودعلال ، و 29 المنزلة ، و 30 تلفتة ، و 31 اغبالوا ، و 32 اذرو ، و 33 تايدة ، و 34 العجانية ، و 35 اراريوش ، و 36 الحمة، و 37 الدرادر ، و 38 العميريش ، و 39 امشيشون ، و 40 السكان ، و 41 مسملل ، و 42 تليامن ، و 43 الرملة ، و 44 ابى جارية ، و 45 عين الحديد ، و 46 قريـة الخميس ، و 47 ميسرة ، و 48 دار براطيـة ، و 49 مجازليين ، و 50 الخنادق ، و 51 بوقمـور ، و 52 الخلـديين ، و 53 عين معبد ، و 54 دار الخيل ، وهذه القرى المتقدمة كلها جبلية ، واما قرى العزائب من بلاد عياشة ، فهى : 55 عزيب الشيخ مولانا عبد السلام ، بومهدى ، و 56 خندق احمار ، و 57 البراهمة ، و 58 اولاد عبد الصميد ، و 59 الجبيمات ، و 60 تزمرت ، و 61 القصيبة ، و 62 شرقية ، و 63 اولاد بوجمعة ، و 64 أولاد عقيلة ، و 65 منيالة ، و 66 السلاطنة ، و 67 ابياط ، و 68 السرادى ، و 69 الحجرة ، و 70 الزنبيد ، و 71 الحمامات ، و 72 عين غرزول ، و 73 بوخشبة ، و 74 الماء الحايل ، و 75 خيام زيزون ، و 76 بنى مالك ، و 77 أولاد الشاوى ، وهذه العزائب كلها ارض فلاحية يملكها أولاد مولاى عبد السلام واما قبيلة سماتة فهى بالنظر الى كونها تشتمل على قلعة حجر النسر الذى يوجد بازائه ضريح اكبر النساك جد الاشراف العلميين الولى الصالح سيدنا مزوار ، فهى الام لقبيلة بنى عروس ، واما قراها فهى : 1 دار الراطى ، و 2 دار الحجر ، و 3 عين بيطة ، و 4 تولة ، و 5 الرواوصة ، و 6 الخربة ، و 7 اكرسان ، و 8 وبوحمصى ، و 9 واغنيمن ، و 10 افرة ، و 11 والحرشة ، و 12 والطاين ، و 13 والنوايل ، و 14 والخريبة ، و 15 وبوذران ، و 16 عين بوكرشون الجمع 92 .

الشيــخ الفــزوانــى مؤسس زيــارة القطب مولانــا عبــد السـلام

الشيخ الغزوانى هو العارف بالله تعالى العالم العلامة شيخ العارفين بالله من مشائخ القرن العاشر الهجرى كان اليه المفزع فى عصره فى تدريس العلوم الدينية والتربية والسلوك الربانى . تنسب اليه كثير من الزوايا فى مختلف أنحاء المغرب أخذ الطريقة عن القطب أبى عبد الله محمد بن عبــد الرحمن بن ابى بكر بن سليمان الجزولى . وهو عن الشيخ التباع رحمهم الله ، شهر بالغزوانى نسبة الى قبيلة من قبائل عرب تامسنا ، وهى ما بين شالة بالرباط وبين مدينة آزمور ، وكان معاصرا لابى عبد الله الوطاسى . مكث الشيخ الغزوانى بالزاوية التى بناها بقرية تزروت ببنى زكار احدى قبائل الهبط 30 سنة فى تعليم العلم وتربية الاتباع الذين منهم الشريف سيدى محمد بن على وأخوه مولاى عبد الرحمن الشريف والشيخ التليدى والشيخ الهبطى ، وقد عدهم ابن عسكر فى دوحة الناشر ، وكان طيلة هذه المــدة يخرج مصحوبا باتباعه قاصدا زيارة مولانا عبد السلام بن مشيش على رأس كل سنة وقد اختار لذلك يوم النصف من شعبان ، ولن يزال يوم النصف من شعبان يوم احتفال بضريح القطب مولانا عبد السلام الى يومنا هذا . ثم انتشرت شهرة زيارته فى جميع أنحاء المغرب فتقاطر الناس عليه زرافات ووحدانا للترحم عليه والتبرك بأحفاده ولا عبرة بمقالات الجاهلين والجاهلات. وسياتى فى مناقبه انه طلب من الله تعالى أن لا يصل اليه من كتب عليــه الشقاء ، واذا وصل اليه شفعه فيه يوم القيامة .

وذكر من كراماته انه تكلم مع الشيخ الغزوانى من قبره مشافهـــة فسمعه هو وحفيد الشيخ الذى كان حاضرا معه ، الولى الصالح سيـــدى يوسف بن حليمة جد الاشراف أولاد بن حليمة .

وذكر ان الغزوانى فى زيارته الاولى للشيخ المذكور خرج من مدينة مراكش مصحوبا بتلاميذه ومريديه ، ولما وصل الى قبر الشيخ مولانا عبد السلام وجده كسائر القبور العادية لا يعرفه الا احفاده وبنو اعمامه فخشى عليه أن يضمحل مع مرور الزمن فرفع بنيانه بالحجارة دون طين ثم انهار واعيد بناؤه مرارا حتى استوى على الهيئة الذى هو عليها الآن ، وجعل

اكداس الحجارة فى الطريق علامة على الاقتراب من الضريح الموقر ، ثم لما كان راجعا الى مكانه بمدينة مراكش امر ببناء زاوية على راس كل مرحلة من مسافة يوم ثم يوكل بها بعض اتباعه ، حتى وصل مراكش ، فاذا كان خارجا فى السنة المقبلة الى زيارة الشيخ المذكور بات فى زواياه عند اتباعه وبين تلاميذه واصحابه ثم بعد ذلك اختار الاقامة بزاوية بنى زكار حتى يكون قريبا من الشيخ المذكور ، وبعد أن مر عليه بها المدة المذكورة انتقل الى زاويته الاخيرة التى تواجه ضريح الشيخ مولانا عبد السلام حتى لا يغيب عن حسه بقبيلة بنى يدر فرقة بنى حمايد . ولا زالت تحمل اسمه وتنسب اليه الى الآن وبها مشهد عظيم ، وبداخله قبران معلومان لا يدرى لمن هما ، ويظن الناس انهما لابيه وامه ، ولما كثرت أتباعه بهذه الزاوية . واختلت الاحوال على ابى عبد الله الوطاسى خشى منه والقى عليه القبض وساقه مقيدا الى مدينة فاس . وكان الشيخ ابن غازى كاتبا للسلطان بمدينة مكناس فمرض بها ولما اشتد عليه مرضه طلب أن يرجع الى فاس . وبينما هو مار باحدى شوارعها التقى بالشيخ الغزوانى المقبوض عليه ، وعند ما أخبر بحاله طلب أن يلقاه فلقيه ودعا له وعلم ان الله استجاب دعاءه وهو ان لا تقبض روحه حتى يريه الله وجه ولى من اوليائه ، فعلم انه قد دنا أجله فمات بعد أيام سنة 920 هجرية ، ثم أمر بالشيخ الغزوانى الى مدينة مراكش وسجن بها حتى توفى سنة 935 هجرية .

مناقب الشيخ مولانا عبد السلام

المنقبة العظمى التى هى بمثابة النافذة لمن اراد أن ينظر اليه منها ويتعرف على قدره ومقامه فى المعرفة بالله ، هى تمجيده وتعظيمه للواسطة العظمى بين الله وبين خلقه سيدنا ونبينا ومولانا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، المسماة « بالصلاة المشيشية » والتى تكلم فيها بحسب مقامه ومعرفته بربه ، وبرسول الله صلى الله عليه وسلم الداعى اليه باذنه ، التى تناولتها أقلام العلماء والاولياء من العارفين بالله ، فكانت آية فريدة فى المعانى والعرفان ، كما كانت أصدق تعبير عن قولهم : انتهى عقل العقلاء فى وحدانية الله الى الحيرة ، وكانت شروحها تنيف على 25 شرحا كلهم يحاول التعبير عن مقامه وصفاء سريرته فى معرفته بربه ، وكلهم قد اعترف بعجزه عن مبلغ ما وصل اليه ، ولم يجدوا فى قرائحهم ما يفى بالتعبير عن مقصوده .

ألفـــاظ الصـــلاة المشيشيـــة

هى : اللهم صل على من منه انشقت الاسرار ، وانفلقت الانوار ، وفيه ارتقت الحقائق ، وتنزلت علوم آدم فأعجز الخلائق ، وله تضاءلت الفهوم فلم يدركه منا سابق ولا لاحق ، فرياض الملكوت بزهر جماله مونقة وحياض الجبروت بفيض انواره متدفقة ، ولا شيء الا وهو به منـــوط اذ لولا الواسطة لذهب كما قيل الموسوط ، صلاة تليق بك منك اليه كما هو أهله ، اللهم انه سرك الجامع الدال عليك ، وحجابك الاعظم القائم لك بين يديك ، اللهم الحقنى بنسبه ، وحققنى بحسبه ، وعرفنى اياه معرفة أسلم بها من موارد الجهل ، وأكرع بها من موارد الفضل ، واحملنى على سبيله الى حضرتك ، حملا محفوفا بنصرتك ، واقذف بى على الباطل فأدمغه ، وزج بى فى بحار الاحدية ، وانشلنى من أوحال التوحيد ، وأغرقنى فى عين بحر الوحدة ، حتى لا أرى ، ولا أسمع ، ولا أجد ، ولا أحس الا بها ، واجعل الحجاب الاعظم حياة روحى وروحه سر حقيقتى وحقيقته جامع عوالمى بتحقيق الحق الاول ، يا أول ، يا آخر يا ظاهر يا باطن ، اسمع ندائى بما سمعت به نداء عبدك زكرياء عليه السلام ، وانصرنى بك لك ، وايدنى بك لك ، واجمع بينى وبينك ، وحل بينى وبين غيرك ، الله ، الله ، الله : ان الذى فرض عليك القرآن لرادك الى معاد ، ربنا آتنا من لدنك رحمة وهيىء لنا مـــن امرنـــا رشدا » . القصص ، والكهف

شرح الصـــلاة المشيشيـــة

وقد استحسنت أن انقل هنا على الصلاة المشيشية شرح العـــارف بالله تعالى الولى الصالح الامام الخروبى الطرابليسى المتوفى سنة 963 هـ ، المسمى « مفتاح المقام لفهم ما عبر عنه فى تصليته الشيخ مولانا عبد السلام » وكان الشيخ رحمه الله من أعظم المحبين لاهل البيت النبوى الكريم ، ولذلك خصصت شرحه بالنقل فى هذا المقام ، ورجائى من ذلك به النفع العام ، قال الشيخ المذكور رحمه الله :

الحمد لله الذى جعل الصلاة على النبى صلى الله عليه وسلم سيـــد العرب والعجم من اعظم الرتب وافضل القرب ، ووفق اليها اهل العناية ، وجعلها معراجا الى تحقيق الولاية ، ودليلا على صحة البداية ، وبلـــوغ

النهاية ، وسببا لتكفير كل جناية ، ولم يزل المحبوب من امته واهل القرب من اهل ملته ، من شدة الحب ودنو القرب تفيض على قلوبهم انوار المحبة ، وتهز أرواحهم عواصف الدنو والقربة ، فتنطلق السنتهم بمعانى ما حصل فى بواطنهم من شهود النور المحمدى ، وما انكشف لارواحهم من كمال السر الاحمدى ، وما رام أحد منهم بذلك بلوغ الغاية ، ولو بلغ مقاله النهاية ، اذ لا يبلغ احد معرفة قدر الرسول الكريم ، ذى القدر العظيم ، الا الخبير العليم ، وهيهات أن يبلغ أحد من الخلق ، وان وفى ببعض حبه وصف أحوال المصطفى ، وانما يحول حول الحق ، بل كيف يلحق أحد بيده السماء ؟ ايه ، وممن خاطب فى هذا بأفصح خطاب ، ونطق فيه بالصواب ، وسلك فـى الصلاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم مسلك أوسط الالباب ، ودل خطابه على تحقيق فى مقام الاقتراب ، وقربه من الجناب بتحقيق ما قاله ، وادب بين يدى الرسالة .

هو الشيخ الامام القطب العارف بالله الدال عليه ، ذو الطريقـــة السنية ، المستقيمة ، والاحوال السنية العظيمة ، وشرف النسب وأصل الحسب ، « سيدى عبد السلام بن مشيش » الحسنى أعاد علينا الله مـــن بركاته بمنه ، ولما كانت التصلية المنسوبة اليه تضمنت حقائق شريفة ، ومعانى دقائق الحقيقة ، من عالم غيب رب العالمين ، الى سماء قلوب العارفين .

سألنى شرح تصلية الشيخ المذكور حفيده السيد العابد الصالح الزاهد سنى الطريقة ، الباحث على تحقيق رسوم الحقيقة ، الجبل الثابت ، البحر الصامت « أبو حفص سيدى عمر » بن عيسى بن عبد الوهـــاب الشريف الحسنى نفعنا الله به ، وبصالح نسبه ، آمين بمنه وكرمه ، فلم يسعنى الا اجابة داعيه ، وتلبية مناديه ، وان كنت لم أصلح لذلك ، اذ لا قدرة لى على سلوك هذه المسالك لكن اعتمدت على الرب الذى لا يخيب من اعتمـــد عليه ، واستندت اليه فيما أردته ، اذ هو الذى يعين من استند اليه ، وبه سبحانه وتعالى أستعين ولا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم .

((مقـــدمـــة)) يحسن قبل الكلام على الفاظ التصلية أن يعرف بالشيخ الذى أجادت بها اريحيته ، اسما ، ونسبا ، وطريقة ، ومعاملة فى أحواله وآدابه ومقامه ، اذ قبول كل مقالة فرع عن معرفة قائلها ، ووددت أن أستقصى الكلام فى ذلك كله لو تيسر لى ، لكن اذكر ما حضر لى فى ذلك وعلى

من علم شيئا زائدا مما ذكرناه عليه . أن يلحقه به وأجره على الله سبحانه
أما اسمه ، فهو الشيخ العارف بالله تعالى . القطب الداعي اليه ، ابو محمد « مولاى عبد السلام » بن مشيش ، بالميم ، ويقال بشيش بالباء الموحدة من اسفل ، وكان بعض من لقيناه من الاشياخ يصحح الاول ، وبقول مشيش بالميم وتشديد الشين الاولى وتخفيفها .

أما نسبه فهو ادريسى حسنى ثابت الشرف ، وكان رضى الله عنه من أكابر الاولياء العارفين بالله ، صدر الصدور ، فى الاكابر مذكور ، وبينهم مشهور ، قطب الدائرة . فعليه مدارها ، ومنه استمدادها .

وأما طريقته فى معاملاته وأحواله فى منازلاته وآدابه ومتعبداته ، فكانت طريقة سنية . وتعبداته زكية . أخذ الطريقة عن الاكابر ، منهم الشيخ عبد الرحمن المدينى ، ثم واحد عن واحد الى الحسن بن على بن أبى طالب رضى الله عنهم أجمعين ، وأخذها عنه أكابر . فممن أخذها عنه القطب الوارث — أى لسره — أبو الحسن على الشاذلى . وكان رضى الله عنه ذا جد واجتهاد ، ومحافظة على الاوراد ، قطع المقامات والمنازلات ، حتى نفذ الى طريق المعرفة بالله .

تنبيـــــه :

اعلم ان الخطاب يكون تارة بحسب المخاطب بكسر الطاء من اسم فاعل وتارة يكون بحسب المخاطب بفتحها من اسم مفعول ، وهنا وقع بحسب الاول اذ الثانى لا يخاطب بقدره ، اذ هو مقام الرسالة الاحمدية ، والنبوءة المحمدية ، وانما كان مخاطبا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بحسب معرفته بجانبه وبحسب اطلاعه على خصوصيته وقربه ، اى فى قوله : صل . وخطاب الشيخ فى تصليته هذه يدل على علو مقامه فى المعرفة بربه ، وعلى صدقه فى محبته وعلى تمكنه فى مقام الوصلة والقربة ، ولعمرى ، لقد ضمن فيها معانى لطيفة ، وأسرارا شريفة ، توذن بعلو قدر الرسول العظيم ، وعظيم خصوصيته بين المرسلين ، صلى الله عليه وعليهم اجمعين ، ولقد احسن فيها اللفظ والمعنى ، وتضمن فيه كل مقصد أسنى ، اتى فيها بكل سر عجيب ، ومعنى غريب ونبه فيها على خصوصية النبى الكريم ، ورفع قدره الماجد العظيم ، بعبارة لطيفة واشارة دقيقة ، لا يدركها الا ذو روح

عرشى ، وسر كرسى ، وقلم لوحى ، ولسان قلمى ، ولقد أحسن فيها البداية ، وأجاد فى النهاية فقال مبتدئا :

اللهــم صــل على من منه انشقت الاسرار وانفلقت الانوار الى آخرها ولما رأيت كثرة الراغبين فى البحث عن شرح ما اشتملت عليه الالفاظ الموجزة من هذه التصلية المشيشية . وكان لها عدة شروح مختلفة من كبار الاجلة الاعلام ، وعثرت على هذا الشرح القيم المبارك . ووجدته انه من اقتراح حفيد الشيخ المذكور فتفضل الشيخ الخروبى رحمه الله ولبى طلبه . وحقق رغبته ، فعلمت أن الشيخ من أفضل المحبين لاهل بيت النبى الكريم . عليه أفضل الصلاة وأزكى التسليم ومن أجل ذلك فضلته واخترت نقله وبسطه هنا حرفيا للتبرك به وبأصله .

قال الشيخ الخروبى : قلت : **اللهــم** . توجه للمطلوب . وطلب لحصول المرغوب بالتوسل بالاسم الاعظم . الذى اذا دعى به أجاب . واذا سئل به اعطى ، ولفظ بصيغة حذف فيها ياء النداء المتضمنة لوجود السنونة المعنوية النفسانية اذ حذفها يقتضى زوال ذلك ، ولا شك ان الشيخ حين خاطبه بهذه التصلية كان فى مقام جمع غائب عن الفرق ، وتعويض الميم من ياء النداء فى لفظ الجلالة يقتضى قوة الهمة فى الطلب والجزم به ، وانمــا جعل هذا الاسم الاعظم فى أول الادعية غالبا . لانه جامع لجميع معانــى الاسماء الكريمة ، وهو اصلها فجميع معانى اسماء الله تعالى راجعة اليه ، قال أبو رجاء العطار : ردد فى قوله اللهم ، تسعة وتسعين اسما من أسماء الله تعالى ، وقال النظر بن شميل : الميم فى قولك اللهم بمثابة ميم الجمع ، فاذا قلت اللهم فكأنك دعوت الله تعالى بأسمائه كلها ، فعلى هذا من دعا وتوسل به فكأنما دعا بجميع اسماء الله تعالى كلها وتوسله بها ، ولذلك قال الامام الحسن بن ابى الحسن البصرى رحمه الله : فى قولك اللهم جميع الدعا . **وقــولــه** : (صل) طلب من الله تعالى ودعاء ان يصلى على نبيه صلى الله عليه وسلم ، والصلاة من الله تعالى على نبيه صلى الله عليه وسلم زيادة تكريم وانعام ، وهى من الملائكة رحمة واستغفار ، وهى من العباد دعاء ، فتكريم الله عز وجل لرسوله صلى الله عليه وسلم زيادة تشريفية له ، وتقريبية منه ، والصلاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم من العبيد وسيلة للقرب منه عليه الصلاة والسلام ، كما جعلت هدايا الفقراء الى الامراء وسائل ليتقرب بها اليهم ، وليعود

نفعها عليهم ، اذ انه صلى الله عليه وسلم بعد صلاة الله عليه لا يحتاج الى صلاة أحد ، وانما شرعت تعبدا لله تعالى وقربة اليه ، ووسيلة الى جنابه المنيع ، ومقامه الرفيع ، صلى الله عليه وسلم ، وهذا من العبيد على سبيل التأكيد ، لا على سبيل التاسيس بأمر من الله تعالى ، اذ صلاة الله على رسوله صلى الله عليه وسلم سبقت صلاة غيره ، فلم يحتج الى صلاة غير الله تعالى ، بعد صلاته عليه ، ولكن جعلها لعباده سببا للوصول الى رضاه تعالى ، وبابا للدخول عليه سبحانه ومعدنا للكمالات ، ومفتاحا لابواب الخيرات ، وسببا لنيل البركات وحصول الكرامات ، وهى أفضل عبادة المتعبدين ، وأعظم قربات السالكين ، وادل دليل على ارادة المريدين، وعلامة على صدق المحبين ، وكهف ايواء الواصلين وهى وان اختلفت مواردها ، وشاعت مصادرها ، فمرجعها اليه ، وحقيقتها منه وعليه ، اذ ما صلى على محمد صلى الله عليه وسلم الا هو ، لان صلاة العبيد عليه صلى الله عليه وسلم صدرت منهم بأمره ، من صورة اسمه ، فجميع اسم محمد نفس صورة آدم المكرم وهذا الحكم جاء فيما تفرع من آدم عليه السلام ، فهم نطقت بالصلاة عليه ، وكذلك كل عبادة صدرت من آدم وبنيه ، فانه بأمره صلى الله عليه وسلم ومن صورة اسمه ، وبالتحقيق ما صلى على رسول الله صلى الله عليه وسلم الا الله ، اذ أنه تعالى انما صلى عليه بنفسه وبفعله ، مع أنا لا نلقى الا به فى الظاهر ، بل نثبتها ونراها ، وهذه الاشارة التى أشرنا اليها ، والشبيه الذى نبهنا عليه فى كون الصلاة عليه صلى الله عليه وسلم صدرت من صورة اسمه عليه ، فألهمته ، ولم نسبق اليه ، ولا رأيت احدا ممن تقدم نبه عليه ولا أشار اليه ، وانما هو مجرد الهام الهمته ، عند الحضور فى ورد الصلاة عليه صلى الله عليه وسلم وحين غاب حسى فى حضرة الحق رجع على بلسان القربة .

وقوله : (على من منه انشقت الاسرار ، وانفلقت الانوار ،)

يريد سيدنا ونبينا ومولانا محمدا صلى الله عليه وسلم ، والاسرار جمع سر ، والمراد بها اسرار الذات واسرار الصفات ، واسرار الافعال ، فهذه الاسرار كلها مبطنة بها تجلى عليها ، من اسمه الباطن ، وحجب عنها خلقه بنور كبريائه ، فكانت كذلك حتى جاء صلى الله عليه وسلم فحولها باسمه تعالى الظاهر ، واظهرها باسمه المبين ، ورفع عن بصائر المومنين الحجاب ، فظهرت الاسرار لائحة الانوار ، بادية الاسرار فكان صلى الله

عليه وسلم هو المظهر لها ، وكاشف الحجاب عنها ، فبنوره ظهرت الاسرار وبسره انكشفت الانوار ، والمراد بالانوار الانوار الايمانية ، التى انشقت فى قلوب المومنين ، وقد كانت قبل بعثته صلى الله عليه وسلم مستورة بظلمة الكفر ، ودخان الشرك ، فلما جاء النور المحمدى أشرقت فى قلوب من اراد الله هدايته ، فكشف عنها ظلام الكفر ، واشرق فيها نور الايمان ، وكان النور المحمدى هو المزيل عن قلوب المومنين ظلام الكفر ، والكاشف لدخان الشرك والمشرق فيها النور الايمانى ، والى هذا المعنى أشار الشيخ الجامع فى التصلية بقوله : انشقت الاسرار ، وانفلقت الانوار ، اى منه ظهرت ، وعنه صدرت . فمنه بدؤها وعنه صدورها ، وما قلناه من انكشاف الاسرار بذلك ، فذلك بحسب المقامات . فكل ذى مقام ينكشف له مـن الاسرار ما يليق بمقامه . فاهل مقام الاسلام ، اذا تحققوا فيه . وقاموا بوظائفه ، وداموا على الذكر الخاص به ، وحلوا بمعنى ذلك الذكر تحلية تتميز معها ثمراته . وتحصل لهم اسرار الافعال . ويكون لهم هذا الكشف سبيلا الى كشف اسرار الصفات ، وهذا الكشف يكون لهم معراجا الـى كشف اسرار الذات ، وذلك عند انتقالهم من مقام الاسلام الى مقام الايمان ، فاذا ترقوا من ذلك الى هذا ، وثبتوا فيه ، وتحققوا وقاموا بوظائفه ، وداموا على الذكر الخاص به ، وتحلوا بمعنى ذلك الذكر تحلية تثمر معها ثمراته ، وتحصل معها نتائجه ، انكشف لهم من أسرار الذات ما تسعه عقولهم ، وتحمله أرواحهم ، وذلك رحمة من الله تعالى بهـم ، ثم ان المكاشفين بهذه الاسرار ، منهم من كشف له جملة ، ومنهم من كشف له تفصيلا ، ومنهم من كشف له جملة وتفصيلا ، وهم الرسل عليهم الصلاة والسلام ، واعظمهم فى ذلك كشفا « نبينا محمد » صلى الله عليه وسلم ، وقد كانت هذه الاسرار التوحيدية قبل بعثته صلى الله عليه وسلم بحرا طامسا ، وسماء عابسا ، فبنوره ظهرت ، وكانت الانوار الايمانية محجوبة بظلام الكفر ، فبسره صلى الله عليه وسلم أشرقت ، وبالجملة فجميـع ما أودع الله سبحانه فى مكنوناته من الاسرار ، فهو صلى الله عليه وسلم المظهر لها ، بعد ما كانت القلوب غافلة عنها ، والارواح جاهلة بها ، فنبه صلى الله عليه وسلم القلوب لما كانت عنه غافلة ، وعلم الارواح ما كانت بـه جاهلـة .

وقـولـه : (وفيه ارتقت الحقائق) اى انه صلى الله عليه وسلم

فيه ارتقت حقائق جميع الاشياء العلوية والسفلية ، المعنوية والحسية ، اللطفية والكشفية ، فجميع هذه الحقائق ارتقت فيه ، وتجلت فى باطنه ، حتى صار قلبه معدنا لها ، وباطنه مسراها . فقلبه صلى الله عليه وسلم معدن الحقائق والاسرار . وباطنه مهبط العلوم والانوار ، وانما خص قلبه صلى الله عليه وسلم بذلك لاتساعه ، فما وسعه لا يسعه غيره ، فما اجتمع فيه صلى الله عليه وسلم افترق فى غيره من المرسلين ، والنبيئين والصديقين والعارفين ، ولهذا قيل محمد صلى الله عليه وسلم اجتمع فيه ما افترق فى غيره ، لانه الانسان الكامل . وانما كان قلبه صلى الله عليه وسلم معدن الحقائق والاسرار وباطنه مهبط العلوم والانوار للمجانسة ، اذ الحقائق عرشية ، والاسرار كرسية والعلوم لوحية ، والانوار ملكوتية ، وقلبه وباطنه من تلك العلوم العلوية ، والشيء قد يولد الشيء بنسبة بينهما .

قـــولـــه : « وتنزلت علوم آدم فأعجز الخلائق » اشار بما ذكر الى اتساع قلبه صلى الله عليهوسلم . وان معلوماته عجز عن ادراكها جميع الخلائق . واراد بعلوم آدم علم الاسماء التى علمها له الله تعالى ، فنزلت فى نبينا محمد صلى الله عليه وسلم بحسب الوراثة ما اعجز الخلائق . كما عجزت الملائكة الكرام عن علم ما علمه الله تعالى ، لخليفته آدم عليـــه السلام ، فمقامه صلى الله عليه وسلم مقام موروث فى الاعجاز ، وما وقع به الاعجاز ، وهذا التوارث وان وقع فى حضرة الفرق فوقوعه فيها كذلك بحسب الحكمة العادية الواقعة بين السابق حسا وجسما على اللاحق ، وفى حضرة الجمع السابق ، فنبينا محمد صلى الله عليه وسلم مفيـــد لا مستفيد فأرواح العلماء وقلوب العارفين والمرسلين والنبيئين وعباد الله الصالحين تتلقى من روحه صلى الله عليه وسلم العلم والحكمة والمعارف الربانية ، والاسرار الملكوتية ، ولهذا سمى روحه صلى الله عليه وسلم ابو الارواح ، فعلوم العلماء ومعارف العارفين ، وحكم الحكماء مستفادة من علومه صلى الله عليه وسلم ومعارفه وحكمه ، وكل ما علمه العالمون واستفاده العارفون ، وفهمه الحكماء من علوم ومعارف وحكم ، الجميع نقطة من بحره صلى الله عليه وسلم ، فهو بحر العلوم ومنبعها وقلبه معدنها ، وباطنه مهبطها ومرساها ، فظهر من هذا انه صلى الله عليه وسلم وارث فى حضرة الفرق ، للوجود الذاتى الموروث فى حضرة الجمع والوجود الروحانى قيل اذا لقى آدم عليه السلام نبينا محمدا صلى الله

عليه وسلم يقول آدم لنبينا محمد صلى الله عليه وسلم يا ولد ذاتى ، ويا والد معانى ، يشير الى ان روحه صلى الله عليه وسلم أبو الارواح .

قــولــه : (وله تضاءلت الفهوم فلم يدركه منا سابق ولا لاحق) اشار رحمه الله الى خفى سر روحانيته الاحمدية ، ورفيع قدر صورتــه المحمدية ، اذ حقيقة ذلك لم يدركها أحد بفهمه ، ولا يحيطون بشىء مــن علمه الا بما شاء من ظواهر المأمورات دون بواطنها ، وجليها دون خفيها ، فالفهوم كلت ، والعقول وقفت عن طلب الاستشراق ، وتضاءلت عنــد خفى سره ، والوقوف على حقيقة أمره ، ولا يفهم ذلك الا الذى خصه به سبحانه ، واذا كان الولى لا تدرك حقيقته فى هذه المدارك ، فكيف الرسل عليهم أفضل الصلاة والسلام ، وعلى الاخص سيدهم وامامهم سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم ، وما أدرك الناس حقيقة أمره وخفى سره ، الا على قدر عقولهم البشرية ، فما ظهر لهم من ذلك نعمة عليهم ليعرفوا قــدره ، ويعظموا أمره ، وما خفى عنهم فرحمة من الله بهم ، اذ لو ظهر مع عدم قيامهم بالحقوق لكان فتنة لهم ، والله تعالى أرسله رحمة للعالمين ، فكانت النعمة فيما ظهر ، والحكمة فيما استتر ، ثم ان الناس فى اطلاعهم على سر نبوءته وخصوصية رسالته بحسب مقاماتهم ومنازلاتهم ، فكل أحد كشف له من ذلك بحسب مقامه ، ومحل قدر قرب روحه من روحه عليه الصلاة والسلام ، واعظم الناس كشفا لذلك ، وأكثرهم عليه اطلاعا ، صفيه وصديقه **أبــو بكــر** الصديق رضى الله عنه ، وما كشف له من خصوصية الرسالة المحمدية ، وحقيقة السر الاحمدى لم يكشف لاحد غيره ، ولهذا كان اشد الناس قربا منه صلى الله عليه وسلم ، واعظمهم خلة له ، وأكثرهم تعظيما واحتراما ، وكان أول المومنين بنبوءته ، والصديقين برسالته ، من غير طلب دليل ، ولم يعتره توقف ولا تاويل . **قــولــه :** (فرياض الملكوت بزهر جماله مونقة ، وحياض الجبروت بفيض أنواره متدفقة) ريــاض الملكوت عبارة عن حضرة الارواح ، وحياض الجبروت عبارة عن حضرة الاسرار ، وهو صلى الله عليه وسلم ظهر فى حضرة الارواح بجماله فتأنقت ، وفى حضرة الاسرار بنورده فأشرقت ، وزهر جماله كناية عما ظهر من جمال سر النبــوءة المحمديــة فى حضرة الارواح ، فظهــر بذلك الجمال معانى آثار اسماء الافعال ، فظهرت عجائب الكون ، وانكشف رداء الصون ، فشرهت الالباب اذ انكشف الحجاب ، ولما كان عالم الملكوت موطن مجال

الارواح ، ومسرح الافكار تنزه فيما تجلى فيه من معانى آثار اسماء الافعال ، فهو بهذا الاعتبار سمى رياضا لكن انما أينع وتأنق بزهر المصطفى صلى الله عليه وسلم اى بما ظهر فيه من سر النبوءة المحمدية ، وكذلك حضرة الاسرار المعبر عنها بحياض الجبرت ، امتلات بما أفاض فيها من أنــواره عليه الصلاة والسلام ، والتدفق عبارة عن كثرة الانوار المحمدية .

قــولــه : (ولا شيء الا وهو به منوط) أشار الى تعلــق جميــع الاشياء به صلى الله عليه وسلم . منها ما هو متعلق به تعلق استناد ، ومنها ما هو متعلق به تعلق استمداد . فكل شيء اليه استناده . ومنه استمداده

قــولــه : (اذ لولا الواسطة لذهب كما قيل الموسوط) يشير الى اعتبار وجوده صلى الله عليه وسلم فى الوجود . اذ لولا وجوده صلى الله عليه وسلم لما وجد الموجود فنسبته منه كنسبة الواسطة الى الموسوط .

قــولــه : (صلاة تليق بك منك اليه كما هو أهله) فصلاة مفعول مطلق بصل فهذه هى افضل الصلاة وأتمها وأشرفها واعظمها وأكملها . اذ لا يليق من الرب العظيم الى النبى الكريم ، الا ما هو عظيم . وهو صلى الله عليه وسلم أهل لان يعامل بالكمالات . ولو قال رحمه الله ورضى عنه كما أنت أهله لكــان أكمــل .

قــولــه : (اللهم انه سرك الجامع الدال عليك ، وحجابك الاعظم القائم لك بين يديك) هذا اللفظ ظاهره الاخبار ، ومعناه الاقرار بالمخبر به على جهة تعظيم المخبر عنه ، وهو سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم ، وهو المقصود بالضمير المتصل بان ، واضمر الشيخ فى كلامه هذا ثلاث مقامات ، لنبينا صلى الله عليه وسلم ، الاول : كونه صلى الله عليه وسلم سر الله الجامع ، الثانى : كونه الدال عليه ، الثالث : كونه حجابه القائم له بين يديه ، فهذه مقامات ثلاث ، اقامه الحق فيها ، واختاره لها ، وأهله اليها ، وامده فيها بالمعونة والتأييد ، والتيسير والتسديد ، وهذه المقامات وان شاركه فيها غيره من المرسلين عليهم الصلاة والسلام ، فلم يبلغ احد منهم فيها مبلغه صلى الله عليه وسلم ولا ترقى أحد الى مقامه ، فأما كونه صلى الله عليه وسلم سره الجامع ، فلانه عليه الصلاة والسلام ، جمــع جميع اسرار اسماء الصفات ، واسرار اسماء الافعال ، فهو مظهرها وهو سر الله تعالى الذى أودعه مكنوناته العلوية والسفلية ، وهو السر الذى ظهرت

به الاسرار ، وهو النور الذى أشرقت به الانوار ، فلا مكون الا وهو سره الذى قام به بأمره فالاول السر المحمدى الذى أودعه اللـــه المكونـــات الملاكية ، والسر الاحمدى الذى أودعه الله المكنونات الملكوتية ، لما قامت بها أسماء الصفات ، وأسماء الافعال . ولهذا كانت آثارا يقوم بها الاستدلال، واما كونه دالا على الله تعالى ، اذ هو الدليل الاعظم ، بعثه الله تعالى دليلا يدل عليه ، ويعرف الطريق اليه ، بعثه فى زمن فترة عمت فيه الضلالة ، وكثرت فيه الجهالة ، الخلق فيه عن ذكره معرضون ، وعن بابه محايدون شاردون ، فدلهم على الله تعالى ، وعرفهم الطريق اليه ، وردهم الى بابه الكريم ، ونهج الصراط المستقيم ، فكانت رسالته عامة ، ودلالته تامة ، فدل على الله بأقواله وأفعاله ، وأيقظ الارواح الى ملاحظة جلاله ، وجماله ، فكل داع الى الله تعالى فانما يدعو بدعوته ، وكل دليل فهو يدل بدلالته ، وكانت دعوته الى الله تعالى ودلالته عليه ، لسياسة محمدية ، وتعرفيه به تعالى لحكمة احمدية ، فلم يخرق حجاب العظمة والوقار ، وانما رفع عن بصائر العارفين حجاب الاغيار ، وظلام سحائب الآثار . واما كونه صلى الله عليه وسلم حجابه القائم له بين يديه ، لانه صلى الله عليه وسلم حجب العقول عن النظر فى حقائق الذات والتفكر فيها ، فعقل العقل عن النظر الى ما ليس له اليه سبيل ، بهذا أرسل صلى الله عليه وسلم وبه أمره فكان حجاب الله الاعظم القائم له بين يديه ، فأظهر الفرق ، وابان الجمع ، فكلما طلبت الارواح الجمع المطلق فى دار الفرق ، زجرها الشرع ، وعقلها عقال العلم ، فرجعت قهرا ونكصت الى الوراء ، فلم يكن لها اليه سبيل ، ولا ابيح لها فى قليل من ذلك ولا اقل من قليل ، وافهم قوله رضى الله عنه وحجابك الاعظم القائم لك بين يديك اشار الى انه صلى الله عليه وسلم حجاب به لا عنه ، أى فهو حجاب من جهة تعلق خلقه به لا من جهة تعلقه سبحانه بخلقـــه .

قـــولـــه : (اللهم الحقنى بنسبه ، وحققنى بحسبه) اللحوق بالنسب هو الاتصال الجسمانى ، والتحقيق بالحسب هو الاتصال الحالى ، وذا يقتضى شرف الملحق بشرف الملحق به ، وكمال المحقق بكمال من يتحقق به ، وهذا الطلب يقتضى القرب ، ومعنى طلب الشيخ ذلك ، ليكون قريبا منه صلى الله عليه وسلم حسا ومعنى ، قرب اتصال دون انفصال ، ومن صح له ذلك : فقد استمسك بالعروة الوثقى لا انفصام لها » .

قـــولــه : (وعرفنى اياه ، معرفة اسلم بها من موارد الجهل ، واكرع بها من موارد الفضل) المعرفة الحقيقية لله ولرسوله صلى الله عليه وسلم هى ما اثمرت ثمرة ونتجت نتيجة وكل معرفة لا ثمرة لها ولا نتيجة ، فليست بمعرفة على الحقيقة ، فالشيخ رضى الله تعالى عنه ، طلب من الله تعالى أن يعرفه برسوله صلى الله عليه وسلم معرفة تثمر له ثمرة ، وتنتج نتيجة ، وذكر ذلك فقال : اسلم بها من موارد الجهل ، واكرع بها من موارد الفضل ، ولا شك ان من عرف رسول الله صلى الله عليه وسلم حق المعرفة اثمرت له معرفته به صلى الله عليه وسلم الفضل ، وحق لمن تحقق فى معرفته صلى الله عليه وسلم أن يكرم بهاتين الخصلتين العظيمتين لان معرفته عليه الصلاة والسلام تقتضى ذلك ، وكيف لا وقد قرب سر المعارف من سر معروفه ، وتألفت روحه مع روحه ، والقرب والايلاف يتضمنان المتابعة والاقتداء ، وذلك سبب يورد التابع موارد متبوعه ، وينهل مناهله فينكشف لسر العارف ولروحه من العلوم الدنية والاسرار العرفانية ما يزحزحه عن موارد الجهل ، ويتصف بمقتضى العلم ، فيصير القلب عارفا والروح عالما ، ويرد هذا العارف موارد الصفا التى وردها المقربون وينهل المناهل التى يشرب منها العارفون ، والكرع عبارة عن شرب المتعطش اللهفان السابق الى الورود ، الراغب فى الازديـــاد ، وموارد الفضل هو مشارب أرواح المقربين ، وموارد أسرارهم التى لا تدرك بطلب ، ولا تنال بسبب بل بمحض الفضل الالاهى ، والعناية الربانية ، ولهذا قيل فيها موارد الفضل .

قـــولــه : (واحملنى على سبيلـــه الى حضرتك حمـــلا محفوفا بنصرتك) هذا مطلب الصديقين القاصدين الى حضرة مولاهم جل جلاله ، اذ غاية مقصدهم واقصى مرادهم ومطلبهم الوصول الى الحضرة الربانية التى تجذب السالك الى حضرة الله تعالى جذبا على سبيل السنة المحمدية ، فاذا اراد الله سبحانه أن يبلغ السالك الى الحضرة الكريمة حمله اليها على سبيل الاقتداء بالدليل الاعظم والرسول الاكرم سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم ، فيكون فى سلوكه متبعا له صلى الله عليه وسلم فى اقواله وأفعاله واحواله ، وفى حركاته وسكناته محفوفا فى جميع ذلك بنصرة الله تعالى له ، فيكون فى سلوكه بربه ، لا بنفسه ، وهذا من علامات الوصلة ، وامارات القربة ، والحضرة مأخوذة من الحاضرة ، وكثيرا ما يجرى ذكرها علـــى

لسان القوم ، وكثيرا من المتصوفين لا يعلمون لها حقيقة ، وهى عبارة عن موطن من مواطن ((**القرب والمشاهدة**)) واذا كان العبد على بساط الحق مشاهدا الصفات ، سمى ذلك الموطن ((**حضرة الافعال**)) وهى أول مرحلة السالكين)

قوله : (واقذف بى على الباطل فادمغه) طلب رضى الله تعالى عنه أن يكون حجة من حجج الله الدامغة للباطل ، وهذا مقام من مقامات الوارثين الذين أقامهم الله تعالى مقام الخلافة ، وجعلهم مصابيح الهدى ، وائمة بهم يقتدى فالحق يجرى على لسانهم ، فبالله ينطقون ، ومنه يسمعون ، وبه يبصرون ، وعنه نائبون ، وصاحب هذا المقام يكون آية لاظهار الحق واخمساد الباطل .

قوله : (وزج بى فى بحار الاحدية) الزج الرمى ، ومقصد الشيخ بدعائه هذا أن ينقله من حضرة الفرق الى حضرة الجمع ، والمستغرق فى هذه الحضرة مستغرق فى بحار الاحدية ، فلا يشاهد الا الله ، فهو دائم الشهود متصل الورود ، منزه الروح عن علق التفرقة ، ممنوع بالبقاء الدائم ، والمعنى التام ، والجمع الصحيح ، قد اعطى الجلوس على بحر التفريد ، واذن له فى الارتقاء على مقام التوحيد فيعود نظره اليه ، وجمعه به عليه ، فتفنى الرسوم ، ولم يبق الا الحى القيوم فهنا : ابتلى المومنون وزلزلوا زلزالا شديدا » .

قوله : (وانشلنى من أوحال التوحيد) انشلنى معناه اخلصنى ، واوحال التوحيد هى مكبتات احكامها (1) التى زلت فيها اقدام كثير من الناس ، الا من رحم الله فترى العارفين اذا غرقوا فى بحر التوحيد ، وساروا فيها بفلك اسرارهم تلاطمت عليهم امواجه ، : وهى تجرى بهم فى موج كالجبال ، فلا عاصم اليوم من امر الله الا من رحم » فآواه الى السنة المحمدية ، وآخرون حال بينهم الموج فكانوا من المغرقين .

قوله : (واغرقنى فى عين بحر الوحدة حتى لا ارى ولا اسمع ولا اجد ولا احس الا بها) اراد ان يكون مستهلكا فى حقائق التوحيد ، غائبا

---

(1) قول الشارح مكبتات احكامها ، اى مهلكات ، مأخوذ من قوله تعالى : كبتوا كما كبت » ومعناه : قيل : اخزوا ، وقيل : اهلكوا ، وقيل : اخذوا ، وقيل : لعنوا ، وقيل : اغيظوا ، وكلها متقاربة فى المعنى .

فى الشهود عن الوجود وهذا هو الفناء التام المعبر عنه بفناء الفناء ، وصاحب هذا المقام فان غائب عن فنائه باق مع الحق بعين الجمع . فدانا الصفات . وحاذى الافعال ، والى هذا أشار بقوله : لا أرى . ولا أسمع ، ولا أجد . ولا احس الا بها ، وهذه المعانى تضيق عنها العبارة لدقة معناها . وانما يشار اليهــا مــن بعــد .

قــولــه : (واجعل الحجاب الاعظم حياة روحى وروحه . سر حقيقتى وحقيقته جامع عوالمى) المراد بالحجاب الاعظم ما تقدم ذكره . من أنه صلى الله عليه وسلم الحجاب الاعظم . القائم له بين يديه . وتقدم انما كان كذلك لانه حجب العقول وعقلها بعقال شرعه المستقيم عن النظر فى حقائق الذات العظيمة ، اذ ليس لها الى ذلك سبيل وأودع الله تعالى نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم هذا السر العظيم . ليكون رحمة ونعمــة للوجود ، وحياة للارواح . حيث حجبها عما فيه استهلاكها وفناؤها . ولا قوة لها على كشف حقائقه . ولو كشف لها عن ذلك فى هذه الدار . ورفعت عنها الحجب لتفرقت الموجودات وتمزقت وتدكدكت تدكدك الجبل عنــد التجلى للكليم عليه السلام . لهذا اتفق أهل المعرفة على ان الله تعالى لا يتجلى لاحد من أوليائه ، ولا ينظر اليه أحد منهم فى هذه الدار ، الا من وراء الحجاب الذى حجبهم به عن درك كنه ذاته العظيمة ولولا ذلك الحجاب لتلاشى الموجود ، وماتت الارواح ، فكان الحجاب الاعظم حياتها فطلب الشيخ أن يكون الحجاب الاعظم حياة روحه ، اشارة الى ما قلناه فافهم ؟ وقوله وروحه سر حقيقتى ، أراد أن يكون الروح المحمدى سر حقيقته لتكون حقيقة محمدية ، وقوله وحقيقته جامع عوالمى . أراد الحقيقة المحمدية ، اذ هو جامع العوالم اللطفية الانسانية .

قــولــه : (بتحقيق الحق الاول) قسم أقسم به عليه تعالى ان اسئلك بتحقيق الحق الاول ، وتحقيق الحق الاول بالحق الازلى الذى سبق كل حق ، نعم كل ذى حق انما تحقق به فهو حق الحق ، ثم **قــال :** (يا أول ، يا آخر ، ياظاهر يا باطن) نداء على جهة الاستغاثة بالمنادى ، وانما ناداه بهذه الاسماء دون غيرها من الاسماء الحسنى لما تضمنته من معنى الازلية ، والقيومية ، وشمول أوصاف الالوهية ، قال الرازى رحمه الله فى (لوامع البينات) حدثنى شيخى ووالدى انه لما نزلت هذه الآية ، يريد قوله تعالى : هو الاول والآخر والظاهر والباطن » استقبل المشركون المدينة وسجدوا ،

وذكر ان لاهل الاشارات فيها نحو 24 تاويلا ، ذكرها كلها في كتابه المذكور .

قوله (اسمع ندائي بما سمعت به نداء عبدك زكرياء عليه السلام) هذا وما بعده الى قوله : وحل بيني وبين غيرك . هي الامور المطلوبة المستغاث لاجلها ، وهي مطالب العارفين ، والمراد بنداء زكرياء ، هو قوله : رب لا تذرني فردا وانت خير الوارثين ، فاستجبنا له ووهبنا له يحيى وأصلحنا له زوجه انهم كانوا يسارعون في الخيرات ويدعوننا رغبا ورهبا وكانوا لنا خاشعين » .

فطلب الشيخ رضي الله عنه أن يستجاب له كما استجيب لزكرياء عليه السلام . وقيل انه كان يطلب الوارث لسره . « تنبيه » مقاصد الناس في مطالبهم واجابة دعائهم مختلفة . فالعامة مرادهم اجابة الدعاء ، واعطاء مسئلتهم لا غير ، لا ينفذ أرواحهم ولا يلوح لفكرهم غير ذلك ، فهؤلاء عبيد أهوائهم ، وطالبون لحظوظهم ، وهذا غير منهاج العبودية ، والخاصة جعلوا هذا المقصد تابعا لمقصد أعلى ، ومقام اكمل وأسنى ، وذلك انهم قصدوا بمطالبهم وسؤالهم اظهار وصف العبودية من الفقر والاحتياج والعجز وغير ذلك من أوصافها ، والتعلق بأوصاف الربوبية من الغنى المطلق ، والقدرة الكاملة . ولم ينسوا حظهم من فضل مولاهم عز وجل ، فهؤلاء أعطوا لكل ذي حق حقه ، ولكل ذي قسط قسطه ، وهؤلاء عبيد الله ، الا أن فيهم شائبة حظ ، وبقية هوى ، وأكمل منهم وهم خاصة الخاصة ، أعرضوا عن هذا المقصد الاول ولم يلتفتوا اليه أصلا ، واعتبروا المقصد الثاني لكنهم جنحوا الى مقصد أتم وأكمل ومقام أعلى وأفضل ، وذلك انهم قصدوا بمطالبهم ومسائلهم الجلوس على بساط العبودية ، والتحلي بين يدي الرب جل جلاله ، ولذة المكالمة ، وفوائد المخاطبة ، وثمرات المسامرة ، ونتائج المساءلة ، وهذا المقصد هو افضل الابواب التي يدخل على الله سبحانه منها ، واهل هذا المقصد يستوى عندهم العطاء والمنع ، والضر والنفع ، بما حصل لهم من المقصد الاكمل ، والمراد الافضل ، ولم يفتهم من مقاصد من دونهم شيء ، اذ لما توجهوا الى الله سبحانه ، واقبل عليهم ، اقبل عليهم كل شيء ، فاشتغلوا بمقام العبودية التي هي غايتهم القصوى تبعا لرسول الله صلى الله عليه وسلم .

ولتكن على يقين ان الشيخ رضي الله عنه ونفعنا به هو من

أهل المقام الاكمل اذ ابتلى فصبر فى آخر لحظة من حياته ، ومن الذين لو أقسموا على الله لابرهم ، لقوله صلى الله عليه وسلم فى الحديث القدسى : وما يزال عبدى يتقرب الى بالنوافل حتى احبه فاذا احببته كنت سمعه الذى يسمع به ، وبصره الذى يبصر به ، ويده التى يبطش بها ، ورجله التى يمشى بها ، وان سألنى لاعطينه ، وان استعاذنى لاعيذنه ، ومراده فى هذا هو ما أراده خاصة الخاصة ، واسئلته تدل على ذلك حيث :

قـــال : (وانصرنى بك لك ، وأيدنى بك لك ، واجمع بينى وبينك ، وحل بينى وبين غيرك) فهذه المطالب تدل على الانحياز الى الله تعالى والاكتفاء به ، والاستناد اليه والجمع له ، وليس فيها شائبة غيرية ، ولا ركون الى غير الاحدية ، وتعرف لسوى الفردانية ، فقوله : وانصرنى بك لك ، طلب النصر به سبحانه دون وسائله وأسبابه ، هذا معنى قوله بك لك ، ومراده أن تكون نصرته له على القيام بالتكاليف الدينية ، والوظائف الشرعية ، على أن يكون عبدا على الحقيقة ، وقوله : وأيدنى بك لك ، هو بمعنى الاول ، اذ النصر والتأييد هما بمعنى واحد ، لان كل لفظ منهما يصح وقوعه موقع الآخر ، ويدل على معناه ، حيث أردف لفظه بالاخر فالمراد به التأكيد ، وتنويع اللفظ وجزالته ، وفى طلب الشيخ رضى الله عنه النصر والتأييد به سبحانه ، دليل على عدم تعلقه بالاكوان ، واعراضه عنها وفى قوله لك ، دليل على اكتفائه بحقوق ربه ، واعراضه عن حظوظ نفسه وقوله : واجمع بينى وبينك ، طلب لمقام الجمع ، وتنزه عن الاقامة مع الاغيار ، وترفع عن الاستئناس بالآثار ، وقوله : وحل بينى وبين غيرك ، تبرا من القواطع المكدرة لشرب أهل مقام الجمع ، ان الاغيار قاطعة وحاجبة ، وصاحب مقام الجمع اذا لم يحل بينه وبينها تكـــدر صفو مشربه ثم قال رضى الله عنه : (آلله ، آلله ، آلله) أتى عقب مطالبه بلفظ الجلالة لفوائد ، وكرره ثلاثا لفوائد ، أما تلفظه به عقب مطالبه بلفظ الجلالة فللتبرك به ، وليكون به الاختتام كما كان به الافتتاح ، وفيه اشارة الى أن كل شيء منه بدأ ، واليه يعود ، هو الاول والآخر ، وحسن مجيء اسم الله بعد قوله واجمع بينى وبينك ، وحل بينى وبين غيرك ايقـــاظا للارواح ، وتنبيها لها الى التعلق بما له طلبت ، والتخلى عما عنه رغبت عملا بقول الله تعالى : ثم ذرهم فى خوضهم يلعبون » وكرره ثلاثا ليثبت معناه فى الباطن ، ويتأكد فى القلوب ، وأيضا لما كان اسم الجلالة تظهر

معناه أسماء الافعال ومعانى أسماء الصفات . ومعانى أسماء الذات كرره بحسب ما تضمنه من المعانى ليدرك ذاكره فى كل مرة معنى من المعانى التى تضمنها ؛ وهذا اثبت فى النفوس وأرسخ فى البواطن ؛ لا سيما لاهل البداية الذين يضعفون عن ايراد معان كثيرة مع لفظ واحد ؛ ومقصد الشيخ وأمثاله غير هذا ؛ اذ المقاصد بحسب المقامات ولا يبعد أن يكون مقصده فى تكرار العدد الثانى لما فى هذا العدد من الاسرار الحرفية ؛ أو خرقا للحجب الكونية الملكية والملكوتية والجبروتية . مع كل ذكر يخرق عالما من هذه العوالم . فلا يكمل العدد الا وهو فى حضرة القدس : فى مقعد صدق عند مليك مقتدر » وقد شاهدت بعض من له هيئة عالية فى السلوك الربانى . اذا ذكر الله ثلاثا يترقى فى كل مرة مقاما من مقامات أرباب السلوك . فاذا قال الله أولا يكون فى مقام الاسلام ، وثانيا فى مقام الايمان ، وثالثا فى مقام الاحسان . وهو أعظم مقامات القرب من الرب سبحانه كما جاء فى حديث جبريل . حين قال : يا محمد اخبرنى عن الاحسان قال : أن تعبد الله كأنك تراه ، فان لم تكن تراه فانه يراك . وفى بعض الروايات من حيث لا تراه ، ويسمى هذا مقام المكاشفة ، وبعده مقام المراقبة ؛ هذا حكم أرباب المقامات . وأما حكم أرباب الاحوال . فقد ينتقل العبد فى ذكره من حال الى حال أعلى ، فيقول أولا : الله ، وهو فى حال البقاء . ثم اذا قالها ثانيا ، فيكون فى حال الفناء ثم اذا قالها ثالثا فيكون فى حال الفناء عن الفناء ، وهذا أتم حالات أهل الاحوال وسرعة الانتقال فى المقامات والاحوال، وانما يكون لارباب الجذب المافودين عن انفسهم ، فأرواحهم سماوية ، اذا عاشت طاشت ، وقلوبهم عرشية ، اذا سارت طارت ، وأسرارهم جبروتية ، اذا طابوا غابوا ، فافهم ؟

قــولــه : ان الذى فرض عليك القرآن لرادك الى معاد » هذه آية قرآنية أتى بها رضى الله عنه ، لما فيها من معنى الرجوع والمعاد ، منحا لاهل الاشارات اللطيفة ، والمعانى الشريفة ، مع تقريرهم الآيــة على ظاهرها المعروف ، وفهم معناها المالوف ، وهو ان سبب نزول الآية هو انه لما أذن الله لرسوله صلى الله عليه وسلم فى الهجرة الى المدينة ، وخرج من الغار ، صحبةُ صديقه وصفيه ابى بكر الصديق ليلا فسارا فى غير الطريق ، فلما نزلا بالجحفة ، وهى قرية بين مكة والمدينة وعرف طريق مكة اشتاق اليها ، وذكر مولده ومولد ابيه بها ، نزل عليه جبريل بالبشارة

فقال له : أتشتاق الى بلدك ومولدك ؟ فقال عليه السلام : نعم ، فقال جبريل ان الله تعالى يقول : ان الذى فرض عليك القرآن لرادك الى معاد » ومعنى فرض أنزل وأوجب عليك تبليغه الى العباد والتمسك به ، ومعنى الى معاد . أى الى مكة ظاهرا منتصرا على أعدائك . وهذه الآية ينبغى قراءتها للمسافر رجاء عوده الى بلده ظافرا سالما مطمئنا ؛ ثم ختم بقوله تعالى : ربنا آتنا من لدنك رحمة وهيىء لنا من أمرنا رشدا » دعاء ورغبة والله سبحانه المستعان . وهو حسبنا ونعم الوكيل ولا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم . وصلى الله على سيدنا ونبينا ومولانا محمد الفاتح الخاتم عدد ما ذكره الذاكرون . وغفل عن ذكره الغافلون وعلى آله وصحبه وسلم تسليما انتهى والحمد لله على توفيقه واعانته .

وهنــا منــاقب ستــة تتعلــق بالشيــخ رحمه الله

(المنقبــة الاولــى)

هى ان الشيخ رحمه الله كان من أرباب القلوب والاحوال وكانت تحصل له غيبة كانت تقطعه عن حسه .

وذكر الامام الغزالى ان ارباب القلوب قد يشاهدون فى يقظتهم الملائكة ، وأرواح الانبياء ، ويسمعون منهم أصواتا ، ويقتبسون منهم فوائد، ثم يرتقى الحال من مشاهدة الصور والامثال الى درجات يضيق نطاق الفكر عنها . قيل وتواترت الاقوال عن الاولياء بذلك ، وصح عن الشيخ مولانا أبى الحسن الشاذلى انه قال : لو حجب عنى النبى صلى الله عليه وسلم طرفة عين لما أعددت نفسى من المسلمين ، وصح مثل ذلك عن تلميذه العارف بالله تعالى الشيخ أبى العباس المرسى رحمهم اللــه ورزقنــا حبهم آميــن .

« المنقبــة الثــانيــة »

ومن مناقبه أيضا ما نقله حفيده أبو حفص عمر بن عيسى بن عبد الوهاب الذى تقدمت ترجمته سابقا ، ونقلته من خطه بواسطة ما نصه : ان الشيخ مولانا عبد السلام كان يوما بازاء خلوته جالسا يتلو القرآن ، ومعه تلميذه ووارث حاله الشيخ ابو الحسن على الشاذلى ، وعند مــا

وصل فى سورة الانعام الى قوله تعالى : وان تعدل كل عدل لا يوخذ منها »
ورد عليه وارد الاهى ، ونزل به حال قوى اقتطعه عن حسه واستغرق
فيه مدة ، فلما أفاق رفع يديه الى السماء داعيا الله تعالى : وكان مــن
جملة ما دعا به (أن من سبق له الشقاء والحرمان لا يصل اليه . وان من
وصل اليه يكون شفيعا له يوم القيامة) . وهو معنى ما وجد بخط الشيخ
العارف بالله تعالى مولاى عبد الله الغزوانى ، ونقل عن الولى الصالح
مولاى عبد الله بن ابراهيم الشريف اليملاحى العلمى نزيل جبــل وزان
ودفينه ، الذى وجدته بخط شيخنا سيدى محمد بن أحمد المسناوى هــو
قوله : (اللهم لا تبعث لنا من حكمت بشقائه . وان بعثته الى فشفعنى
فيه يوم القيامة) قالوا ووقعت حكايات من هذا النوع . شاهدها ويشهد
بها الكثير من الناس ، وهى انه وقع اسلام بعض من كان كافرا حين قارب
الضريح المذكور ، كما اتفق لبعض الفسقة ما صرفهم عن الوصول الــى
الضريح الموقر بعد أن لم يبق بينهم وبينه الا مسافة قليلة .

« المنقبــة الثــالثــة »

وهى ما رواه كثير ممن شرح الصلاة المشيشية ، من قول تلميذ
الشيخ الجامع ، الشيخ أبى الحسن على الشاذلى رحمهم الله ، قال :
كنت يوما بين يدى أستاذى ، فقلت فى نفسى ليت شعرى هل يعلم الشيخ
اسم الله العظيم الاعظم ؟ فقال ولد الشيخ سيدى محمد وهو فى آخر المكان
الذى أنا فيه ، يا أبا الحسن ليس الشأن من يعلم الاسم ، انما الشأن من
يكون هو عين الاسم ، فقال الشيخ : وهو فى صــدر المكــان ، (أصاب
وتفرس فيك ولدى) قالوا وهذه الكرامة لابنه سيدى محمد أكبر أولاده ،
المدفون وراء ظهره فى ضريحه .

« المنقبــة الرابعــة »

وهى ما روى ان رجلا قال للشيخ رحمه الله : يا سيدى وظف على
وظائف وأورادا أعمل بها ، فقال الشيخ فى شدة وغضب للسائــل : !
أرسول أنا ؟ الفرائض مشهورة ، والمحرمات معلومة ، فكــن للفرائض
حافظا ، وللمعاصى رافضا ، واحفظ قلبك من ارادة الدنيا ، وحب النساء ،
وحب الجاه ، وايثار الشهوات ، واقنع من ذلك بما قسمه الله لك ، اذا

خرج لك مخرج الرضى فكن لله شاكرا . واذ اخرج لك مخرج السخط فكن عليه صابرا . وحب الله قطب تدور عليه الخيرات ، وأصل جامع لانواع الكرامات . وحصول ذلك يكون باربعة : الورع ، وحسن النيــة . واخلاص العمل . وصحبة العلم . ولا تتم لك هذه الجملة . الا بصحبة أخ صالح . أو شيخ ناصح .

((المنقبــة الخــامســة))

وهى ما روى أيضا . ان رجلا قال له : يا سيدى أستاذنك فى مجاهدة نفسى ، فاجابه ارتجالا : انما يستاذنك الذين لا يومنون بالله واليوم الآخر وارتابت قلوبهم فهم فى ريبهم يترددون » .

((المنقبــة الســادســة))

وهى ما هو جار مجرى المثل على الالسنة الى الآن ، وذلك ان رجلا قال للشيخ رضى الله عنه : لم اتخذت فى تربيتك تلميذا واحدا ؟ وفى كثرة التلاميذ كثرة الاجر . فاجابه الشيخ بقوله : شجرة مصونة افضل من جنان مفرط) .

((المنقبــة السابعــة))

وهى ما رواه العلامة الشيخ عبد الحى الكتانى لما جاء زائرا ضريح الشيخ مولانا عبد السلام سنة 1371 هجرية لمن كان حاضرا من الشرفاء عند ضريح القطب المذكور ، وهى انه ثبت عنده بوثائق ان الشيخ مولانا عبد السلام أقام بمدينة سبتة من أجل الدخول الى عدوة الاندلس بقصد المشاركة فى المعارك الحربية مع الاسبانيين أيام الموحدين ، وقد طال مقامه بها عدة سنين ، مع العلم ان مدينة سبتة كانت لذلك العهد مركزا حربيا للعساكر الاسلامية وقد كان ياخذ رزقه من تعليم القرآن الكريم لابناء الجنود المسلمين ، ويذكر ان سبب خروجه من سبتة كان بسبب اذاية امرأة سلطت عليه وصادف الحال موت أخيه سيدنا الحاج موسى الرضى ، وبعد رجوعه لازم الخلوة والعبادة 20 سنة ثم توفاه الله اليه شهيدا ، قالوا وهى مدة القطبانية ، ثم وجه الشيخ المذكور اسئلة لمن حضر معه تتعلق بأنسابهم ومعرفة المشاهير من أجدادهم فأجابوه عليها أجوبة صحيحة حتى كانوا

يعرفونه مدفن كل واحد منهم ، ثم شكرهم على ذلك ثم رافقه بعض الشرفاء فزار قرية تزروت وزار مقبرتها وعرفوه على من بها من الاولياء المشاهير ، ومنها رافقوه الى قلعة حجر النسر ، فزار ضريح الولى الصالح بها سيدى مزوار وتعرف على اثر القلعة ثم واصل السير الى مدينة فاس .

نبــذة مــن كلامــه مــع تلميــذه

ومن كلامه رضى الله عنه مع تلميذه ووارث سره الشيخ أبى الحسن على الشاذلى : الزم الطهارة من الشكوك ، كلما أحدثت تطهرت ، ومن دنس حب الدنيا كلما ملت الى شهوة أصلحت بالتوبة ما أفسدت بالهوى أو كدت ، وعليك بمحبة الله على التوقير والنزاهة ، وأدمن الشرب بكاسها مع السكر والصحو كلما أفقت أو تيقظت شربت حتى يكون سكرك وصحوك به ، وحتى تغيب بجماله عن المحبة وعن الشراب والشرب والكاس بما يبدو لك من نور جماله ، وقدس كمال جلاله ، ولعلى أحدث من لا يعرف المحبة ولا الشراب ولا الكأس ولا السكر ، ولا الصحو ، قال له : أجل ، وكم من غريق فى الشىء لا يعرف بغرقه ؟ فعرفنى ونبهنى على ما أنا عليه جاهل ، أو ما من به على وأنا عنه غافل ، قلت : لك نعم ، المحبة اخذة من الله قلب من أحب بما يكشف له من نور جماله ، وقدس كمال جلاله ، وشراب المحبة يمزج الاوصاف بالاوصاف ، والاخلاق بالاخلاق ، والانوار بالانوار ، والاسماء بالاسماء ، والنعوت بالنعوت ، والافعال بالافعال ، ويتسع فيه النظر لمن شاء الله تعالى ، والشرب سقى القلوب والاوصال والعروق من هذا الشراب ، ويكون الشرب بالتدريب بعــد التــدريب والتهذيب ، فسقى كل على قدره ، فمنهم من يسقى بغير واسطة ، والله تعالى يتولى منه ذلك له ، ومنهم من يسقى من جهة الوسـائط ، كالملائكة والعلماء الاكابر من المقربين ، ومنهم من سكر بشهود الكأس ، ولم يذق بعد شيئا ، فما ظنك بعد بالذوق ؟ وبعد بالشرب ؟ وبعد بالرى ؟ وبعد بالسكر بالمشروب ؟ ثم الصحو بعد ذلك على مقادير شتى كالسكر أيضا كذلك ، والكأس معرفة الحق ، يغرف بها من ذلك الشراب الشراب الطهور المحض الصافى لمن شاء من عباده المخصوصين من خلقه ، فتارة يشهــد الشارب تلك الكأس صورة ، وتارة يشهدها معنوية ، وتارة يشهدها علمية ، فالصور حظ الابدان والنفوس ، والمعنوية حظ القلوب والعقول ، والعلمية

حظ الارواح والاسرار . فياله من شراب ما أعذبه ! ! فطوبى لمن شرب منه ودام ولم ينقطع عنه نسأل الله المولى العظيم من فضله . « ذلك فضل الله يوتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم » الواسع العليم . قد تجتمع جماعة من المحبين فيسقون من كأس واحد . وقد يسقون من كؤوس كثيرة . وقد يسقى الواحد بكأس وكؤوس . وقد تختلف الاشربة بحسب عـــدد الاكواس ، وقد يختلف الشرب من كأس واحد ، وان شرب منه الجم الغفير من الاحبـــة . انتهى كلامه .

تفسير الشيـــخ أبـــى الحســـن لكـــلام شيخـــه

أشار رحمه الله الى أن حضرة الله تعالى مقام رفيع مطهر لا يدخله الا متطهر من جنابة الغفلة المعنوية . وهى الشك وحب الدنيا . فالشك ضيق الصدر عند احساس النفس بمكروه يصيبها من فقر أو نحوه . فاذا ضاق صدره أظلم قلبه . وأصابه الغم والحزن ويترتب على ذلك الشرك الخفى ، وهو التعلق بالاسباب والاستناد اليها ، والطهارة منه انما تحصل باليقين بأن الله تعالى هو متولى ذلك فى الحقيقة ، والخلق مسخـــرون ومستعملون ومدفوعون . فينقطع القلب له ، ويثق به ، ويتسع الصدر وينشرح له ، ويزول عنه الحرج والضيق ، وعند ذلك يجد القلب الـــروح والفرح بالله تعالى . وفى الحديث عنه صلى الله عليه وسلم ان الله بقسطه جعل الروح والفرح فى الرضى واليقين ، وجعل الغم والحزن فى السخط والشك ، فان قلت غير المعصوم لا يخلو من عروض ذلك المعنى لـــه ؟ الجواب : انما يتوقف على سكونه فى القلب ، لا على خطوره فيه ، والذى لا يخلو غير المعصوم منه الثانى لا الاول . وقال الشيخ أبو الحسن سمعت الحديث المروى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من سكن خوف الفقر قلبه قلما يرفع له عمل . فمكثت سنة أخاف انه لا يرفع عملى ، أقول : ومن يسلم من ذلك ؟ فرأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فى المنام ، وهو يقول لى : يا مبارك أهلكت نفسك ، فرق بين خطر وسكن ، المومن يخطر فى قلبه ولا يسكن .

وأجاب عن حب الدنيا فقال : واما حب الدنيا فهو راس كل خطيئة ، اذ الداعى له الميل الى الشهوات التى تقضى بها ، وهى أغراض نفسانية

مبعدة عن الله تعالى وفى ذلك مراتب متفاوتة ، والطهارة منه كذا .. ثم توبة عن الشهوات . فكلما انقطعت شهوة انتقص من حب الدنيا بقدر ذلك ، فان قلت القواطع عن الحضرة كثيرة ؟ فلم اقتصر الشيخ على الشك وحب الدنيا ؟ الجواب : قلت هى وان كثرت فمنتشئة عن ثلاث أصول ، هى : هم الرزق ، وخوف الخلق ، والرضى عن النفس . وهى التى اشار اليها الشيخ رضى الله عنه ، فان الرضى عنها فى ضمن ما ذكر ، اذ لولاه مـا تعلق بالاسباب ولا أحب الدنيا ، فاذا لزم العبد الطهارة منهما معا ، تأهل لدخول حضرة المحبة . فحينئذ يوصى بالعكوف عليها ، وقوله على التوقير والنزاهة احتراز مما قد يعرض للمحب من الانبساط والادلال فى الحضرة ، فان ذلك مزلة اقدام الرجال ، كما فى لطائف المنن . وقيل : قف على البساط واياك والانبساط . وكثيرا أخذ من هذا الباب . ومنهم من تعـدى حدود الشريعة فاقيمت عليه حدودها . واصاب مقيمها عليه . وان كان هو محقا فى باطن الامر ، قالوا ومثال ذلك : مثال ملك أوقف أحد عبيده على بابه ، وأمره بلزوم مقامه . وان لا يتجاوز حده ، وأمره ان من تعداه وأراد الدخول على الملك أن يقتله أو يؤدبه ، ثم اختص عبدا آخر واذن له فى الدخول عليه من غير اذن ولا مشاورة أحد ، فلما أراد الدخول منعه المامور بالمنع ، فلما تجاوز الحد ودخل قتله ، فالقاتل فى الحقيقة أمين مصيب ، بامضاء أمـر الملك ، والمقتول شهيد مرحوم مقرب من أجل الاذن له ، وقوله وادمن الشرب فقد بينه بما هو الشراب عند القوم فقال : الشراب وقبله الـذوق ثم الشوق ثم الشراب ، وهو النور الساطع من جمال المحبوب ، اى وذلك يقتضى غيبة المحب عن غيره وفناءه فيه ، وهذا معنى قول الشيخ نفعنا الله به ، (شراب المحبة مزج الاوصاف بالاوصاف) اى تغييب المحبوب أوصاف المحب فى أوصافه ، فيفنى عن أوصاف نفسه ، قال الشيخ ابو العباس المرسى رحمه الله ، ان لله عبادا محى افعالهم بأفعاله ، وأوصافهم بأوصافه، وذاتهم بذاته ، وحملهم من أسراره ما يعجز عنه عامة الاولياء ، وهم الذين غرقوا فى بحر الذات وتيار الصفات ، فهى اذا فناءات ثلاث : ان يفنيك عن افعالك بأفعاله ، وعن اوصافك بأوصافه ، وعن ذاتك بذاته ، ولذلك قـال قائلهـم :

وقـوم تـاهـوا فى أرض بقفـر ... وقـوم تاهـوا فى ميـدان حبـه
فأفنـوا ثـم افنـوا ثم افنـوا ... وأبقـوا بالبقـا مـن قـرب قربه

وفى الحديث القدسى اشارة لهذا من قوله صلى الله عليه وسلم : كنت سمعه الذى يسمع به ، وبصره الذى يبصر به . فاذا ثبتت المحبة قوى سلطان المحبوبية على سلطان المحبية . فافناه عما ذكر ، فغيبت الصفات بالصفات ، وتام الوجود بالوجود ، ولا يخرجك عن الوصف الا شهود الموصوف ، فجاءت خلع الجود على يد فبى يسمع وبى يبصر . فان قلت ادمان الشرب مع الصحو واضح ؟ وكيف يتصور ادمانه مع السكر ؟ والسكران غائب ، الجواب : قلت قد تعرض للسكران افاقة ما ، لا تبلغ حقيقة الصحو ، فأوصى الشيخ بالشرب عندها ولذا قال : (كلما افقت أو تيقظت شربت) فان قلت أما غيبة المحب بالجمال عن المحبة وعن الشرب والكأس فبينة ؟ وأما غيبته عن الشراب فمشكلة ؟ اذ الشراب هو النور الساطع من جمال المحبوب كما سبق . فكيف يغيب عن الشيء بنفسه ؟ الجواب : قلت : المراد أن يغيب عن معنى كونه شرابا لا عن حقيقته . اذ تصور كونه شرابا يستدعى تصور كون المحب شاربا . وذلك شعور بنفسه . وهو مضاد للفناء فى جمال المحبوب وقوله اخذة : أى قربة اليه وجذبة له بمواجهة الجمال الذى منه كل جمال حتى لا تبقى فيه بقية لغير المحبوب . وقوله والشرب سقى القلوب أى وقبله الذوق والشوق : فمن كشف له عن ذلك الجمال وحظى بشيء منه نفس أو نفسين ، أو ساعتين ، فهو الشارب حقا ، ومن توالى عليه الامر ودام عليه الشرب حتى امتلات عروقه ومفاصله من أنوار الله المخزونة فذلك هو الرى وربما غاب عن المحسوس والمعقول ، فما يدرى ما يقال له وما يقول ، فذلك هو السكران وأما قوله فتارة يشهد الشارب تلك الكأس صورة فمتوقف على الذوق ، من الله علينا به بكرمه آمين . فهذه اشارة اجمالية لبيان كلامه رضى الله عنه واما شرحه على الحقيقة فلا تفى بـــه الدفاتر الضخمة ، وبالجملة فعلو منصبه وعظيم خصوصيته شهير لا يحتاج الى الاستدلال ، لكن جعل الله كلام الرجل علامة على حاله ، قال الله تعالى : ولتعرفنهم فى لحن القول » فلذلك ذكرنا لك شيئا منه ، وقال الشيخ ابو الحسن : اوصانى حبيبى فقال : لا تنقل قدميك الا حيث ترجو ثواب الله ، ولا تجلس الا حيث تأمن غالبا من معصية الله ، ولا تصحب الا من تستعين به على طاعة الله ، ولا تصطف لنفسك الا من تزداد به يقينا ، وقليل ما هم .

وقال أيضا : اوصانى استاذى فقال : الله الله ، والناس الناس نزه لسانك عن ذكرهم ، وقلبك عن التماثيل من قبلهم ، وقل اللهم ارحمنى مـــن

ذكرهم ومن العوارض من قبلهم ، ونجنى من شرهم ، واغننى بخيرك عن خيرهم ، وتولنى بالخصوصية من بينهم ، انك على كل شيء قدير .

وقال الشيخ أبو الحسن ايضا : أوصانى أستاذى رحمه الله فقال : لا تصحب من يؤثر نفسه عليك فانه لئيم . ولا من يؤثرك على نفسه . فانه قلما يدوم . واصحب من اذا ذكر ذكر الله . فالله يغنى به اذا شهد ، وينوب عنه اذا فقد . ذكره نور القلوب . ومشاهدته مفاتيح علام الغيوب .

وقال : سألت أستاذى رضى الله عنه عن قوله عليه الصلاة والسلام : يسروا ولا تعسروا . وبشروا ولا تنفروا . فقال : يعنى دلوهم على الله . ولا تدلوهم على غيره ، فان من دلك على الدنيا فقد غشك . ومن دلك على العمل فقد أتعبك ، ومن دلك على الله فقد نصحك . ومن كلام الشيخ أبى الحسن رضى الله عنه ذرة من أعمال القلوب خير من مثاقيل الجبال من عمل الابدان . وقال الشيخ أبو الحسن رضى الله عنه : رأيت كأنى مع النبيئين عليهم أفضل الصلاة والسلام : فقلت اللهم أسلك بى سبيلهم مع العافية مما ابتليتهم . فهم أقوى منى ، فقيل : لى قل : وما قدرت علينا من شر فأيدنا فيه كما أيدتهم . ومن أقواله رضى الله عنه : اذا أردت أن لا يصدأ لك قلب ، ولا يلحقك هم ولا كرب ، ولا يبقى عليك عيب ، فأكثر من ذكر الباقيات الصالحات ، وهى : سبحان الله والحمد لله . ولا الاه الا الله والله أكبر ولا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم . وقال تعالى : والباقيات الصالحات خير عند ربك ثوابا وخير املا » . ومن أقواله رضى الله عنه لا يكمل عالم فى مقام العلم ، حتى يبتلى بأربع ، شماتة الاعداء ، وملامة الاصدقاء ، وطعن الجهال ، وحسد العلماء . فان ثبت وصبر على ذلك جعله الله اماما يقتدى به . وقال المفسرون فى قوله تعالى : ولذكر الله أكبر » عن أبى الدرداء رضى الله عنه قال : الا أنبئكم بخير أعمالكم وازكاها عند مليككم ، وأرفعها فى درجاتكم ، وخير لكم من اعطاء الذهب والورق ، وخير لكم من أن تلقوا عدوكم فتضربوا أعناقهم ويضربوا أعناقكم ، قالوا بلى يا رسول الله ، قال : ذكر الله . وروى انه سئل اى العباد افضل درجة عند الله يوم القيامة ؟ قال : الذاكرون الله كثيرا ، قالوا يا رسول الله ومن الغازى فى سبيل الله ؟ فقال : لو ضرب بسيفه الكفار والمشركين حتى ينكسر ويختضب دما ، لكان الذاكرون الله كثيرا افضل منه درجة ، فالذكر افضل الاعمال ، وهو المقصود من الصلاة

وتلاوة القرآن . ولذا ورد عن الجنيد رضى الله عنه : انه كان ياتيه العصاة يريدون التوبة على يده ، فكان يلقنهم الذكر ، ويامرهم بالاكثار منه ، فتنور قلـــوبهـــم .

« ملاحظة » وكأننى أرى المغرورين الآثمين من أرباب العمائم واللحى من مشائخ هذا العصر وأتباعهم اعتمدوا هذه الاحاديث وفضلوها على الجهاد فى سبيل الله ، والموت من أجل اعلاء كلمة الله ، ابتغاء العيش الهنىء بين اهلهم وذويهم ففازوا برضى المستعمر عدو الدين والدنيا وحدهم دون غيرهم ممن ليس معهم فى حزبهم فكان جواز سفرهم اثناء عهد الحماية شعارهـم اللحية والسبحة فى العنق وزيادة العكاز ، ومن اجل ذلك عاشوا كما يريدون تحت أمنه وحمايته لحزبهم ، وما على الذين يريدون عيشة الامن والحماية الا أن يدخلوا فى حزبهم ، والا عاشوا أعداء سجناء مغلولين مقيدين مجرمين .

وأما كرامات الشيخ مولانا عبد السلام فمنها ما كان فى حياته ، ومنها ما وقع بعد موته ، فمما وقع فى حياته اتصاله بشيخه سيدى عبد الرحمـــن المدينى فى الشرق ، وعند ما سئل عن ذلك فقيل له هل كنت تاتيه أو كان ياتيك ؟ قال كل ذلك قد كان ، فقيل له طيا او سفرا فقال طيا ، كما سياتى وأما كراماته بعد موته فنتركها لحديث الناس عنها لكثرتها ، واختلاف أسبابها. فما حصل للناس من اغاثات ، وارشادات فى ذلك فحدث ولا حرج ، ولا يزال ذلك واقعا يتحدث عنه ذوو النيات الصالحة من محبى آل بيت النبى صلى الله عليه وسلم الى الآن . كأن الله سبحانه اختاره من بين أوليائه ، واستودع فيه جود النبى صلى الله عليه وسلم واكرم به أهل المغرب يستضيئون بنوره ، ويستفيدون من وجوده كما أتم عليه نعمته فأكرمه بذريته الكثيرة العدد ، وذرية اخوانه وابناء عمه العلميين والادريسيين المنبثين فى مختلف أرجـــاء المغرب ، وقد سبقت لهم دعوة النبى صلى الله عليه وسلم بالبركة فى ذريـــة فاطمة الزهراء رضى الله عنها ، واعتنى العلماء والامراء بحفظها والسهر عليها ، ولن تزال هذه الامة بخير ما وفت لرسول دينها صلى الله عليه وسلم برسالته الخالدة الى يوم الدين .

ولادة الشيـــخ مولانـــا عبـــد الســـلام

ويرجع تاريخ ميلاده الى حوالى سنة 559 ــ او ــ 563 هجرية ،

وعلى التاريخ الاخير يكون عاش مع الولى الصالح مولاى عبد القادر الجيلانى فى الشرق سنتين ، لان تاريخ وفاته سنة 565 هجرية ، وما قيل من انه كان فى مكتب القرآن وهو يتعرض له فيتطلع عليه من المغرب سقى بستانه ، فهو من خرافات العامة ، ولا أساس له من الصحة .

وتاريخ ميلاده بناء على انه عاش 63 سنة كعمر النبى صلى الله عليه وسلم ، وخلق بقرية الحصن من قبيلة بنى عروس القريبة من ضريحه الواقعة فى سفح الجبل الذى هو به من جهة القبلة ، ويوجد البيت الذى ولد به الشيخ المذكور بازاء جامع الدلم محفوظا الى الآن ، 1392 هجرية ، وبالقرية المذكورة ثلاثة مساجد أخرى فرعية لاقامة الخمس وتمتاز القرية المذكورة ببناء حصن مولاى اليزيد العلوى بالقرب منها .

دراسته القرآنية والعلمية

ولما بلغ سن التعليم ادخله والده سيدنا مشيش مكتب القرآن الكريم على عادة سكان أهل القرى ، ولم تمر عليه اثنتا عشرة سنة حتى حفظ القرآن الكريم بالروايات السبعية ، ويقال : ان شيخه القرآنى هو الولى الصالح سيدى سليم دفين قبيلة بنى يوسف ، وقال فى كتاب الالمام والاعلام : قد ادركه الجذب وهو ابن سبع سنين ، فى مغارة من الجبل المعروف ، وفى بعض الايام دخل عليه رجل عليه سيما اهل الخير والصلاح ، فقال له انا شيخك الذى كنت أمدك ، ووصف له ما وصل اليه على يده من المنازلات والمعارف مضافا الى زمانه ، وسئل رحمه الله فقيل له : هل كنت تاتيه او كان ياتيك ؟ فقال : كل ذلك قد كان ، فقيل له : طيا او سفرا ؟ فقال طيا . ومن اشهر مشائخه فى الدراسة العلمية الولى الصالح الفقيه العلامة سيدنا الحاج أحمد الملقب « اقطران » وقد استبدلت هذه الكلمة اخيرا « بالعسلانى » تأدبا مع الشيخ المذكور ، وهو دفين قرية ابرج بقبيلة الاخماس بالقرب من باب تازة ، وتقدر المسافة بينها وبين قرية الحصن المذكورة بنحو 40 ميلا ، وضريح الشيخ يعتبر من المزارات الشهيرة وعليه مشهد من المبانى الفاخرة ، كان الشيخ المذكور ياخذ عنه العلوم الفقهية بالمدونة على مذهب امامنا مالك ، وسياتى بقية الكلام على الشيخ العسلانى عند وفاة تلميذه الشيخ مولانا

عبد السلام . وما قيل من انه اخذ العلم عن الولى الصالح الشيخ أبى سعيد المكنى ابا سلهامة صاحب شاطىء المحيط الاطلسى فى مصب بحيرة الى جهة مدينة القصر الكبير المتوفى سنة نيف واربعين وثلاثمائة ؛ وقبره مشهور تأوى اليه أنواع من الغرباء العاطلين فهو خرافة لما بينهما من البون التاريخى كما علمت ؛ وكان الشيخ المذكور معاصرا للولى الصالح سيدى محمد بن سعادة ؛ كان فقيها عالما بالفروع حاذقا مائلا الـــى التصوف كثير العبادة بالقيام والصيام اندلوسى الاصل كان محدثا بالمدن التالية من ارض الاندلس ؛ مرسيا ؛ وبلنسيا وشاطبة ؛ ؛ وجد له تأليف بخزانة القرويين بفاس يسمى : شجرة الوهم المرتقية الى ذروة الفهم ، توفى سنة 665 هجرية ودفن بقبيلة الاخماس . وله مشائخ ايضا فى التربية والسلـوك الربانـــى .

ومن مشائخه فى ذلك الولى الصالح الصوفى الربانى العلامة المكنى ابا محمد سيدنا عبد الرحمن بن الحسن الشريف العطار الشهير بالزيات لسكناه فى حارة الزياتين بالمدينة المنورة ؛ وبعد اقامته بالمغرب توفى ودفن بترغة احدى القبائل الغمارية على شاطىء المتوسط ويعرف عندهم بفقيه مولاى عبد السلام واما الموضع المعروف باسمه بالقرب من ضريح القطب مولاى عبد السلام ؛ عن يمين القبلة بازاء حجر كبير تجاه القبلة ؛ فانما هو موضع تنسكه ، والقبر المسنم داخل حوش الحجارة فهو قبر الولى الصالح المجذوب المجاهد المخلص الشريف مولاى احمد التزبى من أولاد عيسى ، توفى قبل ان تطأ اقدام الاستعمار الاسبانى ضريح الولى الصالح الشيخ مولانا عبد السلام بيوم واحد متأثرا من جراح شظية قنبلة الطائرة التى سقطت بجانبه ، سنة 1346 هجرية فى 15 حجة الحرام ، وفى 17 منه سكت صوت بنادق المجاهدين بعد ان ابلوا بلاء حسنا مع الاستعمار الاسبانى موافق سنة 1927 ميلادية ، ومن مشائخه فى العلم اخوه الاكبر سيدنا الحاج موسى الرضى ، ومن هذا نتحقق ان علومه كانت كسبية خلافا لمن يزعم ان علومه كانت وهبية ، كما ان طريقته فى المعرفة بالله كانت سلوكية لا جذبية ، ومن المعلوم ان السالك ياخذ الاشياء عادية ، وان المجذوب على العكس من ذلك .

طريقتــه ومشائخــه فى المعرفــة بربــه

اخذ الطريقة عن شيخه الاول ، ومربيه من صغر سنه ، الولى الصالح سيدنا العارف بالله تعالى الشيخ عبد الرحمن المدنى ، وهو عن عارف وقته الشيخ القطب تقى الدين لقب نفسه « تقى الفقير » بالتصغير فيهما ، وهو من أرض العراق وهو عن القطب فخر الدين ، وهو عــن القطب نور الدين أبى الحسن على وهو عن القطب تاج الدين ، وهو عن القطب شمس الدين بأرض الترك ، وهو عن القطب زين الدين القزوينى، وهو عن القطب أبى اسحاق ابراهيم البصرى وهو عن القطب أبى القاسم احمد المروانى ، وهو عن القطب أبى محمد سعيد ، وهو عن القطب سعد . وهو عن القطب أبى محمد فتح السعود ، وهو عن القطب سعيد الغزوانى ، وهو عن القطب جابر عن اول الاقطاب أبى محمــد الحسن بن على عن ابيه على بن أبى طالب عن رسول الله صلى الله عليه وسلم . هكذا ذكره سبط الشيخ ابى الحسن الشاذلى رحمه الله .

وقيل ان الشيخ سيدى عبد الرحمن المدنى ، اخذ عن الشيخ أبى احمد جعفر بن عبد الله بن أحمد بن سيد بونة الخزاعى الاندلسى عن الشيخ ابى مدين وغيره وهو ممكن لان الشيخ ابا مدين توفى سنة 594 هجرية عن نحو 85 سنة والذى فى اليواقيت العصرية للموقت المراكشى انه توفى سنة 580 هجرية وتوفى تلميذه الشيخ ابو احمد بن سيد بونة سنة 624 هجرية عن نحو 100 سنة وعليه فيكون قد اجتمع بشيخه مدة 60 — أو — 70 سنة ، وعاش بعد شيخه نحو 30 — او — 40 سنة ، ويكون قد عاش مع الشيخ مولانا عبد السلام ، الشيخ ابو مدين نحو 17 — أو — 21 سنة ، وعاش مع ابن سيد بونة نحو 24 — او — 46 سنــة ومدة حياته 63 سنة ، ولهذا فمن الجائز ان يكون سيدى عبد الرحمن المدنــى اخذ عن الشيخ احمد بن سيد بونة ، بواسطة جعفر بن عبد الله عــن شيخ شيخه أبى مدين لانهما متعاصران ومدفن الشيخ ابى مدين فى جبل تلمسان بموضع يقال له رباط العباد من أرض الجزائر ، وقال الشيخ ابو العباس المرسى رحمه الله : فى طريقة سيدى عبد الرحمن المدنى انها متصلة بالاقطاب معنعنة برجل عن رجل الى الحسن بن على عن ابيه على ابن أبى طالب عن النبى صلى الله عليه وسلم .

مسكنــه وحيــاتــه

كان رحمه الله اختار لنفسه محل سكناه بموضع كانت به قرية غخربت قديما تدعى اديار الفوقانى . بأسفل ضريحه من الجبة الغربية على بعد ميلين ، ويقال ان اهل القرية تحولوا ونزلوا بالقرب منها حيثهما اليوم ، واما حياته فانه كان يعيش على الانتاج الفلاحى ، وكان معتمدا فى ذلك على عزيبين . احدهما بحومة ومراس ولا زالت به دار تنسب له الى اليوم ، والحومة المذكورة تقع بقرية أبى زهرى وهى على بعد نحو عشرة أميال من موضع سكناه . والآخر يوجد بالقرب من أرض عياشة بأسفل قبيلة بنى عروس على بعد نحو 55 ميلا . ويدعى (أبو مجدى) ولن يزال آثاره بها الى الآن منها عين ماء تنسب اليه كثيرة المياه ، وكانت توجد خربة داره بها وبعض القبور التى كانت توجد الى جانب المسجد الى أن غير ذلك خليفة القائد السيد المفضل التجزتى عند ما حول سكناه اليها بعد عهد الاستقلال . وبنى لنفسه دارا بالموضع المذكور غير مبال بهذه المعالم الاثرية ، كما يوجد بالقرب من القرية موضع تعبده على حجارة ، ويحكى انه كان عند اقامته بالقرية المذكورة كان يصلى الجمعة بجامع الرميلة من غرفة الخطوط بقبيلة بنى جرفط ، وهى على مسافة نحو ستة أميال من العزيب المذكور ، وبالقرب من العزيب المذكور موضع مرتفع تعلوه شجرة برية قديمة وعليها حوش من الحجارة ، ينسب لام الشيخ مولانا عبد السلام ، يدعى بمقام « للازهرة » وان أرض هذه السهول أغلبها مملوك لحفدة الشيخ مولانا عبد السلام الى الآن . وقد أنجز لهم ذلك عن طريق ميراث الآباء والاجداد ، الا من خرج عن حظه بالبيع ، ومن هذا تعلم ان الشيخ رحمه الله كان يعتمد فى حياته على الانتاج الفلاحى على ما كان يعيش عليه أهل زمانه ، ولم يكن الشيخ منكبا على العبادة فى الخلوة طول حياته كما يتصوره البعض ، بل الظاهر من خلال اعماله انه قسم حياته الى ثلاثة مراحل ، أعطى المرحلة الاولى للحياة العلمية ، واعطى المرحلة الثانية للاشتغال بالاولاد والجهاد ، واعطى المرحلة الثالثة للتفرغ والعبادة ، وفى هذه المرحلة اختار المقام بالجبل الذى هو به فى القرية المذكورة ، فى بعد عن العمران ، حتى توفى بالمكان الذى هو به الى الآن .

وفـاتـه شهيـدا

وقد كان من قضاء الله وقدره أن لا تكمل عبقريته الا بوفاته شهيدا فيكون : مع الذين أنعم الله عليهم من النبيئين والصديقين والشهـداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا » توفى قبل صلاة الفجر صبيحة يـوم السبت سنة 622 وقيل 623 وقيل 624 وقيل 625 وقيل 626 هجرية ، عن عمر 63 سنة ، ودفن بقنة الجبل بالموضع الذى هو به الى اليوم ، ودعى بجبل العلم فصار هذا الاسم علما بالغلبة على هذا الجبل الذى به مدفن الشيخ رحمه الله . وقد اتفق النسابون على أن ينسبوا اليه كل من سكنه من أولاد الولى الصالح سيدنا أبى بكر بن على الجد الجامع لنسب العلميين ، فيقال لمن كان أصله ينحذر من أبى بكر فى غير قبيلـة بنى عروس علمى ، ولا يطلق هذا الاسم على أبناء عمهم الادارسة ولـو سكنوا معهم فى جبل العلم . وقد اتفق فى هذا اليوم الذى استشهد فيـه الشيخ المذكور ان شيخه الولى الصالح سيدى الحاج أحمد أقطران محب آل البيت جاء زائرا ضريح الولى الصالح سيدنا الحاج موسى الرضى بن مشيش أخى الشيخ المذكور ، فتوجه صبح ذلك اليوم صحبة جماعة من الاجلة الى قبره بقصد الترحم عليه والدعاء له ، وفيهم ولد الشيخ الشهيد ، واحد ابناء الشيخ المزور ، سيدنا سليمان المكنى أبا بكر وعند ما شرعوا فى قراءة يس ووصلوا الى قوله تعالى : هذا ما وعد الرحمن وصدق المرسلون » رأوا علامة انعكست عليهم فى شكل قوس قـزح ، ففزعوا من ذلك والتفت بعضهم لبعض وكاد ذلك يصرفهم عن القراءة ، فأشار اليهم ولد الشيخ الذى كانوا فى زيارة قبر أبيـه ، أن استمـروا فاستمروا حتى اتموا السورة وقرأوا بعدها الفاتحة ، وجعلوا يرددون اللهم يا لطيف نسألك اللطف فيما جرت به المقادير . وبينما هم يريـدون الانصراف اتاهم شخص لم يعرفوه ، فأخبرهم بوفاة الشيخ الشهيد ، فتوجهوا فى حيرة ودهشة الى مكان الحادث ، وهى مسافة تقدر بعشرة اميال ، فوجدوا الشيخ المذكور مذبوحا مضرجا فى دمه ، فوق العين المعروفة بعين البركة ، وهى العين التى كان يتوضأ فيها الشيخ رحمه الله ، ويصعد لمسجده الخاص بقنة الجبل ، وهو المعروف اليوم بين العامة بجامع الملائكة ، ويعرف المكان اليوم بالمنازه ، والى جانب المسجد مغارة الشيخ

التى كانت صالحة للجلوس والنوم ، وهى التى بنى اليوم فوقها خزان للمياه العذبة ثم يتفرق فى الاماكن الخاصة ، ثم تولى شيخه المذكور غسله وتكفينه والصلاة عليه ثم دفن بالموضع الذى هو به الى اليوم . مع من حضر من أولاده واولاد اخيه ، وابناء أعمامه وغيرهم من سائر الحاضرين ولن يزال محل غسله ومحل تكفينه محفوظين الى اليوم ، بأسفل الضريح قريبا منه الامر الذى يدل دلالة قاطعة على أن الامور كانت عادية ولم يكن فيها شىء من الخوارق ، كما يزعم ذلك المهرجون والملفقون من العامة ، الا أن هناك بالقرب من المكان مقتلة العبد ، وعقبة الحية . والعامة يزيدون وينقصون فى سبب تسميته ذلك والله أعلم . وهناك أقوال أخرى لبعض المولعين برواية المغربات لا أساس لها ولا التفات اليها .

سبب قتلـه رضى الله عنـه

وردت روايات مختلفة فى الباعث الداعى الى قتله ، ولم يختلف أحد فى ان قاتله هو ابن أبى الطواجن الكتامى المتنبىء الساحر ، منها ما قاله فى الكواكب ناقلا عن ابن خلدون ، ان سبب موته يرجع الى ان جنية كانت تصاحبه وتخبره بأحوال الناس الواردين عليه ، فأتته يوما وهى فى غاية الالم ، فقالت له لا ترانى بعد اليوم ، لاننى صعدت الى هذا الجبل ، فقابلنى نور ابن مشيش فأهلكنى فعظم ذلك عليه . ثم هم بقتله ، فبعث اليه من قتله ، وهو كلام يشبه أن يكون خرافة . ومنها انه قيل : ان سبب قتله كان بايعاز من الموحدين لانه كان ينكر عليهم ويقول لهم انكم تاكلون الدنيا باسم الدين ، وهذا لا وجه له من الصحة أيضا لانه جاهد مع جيش الموحدين فى عدوة الاندلس كما تقدم ، مع الاقامة معهم فى مدينة سبتة ، وعند ما شاع خبر قتله توجهت فرقة من عساكر سبتة الى بن ابى الطواجن ، كما سياتى تمامه ، ومنها انه قيل : ان ابن أبى الطواجن كان عاملا للموحدين بطنجة وناحيتها ، فوقع بينه وبين الشيخ ما دعا الى قتله وهذا أيضا لا وجه له ، لانه ليس من السهل ان يكون مثل ابن أبى الطواجن يتعاطى صناعة الكيمياء ، وما كانوا يدعونه سحرا

أن يشغل منصبا كعامل من مناصب الدولـــة الموحديـــة فى ذلك العصر الاسلامى الذى كانت فيه ولاية المناصب لرجال الدين والجد والعمل لا للمشعوذين كابن أبى الطواجن ، ومنها انه قيل : ان ابن الطواجن احسن بضعف دولة الموحدين فى حروبهم مع المرينيين ، وزين له هواه ان يتنبأ ويخرج للشعوذة والفساد فى الارض ، بالقتل والزنى ، ولذلك سماه بعض من كتب عليه بالمتنبىء الكتامى وهذا القول يقرب أن يكون له وجه لمناسبة بأوصافه التى كان عليها من الشعوذة والفساد وكسب الغاوين من السفهاء واشرار العاطلين وهم الذين ساعدوه على مراده ، واستحسنوا مذهبه وتابعوه عليه ، وكل هذه الروايات تكهنية محضة . والذى اكتشفناه اخيرا ويؤيده النظر ان قتله كان بايعاز من المسيحيين الكاتوليك عن طريق اسبانيا بمشاركة روما التى كانت تراقب حركاته حتى فى جهاد الاندلس ويقال ان مراقبته كانت بواسطة الكهان الكاثوليك ورجال الكنائس الذين كانوا يعرفون عن أحواله الشىء الكثير ، وكانوا ينتظرون الفرصة ، وربما كانت المحاولة التى أخرجته من مدينة سبتة بتدبيرهم ، ثم أعادوا عليه الكرة بعد استقراره بجبل العلم بأوسع من الاولى على يـــد المخـــذول المشعوذ ابن أبى الطواجن ، وصنعوا له تصميما محكما طبقـــه الـــى نهـــايـــة الغـــرض .

ابن أبى الطواجـــن ومؤامرته الدنيئـــة

اغلب المؤرخين الذين كتبوا عليه ذكروه بلقبه المشهور ولم يذكروا له اسما ولا نسبا وقيل ان اسمه محمد ، وقد شهروه باسم ما كان ينتحله من صناعة الكيمياء ، واستعمال كثرة الطواجين لطبخ النباتات والاشيـــاء المعدنية ، مما كان يتوقف عليه فى مهنته فاشتق له لقب من هذه المهنة ، واستعمل حتى اشتهر به ، وهو أبو الطواجن وهو فى الاصل لقب لابيه الذى كا يشغل هذه المهنة ، وبعد موت ابيه انتحل مهنته فصارت اليه ميراثا لكسب العيش عن طريقها ، ولذلك اطلق عليه لقب ابيه ، ودعى ابن ابى الطواجن ، واصل ولدته قرية كتامة الواقعة فى حدود قبيلة آل سريف من جهة قبيلة رهونة ، ولذلك ذكره بعض المؤرخين بنسب السريفى كان مقامه بسبتة ، ولهذه القرية سميت مدينة القصر الكبير بقصر كتامة .

تنفيــذ الجــريمــة

وقع العثور على وثائق فى مكتبة اسكريال باسبانيا تثبت بأن قتل الشيخ مولانا عبد السلام كان على يد المسيحيين . ونحن لا نشك فى ذلك لان حركته وخروجه من سبتة وتوجهه اليها بعد تنفيذ الجريمة دليل قاطع على ذلك . الا أن المنية اخترمته فى اثناء طريقه اليها ؛ والظاهر من خلال حركته انها كانت طبق تصميم محكم . واما الشعوذة فكان يتستر وراءها لاخفاء أمره حتى يحصل على الغرض المقصود وقد فعل . فخرج من مدينة سبتة ومعه مجموعة من الغوغاء العاطلين . وفيهم بعض المسيحيين ؛ ثم توجه الى بلده قرية كتامة . ثم خرج منها ونزل موضعا يقال له الخرابشة من قرية بوذا من القبيلة اليوسفية . واختار لخروجه فتنة الموحدين مــع المرينيين القائم بزمن صحراء الجزائر . واستغل الظروف المناسبة لذلك . وهى ان المغرب كان فى فترة انتقالية . والحالة فى الاندلس مع الاسبان تدعو الى التدهور . والاشياخ الموحدون فى غمرة من التولية والعزل بقصد العثور على رجل كفء من بينهم وكان البحث يجرى فى ظلام دامس عــن الشخص الذى يصلح لقيادة القطرين وبينما هم فى ذلك اذ فاجأهم المرينيون الخارجون عليهم من شرق المغرب ، فاخذ سلطان الموحدين يتقلص راجعا الى الوراء ؛ فصار المغرب مقسما بين المرينيين والموحدين ، وانحاز عنهم المغرب الشرقى ؛ ولم يبق بأيديهم الا سواحل المحيط من مدينة مراكش الى سبتة ؛ وكان على رأس المرينيين القائم بأمرهم أبو سعيد عثمــان ابن عبد الحق المرينى ؛ المعروف عند العامة بالسلطان الاكحل لان أمه كانت حبشية ؛ وغير خاف على من يعرف طبيعة الامم وما يؤول اليــه شأن العامة من الغارة ؛ والسلب والنهب فى الطرقات فى ظروف كهذه فأغار عثمان بن عبد الحق المرينى سنة 620 هجرية على بلاد فازاز ومن بها من ظواعن زناتة . فأثخن فيهم حتى اذعنوا للطاعة ، وقبض على أيديهم من اذاية الناس بالغارة والسلب والنهب ؛ وفى سنة 621 هجرية أغار على أهل أزغار وبلاد الهبط بعرب رياح فأثخن فيهم حتى كاد يأتى عليهم ، وذلك قبل أن تتم له البيعة ؛ فصار المغرب مقسما بينهم ؛ فصار للمرينيين من قبائل هوارة وزكارة وتسول ومكناسة ، ثم بطيوة وفشتالة، ثم سدراتة وبهلولة ، ومديونة ؛ ففرق عليهم عماله ؛ وفرض عليهم الخراج

كما فرض على مدنه التى كانت تابعة له ، وهى تازة وفاس ، ومكناس وقصر كتامة وكانوا يؤدونه على رأس كل سنة فى مقابلة كف الغارة عنهم واصلاح امن سبيلهم ، وبعد هذه الانتصارات التى حصل عليها المرينيون بسبب ضعف سلطان الموحدين ، وارتباك شأنهم لم يبق بيدهم الا سواحل المحيط ، وكان خليفتهم باشبيلية يومئذ من عدوة الاندلس أبو العلاء ادريس المامون بن يعقوب المنصور الموحدى الكوفى ولما بلغه خبر أخيه عبد الله الذى كان بمراكش الملقب بالعادل وما هو فيه من الاضطراب مع أشياخ الموحدين دعا لنفسه باشبيلية فبويع بها وأجابه أكثر أهل الاندلس ، وتلقب بالمامون ، وبايعه أشياخ الموحدين بمراكش بعد أن خنقوا أخاه عبد الله العادل ، فى جفنة ماء ، وبعد أن بعثوا بالبيعة للمامون وانفصل البريد عنهم ندموا فنكثوا بيعتهم ، ثم بايعوا بيعة أخرى ليحيى بن الناصر بن المنصور ، وتسبب ذلك فى التنازل للاسبانيين على شروط عن مدن من أهم مـــدن الاندلس الاسلامية ، فى مقابلة الاستعانة بجيشهم الذى كان يقدر بـــ 12 ألفا ، وهو أول جيش اسبانى دخل الى المغرب فحارب المامون يحيـــى وانتصر عليه ، واستولى على مدينة مراكش وكان اول من أطلق اليـــد للاسبانيين فى بناء الكنائس بأرض المغرب . وأثناء هذه الغمرة المكفهرة بالاحداث والنكبات تسلل عدو الله ابن أبى الطواجن وتقمص دعوة التنبؤ المتلبسة بالسحر ، بما كان يظهره للعامة من تحويل معدن الرصاص الـــى الفضة ، ومعدن النحاس الى الذهب بواسطة صناعة الكيمياء ، وقد تبعه على شعوذته وافساده جماعة من الغاوين العاطلين من سفاء العامة ، ومن لا خلاق لهم من الشباب ، وكان أول من خرج معه من مدينة سبتة قوم من أولاد الهيشو وخرج معه آخرون من قريته كتامة وبعد أن اختار استقراره بالخرابشة من قرية بوذا اجتمع عليه هناك بها خلق كثير وكانت دعوته التنبؤية السحرية يتستر بها من السياسيين القائمين حتى لا يعيروه كبير الاهتمام ، ومن الطوائف التى كانت تبعته ولم تزل بقية من أعقابها الى الآن هم : أولاد الحمامة ، واولاد اليمامة ، وأولاد الربوز ، وهم المشتهرون من انصاره وأولاد الهيشو واولاد التناهرة واولاد الفاسى . وأولاد شهبون ، واولاد البكاكرة . وقيل عنه لما كثرت اتباعه جعل يفرض على كل قرية بكرا للزنى بها ، وقد مكث بهذه القبيلة التى لا يبعد موقعها عن مقام القطب المذكور الا بنحو ثلاثين ميلا ، وقد تبين انه من خلال اقامته كان يدبر احكام

جريمته الشنعاء فى اغتيال القطب المذكور تنفيذا لرغبة من اغروه عليها ، ولو لم تكن خطة مدروسة لكان من الممكن أن يهاجموه فى عقر داره بين اهله وعشيرته . ولم يكن الشيخ على استعداد للحرب والدفاع عن النفس . والعمران فى الجبل كان قليلا جدا . ولكن كان التدبير المحكم احوط للفتك به من هذا كله . اذ ترصدته فرقة مؤلفة من عشرة اتباع سحرا فى طريقه الى مصلاه الصيفى الخاص بقنة جبل العلم . لما كان لديهم من العلم عن أحواله قبل ذلك بانه كان يخرج من داره بقرية ادياز الفوقانى محل سكناه وسكنى عائلته وابناء عمه فى الثلث الاخير من الليل أو قبل الفجر بنحو ساعة أو ساعتين بقدر ما يدركه الفجر وهو بمسجده . وقيل انه كان يتوضأ فى طريقه الى مصلاه المذكور من العين المسماة الى اليوم بعين البركة . التى وجد مقتولا فوقها بنحو 100 متر . ولا شك انه كان متوجها الى مصلاه المذكور . المعروف بجامع الملائكة . وبالموضع الذى قتل به غسل وكفن ودفن حيث هو الى الآن ولن يزال موضع تكفينه وغسله محفوظين الى الآن . ولما عزم على تنفيذ الجريمة تحرك بمن كان معه من أتباعه وعهد الى عشرة منهم فى اغتيال الشيخ المذكور . فخرجوا قبله وهو من ورائهم . فى انتظار رجوع الخبر . فذهبوا ووفوا اليه بما عهد اليهم وتمكنوا من رقبة القطب المذكور وذبحوه وقالوا ثم بعث الله عليهم ضبابا كثيفا اضلهم عن الطريق ودفعوا الى شواهق ترديوا منها فى مهاوى سحيقة تمزقت بها أشلاؤهم ولم يرجع منهم مخبر .

أما الشقى الملعون عدو الله فقد توجه بمن بقى معه فى اثرهم ، ورام فى طريقه متوجها الى مقره بسبتة سفح الجبل حتى يتحقق من تنفيذ الجريمة ، وبعد أن تحقق من تنفيذها اراد أن يسلك طريقا تمر بقبيلة بنى يدر ، فخرجت اليه فرقة من رجالها تمنعه من المرور بأرضهم وترابهم ثم جنح الى سفح جبل العلم ومر بأرض قبيلة بنى ليث فنزل منها بدار افكث فأضافه وأكرمه ، ثم واصل سيره الى قبيلة بنى حسان قيل انهم رحبوا به . وآووه . ثم واصل سيره الى قبيلة بنى سعيد المجاورة لها فنزل منها على الحدود بقرية شروذة ، وضرب فسطاطه بها وهذه القبيلة لصغرها وقلة رجالها فرجالها أصعب رجال القبائل الجبلية خلفا عن سلف .

فض مضجـع اللعيـن بهـا

ولما أراد الله نهاية هذا المجرم المشعوذ رمت به الاقدار الى هذه القبيلة ذات الرجال الابطال ، كأنه بحث عن حتفه بظلفه ، وظن ان من معه من الغوغاء الفاسدين سيمنعونه حتى يواصل الاستهتار بأعراض المسلمين كما فعل فى غيرها من القبائل التى مر بها فجعل يفرض على هذه القبيلة الابكار للزنى بهن ، فوصفت له فتاة جميلة من عائلة أولاد فزاكة فطلبها وكان لها أخ شاب جميل طالب من حفاظ القرآن الكريم ، وكان غيورا شجاعا لم يرض بالذل فى أهله ، فاستشار مع رفاقه وأهله فى الفتك بعدو الله فاجتمعوا على ذلك سرا ، ودعوا الى رأيهم كل غيور على حرمه وعرضه . واتفق رأيهم على الفتك به وملاحقة الانذال من أتباعه ، فتطوع لذلك الشاب المذكور ، وتسلح بخنجر حاد تحت ثيابه . وقدم كهدية بدلا من أخته بعد أن حلوه بحلية الفتيات ، وجملوه بجملهن ، فعرضوه عليه باسم أخته الفتاة ، فاستحسنها وفرح بها وأدخلها فسطاطه الخاص به ، وعند ما جن الليل أرادها وجعلت تمانعه بعد أن أظهرت فرحها بـه وازدادت نشاطا وسرورا بما يفعله ، فشرطت عليه ان هو أراد مباشرتها شرطين : التجرد من الثياب الخشنة ما عدا الثوب الخفيف ، واطفـاء السراج ، ولما جعل ينزع ثيابه عمدت واطفأت السراج ثم استل الخنجـر من حزامه وطعنه طعنة مكنته من القضاء عليه ، فصاح صيحة منكـرة فسمعها رجال المؤامرة الذين كانوا يراقبون نجاحها ولما خرج الشاب المذكور انهزم أنصاره الغوغاء وهربوا فلاحقوهم فمنهم من قتل ومنهم مـن نجا فارا بنفسه الى أن اعتصموا بقبيلة بنى حسان فوجدوا منها من يحمى الفارين من أتباع اللعين فجاءت حامية منهم لحمل جثة اللعين ليدفنـوه بأرضهم ، فمنعتهم من ذلك قبيلة بنى سعيد فاختصموا بينهم حتى كاد يقع القتال على جثته ، لان قبيلة بنى سعيد حلفوا على حرق جثته ، ومنعهم حماته من بنى حسان ، فاحتكموا الى أحد قضاة قبيلة بنى زجل المجاورة لهم فأفتاهم بطبخه فى طنجير ماء ، ثم اراقة لحمه للاخرين ، فطبخوه تبريرا ليمين بنى سعيد ثم اراقوا لحمه للذين دفنوه داخل حدود قبيلة بنى حسان بالموضع الذى هو به بالقرب من قرية شروذة على الطريق للمرور بين القبيلتين ، ومنذ ذلك الحين وقبره مزارة مشهورة لكل من يمر به بالبول

والفائط على قبره واستمر ذلك الى الآن عبر سبعة قرون من الزمن ويذكر اهل بلد بنى سعيد وغيرهم من أهل تلك البلاد انك اذا كنت مارا فـى طريقك على قبر هذا الملعون ووصلت الى قبره . لم تشعر الا وتحركت بطنك للصدقة عليه وبعد أن وصل خبر قتل الشيخ مولانا عبد السلام الى حاكم سبتة وجه الى ابن أبى الطواجن فرقة من عساكرها لقتاله ، وعند ما بلغوا الى قصبة تطوان جاءهم الخبر بأنه قتله احد البرابرة غيلة فى قبيلة بنى سعيد . ثم رجعوا الى معسكرهم . وأما مصير اتباعه فان كل واحـد منهم رجع الى بلده . ولن تزال بقايا هؤلاء الانذال الاشرار أنصار الشعوذة والفساد فى قبيلة بنى يوسف ، وكانت تسمى بنى مكث ، الى اليوم ، ولا زال الكفر والشرك طابع أفعالهم الى الآن . وقال بعضهم فى ابـن أبـى الطواجن بعد أن قتل ابن مشيش رحمه الله :

فلو كان فيك خير يا عـدو الورى ... لـما كنت تكنى بابن ابى الطواجن
مكرت بقطب الغرب والشرق جملة ... سليل مشيش من خيـار الافاضل
وبيتهـم فى المجـد بيت مـرفـع ... الى حسن ينمـى كريـم المعادن

وقـال آخـر :

يا اهل بيت رسول اللـه حبكـم ... فـرض على امة بالنص قد وجب
ومن دعـا انه يتبـع جـدكـم ... مع تركه ودكم واللـه قـد كذب
فحبكـم برسـول اللـه ممتـزج ... مبغضكم مـن عقال الدين قد سلب

حـدوث عـادة جاهليـة

ومن العادات الجاهلية الفاسدة ما احدثه انصار ابن ابى الطواجن الملعون منذ زمن بعيد وخصوصا اذا اجدبت السنة وحبس المطر ، فان الجهلاء من اهل هذه القبيلة يجمعون تبرعات كثيرة ، ويشترون بها ثورا أو ثورين بقصد ذبحه عند ضريح القطب مولانا عبد السلام ، وعند خروجهم من القبيلة يصحبون معهم من بقى من احفاد اتباع ابن أبى الطواجن ، من قبيلتهم ومعهم أحمال الجير الذى يصنع ببلادهم ، ويأتون ضريح الشيخ المذكور ، وبعد تقديم ما لديهم من الهدايا ، وذبح الحيوان يتقدم أنصار ابن ابى الطواجن ويتسلقون سور الضريح وينزلون الى القبـر الشريف باعتبار انهم أعداؤه ، وياخذون ما يجدونه هناك من دراهيم وشمع التـى

يرميها بعض الزائرين فى وسط الضريح وقصدهم ان الولى الصالح يعرفهم انهم اعداؤه ويكرههم ثم يطلب من الله أن ينتقم له من أعدائه بمطر غزيـــر يقتلهم فى طريقهم عند رجوعهم الى ديارهم ، وبعد خروجهم من الضريـــح يهيئون الجير ويطلون جميع الاسوار الموجودة هناك ، قالوا وقد فعلوا ذلك فأرسلت عليهم السماء أمطارها الغزيرة ، منذ عدة سنين حتى انهم فى بعض السنين قد يهلك بعضهم من جراء الامطار الغزيرة والبرد الشديد. ظانين بذلك انه انتقام من الله لوليه الشيخ المذكور ، وهذه عادة جاهلية واعتقاد فاسد واشراك بالله ، وقد اكدت لنا هذه العادة أشياء : منها ان هذه القبيلة كانت وكرا للغدر بولى الله ، ومنها ان بعض طوائف أنصار ابن أبى الطواجن لا زالت موجودة بها الى الآن ، ومنهـــا اثبـــات عداوة اجدادهم لهذا الولى الصالح ومنها قرب المكان الذى ساعده على انجاز مهمته ومؤامرته الدنيئة كما أكد لنا موته بقبيلة بنى سعيد اتجاهه الـــى مقره الذى خرج منه بسبتة وقد كان فى امكانه من مقامه بالقبيلة المذكورة بعد تنفيذه الجريمة ان يدخل بسحره الى قبائل الجنوب ويتوغل فيها ولعله يجد رواجا لسحره وتنبؤه وشعوذته ولكنه سار بحسب ما خط له حتى يعود الى مقره بسبتة فى النهاية ، ولم يجعل عدو الله فى حسابه ان نهايته ستكون فى قبيلة بنى سعيد حيث لم يكن بينه وبين سبتة الا نحو 70 ميلا ، وهى مسافة يوم واحد كل هذه القرائن تدل دلالة واضحة على انه خرج من سبتة بقصد تنفيذ خطة مرسومة مدروسة ، ثم عمل على تطبيقها الى نهاية الغرض المقصود منها ، ولكن القدر حال بينه وبين أمنيته فى الرجوع الى مقره بسبتة والحياة بها ، : ولله الامر من قبل ومن بعد » لا رب سواه.

الشهـــادة وأنـــواع الشهـــداء

قد يظن البعض من الناس ان الشهادة نطاق ضيق خاص بمن اخلص فى جهاده من اجل اعلاء كلمة الله ومات فى المعركة ، او خارجها ، والحق الذى عليه اهل العلم ان الشهادة لها احوال ، وان الشهداء تتعدد درجاتهم بحسب احوالها ، وارفع درجات الشهداء درجة الشهيد المعترك ، وهو الذى اختصه الله بمزايا عن بقية الشهداء ، فقال تعالى : ولا تقولوا لمن يقتل فى سبيل الله أموات بل احياء ولكن لا تشعرون » اى لا تعلمون ذلك ، لان حياة الشهداء لا تعلم حسا ، ومن ثم يتحتم الادب على كل مومن بحياتهم

هذه أن يقول بدل مات ، استشهد ، امتثالا لقول الله : ولا تقولو
والشهيد فى الاسلام من قتل لتكون كلمة الله هى العليا ، وكلمة الذ
السفلى ، وهم الذين وفوا بالعقد الذى بينهم وبين مولاهم ، مـــن
والشراء : ان الله اشترى من المومنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم
فانهم بذلوا ما كان لديهم من المال والنفس فى سبيله وابتغاء مرضاة
لهم مولاهم بما وعدهم من الفوز العظيم : يقاتلون فى سبيل الله
ويقتلون وعدا عليه حقا فى التوراة والانجيل والقرآن ومن أوفى ب
الله فاستبشروا ببيعكم الذى بايعتم به وذلك هو الفوز العظيم » و
الشهداء والخلود فى الجنة وقد أعلى الله مقام هؤلاء فوق كل مقا
ولا تحسبن الذين قتلوا فى سبيل الله أمواتا بل احياء عند ربه
فرحين بما آتاهم الله من فضله » فعن الحسن البصرى رضى ال
أن الشهداء أحياء عن الله تعرض ارزاقهم على أرواحهم فيحصل ا
والفرح ، وعن مجاهد يرزقون ثمر الجنة . ويجدون ريحها ولي
وعنه عليه الصلاة والسلام قال : ان ارواح الشهداء فى حواص
خضر تسرح فى الجنة حيث تشاء . وفى حديث آخر عنه عليه الصلا
قال : ان الله جعل ارواح الشهداء فى اجواف طيور خضر ، ترد ا
تأكل من ثمارها وتأوى الى تناديل معلقة فى ظل العرش . قال
وأما اجسادهم فمحلها القبور ، غير ان الارواح لها تعلق بها ،
يحصل لاجسادهم بلاء ، فأرواحهم لها جولان عظيم من البرزخ
السموات الى داخل الجنان . والطيور الخضر كالهوادج . مع كو
بجسم صاحبها ، فأرواح الشهداء مثل ارواح الانبياء ، الا أنهم ا
وأما المومنون غير الانبياء والشهداء ، فأرواحهم تسرح من القبر
الجنة وتنظر ما أعد لها من النعيم المقيم ، لكن لا تدخلها الى يوم
وذلك يسمى عالم البرزخ ، واتساعه بالنسبة للدنيا كاتساع الدن
للجنين فى بطن امه ، وفى الحديث سئل النبى صلى الله عليه وسل
فقال : القبر روضة من رياض الجنة أو حفرة من حفر النار ، وفى
انه بعد سؤال الملكين يقولان له : نم نومة العروس فالمومن تفتح
كوة فى قبره فينظر منها الى ما أعده الله له فى الجنة وياتيه منها
وأما الكافر فتفتح له الملائكة كوة فى قبره فينظر منها الى مقامه
وياتيه منها ريحها وعذابها الى يوم القيامة ، والكافر والفاجر من

ونقل العلامة الحطاب عن الامام القرطبى قد حض الشرع على تمنى الشهادة ورغب فيه فقال : من سأل الله الشهادة صادقا من قلبه بلغه الله منازل الشهداء وان مات على فراشه .

ومن المزايا التى خص الله تعالى بها الشهيد المعترك . انه لا يغسل ولو كان جنبا ويدفن بثيابه التى استشهد فيها . ولا يصلى عليه . ويعتبرون ان أصحاب هذه المزايا خاصة هم الذين قتلهم العدو بسلاحه فى المعركة وفارقت أرواحهم أجسادهم بالمكان الذى استشهدوا فيه . ويستوى فى ذلك من قتله العدو بيده . أو حمل عليهم فتردى فى بير أو سقط من شاهق ؛ أو سقط عن فرسه فاندق عنقه ؛ أو ارجع عليه سهمه . أو سيفه فقتله ؛ وكذلك من أسره العدو فلم يؤمنوه حتى قتلوه ورموا به الينا ؛ فلا يغسل ولا يكفن ولا يصلى عليه . وأما لو أمنوه ثم قتلوه . فانه يغسل ويصلى عليه . واذا وقعت الاغارة على بعض ثغور المسلمين فقتلوا الرجال والنساء والصبيان بسلاح أو بغير سلاح . فانهم شهداء من الدرجـــة الاولى لا يغسلون ولا يصلى عليهم ويدفنون بثيابهم وهو المشهور ؛ وفى هذا قال الشيخ خليل فى مختصره : ولا يغسل شهيد معترك فقط ؛ ولو ببلد الاسلام ؛ وان اجنب على الاحسن ؛ ودفن بثيابه ان سترته والا زيد بحيط وقلنسوة ؛ ومنطقة قل ثمنها ؛ وخاتم قل فحصه ه فالمقتول فى هذه الاحوال كلها شهيد من الدرجة الاولى التى اختصت بالمزايا السابقة ؛ وبقاء الدم على جسم الشهيد ليكون شاهدا على خصمه يوم القيامة .

واما غيرهم ممن لم يصلوا الى درجة هؤلاء فانهم يغسلون ويحنطون ويكفنون ويصلى عليهم كسائر الموتى من غير الشهداء ؛ وهم من قتل غيلة ؛ كعمر بن الخطاب ؛ وعثمان بن عفان وعلى بن ابى طالب وحفيده الشيخ مولانا عبد السلام ودخل فى الشهادة من قتل مظلوما كعثمان بن عفان ؛ والحسن بن على واخيه الحسين ؛ ومنهم الشيخ المذكور رضى الله عنهم ؛ ويلحق بهؤلاء من قتل فى المعترك ولكن بغير يد العدو وكلصوص أو مخالف فى راى ؛ وكذلك من قتله المسلمون فى المعترك خطأ ظنوه عدوا فتبين انـــه منهم ؛ وكذلك من قتله اللصوص فى حال دفاعه عن نفسه او عن ماله ؛ او عن حريمه ؛ فهو فى ذلك كله شهيد ولكنه يغسل ويصلى عليه ؛ لقوله صلى الله عليه وسلم : من قتل دون نفسه فهو شهيد ؛ ومن قتل دون ماله فهـــو

شهيد ، ومن قتل دون عرضه فهو شهيد ، وفى رواية ومن قتل دون دينه فهو شهيد .

ومن هؤلاء من درسته الخيل أو ما فى حكمها من السلاح الفتاك فى المعركة مع العدو ومن الرجالة حين الاختلاط . ومنهم من مات بغرق أو هدم أو احراق بنار . ومنهم من حمل من المعركة حيا فمات . فانه يغسل ويصلى عليه ، وفى الحديث من مات يوم الجمعة كتب الله له أجر شهيد ووقى فتنة القبر . ومنهم المطعون والمبطون . وصاحب ذات الجنب ، والمرأة تموت بجمع بضم فسكون أى بنفاس ، وكذلك من وقصه فرسه أو بعيره . أو لدغته هامة . أو مات على فراشه على أى حتف شاء الله تعالى فهو شهيد . والذى يفترسه السبع . قال ابن التين هذه ميتات كلها فيها شدة تفضل الله فيها على أمة محمد صلى الله عليه وسلم بالشهادة ليجعلها تمحيصا لذنوبهم وزيادة فى أجورهم ويبلغهم بها مرتبة الشهداء .

وروى الحسن على الحلوانى فى كتاب المعرفة له باسناد حسن من حديث بن أبى طالب قال : كل موتة يموت بها المسلم فهو شهيد غير أن الشهادة تتفاضل ويوضح هذا ما نقله الشيخ جلال الدين السيوطى فى حاشيته على الموطأ فقال : المطعون هو الذى يموت فى الطاعون ، والغرق، هو الذى يموت غرقا فى الماء ، وصاحب ذات الجنب ، هو ما يعرف بترحة المعدة ، ويقال له الشوطة ، وهو ورم يحدث فى الغشاء المستبطن للاضلاع ، والمبطون هو صاحب الاسهال ، وقيل المجنون ، وقال فى النهاية هو الذى يموت بمرض بطنه ، كالاستسقاء ونحوه ، وقيل هو صاحب القولنج ، هو ارتخاء قوة الامساك فى الدبر ، والحرق هو الذى يحترق بالنار فيموت والمراة تموت بجمع اى نفاس ، ومعنى جمع انها جمعت شيئا معها ، وهو ولدها الذى ماتت به فى بطنها ، أو هى البكر التى ماتت ببكارتها ، وشهر بعضهم الثانى لكثرة القائل به ، وصاحب السل بكسر السين وتشديد اللام، والذى يموت غريبا رواه ابن ماجة ، وصاحب الحمى رواه الديلمى ، واللذيع ، والشريق ، والذى تفترسه السباع ، والخار عن دابته ، ويحمل عليه اصطدامات السيارات ، وخرور الطائرات والمتردى من شاهق ، والميت على فراشه فى سبيل الله رواه الامام مسلم . والمقتول دون ماله او دمه ، او دينه ، أو أهله ، رواه أصحاب السنن الاربعة فهو فى هذه

كلها شهيد ، والمقتول مظلوما رواه الامام أحمد ، والميت فى السجن المحبوس ظلما ، رواه ابن مندة ، والميت عشقا فى ذات الله ، رواه الديلمى ، والميت وهو طالب للعلم فى مرضاة الله ، رواه البزار .

وقال فى العارضة : الذى يقتله اللصوص لا خلاف فى أنه شهيد ومن غرق فى واد أو بحر فى حالة قطع الطريق تعديا على المارين ، فهو شهيد وعليه اثم معصيته ، وكل من مات بسبب معصية فليس بشهيد ، ومن مات فى معصية بسبب من أسباب الشهادة ، فله أجر شهادته وعليه اثم معصيته وكذلك لو قتل على فرس مغصوب فى جهاد العدو ، فهو شهيد وعليه اثم الفرس المغصوب ، ومثل ذلك قوم اجتمعوا على معصية فى بيت فوقع البيت عليهم فلهم الشهادة وعليهم اثم المعصية .

ويتحصل مما ذكر فى هذه الاحاديث ان الشهادة تسمان : 1 — شهيد الدنيا وشهيد الآخرة ، وهو من يقتل فى حرب الكفار مقبلا غير مدبر ، مخلصا فى نيته وعمله ، قاصدا بهذا النوع من التقربات الى وجه الله وحده لا شريك له . 2 — شهيد الآخرة وهو من ذكر اخيرا بمعنى انهم يعطون من جنس اجر الشهداء ولا تجرى عليهم احكامهم ، اى المزايا التى اختصهم الله بها ، وقد يرفع أجر الشهيد الى ضعفين : كقضية ام خلاد التى جاءت متنقبة تسأل النبى صلى الله عليه وسلم عن ابنها وهو مقتول ، فقال لها ان ابنك له أجر شهيدين ، قالت : ولم ذلك ؟ يا رسول الله ، قال لانه قتلـــه أهـــل الكتـــاب .

والشهيد فعيل ، واختلف فى علة تسميته شهيدا ، فعن النضر بـــن شميل لانه حى ، فروحه شهدت دار السلام ، وهى جنة عليين ، وروح غيره انما تشهدها يوم القيامة ، وقال ابن الانبارى : لان الله وملائكتـــه يشهدون بالجنة ، وقيل : لانه شهد عند خروج روحه ما له من الكرامة . وقيل : لان ملائكة الرحمة يشهدونه . وقيل : لان حاله تشهد بصدق نيته ، وقيل : لان عليه شاهدا بكونه شهيدا . وهو الدم ، فانه يبعث ودمه يثعب . وقيل : لان دمه يشهد على الالم . وقيل : لانه يشهد له بالامان من النار . وقيل : لانه لا يشهده عند موته الا ملائكة الرحمة . وقيل : لانه يشهد يوم القيامة بابلاغ الرسل . وقيل : لان الملائكة تشهد له بحسن الخاتمة . وقيل : لان الانبياء تشهد لهم بحسن الاتباع لهم . وقيل : لان الله يشهد له بحسن

نيته واخلاصه . وقيل : لانه يشاهد الملكوت من دار الدنيا ودار الآخرة . وقيل : لان عليه علامة شاهدة بانه قد نجا . وبعض هذه يختص بمن هو شهيد الدنيا والآخرة ، وبعضها يشمل غيره ممن هو شهيد الاخرة . انتهى من الفتح البارى على صحيح البخارى .

وقال العلامة الحطاب : الشهداء ثلاثة : 1 — شهيد حرب الكفار له أحكام الشهيد فى الدنيا وفى ثواب الآخرة ، و 2 — شهيد فى الثواب دون أحكام الدنيا ، وهم المبطون ومن ذكر معه ، و 3 — من غل فى الغنيمة ، ومن كان نيته الحصول على الدنيا فله حكم الشهيد فى الدنيا وليس لهم الثواب الكامل فى الآخرة . فان قلت : فما التوفيق بين الايتين ؟ من قوله تعالى : كل نفس ذائقة الموت » وقوله تعالى : ولا تحسبن الذين قتلوا فى سبيل الله أمواتا » ان الآية الاولى شملت بعمومها حتى الشهداء والانبياء والملائكة ، وغير ذلك من كل نفس سائلة . والاية الثانية تبين ان الشهداء ليسوا بأموات . الجواب : ان النفس فى الآية الاولى وقع بها التعبير عن الجسم لا الروح لان الروح لا تموت ، ويوخذ من الآية أيضا ان جسم الشهداء لا يموت . والجواب عن هذا ان الجسم المحكوم عليه بالموت لا بد من أن تفارقه الروح . وهو قوله كل نفس ذائقة الموت ، لكنها فى الشهداء ترجع اليه بعد مفارقتها له ، فيصير الجسم حيا حياة حقيقية ، بل حياة الشهداء أفضل من حياتهم الاولى قبل الشهادة وكذلك تقول فى حياة الانبياء والملائكة ، واما من عداهم فلا ترد اليهم ارواحهم الا بعد النفخة الثانية . والله أعلم . واما ما ورد من أحاديث أخرى بأن الروح بعد مفارقتها لجسدها بالموت ترجع الى اجسادها حتى يسأل فى قبره ، فانها بعد الجواب اختلف فيها : فقيل تبقى فوق القبر ، وقيل ترجع الى البرزخ ومنه تراقب الجسد الذى خرجت منه ، وقيل هى فى مكان مرتفع بين السماء والارض ، فى انتظار رجوعها الى الجسد التى خرجت منه . وحقيقة الامر فى ذلك مما اختص الله سبحانه وتعالى بعلمه .

ترجمة الشيخ أبى الحسن الشاذلى

قال فى النبذة ونور الحذق ان الشيخ المذكور ولد سنة 571 هجرية، وعلى هذا فلم يكن يفوته شيخه المذكور الشيخ مولانا عبد السلام بن

مشيش الا بـــ 11 سنة ، فهو من معاصريه فى الدراسة العلمية ، ولم اقف على نص لاحد يذكر فيه انهما التقيا عند شيخ واحد ، أو جمع بينهما مكان واحد فى الدراسة العلمية ولا سيما وقد نص ان ابن مشيش كان ياخذ الفقه بمدونة الامام مالك على الشيخ العسلانى المتقدم الذكر ، وهو من قبيلة الاخماس ، ولم تبعد هذه القرية على القرية التى ولد بها الشيخ أبو الحسن الشاذلى الا ببضع اميال ، وأين كان الشيخ أبو الحسن حتى تعرف على شيخه فى رأس جبله فى محل عبادته كما ياتى ؟

وقال فى فتح العليم الخبير : قلت : وقد ولد الشيخ أبو الحســـن الشاذلى رحمه الله ونفعنا به بقبيلة الاخماس السفلى ، بفرقة بنى زرويل فى بنى يفرح بقرية « اشتتواغل » ولن يزال البيت الذى ولد به محفوظا متبركا به الى اليوم 1392 هجرية على غرار ما هو عليه بيت مولد شيخه بقرية الحصن ، فى قبيلة بنى عروس كما ولد بها أيضا الشيخ أبو الحسن على بن عبد الحق العلمى الادريسى الحسنى الشهير بابى الحسن الصغير، صاحب التقييد على مدونة مالك ومن أجل هذين الشخصين العظيمين ، دعيت القبيلة بقبيلة الشيخين . وبها من غيرهما أيضا الشيخ العارف بالله تعالى سيدى يوسف التليدى ، والعارف بالله تعالى الشيخ سيدى محمد بن سعادة المتقدم الذكر ، والشيخ العارف بالله تعالى سيدى عبد الوارث اليلصوتى حفيد سيدنا عثمان بن عفان رضى الله عنه ، والشيخ العارف بالله تعالى سيدى عبد الله الهبطى ، وبها غيرهم من أكابر العارفين بالله نفع الله بهم آمين . وأما نسبه كما نص عليه المحققون من النسابين فهو : شيخ الطريقة وسيد أهل المعرفة والحقيقة : الشيخ أبو الحسن على الملقب الشاذلى بن عبد الله بن عبد الجبار بن يوسف بن يحيى بن ادريس بـــن عمر صاحب ترغة وتكساس من بلاد غمارة ابن ادريس الثانى بن ادريس الاول بن عبد الله الكامل بن الحسن المثنى بن الحسن السبط بن على وفاطمة الزهراء رضى الله عنها بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد نص عليه امام الاعصار والامصار « الشيخ النظار » أبو عبد الله القصار . وان سلم هذا النقل فى نسبه من طرف هؤلاء النسابين فانى لا أسلمه لما فيه من الحذف الكثير ، اذا قيس بنسب شيخه الشيخ مولانا عبد السلام صاحب النسب المحقق ، لان بين مشيش وبين محمد بن ادريس الثانى 19

أبا ، واذا عرضناه على الاساس الذى ذكره ابن خلدون ، وهو ثلاثة آباء فى القرن أو زيادة قليلة نجده يطابق عند ابن مشيش ولا نجده يطابق عند الشاذلى لانه لا يتجاوز ستة آباء ، فيكون المحذوف 12 ابا هذا كثير لا تسلمه قواعد النسب ، اذ الحذف الجائز لا يتجاوز أكثر من أبوين . وما ذكره سيدى عبد النور ونجده كثيرا فى صدر نسخ الحزب الكبير للشيخ الشاذلى من رفع نسبه . ونقله ابن عباد من كتاب اللطيفة المرضية . فى شرح حدعاء الشاذلية للشيخ شرف الدين بن سليمان السكندرى غير صحيح . وقول الامام الصوفى أبى عبد الله سيدى محمد البوصيرى رحمه الله .

الشاذلى مولود بشاذلة . فهو خطأ صريح منه لانه اعتمد فى ذلك على ظنه ، وان بعض الظن اثم ، ولم يتثبت حتى يحقق النقل فى نسبه . وليس الخطأ بعيب على الراسخ فى العلم . قال تعالى : ففهمناها سليمان وكلا آتينا حكما وعلما » .

انتقال سر ابن مشيش

فباذن الله وامره ، وجريان الاقدار على مشيئته وارادته وعلمه ، فقد ذهب أهل السنة والجماعة الى أنه لا قول ولا فعل ولا حركة ولا سكون الا بأمر الله تعالى ، كان ابن مشيش يدعو الله أن يسخر له من يرد هذا السر الى أرض المشرق من حيث جاءه . وكان فى دعائه يقول : اسمع ندائى بما سمعت به نداء عبدك زكرياء عليه السلام ، فاستجاب الله دعاءه وسخر له فى ذلك ابا الحسن على الشاذلى . فكان هو القطب الثانى بعد شيخه الجامع بين النسبتين الجسدية والروحية ، ثم حمل الامانة الى أرض المشرق بعد أن أدى واجب الاقامة مع شيخه كان يهيئه فيها لحمل هذه الرسالة وبعد أن تتحقق منه الصلاحية لحملها وردها من حيث جاءت ، وقبل أن يغادر أرض المغرب أوصاه بقوله : اياك والفضول ، وبعد أن غادر المغرب اختار للاقامة قرية شاذلة من البلاد التونسية ، ثم انتقل منها الى بلاد مصر وأطلق عليه هذا اللقب ، وانظر ما كتب عنه فى محنته ببلاد تونس وتبعه الى مصر وما اجابت به دولة الموحدين الرسول المصرى فى محله . ثم استوطن رحمه الله مدينة سكين دربة وأنجب بها رجالا فى هذا الفن لا زال التاريخ يتحدث عنهم منهم تلميذه العارف بالله تعالى ،

الشيخ أبو العباس سيدنا أحمد بن عمر المعروف بالمرسى الاندلسى الانصارى المتوفى سنة 686 هجرية أى بعد شيخه بنحو 25 سنة ، ومن تلاميذ هذا الاخير العارف بالله تعالى الشيخ أبو الفضل سيدنا أحمد بن محمد بن عبد الكريم المشهور بابن عطاء الله السكندرى المتوفى سنة 707 هجرية . ومن تلاميذ هذا الاخير أيضا العارف بالله تعالى أبو عبد الله سيدنا محمد ابن سعيد بن حماد بن محسن بن عبد الله المعروف بالبوصيرى ولد سنة 608 وتوفى سنة 695 هجرية ، وعلى هذا يكون عمره 87 سنة ومن هناك انطلقت الطريقة الشاذلية فعمت بركتها أهل المشرق والمغرب وفيها قيل :

تمسك بحبل الشاذليــة تلــق مــا   تـروم وحقــق ذا الرجــاء وحصل
ولا تعدون عينــاك عنهم فانهــم   شموس هــدى فى أعيــن المتأمل

وقال الشيخ أبو الحسن الشاذلى رحمه الله كنت فى سياحتى فى مبدأ أمرى فحصل لى تردد . هل الزم البرارى والقفار للتفريــغ والطاعــة والاذكار . أو أرجع الى المدائن والديار لصحبة العلماء والاخيار ، فوصف لى ولى هنالك وكان برأس جبل ، فصعدت اليه ليلا . فقلت فى نفسى لا أدخل عليه فى هذا الوقت فسمعته وهو يقول : اللهم ان قوما سألوك أن تسخر لهم خلقك . فسخرت لهم خلقك ، فرضوا منك بذلك ، اللهم وانى أسألك اعوجاج الخلق على حتى لا يكون ملجئى الا اليك ، فالتفتت الى نفسى وقلت يا نفسى انظرى من أى بحر يغترف هذا الشيخ ؟ ! فلما أصبحت دخلت عليه فارتعبت من هيبته .

أول لقــاء بيــن الشيخيــن

ثم دخلت وسلمت عليه ، وقلت يا سيدى كيف حالك ؟ فقال اشكوا الى الله من برد الرضى والتسليم كما تشكوا انت من حر التدبير والاختيار ! فقلت انا شكواى من حر التدبير والاختيار فقد دفنته وأنا الآن فيه ؟ أما شكواك من برد الرضى والتسليم فلماذا ؟ فقال : أخاف أن تشغلنــى حلاوتهما عن الله تعالى . قلت يا سيدى سمعتك البارحة تقول : اللهم ان قوما سألوك أن تسخر لهم خلقك فسخرت لهم خلقك فرضوا منك بذلك ، اللهم وانى أسألك اعوجاج الخلق على حتى لا يكون ملجئى الا اليك ، ثم تبسم فقال : يا بنى ، عوض ما تقول سخر لى خلقك ، قل يا رب كن لى ، أترى

اذا كان الله لك أيفوتك شيء ؟ فما هذه الجبانة ؟ وفى الشرح المذكور أسرار للعارفين بالله لا يقدر أن يصل اليها غيرهم .

قال شيخ الاسلام عبد الله الشرقاوى : فى شرحه للحكم ، فالامور المشهودة لا تستعمل فيها الا الاشارة . لأن الامور الذوقية يستحيل ادراكها بالعبارة النطقية فمن أبان شيئا من ذلك كان خطرا عليه . كما وقع للحلاج ، القائل (ما فى الجبة الا الله) وقد أشار الى هذا المعنى سابقا الشيخ أبو الحسن فى شرحه لكلام شيخه بن مشيش بقوله : (ومنهم من تعدى حدود الشريعة واقيمت عليه حدودها) وقال صلى الله عليه وسلم : ان من العلم كهيئة المكنون لا يعرفه الا العلماء بالله . فاذا أظهروه أنكره أهل الغيرة بالله. وقال أبو هريرة رضى الله عنه : حفظت من رسول الله صلى الله عليه وسلم : جرابين من العلم . أما أحدهما فبثثته للناس وأما الآخر فلو بثثته لقطعتم منى هذا الحلقوم . والى مثل هذا من هذه الامور الذوقية التى لا يمكن شرحها بالنطق . يشير الامام على زين العابدين :

يا رب جوهــر علم لو أبــوح بــه لقيــل لى أنت ممــن يعبد الوثنا
ولاستحل رجــال مسلمون دمــى يرون أقبــح مــا ياتونــه حسنــا
انــى لاكتــم من علمى جواهــره كــى لا يرى الحق ذو جهل فيفتتنا

توفى الامام أبو الحسن على الشاذلى رحمه الله سنة 656 هجرية وله من العمر على الاصح 80 سنة . وقيل ثلاث وستون سنة . ودفن بعذاب وهى ترية بالقرب من البحر الاحمر ، ورمز بعضهم لوفاة الشيخين بقوله :
وابــن مشيــش رمــزه تــذكــر والشــاذلــى رمــزه تنــور

ونسب للامام القصار فى وفاة الشيخين انه قال :

والشاذلــى مــات عــام ونــخ وهو ابــن جص فاحفظن يــا أخى
وشيخــه سنــة كبــخ قتــلا بعــد صــلاة الفجــر صار للعلا

وللشيخ الشاذلى طرق أخرى بقصد التبرك والانتفاع ، فأخذ عن أبى عبد الله سيدى على حرازم ، عن أبى محمد صالح بن ينصارن ، عن عضيان الماجدى الدكالى دفين رباط مدينة آسفى بالمغرب .

آداب زيـارة الضريح الشريف

لا بد لمن قصد زيارة ضريح الشيخ مولانا عبد السلام بن مشيش كسائر الاولياء والعارفين بالله فى كل مكان أن يراعى فى زيارته آداب الشريعة الاسلامية وعدم الخروج عنها الى ما هو بدعة وجهل وشرك بالله من كل ما هو حرام ممنوع فى شريعة الاسلام . أيها الاخ الكريم ، وأيتها الاخت المومنة بالله ، ان الموقف موقف خطر بالنسبة الى عقيدة الايمان ، فان هناك ايمانا مدنسا وملوثا بالشرك ، وهو سبيل من لم يستضىء بنور شريعـة الاسلام فى هذا المقام ، بل دفعه الشيطان وزين له كل ما هو محظور فى شريعة الله الى مهاوى الهلاك . وان هناك ايمانا آخر هو ايمان العارفين بالله نقيا خالصا من كل ما يدنسه من الاهواء والبدع فهو ايمان من تحروا به هدى تعاليم الاسلام الصحيحة ، ولم يحيدوا عنها الى ما سواها ، فذلك هو الايمان الصحيح المطلوب من كل من يومن بالله ربا وبمحمد صلى الله عليه وسلم هاديا مرشدا الى الحق والى طريق مستقيم .

أيها الاخ الكريم وأيتها الاخت الكريمة اذا قصدت زيارة ضريح هذا الولى الصالح أو غيره من سائر الاولياء ، فلا تؤذ أحدا منهـم بزيارتك البدعية وتنسب لهم ما هو لربك وخالقك ورازقك ، فان ذلك سبيل الشيطان وعباد الاوثان وهو حرام عليك ، ولا تحيدى فى زيارتك لهم عن الآداب الشرعية التى جاء بها الاسلام ، وتتلخص فى شىء واحد هو اعطاء ما هو لله ، لله ، واعطاء ما هو لعبده لعبده ، فان لم تفعلى فانك لا تأمنين على ايمانك ، الذى هو رأس مالك ، من الوقوع فى الاشراك بالله عن قصد أو عن غير قصد ، وذلك هو ما وقع ويقع فيه الكثير من الجهلة الذين لا يبالون ولم يحذروا مزالق عدوهم الشيطان على رصيدهم من الايمان الذى هو رأس مالهم . قال الله تعالى : فيمن دنسوا ايمانهم بالشرك ذاما لهم : وما يومن اكثرهم بالله الا وهم مشركون » وقال تعالى فى أهل الايمان النقى الخالص مادحا لهم : الذين آمنوا ولم يلبسوا ايمانهم بظلم أولئك لهم الامن وهـم مهتـدون » .

ومن مراعاة الآداب أن تاتى القبر من جهة رأسـه ، وأن تكون القبلـة عن يمينك أفضل من أن تستقبل القبر وتستدبر القبلة ، لما فى ذلك من سوء

الادب مع الله ، والاحسن الجمع بين آداب الخالق والمخلوق ، ومن مراعاة الآداب أيضا أن تقف حيث يبقى بينك وبين قبر الولى اربعة أذرع أو ستة ، ومن مراعاة الادب ايضا أن تستفتح زيارتك بالسلام عليه لان روحه كائنة هناك . وتقول : السلام عليك ياولى الله . السلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته . ثم تاخذ فى الدعاء وتقول : اللهم انعم علينا بما انعمت به على أوليائك الصالحين . واجعلنا واياهم تحت لواء سيد المرسلين ، ومتعنا واياهم أجمعين بما متعت أخيار أهل الملة والدين . وارزقنا واياهم شفاعة سيد المرسلين . اللهم لا تحرمنا أجرهم ولا تفتنا بعدهم واغفر لنا ولهم يا أرحم الرحمين يا رب العالمين . اللهم جدد رحماتك فى كل ساعة وحين على هذا الولى الصالح ومن معه فى ضريحه ، وسائر أهله وذريانه وكل من جاوره فى هذا المكان من الارواح المومنة بك ، اللهم افتح علينا بالتوبة الخالصة ، والمغفرة الشاملة لجميع الكبائر والصغائر . واعصمنا من الوقوع فى الشرك وانزع عرق حبه من قلوبنا . واحفظنا من كل ما يؤذينا فى ايماننا بك حتى نلقاك كما تشاء منا يا أرحم الراحمين يا رب العالمين : ربنا آتنا فى الدنيا حسنة وفى الآخرة حسنة وقنا عذاب النار » ثم قدم له هدية ، بما تيسر من القرآن ، وانو ثواب ما ستقرؤه الى روحه قبل الشروع فى القراءة ، وان لم يكن معك شيء من القرآن فالاستغفار كاف وقراءة الفاتحة لمن لا يجد غيرها كافية ، وسورة الاخلاص يعدل ثوابها ثلث القرآن كله . وليس للاستغفار عدد محدود . ثم بعد هذا ابتعد عن الضريح واختر مكانا مناسبا ، وان كنت فى الشيخ مولانا عبد السلام الجبل واسع وصالح للاختلاء مع الله . والاحسن أن تجدد الوضوء ، وتفرغ قلبك من الشواغل ، وتصلى ما تيسر من النوافل ان كنت فى وقت حليتها ، واختل فيما بينك وبين ربك ، وفى نيتك اجابة دعائك ، وقدم شيئا من الاستغفار وأقله احدى عشرة مرة ، والصلاة على النبى صلى الله عليه وسلم مثلها . وجدد التوبة من ذنوبك حتى يعلم الله صدق عزيمتك ، ثم ادع الله تعالى واطلب منه قضاء حاجتك مباشرة فيما بينك وبينه ومن غير واسطة من خلقه لانه هو الذى يعلم وحده سرك ونجواك ، وكن متيقنا من الاجابة ان شاء الله ، وفى حالة ما اذا لم تحصل الاجابة أعد وكرر على نحو ما ذكرت لك حتى تقضى حاجتك لانك فى عبادة ، والعبادة كلها تكرار واعادة ، وقالوا ان الاجابة عند ضريح القطب المذكور اشتهرت فى أربعة أشياء : فى طلب العلم ، وطلب

حفظ القرآن والزواج ، وايجاد الذرية وتيسير أسباب المعاش ؛ ولعل شهرة ذلك كانت راجعة الى كثرة الراغبين فيها . وهى مقاصد حيويـــة بالنسبة للمومنين الموحدين .

الدعــاء الوارد فى القــرآن والسنــة

ومن الاحسن أن تقدم الادعية المنتقية من القرآن والسنة على ما يخترعه الانسان من نفسه . وأن يقدم من أقوال الصحابة وعلماء السلف الصالح ما هو خالص من التوسلات والوسائط فى الدعاء فيما بين العبد وربه. لقوله تعالى : واذا سألك عبادى عنى فانى قريب أجيب دعوة الداعى اذا دعان وقوله : ادعونى أستجب لكم » لان الدعاء عبادة بل هو أعلى درجات العبادة لما روى فى صحيح البخارى وغيره عنه صلى الله عليه وسلم : قال : الدعاء مخ العبادة ينفع مما نزل ومما لم ينزل ؛ وهو عدو البلاء . يدافعه ويمنع نزوله . ويرفعه أو يهون امره اذا نزل . ومن ثم كان المنتقى منه من لفظ القرآن والسنة أفضل لما فيه من كمال الادب مع رب الارباب . ولما فيه من التعبد بألفاظ القرآن والسنة وقد ورد فيهما ما يغنى الانسان فى حياته فيما يحتاجه من ربه من خيرى الدنيا والآخرة ؛ اذ قد ينشىء الانسان من الدعاء ما يكون فيه سوء الادب مع الله وهو لا يشعر مما لا يوافق أحكام الكتاب والسنة ؛ ولذلك ينبغى أن يقدم ما هو أسلم وأنفع عند الله من لفظيهما ، وتلك هى الطريقة المتبعة عند سلفنا الصالح وفيها يقول امامنـــا مـــالك رحمـــه الله :

وخيـــر أمـــور الدين ما كان سنة   وشر الامـــور المحدثـــات البدائـــع

وينبغى لك أن تدعو فى كل حاجة بما يناسبها من القرآن أو السنة ؛ فمثلا تقول : فى طلبك لخيرى الدنيا والآخرة : ربنا آتنا فى الدنيا حسنة وفى الآخرة حسنة وقنا عذاب النار » وتقول : فيما اذا خفت من تحمل ما لا تطيق من البلايا والاحزان والهموم والنصر على أعداء الله : ربنا لا تواخذنا ان نسينا او اخطأنا ربنا ولا تحمل علينا اصرا كما حملته على الذين من قبلنا ربنا ولا تحملنا مالا طاقة لنا به واعف عنا واغفر لنا وراحمنا أنت مولانا فانصرنا على القوم الكافرين » فان هذه الآية والتى قبلها قد جمعتا خيرى الدنيا والآخرة وفيهما كفاية كل مومن ؛ وتقول فيما اذا خشيت الضلالة بعد

الهدى : ربنا لا تزغ قلوبنا بعد اذ هديتنا وهب لنا من لدنك رحمة انك أنت الوهاب » وتقول فيما اذا طلبت مغفرة ذنوبك ، وتكفير سيئاتك والوفاة مع الابرار : ربنا اننا سمعنا مناديا ينادى للايمان أن آمنوا بربكم فآمنا ربنا فاغفر لنا ذنوبنا وكفر عنا سيئاتنا وتوفنا مع الابرار » الى الميعاد . وتقول فيما اذا طلبت الغفران لك ولوالديك وللمومنين : ربنا اغفر لى ولوالدى وللمومنين يوم يقوم الحساب » وتقول فيما اذا طلبت الرحمة والاسترشاد : ربنا آتنا من لدنك رحمة وهيء لنا من امرنا رشدا » وتقول فيما اذا طلبت ما تقر به عينك من نعمة الولد : ربنا هب لنا من ازواجنا وذرياتنا قرة اعين واجعلنا للمتقين اماما » وتقول فى وقت الشدة والحسرة : ربنا أفرغ علينا صبرا وتوفنا مسلمين » وتقول فيما اذا طلبت المغفرة لك وللسلف الصالح من المومنين : ربنا اغفر لنا ولاخواننا الذين سبقونا بالايمان ولا تجعل فى قلوبنا غلا للذين آمنوا ربنا انك رءوف رحيم » وتقول فيما اذا طلبت التوكل والانابة : ربنا عليك توكلنا واليك انبنا واليك المصير ربنا لا تجعلنا فتنة للذين كفروا واغفر لنا ربنا انك أنت العزيز الحكيم » وتقول فيما اذا طلبت المغفرة لك ولوالديك ولاهل بيتك : رب اغفر لى ولوالدى ولمن دخل بيتى مومنا وللمومنين والمومنات » .

والسنة غنية ولله الحمد بالادعية الواردة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم : فى كل حال من احوال حياة المسلم ، ولك أن تختار من السنة ما يناسبك من الدعاء المأثور عن صاحب هذا التشريع العزيز صلوات الله عليه وتسليمه . من ذلك قوله : اللهم : انى أعوذ بك من جهد البلاء ودرك الشقاء وسوء القضاء وشماتة الاعداء اللهم : انى أعوذ بك من العجز والكسل والبخل والهرم وعذاب القبر . اللهم : انى أعوذ بك من علم لا ينفع، ومن قلب لا يخشع ، ومن دعوة لا يستجاب لها . اللهم : انى أعوذ بك من فتنة القبر وعذاب النار ، ومن شر الغنى والفقر . اللهم : انى أعوذ بك من البرص والجنون والجذام وسوء الاسقام . اللهم : الهمنى رشدى ، وأعذنى من شر نفسى . اللهم : انى أسألك حبك وحب من يحبك والعمل الذى يبلغنى حبك . اللهم : اجعل حبك أحب الى من نفسى وأهلى ، ومن الماء البارد . اللهم : انى أسألك من خير ما سألك منه نبيك محمد صلى الله عليه وسلم وانت المستعان وعليك البلاغ ولا حول ولا قوة الا بالله . اللهم : انى أسألك

موجبات رحمتك وعزائم مغفرتك ، والسلامة من كل اثم ، والغنيمة من كل بر ، والفوز بالجنة والنجاة ن النار . اللهم : صل على محمد بقدر ما فى علمك من العدد فى كل لمحة من الازل الى الابد . اللهم : انى أعوذ بك من الشقاق والنفاق ، وسوء الاخلاق . اللهم : انى أعوذ بك من شر سمعى ، ومن شر بصرى ، ومن شر لسانى ، ومن شر قلبى ، ومن شر منيى . اللهم : لك الحمد كله ، ولك الملك كله ، وبيدك الخير كله ، واليك يرجع الامر كله ، أسألك من الخير كله ، وأعوذ بك من الشر كله . ومنه الحديث الذى رواه الترمذى الظوا بياذا الجلال والاكرام . اللهم : انى أسألك بأن لك الحمد لا الاه الا أنت المنان ، بديع السموات والارض ، ياذا الجلال والاكرام .

فهذا سؤال له وتوسل اليه بأسمائه وصفاته . وما أحق ذلك بالاجابة وأعظمه موقعا عند المسؤول . وعن أبى سلمة الجبنى عن القاسم بن عبد الرحمن عن أبيه عن عبد الله بن مسعود عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : ما أصاب أحدا قط ، هم ، ولا حزن ، فقال : اللهم انى عبدك ابن أمتك ناصيتى بيدك ، ماض فى حكمك ، عدل فى قضائك ، أسألك اللهم بكل اسم هو لك ، سميت به نفسك ، أو أنزلته فى كتابك ، أو علمته أحدا من خلقك او استأثرت به فى علم الغيب عندك ، أن تجعل القرآن العظيم ربيع قلبى ونور صدرى ، وجلاء حزنى ، وذهاب همى وغمى ، الا أذهب الله همه وحزنه ، وأبدله مكانه فرحا . فقيل : يا رسول الله ، الا نتعلمها ؟ قال : بلى ينبغى لمن سمعها أن يتعلمها . أخرجه أبو حاتم ، وابن حبـــان فى صحيحـــه .

وهذا دعاء آخر ، وهو : حسبنا الله ونعم الوكيل . وهو من أفضل الادعية قد استعمله العارفون بالله فى جلاء الهموم ، فوجدوا له بركة عظيمة فى تفريجها وجعلوا تلاوته 450 مرة ، وقد كفى الله بها النبى صلى الله عليه وسلم وجميع أصحابه فى غزوة بدر الصغرى ، وكان عدد المقاتلين من أصحابه 1500 رجل فألقى الله الرعب فى قلب العدو ، مع ما انضم الى ذلك من جدب السنة فتم له القضاء على صولة الاعداء باذن الله والحمد لله . ولنا فى رسول الله اسوة حسنة . وقد كان النبى صلى الله عليه وسلم يستنصر ربه على المشركين ويقول : اللهم أنت عضدى ونصيرى ، بك أحول وبك أصول وبك أقاتل . وقال تعالى فى فضل الدعاء : قل ما يعبؤ

بكم ربى لولا دعاؤكم » الخطاب فى الآية موجـــه للداعـــين وفى معنـــى الآية قال العلامة الجلال : ما نافية ويعبؤ يكترث ويبالى بكم ربـــى لولا دعاؤكم اياه فى الشدائد فيكشفها عنكم . وبعد اشتداد الكرب على رسول الله صلى الله عليه وسلم عند رجوعه من الطائف قال : اللهم اليك أشكو ضعف قوتى وقلة حيلتى وهوانى على الناس أنت رب المستضعفين ، وأنت ربى الى من تكلنى الى بعيد يتجهمنى . او الى عدو ملكته أمرى ان لم يكن بك غضب على فلا أبالى ، غير أن عافيتك هى أوسع لى . اعوذ بوجهك الذى أشرقت له الظلمات . وصلح عليه أمر الدنيا والآخرة . أن يحل على غضبك أو ينزل بى سخطك لك العتبى حتى ترضى ولا حول ولا قوة الا بالله . وقوله صلى الله عليه وسلم أعوذ بوجه الله الكريم ، وباسم الله العظيم ، وبكلمات الله التامات من شر السامة واللامة . ومن شر ما خلقت ، أى رب ومن شر هذا اليوم ومن شر ما بعده ومن شر الدنيا والآخرة . وقوله صلى الله عليه وسلم اللهم : انى أعوذ برضاك من سخطك وأعوذ بعافيتك من عقوبتك ، وأعوذ بك منك . لا أحصى ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك . وقوله صلى الله عليه وسلم : اللهم : انى أعوذ بك من زوال نعمتك ، وتحول عافيتك ، وفجأة نقمتك ، وجميع سخطك ، اللهم : انفعنى بما علمتنى وعلمنى ما ينفعنى وزدنى علما ، الحمد لله على كل حال ، وأعوذ بالله من حال أهل النار . اللهم : زدنا ولا تنقصنا واكرمنا ولا تهنا ، واعطنا ولا تحرمنا ، وآثرنا ولا تؤثر علينا ، وارضنا وارض عنا . اللهم : انك سألتنا من أنفسنا مالا نملكه الا بك ، اللهم : فاعطنا منها ما يرضيك عنا . اللهم : اقسم لنا من خشيتك ما تحول به بيننا وبين معاصيك ، ومن طاعتك مـــا تبلغنا به جنتك ، ومن اليقين ما تهون به علينا مصائب الدنيا ، ومتعنا بأسماعنا وابصارنا وقوتنا ما أحييتنا ، واجعله الوارث منا ، واجعل ثارنا على من ظلمنا ، وانصرنا على من عادانا ، ولا تجعل مصيبتنا فى ديننا ، ولا تجعل الدنيا اكبر همنا ، ولا مبلغ علمنا ، ولا تسلط علينا بذنوبنا من لا يخافك ولا يرحمنا . اللهم : اصلح لى دينى الذى هو عصمة أمرى ، واصلح لى دنياى التى فيها معاشى ، واصلح لى آخرتى التى فيها معادى واجعـــل الحياة زيادة لى فى كل خير ، واجعل الموت راحة من كل شر . اللهم : اجعلنى شكورا ، واجعلنى صبورا ، واجعلنى فى عينى صغيرا وفى أعيـــن الناس كبيرا . اللهم : انى أسألك بأنك انت الله لا الاه الا انت الواحد

الاحد الفرد الصمد . اللهم : انك عفو كريم تحب العفو فاعف عنى . اللهم : عافنى فى جسدى ، وعافنى فى بصرى ، واجعله الوارث منى ، لا الاه الا الله الحليم الكريم ، سبحان رب العرش العظيم ، الحمد لله رب العالمين .

وقال المفسرون : فى قوله تعالى : ولو كنت أعلم الغيب لاستكثرت من الخير » انه قال ذلك تواضعا . والحق انه قد أطلعه الله على جميع مغيبات الدنيا والآخرة ، ولكن ليس على جهة أن يكون له شىء من التأثير فى سير القضاء والقدر . ولهذا فان علمه صلى الله عليه وسلم بذلك كان على جهة الاطلاع فقط . حتى لا يكون له تأثير فى سير القدر والقضاء . ويرد على هذا أن سؤاله صلى الله عليه وسلم مستحاب لا يرد ؟ والجواب عنه انه لا يشاء الا ما يشاءه الله . فلو اطلع على ان هذا الشىء مثلا لا يكون كذا لا يوفق للدعاء له ، اذ لا يشفع ولا يدعو الا بما له فيه اذن من الله تعالى ، واطلاع منه على انه يحصل ما دعا به . وهو معنى قوله عز وجل : من ذا الذى يشفع عنده الا باذنه » وفى هذا المعنى قال العارف بالله أبو عبد الله محمد البوصيرى رحمه الله :

وخصك بالهدى فى كل أمر   فلست تشاء الا ما يشاء

وقالوا ان للخواص من أمته صلى الله عليه وسلم حظا من هذا المقام ، ويعنى بهم الاحياء لا الاموات ، ولذا قال العارف بالله سيدنا أبو الحسن الشاذلى : اذا أراد الله أمرا اى وقوعه امسك السنة أوليائه عن الدعاء سترا عليهم ليلا يدعو فلا يستجاب لهم فيفتضحوا ، أى يكذبوا فى محبة الله لهم ومحبتهم له .

روى جعفر الصادق بسنده عن رسول الله صلى الله عليه وسلم : انه اتاه جبريل عليه السلام فبينما هو عنده اذ اقبل أبو ذر الغفارى رضى الله عنه فقال جبريل : هذا ابو ذر ، قال : فقلت : يا أمين الله ، وتعرفون أنتم ابا ذر ؟ قال : نعم ، والذى بعثك بالحق ان ابا ذر فى السماء اعرف منه فى اهل الارض ، وانما ذلك لدعاء يدعو به كل يوم مرتين ، فادع به . وسله عن دعائه ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : يا أبا ذر ، ما دعاء تدعو به مرتين ؟ قال : نعم ، فداك ابى وأمى ما سمعته من بشر ، وانما هو عشرة أحرف الهمنيها ربى الهاما ، وانا أدعو به فى كل يوم مرتين ، استقبل القبلة ، فأسبحه مليا ، وأحمده مليا ، واهلله مليا ، واكبره مليا ،

ثم أدعو بتلك العشر كلمات ، وهى : اللهم : انا نسألك ايمانا دائما ، ونسألك قلبا خاشعا ، ونسألك علما نافعا . ونسألك يقينا صادقا ، ونسألك دينا قيما ، ونسألك العافية من كل بلية . ونسألك تمام العافية ، ونسألك دوام العافية . ونسألك الشكر على العافية . ونسألك الغنى عن الناس . قال جبريل والذى بعثك بالحق . لا يدعو أحد من أمتك به ، الا غفرت ذنوبه ، وان كانت اكثر من زبد البحر وتراب الدنيا ، ولا يلقى أحد من أمتك الله وفى قلبه هذا الدعاء الا اشتاقت اليه الجنان ، واستغفر له المكان . وفتحت له أبواب الجنان . فنادت الملائكة يا ولى الله ادخل من أى باب شئت . قال الترمذى الحكيم : قوله : ايمانا دائما . الدوام على وجهين : 1 — أن يدوم له توحيده حتى يختم له بذلك . فلا يسلبه فيلقى ربه بايمانه . وهو معنى الدوام . 2 — أن يكون له يقين يصير أموره على المعاينة ولا ينقطع ذكر الله عن قلبه فى كل حال . قيل لابى الدرداء رضى الله عنه : فلان أعتق مائة رقبة ، فقال ايمان ملزوم ، ولسان رطب بذكر الله أفضل من ذلك . وقوله قلبا خاشعا : القلب الخاشع هو الذى ماتت شهواته ، فذلت النفس لله وبرئت من الكبر والعجب وسىء الاخلاق ، فخشع القلب بما طالع من جلال الله وعظمته ، وقوله علما نافعا : العلم النافع هو الذى تمكن فى الصدر ، وتصور وانشرح به القلب وتنور ، لان النور اذا أشرق فى القلب تصورت الامور حسنها وسيئها كل على ما هو عليه ، ووقع لذلك ظل فى الصدر ، هو صورة الامور . فيأتى حسنها ويجتنب سيئها ، فذلك العلم النافع من نور القلب خرج من تلك المعالم التى فى الصدور ، وهى علامات الهدى ، وما تعلمه النفس قبل ذلك فهو علم البيان ، انما هو شىء قد استودع الحفظ والشهوة غالبة عليه ، واذا غلبت عليه اذهبت بظلمتها ضوءه فلا يكون به منتفع ، وفى الدعاء المذكور اشارة الى ما فى الصحيح عنه صلى الله عليه وسلم : اللهم انا نعوذ بك من علم لا ينفع ، وقلب لا يخشع ، ودعاء لا يسمع ، ونفس لا تشبع ، نعوذ بك من هؤلاء الاربع . وقوله : نسألك يقينا صادقا ، اليقين الصادق هو الاعتقاد المطابق عن دليل المسند على التقوى بقسميها ، اجتناب وامتثال فى حالتى الظاهر والباطن ، وهى طريقة السالكين من العارفين بالله الصادقين فى أقوالهم وأفعالهم من مقام الاسلام الى مقام الايمان ثم منه الى مقام الاحسان ثم منه الى حضرة الرحمن . وقوله : ونسألك دينا قيما ، الدين القيم هو الملة الابراهمية

الحنيفية ، قال تعالى : قل اننى هدانى ربى الى صراط مستقيم دينا قيما ملة ابراهيم حنيفا » قال العلامة ابن القيم الحنيفية هى القدوة الحسنة وفيها معنى آخر وهو المعلم للخير والدين . وقوله : ونسألك العافية من كل بلية ، وهو يشير الى أنه ينبغى لكل مومن بالله أن يسأله العافية لقوله صلى الله عليه وسلم لا يزال البلاء بالمومن والمومنة حتى يلقيا الله وما عليهما من خطيئة . ويشير الى قوله صلى الله عليه وسلم : ان لله سبعين بابا من البلاء ، أخفها الجذام والبرص اذا سألتم الله فسلوه العافية ، وهو يسأله مع ذلك العافية التامة وهى السلامة من الآفات فى الدنيا والدين ، ولذا قال عليه الصلاة والسلام فى دعائه لاهل القبور : نسأل الله لنا ولكم العافية . وقوله : ونسألك الشكر على العافية ، فالعافية اذا اعطيها الانسان بقسميها المتقدمين فقد جمعت له السعادتان هما سعادة الدنيا وسعادة الآخرة ، وهى من اكبر نعم الله على عبده فانه يحب المزيد منها ودوامها عليه ، ولا يكون ذلك الا بأداء واجب شكرها ، ولا يكون شاكرا لها الا اذا صرفها فى وجوه طاعة المنعم بها ، لما فى الحديث : من شكر النعم فقد عقلها بعقالها ، ومن لم يشكرها فقد تعرض لزوالها . وقال تعالى : لئن شكرتم لازيدنكم ولئن كفرتم ان عذابى لشديد » وقوله ونسألك الغنى عن الناس ، فهو يشير الى الزهد فيما فى أيدى الناس وذلك هو غنى النفس وقناعتها واعراضها واحتقارها لما فى ايديهم ، وفى ذلك يقول الامام الشافعى رحمه الله :

غنى بلا مال عن الناس كلهم ... وليس الغنى الا عن الشيء لا به

وقوله صلى الله عليه وسلم ازهد فى الدنيا يحبك الله ، وازهد فيما فى أيدى الناس يحبك الناس . ويحصل الزهد بالاعراض عن الشيء الذى تطمح اليه النفوس وترغب فيه ، استصغارا واحتقارا ، استجابة لرغبة الهمة الرفيعة العالية ، وينقسم الزهد الى أقسام ثلاثة : 1 — ترك الحرام وهذا النوع زهد العوام ، و 2 — ترك الشبهات وفضول الحلال ، وهو زهد الخواص ، و 3 — ترك ما يشغل عن الله ، وهو زهد العارفين بالله . وفى الحديث : اذا أحب الله عبدا حماه عن الدنيا كما يظل أحدكم يحمى سقيمه الماء . وفى ذلك قيل :

فلو كانت الدنيا جزاء لمحسن ... اذن لم يكن فيها معاش لظالم
لقد جاع فيها الانبياء كرامة ... وقد شبعت فيها بطون البهائم

وقد اشتمل الدعاء المذكور على قدر عال من الايمان بالله ، وهو ترك التدبير والاختيار مع الله . ولترك ذلك أسباب تحمل عليه ، منها : علمك بسابق تدبيره ، وكونه لك قبل أن تكون لنفسك ، ومن ذلك دعاء الحلاج القائل : اللهم كن لى كما كنت لى حين لم اكن . ومنها : علمك أن القدر لا يجرى على حسب تدبيرك ، بل الغالب على الاحوال ان يكون مالا تدبر ، قال تعالى : ويخلق مالا تعلمون » والعاقل لا يبنى بناءه على غير أساس ، ومنها : علمك بأنك اذا لم تدبر دبر الله لك ، : ومن يتوكل على الله فهو حسبه » أى كافيه . ومنها : علمك بأنه المتولى لتدبير مملكته علويها وسفليها غيبيها وشهادتها واذا كان مدبرا لسماواته وارضه ، فأى نسبة بينك وبينها ؟ : لخلق السموات والارض أكبر من خلق الناس » ومنها : علمك بأنك ملكه : لله ملك السموات والارض وما فيهن » ومنها : علمك بأنك فى ضيافته ، لان الدنيا داره ، وأنت نازل فيها ومن حق الضيف أن لا يحمل هما مع سيده . ومنها : علمك بأنه القيوم المدبر ، والقيوم القادر بالشىء على أكمل وجه واتمه . وهو تعالى قائم بأمر العالم كله على ما ينبغى والتدبير فى حقه تعالى محمول على معنى الاحكام والاتقان ، ومنها : اشتغالك بوظائف العبودية المغياة بالموت ، : واعبد ربك حتى ياتيك اليقين » ومنها : علمك بأنك عبد مربوب ، : ان كل من فى السموات والارض الا آتى الرحمن عبدا » والعبد لا يحمل هما مع سيده ، بل عليه أن يقوم بخدمته ، والسيد يقوم له ببنيته ، : وامر أهلك بالصلاة واصطبر عليها لا نسألك رزقا نحن نرزقك » أى قم بخدمتنا فقد قمنا لك بقسمتنا ، ومنها : عدم علمك بعواقب الامور ، : وعسى أن تكرهوا شيئا وهو خير لكم وعسى أن تحبوا شيئا وهو شر لكم والله يعلم وأنتم لا تعلمون » فلربما أتت الفوائد من وجوه الشدائد والعكس ولربما أتت المسار من وجوه المضار والعكس ، ولذا قال الشيخ أبو الحسن الشاذلى : اللهم انا قد عجزنا عن دفع الضر عن أنفسنا من حيث نعلم بما نعلم ، فكيف لا نعجز عن ذلك من حيث لا نعلم بما لا نعلم .

أهل الاجابة السريعة

منهم اهل ابرار القسم ، وهو أن المقسم لا يقسم الا على من يرى انه يبر قسمه ، فابرار القسم خاص ببعض العباد ، الذين منهم البراء بن مالك عم الامام مالك رحمهما الله تعالى . وكان البراء هذا اذا اشتدت

الحرب بين المسلمين والكفار يقولون يا براء اقسم على ربك فيقسم على الله فينهزم الكفار ، فلما كان على قنطرة ببلاد السوس من بلاد فارس ، قالوا يا براء اقسم على ربك ، فقال يارب اقسمت عليك لما منحتنا اكتافهم وجعلتنى أول شهيد ، فأبر الله قسمه وانهزم جند العدو ، واستشهد البراء ، وفى الصحيحين انه صلى الله عليه وسلم قال : ان من عباد الله من لو أقسم على الله لابره . رواه الامام مسلم وغيره وقال : ألا أخبركم باهل الجنة : كل ضعيف متضعف لو اقسم على الله لابره . الا اخبركم بكل عتل جواظ مستكبر . وهذا فى الصحيحين ايضا ، وقد قتل البراء المذكور مائة مبارزة . وهؤلاء الذين يقسمون على الله غير قسمهم ناس مخصوصون . وذكر الدميرى فى حياة الحوان رقم 34 من يستجابدعاؤهمقطعا هم : 1 — المضطر لقوله تعالى : أمن يجيب المضطر اذا دعاه ويكشف السوء » و 2 — المظلوم ولو كان كافرا أو فاجرا لقوله صلى الله عليه وسلم اتق دعوة المظلوم فانها ليس لها دون الله حجاب . و 3 — الوالدان على ولدهما لعظم مكانهما منه عند الله تعالى : لقوله تعالى : ووصينا الانسان بوالديه » و 4 — الامام العادل ، لقوله صلى الله عليه وسلم : فى حديث آخر الامام العادل ، والمظلوم ، والصائم حتى يفطر ، و 5 — الولد البار بوالديه وهو أحد الثلاثة أصحاب الغار فى حديث الصحيح الذين توسلوا الى الله بخالص أعمالهم فأجيبت دعوتهم فى الحين ففرج الله عنهم شدتهم وكربتهم ، و 6 — الرجل الصالح واليه يشير الحديث رب رجل ذى طمرين مدفوع بالابواب ، لو اقسم على الله لابره ، و 7 — المسافر حتى يرجع ، وهو فى احدى رواياته الثلاث الذين لا ترد دعوتهم ، و 8 — المسلم للمسلم ما لم يدع بظلم او قطيعة رحم أو يقال دعوت فلم أجب .

ومن اسباب الاجابة اكل الحلال ، لقوله صلى الله عليه وسلم لمعاذ : طيب لقمتك تكن مستجاب الدعوة . والاستجابة على قسمين عامة ، وهى لا تختص بالمومن المطيع بل كما يستجيب للكافر العاصى ، وربما كان فى بعض احواله أسرع فى الاجابة لانه عدو لله تعالى يكره سماع صوت عدوه ، ومن ذلك ما كان يروي عن فرعونموسى من انه كان فى بعض الشدائد يختلى بنفسه مع الله معترفا بعبوديته وعجزه ثم يسجد على التراب ويطلب الله حاجته فكانت تقضى له سريعا . ومنه قوله تعالى : واذا مس الانسان

الضر دعانا لجنبه أو قاعدا او قائما فلما كشفنا عنه ضره مر كأن لم يدعنا الى ضر مسه » وقال ايضا : واذا مس الانسان ضر دعا ربه منيبا اليه ثم اذا خوله نعمة منه نسى ما كان يدعو اليه من قبل وجعل لله اندادا ليضل عن سبيله قل تمتع بكفرك قليلا انك من اصحاب النار » ووقعت من هذا النوع قصة قضية مدينة « وبذة » الشهيرة التى رواها المؤرخون ببلاد الاندلس وكانت واقعتها سنة 567 هجرية فى زمن يوسف بن عبد المومن الموحدى ، وهى : انه حاصرها بجيوش جرارة عدة شهور حتى نفذ ما كان عندهم من ماء مخزون داخل المدينة ، ولما اشتد بهم الحصار وعطشوا وأرسلوا الى أمير المومنين فى تسليم المدينة له فى مقابلة شروط الامان على أنفسهم مع شروط أخرى فامتنع لذلك فوصل منهم اشتداد العطش الى حالة الاضطرار والموت عطشا ، وذات ليلة سمع لهم لغط وذوى شديد مع أصوات مهولة كثيرة ، فبحث عن أمرهم فقيل : انهم اجتمعوا بأسرهم مضطرين باكين فدعوا الله بوحدانيته ان ينزل عليهم مطرا يرتوون به ، فأستجاب الله بفضله دعاءهم وأنزل عليهم مطرا غزيرا امتلا منه كل ما كان لديهم من الخزائن الفارغة فارتووا وحصلت لهم قوة على المسلمين ، ثم انصرف عنهم يوسف الى اشبيلية بعد أن عقد معهم هدنة بسبع سنوات . وليعتبر كل واقف على هذه القصة الدالة على الاستجابة العامة وليعلم ان هؤلاء كفار جاحدون ينسبون الى الله تعالى مالا يليق به من نسبة الولد ، والتثليث وتاليه الاحبار والرهبان ، وكل ما هو كفر وشرك بالله ، ومع ذلك لما اشتد الامر عليهم وانقطع رجاؤهم ، واشرفوا على تسليم أنفسهم للموت دعوا الله مضطرين اليه وحده اذ هو خالقهم ورازقهم وراحمهم ومتولى امرهم فاستجاب لهم وامدهم بجليل نعمه الذى هو الماء ، ولا ينبغى لمومن موحد اذا نزلت به شدة أن ييأس من روح الله : انه لا ييأس من روح الله الا القوم الكافرون » .

قصة عجيبة فى الاجابة المنعكسة

روى ان ابا جهل لعنه الله عدو الله ورسوله ، بعد أن تجهز جيش مكة لقتال رسول الله صلى الله عليه وسلم فى بدر الكبرى خرجوا الى الكعبة وتعلقوا بأستارها ودعا ابو جهل فقال فى دعائه : اللهم أينا كان أقطع للرحم ، واتانا بما لا نعرفه فاحنه الغداة ، اى اهلكه ، ومقصوده الدعاء بالهلاك

لرسول الله صلى الله عليه وسلم ومن معه من المسلمين ، وفى زعمه ان النبى صلى الله عليه وسلم هو القاطع للرحم حيث فرق بدينه الجديد بين ذوى الارحام ، وهاجر بمن معه عنهم وجعل يحاربهم فكان فى نظره الخاطىء هو المستحق للهلاك ، ولذلك قال فى دعائه عليه : فأحنه الغداة ، ومعناه عندهم الدعاء بالهلاك فيما يستقبل من الزمن القريب فأجابهم الله تعالى : بقوله : ان تستفتحوا فقد جاءكم الفتح » ومعناه : ان تطلبوا ايها الكفار القضاء على الذى ظلم الحق منكم ، وهو فى زعمكم محمد صلى الله عليه وسلم وأصحابه ، فقد جاءكم الفتح ، وهو الاجابة بتنفيذ الهلاك العاجل الذى طلبتم لمن ظلم الحق على اليقين ، وهو أبو جهل ومن معه من قريش دون النبى والمومنين ، فانهم على الحق المبين ، وبعد خروجهم من معركة بدر ، تركوا من القتلى سبعين منهم أبو جهل وأتباعه من صناديد قريش ، ومن الاسرى سبعين . فتلك هى اجابة الله لمن ظلم الحق على اليقين ، وقد تقدم ان الاجابة تكون بطريق ابرار القسم ومطلق الدعاء . فالسائل متضرع ذليل يسأل بسبب يناسب الاجابة ، والمقسم أعلى منه ، فانه طالب مؤكد طلبه بالقسم ، وفى الصحيح عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال : ما من داع يدعو الله بدعوة ليس فيها اثم ولا قطيعة رحم ، الا أعطاه الله بها احدى خصال ثلاث : اما أن يعجل الله له دعوته ، واما أن يدخر له من الخير مثلها ، واما أن يصرف عنه من الشر مثلها ، قالوا يا رسول الله اذا نكثر ؟ قال : الله اكثر . ومعناه ان الاجابة مع توفر شروطها واسبابها حاصلة قطعا ، ولكن بحسب ما يراه الله صالحا للداعى من احدى الاجابات الثلاث ، ولذلك ينبغى له ان يرجع الى مقام العبودية والايمان والرضى والاذعان والتسليم بما قسمه المولى العالم بمصالح عباده ، دون ان يغير ما جرى به القضاء والقدر فى الازل وان يتحكم فى الموافقة بينه وبين عالم ما لا يزال ، على حسب ما جرى به علم الله الازلى فى غيبه واحكامه . ومن دعاء المضطر ما دعا به نبى الله ورسوله يونس عليه السلام ، وهو فى بطن الحوت ، وهو دعاء المكروب اذ ليس هناك شدة أضيق من بطن الحوت ، ومن ثم اطلق عليه ذا النون ، وبه ذكره القرآن فقال : وذا النون اذ ذهب مغاضبا فظن ان لن نقدر عليه فنادى فى الظلمات ان لا الاه الا انت سبحانك انى كنت من الظالمين فاستجبنا له ونجيناه من الغم وكذلك ننجى المومنين » ومن دعاء المضطر هذه الابيات الآتية : وهى تنسب للشيخ عبد الرحمن المالقى :

يا مــن يرى ما فى الضمير ويسمع	أنــت المعــد لكــل مــا يتوقــع
يا من يرجــى للشــدائــد كلهــا	يا مــن اليــه المشتكى والمفــزع
يا مــن خزائــن رزقه فى قــول كن	امنــن فان الخير عنــك أجمــع
مالى ســوى فقــرى اليك وسيلة	فبالافتقــار اليك فقــرى أدفــع
مالى ســوى قرعــى لبــابك حيلة	فلئــن رددت فاى بــاب أقــرع
ومــن الذى أدعو وأهتف باسمه	ان كــان فضلك عن فقيرك يمنــع
حاشيا لجــودك أن تقنط عــاصيا	الفضــل أجــزل والمواهب أوســع

وجدت هذه الابيات مكتوبة بخط الشيخ محيى الدين النووى رحمه الله وقال : ما قرأ أحد هذه الابيات ودعا الله عقبها الا استجيب له . ومن آدا بالدعاء لله أن تدعو فى سرك ، لحديث النهى عن رفع الصوت بالدعاء : أخرج أبو داود عن أبى موسى الاشعرى قال : كنت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فى سفر فلما دنوا من المدينة كبر الناس ورفعوا أصواتهم . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : يا ايها الناس انكم لا تدعون أصم ولا غائبا ، ان الذى تدعونه بينكم وبين أعناق ركابكم . ثم قال : يا أبا موسى ألا أدلك على كنز من كنوز الجنة ؟ فقلت وما هو ؟ قال : لا حول ولا قوة الا بالله . وأخرج أبو داود أيضا عن أبى هريرة ، ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : ثلاث دعوات مستجابات لا شك فيهن : دعوة الوالد ، ودعوة المسافر ، ودعوة المظلوم . وله أيضا عن عبد الله بن عمرو بــن العاص أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : ان اسرع الدعاء دعوة غائب لغائب . وله أيضا عن أم الدرداء قالت : حدثنى سيدى انه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : اذا دعا الرجل لاخيه بظهر الغيب قالت الملائكة آمين ولك بمثل . حديث النهى عن الدعاء على النفس والاهل ، والمال ، أخرج أبو داود أيضا : عن عبادة بن الصامت عن جابر بن عبــد الله قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لا تدعو على أنفسكم ولا على أولادكم ، ولا على أموالكم ولا على خدمكم لا توافقوا من الله تبارك وتعالى ساعة نيل فيها عطاء فيستجيب لكم .

أشرف أماكيــن الدعــاء المساجــد

وكانت المساجد أشرف أماكين الدعاء لانها بيوت الله ، والله تعالى

يقول : وأن المساجد لله فلا تدعوا مع الله أحدا » وأشرف المساجد فى بلاد الاسلام مسجد المدينة المنورة ، ثم المسجد الحرام ، ثم المسجد الاقصى ثم المساجد التى تقام فيها الجماعة والجمعة ، حيثما وجدت من بلاد الله فهى بيوت الله . وأما الزوايا والاضرحة فهى بيوت اهلها فليس لها شرف المساجد ولا حرمتها ، وتكره فيها الصلاة ان كانت مقابر غير مسنمة ، وان كان فيها قبور مسنمة فالصلاة فيها واليها حرام . وان كانت لا تحتوى على مقابر فهى مثل البيوت المسكونة .

((**تنبيــــه**)) : قد جرى عمل المسلمين شرقا أو غربا باعلى رفــع اليدين عند الدعاء وذلك لما ثبت فيه من نحو المائة حديث ، افردها المنذرى والسيوطى بالتاليف وأشار لها النووى فى الاذكار ، وفى شرح المهـذب ، ولم يروه الامام مالك فى كتاب الحج . وترفع الايدى فى الدعاء بضم احدى الكفتين الى الاخرى . ويؤيده ما رواه الطبرانى فى الكبير : عن ابن عبـــاس رضى الله عنهما ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان اذا دعا ضم كفيه وجعل بطونهما مما يلى وجهه . وفى العتبية : والافضل أن يبسط كفيه وبينهما فرجة ، وان قلت واما حد الرفع فقال القاضى أبو محمد : فى احكام القرآن : اختلفوا فى حد الرفع الى أين يكون ؟ فقيل الى الصدر وقيل الى الوجه ، وجاء عن النبى صلى الله عليه وسلم ما أخرجه البخارى : انه كان يرفع يديه فى الدعاء حتى يبدو بياض ابطيه . ولم يجد بعضهم فيه حدا ورأى الامر فيه واسعا . وأما كيفيته فقال العلقمى : تجعل بطن الكف الى الوجه ، وظهرها الى الارض ، هذا هو السنة ، ثم ان اشتد الامر كرفع بلاء أو غلاء ، أو قحط أو نحو ذلك ، جعل ظهورهما الى السماء ، وهو المراد من قوله تعالى : ويدعوننا رغبا ورهبا » قال بعض المفسرين : الرغب بسط الايدى وبطونهما الى الوجه ، والرهب بسط الايدى وظهورهما الى السماء .

وافضل احوال الدعاء أن تدعو الله وانت ساجد ، لقوله عليه الصلاة والسلام اما الركوع فعظموا فيه الرب، وأما السجود فاجتهدوا فيه بالدعاء فقمن أن يستجاب لكم . وهو معنى قوله تعالى : واسجد واقترب » .

أوقــات استجــابــة الدعـــاء

لاستجابة الدعاء أوقات نص عليها الشارع صلى الله عليه وسلم

وعلى آله ؛ منها ما ليس له وقت محدود كالدعاء فى يوم الجمعة لاخباره صلى الله عليه وسلم ان فى يوم الجمعة ساعة للاجابة . ولكنها مبهمة لتطلب فى اليوم كله، وفى غير الجمعة من سائر الايام أوقات للاجابة معينة لمن يترصدها. وهى الثلث الاخير من الليل ، وعند سماع الاذان ، وبين الاذان والاقامة . وليالى رمضان ، والصائم حتى يفطر ، وهو قوله صلى الله عليه وسلم ان لله نفحات فتعرضوا لنفحات الله . وكن متيقنا من الاجابة ان أنت امتثلت واستجبت لنداء ربك حيث يقول لك : يا أيها الذين آمنوا استجيبوا لله وللرسول اذا دعاكم لما يحييكم » وهذا كله دعاء لله مباشرة بين العبد وربه ، ومن دون واسطة أحد من خلقه .

واما الدعاء من طرف الوسائط فهو الدعاء المطلوب من الاتقياء واهل الفضل والخير والصلاح ، لقوله صلى الله عليه وسلم ادعونى بلسان لا تعصونى به . أى لسان الغير ، وقوله صلى الله عليه وسلم : ما اجتمع قوم فدعا بعضهم وأمن البعض الا استجاب الله دعاءهم . ومنه دعاء نبى الله ورسوله موسى على فرعون وملاه وتامين نبى الله ورسوله أخيه هارون على دعائه ، وقد استجاب الله دعاءهما وهو قوله تعالى : ربنا انك أتيت فرعون وملأه زينة وأموالا فى الحياة الدنيا ربنا ليضلوا عن سبيلك ربنا اطمس على أموالهم واشدد على قلوبهم فلا يومنوا حتى يروا العذاب الاليم قال قد اجيبت دعوتكما فاستقيما ولا تتبعان سبيل الذين لا يعلمون » أى صدق الاجابة وحكمة الامهال ، فقد كان بين الاجابة وتنفيذ مقتضى ما طلبا من الله جل شأنه وتقدست أسماؤه وصفاته أربعين سنة .

ملحق بأدعية القرآن والسنة

عن سيدنا على كرم الله وجهه الدعاء سلاح المومن وعماد الدين ، ونور السموات والارض وروى الحاكم فى صحيحه من حديث سيدتنا عائشة رضى الله عنها قالت : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يغنى حذر من قدر ، والدعاء ينفع مما نزل ومما لم ينزل ، وان البلاء لينزل فيلقاه الدعاء فيعتلجان الى يوم القيامة . وعن النبى صلى الله عليه وسلم انه كان اذا أهمه أمر قال : يا حى يا قيوم برحمتك استغيث . وفى الصحيح عن ابن عباس رضى الله عنهما قال : كان النبى صلى الله عليه وسلم يدعو عند

الكرب : يقول : لا الاه الا الله العظيم الحليم ، لا الاه الا الله رب السموات ورب العرش العظيم . وفى صحيح الحاكم ان سعد بن أبى وقاص سمع النبى صلى الله عليه وسلم وهو يقول : هل ادلكم على اسم الله الاعظم دعاء يونس ، فقال رجل يا رسول الله ، هل كان ليونس خاصة فقال : ألا تسمع قوله سبحانه : فاستجبنا له ونجيناه من الغم وكذلك ننجى المومنين » فأيما مسلم دعا به فى مرضه أربعين مرة فمات فى مرضه ذلك أعطى أجر شهيد وان برىء مغفورا له .

ولاجابة الدعاء وقبوله شروط . منها تجديد التوبة من الكبائر والصغائر اطلاقا ورد المظالم ان أمكن . واختيار خالص الحلال من المطعم والمشرب والملبس . ولا بد من حضور القلب وتفريغه من كل شاغل دنيوى ، وتيقن الاجابة لان الرب عند ظن عبده ، ومن آداب الدعاء استقبال القبلة فى طهارة صغرى . وتقديم معروف من صلاة أو صوم أو صدقة أو أمر بمعروف أو نهى عن منكر ومراعاة أوقات الاجابة الستة ، وهى الثلث الاخير من الليل ، وعند الاذان وبين الاذان والاقامة ، وعقب الصلوات المفروضة ، وعند صعود الامام على المنبر يوم الجمعة حتى تقضى الصلاة ، وآخر ساعة بعد العصر من يوم الجمعة ، وان تنادى الله بالاسم المناسب، فاذا كنت تطلب الرزق فناديه بيارزاق أو التوبة يا تواب او الشفاء يا شافى او قل : يا أرحم الراحمين ونحو ذلك ثم لك أيها المحب فى آل بيت النبى صلى الله عليه وسلم : اذا أردت أن تلتمس أدعية صالحة اذا كنت زائرا ضريح الشيخ مولانا عبد السلام من ذريته ، وخصوصا حملة القرآن الكريم واهل الفضل والصلاح منهم ، وانك لتجدهم حولك يلتمسون فضل الزوار فرادى وجماعات ، فتقدم اليهم والتمس منهم ادعية صالحة فانك اذا فعلت ولا شك تحصل على اجابة أمنيتك الغالية ، وانشودتك الضالة ، والسنة أولاد اهل البيت كلها تحمل اليك الخير والبركة والفلاح ، فحافظ على الادب مع الله ومع خلقه ، ونية الخير فى الجميع فانك لا تدرى أيهم أفضل ، واياك والانتقاد فان الناقد بصير ، وفى الحديث : ان الله خبأ ثلاثة فى ثلاثة : وليه فى خلقه ، ورضاه فى طاعته ، وسخطه فى معصيته . فلا تحقرن أحدا لعله يكون ولى الله ، ولا تحقرن طاعة لعلها يكون فيها رضى الله ، ولا تحقرن معصية لعلها يكون فيها سخط الله . انما الاعمال بالنيات وانما لكل امرىء

مـــا نـــوى .

تتعلــق بالــزائــر ثلاثـــة حقـــوق

ومن آداب زيارة الاولياء أن تراعى هذه الحقوق الثلاثة ، وهى :
1 ـــ حق لله تعالى وهو أن لا تشرك به أحدا فيما هو من اختصاصات الربوبية ، وتوحيد الالوهية ، معتقدا انه لا معطى ولا مانع ولا نافع و لاضار الا الله وحده لا شريك له فى تصرفاته وأفعاله و 2 ـــ حق المزور ، وهو أن تدعو له بما يعود عليه نفعه فى الدار الآخرة ، وتبتدىء الزيارة بالسلام عليه ، ثم تبدى له ما تيسر من ثواب القرآن الكريم أو الاستغفار كمـــا تقدم ، ثم تدعو له بالرحمة والمغفرة ، فانه مفتقر الى ذلك وفى حاجة الى ما يرد عليه من طرف الاحياء من الدعاء والاسترحام . « يا أيها الناس أنتم الفقراء الى الله والله هو الغنى الحميد » ومن حقه أن لا تطلب منه شيئا من أغراضك الدنيوية والاخروية فانك ان فعلت ذلك فقد آذيته وجعلته لله ندا ، ولم يكن هناك من أولياء الله من يريد من الناس أن يجعلوه لله ندا وان هم فعلوا فقد ظلموه وظلموا أنفسهم بما هو برىء منه ، وأكبر الظلم أن يظلم الانسان نفسه ، ولو فرضنا ان الله تعالى يرد الحياة لاحد أوليائه ويمكنه من الدفاع عن نفسه لقتل كل من آذاه وأساء الادب على الله تعالى معه بأن جعله ندا لله . وذلك ما فعله الامام على كرم الله وجهه فى حياته مع غلاة الشيعة الذين عبدوه من دون الله ، اذ جمعهم وأشهد عليهم كبار الصحابة ، وأجمعوا على كفرهم فحفر لهم أخاديد بباب كندة من أبواب الكوفة بالعراق وحرقهم بالنار أحياء ، وهم يقولون الآن زدنا بك ايمانا أنت الاه ، لا يعذب بالنار الا رب النار ، وقصة ذلك كما فى الزرقانى على الموطأ روى العقيلى عن عثمان الانصارى قال : جاء ناس من الشيعة الى أمير المومنين على رضى الله عنه وهو بالكوفة فقالوا يا أمير المومنين أنت هو ؟ قال مـــن أنا ؟ قالوا أنت هو ، فقال ويلكم من أنا ؟ قالوا أنت ربنا ، قال ويلكم ارجعوا وتوبوا فأبوا فضرب أعناقهم وقال يا قنبر ايتنى بحزم الحطب فحفر لهم فى الارض أخدودا فأحرقهم بالنار ثم قال :

لمـــا رأيت الامـــر أمـــرا منكـــرا   أججت نـــارى ودعـــوت قنبـــرا

راجع ما تقدم فى صدر الكتاب فى الكلام على الشيعة ، وكان رئيسهم

عبد الله بن سبأ و 3 — حق الزائر وهو أن تقضى حاجاته ورغائبه من الله تعالى وحده ؛ لا من غيره معه ؛ لانه لا يقدر على قضاء حوائج العباد ورغباتهم الا الله جل شأنه وتقدست أسماؤه وصفاته ؛ واعلم أيها المحب الزائر الكريم . انك متى سلكت حدود الشريعة ولزمتها وتحليت بآدابها مع الله ومع أوليائه . وأعطيت لكل ذى حق حقه . فما هو لله ينبغى لك أن تعطيه لله ؛ وما هو لعباده الاولياء مما قدمته لك فاعطه لهم واياك وأن تعكس وتعطى لاولياء الله ما هو لله ؛ فان الله تعالى لا يشاركه أحد من خلقه فى اختصاصات الربوبية . واليك نصوص الشريعة فى الآداب مع رسول الله صلى الله عليه وسلم لمن يريد زيارة قبره الشريف . اذ ليس فى الانبياء والاولياء من هو اكرم على الله منه . فالذى كان يفعله الصحابة رضوان الله عليهم بعد وفاة صاحبيه أبى بكر وعمر رضى الله عنهما . قال عبيد الله بن عمر عن نافع كان ابن عمر رضى الله عنهما اذا قدم من سفر أتى قبر النبى صلى الله عليه وسلم فقال : السلام عليك يا رسول الله السلام عليك يا أبا بكر ؛ السلام عليك يا أبتاه . ثم ينصرف . قال عبيد الله ما نعلم أحدا من أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم فعل ذلك الا ابن عمر .

وأما ما يفعله الناس اليوم من السلام عليه صلى الله عليه وسلم والوقوف للدعاء بعد السلام عليه فليس من السنة فى شيء بل هو بدعة محضة ؛ وفى المبسوط قال الامام مالك رحمه الله لا أرى أن يقف عند قبر النبى صلى الله عليه وسلم ولكن يسلم ويمضى . واتفق الائمة أى المجتهدون على انه لا يستقبل القبر وقت الدعاء . وقال الامام أحمد فى صفة السلام عليه صلى الله عليه وسلم ؛ يستقبل القبلة ويجعل الحجرة الشريفة عن يساره لئلا يستدبره . واختلفوا هل يستقبل القبر عند السلام عليه صلى الله عليه وسلم . وقد كان الصحابة رضوان الله عليهم مع لزومهم وشدة حرصهم على الآداب اللائق بجنابه صلى الله عليه وسلم ؛ والوقوف الدقيق مع تطبيق نصوص الاحاديث الشريفة وجلين من الانغماس فى حب القبر الشريف والوقوع فيما وقع فيه من كان قبلهم مما كان يحذرهم منه رسول الله صلى الله عليه وسلم فى حياته أن يفعلوه بعد موته ؛ وقد كان الحال لذلك العهد يمكنهم من الوصول الى القبر الشريف ؛ حيث لا حاجز هناك يمنعهم عنه ؛ ومع ذلك فقد كانوا لا يدخلون لا للسلام عليه ؛ولا للصلاة

عليه ، ولا للدعاء لانفسهم ولا لغيرهم . ولا لسؤال عن حديث أو علم ، مما لم يكن للشيطان فيه سبيل حتى يطمع فى مخاطبتهم ، كأن يسمعهم كلاما أو سلاما فيظنون انه صلى الله عليه وسلم هو الذى كلمهم وأفتاهم وبين لهم الاحاديث أو انه قد رد عليهم السلام بصوت يسمع من خارج كما فعل الشيطان مع غيرهم من بعدهم فضلهم عند قبره صلى الله عليه وسلم وعند قبر غيره . حتى ظنوا ان صاحب القبر يأمرهم وينهاهم . ويفتيهم ويحدثهم فى الظاهر . وانه يخرج من القبر ويرونه خارجا منه ويظنون ان نفس أبدان الموتى خرجت تكلمهم . وان روح الميت تجسدت لهم فرأوها كما رآهم النبى صلى الله عليه وسلم ليلة المعراج . وقد ادعى بعضهم انه طلب من النبى صلى الله عليه وسلم أن يمد اليه يده ليقبلها ففعل ، فذلك كله من قبيل الممكن ، ولكن من الادب لمن اتفق له شيء من ذلك أن يجعله من كراماته ولا يحدث به على وجه الشهرة . وهذا ان لم يكن من فعل الشيطان ، واما ان كان منه فهو شقاء واستدراج . وأحرى أن يدون ويقرأ ليذا دخل الريب فى أعمال هؤلاء انها امتزجت باعمال الشياطين . التى لعبت دورا بعقـــول المخبولين الجاهلين المحرومين من كل عقل ودين .

مبتـــدعـــاة غـــلاة الصـــوفيـــة

ومما ابتدعه غلاة الصوفية ما هو مسجل فى دواوينهم وكتبهم ككتاب الابريز للدباغ الفاسى وبعض كتب تنسب للامام الشعرانى ادعوا فيها ان للاولياء الاموات تصرفات فى شؤون العالم ، وان المديرين لذلك هم الاقطاب الاربعة ، وعلى راسهم الغوث ، وانهم يتصرفون فى شؤون الخلق بالاماتة والاحياء والارزاق والنفع والضر ، ولهم مجلس بمكة المكرمة يدعى الديوان لاجتماعهم فى مداولة شؤون الخلق ويزعمون ان النبى صلى الله عليه وسلم يحضر معهم اجتماعهم وان لم يحضر ينوب عنه الغوث ويسمى المجتمعون اهل الديوان ، ولهم أعوان يسمونهم أهل الدائرة والعدد ، يدورون بالكرة الارضية يتطعونها فى ختام كل سنة ، ويمكثون ثلاثة اشهر فى كل جهة من الجهات الاربع ، واذا اردت ان تدعوهم فى قضاء امر يهمك ، فعليك أن تتوضأ ، وتصلى ركعتين ثم تتوجه اليهم فى قضاء حاجتك وتناديهم بيا رجال الغيث ثم تطلب حاجتك فانها تقضى . كل هذا مما يعلم الله ورسوله انه

باطل قطعا باجماع المسلمين ، وضلال من الشياطين مبين ، ومخالف لما جاء به القرآن الكريم ، والسنة المطهرة التى جاء بها الشرع الحكيم ، وهو من أقبح الشرك الذى جاء به عبادودا ويغوث ويعوق ونسرا ، ومن أخبث الشرك الذى وقعت فيه أمة ابراهيم عليه السلام : اذ قال لابيه وقومه ما تعبدون قالوا نعبد أصناما فنظل لها عاكفين قال هل يسمعونكم اذ تدعون أن ينفعونكم أو يضرون قالوا بل وجدنا آباءنا كذلك يفعلون قال أفرايتم ما كنتم تعبدون أنتم وآباؤكم الاقدمون فانهم عدو لى الا رب العالمين الذى خلقنى فهو يهدين والذى هو يطعمنى ويسقين واذا مرضت فهو يشفين والذى يميتنى ثم يحيين والذى أطمع أن يغفر لى خطيئتى يوم الدين » ولعمرى ان هذا لمن أقبح الشرك الذى عبدته الامة العربية فى جاهليتها ، ويا معشر الموحدين فى الامة الاسلامية أى رزء فى الاسلام أفظع من هذا يصيب الامة فى صميم عقيدتها على مرأى ومسمع من علماء الدين والحكام المسلمين . ان هذا لهو الشرك المبين الواضح المعالم الآتى عن طريق هؤلاء الغلاة أو عن طريق الخونة الجاهلين المارقين من أتباعهم . فهو من أقبح الشرك الذى حاربته الاديان السماوية عبر عصور الخليقة وقد أخذه عنهم كثير من السذج المغفلين واستحسنوه وزينوه لضعاف الايمان واهل الجهل من حملة القرآن ، ممن تناءوا عن علم ما هم حاملون ، وفقنا الله واياهم لهداية القرآن ، وأنار لنا السبيل حتى نصل الى حقيقة الايمان ، هذا وان أملى لوطيد فيمن درس كتابى هذا أن تزول عن عينيه الاغشية الشيطانية وينجلى عنه الظلام فيصبح من أهل خالص الايمان ، وكل ما قرأته من آداب الصحابة رضوان الله عليهم مع قبر النبى صلى الله عليه وسلم فكذلك يكون الادب مع قبور أولياء أمته صلى الله عليه وسلم بالنسبة لنا اذ العلة واحدة وهى الخشية من أن يصير القبر وثنا يعبد من دون الله .

ما هو حرام فى حق الزائر المسلم

يحرم على الزائر المسلم ان يتوجه فى قضاء حاجاته الى القبر وصاحبه أيا كان مقامه عند الله ، ويطلب منه قضاء حاجاته دنيوية كانت أو أخروية بنية أن بيده النفع والضر ، أو بنية انه يقضى حاجات السائلين والراغبين ، وينسب اليه ما هو من اختصاص الربوبية من النفع والضر

والاعطاء والارزاق ، وكل من فعل شيئا من ذلك فقد فعل حراما من الكبائر، وظلم نفسه ، وظلم الولى فى قبره لانه نسب اليه ما هو برىء منه فى حياته وبعد موته ، لانه عبد مكرم عند الله . وكل من ثبتت له صفة العبودية ثبت عجزه عن مصالح نفسه فهو فقير الى مولاه الغنى القدير ، ومن ثبت افتقاره ثبت عجزه عن نفع أو ضر غيره وحرمة الضريح أو القبر مرعية شرعا على نطاق محدود فى الاعتقاد . ومجاوزة ذلك تقديس للقبور وأصحابها وهو من فعل المشركين الوثنيين الكافرين . واعتقاد النفع والضر من غير الله مناف لعقيدة المسلم ، ومباين لعقيدة التوحيد . ان المسلم المحمدى هو الذى بنى اعتقاده على أساس القرآن الكريم يقول الله عز وجل : وان يمسسك الله بضر فلا كاشف له الا هو وان يمسسك بخير فهو على كل شىء قدير » وقوله عز وجل : ما يفتح الله للناس من رحمة فلا ممسك لها وما يمسك فلا مرسل له من بعده وهو العزيز الحكيم » وقوله عز وجل : هل من خالق غير الله يرزقكم من السماء والارض لا اله الا هو فانى تؤفكون » ويقــول عز وجل : فى تفاوت الارزاق : والله فضل بعضكم على بعض فى الرزق » ويقول عز وجل : فى قسمة الارزاق : نحن قسمنا بينهم معيشتهم فى الحياة الدنيا ورفعنا بعضهم فوق بعض درجات ليتخذ بعضهم بعضا سخريا ورحمة ربك خير مما يجمعون » فقد فصل سبحانه وتعالى شؤون الدنيا بحسب ما يليق بسير نظام الكون الى نهايته . والآيات الدالة على تصرفات الربوبية واختصاصاتها كثيرة ليس هذا محلا لتتبعها واللبيب تكفيه الاشارة . وحيث كان محل النية من كل عمل هام يطلب أن تكون فى بدايته كانت نية اهداء ثواب القرآن لروح الاموات أولى بوقوعها فى بداية القراءة لان الملائكة تكتب ثوابها للمنوى له عند الابتداء ، وكذلك الدعاء له والاستغفار ، وكل ثواب يقصد منه الوصول الى روح الميت المرحوم .

المتصوفــون فى الكــون هم الملائكــة

الملائكة جنود الله عباد مكرمون : لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يومرون » وهم الذين صح لهم أن يسند اليهم تدبير امره لما لهم من القدرة الخارقة على تنجيز ما كلفوا بتنجيزه بدقة محكمة من شؤون الكون ، قال تعالى : والنازعات غــرقا والناشطــات نشطــا والسابحــات سبحــا فالسابقات سبقا فالمدبرات أمرا » قال الامام القرطبى : المراد بالمدبــرات

امرا » هم الملائكة . وتدبيرها نزولها بالحرام والحلال وتفصيله ، وهو ما قاله ابن عباس وقتادة وغيرهما وتدبيره الى الله جل شأنه ، وطاب ثناؤه . ولكن لما نزلت به الملائكة سميت بذلك مجازا ، وورود هذا فى القرآن كثير ، كقوله : نزل به الروح الامين » وقوله : نزله على قلبك » وعلى الحقيقة فالله تعالى هو الذى أنزله . وروى عطاء : عن ابن عباس أيضا : فالمدبرات امرا » الملائكة وكلت بتدبير أحوال الارض فى الرياح والامطار وغير ذلك . وقال ابن سابط : تدبير أمر الدنيا الى أربعة ، جبريل ، وميكائيل وملك الموت واسمه عزرائيل ، واسرافيل ، وهؤلاء هم كبار الملائكة . فأما جبريل فموكل بالرياح والحروب والجنود فى الارض والجنود . وأما ميكائيل فموكل بالقطر والنبات ، وأما عزرائيل فموكل بقبض الانفس فى البر والبحر . وأما اسرافيل فهو يتنزل بالامر عليهم . وليس من الملائكة من هو أقرب من اسرافيل . وبينه وبين العرش مسيرة خمسمائة عام ، وقيل وكلوا بأمور عرفهم الله تعالى بها . وقال فى قوله تعالى : فيها يفرق كل أمر حكيم » أى يحكم الله أمر الدنيا بضم الياء الى عام قابل فى ليلة القدر ، الا الشقاء والسعادة فانهما لا يتغيران وقد وكل الله الملائكة بما يكون فى ذلك العام . ولم يزل ذلك فى علمه سبحانه . وقيل يبدأ النسخ فى ليلة البراءة ، وهى ليلة النصف من شعبان ، ويقع الفراغ فى ليلة القدر ، فتدفع نسخة الارزاق الى ميكائيل ، ونسخة الحروب الى جبريل ، وكذلك الزلزال والخسف والصواعق ، ونسخة الى اسماعيل صاحب سماء الدنيا وهو ملك عظيم ، ونسخة المصائب الى عزرائيل ملك الموت . وقال النسفى فى قوله تعالى : والنازعات غرقا والناشطات نشطا والسابحات سبحا فالسابقات سبقا فالمدبرات امرا » لاوقف الى هنا ولزم هنا لانه لو وصل لصار ظرفا للمدبرات ، وقد انقضى تدبير الملائكة فى ذلك اليوم من قوله تعالى : يوم ترجف الراجفة » والمعنى اقسم سبحانه بطوائف الملائكة التى تنزع الارواح من الاجساد غرقا ، اى اغراقا فى النزع اى تنزعها من أقصى الاجساد من أناملها ومواضع أظفارها ، وبالطوائف التى تنشطها اى تخرجها من نشط الدلو من البئر اذا أخرجها ، وبالطوائف التى تسبح فى مضيها اى تسرع فتسبق الى ما أمروا به ، فتدبر امرا من أمور العباد مما يصلحهم فى دينهم أو دنياهم كما رسم لهم . وقال العلامة الصاوى : فى تفسير قوله تعالى : والنازعات غرقا » الآية اعلم أن الله تعالى : اقسم

بخمسة أقسام موصوفها محذوف . واختلف المفسرون فى تقدير المحذوف الموصوف فى الاربعة الاول . فبعضهم قدره الملائكة ، وبعضهم قدره النجوم ، وبعضهم قدره بالخيل فى الحرب . وأما الخامس وهو قوله تعالى : فالمدبرات أمرا » فالمراد بهم الملائكة بالاجماع . وعليه مشى المفسر الجلال المحلى . وقال ابن مسعود رضى الله عنه ان ملك الموت وأعوانه ينزعون روح الكافر كما ينزع السفود الكثير الشعب من الصوف المبتل . وهو قوله غرقا أى نزعا بشدة . وورد ان كل نزعة أعظم من سبعين الف ضربة بالسيف. ويرى ان السموات السبع انطبقت على الارض وهو بينهما . وأما أرواح المومنين فتسلها الملائكة برفق . وهو قوله تعالى : والناشطات نشطا من نشط فى عمله اذا خف وأسرع فيه . والسبب فى نزع أرواح الكفار بشدة ونزع أرواح المومنين برفق ولين ان كلا يرى قبل الموت مقعده الذى أعد له . فالمؤمن تزداد روحه فرحا وشوقا فتخرج بسهولة فلا يشاهد الما ولا يحس به. بخلاف الكافر فان روحه تأبى الخروج لمزيد الحزن والكرب الذى تجده عند رؤية مقعدها فى النار فتنزع كرها بشدة . فيصيب الكافر فى انتزاعها عذابا اليما ، ولكل من الطرفين ملائكة خاصة به . فملائكة الرحمة ينزلون برفق ولطافة كالسابح فى الماء لقبض ارواح المومنين وملائكة العذاب ينزلون بشدة لقبض أرواح الكفار ، وقوله تعالى : والسابقات سبقا أى تسبق ملائكة الرحمة بأرواح المومنين الى الجنة . وقوله فالمدبرات أمرا » أى المدبرات لامور الدنيا أى تنزل بتدبيره ، والمراد بهم الملائكة الاربعة ، وهم : جبريل ، وميكائيل ، وعزرائيل . واسرافيل . فجبريل موكل بالرياح والجنود ، وميكائيل موكل بالقطر والنبات . وعزرائيل موكل بقبض الارواح . واسرافيل موكل بالصور ، وجواب القسم محذوف وهو لتبعثن يا كفار مكة ، وخصهم لانهم المجادلون فى الكتاب . وفى هذا قال بعضهم :

تذكر جميلى فيك اذ كنت نطفة ... ولا تنس تصويرى لشخصك فى الحشا
وسلم لى التدبير واعلم بأننى ... أصرف احكامى وافعل ما اشا
وكن واثقا بى فى أمورك كلها ... سأكفيك منها ما يخاف ويختشى

وللامام الشافعى :

اذا شئت ان تحيى سعيدا فلا تكن ... على حالة الا رضيت بدونها
ومن يرد الاعلى من العيش لم يزل ... حزينا على الدنيا كثير غبونها

ومـا بكـم مـن نعمـة فمـن الله

وفى الصحيح عن ابى هريرة رضى الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : لا يقل أحدكم اللهم اغفر لى ان شئت ، اللهم ارحمنى ان شئت ، ليعزم المسألة فان الله لا مكره له . وللامام مسلم ، وليعظم الرغبة فان الله لا يتعاظمه شيء أعطاه . وأما المخلوق فهو يستعظم كل شيء ملكه ويعطيه وهو كاره له ، وذلك لرغبة أو خشية أو رجاء من السائل ، ولهذا فانه ينبغى للسائل للمخلوق أن يعتقد فيه انه لا يعطى الشيء الا وهو كاره له ، وما هو الا مسخر فان أذن له أعطى وان لم يوذن له منع ، والله سبحانه وتعالى منزه عن ذلك لكمال غناه عن جميع خلقه ، فهو لكثرة جوده وكرمه كلهم فقراء محتاجون اليه ، فليس منهم من يستغنى عن امـدادات ربه طرفة عين ، فهو سبحانه وتعالى يعطى العظائم ولا يتعاظم شيئا أعطاه، لان عطاءه كلام ، ومنعه كلام ، « انما أمره اذا أراد شيئا أن يقول له كـن فيكون » فقد يعطى المخلوق من أرباب الدنيا ، ويمنع أكثر ، وقد يعطى لخوف أو حياء والبخل عليه أغلب ، وهو وان كثر عطاؤه فليس عطاؤه بشيء لان عطاءه محدود وعلى صفة مخصوصة ، وكل ذلك مخالف للعطاء الربانى الشامل ، وفى الحديث : يمين الله ملئى لا يغيضها سخاء الليل والنهار ، ارايتم ما أنفق منذ خلق السموات والارض ؟ فانه لم يغض ما فى يمينه ، وفى يده الاخرى القسط يخفضه ويرفعه . فهو تعالى يعطى لحكمة ويمنع لحكمة ، وهو الحكيم الخبير ، فهو سبحانه وتعالى لا يعطى عباده مكرها ، ولا يمنعهم عن عظم مسائلهم ، فهو صاحب النوال الدائم دون رغبة ولا تعليل ، فهو على الدوام يجود بالنوال قبل السؤال ، ويستوى عنـده فى ذلك الطائع والعاصى ، فهو يمده منذ وضعت النطفة فى الرحم فقد توالت امدادات نعمه على الجنين فى بطن أمه فهى دائرة عليه بدون انقطاع ولا امهال ، فهو مربيه ومحسن فى تربيته ثم اذا وضعته أمه خلق فى قلبها العطف عليه ، فهى التى تكفله بنعمه حتى يبلغ أشده ، فان كانت حياته على الايمان والتقوى كملت نعم الله عليه ، ثم اذا توفاه على ذلك أعطاه اضعافا مضاعفة على ما كان عليه فى الدنيا من النعم ، فأم الطفل التى جاءت اليه النعم على يدها فهى مسخرة ، وميسرة لامر الله ، ومن ثم كان لها حظ فى شكر النعمة ، والله تعالى هو المحمود الاول على ذلك ، لانه صاحب المشيئة والقدرة

والارادة . وكان ذلك منه بمحض فضله وكرمه وجوده ؛ فله النعمة وله الفضل وله الثناء الحسن . قال تعالى : وما بكم من نعمة فمن الله » فهو سبحانه له التصرف الحكيم ؛ فقد يعطى لحكمة ويمنع لحكمة ؛ ويؤخر العطاء لوقت يعلمه أصلح له وقد يعجله لحكمة ؛ ويعطى لوقته ما سئل فتبارك الله رب العالمين : لا يسئل عما يفعل » والمخلوق حين يسأل لا يعطى الا ما يهون عليه بذله لشدة حاجته الى ما بيده ولانه فقير محتاج . والخالق سبحانه هو صاحب العطاء الواسع الكثير بلا انقطاع ؛ وخزائنه عامرة على الدوام . قال تعالى : ما عندكم ينفذ وما عند الله باق » وفى الحديث القدسى عن النبى صلى الله عليه وسلم : يا عبادى لو ان أولكم وآخركم وانسكم وجنكم قاموا فى صعيد واحد فسألونى فأعطيت كل واحد مسألته ما نقص ذلك مما عندى الا كما ينقص المخيط اذا ادخل البحر . وقال ابن أبى جمرة أكثر النبى صلى الله عليه وسلم من الدعاء لامته فى هذا الموضع — ليلة الاسراء — لما جبله الله عليه من الشفقة والرحمة . فأجابه تعالى : وما كنت بجانب الطور اذ نادينا ولكن رحمة من ربك » وكان النداء بجانب الطور قبل أن يخلق الخلق بألفى عام ؛ فقال : يا أمة محمد ارحمكم قبل أن تترحمونى ؛ وأغفر لكم قبل أن تستغفرونى وأعطيكم قبل أن تسألونى .

ما يهدى من الثواب للاموات فهو واصل اليهم

قد أجمع السلف ؛ والاجماع حجة ؛ على ان ما يهدى للاموات من الثواب فهو واصل اليهم بلا خلاف ؛ وذلك خاص بمن مات على الايمان بخلاف من مات كافرا ؛ وقد كفن النبى صلى الله عليه وسلم رئيس المنافقين عبد الله بن أبى بن سلول فى قميصه ؛ وحضر جنازته وصلى عليه وقام على قبره ؛ ولم ينفعه ذلك ؛ للنهى عن ذلك بمن يموت من المنافقين ؛ قال تعالى : ولا تصل على احد منهم مات ابدا ولا تقم على قبره انهم كفروا بالله ورسوله وماتوا وهم فاسقون » وقال عبد الله ابن أبى للنبى صلى الله عليه وسلم استغفر لابى فى مرض نزل به . فأنزل الله : استغفر لهم اولا تستغفر لهم ان تستغفر لهم سبعين مرة فلن يغفر الله لهم ذلك بأنهم كفروا بالله ورسوله والله لا يهدى القوم الفاسقين » وقد استغفر النبى صلى الله عليه وسلم

لعمه ابى طالب وكان معه جماعة من اصحابه ، فنهوا عن ذلك ، وانزل الله : ما كان للنبىء والذين آمنوا ان يستغفروا للمشركين ولو كانوا اولى قربى من بعد ما تبين لهم أنهم اصحاب الجحيم » وكان النبى صلى الله عليه وسلم يستغفر له مكافاة له على ما قدم له من العون على تبليغ رسالة ربه ، لعل الله بفضله وكرمه يشفعه فيه ويخرجه من النار ، ولم يزل النبى صلى الله عليه وسلم يستشفع ويستغفر له حتى اخبر بأن الله شفعه فيه فخفف عنه العذاب دون تنحيته عنه كلية لما فى صحيح مسلم عن العباس ابن عبد المطلب انه قال : قلت : يا رسول الله هل نفعت ابا طالب بشىء ، فانه كان يحوطك ويغضب لك قال : نعم ، هو فى ضحضاح من نار ولولا انا لكان فى الدرك الاسفل من النار . والضحضاح لغة الماء القليل العمق ، وفى لفظ آخر : وجدته فى غمرات من نار فأخرجته الى ضحضاح .

وفى رواية عن ابى سعيد قال : لعله تنفعه شفاعتى يوم القيامة فيجعل فى ضحضاح من النار يبلغ كعبيه يغلى منهما دماغه . وفى رواية أن اهون اهل النار عذابا أبوطالب ، وهو منتعل بنعلين من نار يغلى منهما دماغه . وعلى هذا فيكون ابو طالب قد نفعه استغفار النبى صلى الله عليه وسلم بعد ان مات كافرا على دين قومه وهو دليل على ان الاموات ينتفعون بما يصل اليهم من الاحياء ، ويدخل فى ذلك ما كان عمل بر ، كالصلاة والزكاة والحج عن الميت ، وكذلك يصل اليه ما كان قولا كالدعاء والاستغفار لـــه ويدخل فى هذا ما يعرف « بالفدية » من التسبيح والتحميد والهيللة وقراءة القرآن على القبر او فى بعد عنه ، وكذلك مطلق الصدقة سواء كانت بالمال ، او بالعمل ، او بالجاه ، فى مقابلة الدعاء بالرحمة على الوالديـــن مثلا لانهما احق بأسبقية الرحمة الجارية من غيرهما ، اذ هما ينتفعان بعمل البر من ولدهما ، والدعاء لهما بالرحمة والمغفرة ، ولذلك شرعت عقب الصلوات الخمس . وكما تلحقهما الرحمة من طرف ولدهما البار ، كذلك تلحقهما الاساءة من طرف ولدهما العاق لما فى الصحيح عنه عليه الصـــلاة والسلام قال : من اكبر الكبائر ان يلعن الرجل والديه ، قالوا كيف يلعن الرجل والديه يا رسول الله ؟ قال : يسب الرجل ابا الرجل فيسب أباه . ومنه حديث الصحيح عنه عليه الصلاة والسلام قال : اذا مات ابن آدم انقطع عمله الا باحدى ثلاث : صدقة جارية ، او علم يبثه فى صدور الرجال ،

او ولد صالح يدعو له . ومعناه : ان اهل الصدقة الجارية لا تطوى صحفهم بموتهم وان كتابة ثواب عملهم الصالح يبقى مستمرا الى يوم القيامة ، ومثله العالم الذى انتفع الناس بعمله وتاليفه ويدخل فيه معلم القرآن لقوله عليه الصلاة والسلام خيركم من تعلم القرآن وعلمه . فصحفهم لا تطوى بل تبقى كتابة حسناتهم مستمرة الى يوم القيامة . ومثل ذلك الولد الصالح البار بوالديه الداعى لهما بعد موتهما ، فان كتابة حسناتهما باقية ببقاء ولدهما ، لكنها تطوى بانتهاء حياته .

وقال العلامة شيخ الاسلام تقى الدين أحمد بن تيمية رحمه الله : من اعتقد ان الانسان لا ينتفع الا بعمله فقد خرق الاجماع ، وذلك باطل من وجوه : 1 — أبو الولد الصالح ينتفع بدعاء ولده له ، وكذلك بذله جميع الاعمال التى ينوى وصول ثوابها اليه . 2 — ان النبى صلى الله عليه وسلم يشفع لاهل الموقف فى الحساب ثم لاهل الجنة فى دخول الجنة . 3 — شفاعته لاهل الكبائر فى الخروج من النار . 4 — ان الملائكة يدعون ويستغفرون لمن فى الارض . 5 — ان الله تعالى يخرج من النار بفضله ورحمته من لم يعمل خيرا قط . 6 — ان ذرية المومنين يدخلون الجنة بعمل آبائهم . 7 — قصة اليتيمين : وكان أبوهما صالحا فأراد ربك ان يبلغا اشدهما ويستخرجا كنزهما رحمة من ربك » . 8 — ان الميت ينتفع بالصدقة والعتق عنه بنص السنة . 9 — ان الحج المفروض يسقط عن الميت بحج وليه عنه بنص السنة . 10 — الحج المنذور أو الصوم المنذور يسقط عن الميت بعمل غيره بنص السنة . 11 — المدين قد امتنع النبى صلى الله عليه وسلم عن الصلاة عليه حتى قضى دينه ابوقتادة ، وقضى دين آخر على بن ابى طالب ، وانتفعا بصلاة النبى صلى الله عليه وسلم عليهما . ومنه صلاة سائر المومنين بعضهم على بعض من باب انتفاع الميت بعمل الحى هـ . قال الله تعالى : واتقوا الله الذى تساءلون به والارحام » قال العلامة الصاوى : المعنى اتقوا قطع الارحام ، لما فى الحديث : الرحم معلقة بالعرش ، تقول ، من وصلنى وصله الله ، ومن قطعنى قطعه الله . ومن الآداب مواصلة الارحام، وتختلف باختلاف الناس فقرا وغنى فمواصلة الغنى تكون بالهدايا والتحف المرضية ، والخلق الحسن ، ومواصلة الفقير تكون بالكلام الطيب والقول اللين ، والسعى الحسن لهم ومعاشرتهم بالمعروف ويستوى فى هذه المواصلة

الاحياء والاموات كل على حسب ما يليق به . وقال فى الفتح المجيد : روى أبو داود وابن ماجه : عن ابى السيد الساعدى رضى الله عنه قال : بينما نحن جلوس عند رسول الله صلى الله عليه وسلم : اذ جاءه رجل من بنى سلمة فقال : يا رسول الله ، هل بقى على من بر ابوى شىء أبرهما به بعد موتهما ؟ فقال : نعم ، الصلاة عليهما ، والاستغفار لهما ، وانفاذ عهديهما من بعدهما ، وصلة الرحم التى لا توصل الا بهما ، واكرام صديقهما ه .

فى زيارة ابن مشيش بركة ظاهرة

لقد تحدث الناس كثيرا وما زالوا يتحدثون عن الكرامات التى ظهرت لهم بسبب تمسكهم بحب هذا الفرع النبوى الشريف . وقد لقوا فى زيارة ضريحه المحترم من الاجابات ، ومن أمور اتفاقية ظهرت لهم ما لم يلقه احد فى زيارة غيره ، ولذلك ترى الوفود الغزيرة تفد على ضريحه من مختلف الجهات من المغرب وغيره ، الامر الذى استوجب من طرف كل ذوى النية الصالحة الحسنة من مختلف الطبقات من أهل العلم وغيرهم ، ولو ذكرت ذلك لبسطت منه الشىء الكثير ، وقد رأيت انه من الاحسن أن أتركه لحديث الناس حتى يبقى سرا لاهله من أسرار بركة الشيخ رحمه الله ، ولبعضهم قصائد نظمية فى الموضوع ، حتى قالوا فى ذلك :

واطلب بسر ابن مشيش ما تريد تناله وان يكن عنك بعيد

وقد اعترف بذلك الكثير ممن بلغوا مقامه وتحققوا من قضايا وقعت لهم عن طريق الحس والمشاهدة ، وحديثهم بذلك صدق شاهد على ما ذكر ، ومن ذلك ما وقع لى وذكرته تحت عنوان رؤيا عجيبة رأيتها ، وقد افاض الله على ابن مشيش من الانوار ما ظهر له بركة عظيمة حتى أخذت بلب كل ذى لب نقى تقى ، حتى لا يستطيع احد ممن نور الله بصيرته ان ينكرها ، وما ذلك الا سر من الاسرار التى اختص الله بها الاتقياء من أهل البيت النبوى الكريم ، ونور من الانوار التى حباهم الله تعالى بها ، فاقتسموها بينهم فكل منهم ورث منها على قدر مقامه فى تقوى الله وما قسمه اليه مولاه فى سابق ازله ، ولا عبرة بانكار المنكرين الذين يحسدون الناس على ما آتاهم الله من فضله لان ذلك دابهم وعادتهم الموروثة خلفا عن سلف ، وفى ذلك يقول بعضهم :

فقــد قــالــوا فى الالاه ذا ولــد   وفــى محمــــد كهــــانـــا
لــم ينــج مـــن المخلــوق خالقهم   فكيــــف بــك أنــت وأنـــا

فالفضل موروث والحسد موروث ، والسعيد من وفقه الله وعصمه : وذلك فضل الله يوتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم » وفى ذلك يقول البــوصيــرى :

لا تعجبن لحســـوم راح ينكــرها   تجاهلا وهو عين الحــاذق الفهـم

وقد ظهر نوع من أهل الحسد ينتمون لاهل العلم ، ولكنهم فى حسدهم يتسترون من وراء الشريعة مدعين حمايتها والدفاع عن تعاليمها منكرين على أهل الله محبتهم فى أوليائه . ولكننا نعرفهم فى قولهم وفى فعلهم كما قال الله تعالى فيهم : ولتعرفنهم فى لحن القول والله يعلم أعمالكم » وقــال سبحانه : قد بدت البغضاء من افواههم وما تخفى صدورهم أكبر » نعوذ بالله من شرهم ومن شر كل حاسد مخذول اذا حسد . اذ لم يبق بعد بيان ألسنتهم عما تكنه صدورهم الا اللحم والدم . كما قال زهير :

لسان الفتى نصف ونصــف فؤاده   فلم يبــق الا صـــورة اللحم والدم

وأحلى شيء لديهم فى انكارهم هو انهم ينكرون على أهل البيت والمحبين لهم ما الفوه عن الآباء والاجداد من زيارة القطب ابن مشيش ، ويستعملون فى أسلوب التنفير ان زيارتهم له هى مجرد عبادة وثنية ، ويحتجون على ذلك فى التلبيس على العامة بحديث قوله صلى الله عليه وسلم : لا تشد الرحال الا الى ثلاث مساجد : مسجدى هذا والمسجد الحرام ، والمسجد الاقصى . والحق ان شد الرحال الى هذه المساجد هو عبادة خاصـــة ، والعبادة لا بد أن تكون مصحوبة بنيتها ، ولا يمكن أن تشد الرحال بنية العبادة الا لها ، بخلاف زيارة ابن مشيش أو غيره من أولياء الله ، فانه ليس هناك أحد من المسلمين جاهلا كان أو عالما من يقصد ويشد رحلـــه بنيـــة العبــادة الى زيارة أولياء الله وانما يقصدون التبرك بأهل البيت والدعاء لهم والترحم عليهم وقراءة القرآن واهداء ثوابه لروح الولى ، وهذا كله عمل موافق للشرع ، ولهذا تكون زيارة ابن مشيش وغيره من سائـــر أولياء الله سنة رغب فيها الشارع صلوات الله عليه ، وقال عليه الصلاة والسلام من رغب عن سنتى فليس منى . وأما ابن مشيش فهو عبد من

عباد الله مكرم على الله ليس بيده ضر ولا نفع ، ولا اعطاء ولا منع ، ومـــا
كان فى حياته الا عبدا مطيعا لله تعالى ومن كان كذلك لا يصير الاها بعـــد
موته . ولا يسوغ له التصرف فيما هو من اختصاص الربوبية فالعبد عبد
وان علا ، والرب رب وان نزل . واما ما اشتهر عنه بين العامة بقضاء
حاجات الراغبين والسائلين . فالجواب عنه ان اعتقاد ذلك ممن هـــو ميت
من أولياء الله خطأ شنيع ومخالفة للشريعة الواضحة السمحة ، وقد تقرر
عند علماء الشريعة ان قضاء الحاجات واجابة الدعوات انما تكون بواسطة
الاتقياء واهل الله من الاحياء . وهذا الصنف موجود بين المسلمين فى كل
مكان ، وقد يكونون معروفين وغير معروفين أكثر ، واستدلوا على ذلك
باثر استسقاء سيد الخلفاء الراشدين أمير المومنين عمر بن الخطاب رضى
الله عنه بسيدنا العباس عم النبى صلى الله عليه وسلم واحد اهل بيته
واكبرهم سنا واكرمهم فضلا بقرابته لرسول الله صلى الله عليه وسلم
وصحبته له ، ولذلك قد توسل به الى الله وهو شاهد حاضر ، وقال فى
توسله به : اللهم انا كنا نتوسل اليك بنبينا فتسقينا ، واننا نتوسل اليك
بعم نبينا فاسقنا وقال العباس رضى الله عنه : اللهم انه لم ينزل بلاء الا
بذنب ، ولم يكشف الا بتوبة ، وهذه أيدينا اليك بالذنوب ، ونواصينا اليك
بالتوبة فاسقنا الغيث فأرخت السماء أمثال الجبال ، اه من شرح البخارى .
وقد قال عليه الصلاة والسلام عليكم بسنتى وسنة الخلفاء الراشديـــن
المهديين بعدى عضوا عليها بالنواجذ واياكم ومحدثات الامور فان كل محدثة
بدعة ، وكل بدعة ضلالة ، وكل ضلالة فى النار . وفى الحديث أيضا اقتدوا
بالذين من بعدى أبى بكر وعمر . وهذا التوسل بالاتقياء وأهل الفضل واهل
الخير معروف بين الصحابة رضوان الله عليهم ، ولنا فيهم اسوة حسنة
فى التوسل الى الله بالاتقياء وأهل الفضل من أهل زماننا الاحياء لا الاموات ،
وخصوصا اذا اجتمع العلم والفضل وبيت النبى صلى الله عليه وسلم .
وعلى هذا يتخرج قضاء حاجات السائلين والراغبين عند ضريح ابن مشيش ،
لما يوجد لدى ضريحه من الاتقياء وأهل الفضل سواء من ذريته أو غيرهم
من الحسنيين على العموم وسائر المومنين لان ضريح ابن مشيش يعتبر
مجمعا لاولياء الله الاحياء حيثما كانوا من اهل المغرب والمشرق ، وفى
الغالب لا يوجد عند ضريحه الا احفاد ذريته الطاهرة المباركة ، وهم الذين
تجد ألسنتهم تلهج بالدعاء والابتهال الى الله فى قضاء حاجات السائليـــن

والــــراغبيـــن .

وبهذا ينتفى قول الحاسدين زيارة ابن مشيش عبادة وثنية . ويبقى العمل بالسنة قائما ثابتا ببقاء الايمان والاسلام . ولو لم يرد فى فضل اهل البيت الا ما اخرجه الحاكم لكان كافيا من حديث طويل : يا ايها الناس . ان الفضل والشرف والمنزلة والولاية لرسول الله صلى الله عليه وسلم وذريته . فلا تذهبن بكم الاباطيل الحديث . وما ورد فى حملة القرآن وفضلهم عند الله لا يعرفه الا من نور الله بصيرته . من القرآن والسنة المطهرة . قال الله تعالى : قل بفضل الله ورحمته فبذلك فليفرحوا هــو خير ممـــا يجمعون » وقال سبحانه : ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا فمنهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد ومنهم سابق بالخيرات باذن الله ذلك هو الفضل الكبير » وفى صحيح البخارى : خيركم من تعلم القرآن وعلمه . وقال عليه الصلاة والسلام : حملة القرآن اهل الله . وحملة الحديث أهل رســـول الله . وان الاتقياء من حملة القرآن كثيرون . وبفضلهـــم تقضى حاجــات السائلين والراغبين . وهذا هو الذى ينبغى أن يعتقد ويدان الله تعالى به ويجتنب ما سواه لانه غيبة وبعض الظن الذى هو اثم . وفيه يقول الله سبحانه : ايحب أحدكم أن ياكل لحم اخيه ميتا فكرهتموه واتقوا الله ان الله تواب رحيم » فهو من خداع المتنطعين وتلبيسات الحاسدين المبغضين . فالعجلة بفضل الله سائرة لا يمكن أن يوقف سيرها طعن متنطع ولا حسد حاسد ، وكان من حقهم سامحهم الله أن يصلحوا أخطاء الناس ويبينوا لهم ما هو وجه الصواب من غيره مع تركهم على حبهم لاهل الله ورغباتهم لزيارة أولياء الله ، فاذا تغالوا فى ذلك بينوا لهم ما هو لله يجب أن يعطى لله ، وما هو من حق الولى يجب أن يعطى له . وبهذا يكونون أصابوا الصواب وعرفوا الحدود بين الله وبين خلقه واعطوا لكل ذى حق حقه لا مفرطين ولا مفرطين ثم يقولون لهم : ومن يتعد حدود الله فقد ظلم نفسه » لان فساد عقائد العامة فى هذا الموضوع راجع الى أحد أمرين اثنين ، وهمـــا مـــن اختصاص علماء الدين الحاملين لشريعة الاسلام ، الاول هو انهم لا يملكون الجراة على بيان ما هو وجه الحق والصواب ويحملون الناس عليه بأسلوب الحكمة والموعظة الحسنة ، والثانى هو ما الفوه من الاهمال ، وترك الناس على ما هم عليه من أهواء وضلال ، وعند ذلك يظن الضالون انهم فيما

هم عليه مصيبون مهتدون ، وذلك هو الكتمان الذى نهى الله عنه بقوله : ان الذين يكتمون ما أنزلنا من البينات والهدى من بعد ما بيناه للناس فى الكتاب أولئك يلعنهم الله ويلعنهم اللاعنون الا الذين تابوا وأصلحوا وبينوا فأولئك أتوب عليهم وأنا التواب الرحيم » ونقل العلامة الحمومى المسمى بدر الدين فى شرحه للمشيشية ان شيخه أبا عبد الله سيدى محمد التاودى ابن سودة رحمه الله أنشد عند ضريح ابن مشيش أبياتا وهى قوله :

أتيتكـم شيخـا وكهـلا وناشئـا ... وفى كلهـا أرجـو نوالكم الجمـا
فهـا أنـا قـد خيمتها بفنـائكم ... على وهـن والضعف منى قد عما
فلا ترجعون دون فيض بحـاركم ... ولا تحرمنـى من مواهبك الجمـا

فأجابه ابن الخاضر النجار على لسان الشيخ ابن مشيش رحمه الله :

حبـاك الاه العرش ما قد أردتـه ... ونلت من الرحمن منزلـة شمـا

وقد زار ضريح الشيخ المذكور العلامة مولاى العربى الفضيلى شيخ المجلس العلمى بفاس ، وبعد أن سلم على روح الشيخ ابن مشيش جلس أمام الضريح ودعا ما شاء الله ثم خر أمام الضريح ومسح الارض بلحيته الكريمة يمينا وشمالا وقال جاهرا اللهم انا برءاء ممن يقول بغير هذا ، وممن زار ضريح الشيخ من كبار علماء فاس السلفيين الشيخ المسن مولاى عبد الحى الكتانى ، وذكر فى الشرح المذكور ، ان العلامة العارف بالله تعالى الشيخ سيدى محمد بن عطية توجه لزيارة الشيخ ابن مشيش صحبة أتباعـه ومريديه ، ولما وصلوا الى خندق الريحان من قبيلة مسمودة بأحواز مدينة وزان ، اشتغلوا بذكر الله والصلاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم، فأصاب الشيخ المذكور حال عظيم اقتطعه عن حسه وبينما القوم مجتمعون يذكرون الله اذ هبت عليهم ريحة عطر كثير ، والشيخ فى غيبوبته وبعد أن حصلت له افاقة قال : اسمعوا معشر الحاضرين وتحققوا ان القطب مولانا عبد السلام عندنا حاضر معنا ، وهذه ساعة الاجابة فسلوا الله ما شئتم فضج القوم بالبكاء والدعاء والتضرع الى الله ، فكان كل واحد يطلب على الله ما شاء من أمور الدنيا والآخرة ، ثم قال لهم الشيخ : هل تريـدون الرجوع الى دياركم وأولادكم فان حوائجكم قد قضيت ، أو تريدون مواصلة السفر للوقوف على ضريح الشيخ ابن مشيش ؟ قالوا نريد مواصلة السفر

للوقوف على ضريحه وللتبرك بمن هناك من ذريته ، والنيـــل مـــن بركة دعــواتهـــم .

زيارة القبــور راجعــة الى صنفيــن

الصنف الاول منها هو الزيارة الشرعية ، وهى سنة مؤكدة أمر بها النبى صلى الله عليه وسلم وفعلها بنفسه فى حياته ، ورغب فيها ، وفعلها الصحابة والتابعون وحملت الينا سنة متبعة . والصنف الثانى زيارة بدعية جاهلية ، وهى حرام فى شريعة الاسلام ، وهى الزيارة التى يقصد منها ان الحى ينتفع بوساطة الميت مع الله والسعى له فى قضاء حوائجه والتشفع له فى رغائبه ، وكل هذا يتم وينجز فى عالم الغيب ، واعتقاد هذا حرام . وقد أحسن التفصيل فى ذلك الامام شيخ الاسلام أحمد بن تيمية رحمه الله . ونص عليه فى كتابه قاعدة جليلة فى التوسل والوسيلة ، فقال : ولهذا كانت زيارة قبور المسلمين على وجهين : زيارة شرعية ، وزيارة بدعية فالزيارة الشرعية هى أن يكون مقصود الزائر الدعاء للميت ، كما يقصد بالصلاة على جنازته الدعاء له ، والقيام على قبره من جنس الصلاة عليه ، ولذلك نهى الله نبيه صلى الله عليه وسلم لما قام على قبر رئيس المنافقين عبد الله ابن أبى بن سلول لعنه الله بعد موته ، حين شرفه بما كان يشرف به موتى المسلمين من الترحم عليهم والقيام على قبورهم ، فقال تعالى : ولا تصل على أحد منهم مات أبدا ولا تقم على قبره انهم كفروا بالله ورسوله وماتوا وهم فاسقون » أى كافرون ، وكان النهى موجها لعلة الكفر ، ولذلك انتفى عند انتفائها ، وبقى أمر المسلمين على ما كان عليه من الصلاة عليهم والقيام على قبورهم ، بل ذلك من السنة المتواترة ، فكان النبى صلى الله عليه وسلم يصلى على موتى المسلمين وشرع ذلك لامته ، وكان اذا دفن الرجل من امته يقوم على قبره ، ويقول : سلوا له التبيت فانه الآن يسأل . رواه أبو داود وغيره ، وكان يزور قبور أهل البقيع والشهداء بأحد ، — مع العلم ان المسافة بين المدينة وأحد تقدر بما يقرب من عشرة اميال ، وهى مسافة لا بد فى التوجه اليها من نية زيارة قبور ما هناك من شهداء الاسلام — ويعلم أصحابه اذا زاروا القبور ان يقول أحدهم : السلام عليكم اهل الديار مـــن المومنين والمسلمين ، وانا ان شاء الله تعالى بكم لاحقون ، ويرحم الله

المستقدمين منا ومنكم والمستاخرين ؛ نسال الله لنا ولكم العافية . اللهم لا تحرمنا أجرهم ولا تفتنا بعدهم .

وفى صحيح مسلم عن أبى هريرة رضى الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج الى المقبرة فقال : السلام عليكم دار قوم مومنين ؛ وانا شاء الله بكم لاحقون . وفى رواية اخرى : السلام عليكم دار قوم مومنين ويرحم الله منا ومنكم المستقدمين والمستاخرين . انتم لنا فرطا ونحن لكم تبعا . وانا ان شاء الله بكم لاحقون . اللهم رب هذه الاجسام البلية والعظام النخرة التى خرجت من الدنيا وهى بك مومنة ادخل عليها روحا منك وسلاما منى . فهذه الزيارة لقبور المومنين مقصودها الدعاء لهم . وهذه غير الزيارة المشتركة التى تجوز فى قبور الكفار كما ثبت فى صحيح مسلم وأبى داود والنسائى وابن ماجة . عن أبى هريرة انه قال : اتى رسول الله صلى الله عليه وسلم قبر امه فبكى وبكى من حوله ثم قال : استأذنت ربــى فى ان استغفر لها فلم ياذن لى فاستاذنته أن ازور قبرها فاذن لى . فزوروا القبور فانها تذكركم الآخرة . فهذه الزيارة التى تنفع فى تذكير الموت تشرع ولو كان المقبور كافرا . وأما الزيارة التى يقصد بها الدعاء للميت . فانها لا تشرع الا فى حق المومنين وأما الزيارة البدعية فهى التى يقصد بها أن يطلب من الميت الحوائج أو يطلب منه الدعاء والشفاعة الدنيوية ؛ أو يقصد الدعاء عند قبره ؛ لظن القاصد ان ذلك اجوب للدعاء ؛ فالزيارة على هذه الوجوه كلها مبتدعة ؛ لم يشرعها النبى صلى الله عليه وسلم ولا فعلها الصحابة من بعده ؛ لا عند قبر النبى صلى الله عليه وسلم ؛ ولا عند قبر غيره وهى من جنس الشرك ؛ وأسباب الشرك ؛ ولو قصد الزائر الصلاة عند قبور الانبياء والصالحين من غير أن يقصد دعاءهم ؛ والدعاء عندهم مثل أن يتخذ قبورهم مساجد لكان ذلك محرما منهيا عنه ؛ ولكان صاحبه معرضا لغضب الله ولعنته لما قال النبى صلى الله عليه وسلم اشتد غضب الله على قوم اتخذوا قبور انبيائهم مساجد .

وقال : لعن الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور انبيائهم مساجد يحذر ما صنعوا . وقال : إن من كان قبلكم كانوا يتخذون القبور مساجد ؛ الا فلا تتخذوا القبور مساجد فانى أنهاكم عن ذلك . فاذا كان هذا محرما وهو سبب لسخط الرب ولعنته فكيف بمن يقصد دعاء الميت ؛ والدعاء عنده

وبه ، قال : وأعتقد ان ذلك قد يكون من اسباب اجابة دعواتهم ، ونيل طلباتهم وقضاء حاجاتهم ــ اللهم الا أن نقول : ان ذلك قد يكون على وجه الاتفاق ، لانه ليس هناك متصرف فى الكون مع الله الا هو وحده لا شريك له ، حتى يكون سببا فى اجابة دعوات الراغبين . وبهذه الطريقة ابتدأ الشرك فى قوم نوح عليه السلام قال ابن عباس رضى الله عنهما ، كان بين آدم ونوح عليهما السلام عشرة قرون كلهم على الاسلام اى التوحيد فى الالوهية ، ثم ظهر الشرك بسبب تعظيم قبور صالحيهم . وهم الذين ذكرهم الله فى القرآن فقال : وقالوا لا تذرن آليتكم ولا تذرن ودا ولا سواعا ولا يغوث ويعوق ونسرا » قال المفسرون ان هؤلاء كانوا قوما صالحين فى قوم نوح عليه السلام . فلما ماتوا عكفوا على قبورهم ثم صوروا تماثيلهم فعبدوهم . قال ابن عباس رضى الله عنهما . ثم صارت هذه الاوثان فى قبائل العرب هـ .

وانا على يقين من أولئك المنكرين الذين ولعوا بالاتيان من الجانب البدعى لحاجة فى أنفسهم . واهملوا بيان الجانب الشرعى وتباعدوا عن الاسترشاد به حتى فى أنفسهم . لان عليهم كسائر المسلمين ان يزوروا قبور الاولياء وقبور سائر المسلمين . امتثالا لما شرعه الله ، وبينه رسول الله صلى الله عليه وسلم بقوله وفعله ، وعليهم مع ذلك خاصة زيارة قبر والديهم والدعاء لهم . فعن النبى صلى الله عليه وسلم : رضى الله فى رضى الوالدين وسخطه فى سخطهما . وروى يفعل البار ما شاء أن يفعل فلن يدخل النار ، ويفعل العاق ما شاء أن يفعل فلن يدخل الجنة . وبهذا يتضح لك انهم مخذولون ومدفوعون وراء شهواتهم انتقاما على من حسدوهم ، وفى ذلك يقول الشاعر :

وعين الرضى عن كل عيب كليلة ولكن عين السخط تبدى المساويا

فاذا رأوا من يزور الزيارة البدعية أسرعوا الى تكفيره وتنفيره ، ويرمون باللائمة على أولاد أهل البيت لما يوجد من ان اغلب المشاهير من الاولياء لهم ، والذى يتزعم هذا الاضلال فى غير حياء ولا خجل ذلكم القزم الانانى صاحب اللسان الطويل فى قذف أهل البيت ، الذى تقدمت ترجمته المسمى العربى الهلالى ، وانه ليسعى بكل مجهود حتى يستطيع التأثير على العوام حتى ينفرهم من حب كل ولى لله ، ويركز ذلك على حبهم فى

ابن مشيش حتى سمعنا منه يوما انه كافر عند ما ذكرنا له جملة من تصليته وهى قوله : واغرقنى فى عيب بحر الوحدة . وانه لمبالغ فى تصويرهم للسذج والمغفلين من العوام ، كما يجد لذلك صدى فى كل نفس خبيثة حاسدة حاقدة . بما يكرهونهم كأنهم المتسببون فى كل اثم ، ولو انتبهوا قليلا لاحواله ووزنوا أفعاله بميزان الشرع المطاع لوجوده ضالا غارقا فى هواه زين له الشيطان الوقوع فى أولياء الله ، وأعراض أبنائهم ، فويل للاتباع من المتبوع ، فقد حرموا أنفسهم من جزء من الايمان ان لم يكونوا محرومين من الايمان كله بسبب تقليده فى بغض أهل بيت النبى صلى الله عليه وسلم ، لما روى فى الصحيح عنه انه صلى الله عليه وسلم قال : والله لا يدخل قلب رجل الايمان حتى يحبهم لله ولقرابتهم منى . اذ وجود أهل البيت بين الامة اختبار لها سعد بهم قوم وشقى بهم آخرون .

وقد ثبت بطلان قولهم اننا نتخذ القبور مساجد بحجة الحس والمشاهدة. ويستدلون على ذلك بحديث : ان من كان قبلكم كانوا يتخذون القبور مساجد الحديث .

ان المسجد الذى بنيت فى العهد الحديث ليس بها قبر لاحد بل انها أقيمت فوق صخور الحجارة ، وليس عندنا بضريح ابن مشيش شىء من القبور بمسجد ، والمصلى الصيفى خال من القبور ، وبجانبه روضة القطب ابن مشيش يحيط بها سور مرتفع ، وبالقرب منه الى جهة القبلة روضة حفيده الولى الصالح سيدى عمر بن عيسى بن عبد الوهاب ، وعليه سور مرتفع جدا ، وروضة ابن مشيش تمتاز بشجرة تشمت الوارفة الظلال الباسقة الاغصان قائمة بوسط الروضة منذ قرون عديدة ويقع المصلى الصيفى بجانب الروضتين ، وبجانب روضة سيدى عمر المذكور حجرة للاذان صنعت لها درج فى العهد القريب . فروضة ابن مشيش تكسوها البساطة المتواضعة ، وعليها من الهيبة والجلال ما ياخذ بالالباب . وتوجد الروضة المذكورة بقنة جبل العلم فى بعد عن السكن ، وانهار السور المذكور وأعيد بناؤه عدة مرات وعليه فوضع ابن مشيش من حيث الشكل والبساطة يخالف ما هى عليه حالة الاضرحة فى العواصم الثلاث فى الشرق القاهرة وبغداد واسطانبول بتركيا من الابنية التى تناولتها أقلام النقاد بالنقد ، وحالة تقديس المشاهد عندنا بالمغرب أخف مما هى عليه الحالة بالشرق

الاسلامى ، فحالتنا فى أمس الحاجة الى شىء من التوجيه التوجيه الصحيح، وعوامنا من نساء ورجال قد غشا فيهم الجهل منذ زمن بعيد . ولكنهم لحسن نيتهم أقرب الى الاسترشاد من أهل الجهل المركب . والمغرب الجديد حاول أن يرفع رأسه وينفضه من غبار الجهل الماضى ولكنه التقمتــه التيارات الكفرية . فاطاحت به فى مهاوى الهلاك والدمار . فوقع فى ظلمات أحلك مما كان عليه الحال فى الماضى . ولكنه يريد أن يشق سبيله الى النــور بفضل كفاح رجاله المخلصين المتيقظين .

ويرجع تقديس القبور وعبادتها عند الشرقيين الى أمرين اثنين :

1 ــ هو ان العواصم الثلاث زاخرة بقبور أهل الفضل من الصحابة والتابعين وتابعيهم ، ومن بينهم مشاهير أهل البيت من رجال ونساء من ذرية الحسنين

و 2 ــ هو ان الذين اعتنقوا الاسلام من أهل الاديان الاخرى لم ينقطعوا عن عاداتهم الجاهلية بل ظلوا مع اسلامهم على ما كانوا عليه من عادات الشرك التى منها تقديس القبور وعبادتها . وتركوا على ما كانوا عليه حتى صار ذلك أمرا وراثيا متنقلا مع الاجيال فسرى فى الطبقة العامية ، ولــم يحملهم أحد على التربية الصحيحة فى أول الامر . ولما تفاحش الامر وبلغ درجة الخطورة بعقيدة التوحيد وبالرجوع بها الى ما كان عليه الحال من عبادة الشرك فى الجاهلية قبل الاسلام ظهر أول من جند القلم فى الدفــاع عن عقيدة التوحيد فى النصف الثانى من القرن السابع للهجرة ، وذلك هو الامام تقى الدين المعروف بشيخ الاسلام أحمد بن تيمية رحمه الله وجزاه عن الاسلام خيرا . توفى عام 728 هجرية تبعه على ذلك العلماء المصلحون من كل جيل الا انهم وجدوا الخرق اتسع على المرتق ، ولكن الذى زاد الطين بلة هو ان الحكام الذين يطبعون التاريخ والشعوب لم يكونوا فى كل عصر على رأى العلماء المصلحين ، الى أواخر القرن الثالث عشر الهجرى ظهرت جماعة من العلماء المصلحين المجددين الذين أرادوا حمل الامة على تعاليم الاسلام الصحيحة فى كل ميادين الحياة مبتدئين من الاساس التى هى عقيدة التوحيد الصحيحة ، وتزعم هذه الحركة فى الشرق الشيخ جمال الديــن الافغانى ، والشيخ محمد عبده ، وتبنى عقيدة التوحيد الشيخ محمد بــن عبد الوهاب ، ثم تبعت هذه الحركة حركة الاخوان المسلمين فقادها رجال أوفياء وعلى رأسهم الشيخ الصوفى النقى التقى الشهيد حســن البنــا

رحمـــه الله .

الا أن الاستعمار الغربى الحامل للصهيونية المقنعة كــان بالمرصاد لكل حركة تهدف الى اصلاح الاسلام فى الشرق العربى ، فواجهم بدسائسه ودعاياته مستهدفا ابقاء حالة المسلمين على ما هى عليه من تخاذل فى ميادين الاصلاح ، محاولا استغلال الاوضاع القائمة حتى يتمكن من القاء القبض على زمام الامر ، للفتك بالجميع وقد فعل ، وقد كتب النجاح من أنصار هذه الحركة للامير عبد العزيز آل سعود مؤسس المملكة العربية السعوديسة بالحجاز وسط القرن الرابع عشر حوالى 1346 هجرية رحمه الله وطيب ثراه.

وقال فى لمحات من تاريخ العالم . ويظهر ان ابن سعود قد نجح الى حد كبير فى هذا المضمار واثبت بذلك انه رجل سياسى قدير بعيد النظر . وقال : وعلى وجه التحديد فى أكتوبر سنة 1924 ميلادية دخل الوهابيون مكة وهدموا بعض القبور فيها عملا بتعاليم مذهبهم . فأثاروا بهذا العمل مشاعر كثير من المسلمين فى الاقطار الاخرى . وقال : وفى أوائل سنة 1926 ميلادية أعلن ابن سعود نفسه ملكا على الحجاز ، ولكى يقوى مركزه الجديد ويكسب عطف بقية المسلمين دعا لعقد مؤتمر اسلامى عالمى فى يونيو سنة 1926 ميلادية حضره ممثلون عن المسلمين فى كل مكان . ولما كان يحمله من أفكار التجديد استطاع أن يؤثر على الحرمين الشريفين بسبب ما كان بيده من النفوذ فخرب كل ما وجده بهما من الاضرحة والمشاهد عبر العصور الاسلامية ومنع كل ما هو عادة من تقديس القبور وتأليه من فيها ، وكان عمله هذا اكبر رحمة بالمسلمين وأعظم نعمة عليهم ، اذ لولا اقدامه البطولى على هذا لكانت الحالة فى الحرمين الشريفين أقبح مما هى عليه فى العواصــم الثلاث . من تقديس القبور وتاليه غير الله ، ولم يتبعه أحد فى ذلك مــن حكام العالم الاسلامى بل انهم جعلوا ينكرون عليه ذلك ويشنعون فى انكارهم عليه ، وذلك اما لجهلهم ، واما لمصلحة سيدهم الاستعمار .

وقد وفقت ولله الحمد وقمت جهد المستطاع فى بلادى المغرب حيث تسمع كلمتى بتوجيه من رايته يجهل فى زيارته ، وما لقيت من ذوى النيـــة الحسنة الا شكرا وتقديرا واعتذارا بأنه يقلد الناس فى ذلك على العموم ويعتقده هو الصواب الا ما كان من أمر الحكام الجهال المتكبريـــن الذيـــن يعتبرون أنفسهم فوق كل اعتبار ونعوذ بالله من شرهم وتسلطهم فانهم

مفسدون للعقائد الاسلامية ومهلكون للحرث والنسل ، وفيهم يقول الله تعالى : ومن الناس من اذا تولى سعى في الارض ليفسد فيها ويهلك الحرث والنسل والله لا يحب الفساد واذا قيل له اتق الله أخذته العزة بالاثم فحسبه جهنم ولبيس المهاد » .

زيارة القبور بلا حد

وهى مامور بها للرجال دون النساء ، قال فى المدخل : وينبغى للعالم ان يمنعهن من الخروج الى القبور وان كان لهن ميت لان السنة حكمت بعدم خروجهن . وقال فيه أيضا : اختلف العلماء فى خروجهن على ثلاثة أقوال . بالمنع والجواز على ما يعلم فى الشرع من الستر والتحفظ . وأما على ما هى عليه الحالة اليوم من التهتك والسفور والتبرج الجاهلى فمعاذ الله أن يقول أحد من العلماء أو ممن له مروءة أو غيرة فى الدين بجوازه . والثالث الفرق بين المتجلات والشابة . وقال سيدى عبد الرحمن الثعالبى فى كتابه المسمى بالعلوم الفاخرة فى النظر فى أمور الآخرة . وزيارة القبور للرجال متفق عليه ، وأما النساء فيباح للقواعد ويحرم على الشواب اللوانى يخشى عليهن من الفتنة . ووردت أحاديث فى الحث على زيارة القبور ، وفى الاحياء منها قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من زار قبر أبويه فى كل جمعة غفر له وكتب بارا . وعن ابن سيرين قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ان الرجل ليموت والداه وهو عاق لهما فيدعو الله لهما من بعدهما فيكتبه الله عز وجل من البارين . وقال الامام القرطبى : ينبغى لمن عزم على زيارة القبور أن يتأدب بآدابها ويحضر قلبه فى اتيانها ، ولا يكون حظه التطواف على الاجداث ، فان هذه حالة تشاركه فيها البهيمة ، بل ينبغى له أن يقصد بزيارتها وجه الله تعالى واصلاح قلبه ، ونفع الميت بالدعاء وما يتلو عند قبره من القرآن ، ويسلم اذا دخل المقابر ، ويخاطبهم خطاب الحاضرين . فاذا دخلت المقابر ينبغى لك أن تقول : السلام عليكم اهل الديار المومنين والمومنات ، والمسلمين والمسلمات ، ويرحم الله المستقدمين منا والمستاخرين ، وانا ان شاء الله بكم لاحقون ، أسأل الله لنا ولكم العافية. ثم تقول : اللهم اغفر لنا ولهم ، وان اجتهدت لهم فى الدعاء فالامر واسع ، وروى أبو داود بسند صحيح ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان

يقول : اذا دخل المقابر ، السلام عليكم دار قوم مومنين ، وانا ان شاء الله بكم لاحقون . واذا مررت بقبر تعرف صاحبه فقابله من جهة وجهه ، وسلم عليه واعتبر بحاله ، ثم تجلس في قبلة الميت ، واستقبله بوجهك عند رأسه أو عند رجليه ، ثم تثنى على الله تعالى بما حضر لك ثم تصلى على النبى صلى الله عليه وسلم الصلاة المشروعة . ثم تدعو له بما أمكنك ، وذكر عن عاصم الجحدرى انه سئل بعد موته هل تعلمون بزيارتنا اياكم فقال : نعلم بها عشية يوم الخميس ويوم الجمعة كله ، وصبح يوم السبت الى طلوع الشمس . وذلك لفضل يوم الجمعة وعظمها . وعن ابن واسع الموتى يعلمون بزوارهم يوم الجمعة ويوما قبله . ويوما بعده قال القرطبى : وقيل ان الارواح تزور قبورها كل جمعة على الدوام . ولذلك تستحب زيارة القبور ليلـــة الجمعة ، ويوم الجمعة ، وبكرة السبت . وقال الامام مالك رحمه الله : بلغنى ان الارواح بفناء المقابر . فلا تختص زيارتها بيوم بعينه وانما يختص يوم الجمعة لفضله والفراغ فيه . وذكر ابن رشد فى البيان والتحصيل قد جاء فى الارواح انها بافنية القبور ، وانها تطلع برؤيتها ، وان أكثر اطلاعها بيوم الخميس ويوم الجمعة ، وليلة السبت ، ثم ذكر عن الامام أحمد بن حنبل انه قال : اذا دخلتم المقابر فاقرأوا الفاتحة والمعوذتين ، وقل هو الله أحد واجعلوا ثواب ذلك لاهل المقابر ، وينوى ذلك لهم قبل القراءة فانه يصل اليهم . ثم ذكر عن القرطبى من حديث على رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من مر على المقابر وقرأ سورة قل هو الله أحد احدى عشرة مرة ثم وهب أجره للاموات أعطى من الاجر بعدد الاموات . ثم ذكر عن القرطبى أيضا عن الحسن البصرى قال : من دخل المقابر فقال : اللهم رب هذه الاجساد البالية والعظام النخرة التى خرجت من الدنيا وهى بك مومنة ادخل عليها روحا منك وسلاما منى . الا كتب الله له بعددهم حسنات . وأما حالة اهل القبور فقد بينها رسول الله صلى الله عليه وسلم فى بعض الاحاديث فقال : ان هذه القبور مملوءة ظلمة على أهلها ، وان الله ينورها لهم بصلاتى أى بدعائى عليهم . وحديث سعيد بن المسيب يقول صليت وراء أبى هريرة على صبى لم يعمل خطيئة قط ، فسمعته يقول : اللهم أعذه من عذاب القبر . وقال ابن عبد البر : عذاب القبر غير فتنته ، بدلائل من السنة الثابتة ، ولو عذب الله عباده أجمعين لم يظلمهم .

وقال بعض العلماء : ليس المراد بعذاب القبر هنا عقوبته ، ولا السؤال بل مجرد الغم والهم والالم والحسرة والوحشة والضغطة ، وذلك يعم الاطفال وغيرهم ، وان أبا هريرة اعتقد لما سمعه من المصطفى صلى الله عليه وسلم ان عذاب القبر عام فى الصغير والكبير . وان الفتنة فيه لا تسقط عن الصغير بعدم التكليف فى الدنيا . لان الله تعالى لا يفعل الا ما يشاؤه ، وان فعله كله عدل .

الاصل فى دفن الموتى عنـــد مشاهير الاوليـــاء

قد نص العلماء على أنهم تحصل لهم بركة الرجل الصالح يدفن عندهم أو يدفنون عنده ، وقالوا أيضا فى مسألة الخلاف فى وصول ثواب القراءة الى أرواح الموتى وانتفاعهم بها ، ما حاصله : انه لا ينبغى اهمالها . فلعل الحق هو الوصول ، لان هذه الامور مغيبة عنا . وليس الخلاف فى حكم شرعى . وانما هو فى أمر هل يقع كذلك أم لا ؟ وقالوا المتجه هو أن يحصل لهم بركة القراءة كما يحصل لهم بركة الرجل الصالح .

وقال بعضهم باستحباب القراءة على القبر ، واستدل عليه بحديث الجريدتين ، وقوله صلى الله عليه وسلم فيه لعله يخفف عنهما . وبه قال الامام الشافعى رحمه الله ، وفى الاحياء : لا بأس بالقراءة على القبر واستدل له بالحديث : عن على بن موسى قال : كنت مع الامام أحمد بن حنبل فى جنازة ، وابن قدامة معنا فلما دفن الميت جاء رجل ضرير يقرأ عند القبر فقال له الامام أحمد : ان هذا بدعة ، فقال ابن قدامة : للامام احمد ما تقول فى بشر بن اسماعيل قال : ثقة ، قال : هل كتبت عنه شيئا ؟ قال : نعم ، قال : أخبرنى عن عبد الرحمن عن أبيه انه أوصى اذا دفن أن يقرأ عليه عند راسه بفاتحة البقرة ، وبخاتمتها ، قال : وسمعت ابن عمر يوصى بذلك . فقال الامام احمد ارجع الى الرجل فقل له : يقرأ . ومنه اخذوا تلقين الميت بعد الدفن وهو مستحب ، قال ابن العربى : فى مسالكه ، اذا ادخل الميت فى قبره فانه يستحب تلقينه فى تلك الساعة ، وهو فعل الصالحين من اخيار اهل المدينة لانه مطابق لقوله تعالى : وذكر فان الذكر تنفـع المومنين » واحوج ما يكون العبد الى التذكير بالله عند سؤال الملائكة ، ومنه استحباب القراءة عند الموت ابن حبيب : وروى عن النبى صلى الله عليه وسلم ان

من قرأ سورة يس ، أو قرئت عنده وهو فى سكرات الموت بعث الله ملكا الى ملك الموت ان هون على عبدى الموت وعن ابن يونس ما نصه : يستحب أن يقرب منه اذا احتضر رائحة طيب من بخور ونحوه ، ولا بأس أن يقرأ عند رأسه بيس أو غيرها . وقد سئل عنه الامام مالك فلم ينكره ، وقال أكره ان يعمل به على وجه السنة . ما جاء فى تلقين الميت عقب الدفن ، أخرج عبد الحق فى كتاب العاقبة : عن أبى أمامة الباهلى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : اذا مات أحدكم فسويتم عليه التراب فليقم أحدكم على رأس قبره ثم ليقل : يا فلان بن فلانة ، فانه يسمع ولا يجيب ، ثم ليقل : يا فلان ابن فلانة الثانية ، فانه يستوى قاعدا . ثم ليقل : يا فلان ابن فلانة ، فانه يقول : ارشدنا يرحمك الله ، ولكن لا تسمعون فيقول له اذكر ما خرجت عليه من الدنيا : شهادة أن لا الاه الا الله وأن محمدا رسول الله . وانك رضيت بالله ربا ، وبالاسلام دينا ، وبمحمد صلى الله عليه وسلم نبيا ، وبالقرآن اماما . فان منكر ونكير يتأخران عنه كل واحد منهما يقول : انطلق ما يقعدنا عند هذا وقد لقن حجة ويكون الله حجيجهما دونه ، فقيل يا رسول الله فان لم يعلم أمه ، قال : فلينسبه الى حواء . ومن عمل السلف من الصحابة ان التصبيح على القبر سبعة ايام والاصل فيه اثر طاووس ، وهو صحيح مرفوع الى النبى صلى الله عليه وسلم قال : فى شرح التثبيت : وانهم يفتنون ويحاسبون فى قبورهم سبعة أيام ، ولذلك كانوا يستحبون أن لا يتفرقوا عن الميت سبعة ايام ، ولذلك ضرب الفسطاط على قبور كثير من الايمة ، كابن عباس وغيره . وقد استمر عليه الحال فى عمل الناس شرقا وغربا قديما وحديثا بحضرة الفضلاء والاخيار من اهل العلم .

وفى الموطأ عن أم سلمة زوج النبى صلى الله عليه وسلم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : من اصابته مصيبة فقال : كما أمر الله ، : انا لله وانا اليه راجعون » اللهم أجرنى فى مصيبتى واعقبنى خيرا منها . الا فعل الله ذلك به . قالت أم سلمة فلما توفى زوجها أبو سلمة قلت : ذلك ، ثم قلت ومن خير من ابى سلمة ؟ أى قالت ذلك فى نفسها ولم تصرح به ، ولو صرح به أحد لمنع بالعوض ، كما يمنع الذى يعجل بدعائه الاجابـــة ، فأعقبها الله رسول الله صلى الله عليه وسلم فتزوجها . قال ابن عبد البر وفى معنى قوله صلى الله عليه وسلم ما يزال المومن يصاب فى ولده وحامته

حتى يلقى الله وليست عليه خطيئة . ومنه لا تزال البلايا بالمؤمن والمؤمنة في نفسه وماله وولده حتى يلقى الله وليست عليه خطيئة . وقال عليه الصلاة والسلام : من يرد الله به خيرا يصب منه . وفي هذا المعنى أحاديث كثيرة ، وفيما ذكر كفاية .

أحكام البناء على القبور والجلوس عليها

للقبر احكام في شريعة الله تجب مراعاتها واحترامها وتطبيقها . والا نال الميت عذاب مخالفتها للشرع . كما يناله ذلك بسبب النوح والبكاء عليه المنهي عنه شرعا ، والميت اقرب الى الاذاية بمخالفة الشرع من الحي . فالميت عقوبته في مخالفة الشرع عاجلة ، والحي عقوبته آجلة ومعروضة على التوبة . فمنها ما يتعلق ببناء القبر أو تسنيمه ، أو البناء عليه وتجصيصه. ومنها ما يتعلق بالجلوس عليه ونبشه . فأما ما يتعلق ببنائه وتسنيمه أو البناء عليه وتجصيصه ، ففي ذلك تفصيل . اما بناء القبر وتمييزه بنحو حجر كبير يوضع بجانب راس القبر ليعرف به حتى لا يخفى مع قبور الغير ، ومثل ذلك ما اذا علم بخشبة خالية من النقش أو الكتابة فوق رأسه وأخرى تحت رجليه فهذا القدر مشروع مثاب فاعله وهو السنة ، لما روى انه صلى الله عليه وسلم وضع بيده الكريمة حجرا كبيرا عند رأس عثمان بن مظعون . وقال : اعلم به قبر أخي وأدفن اليه من مات من أهلي . وقال في التوضيح وأجاز علماؤنا ركز حجر أو خشبة عند رأس الميت ما لم يكن منقوشا . وروى أبو داود باسناده ان النبي صلى الله عليه وسلم لما دفن عثمان بن مظعون امر رجلا ان يأتيه بحجر فلم يستطع حمله فقام اليه النبي صلى الله عليه وسلم فحسر عن ذراعيه ثم حمله فوضعه عند رأسه وقال اعلم به قبر اخي أزوره وادفن اليه من مات من أهلي .

وكره ابن القاسم ان يجعل على القبر بلاطة أي رخامة ونحوها أي ويكتب فيها ولم ير بأسا في تعليم القبر بالحجر والعود والخشبة التي لا كتابة عليها لان ذلك من البدع التي أحدثها اهل الطول من ارادة الفخر والمباهات والسمعة ، وذلك مما لا خلاف في كراهته ، وأما تسنيم القبر فقد اختلف فيه ، فقال الامام مالك في المدونة ذلك مكروه ، وقال الامام اشهب في مدونته تسنيم القبر احب الي وان رفع فلا بأس برفعه ، يريد أن يزاد

على التسنيم . وقال محمد بن مسلمة : لا بأس بذلك ، قال : وقبر النبى صلى الله عليه وسلم وأبى بكر وعمر رضى الله عنهما مسنمة ، وهـو أحسن . وفى البخارى وكان قبر النبى صلى الله عليه وسلم مسنما . وفيـه أيضا : وقال خارجة بن زيد رأيتنى ونحن شبان فى زمن عثمان وان أشدنا وثبة ، الذى يثب قبر عثمان بن مظعون حتى يجاوزه ، وهو الذى اراد اشهب بقوله : وان رفع فلا بأس ، يريد ويمنع من بناء البيوت على الموتى من المباهات لما فيه ولما تصير اليه من اتخاذها مواطن للفساد والمنكرات وقيـل لمحمد بن عبد الحكم فى الرجل يوصى أن يبنى على قبره فقال : لا ، ولا كرامة يريد بناء البيوت ، ولا باس بالحائط اليسير الارتفاع ليكون حاجزا بين القبور لئلا يختلط على الانسان موتاه مع موتى غيره وليجمع اليهم من يموت من اهله وليس لاحد أن يدفن فى مقبرة غيره الا أن يضطر الى ذلك ، فان اضطر لم يمنع ، لان الجبانة أحباس ليس لاحد فيها شىء ، ويمنـع مع الاختيار لان للناس اغراضا فى صيانة موتاهم ، وتعهدهم بالترحم والدعاء والقراءة . وقال الباجى فى المنتقى : ومن السنة تسنيم القبر ولا يرفع . وهو قول ابن حبيب أيضا . وروى عن سفيان التمار انه رأى قبر النبى صلى الله عليه وسلم مسنما .

وأما رفع بنيانه على وجه المباهات فممنوع ، قال ابن بشير وينهى عن بنائها على وجه يقتضى المباهات ، ويحرم مع القصد الى ذلك . وأفتى ابن عبد الحكم أن من أوصى أن يبنى على قبره بيت انه تبطل وصيته . وأما البناء لغير المباهات فان كان القصد به تمييز الموضع أو تعظيم حرمة لنبى او ولى فجائز ، أو تمييز قبر وليه حتى يحترم ولا يحفر عليه ان احتيج الى قبر ثان . ويهدم ما شيد للمباهاة ، ولا يترك منه الا القدر الذى يميز القبر ، لان القدر الذى يقع به التمييز جائز وليس بمكروه ، واما الارض المحبسة على المقبرة فلا يجوز فيها البناء مطلقا ، ويجب على ولى الامر ، أن يامر بهدم ما بنى عليها حتى يصير طولها عرضا ، وسماؤها أرضا .

واما الارض المرصدة فلا يحل فيها البناء ، لان سيدنا عمر بن الخطاب رضى الله عنه جعل القرافة بمصر لدفن موتى المسلمين واستقر الامر على ذلك ، وان البناء بها ممنوع ، ومع مرور الزمن فقد بنى الناس فيها على موتاهم من غير اذن من الشرع وفى عصر السلطان العباسى الظاهر بأمر الله

سنة 623 هجرية استفتى العلماء فى هدم ما بها من البناء اللامشروع ، فاتفقوا على لسان واحد انه يجب على ولى الامر أن يهدم ذلك، ويكلف أصحابها رمى الانقاض فى الكيمان ، ولم يختلف فى ذلك أحد منهم . ولكن الملك الظاهر سافر الى الشام فلم يرجع . وفى نوازل ابن رشد انه كتب اليه القاضى عياض يسأله فيما ابتدع من بناء السقائف والقباب والروضات على مقابر الموتى . وخولفت فيه السنة فقام من بيده أمر فأمر بهدمها وتغييرها وحط سقفها . وما أعلى من حيطانها ، الى حدها ، هل يلزم أن يترك من جدرانها ما يمنع دخول الدواب أم لا ؟ قطعا للذريعة . ولا يترك منها الا ما أباحه أهل العلم من الجدار اليسير لتميز به قبور الاهلين والعشائر للتدافن وكيف ان قال بعضهم لبقاء جدارى منفعة لصيانة ميتى . ليلا يتطرق اليه للمحدث عليه . لا سيما ما كان منها بقرب العمارة . وليس هذا عند من يوجب أن يترك عليها من الجدار اقل ما يمنع هذا أم لا ؟ لان الضرر العام بظهور البدعة فى بنائها أو تعليتها أعظم وأشد . مع انه لا يؤمن من استهتار أهل الشر والفساد فيها بعض الاحيان . وذلك أضر بالحى والميت من الحدث عليه ومراعاة أشد الضررين وأخفهما مشروع . بينه وجاوب عليـــه مشكـــورا ماجورا والسلام . فأجاب : تصفحت سؤالك هذا الواقع فوقه . ووقفت عليه المتضمن لما يبنى من السقائف والقباب والروضات فى مقابر المسلمين ، وأقول : ان هدمها واجب ولا يجب أن يترك منها الا قدر ما يميز به الرجل قبور قرابته وعشيرته من قبور سواهم لئلا ياتى من يريد الدفن فى ذلك الموضع فينبش قبر امرأته . والحد فى ذلك ما يمكن دخوله من كل ناحية ولا يفتقر الى باب هـ . وروى جابر : ان النبى صلى الله عليه وسلم نهى أن ترفع القبور أو يبنى عليها أو يكتب فيها أو تقصص . وروى تجصص وأمر بهدمها وتسويتها . ومعنى تقصص أو تجصص ، تبيض بالجير أو بالتراب الابيض ، والقصة بفتح القاف الجير . وأما النهى عن الجلوس على القبور والمشى عليها ، فاليك بيان الحكم فى ذلك ، ففى الصحيحين عنه صلى الله عليه وسلم قال : لا تجلسوا على القبور ، ولا تصلوا اليها . وروى أيضا عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لان يقعد أحدكم على جمرة فتحرق ثيابه فتخلص الى جلده خير له من ان يجلس على قبر . وحمل الامام مالك الجلوس فى الاحاديث لقضاء الحاجة من بول أو غائط ، ولم يكن عندهم فيه نهى بدليل قول عقبة : ما أبالى قضيت حاجتى

على التسنيم . وقال محمد بن مسلمة : لا بأس بذلك ، قال : وقبر النبى صلى الله عليه وسلم وأبى بكر وعمر رضى الله عنهما مسنمة ، وهو احسن . وفى البخارى وكان قبر النبى صلى الله عليه وسلم مسنما . وفيه أيضا : وقال خارجة بن زيد رأيتنى ونحن شبان فى زمن عثمان وان أشدنا وثبة . الذى يثب قبر عثمان بن مظعون حتى يجاوزه . وهو الذى اراد اشهب بقوله : وان رفع فلا بأس ، يريد ويمنع من بناء البيوت على الموتى من المباهات لما فيه ولما تصير اليه من اتخاذها مواطن للفساد والمنكرات وقيل لمحمد بن عبد الحكم فى الرجل يوصى أن يبنى على قبره فقال : لا ، ولا كرامة يريد بناء البيوت . ولا بأس بالحائط اليسير الارتفاع ليكون حاجزا بين القبور لئلا يختلط على الانسان موتاه مع موتى غيره وليجمع اليهم من يموت من أهله وليس لاحد أن يدفن فى مقبرة غيره الا أن يضطر الى ذلك ، فان اضطر لم يمنع ، لان الجبانة احباس ليس لاحد فيها شىء . ويمنع مع الاختيار لان للناس اغراضا فى صيانة موتاهم . وتعهدهم بالترحم والدعاء والقراءة . وقال الباجى فى المنتقى : ومن السنة تسنيم القبر ولا يرفع . وهو قول ابن حبيب أيضا . وروى عن سفيان التمار انه رأى قبر النبى صلى الله عليه وسلم مسنما .

وأما رفع بنيانه على وجه المباهات فممنوع ، قال ابن بشير وينهى عن بنائها على وجه يقتضى المباهات ، ويحرم مع القصد الى ذلك . وأفتى ابن عبد الحكم أن من أوصى أن يبنى على قبره بيت انه تبطل وصيته . وأما البناء لغير المباهات فان كان القصد به تمييز الموضع أو تعظيم حرمة لنبى أو ولى فجائز ، أو تمييز قبر وليه حتى يحترم ولا يحفر عليه ان احتيج الى قبر ثان . ويهدم ما شيد للمباهاة ، ولا يترك منه الا القدر الذى يميز القبر ، لان القدر الذى يقع به التمييز جائز وليس بمكروه ، وأما الارض المحبسة على المقبرة فلا يجوز فيها البناء مطلقا ، ويجب على ولى الامر ، أن يامر بهدم ما بنى عليها حتى يصير طولها عرضا ، وسماؤها أرضا .

وأما الارض المرصدة فلا يحل فيها البناء ، لان سيدنا عمر بن الخطاب رضى الله عنه جعل القرافة بمصر لدفن موتى المسلمين واستقر الامر على ذلك ، وان البناء بها ممنوع ، ومع مرور الزمن فقد بنى الناس فيها على موتاهم من غير اذن من الشرع وفى عصر السلطان العباسى الظاهر بأمر الله

سنة 623 هجرية استفتى العلماء فى هدم ما بها من البناء اللامشروع ، فاتفقوا على لسان واحد انه يجب على ولى الامر أن يهدم ذلك، ويكلف أصحابها رمى الانقاض فى الكيمان ، ولم يختلف فى ذلك احد منهم . ولكن الملك الظاهر سافر الى الشام فلم يرجع ، وفى نوازل ابن رشد انه كتب اليه القاضى عياض يسأله فيما ابتدع من بناء السقائف والقباب والروضات على مقابر الموتى . وخولفت فيه السنة فقام من بيده أمر فأمر بهدمها وتغييرها وحط سقفها . وما أعلى من حيطانها ، الى حدها . هل يلزم أن يترك من جدرانها ما يمنع دخول الدواب أم لا ؟ قطعا للذريعة . ولا يترك منها الا ما أباحه أهل العلم من الجدار اليسير لتميز به قبور الاهلين والعشائر للتدافن وكيف ان قال بعضهم لبقاء جدارى منفعة لصيانة ميتى ، ليلا يتطرق اليه للمحدث عليه . لا سيما ما كان منها بقرب العمارة ، وليس هذا عند من يوجب أن يترك عليها من الجدار اقل ما يمنع هذا أم لا ؟ لان الضرر العام بظهور البدعة فى بنائها أو تعليتها أعظم وأشد ، مع انه لا يومن من استهتار أهل الشر والفساد فيها بعض الاحيان ، وذلك أضر بالحى والميت من الحدث عليه ومراعاة أشد الضررين وأخفهما مشروع ، بينه وجاوب عليــه مشكــورا ماجورا والسلام . فأجاب : تصفحت سؤالك هذا الواقع فوقه ، ووقفت عليه المتضمن لما يبنى من السقائف والقباب والروضات فى مقابر المسلمين ، وأقول : ان هدمها واجب ولا يجب أن يترك منها الا قدر ما يميز به الرجل قبور قرابته وعشيرته من قبور سواهم لئلا ياتى من يريد الدفن فى ذلك الموضع فينبش قبر امرأته ، والحد فى ذلك ما يمكن دخوله من كل ناحية ولا يفتقر الى باب هـ . وروى جابر : ان النبى صلى الله عليه وسلم نهى أن ترفع القبور أو يبنى عليها أو يكتب فيها أو تقصص . وروى تجصص وأمر بهدمها وتسويتها . ومعنى تقصص أو تجصص ، تبيض بالجير أو بالتراب الابيض ، والقصة بفتح القاف الجير . وأما النهى عن الجلوس على القبور والمشى عليها ، فاليك بيان الحكم فى ذلك ، ففى الصحيحين عنه صلى الله عليه وسلم قال : لا تجلسوا على القبور ، ولا تصلوا اليها . وروى أيضا عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لان يقعد أحدكم على جمرة فتحرق ثيابه فتخلص الى جلده خير له من أن يجلس على قبر . وحمل الامام مالك الجلوس فى الاحاديث لقضاء الحاجة من بول أو غائط ، ولم يكن عندهم فيه نهى بدليل قول عقبة : ما أبالى قضيت حاجتى

على القبور أو فى السوق والناس ينظرون يريد لان الموتى ينظرون مثل الاحياء ، فيجب أن يستحيى من الميت كما يستحيى من الحى لان أرواحهم على القبور . وحكم الجلوس على القبر عندنا معشر المالكية جائز . وعند الشافعية مكروه ، ومثله عنده أن يتكىء عليه أو يطأه . وقال ابن حبيب : يكره الدخول الى المقابر بالنعال . ولا يكره بالخفاف . وفى الموطأ : مالك انه بلغه ان على بن أبى طالب كان يتوسد القبور ويضطجع عليها . وأول المالكية النهى عن الجلوس بالجلوس لقضاء الحاجة . وتركه الشافعية على ظاهره . وقال : لا بأس بالمشى على القبر اذا عفى . وهذا اذا لم يكن مسنما والطريق دونه ، والا فهو مكروه لما فيه من تكسير تسنيمه واباحته طريقا . وقال فى المدونة ويجوز المشى على القبور بالنعال وغيره ولا يحتاج الماشى عليها الى سراويل . وأخذ جواز الجلوس لغير ما ذكر والمشى والاتكاء والاضطجاع من فعل على كرم الله وجهه وابن عمر رضى الله عنهما . ويتأيد اجتهاد الامام مالك بالحديث المرفوع عن زيد بن ثابت رضى الله عنه قال : انما نهى النبى صلى الله عليه وسلم عن الجلوس لحدث غائط أو بول ، أخرجه الطحاوى برجال ثقات . ووافق الامام مالكا فيما ذهب اليه أبو حنيفة وأصحابه ، واحتج له باثر على وابن عمر . وأسندهما برجال ثقات . وذلك أمر لازم لمن زار القبور ، وقد زار رسول الله صلى الله عليه وسلم القبور وأمر بزيارتها .

وقال فى المدخل : ومما هو أقبح وأشنع مما تقدم من البناء على القبور ما اتفق العلماء عليه ، وهو ان الموضع الذى يدفن به المسلم وقف عليه ما دام منه شىء موجود فيه ، ومن الشىء عظام الميت يفنى جسده وتبقى عظامه النخرة وعلى هذا فلا يجوز لاحد أن ينبشه ما دامت به تلك العظام النخرة ، واذا علم بأنها فنيت بمرور الازمان الطويلة عليها ولم يبق منها شىء فحينئذ يجوز دفن غيره فى موضعه ، ولا يجوز أن يحفر عليه للاطلاع على ذلك . ولهذا قال الشيخ خليل : والقبر حبس لا يمشى عليه ولا ينبش ما دام به . ولا يجوز أخذ المقابر العافية ، ولا لبناء قنطرة او مسجد ، وعلى هذا فلا يجوز حرثها ، وقال ابن رشد : أما بناء مسجد على مقبرة عافية فلا كراهة فيه .

الشفاعة لها مفهومان مختلفان

فمفهوم الشفاعة عند المسلمين يختلف عن مفهوم الشفاعة عند المشركين والشفع لغة ضد الوتر . والشفاعة المعاونة أو طلب المغفرة . يقال شفع لفلان أو فيه الى زيد . طلب من زيد أن يعاونه ، ويقال شفع عليه بالعداوة ، أى أعان عليه وضاده بها . ويقال فلان يعادينى وله شافع أى معين يعينه على عداوتى . وعلى معنى آخر . يقال شفع لفلان فى مطلبه وحاجته . أى سعى له فيها والمشفع المقبول الشفاعة ، والمشفع الذى يقبل الشفاعة . وقد كان مفهوم الشفاعة عند المشركين على المعنى اللغوى الاول . لانهم كانوا يعبدون شركاءهم ويعتقدون ان عبادتهم لهم تقربهم من الله ، وانهم يستنجدون بهم فيجدونهم أعوانا يشفعون لهم عند الله فى لقاء الشدائد . وقد بين الله سبحانه مقصودهم هذا بقوله : ويعبدون من دون الله مالا يضرهم ولا ينفعهم ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله » فرد الله عليهم زعمهم هذا بقوله : قل أتنبئون الله بما لا يعلم فى السموات ولا فى الارض سبحانه وتعالى عما يشركون » وقال تعالى أيضا ، فى الرد عليهم وابطال دعوتهم : بل اتبع الذين ظلموا أهواءهم بغير علم فمن يهدى من اضل الله وما لهم من ناصرين » ثم استرسل القرآن فى ابطال رأيهم وتكذيب دعوتهم فى الشفاعة المستقلة فقال : من ذا الذى يشفع عنده الا باذنه » وقال : فما تنفعهم شفاعة الشافعين » .

ولذلك تشعبت عبادتهم على أنواع ، وكانوا فيها شيعا وأحزابا : كل حزب بما لديهم فرحون » وتفرقوا فيها حسب أهوائهم فمنهم من يعبد الملائكة ، ومنهم من يعبد الجن ، ومنهم من يعبد الاوثان ، ومنهم من يعبد النار ، ومنهم من يعبد الكواكب كالشعرى والشمس والقمر ، ومنهم من يعبد الاشخاص ، ومنهم من يعبد غير ذلك بحسب ما زين له هواه ومضله من الانس والجن ، وتضمن القرآن الكريم ذكر هذه الفرق كلها ، وفند زعمها فى عبادتها ، وقد انكر عليهم عبادتهم هذه متحديا لهم ومنزها نفسه عنها لانها خطوات الشيطان ، وقد نهاهم عنها بقوله تعالى : ولا تتبعوا خطوات الشيطان انه لكم عدو مبين » ثم ضرب لهم مثلا فى بطلان عبادتهم الشركية بابسط أحوالهم فقال تعالى : ضرب لكم مثلا من انفسكم هل لكم مما ملكت أيمانكم من شركاء فيما رزقناكم

فأنتم فيه سواء تخافونهم كخيفتكم أنفسكم كذلك نفصل الآيات لقوم يعقلون بل اتبع الذين ظلموا أهواءهم بغير علم » وقد نهى المسلمين عن تفريق دينهم فقال : ولا تكونوا من المشركين من الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعا كل حزب بما لديهم فرحون » فقد بين الله تعالى لهم بالمثل المضروب انه لا ينبغى لاحد أن يجعل مملوكه شريكه عن طريق الاستفهام الانكارى قائلا سبحانه وتعالى لهم : هل لكم مما ملكت أيمانكم من شركاء الآية أى يخاف أحدكم من مملوكه كما يخاف بعضكم بعضا ، فاذا كان أحدكم لا يرضى أن يكون مملوكه شريكه فكيف ترضونه لخالقكم ! ؟ فهو يحاجهم باسلوب الاقناع لانــه ليـــس فيهـم مـــن يرضـــى ان يكـون عبـــده شريكـــه فـــى رزقـــه ومالـــه ويتصرفـــا فيـــه عـــلى الســـواء . وقـــد بـــين لهـــم سبحانه وتعالى فى عبادتهم الملائكة الذين هم عباد مكرمون : لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يومرون » والانبياء كالمسيح . والعزيز . ممن ثبتت عصمتهم شرعا بريئون مما نسبوه اليهم ، فأولئك كلهم عباد الله وأهل طاعته يرجون رحمته ويخافون عذابه ، فانهم لا يملكون كشف الضر عنهم ولا تحويله ، قال سبحانه وتعالى : قل ادعو الذين زعمتم من دونه فلا يملكون كشف الضر عنكم ولا تحويلا أولئك الذين يدعون يبتغون الى ربهم الوسيلة أيهم أقرب ويرجون رحمته ويخافون عذابه ان عذاب ربك كان محذورا » والمشركون يقولون عند احساسهم بالاسراف والاغراق فى ذنوبهم وكفرهم وأعظم الذنب الاشراك بالله ، وخوفهم من سوء المصير ، انا نأتى قبر أحد أنبيائنا ونطلب منه أن يشفع لنا أى يعيننا ، ويخلصنا مما جنيناه على انفسنا من الذنوب والكبائر فهم يعتقدون الاعتصام به ، وهو الذى ينجيهم من عذاب الله المحيق بهم ، وقد تجسم هذا الخيال فى عقولهم ، وحسن لهم الشيطان طريقة أسلافهم فى تصوير تماثيلهم وتجسيمها ليكون ذلك التشخيص ادعى لاستحضار القلب عند دعائها والاستشفاع بها ، والتماثيل عندهم على قسمين : مجسدة بالهياكل وظلية على الاوراق ، ومن ذلك ما اتخذه النصارى فى كنائسهم الى الآن ، وقالوا المقصود من اقامة هذه التماثيل تذكر أصحابها وسيرهم ، فجرهم الشيطان الى مخاطبتها وزين لهم انهم يخاطبون اصحابها الاصليين ، ويطلبون منهم أن يشفعوا لهم فيما جنوه على أنفسهم من الذنوب والخطايا ، وقد ابتدع المتأخرون منهم شفعاء أحياء سموهم خلفاء القديسين، فيأتى المذنبون الى الشفعاء الاحياء خلفاء القديسين ويستشفعون بهم ،

ويستفسرونهم عن ذنوبهم ، وبعد اعترافهم يمنحونهم صكـــوك الغفـــران موهمين اياهم انها شفاعة القديسين الذين هم نواب عنهم فيها ، وتختلف الشفاعة عند هؤلاء بين النساء والرجال ، بحسب حاجة خليفة القديس الى الجمال والفتوة فعند ذلك يشفع شفاعته العظمى فيشفعون لهم بغير اذن من أى شفيع ، ملبسين عليهم فى ذلك بأنهم خلفاء القديسين ، وأفعالهم مقدسة ، وبيدهم كل ما طلبوه اليهم ، ولم تنطل الحيلة على أهل العقـــل الصحيح منهم ، فأنكروا عليهم هذه المخادعات الباطلة ، وشنعوا عليهم فيها ، وصرحوا بانها أغراض شهوانية شخصية محضة ، يخدع بهـــا رهبـــان الكنائس سذاج العوام ، لارضاء نزواتهم وشهواتهم باسم الدين ، فلعنة الله على الكاذبين ، وكل القائمين عليها أفاكون كذابون ، واذا سألتهم لماذا أنتم متمسكون بهذه الاباطيل وأنتم تعرفونها ؟ أجابوا بأنهم خاضعون لامر قهرى لا اختيار لهم فيه من ثلاثة أوجه : 1 — انهم محجوبون عن الرجوع الى دين الحق بالعصبية القومية والجنسية و 2 — انهم مملوكون من طرف العادات الحاكمة المستحكمة من عهد الفطرة ، و 3 — انهم محاطون بسياج الرياسة والسلطة . واذا شعروا باختناق روحى أتوا كنائسهم مستغيثين بتماثيلهم ويقولون : ياسيدى جرجيس أو بطريس أو يا ستى الحنونة مريم، واذا أتوا قبر الخليل بفلسطين ، قالوا يا سيدنا ابراهيم الخليل ، ويا نبى الله موسى بن عمران أو غيرهما استغفر لى الى ربك ، سل لى ربك الخ . وقد انجرت هذه العادات الباطلة بهذه الخطابات الموجهة الى أصحاب القبور فى زيارة أصحابها الى المسلمين بسبب من أسلم منهم فبثوهـــا فى السذج والمغفلين من ذوى الجهل وخاصة النساء . وحسنها الشيطان لاهل الاهواء منهم فصاروا ينشدون قصائد على هذا المنوال ويقول أحدهم فيها : ياسيدى فلان أنا فى حسبك أى كفايتك ، أنا فى جوارك ، اشفع لى الى الله ، سل الله لنا أن ينصرنا على عدونا ، سل الله لنا أن يكشف عنا هذه الشدة اشكو اليك كذا وكذا معبرين عما فى مقاصدهم ، أو يقول أحدهم : سل الله أن يغفر لى وهذه الادعية كلها تشرك غير الله معه فى ملكه ، فهى حرام لا تجوز فى ملة الاسلام باجماع المسلمين ، ومقلدها فاسق ، وليس فى الملة الحنيفية شىء من هذه الكلمات الكفرية ، الا ما أنجز اليه من أولئك الذين اعتنقوا الاسلام من أهل الاديان السابقة كاليهود والنصارى وأهل الشرك من العرب ومن كان منهم على الاديان السابقة ، ولا يزال بعضهم عليها فى

الشرق العربى حتى الآن . وخصوصا فى سوريا ؛ ومنهم الاباء اليسيوعيون الذين منهم اللغوى معلوف اليسوعى صاحب المنجد ، وهم المعروفسون بالدرز . وهم المشمولون بآياته تعالى : الاعراب أشد كفرا ونفاقا وأجدر الا يعلموا حدود ما أنزل الله على رسوله » وكل ما نجده اليوم من هـذا الآثار فى عقيدة جبلة المسلمين فهذه أصوله ؛ ومن طريق المعتنقين للاسلام وصل اليهم ؛ فوجد له عشا فى مخ كل جاهل وجاهلة ؛ فهو يسرى فى المجتمع سريان الماء فى العود . فى أهل الجهل . الى جانب العقيدة الصحيحة القرآنية عند أهل العلم ومن والاهم منذ العصر الاول للاسلام الى الآن ؛ وأهل هذه الطبقة هم الذين قال الله تعالى فيهم : الذين آمنوا ولم يلبسوا ايمانهم بظلم أولئك لهم الامن وهم مهتدون » فالايمان الخالص يقوى بجهـاد العلمـاء المخلصين . ويتضاءل عند سكوتهم . ولا يعشش الشرك الا حيث المجتمع الجاهل السائر فى ظلمات الجهل . ومنه انتقل فى الطبقة الجاهلة جيلا بعد جيل عبر الاجيال الغابرة حتى تمكن من الانتشار والثبوت فى رأس كـل جاهل فى جميع بلدان العالم الاسلامى . ولن يكون المخلص الوحيد منه لمن وجد شيئا فى عقيدته منه الا فى التمسك بالتوحيد الصحيح الخالص الذى جاءت به تعاليم القرآن الكريم . ويتلخص ذلك فى نداء ودعاء الله وحده من دون واسطة أحد من الموتى المقبورين بين العبد الداعى وربه ؛ فهو سبحانه القريب اليه ؛ بل هو أقرب اليه من نفسه وهو العالم السميع البصير ؛ : لا تدركه الابصار وهو يدرك الابصار وهو اللطيف الخبير » وهـو الذى يستجيب لعبده بمحض فضله وكرمه دعاءه الاستجابات المتقدمة يقينا لما فى الحديث : ان الله حيى كريم يستحيى من عبده يرفع اليه يديه فيردهما صفرين أى خائبتين . وكثيرا ما يستشهد أهل الغفلة والجهل بقول ابـن مشيش رحمـه الله اذ لولا الواسطة من غير فهـم لمعناها ، ومعناها ؛ على الصحيح انه يشير بها الى الحديث الضعيف ولذلك ذكره بصيغـة التمريض لضعفه فقال : اذ لولا الواسطة لذهب كما قيل الموسوط ولفظ الحديث لولا محمد لم تخرج الدنيا من العدم . ومعناه لولا وجوده صلى الله عليه وسلم لاستمرت الدنيا على عدمها ولم توجد ؛ فوجوده صلى الله عليه وسلم سبب وعلة فى وجودها ؛ فلو كانت ضرورته الى الدنيا لكان وجـوده معلولا ومسببا عن وجودها ولكن المعنى على الاول ، ولذلك قال الامـام البوصيرى رحمه الله مستفهما استفهاما انكاريا :

وكيف تدعو الى الدنيا ضرورة مـن　　لولاه لم تخرج الدنيا من العدم

وهو يشير الى حديث رواه الحاكم : فى توبة آدم من صورة الخطيئة سأله بحق محمد صلى الله عليه وسلم الذى رآه مكتوبا فى قوائم العرش فى الجنة فقال له سألتنى بحقه أن اغفر لك وقد غفرت لك ولولاه ما خلقتك ، فوجود آدم أبو البشر متوقف على وجوده صلى الله عليه وسلم ، فواسطته هى التى كانت سببا فى ايجاد هذا الكون ، ولولاه لبقى ما كان على ما كان عليه من العدم السابق للموجودات الحادثة . ثم بعد ايجادها اختصه مـولاه بالوجود فى أمته التى هى آخر الامم ، ثم أرسله اليها والى من سواها مـن المكلفين ، قال تعالى : ولكن رسول الله وخاتم النبيئين » وهو صاحب الشفاعة العظمى يوم القيامة . لقوله صلى الله عليه وسلم دعوت الله فى ثلاث . فاستجاب لى اثنين . وهما : الشفاعة يوم القيامة . وأن يكون رزق أمتى الكفاف . ومعنى الثالثة وهى أن لا يجعل باس أمتى فيما بينها . وذلك لحكمة سبق بها القضاء الازلى . فدعاؤه صلى الله عليه وسلم لا يغير شيئا من القضاء والقدر الذى جرى به علم الله فى خلقه أزلا حتى لا يتغير نظام الكون لارتباط أسبابه بعضها ببعض . وقد جاءنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ببيان كل ما يحذره المومن على ايمانه ودينه من مزالق الشيطان ، من ذلك قول الله تعالى : فلا تجعلوا لله أندادا وأنتم تعلمون » وعن ابن مسعود رضى الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : مـن مات وهو يدعو من دون الله ندا دخل النار . رواه البخارى ، وقال تعالى : انه من يشرك بالله فقد حرم الله عليه الجنة ومأواه النار » وقال : لئن أشركت ليحبطن عملك » والند فى الآية والحديث المثل والشبيه ، فمن دعا ميتا أو غائبا وأقبل عليه بوجهه وقلبه رغبة اليه ورهبة منه سواء سأله أو لم يسأله فذلك هو الشرك الاكبر الظاهر الذى لا يغفره الله الا بالتوبة منه ، وهو محبط لاعمال الخير من صلاة وصيام وصدقة وحج وغير ذلك مـن أعمال البر ، ولذلك حرم الله اتخاذ الشفعاء من الاموات بالمعنى اللغوى الاول ، وأنكره على من فعله أشد الانكار ، لكونه يتنافى مع الاخلاص للـه المطلوب من كل مسلم فى آية قول الله تعالى : وما أمروا الا ليعبدوا اللـه مخلصين له الدين » اذ التوجه لغير الله بالقلب والنية والاقبال عليه فـى كل ما يخافه العبد أو يرجوه من ربه وخالقه مناف ومباين لعقيدة التوحيد

القرآنية ، لانه محض اتخاذ الند مع الله الذى هو ممنوع شرعا وعقلا ويعاقب الله تعالى عليه بالخلود فى النار . فالحذر الحذر يا أهل الايمان بالله من هذه المزالق الشيطانية التى أوقع فيها من كان قبلنا من الامم الغابرة التى غرها الشيطان وزين لها عبادة الطاغوت وضحت من أجل اثباته فى الارض بالنفس والنفيس ، والعياذ بالله من عمى القلب والخذلان وعدم اتباع القرآن : ما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا » وعن أبى هريرة رضى الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : اجتنبوا السبع الموبقات ، قالوا يا رسول الله ، وما هن ؟ قال : 1 — الشرك بالله . و 2 — السحر ، و 3 — قتل النفس التى حرم الله الا بالحق ، و 4 — أكل الربا ، و 5 — أكل مال اليتيم ، و 6 — قذف المحصنات الغافلات المومنات . و 7 — التولى يوم الزحف . رواه البخارى وقال عليه الصلاة والسلام : من عمل عملا ليس عليه أمرنا فهو رد . وفى الصحيح أيضا عنه عليه الصلاة والسلام قال : يقول الله تعالى : أنا أغنى الشركاء عن الشرك من عمل عملا رياء أشرك فيه غيرى فأنا منه برىء ، وهو كله للذى أشرك . واذا قال العلماء : العبادات مبناها على التوقيف ، لا يحل لامرىء مسلم أن يقدم على أمر حتى يعلم حكم الله فيه . وورد عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه فى الصحيحين انه قبل الحجر الاسود وقال : والله لاعلم أنك حجر لا تضر ولا تنفع ، ولولا أنى رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقبلك ، ما قبلتك ، والله تعالى أمرنا باتباع الرسول وطاعته وموالاته ومحبته ، وأن يكون الله ورسوله أحب اليه مما سواهما . ولعمرى ان هذا لهو ايمان القرآن الكريم الذى جاء به رسول الله صلى الله عليه وسلم الصادق الامين وهو الاعتقاد النقى لكل من آمن بالله واليوم الآخر من جميع المومنين المتقين.

وأما مفهوم الشفاعة عندنا نحن معشر المسلمين فعلى المفهوم اللغوى الثانى وهو مخالف للمعنى اللغوى الاول الذى عليه المشركون ، اذ يقال شفع فلان لفلان فى مطلبه وحاجته أى سعى له فيه ، والمشفع بالفتح اسم مفعول هو المطلوب له الشفاعة والمقبولة منه ، والمشفع بكسر الفاء والتشديد اسم فاعل وهو الذى ياذن فى الشفاعة ويقبلها ، وليس هو الا الله سبحانه وتعالى لا رب سواه ، وقد نصت السنة المطهرة ان الشفاعة بهذا المعنى مشروعة ومرجوة ينتفع بها المومن المسلم فى الدنيا والآخرة ،

بل هى التى سيفتقر اليها كل الامم فى الموقف العظيم ، وهو مذهب أهل السنة والجماعة خلافا للمعتزلة . وأدلتها ثابتة فى الكتب الصحيحة وقد اضربت عن حديث الشفاعة لطوله وشهرته . وفى صحيح مسلم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : لكل نبى دعوة مستجابة فتعجل كل نبـى دعوته ، وانى اختبأت دعوتى لشفاعة يوم القيامة فهى نائلة ـ أى نافعة ـ ان شاء الله تعالى من مات من أمتى لا يشرك بالله شيئا . وفى صحيح البخارى عن أبى هريرة رضى الله عنه انه قال : قلت يا رسول الله أى الناس أسعد بشفاعتك يوم القيامة ؟ فقال : أسعد الناس بشفاعتى يوم القيامة . من قال لا الاه الا الله خالصا من قلبه .

والتوحيد الخالص هو أصل الدين ومرضاة رب العالمين . وهو الذى لا يقبل الله من الاولين والآخرين دنيا غيره . وقد نفى فيه أن تكون عبادة الوثنية من امر الله أو بأمر الله فقال : وسئل من ارسلنا من قبلك مـن رسلنا أجعلنا من دون الرحمن آلهة يعبدون » وقال : وما ارسلنا من قبلك من رسول الا يوحى اليه أنه لا الاه الا أنا فاعبدون » وقال : وأنا اخترتك فاستمع لما يوحى اننى أنا الله لا الاه الا أنا فاعبدنى واقم الصلاة لذكرى ان الساعة آتية أكاد أخفيها لتجزى كل نفس بما تسعى فلا يصدنك عنها من لا يومن بها واتبع هواه فتردى » وقد نص العلماء على ان للنبى صلى الله عليه وسلم شفاعات أخرى غير الشفاعة العظمى التى هى مختصة بـه صلى الله عليه وسلم بل هناك شفاعات أخرى لغيره من باقى الانبيـاء والعلماء والصالحين ، حتى انهم ليتجاسرون عليها بسبب شفاعته صلى الله عليه وسلم فهو الذى يفتح لهم باب الشفاعة ، وقال العلامة شيخ الاسلام ابن تيمية وشفاعتهم فى الآخرة فيها اظهار كرامة الله لهم يـوم القيامة فهى من جملة كراماتهم بعد الموت ، ويستثنى من حساب أهل الموقف من تنالهم الشفاعة من هذه الامة لقوله صلى الله عليه وسلم يدخل الجنة من أمتى سبعون الفا بغير حساب فقيل له : هلا استزدت ربك ؟ فقال : استزدته فزادنى ثلاث حثيات بيده . أو كما قال : ثلاث دفعات من غير حصر الحديث . وفى رواية من الصحيح ان النبى صلى الله عليه وسلم قال : اهل الشفاعة سبعون الفا ، قيل من هم يا رسول الله ؟ قال : هم الذين لا يسترقون ولا يكتوون وعلى ربهم يتوكلون . وفى الحديث عنه عليه الصلاة

والسلام قال : اكثروا من معرفة الاخوان فان لكل مومن شفاعة . وقال عليه الصلاة والسلام : ائمتكم شفعاؤكم فاختاروا من يشفع لكم . ولكل واحد من اقطاب أهل البيت النبوى شفاعة ، ولكل واحد من اتقياء حملة القرآن شفاعة ، وادلة ذلك معلومة من السنة المطهرة لمن وعاها . واصدق شاهد فى الموضوع قصة بريرة المروية فى صحيح البخارى ، وهى ان امراة مملوكة كانت متزوجة من رجل مملوك اسمه مغيث فكاتبها سيدها ، ولما ادت آخر نجم من الكتابة أصبحت حرة وأصبح أمرها بيدها لحكم الشرع لها بالخيار ، فاختارت الفراق من زوجها مغيث . فكان زوجها مغيث يمشى فى سكك المدينة وقد بلت دموعه لحيته من شدة ما يجده من حبها ، وبقدر ذلك يكون هو أبغض الناس اليها . وكان النبى صلى الله عليه وسلم اذا رآه يقول لاصحابه : الا تعجبون من حب مغيث بريرة . وبغض بريرة لمغيث، وذات يوم قال لها : هلا راجعت مغيثا يا بريرة ؟ فقالت : افتامرنى يارسول الله ؟ قال : لا . انما أنا شافع . فقالت : اذا لا حاجة لى فيه . أى ساع لـــه فى حاجتـــه .

ولعل الشيخ ابن مشيش ممن يحظى بسعادة هذه الشفاعة لمقامـــه الرفيع عند ربه واحد اهل بيت النبى صلى الله عليه وسلم وخاصتهم ولذلك طلب من الله ان من كتب له الشقاء لا يصل اليه ، واذا وصل اليه شفعه فيـــه يـــوم القيامـــة .

هدايـــا الحيـــوان المذبـــوح عنـــد أضرحـــة الاوليـــاء

ان الاولياء يتأذون من ذلك اكبر اذاية ، وفاعل ذلك آثم ومحاسب يوم القيامة لانه من اكبر الاساءات واشنعها الى أولياء الله ، وفاعل ذلك هم العوام وحدهم وليس للعلماء فى ذلك راى ، ولذلك فهم بريئون ممـــا يفعلون ، لان ذلك من اقبح العادات واشنعها واخسها شرعا ولانه من افعال الجاهلية ووحى الشيطان ، فقد جرت العادة بين العوام بذبح الحيوان عند اضرحة الاولياء ، ومما هو اشنع واقبح عند الله من ذبحه هو التطواف به حول الضريح حيا او مذبوحا ، وذلك كله من وحى الشيطان الى جهلة العوام وسفهائهم ، وليس من شريعة الله ، بل هو من عادات الجاهلية ، وكل ما كان من فعل الجاهلية فهو مناف لعقيدة الاسلام ، ولتعاليم الايمان ،

هب أن العلماء تكلموا وأنكروا لكن لم يوخذ برأيهم من وجهين : 1 — هو ان غلبة الجهل واستحكام العادة غلبت على الاخذ برأى العلم ، و 2 — الجهال لا يخضعون فى مثل هذا الا لاوامر السلطة ، والسلطة اما جاهلة ، واما مهملة ، وهى فى كلا الوجهين مهلكة ، وقد انضم الى ذلك جبن من ينتمى الى العلم وتملقهم ، حتى تكرر ذلك وفعل بمحضرهم ولجبنهم لم يوجد من ينكره منهم ، ولحضورهم وسكوتهم أصبح فى نظر الجهلاء كأنه أعطيت له صفة شرعية ، فأخذ استمراره مع السنين والاعوام وقطع أجيالا بين العوام واعلم انه قد تبرأ كل ولى لله فى حياته وأصبح مؤذى بعد موته من هذه العادات الجاهلية التى تؤذى أولياء الله وتسىء اليهم فى قبورهم ، وقد تقدم أن الارواح على القبور ترى ما يراه الاحياء ، ولا شك انهم يساء اليهم بهذه العادات التى التصقت بالمسلمين أنجرت اليهم من أهل الشرك الذين كانوا يستنجدون ويستشفعون بانداده ، ويذبحون لديهم كى يتوسطوا لهم مع الله ، ويمدوا لهم بالنجدة والاغاثة ، وخصوصا انهم كانوا يفعلـــون ذلك عند الشدائد والملمات فى الجاهلية ثم رجع الى المسلمين واستحكم استحسانه فى عقل كل جاهل وجاهلة فأصبح مع مرور الازمان من العادات الحاكمة . فلم يبق فى عقولهم الطائشة مع ذلك لحكم الشرع مجال ، وبذلك قد يكون الشيطان أصبح متمكنا من العبث بعقولهم وأعماهم عن الرجوع والاخذ بتعاليم دينهم ، حتى يعلموا ما هو حكم الله فى ذلك ، كى يتوصل من ذلك الى فساد عقيدتهم وأعمالهم ، والقرآن يتلى على ألسنتهم : وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا » فكل من اعتقد ان هذه العادات من الدين فقد ارتكب حراما وأساء بفعله هذا الى الاسلام والمسلمين ، وأصبح ملوثا ايمانه ودينه بشرك المشركين وقد قال الله تعالى فى هؤلاء : وما يومن أكثرهم بالله الا وهم مشركون » فماذا يقولون بعد هذا ؟ والقرآن يقول : لئن اشركت ليحبطن عملك » ومعناه : ان من ارتكب ذلك فقد ذهب ايمانه بالوحدانية ، وبطلت صلاته وصيامه ، وصدقاته وحجه الا ان يتوب ، ومن تاب فقد استأنف عملا جديدا بعد التوبة ، فكأنه الآن أصبح مومنا بالله ولم يرجع له ما تقدم لانه افسده الشرك ، وهذا هو الخطر على حياة التوحيد والايمان بالله والعمل الصالح . وهذا من الشرك الاكبر الذى لا يغفره الله الا بالتوبة منه ، والذى جاءت الديانات السماوية بحرب اهله عبر عصور الخليقة الى عهد نزول القرآن ، ويجب على جبلة المسلمين ان يقلدوا علماء وقتهم فى دينهم ،

وأن لا يقدموا على أمر حتى يستفتوهم ويصدروا حكم الله بفتواهم . ويفعلوا ذلك في كل ما هو من شأن دينهم حتى يستووا على نهج الشريعة الغراء التى نهارها كليلها وليلها كنهارها لا يزيغ عنها الا هالك ؛ وبذلك يباعدوا دين الاسلام الطاهر وأولياء الله مما هما بريئان منه ؛ ولا يلوثانهما بأعمال الشرك وارى ان الحل هو بيد صاحب الهدية فى ذلك ؛ لو وضعها فى يد مستحقها وتذبح فى أى مكان بعيد عن الاضرحة ؛ وتوجه الى القبلة ويذكر عليها اسم الله ؛ ثم ان من حق آخذ الهدية أن يكافىء المهدى بدعواته الصالحة ويتوجه الى الله فى قضاء حاجاته ؛ ويدعو له حتى يظن انه قد كافاه ؛ وهذا هو الوجه المشروع . لقوله صلى الله عليه وسلم : من أسدى اليكم معروفا فكافئوه ؛ فان لم تجدوا ما تكافئونه به فادعوا له حتى تظنوا انكم قد كافأتموه . وكن أيها الممتثل لامر الله متيقنا من اجابة رغباتك ؛ وربحت الاجر العظيم على عملك حيث انك لم تؤذ ولى الله بدم هديتك واجتنبت أنواعا من البدع المحرمة عليك . قال تعالى : ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات انا لا نضيع أجر من احسن عملا » وقد تقدم فى الحديث : دعاء المسلم لاخيه المسلم مستجاب ما لم يدع بظلم أو قطيعة رحم . أى ما لم يرتكب حراما . وينبغى لصاحب الهدية أن يحسن ظنه ونيته لقول الله تعالى : ان يعلم الله فى قلوبكم خيرا يؤتكم خيرا » وليسلم ارادته لله الذى هو العالم بأسرار عباده والمدبر لشؤونهم وحده لا شريك معه يعينه أو يتوسط لهم فى شؤون الغيب الا ما كان من الامر المشروع ؛ وهذا هو الايمان الذى ينبغى أن يكون عليه المسلم المحمدى ؛ ولا يستجيب الله من الدعاء الا ما كان موافقا للشرع ؛ لان الله لا مكره له . وفى ذلك يقول امام الائمة والنجم الثاقب ؛ وعالم العلماء مالك ابن انس رحمه الله :

وخير أمور الدين ما كان سنة   وشر الامور المحدثات البدائع

واما ما يقدمه المرضى فى سبيل شفائهم من هدايا الدجاج ويذبح فى أضرحة الاولياء فان ذلك للجن فيه مجال ؛ وذلك لما فيه من اغراضهم التى ينتفعون منها ؛ ومن ذلك جريان الدم ؛ وما احل لمومنهم من ريحة العظم بعد اكل اللحم ؛ وكأنهم رجعوا بالمسلمين من الانس الى ما كان بينهم وبين المشركين فى الجاهلية ؛ وهو ما حكاه القرآن عنهم فى سورة الجن قال تعالى : وانه كان رجال من الانس يعوذون برجال من الجن فزادوهم رهقا »

اى زاد الانس الجن اثما وطغيانا . وزاد الانس كفرا أو اشراكا بالله وارهاقا أى زاد الجن الانس خوفا وارهابا وذعرا لكى يدموا على التعــوذ بهم . كما ياتى فى حق الاستغاثة وكان النوع الاول هو من أعمال الشياطين وفتنهم للانس من المسلمين وهذا النوع الثانى هو من أعمال الجن وفتنهم لجنس الانس من المسلمين أيضا . وعليه فهما متقاربان فى الجنس والاعمال الخبيثة ؛ ولكن ينبغى لمن قدم هدايا الدجاج من المرضى ولا يقدمونها الا كرها رغبة فى أن يجدوا شفاء . وكثيرا ما يجدونه . أن يعتقد بعد شفائه انــه فعل أسبابا وأتاه الشفاء من الله عندها لا أن الولى أجرى اتصالات غيبية فيما بينه وبين الله فاتى لاهل هدايا الدجاج المذبوح عند أضرحتهم بالشفاء . فان هذا الاعتقاد خطأ فاسد يجر بصاحبه الى الاشراك بالله والعياذ بالله فيصبح متحدا مع النوع الاول فى الاغواء والاضلال : وليحذر الذين يخالفون عن امره أن تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب أليم » والجن يملك قدرة فعالــة من التسلط على النوع الانسانى فيصيبه بأذى فى جسمه وعقله كما أن الشياطين مثلهم فى اذاية الانسان واصابته بآفات فى نفسه وماله . الا من عصمه الله من اذايتهم ؛ وقد يكون تسلطهم على أهل الخير أكثر من غيرهم امتحانا لهم : لن يصيبنا الا ما كتب الله لنا » الا ما صرفه عنه معقباته . لقوله تعالى : له معقبات من بين يديه ومن خلفه يحفظونه من امر الله » أى بأمر الله ؛ وان معظم الشفاء من اصابات الجن والشياطين هو فى كتاب الله الا ان الناس جهلوا أسرار القرآن لان معرفة أسراره كانت متوقفة علــى التقوى التى كانت تقرب بين نوعى الجن والانس فى أخذ العلوم والمعارف والاسرار بعضهم عن بعض ؛ وقد انقطع الاتصال بين الجنسين منذ وطئت أقدام الاستعمار هذه البلاد المباركة ؛ قال الله تعالى : وننزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمومنين » وهذا النوع الاخير من الهدايا يرخص فيه لمرضى المسلمين من أجل الضرورة ؛ فان للضرورة فى شريعة الله أحكاما والقاعدة المقررة عند الفقهاء الضرورات تبيح المحظورات .

ومن اراد السلامة لدينه وايمانه ؛ وان يحيى على الايمان الصحيح حتى يموت عليه فلا يقرب شيئا من ذلك ولا يوافق عليه أحدا ؛ وليتب الى الله من كل ما صدر عنه فى ذلك على وجه الخطأ فان التقليد فى باب الاعتقادات فسق ؛ والجهل فى باب العبادات تعمد . ولن ينجو مرتكب ما ذكر من هذين

او احـــدهمــــا .

الولايـــة والاوليـــاء ومـــن هـــو الولـــى ؟

قال الله تعالى : هنالك الولاية لله الحق » وهى بفتح الواو وكسرها. فمعنى رواية الفتح النصر والتولى والتقرب . ورواية الكسر السلطـــان والملك . وكلاهما صفتان من صفات الله عز وجل . ومعنى الآية ان الله ينصر فى وقت الشدائد أولياءه المومنين على أعدائهم الكافرين . وينتقم لهم منهم . وقد اشتق الولى من الولاء بالفتح بمعنى القرب والعز والنصر . سموا بذلك لانهم المنصورون بالله المعززون به لا يطمعون فى شىء سوى فى القرب منه . وهو الولى بصيغة فعيل . أما بمعنى فاعل اى متول خدمة ربه بكل ما أمكنه بروحه وجسمه وماله . أو بمعنى مفعول أى تولى الله اكرامه وعطاياه ونفحاته ، فلم يكله لشىء سواه فحيث تولى الخدمة تولاه الله بالنفحة والنعمة ، وهو سر قوله فى الحديث القدسى يا دنياى اخدمى من خدمنى واتعبى من خدمك ومن هذا المعنى أطلق لفظ الولى علـــى المنهمك فى طاعة الله تعالى ففاضت عليه الانوار والاسرار ، ويجمع على أولياء لقول ابن مالك فى الالفية : وناب عنه أفعلاء ، ويشهد لمن كانت هذه صفاته أيضا الحديث القدسى : اذا تقرب عبدى منى شبرا تقربت منه ذراعا. واذا تقرب عبدى منى ذراعا تقربت منه باعا ، واذا أتانى يمشى أتيتـــه هـــرولـــة .

وورد لفظ الولى فى القرآن لمعان : 1 ـــ الولد وهو قوله تعالى : فهب لى من لدنك وليا » و 2 ـــ الصاحب وهو قوله تعالى : ولم يكن له ولى من الذل » و 3 ـــ القريب وهو قوله تعالى : يوم لا يغنى مولى عـــن مولى شيئا » أى لا ينفع الكافر القريب قريبه الكافر ، 4 ـــ العصبة وهى قوله تعالى : انى خفت الموالى من وراءى » 5 ـــ الولاية فى الدين وهى قوله تعالى : لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء » ، 6 ـــ القرابة او الصداقة أو العتق قبل الاسلام هو قوله تعالى : لا يتخذ المومنون الكافرين أولياء من دون المومنين » وقال ابو بكر الاصم : فى تعريف الولى أولياء الله هم الذين تولى الله هدايتهم ، وتولوا القيام بحق العبودية لله تعالى والدعوة اليه . وسئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن علامات الاولياء فقال : هم

الذين اذا رؤوا ذكر الله تعالى . قال العلماء : ويرجع سبب ذلك الى ظهور أنوار المعرفة الكائنة فى قلوبهم على ظواهرهم . وذلك هو معنى قوله تعالى : سيماهم فى وجوههم من اثر السجود » ومن علاماتهم أيضا انهم تقربوا الى الله بكل ما افترض عليهم . ويكونون مشتغلين بالله مستغرقى القلب فى نور معرفة جلال الله . والواحد منهم . فان رأى رأى دلائل قدرة الله وان سمع سمع آيات الله . وان نطق نطق بالثناء على الله ؛ وان تحرك تحرك فى طاعة الله وان اجتهد اجتهد فيما يقربه الى الله ؛ لا يفتر عن ذكر الله . ولا يرى قلبه غير الله . واذا كان العبد كذلك كان الله وليه وناصره ومعينه . وهو معنى قول الله تعالى : الله ولى الذين آمنوا يخرجهم من الظلمات الى النور » وقال العلامة الصاوى فى نظمه :

أرح قلبك العانى وسلم له القضـــا ... تفز بالرضى فالاصـــل لا يتحـــول
علامات أهل الله فينـــا ثـــلاثـــة ... ايمـــان وتسليـــم وصبر مجمـــل

وروى فى صفات أولياء الله عن ابن مالك الاشعرى قال : كنت عنـــد النبى صلى الله عليه وسلم فقال : ان لله عبادا ليسوا بأنبياء ولا شهداء يغبطهم الانبياء والشهداء بقربهم ومقعدهم من الله تعالى يوم القيامة ؛ قالوا وفى ناحية القوم أعرابى فجثا على ركبتيه ورمى بيديه ؛ ثم قال : حدثنا يا رسول الله عنهم من هم ؟ قال فرايت فى وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم البشرى فقال : هم عباد من عباد الله ومن بلدان شتى لم يكن بينهم أرحام يتواصلون بها . ولا دنيا يتبادلون بها يتحابون بروح الله يجعل الله وجوههم نورا ؛ ويجعل لهم منابر من لؤلؤة قدام الرحمن يفزع الناس ولا يفزعون ؛ ويخاف الناس ولا يخافون . وروى عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ان من عباد الله اناسا ما هم بأنبياء ولا شهداء ؛ يغبطهم الانبياء والشهداء يوم القيامة ؛ بمكانهم من الله ؛ قالوا يارسول الله : تخبرنا بأمرهم ؟ قال : هم قوم تحابوا بروح الله على غير أرحام بينهم ؛ ولا اموال يتعاطونها ؛ فو الله ان وجوههم لنور ؛ وانهم لعلى نور ؛ لا يخافون اذا خاف الناس ؛ ولا يحزنون اذا حزن الناس. وقرأ هذه الآية : الا ان أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون الذيـــن آمنوا وكانوا يتقون » والمعنى ان أولياء الله هم الذين اتصفوا بالايمان ؛ وهو الاعتقاد الصحيح المبنى على الادلة القطعية عقلا ونقلا ؛ وعليك بكتابى فى

ذلك ، المسمى العقيدة الناصعة للمسلم والمسلمة فانى ضمنت فيه من عقائد الامام الاشعرى ما اتفق عليه أهل السنة والجماعة بطريقة سهلة ، والتقوى وهى امتثال الاوامر واجتناب النواهى فى الظاهر والباطن وقال الامام القشيرى : من شرط الولى أن يكون محفوظا ، كما ان من شرط النبى أن يكون معصوما ، وكل من كان للشرع عليه اعتراض فهو مغرور مخادع ، وقال الامام الشافعى : وأبو حنيفة : اذا لم تكن العلماء أولياء الله فليس لله ولى ، وذلك فى العالم العامل بعلمه المخلص فى عمله ، وهم الذين قال الله تعالى فيهم : انما يخشى الله من عباده العلماء » أى به وقد عرفه النبى صلى الله عليه وسلم بقوله العالم من عقل عن الله فعمل بطاعته واجتنب سخطه . وبعد تحقيقهم فيما ذكر يعطيهم الله تعالى البشرى فى الحياة الدنيا ليحصل لهم اليقين والاطمئنان بقبول أعمالهم كى يزدادوا بذلك قوة فى ايمانهم واخلاصا فى العمل الصالح ، وذلك معنى قول الله تعالى: لهم البشرى فى الحياة الدنيا وفى الاخرة » وفسرت البشرى بحديث صححه الحاكم : الرؤيا الصالحة يراها الرجل الصالح أو ترى له . على أنه لم يبق من النبوة الا المبشرات ، وهى الرؤية الصالحة ، وفى الحديث الرؤيا الصالحة جزء من ستة وأربعين جزءا من النبوة . ومعنى الحديث ان مدة الوحى هى 23 سنة مضروبة فى اثنين يكن الخارج 46 نصفا من السنين ، الجزء الواحد منها ستة أشهر وقيل المراد بالبشرى فى الحياة الدنيا نزول الملائكة بالبشارة من عند الله عند الموت ويدل عليه قوله تعالى : تتنزل عليهم الملائكة الا تخافوا ولا تحزنوا وابشروا بالجنة التى كنتم توعدون » وقيل البشرى فى الحياة الدنيا : الثناء الحسن ومحبة الخلق لهم ، والمراد بهم اخيار الامة لا اشرارها لما بينهم من المعاداة لقوله تعالى : لا تجد قوما يومنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله ولو كانوا آباءهم او ابناءهم او اخوانهم أو عشيرتهم اولئك كتب فى قلوبهم الايمان وأيدهم بروح منه » وورد عن أبى ذر الغفارى رضى الله عنه ، قيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم : أرأيت الرجل يعمل العمل من الخير ويمدحه الناس عليه ، قال : عاجل بشرى المومن . وورد أيضا اذا أحب الله عبدا نادى جبريل فيقول له : انى احب فلانا فأحبه فيحبه جبريل ، ثم ينادى فى السماء ان الله يحب فلانا فأحبوه فيحبه أهل السماء ، ثم يوضع له القبول فى الارض. وقال بعض المحققين من العلماء : اذا اشتغل العبد بالله عز وجل استنار

قلبه وامتلأ نورا فيفيض من ذلك النور الذى فى قلبه على وجهه ، فيظهر عليه آثار الخشوع والخضوع فيحبه الناس ويثنون عليه ، فتلك عاجل بشراه بمحبة الله له ورضوانه عليه . وقيل البشرى فى الحياة الدنيا ظهور الكرامات ، وقضاء الحوائج بسهولة ، فكلما توجه المحبوب لشىء من أموره قضى له عاجلا . وأما البشرى فى الآخرة فهى الجنة .

والــولــى نــوعــان مجــذوب وسالك

والنوع الثانى هو الذى سقت هذا البحث من أجله لشمول نفعــه لعامة المومنين . وأما النوع الاول فانه سريع الخطر لفقدان التكليف . وكونه فى غيبوبة عن عقل التمييز ، ولذلك أسقط عنه التكليف . وخرج شرعا عن مستوى المكلفين . ولذلك نهى الشرع عن الاتيان اليه والتبرك به لانه قــد يصدر عنه ما هو ممنوع شرعا فى حق المكلفين ولا شىء عليه لان التكليف منوط بالعقل ، وهو لا عقل له . ويحرم على النساء السعى اليه . لان روحه مع الملكوت وغريزته مع الحيوانات . والنوعان متعاكسان بداية ونهاية . فبداية المجذوب نهاية السالك ، وبداية السالك نهاية المجذوب . وفى الحكم لابن عطاء الله : فارباب الجذب يكشف لهم عن كمال ذاته ، ثم يردهم الى شهــود صفاته ، ثم يرجعهم الى التعلــق بأسمائــه ثم يــردهم الــى شهود آثاره . والسالكون على عكس من هذا لكن لا بمعنى واحد وربما التقيا فى الطريق هذا فى ترقيه ، وذلك فى تدليه ، قال ابن عباد فى شرحه : فعباد الله المخصوصون بالقرب منه والوصول اليه ، ينقسمون الى قسمين : سالكين ومجذوبين . فشأن السالكين الاستدلال بالاشياء عليه ، وهم الذين يقولون : ما رأينا شيئا الا ورأينا الله بعده ، وشأن المجذوبين الاســتدلال به على الاشياء وهم الذين يقولون : ما رأينا شيئا الا ورأينا الله قبله ، ولا شك ان الدليل أبدا أظهر من المدلول ، فأول ما ظهر للسالكين الآثــار ، وهى عالم الافعال ، فاستدلوا بها على الاسماء ، وبالاسماء على الصفات ، وبالصفات على وجود الذات ، ولهذا قال الامام ابن عاشر :

أول واجــب علــى مــن كلفــا ممكنــا مــن نظــر أن يعــرفــا
اللــه والرســول بالصفــات ممــا عليهــا نصب الايــات

فكان حالهم الترقى والصعود من أسفل الى أعلى ، وأول ما ظهر

للمجذوبين حقيقة كمال الذات المقدسة ، ثم ردوا منها الى مشاهدة الصفات، ثم رجعوا الى التعلق بالاسماء ، ثم أنزلوا الى شهود الاثار ، وهى كما أجاب عنها الاعرابى : لما سئل عن معرفة الله فقال : ارض ذات فجاج ، وسماء ذات أبراج ، وبحر ذات أمواج والبعرة تدل على البعير ، واثـــر القدم يدل على المسير ، أفلا تدل هذه على اللطيف الخبير ؟ . وهى آثـــار قدرته تعالى ، فكان حالهم التدلى والنزول من أعلى الى أسفل فما ابتدأ بــــه السالكـــون من شهود الآثار ، اليه انتهاء المجذوبين بـــلا اختيـــار . وما ابتدأ به المجذوبون من كشف حقيقة الذات اليه انتهاء السالكين فـــى الدرجات ، لكن لا بمعنى واحد ، فان مراد السالكين شهود الاشياء لله ومراد المجذوبين شهود الاشياء بالله ، فالسالكون عاملون على تحقيق الفناء والمحو ، والمجذوبون مسلوك بهم طريق البقاء والصحو ، ولما كان شأن الفريقين النزول فى تلك المنازل المذكورة ، لزم التقاؤهما فى طريق سفريهما السالك مترق والمجذوب متدل . اعلم انه يقع الالتباس بين المجنون والمجذوب، لما بينهما من التشابه فى رفع التكليف اذا كان المجنون مطبقا ومن ثم يصعب التمييز بينهما على كثير من الناس ، فيحسبون المجنون مجذوبا والعكس ، والفرق بينهما ان المجذوب مخبر عن طريق الالهام ، وما كان كذلك لا يكذب، بخلاف المجنون فانه مخبر عن طريق الجن ، والجن يصدق قليلا ويكذب كثيرا، لانه ليس بمعصوم ، ووجه الشبه بين الطرفين هو فقدان العقل فى كـــل ، وقال ابن عطاء الله : سبحان من لم يجعل الدليل على أوليائه الا مـــن حيث الدليل عليه ، ولم يوصل اليهم الا من أراد أن يوصله اليه . وقال ابن عباد فى شرح هذه الحكمة : لا دليل على الله سواه ، ولا وصول اليـــه بغيره ، وكذا أولياؤه ولما كان الوصول الى الله تعالى لا يكون الا بالعناية والخصوصية ، ويستحيل أن يكون بطلب او سبب ، كان أولياؤه المخصوصون بالقرب منه كذلك ، لما خلع عليهم الخلع العظيمة ، وتولاهم بمننه الجسيمة ، فاصطفاهم لنفسه ، واختصهم بمحبته وانسه وطهر أسرارهم من أنجاس الاغيار ، وصان قلوبهم بما أودع فيها من الانوار والاسرار . فكانوا لذلك صفوته من عباده ، وخباياه فى بلاده ، كما قيل فى بعض الاشارات عنـــه سبحانه : أوليائى تحت قبابى لا يعرفهم أحد غيرى ، فلم يجعل لاحد دليل عليهم الا من حيث الدليل عليه ، ولم يوصل اليهم الا من أراد أن يوصله اليه لانه يلبسهم لباس التلبيس بين الانام ، ويظهرهم بما يحقرهم فى أعين الخواص

والعوام ، فلم يكن لاحد دليل عليهم أو وصول اليهم . وقال فى ابتهاج القلوب لا تجوز صحبة المجذوب الذى مضى فى جذبه ، ولم يرجع الى تحقيق المقامات لانه ساقط التكليف . وصاحبه مكلف فيمرق بذلك من الدين كما تمرق الشعرة من العجين . وقال فى لطائف المنن : فأولياء الله أهل كهف الايواء فقليـــل من يعرفهم . ثم قال شيخه أبو العباس المرسى : معرفة الولى أصعب مـــن معرفة الله ووجه ذلك ان الله تعالى معروف بكماله وجماله وجلاله وعظمة قدرته .وكيف تعرف مخلوقا مثلك لا ياكل كما تاكل. ويشرب كما تشرب .وينام كما تنام .وهم أنواع عند صاحب أنوار القلوب .قال : ان لله عبادا ضن بهم على العامة . وأظهرهم للخاصة . فلا يعرفهم الا شكل مثلهم . أو محب لهم ، ولله تعالى عباد ضن بهم على الخاصة والعامة . وعباد اظهرهم للخاصة والعامة . ولله عباد يظهرهم فى النهاية ويسترهم فى البداية . ولله عباد لا يظهر حقيقة ما بينه وبينهم الا الحفظة الكرام فمن سواهم حتى يلقونه بما أودعهم منه فى قلوبهم وهم شهداء الملكوت الاعلى . والصفيح الايمن مـــن العرش . الذين يتولى الله قبض أرواحهم بيده . فتطيب أجسادهم به ، فلا يعدو عليها الثرى . حتى يبعثوا بها مشرقة قلوبهم بنور البقاء المجعول فيهم ببقاء الابد مع الباقى الاحد عز وجل . والعلة الموجبة لاخفاء الولى عن عامة المومنين من النعم العظيمة عليهم ، اذ لو ظهرت أسرار الولاية على أحد لاوجب على من ظهرت له حقوقا لا يقدر على القيام بها . ولو أظهرهم حتى يعرفهم الناس لكانوا حجة عليهم ، ومن خالفهم بعد علمه بهم كفر . ولكن الله بفضله ورحمته جعل اختياره تغطية أمورهم رحمة منه لخلقه ولكن الله تعالى قد نبه باظهار كراماته عليهم ، فقال عز وجل : الله ولى الذين آمنوا يخرجهم من الظلمات الى النور » فأفردهم به ، ولو أظهرهم حتى يبرزهم لكان فى النظر اليهم حجة ، ولكان الاستماع لحديثهم فرضا ، ومن أجل هذه النعمة ان تأخرت عقوبة المؤذين لهم عن المعاجلة ، لما ستر عليهم من عظيم شأنهم عند الله ، وفى هذا الستر نعمة عظيمة أيضا على الصالحين فى أنفسهم مـــن سلامة دينهم ، وقلة فتنهم ، كما هى أيضا نعمة جليلة على المنتهكين لحرمتهم اذ كانوا أساءوا اليهم من وراء حجا ب، فهذا لطف خفى من لطف المنعم الوهاب وقد ورد فى الحديث القدسى : من آذى لى وليا فقد آذنته بالحرب . فيكون الله تعالى هو الآخذ بالثار لوليه ممن أساء اليه فيهلك الكثير من الناس لكثرة المؤذين الى أولياء الله عز وجل لانها سنة معهودة بين الله تعالى وبين

أنبيائه وأصفيائه وأوليائه ، لقوله عليه الصلاة والسلام : أشدكم بلاء الانبياء ثم الاولياء . ثم الامثل فالامثل . وفى الصحيح قد جاء رجل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له : يا رسول الله انى أحبك حبا شديدا ، فقال يا هذا فان كنت صادقا فأعد للبلاء جلبابا . ! فقال له : وكيف ذاك يا رسول الله ؟ قال : ان البلاء الى من يحبنى أسرع منه من السيل الواقع فى أعلى التل الى الحضيض . وعن الجنيد رحمه الله : كنت ليلة نائما عند السرى السقطى فأنبهنى وقال لى : ياجنيد ، كأنى وقفت بيديه ، فقال لى : ياسرى ، خلقت الخلق فكلهم ادعوا محبتى . فخلقت الدنيا فهرب منى تسعة أعشارهم ، وبقى معى العشر فخلقت الجنة فهرب منى تسعة أعشار العشر . وبقى معى عشر العشر فسلطت عليهم ذرة من البلاء فهرب منى تسعة أعشار عشر العشر . فقلت للباقى معى : لا الدنيا أردتم . ولا الجنة أخذتم ، ولا من البلاء هربتم ، فماذا تريدون ؟ قالوا انك تعلم ما نريد . فقلت انى مسلط عليكم من البلاء بقدر أنفاسكم أتصبرون ؟ قالوا اذا كنت أنت المبتلى بالكسر فافعل ما تريد ، فقلت أنتم عبادى حقا . وهذه درجة من الطاعة لا تكون الا للواصلين من العارفين بالله .

أصناف الاولياء

قد اشتهر بين السادة الصوفية ما نقل عنهم من أن أولياء الله ينقسمون الى عدة أصناف ، منهم ابدال ، ونجباء ، وأوتاد ، وأقطاب والاصل فى ذلك ما أخرجه الامام أحمد فى مسنده قال : ذكر أهل الشام عند على بن أبى طالب ، وهو يومئذ بالعراق فقالوا العنهم يا أمير المومنين ، قال : لا ، سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : الابدال بالشام ، وهم 40 رجلا كلما مات رجل أبدل الله مكانه رجلا ، يستسقى بهم الغيث ، وينتصر بهم على الاعداء ، ويصرف بهم عن أهل الشام العذاب رجاله رجال الصحيح غير شريح بن عبيد ، وهو ثقة . وأخرج ابن عساكر فى تاريخه من طريق اخرى عن شريح بن عبيد الحضرمى قال : ذكر أهل الشام عند على ابن أبى طالب فقالوا : يا أمير المومنين العنهم ، فقال : انى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : ان الابدال بالشام يكونون وهم 40 رجلا بهم تسقون الغيث وبهم تنصرون على أعدائكم ، ويصرف عن أهل الارض

البلاء والغرق . قال ابن عساكر هذا منقطع بين شريح وعلى فانه لم يلقه ، وذكر الحافظ أبو محمد الخلال فى كتابه كرامات الاولياء بسنده عن أنس ابن مالك عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : البدلاء أربعون رجلا اثنان وعشرون بالشام ، وثمانية عشر بالعراق ، كلما مات منهم واحد أبدل الله مكانه آخر . فاذا جاء الامر قبضوا كلهم . فعند ذلك تقوم الساعة وأخرج ابن عدى عن انس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : ان بدلاء امتى لن يدخلوا الجنة بكثرة صلاتهم ولا صيامهم ولكن دخلوها بسلامة صدورهم وسخاوة نفوسهم . وأخرج ابن عساكر عن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان لله عز وجل فى الخلق ثلاثمائة قلوبهم على قلب آدم عليه السلام . ولله فى الخلق أربعون قلوبهم على قلب موسى عليه السلام ، ولله فى الخلق سبعة قلوبهم على قلب ابراهيم عليه السلام . ولله فى الخلق خمسة قلوبهم على قلب جبريل عليه السلام . ولله فى الخلق ثلاثة قلوبهم على قلب ميكائيل عليه السلام ، ولله فى الخلق واحد قلبه على قلب اسرافيل عليه السلام ، فاذا مات الواحد أبدل مكانه من الخمسة . واذا مات من الخمسة أبدل الله مكانه من السبعة . واذا مات من السبعة أبدل الله مكانه من الاربعين، واذا مات من الاربعين أبدل الله مكانه من الثلاثمائة ، واذا مات من الثلاثمائة أبدل الله مكانه من العامة . فبهم يحيى ويميت ، ويمطر وينبت ، ويدفع البلاء . قيل لعبد الله بن مسعود : وكيف بهم يحيى ويميت ؟ قال : لانهم يسألون الله اكثار الامم فيكثرون ، ويدعون على الجبابرة فيقصمون ، ويستسقون فيسقون ، ويسألون فتنبت الارض لهم ، ويدعون فيدفع الله بهم البلاء . وقد تكفل بجمع هذه الاحاديث وطرقها الامام الحافظ جلال الدين السيوطى فى جزء من كتابه الحاوى للفتاوى سماه الخبر الدال ، على وجود القطب والاوتاد والنجباء والابدال ، وروى الثعالبى بسنده الى الطبرانى قال : مات غريب عندنا بمكة المكرمة ، فأخرجناه الى باب المعلى وجلسنا لاصلاح دفنه ، فاستوى جالسا فقلنا الست قد مت ؟ قال بلى ، ولكن رجعت لاحدثكم وابشركم انفع ما عندنا محبة الصالحين وموالاتهم . وهذا من باب كرامة الاولياء فهى كرامة له ، وتحمل على محبة من كان منهم حيا لانه أقرب الى الانتفاع به شرعا من الميت ، ويؤيده الحديث الصحيح من قوله صلى الله عليه وسلم للرجل الذى سأله : متى الساعة ؟ قال :

ما أعددت لها ؟ قال : ما أعددت لها من كبير صلاة ولا صيام ولا صدقة ، ولكنى أحب الله ورسوله ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أنت مع من أحببت ، فقال الصحابة : فما فرحنا بشيء أشد من فرحنا بقول رسول الله صلى الله عليه وسلم انت مع من أحببت . وأما حب الاولياء الاموات ، فلا يعرف حدوده الا الخواص من العلماء العارفين بالله . وأما العامة فقد يجرهم الافراط فيه الى ما هو حرام محظور من الاشراك بالله وهم لا يشعرون ، وبالتالى الى فساد عقيدتهم التى هى رأس مالهم فى دائرة الايمان بالله ووحدانيته ، وهو ما يشاهد اليوم واقعا من افعال الكثيرين منهم ، رزقنا الله واياهم الانابة الى الصواب . فان العوام شانهم أن ينطلقوا من وراء العاطفة دون مراعاة حدود آداب الشريعة ، وهو أخطر ما يكون على ايمان العوام ، وخصوصا النساء الجاهلات لما نشأوا عليه من الافراط فى محبة الاولياء الاموات ، دون أن يرجعوا فى ذلك الى التخلق بالآداب العلمية ، ويفرقوا بين ما هو لله يجب أن يعطى لله وما هو لخلقه يجب أن يعطى لهم . وهنا يأتى مصداق حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم : اللهم لا يدركنى زمان ، أو لا تدركوا زمانا لا يتبع فيه العليم ، ولا يستحيى فيه من الحليم ، قلوبهم قلوب الاعاجم والسنتهم السنة العرب . وهذا الحديث منطبق على أهـــل زمـــاننــا .

كـــرامـــات الاوليـــاء حـــق

وكرامات الاولياء ثابتة بالاجماع ، وقال العلماء : كل ما صح أن يكون معجزة لنبى جاز أن يكون كرامة لولى ، وقال فى جمع الجوامع : كراما ت الاولياء حق . وأصلها من القرآن الكريم قوله تعالى : وكفلها زكرياء كلما دخل عليها زكرياء المحراب وجد عندها رزقا قال يا مريم انى لك هذا قالت هو من عند الله ان الله يرزق من يشاء بغير حساب » المراد مريم عليها السلام سيدة نساء العالمين ومنها كرامة أم موسى واسمها يوحانيذ ، وهى انها أرضعت ابنها بأجرة لفرعون وهو قول الله تعالى : فرددناه الى أمه كى تقر عينها ولا تحزن ولتعلم أن وعد الله حق » أى وعد الله لها برده اليها آخر الامر . ومن كرامات الاولياء ما حصل من الكشف لامير المومنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه ، فانه وجه جيشا لحرب فارس وأمر عليهم

سارية وبينما هو يخطب خطبة الجمعة بالمدينة المنورة ، اذ حصل له كشف ان الجيش قريب من السقوط فى يد العدو ولم يبق له للنجاة الا طريق الجبل، فناداه من أعلى منبر المدينة قائلا له ياسارية الجبل الجبل من سرى الذيب ظلم . فاستند الجيش الى الجبل فانتصر وبعد ان جاء سارية أخبر بأنه سمع نداء عمر من بلاد فارس . ومن كراماته ما كتبه لنيل مصر لما كتب له عامل مصر عمرو بن العاص ان النيل لا يزيد زيادته المعتادة الا أن القيت فتاة بكر كانت تشترى من أبيها ثم تحلى بأجمل الحلى كأنها زفت الى بيت زوجها ثم تغرق فى النيل فمنعهم الخليفة وكتب الى أمير المؤمنين عمر بالخبر ، فأجابه ومع الجواب كتاب أمره أن يلقيه فى النيل . وفيه : انك ان كنت تطلع من عند الله فاطلع . وان كنت تطلع من عند نفسك فلا حاجة لنا بك ، فطلع باذن الله ولم تلق فيه بعد ذلك فتاة وببركة عمر انقطعت تلك العادة الجاهلية والحمد لله . وروى عن ابن عباس رضى الله عنهما ان نارا كانت تأتى المدينة المنورة كل عام ، فشكى المسلمون ذلك لعمر رضى الله عنه فقال لغلامه خذ هذا الرداء . فاذا جاءت النار فأفرده فى وجهك ، وقل يانار هذا رداء عمر بن الخطاب فهى ترجع لوقتها . فلما جاءت النار ضج المسلمون فارين ، فأخذ الغلام الرداء . وخرج به الى ظاهر المدينة ، وفرده على وجهه كما أمره سيده وقال يانار ارجعى هذا رداء عمر بن الخطاب فرجعت فى الحال ولم تعد.

ومن كرامات أمير المؤمنين على بن أبى طالب . انه اقتلع باب حصن خيبر ، قيل اشترك فى جره أربعون رجلا ، ومن كراماته ان النبى صلى الله عليه وسلم اختصه بعلم الاسرار فصار وراثة لابنائه من ذرية الحسنين الى أن وصل الى جعفر الصادق عن أبيه محمد الباقر ، فدون وكتب وسمى كتاب الجفر ،والجفر لغة الصغير ثم صار هذا الاسم علما على هذا الكتاب، وظل سرا من أسرار أهل البيت ، وكان لهم فيه تفسير القرآن وما فى باطنه من غرائب الاسرار والمعانى ، مروية عن جعفر الصادق ، وكان هذا الكتاب من جلد ثور صغير ، والذى رواه عنه هارون العجلى ، وهو رئيس الشيعة الزيدية ، وكتبه وسماه الجفر باسم الجلد الذى كتب فيه ، وقد ظل مخفيا عندهم ، ولم يعرف أى شىء عنه غيرهم ، وانما كان يظهر منه شواذ من الكلمات قال العلامة ابن خلدون : ولو صح سنده الى جعفر الصادق لكان فيه نعم المستند من نفسه أو من رجال قومه ، فانهم أهل الكرامات ، واذا

كانت الكرامات تقع لغيرهم غما ظنك بهم علما ودينا وآثارا من النبوة وعناية الله بالاصل الكريم تشهد لفروعه الطيبة . وقد ينقل بين أهل البيت كثير من هذا الكلام غير منسوب الى أحد وقد ظهر الكثير منه فى دولة العبيديين ، والاخبار عنها ، وعلى ما عندهم من الاخبار عنها كانت تسير ، وقد صح عن جعفر الصادق رضى الله عنه انه كان يحذر بعض قرابته من وقائع تكون لهم فتصبح كما يقول ، ومن ذلك ما روى عنه أيام ضعف دولة بنـــى أمية من أنه قال : لابنى عمه الامام محمد النفس الزكية ، وأخيه يحيى بعد أن امتنع من البيعة لهما والله ليست لى ولا لكما ، وانما هى لصاحب القباء الاصفر ، يعنى أبا جعفر المنصور ، وكان قريبا منه ، ليلعبن بها صبيانهم وغلمانهم كما قال : رضى الله عنه . وكانت مدتهم ستة عشر أبا حسبما تقدم ، وقد حذر زيدا وابنه يحيى من مصرعيهما . فقتلا وصلبا فى زمن هشام ابن عبد الملك . ويقال انه انتقل الى المغرب وكان بيد ذرية عبد المومـــن والله أعلم . وهناك كرامات أخرى لاولياء من نساء أهل البيت . كالسيدة نفيسة بنت سيدنا حسن الانوار بن سيدنا زيد الابلج بن الحسن السبط كان مولدها بمكة المكرمة سنة 145 هجرية ونشأت بالمدينة المنورة على العبادة والزهد وحجت 30 حجة راجلة . وكانت تبكى من خشية الله بكاء كثيرا وتتعلق بأستار الكعبة وتقول : الاهى وسيدى ومولاى متعنى وفرحنى برضاك عنى فلا سبب لى أتسبب به يحجبك عنى . توفيت سنة 208 هجرية عن سن 63 سنة ، وهى دفينة القاهرة من بلاد مصر ، ومن كراماتها ان امرأة يهودية كانت تسكن بجوارها ، ولها ابنة مقعدة ، وارادت الخروج يوما لبعض قضاء حاجاتها فلم تجد من يحرسها لها الى رجوعها ، فذهبت بها الى السيدة المذكورة ، واستأذنتها فى ذلك ، فأذنت لها ، وأدخلتها وأجلستها فى ناحية من المنزل ، وانصرفت ، ولما دخل وقت الظهر قامت السيدة المذكورة فتناولت ماء للوضوء فتوضأت ، وصبت شيئا من فضلة ماء الوضوء على الصبية المقعدة ، فتمددت أعضاؤها فانطلقت تمشى مشيا عاديا . فأسلمت اليهودية واهل بيتها . ومن كراماتها انه حصل جدب فى مصر ولم يطلع لهم النيل فى وقته واستسقوا حتى اشتد الامر بهم ثم ذهبوا الى السيدة المذكورة، وتوسلوا بها الى الله ، وسألوها الدعاء فدعت لهم ، وأعطتهم قناعها فجاءوا به وطرحوه فى النيل فما رجعوا حتى رأوه زاد زيادة كريمة ، ففاض وارتووا ورويت زروعهم وكرومهم ، وكانت سنة خصبة ، ولها كرامات أخرى عديدة

رضى الله عنهـا .

وهناك بمصر جماعة من نساء أهل البيت لهم مزارات مشهورة ، ومساجد معمورة كالسيدة سكينة بنت الامام الحسين رضى الله عنهما ، والسيدة رقية بنت الامام على بن أبى طالب ، واختها السيدة زينب بنت الامام على وفاطمة الزهراء التى نفاها يزيد الى مصر ، والسيدة فاطمة بنت الحسين السبط ، والسيدة صفية والسيدة عائشة بنت الامام جعفر الصادق.

قال العلماء : ولا يجوز الافراط فى حب الاولياء الاموات لانه ذريعة الى الاشراك بالله اذ الافراط فى حبهم يقتضى تعظيمهم ، وتعظيمهم قد ينزلهم من القلب منزلة ليست لهم لان قلب المومن بيت لحب الله ولنور الايمان به ، ولا ينبغى أن يدخل البيت من ليس البيت له ، فاذا دخل البيت من ليس له ، فقد أصبح شريكا فى هذا البيت بلا اذن مولاه ، وليس من المعقول أن يصبح من لا ملك له شريكا لصاحب الملك بلا اذن منه ولا رضى ، وهو غرور من الشيطان اللعين وظلم للنفس مبين وأعظم الظلم ان يظلم الانسان نفسه ، رزقنا الله التثبيت من مزالق الشيطان ، ونور قلوبنا بالعلم والعرفان ، وروى ان أول من وقع فى الشرك وعبادة الاوثان من هذه الطريقة قوم نوح عليه السلام ، وكان سبب ذلك افراطهم فى حب قوم صالحين بعد موتهم ، وقصة ذلك كما فى صحيح البخارى عن ابن عباس رضى الله عنهما قال : صارت الاوثان التى فى قوم نوح تعبد عند العرب ، أما (ود) فكانت لكلب بدومة الجندل ، وأما (سواع) فكانت لهذيل ، واما (يغوث) فكانت لمراد ، ثم لبنى غطيف بالجرف عند سبا ، وأما (يعوق) فكانت لهمذان ، وأما (نسر) فكانت لحمير لآل ذى الكلاع ، فهذه أسماء رجال صالحين من قوم نوح ، فلمـا هلكوا اوحى الشيطان الى قومهم ، أن انصبوا الى مجالسهم التى كانوا يجلسون فيها انصابا ، وسموها بأسمائهم ، ففعلوا ، ولم تعبد حتى اذا هلك اولئك ونسى العلم عبدت . وقال ابن جرير : حدثنا ابن حميد قال : حدثنا مهران عن سفيان عن موسى عن محمد بن قيس ، ان يغوث ، ويعوق، ونسرا كانوا قوما صالحين من بنى آدم ، وكان لهم اتباع يقتدون بهم ، فلما ماتوا قال اصحابهم : لو صورناهم كانوا أشوق لنا الى العبادة ، فصوروهم، فلما ماتوا وجاء آخرون دب اليهم ابليس فقال : انما كانوا يعبدونهم ، وبهم يستقون المطر فعبدوهم . وكل من سلك مسلك الافراط فى التعظيم

بالاولياء الاموات والخروج فى شأنهم عن الآداب الشرعية فيما يتعلق بحبهم، لا يأمن من الوقوع فى مثل ما وقع فيه أولئك المشركون بالله . وهو متـام الخطر على ايمان هذه الامة المحمدية والعياذ بالله ، والعصمة من ذلك فى اتباع القرآن والسنة المطهرة .

ثــورة القــرآن على الشرك والعقــائــد الفــاســدة

لما جاءت الرسالة المحمدية وجدت الامة العربية التى كانت تسكن ما يعرف بشبه الجزيرة العربية أغلب سكانها يتدينون بدين الشرك ، وكانت الكعبة المشرفة فى مكة المكرمة مركز الشرك والمشركين . وكانت الاوثـان فى جوف الكعبة وعلى سطحها 66 صنما . والى جانبها صنمان همـا : اسكاف ونائلة . فاهتم القرآن بادىء ذى بدء بتحطيم عقيدة الشرك متوعدا أهله بنار جهنم . وكان فى طليعة من اهتم القرآن بتحطيمه أيضا عقيدة أهل الكتاب . واشدهم تعنتا للاديان اليهود . فقال تعالى : ان الذين كفروا من اهل الكتاب والمشركين فى نار جهنم خالدين فيها أولئك هم شر البرية » وقال فيما انطوت عليه عقائدهم من احتقاد وبغض وعداوة لاهل الايمان بالله : لتجدن أشد الناس عداوة للذين آمنوا اليهود والذين أشركوا » ثم استرسل فى النهى عن الشرك وتقبيحه بجميع أنواعه فقال تعالى : واذ قال لقمـان لابنه وهو يعظه يا بنى لا تشرك بالله ان الشرك لظلم عظيم » ووجه كونه ظلما للنفس عظيما بل هو أظلم الظلم ، ما روى عن ابن مسعود رضى الله عنه أظلم الظلم ان تجعل لله ندا وهو خلقك . ولانه اغتصاب حق الربوبية من العبادة والدعاء والنذر والتعوذ والاستغاثة ، وصرفها للعبد الذى لا يستحقها بل سيتبرأ منها ومن أهلها ، وهو معنى قوله تعالى : واذا حشر الناس كانوا لهم أعداء وكانوا بعبادتهم كافرين » وقال تعالى : ولا تدع من دون الله مالا ينفعك ولا يضرك فان فعلت فانك اذا من الظالمين » والمشرك ضال عن الصراط المستقيم . قال تعالى : ومن أضل ممن يدعو من دون الله من لا يستجيب له الى يوم القيامة وهم عن دعائهم غافلون » هذه الآيـة الشريفة تصرح تصريحا واضحا بأنه ليس هناك من مخلوقات الله ضال عن طريق الحق مثل المشرك الذى يطلب حوائجه الدنيوية من جماد مخلوق لا يسمع ولا يبصر عاجز عن نفع نفسه فهو غافل عن عابديه وداعيه ، ولا يمكن

ان يستجيب لهم بشيء الى يوم القيامة ؛ لانهم لا يملكون كشف الضر عنهم ولا تحويله ؛ وقال تعالى متحديا عبدة الاوثان : قل ادعو الذين زعمتم من دونه فلا يملكون كشف الضر عنكم ولا تحويلا » وقد أخبر سبحانه وتعالى : ان هذه الشركاء التي تدعى من دون الله سيجمعهم الله تعالى يوم القيامة بعابديهم وداعيهم ويسالهم عن تعبد ودعاء عابديهم وداعيهم فيتبرأون منهم الى الله وهو أعلم . ويعتذرون له بقولهم : ما أمرناهم بعبادتنا . ولا شعرنا بعبادتهم ايانا ؛ وهو قوله تعالى : واذا حشر الناس كانوا لهم أعداء وكانوا بعبادتهم كافرين » وقال تعالى في أهل الكتاب من اليهود والنصارى : وقالت اليهود عزير ابن الله . وقالت النصارى المسيح ابن الله ذلك قولهم بافواههم يضاهون قول الذين كفروا من قبل قاتلهم الله انى يوفكون اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابا من دون الله والمسيح ابن مريم وما امروا الا ليعبدوا الاها واحدا لا الاه الا هو سبحانه عما يشركون » وقال تعالى في وصف هذه الدعاوى الباطلة : لقد جئتم شيئا ادا يكاد السموات يتفطرن منه . وتنشق الارض وتخر الجبال هدا . ان دعوا للرحمن ولدا وما ينبغي للرحمن ان يتخذ ولدا ان كل من في السموات والارض الا آتى الرحمن عبدا لقد احصاهم وعدهم عدا وكلهم آتيه يوم القيامة فردا » ويقول القرآن في الذين الفوا تقديس الشخصيات البشرية : يا أهل الكتاب تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم أن لا نعبد الا الله ولا نشرك به شيئا ولا يتخذ بعضنا بعضا أربابا من دون الله » ان القرآن يدعو جميع البشر الى كلمة التوحيد التى هى لا الاه الا الله محمد رسول الله ؛ فبهذه الكلمة يكونون سواسية فيما بينهم متآخين فيها متحابين في الاجتماع عليها حتى لا يكون بينهم فيها خلاف . وهو مع ذلك يدعوهم الى عبادة الله وحده ، وينهاهم عن أن يشركوا بالله وأن يتخذ بعضهم بعضا أربابا من دون الله . وعن عدى بن حاتم ما كنا نعبدهم يا رسول الله ، قال : أليس كانوا يحلون لكم ويحرمون فتاخذون بقولهم ؟ قال : نعم ، قال : هو ذلك . وهو الحق سبحانه له المثل الاعلى في السموات والارض ، وهو العزيز الحكيم أى الوصف الاعلى الذى لا شيء فيه لغيره ، وقد عرف به ، ووصف في السموات والارض على السنة الخلائق ومنطق الدلائل، وهو القادر الذى لا يعجز عن شيء من انشاء واعادة ؛ وغيرهما من المقدورات ؛ وهو الذى يجرى كل فعل على قضايا حكمته وعلمه . وعن

ابن عباس رضى الله عنهما : المثل الاعلى هو : ليس كمثله شىء وهو السميع البصير » وعن مجاهد هو قول : لا الاه الا الله . ومعناه : وله الوصف الارفع الذى هو الوصف بالوحدانية فى الذات : والصفات : والافعال . ثم يأتى القرآن ويصور لنا حالتهم فى النار . ويقول : يوم تقلب وجوههم فى النار يقولون ياليتنا أطعنا الله وأطعنا الرسولا » اى لما ندموا على طاعتهم الشخصيات . تمنوا حيث لا ينفعهم التمنى . ووجوههم تقلب فى النار . وتقليبها هو صرفها فى الجهات كما تصرف البضعة التى تدور فى القدر اذا غلت . وكان التعبير بالوجوه خاصة لانها أكرم موضع على الانسان من جسده . وهو من باب ذكر البعض وارادة الكل مجازا ثم يسترسل ويقول : وقالوا ربنا انا أطعنا سادتنا وكبراءنا فاضلونا السبيلا » والمراد بالرؤساء حكامهم الكفرة . وهم على صنفين : رؤساء السوء وعلماء السوء . ولذلك وقع عطف بعضهم على بعض . فقال : سادتنا وكبراءنا . أى ذوى الجاه منا لانهما أضلوهما عن الصراط المستقيم : صراط الله الذى له ما فى السموات والارض » وضلال السبيل الخروج عنه . يقال : اضل السبيل . وأضله اياه : ولم يبق حينئذ بأيديهم الا انهم يسألون لهم مضاعفة العذاب . جزاء لهم على ما قاموا به من الاضلال لما كان لهم من التمكن فى رقابهم . فقالوا : ربنا آتهم ضعفين من العذاب والعنهم لعنا كثيرا » ثم استرسل القرآن على عادته فى أسلوب التصوير عن طريق الحوار بين الرؤساء والمستضعفين بما لم يبق فيه للوضوح مجال : فقال : ولو ترى اذ الظالمون موقوفون عند ربهم يرجع بعضهم الى بعض القول يقول الذين استضعفوا للذين استكبروا لولا انتم لكنا مومنين قال الذين استكبروا للذين استضعفوا أنحن صددناكم عن الهدى بعد اذ جاءكم بل كنتم مجرمين وقال الذين استضعفوا للذين استكبروا بل مكر الليل والنهار اذ تامروننا أن نكفر بالله ونجعل له أندادا وأسروا الندامة لما راوا العذاب » لقد أخبر سبحانه وتعالى عن عاقبة أمرهم فى الآخرة ، وما آل اليه أمرهم من الجدال فقال مخاطبا لرسوله صلى الله عليه وسلم ، او لكل من يتأتى منه الخطاب ولو ترى اذ الظالمون موقوفون محبوسون وهم يتجادلون أطراف المحاورة ويتراجعونها بينهم والجواب محذوف ، وهو لرايت العجب ، يقول الذين استضعفوا أى الاتباع للذين استكبروا أى الرؤساء والمتقدمين امامهم فى امورهم لولا انتم لكنا مومنين اى لولا دعاؤكم ايانا الى الكفر لكنا مومنين بالله ورسوله : قال الذين

استكبروا للذين استضعفوا أنحن صددناكم عن الهدى » أنحن حرف انكار أنكروا عليهم أن يكونوا هم الصادين لهم عن الايمان ، وأثبتوا عليهم انهم هم الذين صدوا عنه بأنفسهم ، وانهم أوتوا من قبل اختيارهم بعد ما جاءهم الايمان ثم أتوا ببل التى للاضراب وقالوا لهم بل كنتم مجرمين أى كافرين لاختياركم وايثاركم الضلال على الهدى لا بقولنا وتسويلنا ، وقال الذين استضعفوا للذين استكبروا والعطف هنا على طريق عطف جملة مستأنفة على مثلها لتضمنها لمعنى آخر بل مكركم بنا بالليل والنهار . ونسب المكر لليل والنهار لطول السلامة فيهما على سبيل المجاز حتى ظننا انكم على الحق اذ كنتم تأمروننا أن نكفر بالله ونجعل له أندادا وأشباها وأمثالا وشركاء . وهو بمعنى ابطال اضراب المستكبرين الاول كأنهم قالوا ما كان الاجرام من جهتنا بل من جهة مكركم لنا دائبا ليلا ونهارا وحملكم ايانا على الشرك واتخاذ الانداد . ثم أسروا الندامة أى أخفوها . أو أظهروها لما رأوا العذاب محيطا بهم لا محالة . والجحيم أمامهم ، والضمير للظالمين الاولين فندموا على ضلالهم واضلالهم . وندم المستضعفون أيضا على اتباعهم فى ضلالهم ، ثم ذكر جزاءهم فى النار بعد ما دخلوها فقال : وجعلنا الاغلال فى أعناق الذين كفروا هل يجزون الا ما كانوا يعملون » وهو عبارة عن جعل السلاسل فى أعناقهم جزاء لهم على ما صنعوا فى دار الدنيا . وربما ظن منافقوا ومشركوا أهل هذا الزمان ان هذا لغيرهم ، وهم فى مأمن وفى منأى عنه ، ومذهب أهل السنة والجماعة ان كل آية للوعيد فى القرآن الكريم فهى تجر ذيلها على العصاة من فجار هذه الامة لانه حكم الله العام لكل من سلك سبيل الضلال سواء من أهل هذه الامة أو من أمم أخرى قبلنا . ثم يسترسل القرآن فى التصوير والوصف فيقول : ومن الناس من يتخذ من دون الله اندادا يحبونهم كحب الله والذين آمنوا أشد حبا لله ولو ترى الذين ظلموا اذ يرون العذاب أن القوة لله جميعا وأن الله شديد العذاب اذ تبرأ الذين اتبعوا من الذين اتبعوا ورأوا العذاب وتقطعت بهم الاسباب وقال الذين اتبعوا لو ان لنا كرة فنتبرأ منهم كما تبرءوا منا كذلك يريهم الله أعمالهم حسرات عليهم وما هم بخارجين من النار » والمعنى ان القرآن يصور لنا فى هذه الآيات المتقدمة حال المشركين المقدسين للشخصيات البشرية الذين يعطون لها ما هو من صفات وحق الربوبية الالاهية ، وينزلونها منزلتها فى التعظيم والتقديس ، ويجعلون حبهم فيها سبيلا الى ذلك ، ويظهر ذلك التعظيم

فى الشفاعة بطلت شفاعته ، وهو معنى قوله : من ذا الذى يشفع عنده الا باذنه » وقوله : فما تنفعهم شفاعة الشافعين » وقوله : ولقد جئتمونا فرادى كما خلقناكم أول مرة وتركتم ما خولناكم وراء ظهوركم وما نرى معكم شفعاءكم الذين زعمتم أنهم فيكم شركاء لقد تقطع بينكم وضل عنكم ما كنتم تزعمون » ومن أوصاف متخذى الشفيع هى ان يقدسه ويرغب اليه ، ويدعوه ويرجوه ويعطيه من حب قلبه مالا يجعله لله وحده فهذه عبادة فمن صرف منها شيئا لغير الله فهو مشرك ، لانها تنافى الاخلاص المطلوب فى القربات الالاهية لله وحده . لقوله تعالى : ذلك بأن الله هو الحق وأن ما تدعون من دونه هو الباطل وأن الله هو العلى الكبير » وفى كونه هو صاحب الملك الاعظم يقول سبحانه وتعالى : الرحمن على العرش استوى له ما فى السموات وما فى الارض وما بينها وما تحت الثرى » جاء رجل الى الامام مالك يسأله عن الاستواء فأجابه بقوله : الاستواء معلوم والكيف مجهول ، والايمان بـه واجب ، والسؤال عنه بدعة وأراك رجلا سواء . وفى الايمان بوحدة الالوهية، والتخصيص بالشؤون الربوبية والعبادة ، يقول الله تعالى لرسوله موسى عليه السلام مخاطبا له فى أرض سيناء أرض البلاء قديما وحديثا : فلما أتاها نودى يا موسى انى أنا ربك فاخلع نعليك انك بالواد المقدس طوى وانــا اخترتك فاستمع لما يوحى اننى أنا الله لا الاه الا أنا فاعبدنى وأقم الصلاة لذكرى ان الساعة آتية اكاد اخفيها لتجزى كل نفس بما تسعى فلا يصدنك عنها من لا يومن بها واتبع هواه فتردى » .

وقال فى الاختصاص واخلاص العبدوية لله وحده : وما امــروا الا ليعبدوا الله مخلصين له الدين » والدين هو ما يدان الله به من العبادات الظاهرة والباطنة وقد فسره الامام محمد بن جرير الطبرى بالدعاء ، وهو جزء من اجزاء العبادات بل هو الاهم منها ، لقوله صلى الله عليه وسلم كما فى الصحيح الدعاء مخ العبادة . ومخ كل ذات هو كل شيء فيها لانها تنعدم بانعدامه حالا ، ولذلك شبه الدعء به تشبيها ضمنيا لان جميــع العبادات تعتبر صحيحة اذا كان الدعاء فيها لله وحده كما تعتبر معدومة اذا كان الدعاء فيها لغير الله ، لانه عين الاشراك بالله ، والعياذ بالله ، وقد جرت عادة السلف انهم يفسرون الآية ببعض افراد ما تدل عليه من معان فمن صرف منه اى الدعاء شيئا لقبر أو صنم أو وثن أو ضريح أو شجرة

أو ند لله كيفما كان حيا أو ميتا أو جمادا فقد اتخذه معبودا وجعله شريكا لله فى الاهيته التى لا يستحقها الا هو ؛ لانه هو الذى سيتولى بنفسه الحساب على ذلك ويجازى عليه وهو معنى قول الله تعالى : ومن يدع مع الله الاها آخر لا برهان له به فانما حسابه عند ربه انه لا يفلح الكافرون » أى لا يفوز برضى الله ودخول الجنة . اذا علمت هذا وأردت أن تلتجىء الى ربك فى قضاء حوائجك الدنيوية والاخروية فليس هناك شىء أفضل من بيوت الله لانها البقاع المقدسة شرعا لورود الحديث بذلك . سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن خير البقاع وشرها . فقال حتى أسأل جبريل فسأل جبريل فقال حتى أسأل رب العزة . فقال : خير البقاع المساجد وشرها الاسواق . وفى التنزيل قال تعالى : وأن المساجد لله فلا تدعوا مع الله أحدا » ومن الدعاء الطهارة والصلاة . ويستوى فيها الفرض والنفل ؛ فان كان المصلى أو المسجد بالقرب من ضريح فلا يتوجه فى دعائه الى الضريح . ولا يطلب منه أى شىء كان ؛ لان ذلك ممنوع شرعا وعقلا بل يجب عليه أن يتوجه الى القبلة . ويطلب من الله تعالى قضاء حوائجه الدنيوية والاخروية مباشرة بلا واسطة لانه قريب مجيب ؛ وهذا هو أفضل شىء وأقرب الى الصواب فى الادب مع الله تعالى وأحسن لعقيدة الايمان من الوقوع فى الشرك . كما وقع فيه أهل الزيغ والجيل من أهل الاهواء ؛ الذين دفع بهم الشيطان الى مهاوى الهلاك عن طريق حب الاولياء الاموات . وانما تحصل محبة الصالحين الصادقة باتباع ما كانوا عليه من طاعة ربهم ؛ وموافقتهم لما جاءت به تعاليم القرآن من طاعة رب العالمين ؛ أما محبتهم المجردة من أتباعهم فى الدين ، والاقتداء بهم فيه فهى محض جهل وشرك بالله ؛ وهذه المحبة أقرب الى ضر صاحبها من نفعه ؛ لان أولياء الله لا يحبون من كان على غير منهجهم فى الدين فى حياتهم الدنيوية وأحرى بعد موتهم ولانهم فى يوم القيامة سيتبرأون من كل من جعلهم شركاء لله .

وهذا نوع آخر من الشرك قد يقع فيه عباد المشائخ من أهل الزوايا ؛ المقدسين لشخصيات المخلوقات ، روى عن النبى صلى الله عليه وسلم جماعة منهم ابن مسعود وابن عباس وأبو هريرة ، وغيرهم ، وأجلاها حديثا حديث أبى أمامة هذا ؛ وقد رواه مالك عن يحيى بن سعيد عن ابن المسيب قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : اذا كان يوم القيامة نادى مناد من

عند الله تبارك وتعالى أين خصماء الله ؟ فتقوم القدرية مسودة وجوههم زرق أعينهم قد أدلعوا ألسنتهم يسيل لعابهم على صدورهم يقذرهم كل من في القيامة ، فيقولون ما لنا ؟ ما عبدنا شمسا ولا قمرا ولا وثنا فياتيهم النداء من عند الله صدقتم ! ولكنكم جاءكم الكفر من حيث لم تحتسبوا . تفسير الحديث انما سموا خصماء الله لانهم ادعوا الشرك مع الله ، أخرجه ابن العربي على شرح الترمذي . لان هؤلاء فرقوا دين الله وكانوا فيه شيعا ، والزوايا هي بيوت خاصة بأهل الاحزاب ، فهي جملة البدع التي ابتدعوها في الدين فهي بمثابة الاديرة عند المسيحيين ، الذين قال الله فيهم : ورهبانية ابتدعوها ما كتبناها عليهم الا ابتغاء رضوان الله فما رعوها حق رعايتها » والاسلام الذي دعا اليه النبي محمد صلى الله عليه وسلم هو التوحيد في كل شيء وعدم التفرقة والاختلاف . فالتوحيد الاول جمعهم على كلمة واحدة وهي لا اله الا الله محمد رسول الله وفي بيت واحد هو المسجد وفي قبلة واحدة وهي الكعبة المشرفة ، ومعاذ الله ان من يعادي الصلاة في بيت الله يكون من المسلمين ، وان الكثير من أهل الزوايا في هذا الزمان يعادون الصلاة في بيوت الله ، وأكثرهم تشنيعا في هذا أهل مدينة طنجة وهم يقرأون قول الله تعالى : ان الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعا لست منهم في شيء » ويمرون عليها كأنهم نائمون أو ان هذا القرآن نزل لهذه الامة لغير العمل بمقتضاه . وما من شيء قد يجلب التفرقة أو العنصرية بين المسلمين الا ونجده محرما في دين الاسلام ، ولم يبق بعد الوضوح والبيان الا العناد والخذلان : فانها لا تعمى الابصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور » .

وعليك أيها المومن الموحد الملازم للمسجد بالتمسك بطاعة ربك فأنت قائم على الحق وغيرك على الباطل ، واثبت في ايمانك على أصول دينك واحفظه من الشرك ، فان القرآن معك يؤيدك في المسجد ، معك في منزلك ، معك في المجتمع ، معك في وقوفك بين يدي خالقك تخاطبه بأحسن ما تكـون عليه وأنت بين يديه بقوله سبحانه : ان صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين لا شريك له » وقوله سبحانه : اني وجهت وجهي للـــذي فطر السموات والارض حنيفا وما انا من المشركين » والآيتان محتويتان على التبرىء من الشرك واختار العلماء قراءتهما عند الاحرام في الصلاة الفريضة ، وكذلك الكلمات التي ورد الحديث فيها بأن قراءتها في كل مرة تعتق الربع من

النار ، فاذا قرئت أربع مرات أصبح قارئها معتوقا من النار ، وهى : اللهم انى أصبحت اشهدك وأشهد حملة عرشك وملائكتك وأنبياءك وجميع خلقك أنك أنت الله لا الاه الا أنت وحدك لا شريك لك وأن محمدا عبدك ورسولك. واستحسن العلماء قراءتها قبل صلاة الصبح وبعد صلاة المغرب وبها يقلع عرق الشرك من القلب ، وخذ تعاليمك من القرآن والسنة ، واحذر مخالفة القرآن ، وجدد ايمانك بالوحدانية فى كل لحظة من لحظات حياتك لما ورد أن الشرك يدب فى عقول الامة دبيب النمل ، وتيقظ ولا تكن من الذين قال الله تعالى فيهم : مثل الذين حملوا التوراة ثم لم يحملوها كمثل الحمار يحمل أسفارا » ولا تكن من الذين قال الله تعالى فيهم : مثل الذين اتخذوا من دون الله أولياء كمثل العنكبوت اتخذت بيتا وان أوهن البيوت لبيت العنكبوت لو كانوا يعلمون ان الله يعلم ما تدعون من دونه من شيء وهو العزيز الحكيم وتلك الامثال نضربها للناس وما يعقلها الا العالمون » أى العالمون به وبسماته وصفاته وأخذ من الآية ان الله لا يعاجل من عصاه بالعقوبة ، وفيها تحقير لعقول المشركين وتسفيه لاحلامهم ، حيث اهتموا بعبادة ما لا يضر ولا ينفع ، ولا قدرة له حتى عن دفع الذباب عن نفسه ، وتركوا عبادة الواحد القهار القادر على كل شيء الحكيم الذى لا يفعل شيئا فى ملكه الا بحكمة وتدبير . ان أخوف ما يخافه المومن الموحد على ايمانه هو أن يخالطه الشرك فيه من حيث لا يشعر ، وهو امتحان خطير دقيق لا يترك طبقة من طبقات أهل الايمان الا ولجها ولا ينجو منه الا الحذاق الفطناء من العارفين بالله الذين قال الله تعالى فيهم : ليس له سلطان على الذين آمنوا وعلى ربهم يتوكلون انما سلطانه على الذين يتولونه والذين هم به مشركون » والمشرك مقر بالربوبية موحد فيها كافر بوحدة الالوهية ، ومن أجل توحيد الربوبية يعتقد ان الله خالقه ورازقه كما هو خالق السموات والارض ، ومن أجل ذلك قال الله تعالى فيهم : ولئن سألتم من خلق السموات والارض ليقولن الله » وهو مع ذلك لا ينفك عن عبادة ودعاء غير الله معه ويقتل ويقتل من أجل اثبات عقيدته الشركية ، وكانوا يرددون الفاظا شركية ويقولون : لبيك اللهم لبيك لبيك لا شريك لك ، الا شريكا هو لك تملكه وما ملك وقد رأيت أن أكتفى بهذا القدر لما تضمنه من اقناع اللبيب ، لان اللبيب تكفيه الاشارة ولا يحتاج الى الاطناب فى العبارة ، اذ تتبعه يطول بنا لان مجاله القرآن كله ، ومن أراد الزيادة فعليه بمراجعة القرآن .

فتــوى العــلامــة شيــخ الجــامــع الازهــر

رد الجواب من شيخ الجامع الازهر . الشيخ عبد الرحمن خليفة عن أسئلة اعتقادية فيما يتعلق بالاولياء الاموات واحوال الناس فيما ياتونــه عندهم ويرجع تاريخ هذه القصة الى سنة 1355 هجرية ــ 1936 ميلادية، وسببها ان عالمين من علماء الازهر ، أحدهما كان خطيبا بجامع نزلة السمان ، والآخر كان مدرسا بالازهر ، فنهى الخطيب الناس فى صلاة الجمعة عن زيارة الاولياء الاموات . وحذرهم من دعائهم وطلب الحاجات اليهم والاستغاثة بهم مبينا لهم ان ذلك كله ممنوع شرعا ولا يجوز الاقدام عليه من طرف من كان يومن بالله ورسوله كما أبان لهم ان الجائز فى ذلك انما هو سؤال الله مع التوسل بهم اليه سبحانه وتعالى فى أوقات الاجابة ، ويحرم التوجه اليهم عند سؤال الله والتوسل بهم وذلك ما يفعله بعض جهلة المسلمين ، وهذا محل وفاق بين المسلمين . فان العبد لا يطلب حاجاته الدنيوية والاخروية الا من الله تعالى وحده . فكما لا يجرؤ المسلم أن يقول للولى اغفر لى أو تب على من الذنب الفلانى أو أدخلنى الجنة ، لا يجرؤ كذلك أن يقول للولى ارزقنى ، أو زوجنى او يسر لى أمر الوظيفة الفلانية . أو كما تقول المرأة المسلمة الجاهلة : لك ياسيدة زينب ذبيحة او كذا من الدراهيم أو الدنانير النقدية المصوغات ، أو الشمع ان شفيت مريضى أو كما يقول المشرف على الغرق فى نهر النيل : يا سيدة زينب انقذينى وانتشلينى من الغرق ، كل هذا لا يحل للمسلم أن يقوله شرعا ، وان كان يعتقد ان الفاعل فى ذلك كله هو الله سبحانه وتعالى . وهذا هو موضوع الخلاف الذى ثارت من أجله الخصومة بين خطيب الجمعة المذكور ، ومؤيديه ، وبين الاستاذ الشيــخ محمد جابر المدرس بالجامع الازهر ومؤيديه ، اذ هو القائل : اذهبوا الى السيدة زينب واطلبوا منها ما تحتاجون اليه ، وقبلوا أعتابها ومقامها ، واذهبوا كذلك الى غيرها من باقى المشائخ والاولياء وانا المسؤول . ! ! ولما احتد النقاش بين الفريقين وتمسك كل برأيه ارتفع الخلاف بينهما الى شيخ الجامع الازهر المذكور ، وكان السؤال المرفوع اليه يتضمن أربع نقط : 1 ــ رجل من المسلمين قبل بفمه مقصورة السيدة زينب معتقدا ان ذلك مندوب او سنة او واجب ، هل يكفر ، أو يفسق ، أو يبدع ؟ 2 ــ طلب الحوائج من نفس الاولياء فى قبورهم هل يكفر به المسلم ؟ 3 ــ رجل طلب

من السيدة زينب أو من السيد البدوى أن يرزقه ثم مات عقب ذلك هل يموت كافرا فلا يدفن فى مقابر المسلمين . أو يموت مومنا ؟ 4 — رجل من المسلمين يعتقد ان بعض الاولياء يتصرف فى قبره على معنى ان الله تعالى يقضى بواسطته حوائج الناس ، وهل لو اعتقد المسلم ان بعض الاولياء يتصرف فى الربع أو ربع الكون بالمعنى المتقدم بغض النظر عن صحة ذلك أو اعتباره عدميا أو واقعيا ، فان اعتقد مسلم ذلك فهل يخرج عن دائرة الاسلام ؟ بحيث لو مات يدفن فى مقابر الكفار . ولا يصلى عليه . أرجو يا فضيلة الشيخ الجواب عن ذلك ولك من الله الاجر والثواب .

قال العلامة المفتى الاكبر فى الجواب عن السؤال الاول : ليس التقبيل بمكفر وانما هو بدعة يستتاب صاحبها . فان تاب تاب الله عليه . ولا يكفر . وقال فى الجواب عن السؤال الثانى : طلب الحوائج لا يكون الا من الله تعالى وحده . وقول العامى لصاحب القبر يا سيدى فلان ليس معناه أدعوك بل معناه اتوسل بك الى الله تعالى . فاستغاثته بالولى مجاز عن توسله به ، وجعله سببا فى قبول الدعاء فآل الامر بهذا التاويل الى أنه يطلب من الله بسبب الولى لا من نفس الولى ، لعلمه ان الولى لا يستجيب دعاءه . ولا يقدر أن يعطيه ما يطلب . ولكن ينبغى تنبيه العوام على ما يصدر عنهم من الاغلاط الكثيرة التى تقدح فى توحيدهم . قال العلامة الكردى فى فتواه : أما جعل الوسائط بين العبد وربه ، فان كان يدعوهم كما يدعو الله فى الامور ، ويعتقد تأثيرهم فى شيء من دون الله تعالى فهو كفر ، وان كان مرادهم التوسل الى الله تعالى فى قضاء المهمات مع اعتقاده ان الله تعالى هو النافع الضار الموثر فى كل الامور ، فالظاهر عدم كفره ، وان كان فعله قبيحا اه . من كتاب نصرة الامام السبكى .

وقال فى الجواب عن السؤال الثالث : هذا الرجل نحمل حاله على الصلاح وانه مات على الاسلام ، تحسينا للظن بالمسلم ، وحسن الظن بالمسلم واجب ولا تجوز اساءة الظن به ، كما نص على ذلك العلماء ، وقالوا ان ظن المومن على نوعين : ظن هو اثم ، وهو ظن السوء بالله تعالى ، بأن نظن انه لا يرزقه ولا ينيله ماموله ، لا عاجلا ولا آجلا ، فهذا النوع من الظن حرام ، لقوله صلى الله عليه وسلم لا يموتن احدكم الا وهو يحسن الظن بالله تعالى . ومثل هذا فى الاثم والمعصية سوء الظن بالمسلم الذى

ظاهره العدالة ، والنوع ـ الثانى ـ ظن مباح وهو ما يهجس فى القلب من خواطر الظنون ، لان ذلك شيء لا يملكه الانسان ، وسوء الظن بالمسلم قبيح ، وهو توجيه التهم التى تجيش بالقلب اليه ، من غير أن تستند الى قاطع ، فاذا كان توجيه هذه الظنون والتهم القلبية التى لا يقطع بها صاحبها الى المسلم محظورا ، فكيف اذا كانت تاخذ عند صاحبها صورة اليقين والتحقق والقطع المستند الى الامور الوهمية والادلة الواهية المستمدة من الوهم والخيال ؟ بل كيف اذا كانت هذه الظنون والتهم تقطع بكفر صاحبها وهو من المسلمين وتجرده من حلية الايمان بعد أن حبب الله الى المومنين الايمان ، وزينه فى قلوبهم وكره اليهم الكفر والفسوق والعصيان .

وقال فى الجواب عن السؤال الرابع : قد علمت من الاحاديث التى سقناها ان الابدال ومنهم القطب ، وظيفتهم الدعاء للمسلمين لا التصرف فى الكون ، لان الكون عظيم جدا قد صنعه الله تعالى وأبدعه واخترعه ، ورتب نظامه ونواميسه وقام بقدرته على حفظه . وليس لمخلوق كائنا من كان أن يشاركه فى التصرف فى ذرة واحدة من ذراته ، فضلا عن أن يتصرف فى ربع هذا الكون العظيم ، الذى يذهل العقل البشرى عند تصور عظمته واتساعه فوظيفة هؤلاء كما قلنا تنحصر فى الدعاء للمسلمين عند فساد حالهم واختلال أمورهم ، والله يستجيب دعاءهم لصفاء قلوبهم ولبلوغها درجة صارت بها فى الصفاء على قلوب الاصفياء من الملائكة والمقربين من الانبياء والمرسلين ، ولا نظن ان مسلما يعتقد ان أحدا من المخلوقين مهما شهد له الناس بالولاية أو القطبانية يتصرف فى الكون تصرفا حقيقيا أو مجازيا على معنى ان الله تعالى يدفع لهم حصة من الكون يتصرفون فيها . لان المسلمين جميعا يعتقدون ان الله هو القادر لا غيره ، وان من موجبات قدرته الا يكون عاجزا فيحتاج الى من يعينه فى ادارة مملكته وان اعتقد مسلم غير ذلك وصرح بأن القطب أو غيره يعاونه فى ادارة حصته من الكون ، يستتاب والا قتل . والله أعلم .

وقال حضرة المفتى المذكور : وينبغى ان أبدا بذكر مقدمات يمكن الاستناد اليها فى اصدار أحكام صحيحة فى هذه المسائل التى جمعها السائل فى سؤاله كالمعترض الذى يريد احراجى وادخالى فيما لم ادخل فيه من تكفير أهل القبلة بمجرد الظنة والشك تمشيا مع الهوى والغرض كما فعل ذلك ابن

تيمية وأصحابه ومن على شاكلته من المتكلمين فى البدعة والسنة من العلماء السلفيين وأسرفوا فيه كل الاسراف ، حتى كادوا فى مقالاتهم يخرجون أهل القبلة عن دائرة الاسلام ، وهذه هى المقدمات والقواعد التى يجب تقديمها بين يدى الموضوع ، قال فى جامع الفصوليين فى فصل الكلمات الكفرية : قال الطحاوى فى روايته عن أبى حنيفة رحمه الله ، والذى اراه وعليه اصحابنا انه لا يخرج الرجل من الايمان الا جحود ما أدخله فيه ، ثم قال ما مثاله : ما يعلم بيقين انه ردة اذا صدر من المسلم حكمنا عليه بالردة لان الاسلام الثابت المبنى على الايمان الصحيح لا يرتفع ولا يزول بالشك مع ان الاسلام يعلو والكفر يسفل ، فكيف نزيل العالى الشريف بالسافل الخسيس ؛ أم كيف نرفع ما هو ثابت بيقين بما عرض لنا من الشك والاحتمال وينبغى اذا رفعت للعالم مسألة فيها شك واحتمال ؛ أن لا يبادر بتكفير أهل الاسلام ، مع انه يقول بصحة اسلام المكره ، هذا معنى كلام الامام الطحاوى من كبار أئمة الحنفية ، فلنجعله ميزانا ومعيارا .

وقالوا ان صدور ما هو كفر باتفاق بحيث لا يقبل تاويلا ؛ ولا يتطرق اليه الشك والاحتمال ، حكمه انه يحبط العمل ؛ ويوجب على صاحبه اعادة الحج لو حج ؛ ووطىء امرأته زنى الى غير ذلك من الاحكام التــى تترتب علــى الـــردة .

اقول : وعندنا معشر المالكية تحبط العمل كذلك ؛ وعليه ينص الشيخ خليل بقوله : فى باب الردة : وأسقطت صلاة وصياما وزكاة وحجا تقــدم ونذرا وكفارة ويمينا بالله أو بعتق أو ظهار ؛ واحصانا ووصية ـــ وقوله وأسقطت صلاة أى ثوابها ان فعلت أو وجوبها ان لم تفعل ؛ فهو اذا تاب من الردة ورجع للاسلام ؛ فيجب عليه أن يستأنف جميع الاعمال التى يثاب عليها المسلم ؛ من جديد وأما اعمال ما قبل الردة فقد ذهبت هباء منثورا كما قال تعالى : وقدمنا الى ما عملوا من عمل فجعلناه هباء منثورا » أمـــا صدور ما هو كفر وفيه اختلاف العلماء ؛ فان الصادر منه هـــذا الكفـــر المشكوك المختلف فيه ؛ يومر بالتوبة وبتجديد النكاح ؛ والرجوع الفعلى عن هذا المكفر ؛ وأما صدور ما يوجب الكفر منه خطأ ؛ فالصادر منه ذلك مومن على حاله . والخطأ مرفوع لقوله عليه الصلاة والسلام : رفع عن أمتى الخطأ والنسيان وما استكرهوا عليه . ولا يومر بتجديد النكاح بل يومـــر

بالرجوع عما أخطأ فيه والاستغفار ، وقالوا ولو كان فى المسألة وجوه توجب الكفر ووجه واحد يمنع التكفير ، فعلى المفتى أن يميل الى الوجه الذى يمنع التكفير تحسينا للظن بالمسلم . وقال حضرة المفتى المذكور : نقلا على رأى الشيخ محمد جابر فى قوله : اذهبوا الى السيدة زينب واطلبوا منها ما تحتاجون اليه ، وقبلوا أعتابها ومقامها الى آخر كلامه . أنا لا أوافق معه على هذا ولا أستطيع أن أقول للناس اطلبوا من السيدة زينب ومن المشائخ والاولياء حاجاتكم ، فان هذا دعاء والدعاء لا يكون الا لله وحده ، ولو توسل اليه بالولى لم يضر . والله تعالى هو الذى يستجيب الدعاء ويقضى حاجات السائلين ، فكيف أجوز للناس أن يدعوا من دون الله أحدا ؟ أم كيف أجوز للزائر أن يهوى الى عتبة الولى فيقبلها وهو على هيئة الساجد ؟ انى لو فعلت ذلك أو قلته والعياذ بالله لكنت هادما لاول أصل من أصول الايمان وهو التوحيد ، ولجبلنى الناس ونسبونى الى أكبر من الجهل ، ولسلقونى بالسنتهم ورشقونى بأقلامهم فليعذرنى حفظه الله اذا لم أوافق صاحبه ، وهذا الخلاف بينى وبينكما فى الرأى لا ينافى انى كغيرى من المسلمين ، استحب زيارة الاولياء وأحبهم لان الله تعالى يحبهم ، وأتبرك بآثارهم ، وأزورهم الزيارة الشرعية كسائر الناس ، وذلك بأن أسلم على صاحب الضريح ، وأقرأ الفاتحة وأدعو الله دعاء خالصا بما يحضرنى من أمور الآخرة وأمور الدنيا ، وأجلس برهة لقراءة ما تيسر من القرآن ، ثم أنصرف بلا طواف بالضريح ولا تمسح بالمقصورة وهذا ما يفعله كل الناس وخاصة الطبقة المتعلمة .

أما ما يصدر من الجهلة والعوام ، وبخاصة النساء فهذا ما يجب على الامة ارشادهم الى مجانبته ، ولا أقول بما ذهب اليه ابن تيمية وأصحابه ان الدعاء عندهم يساوى دعاءهم والدعاء بهم ، وأن ذلك ما كان يفعله المشركون فى بيوت أصنامهم ، وأن ذلك كله من الشرك الخفى أو الجلى ، بل أقول ان الدعاء الذى يتوجه به العبد الى ربه جائز ومقبول فى أى مكان وان ما كان منه فى الضريح أفضل مما كان خارجه لان الداعى فى هذه الحالة يكون متوجها الى الله متذكرا ما كان عليه أولياء الله وأحبابه من الطاعة والعبادة ، متاسيا بسيرتهم متأثرا بما أفاضه الله عليهم من حب وكرامة ، راجيا من الله تعالى أن ينال درجتهم أو يدانيها فى الاخلاص لله سبحانه فى الدعاء والعبادة وأن ما كان منه فى المسجد أفضل مما كان منه

فى الضريح وهى مفضلة بالانتساب اليه سبحانه ، والواجب على المسلم أن يعمرها بالعبادة والطاعة ، ومنها الدعاء ، وانا لهذا كثيرا ما أتنحى ناحية من المسجد مستقبل القبلة وأدعو ربى جاهدا وأسأله حاجتى فيما بينى وبينه ذليلا خاشعا وان ما كان دعاء خالصا لله يتوجه فيه العبد الى الله بواسطة وليه وحبيبه وكلاهما جائز بشرط أن يكون الدعاء بالولى مقرونا باعتقاد ان المستجيب هو الله ، وانه ان شاء أعطى وان شاء منع ، وان الولى لا يملك بشفاعته أى بواسطته عند الله شيئا ، وينبغى أن يعلم هنا انى اذا قلت بجواز اقحام الوسيلة فى الدعاء فانما أقول ذلك بناء على ما ذهب اليه كثير من العلماء عملا بالاحاديث الواردة فى التوسل ، وتلافيا للفتنة القائمة بين نفاة الوسيلة وأنصارها ، والا فمذهبنا نحن معشر الحنفية قائل بالكراهة ، فقد قال العلامة القدورى فى كتاب الكرخى : قال بشر بن الوليد : قال : سمعت أبا يوسف يقول : قال الامام أبو حنيفة : لا ينبغى لاحد أن يدعو الله تعالى الا به ، وأكره ان يقول أسألك بمعقد العز من عرشك ، وأكره أن يقول بحق فلان وبحق أنبيائك ورسلك ، وبحق البيت الحرام . قال أبــو الحسن القدورى : أما المسألة بغير الله فمنكرة فى قولهم لانه لا حق لغير الله عليه ، وانما الحق لله تعالى على خلقه ، وقال ابن بلدجى فى شرح المختار : ويكره أن يدعو الله تعالى الا به فلا يقول أسألك بفلان أو بملائكتك أو نحو ذلك ، لانه لا حق للمخلوق على خالقه ، أو يقول فى دعائه أسألك بمعقد العز من عرشك ، وعن أبى يوسف جوازه ، أى جواز قول الداعى أسألك بمعقد العز من عرشك ، لما روى انه عليه الصلاة والسلام دعا بذلك لانه انما يراد به القدرة التى خلق الله بها العرش مع عظمته فكأنه سئل بأوصافه ، والكراهة فى المذهب اذا أطلقت فانها تنصرف الى الحرام عنــد محمــد ، اى ابــن الحســن الشيبــانــى صاحب أبــى حنيفــة ، والــى مــا هــو الى الحرام أقرب ، وجانب الحرمة عليه أغلب عند أبى حنيفة وأبى يوسف ، والسر فى كراهة السؤال لغير الله ان الشيطان اذا اوحى الى السائل ان الالتجاء الى الله بغيره ، ودعاءه بواسطة أحد من خلقه ابلغ فى تعظيمه ، وانجح فى قضاء حاجته ، نقله درجة أخرى الى دعائه من دون الله تعالى والسجود على عتبة بابه ، والعكوف على قبره والطواف به وتقبيله والنذر له ، ثم ينقله درجة أخرى الى اعتقاد الهيته ، ودعاء الناس الى عبادته ، كما وقع لغلاة الشيعة من اعتقادهم الهية أمير المومنين على

ابن ابى طالب كرم الله وجهه ، ومن أكثرهم غلوا كما جاء فى الملل والنحل للشهرستانى عن بيان ابن سمعان الهندى هو وأتباعه فانه قال : حل فى على جزء الهى واتحد بجسمه ، فبه كان يعلم الغيب اذا أخبر عن الملاحم أى الحروب وصح ما أخبر به ، وبه كان يحارب الكفار وله النصر والظفر عليهم ، وبه اقتلع باب خيبر . ورووا عنه انه قال : والله ما قلعت بـــاب خيبر بقوة جسدانية ولا بحركة غذائية ، ولكن قلعته بقوة ملكوتية بنـــور ربها مضيئة ، فالقوة الملكوتية فى نفسه كالمصباح ، وقال بيان أيضا : فى تفسير قوله تعالى : هل ينظرون الا أن يأتيهم الله فى ظلل من الغمام » — أراد به عليا فهو الذى يأتى فى ظلل من الغمام ، والرعد صوته ، والبرق تبسمه ولا يزال بعض بقايا هذه العقائد الضالة فى رؤوس المسلمين الى اليوم ، فانك تشاهد غلمان القاهرة اذا ابتدأ المطر ، وجلل السحاب السماء يصيحـــون يابركة على زد ، وهو أثر من بقايا تلك العقائد الفاسدة القائلة بوجود على فى السحاب ، وقد تبرأ من الخوارج ومن هؤلاء رضى الله عنه فى كلمة يقول فى أولها : برئت من الخوارج لست منهم . ويحضرنى قول بعض الشعـــراء وهو محل الشاهد منها قوله :

ومـــن قـــوم اذا ذكـــروا عليـــا   يـــردون الســـلام علـــى السحاب

فقد أوصدت الشريعة الاسلامية هذا الباب ، باب دعاء غير الله سدا للذريعة حتى لا يلج الناس منه الى الشرك ، كما وقع للقائلين بالحلول والتناسخ ، والآيات الكريمة التى سنأتى بها فى هذا البحث ناطقة بالحيلولة بين الاعتقاد الصحيح للمسلم ، وبين دعاء كل من هم من دون الله مصرحة بأنهم لا يسمعون ولا يستجيبون للداعين بشىء ، وبأنهم لا يملكون ضرا ولا نفعا ، ولا يكشفون عن أحد سوءا ، ومن بلاغة القرآن الكريم تعبيره عن آلهتهم وأصنامهم بضمير العقلاء للاشارة الى أن هذه الاصنام كانت فى الأصل صورا لقوم صالحين أو لبعض أرواح الملائكة أو الكواكب ثم تنوسى الاصل وعبدت من دون الله ، واختصوها بدعائها والالتجاء اليها فى طلب الحاجات وبامعان النظر فى قوله تعالى : ان الذين تدعون من دون الله عباد أمثالكم فادعوهم فليستجيبوا لكم ان كنتم صادقين » يتضح ذلك جليا فان التعبير عنهم بالموصول الذى يستعمل للعقلاء والاخبار عنهم بأنهم عباد نظير غيرهم من سائر عباد الله ، فيه اشارة ظاهرة الى أنهم يدعون أصحاب هذه الصور

والتماثيل لانفس الصور التى تمثلهم . فكأنهم يدعون فى أشخاص هذه الصور أصحابها ، فلذلك يعبر القرآن الكريم بالالفاظ الدالة على العقلاء . — ولما كان لكل أمة أنبياء وصلحاء وأولياء من العارفين بالله . وقد أحرزت الامة المحمدية من ذلك على قصب السبق بين الامم الغابرة . وكلهم أحباب الله لانهم من الخاصة المقربين الذين اصطفاهم المولى جل وعز لحضرتـــه . واختصهم بالانس من قربه . وكان منهم الرسل وسطاء بين الله تعالى وبين خلقه فى تبليغ الشرائع اليهم لتوضح لهم طريق السعادة الاخرويـــة الابدية ، وباتباعهم لها سيتجنبون طريق الشقاوة الابدية ، وكان من ذلك الاقتداء والاتباع لما جاءت به أولئك الرسل . أولياء وصلحاء وعارفون بالله على قدم أنبيائهم ، وأولياء هذه الامة على قدم نبيها محمد صلى الله عليه وسلم وكان هناك من يحبهم لحب الله اياهم . ولقربهم منه تعالى طمعا فى نيل بركاتهم فى هذه الحياة الدنيا وشفاعتهم عند الله فى العقبى ، ولكنهم مع مرور الايام وازدياد حبهم لهم عم بعضهم الجهل بأحوالهم فتدخل الشيطان وزين لهم اعمالهم واستغل افراطهم فى الحب المجرد من نور العلم بمعرفة أحوال الديانة . فحوله الى تقديسهم وعبادتهم من دون الله ، وتلك طريقة متبعة فى سائر الامم ومن أجل ذلك جاء القرآن ليقطع على هذه الامة سبيل الغواية والضلال التى وقعت فيه الامم الاخرى بقيادة الشيطان ، فقال تعالى : يا أيها الناس ان وعد الله حق فلا تغرنكم الحياة الدنيا ولا يغرنكم بالله الغرور ان الشيطان لكم عدو فاتخذوه عدوا انما يدعو حزبه ليكونوا من اصحاب السعير » وقوله عدو أى ظاهر العداوة وقديمها من عهد أبيكم آدم ، قد فعل بأبيكم ما فعل وأنتم تعاملونه معاملة من لا علم له بأحواله فاتخذوه عدوا فى عقائدكم وافعالكم ، ولا يوجدن منكم الا ما يدل على معاداته فى سركم وجهركم ، لان غاية دعوته هى ان تكونوا معه من أصحاب السعير. ومتى حصل على ذلك فقد استراح من تعبه . وبعد أن تيقن المشركون من ان محمدا صلى الله عليه وسلم يدعو الى عبادة الله تعالى وحده لا شريك له ، دعوه الى عبادة الشرك ، وهى عبادة آبائهم واجدادهم ، فقال تعالى ، مجيبا لهم ومبينا له ما هو الحق من الباطل : قل افغير الله تامرونى أعبد أيه الجاهلون ولقد أوحى اليك والى الذين من قبلك لئن اشركت ليحبطن عملك ولتكونن من الخاسرين بل الله فاعبد وكن من الشاكرين » وكان قد استمر الحال من قبله على عبادة الشرك عبر عصور الخليقة ابتداء مـــن

عصر نوح عليه السلام فتوارثته الاجيال من كل أمة ، وقد كـان نصيب العرب فى جاهليتها أوفر نصيب ، وبعد أن جاء الاسلام كان أول ما صنع وجه عنايته وركز جهاده فى تطهير العقيدة من رجس الوثنية الجاهليـة وعبادة الشرك الذى كانت عليه الامة العربية فى جاهليتها ، وكانت معركة الفتح الاعظم فتح مكة معركة فاصلة بالنسبة الى الامة العربية بين ماضيها الجاهلى الشركى وبين مستقبلها القرآنى التوحيدى . ويوم الفتح الاعظم توجه نبى الله ورسوله للكعبة المشرفة ليطهر حرمتها من رجس الوثنيـة القرشية بعد أن طهر منها العقول النقية وأفعمها ايمانا واسلاما ، فتقـدم اليها بنفسه وجعل يزيح عنها الاوثان بيده الكريمة وكانت منصوبة علـى ظهر الكعبة وبداخلها والى جانبها . فجعل عليه الصلاة والسلام يطعنها بعود فى يده . ويردد هذه الاية : « قل جاء الحق وزهق الباطل ان الباطل كان زهوقا » وقوله : « وما يبدىء الباطل وما يعيد » ثم أمر بالآلهة فاخرجت من البيت وفيها صورة اسماعيل وابراهيم عليهما السلام . وبيدهما الازلام ، وقال عليه الصلاة والسلام قاتلهم الله لقد علموا ما استقسما بها قط . وهو قوله تعالى : « هنالك تبلو كل نفس ما أسلفت وردوا الى الله مولاهم الحق وضل عنهم ما كانوا يفترون » أى غاب عن أهل الباطل افتراؤهم بسبب ظهور الحق الثابت الدائم ، وهكذا كل حال من اعتمد على غير الله ، تقرأ عليه هذه الآية . وينبغى للانسان أن يستفتى فى خلاص نفسه من الوهم الذى يلجئه الى الاعتماد على غير الله من جاه . أو مال ، أو علم ، أو عمل ، أو غير ذلك ليرى الحق حقا والباطل باطلا ، فيتبع الحق ويجتنب الباطل ، وبهذا الامر يتبين الولى من العامى ، فالولى يرى الاشياء كلها ظاهـرا وباطنا من الله ، فهو دائما مطمئن ساكن مسلم له وحده ما يفعله ، والعامى يعتقد ذلك بقلبه غير ان وهم الجهل يخيل له ان لغير الله ضرا ونفعا فيكون دائما فى تعب ونصب مع قلبه . ولهذا قالوا صفة أولياء الله فى ثلاثة ، الثقة بالله فى كل شىء ، والفقر اليه فى كل شىء ، والرجوع اليه من كل شىء .

ثم شرع الاسلام فى تدعيم أسس العقيدة الصحيحة للمسلم المحمدى بالحجج القاطعة الدامغة ، والانوار المحمدية الساطعة ، حتى لا يرجـع بها الشيطان مرة أخرى مع مرور الزمن الى الوقوع فيما وقعت فيه الامم السالفة وقد بين ذلك أتم تبيان ، الا ما استثنى من محقرات الاعمال ،

قال عليه الصلاة والسلام : بعد ما تم النصر ورست القواعد واحكمت اسس البناء فى حجة الوداع : أيها الناس ان الشيطان قد يئس أن يعبد فى أرضكم هذه . ولكنه قد رضى أن يطاع فيما سوى ذلك مما تحقرون من اعمالكم . وهو صلى الله عليه وسلم يشير بهذا الى ما بقى فى هذه الامة من الشرك الخفى الذى لا يعرفه كل الناس . وقد يقع فيه الانسان وهو لا يشعر . ويرتكب نوعا من الظلم الذى يحتقره الانسان . وهو هدف من أهداف الشيطان . الشرك الخفى ومنه الحديث : من الشرك الخفى أن يصلى الرجل لمكان الرجل . أى لاجله . ولعل الشيخ ابن مشيش من هذا كان يخشى على ايمانه حيث قال : وانشلنى من أوحال التوحيد واغرقنى فى عين الوحدة . ولعل أوحال التوحيد هى أنواع الشرك الاربعة : الشرك الاكبر . والشرك الاصغر . والشرك الجلى . والشرك الخفى . وعلى رأسها النفاق . فهذه هى حبائل الشيطان التى يصطاد بها قلوب بنى آدم . ولا يكاد يسلم منها الا من عصمه وأخذ بيده . ومما يجر الى ذلك اعتقاد الوساطة بين الخالق والمخلوق فى الدعاء لله . وليس منها التوسل بالحى كما تقدم . وقد تكفل القرآن بنفى الوساطة فيما بين الله وبين خلقه فى كل ما هو عبادة أو دعاء لله وحده . حتى تخلص عبادة المسلم المحمدى من شوائب غير الله لله وحده لا شريك له ، كما يظهر ذلك جليا من أقوال الحاج بعد احرامه بالحج ، وهى التلبية ، ولفظها : لبيك اللهم لبيك لبيك ، لا شريك لك لبيك ، ان الحمد والنعمة لك والملك ، لا شريك لك . ومعنى لبيك اجابة لك بعد اجابة وانظر محل القرب هنا بين العبد وربه . اذ يناجيه بضمير المخاطب ، والمخاطب لا يكون الا حاضرا ، ومنه اياك نعبد واياك نستعين . وعلى هذا المنوال سارت المناجات بين العبد وربه ، وقد اثنى الله تعالى على الناجين من الشرك بأنواعه الاربعة فقال : الذين آمنوا ولم يلبسوا ايمانهم بظلم اولئك لهم الامن وهم مهتدون » وقد تقدم ان الشرك اظلم الظلم ، وليس لدينا من الشكر والثناء ما نكافىء به علماء الشريعة الاسلامية والقائمين عليها باخلاص حيث حملوها الينا نقية خالصة منظمة واقام على احكام تنظيمها الايمة الهداة المجتهدون الاولون ، ووضحوا لنا سبيل الهداية فى كل مجال ، واغنونا عن المحترفين بالشريعة من اهل زماننا هذا اللهم الا اننا ندعو الله ان يجازيهم عنا وعن امة محمد صلى الله عليه وسلم احسن الجزاء آمين واليهم يرجع الفضل فى حمل هذه الرسالة السماوية

الطاهرة ، والنضال من أجل بلوغها حتى وصلت الينا والحمد لله نقية لامعة محفوظة من كل غش أو زيغ أو عبث مدعمة بحجج الكتاب والسنة ، ولن يزال دين هذه الامة محفوظا بحفظ الله اياه كما قال الله تعالى : انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون » ولا عبرة بما هى عليه حالة السواد الاعظم من الامة ، لانها سنة الله ولن تجد لسنة الله تبديلا فانها فى كـل زمان يسودها الجهل والمخالفة والشرور الموبقة والظلم والزيغ والفتن والشيطان يسوقهم ويسول لهم أعمالهم ، ويزهدهم عن سؤال العلماء الذين بهـم يبصرون فى جميع أحوالهم وشؤون دينهم حتى ابتعدوا عن الصواب فى كل شىء وولجوا كل باب من ابواب هلاك أنفسهم . والقرآن يتلى بينهم فى كل ناد وفى كل مقهى وفى كل دار وكل دكان حتى فى عنق كل انسان وجيبه ويده يقيم الحجة عليهم وهم غافلون نائمون عنه وهو يخاطبهم بقوله تعـالى : فليضحكوا قليلا وليبكوا كثيرا جزاء بما كانوا يكسبون » وظل أهل العلم بينهم غرباء ، وأهل النصيحة متهمين أعداء ، وعند ما خلا الجو من العلم والاهتداء بهديه رجع بهم الشيطان الى الجاهلية الاولى حيث ان من مات عليها كان مخلدا فى النار وبعيدا عن شفاعة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم فأوقعهم فى مزالق الكفر والشرك بجميع أنواعه ليكونوا من اصحاب السعير وهم لا يشعرون نائمون ويسمعون المؤذن يقول الله اكبر وهم نائمون فى الفرش والسرير مع النعيمات بين الغطاء والوطاء كأنهم آمنون مطمئنون ، وصدهم عن سبيل الحق فهم لا يهتدون ، ولا يصح شرعا أن يعرف الاسلام عن طريق السواد الاعظم فمن يريد معرفة الاسلام فعليه بالخواص مـن اهل العلم المتقين . وهذه الطائفة هى المقصودة من حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم : لا تزال طائفة من امتى ظاهرين على الحق لا يضرهم من خالفهم حتى يانى أمر الله . وقال تعالى فى شأن الامم السالفة : وان كثيرا من الخلطاء ليبغى بعضهم على بعض الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وقليل ما هم » وقال تعالى : اعملوا آل داوود شكرا وقليل من عبادى الشكور » وقال تعالى : واهلك الا من سبق عليه القول ومن آمن وما آمن معه الا قليل » وقال تعالى : وان لوطا لمن المرسلين اذ نجيناه واهلـه اجمعين الا عجوزا فى الغابرين ثم دمرنا الآخرين » كل هذه الايات القرآنية تصور لنا ما كانت عليه حالة الاديان قبل الاسلام ، ثم نستنتج منها ان دين الاسلام فى هذه الامة المحمدية احسن منه فى كل امة قبلها ، ولن يزال بفضل

اسسه ودعائمه المنيعة القوية يساير العصور الى النفخ فى الصور . وقد تبرأ القرآن من كل من خرج عن دين الله فقال : ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبين له الهدى ويتبع غير سبيل المومنين نوله ما تولى ونصليه جهنم وساءت مصيرا » .

وهناك آيات من القرآن الكريم تبين مدى قرب العبد من ربه . منها آية قوله تعالى : واذا سالك عبادى عنى فانى قريب أجيب دعوة الداعى اذا دعان » سئل النبى صلى الله عليه وسلم : اقريب منا ربنا فنناجيه أم بعيد فنناديه ؟ فقال حتى أسال جبريل فنزل قوله تعالى : واذا سالك عبادى الآية . ومنها آية قوله تعالى : وهو معكم أين ما كنتم » وقوله تعالى : ولقد خلقنا الانسان ونعلم ما توسوس به نفسه ونحن اقرب اليه من حبل الوريد » وآية قوله تعالى : قد سمع الله قول التى تجادلك فى زوجها وتشتكى الى الله والله يسمع تحاوركما ان الله سميع بصير » ومنها آية قوله تعالى : ما يكون من نجوى ثلاثة الا هو رابعهم ولا خمسة الا هو سادسهم ولا ادنى من ذلك ولا أكثر الا هو معهم اين ما كانوا » ومنها آية قوله تعالى : واتقوا الله واعلموا أن الله يعلم ما فى انفسكم فاحذروه » ومنها آية قوله تعالى : ما للظالمين من حميم ولا شفيع يطاع يعلم خائنة الاعين وما تخفى الصدور » كل هذه الآيات القرآنية تنص صراحة على مدى قرب العبد من ربه ، وفيها غناء عن الوساطة فى الدعاء من طرف الاولياء الاموات ؛ فالله تعالى لا يقبل من الدعاء الا ما كان مباشرة بين العبد وربه ، وبلا واسطة ، لشدة الاتصال والقرب بين العبد وربه فليتق الله الداعى اليها ، وكل من اتى شيئا بوساطة الاولياء الاموات ، فانما يخاطر بسلامة ايمانه ودينه ، وبانكار القرآن ما صنعته الجاهلية الاولى ، والقرآن قد تكفل بارشاد هذه الامة حتى لا تقع فى مثل تلك المزالق المؤدية الى العذاب الابدى ، وهذه طائفة اخرى من الآيات القرآنية التى تندد بالشرك والمشركين ، الا وهى قوله تعالى : ومن اضل ممن يدعو من دون الله من لا يستجيب له الى يوم القيامة وهم عن دعائهم غافلين واذا حشر الناس كانوا لهم أعداء وكانوا بعبادتهم كافرين » الجاثية ، ومعناه : انهم ليسوا معهم الا فى نكد ومضرة ، لا تتولاهم فى الدنيا بالاستجابة ، وفى الآخرة تعاديهم وتجحد عبادتهم . وقوله تعالى : قل اغير الله اتخذ وليا فاطر السموات والارض وهو يطعم ولا

يطعم » الانعام ، وقوله تعالى : ولا تدع من دون الله مالا ينفعك ولا يضرك ، فان فعلت فانك اذا من الظالمين » يونس اى لا ظلم للنفس أعظم من الشرك، وقوله تعالى : ذلكم الله ربكم له الملك والذين تدعون من دونه ما يملكون من قطمير ان تدعوهم لا يسمعوا دعاءكم ولو سمعوا ما استجابوا لكم ويوم القيامة يكفرون بشرككم ولا ينبئك مثل خبير » فاطر ، والمعنى ان هذا الذى اخبرتكم به من حال الاوثان هو الحق لانى خبير بما أخبرت به . وقوله تعالى : له دعوة الحق والذين يدعون من دونه لا يستجيبون لهم بشيء الا كباسط كفيه الى الماء ليبلغ فاه وما هو ببالغه وما دعاء الكافرين الا فى ضلال » الرعد ، والمعنى ان الاصنام التى يعبدها الكفار لا تعقل ولا تسمع ولا تبصر فلا تجيب عابديها بشيء أصلا ، وضرب لهم مثلا فى الحرمان عن طريق تشبيه المعقول بالمحسوس فقال : الا كباسط كفيه الآية ، والمعنى ان حالة اجابتهم كحالة من بسط كفيه للماء ليصل فاه من بير ثم قال : وما هو بواصل فاه ابدا لعدم احساس الماء ببسط كفى المتعطش وعطشه وعدم قدرته علـى بلوغه الى فيه ، فذلك حال من يدعو الاصنام لتدفع عنه كربة او توليـه نعمة ، لعدم قدرتها فى نفسها فكيف تستجيب الى غيرها وهذا من باب المحال وما دعاؤهم الا فى ضلال أى ضياع بخلاف داعى الله سبحانه وتعالى فانه بمحض فضله لا يخيب دعاء من دعاه ، فان كان من أمور الدنيا فانه يستجيب بحسب الحكمة ما يراه صالحا له ، وان كان من امور الآخـرة فبالهداية الى الايمان . وقوله تعالى : والذين تدعون من دون الله لا يخلقون شيئا وهم يخلقون أموات غير أحياء وما يشعرون أيان يبعثون » النحل ، اى لا يستحق العبادة الا القادر على الخلق ولا يخلق ، ولا يكون الاها الا الحى العالم بالبعث وما بعده من أمور الغيب ، واما غيره ممن لا يقدر أن يخلق شيئا وهو مخلوق مصور من الحجارة وغيرها فلا يستحقها . وقولـه تعالى : ذلك بأن الله هو الحق وأن ما تدعون من دونه الباطل وان الله هو العلى الكبير » لقمان ، الاشارة بذلك الى ما تقدم من أوصاف الكمال ، وعجائب حكمته وقدرته الباهرة التى يعجز عن الاتيان بشيء منها الاحيـاء القادرون العالمون ، فكيف بالجماد الذى يدعونه من دون الله ؟ . وقولـه تعالى : والله يقضى بالحق والذين تدعون من دونه لا يقضون بشيء ان الله هو السميع البصير » غافر ، اى والموصوف بالصفات المتقدمة من صفات الكمال لا يحكم الا بالعدل ، واما آلهتهم لا يحكمون بشيء ولفظ القضاء حقيقة

فى الموصوف بالقدرة وفى غيره مجاز تهكمى فهو تهكم عليهم وقوله تعالى : ولا يملك الذين يدعون من دونه الشفاعة الا من شهد بالحق وهم يعلمون » الزخرف ، ادعوا لهم ملك الشفاعة . فنفاها الله عنهم وأثبتها لمن شهد بكلمة التوحيد ، وهم يعلمون ان الله ربهم حقا ، فمن ذا الذى يشفع عنده الا باذنه . وانه هو المالك للشفاعة على الحقيقة ولا تكون الا باذنه . وقوله تعالى : واتخذوا من دونه آلهة لا يخلقون شيئا وهم يخلقون ولا يملكون لانفسهم ضرا ولا نفعا ولا يملكون موتا ولا حياة ولا نشورا » الفرقان . ان المنذرين اتخذوا من دونه آلهة وآثروا عبادتها على عبادة من هو منفرد بالالوهية والملك والخلق والتقدير . فهم عجزة لا يقدرون على خلق شىء وهم يخلقون ، ولا يملكون لانفسهم ضرا ولا نفعا لا يستطيعون دفع ضر عنها ولا جلب نفع لها ولا يملكون موتا أى تصرفا فى الاماتة والاحياء والنشور ، الاحياء بعد الموت . وقوله تعالى : ان الذين تدعون من دون الله عباد أمثالكم فادعوهم فليستجيبوا لكم ان كنتم صادقين ألهم أرجل يمشون بها أم لهم أيد يبطشون بها أم لهم اعين يبصرون بها أم لهم آذان يسمعون بها قل ادعو شركاءكم ثم كيدون فلا تنظرون » الاعراف . أى ان الذين تسمونهم آلهة وتعبدونهم عباد مخلوقون أمثالكم مملوكون لخالق واحد هو الله تعالى ، فان كنتم صادقين فى أنهم آلهة فادعوهم فليستجيبوا فى دفع الضر وجلب النفع ، ثم أبطل كونهم عبادا أمثالهم ثم ذكر عيبهم تنقيصا وتحقيرا لهم عن درجة عابديهم بقوله الهم أرجل يمشون بها الى آذان يسمعون بها ، فان كنتم تعرفونهم هكذا فلم تعبدون من هو معيب حقير لم يصل الى درجتكم فى المشى والبطش والابصار والسمع ؟ فأنتم اكمل منهم خلقة ، وان كنتم تستعينون بهم على عداوتى فكيدونى جميعا أنتم وشركاؤكم ثم لا تنظرون فانى لا أبالى بكم . وقوله تعالى : والذين تدعون من دونه لا يستطيعون نصركم ولا أنفسهم ينصرون وان تدعوهم الى الهدى لا يسمعوا وتراهم ينظرون اليك وهم لا يبصرون » الاعراف ، ثم عيرهم بما هم عليه من الجمود ومن كان كذلك لا يستطيع أن ينصر عابديه ، ومن كان عاجزا عن نصر نفسه فكيف ينصر غيره وان تدعوهم الى الهدى لا يسمعوا فهم صم عن السمع ، وتراهم ينظرون اليك وهم لا يبصرون لانهم عمى والاعمى لا يبصر المرئيات ثم وصفهم بأنهم يشبهون الناظرين اليك ، لانهم صورهم بصورة من قلب حدقته الى الشىء ينظر اليه .

وقوله تعالى : حتى اذا جاءتهم رسلنا يتوفرنهم قالوا أين ما كنتم تدعون من دون الله قالوا ضلوا عنا ، وشهدوا على أنفسهم أنهم كانوا كافرين » الاعراف ، وعند ما جاء ملك الموت وأعوانــه يتوفونهــم سألوهــم عن معبوداتهم ليدبوا عنهم قالوا ضلوا عنا أى غابوا عنا فلا نراهم . وقوله تعالى : وأعتزلكم وما تدعون من دون الله وأدعو ربى عسى ألا اكون بدعاء ربى شقيا » مريم . الهجرة من أرض الكفر الى غيرها وهى من أرض بابل الى أرض الشام ، أرض عبادة الله وحده وأدعو ربى . ثم قال متواضعا مهضما للنفس ، ومعرضا بشقاوتهم عسى أن لا اكون بدعاء ربى شقيا كما شقيتم أنتم بعبادة الاصنام . وقوله تعالى : يا أيها النــاس ضرب مثــل فاستمعوا له ان الذين تدعون من دون الله لن يخلقوا ذبابا ولو اجتمعوا له وان يسلبهم الذباب شيئا لا يستنقذوه منه ضعف الطالب والمطلوب » الحج ، ان الذين تدعون من دون الله آلهة باطلة لن يخلقوا ذبابا ولــن لتأكيد نفى المستقبل للدلالة على أن خلق الذباب منهم مستحيل ، وتخصيص الذباب بالخلق لمهانته وضعفه واستقذاره وسمى ذبابا لانــه كلمــا ذب لاستقذاره آب لاستكباره ولو اجتمعوا وتعاونوا على خلق الذباب لم يقدروا على خلقه لان خلقه منهم مستحيل وهذا من أبلغ ما أنزل فى تجهيل قريش حيث وصفوا بالالهية التى تقتضى الاقتدار على المقدورات كلها ، والاحاطة بالمعلومات عن آخرها صورا وتماثيل ، يستحيل منها أن تقدر على أقــل ما خلقه الله تعالى وأذله ولو اجتمعوا لذلك ضعف العابد والمعبود وقوله تعالى : ولئن سألتهم من خلق السموات والارض ليقولن الله قل افرايتم ما تدعون من دون الله ان أرادنى الله بضر هل هن كاشفات ضره أو ارادنى برحمة هل هن ممسكات رحمته قل حسبى الله عليه يتوكل المتوكلون» الزمر ، روى ان قريشا قالت لرسول الله صلى الله عليه وسلم : انا نخاف أن تخبلك آلهتنا ، وانا نخشى عليك مضرتها لعيبك اياها فنزل قوله تعالى : ويخوفونك بالذين من دونه » وفرض رسول الله صلى الله عليه وسلم المسألة فى نفسه دونهم لانهم خوفوه معرفة الاوثان وتخبيلها له . فأمر بأن يقررهم أولا بأن خالق العالم هو الله وحده ، ثم يقول لهم بعد التقرير ، فان أرادنى خالق العالم الذى اقررتم به ، بضر أو برحمة ، هل يقدرون على خلاف ذلك فأفحموا أى سكتوا ، فأنزل الله : قل : حسبى الله ، كافيا لمعرة اوثانكم ، عليه يتوكل المتوكلون ، وانما قال كاشفات وممسكات على

التانيث لانهن اناث وهن اللات والعزى ومناة . وفيه تبكم بهم وبمعبوديهم.
وقوله تعالى : هو الحى لا الاه الا هو فادعوه مخلصين له الدين الحمد لله
رب العالمين قل انى نهيت أن اعبد الذين تدعون من دون الله لما جاءنى
البينات من ربى وأمرت أن اسلم لرب العالمين » الزمر . روى ان الكفار
طلبوا من رسول الله صلى الله عليه وسلم عبادة أوثانهم . فنزل قوله
تعالى : قل انى نهيت أن اعبد الذين تدعون من دون الله لما جاءنى البينات
من ربى وأمرت أن اسلم لرب العالمين » وقوله تعالى : قل ارايتم ما
تدعون من دون الله أرونى ماذا خلقوا من الارض أم لهم شرك فى السموات
ايتونى بكتاب من قبل هذا أو اثارة من علم ان كنتم صادقين » الاحقاف .
اخبرونى عما تدعون من دون الله وأرونى ماذا خلقوا من الارض . أى أى
شيء خلقوا مما على الارض ان كانوا آلهة ؟ أم لهم شركة مع الله فى خلق
السموات والارض ؟ ايتونى بكتاب من قبل القرآن لانه وكل ما نزل قبله
ناطق بالتوحيد ومبطل للشرك . فلا حجة لكم فى ذلك . وان كان لكم كتاب
من قبله شاهد بصحة ما تقولون وما أنتم عليه من عبادة غير الله فاتوا به .
أو اثارة من علم أو بقية بقيت لكم من علم ممن تقدم عليكم من
علوم الاولين . ان كنتم صادقين ان الله أمركم بعبادة الاوثان . لا شيء
وقوله تعالى : قل اندعو من دون الله ما لا ينفعنا ولا يضرنا ونرد على
أعقابنا بعد اذ هدانا الله كالذى استهوته الشياطين فى الارض حيران
له أصحاب يدعونه الى الهدى ايتنا » الانعام ، والمعنى ان عبد الرحمن
ابن أبى بكر دعا أباه أن يرجع الى عبادة الاوثان ، فانزل الله : قل اندعو
من دون الله ، أنعبد من دون الله الضار النافع مالا ينفعنا مالا يقدر على
نفعنا ان عبدناه ، ولا يضرنا ان تركناه ، وانرد على أعقابنا راجعين الى
الشرك بعد اذ هدانا الله للاسلام ، وانقذنا من عبادة الاصنام ، كالذى
استهوته الشياطين كالذى ذهبت به الغيلان ومردة الجن ، أى أننكص
مشبهين من استهوته الشياطين أى طلبت هويه فى الارض فى المهمه حيران
أى تائها ضالا عن الجادة لا يدرى كيف يصنع ، له أصحاب يدعونه الى الهدى
ايتنا أى للمستهوى أصحاب يدعونه الى الهدى أى أن يهدوه الطريق أى
المستقيم يقولون له ايتنا ، وقد اعتسف المهمه تابعا للجن لا يجيبهم ولا
ياتيهم ، وهذا مبنى على ما يقال : ان الجن تستهوى الانسان والغيلان
تستولى عليه فشبه به الضال عن طريق السلام التابع لخطوات الشيطان ؛

والمسلمون يدعونه اليه فلا يلتفت اليهم . قال حضرة المفتى المذكور ، وأرى أن أكتفى بهذه الطائفة من الآيات . لكثرتها فى القرآن ولا يليق استقصاؤها بهذا الموضوع البسيط وكننى أشعر بأن المنصف يغنيه هذا القدر من الآيات الكريمة التى تبين خطأ من يزعم ان أحدا من خلق الله كائنا من كان يصح دعاؤه من دون الله وطلب الحاجات منه . سواء كان ذلك المدعو وليا فى ضريح أو رجلا أو امرأة صالحة من الاموات . أو ملكا أو جنيا أو تمثالا مصورا أو وثنا منحوتا أم كان أى شىء آخر . ولا يظنن ظان ان هذه الآيات نزلت فيمن كانوا يدعون معبوداتهم من الاصنام من دون الله ، فلا تكون متناولة لمن يدعو وليا لله تعالى فى ضريح . فان العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب . فيكون ما ورد فى القرآن الكريم من هذا النوع من الآيات عاما فى كل من يدعوه الانسان من دون الله ، ويسأله حاجاته ويجعله ندا ونظيرا لله تعالى . فى أنه يستجيب له ويقضى حاجاته كما يستجيب الله دعاء السائل ويعطيه حاجاته على أن العرب ما كانت تدعو التماثيل والصور فقط ، بل كان فريق منهم يدعون الملائكة ، وهم عباد الله المقربون ، واعتبرهم القرآن مع هذا مشركين . والخلاصة ان الشريعة المطهرة لم تشرع دعاء أحد من دون الله . واعتبرت هذا من الشرك المنافى للتوحيد ورأينا فى الموضوع كرأى كل مسلم يومن بالتوحيد الخالص من شوائب الشرك وهو ان طلب الحاجات كالشفاء من المرض ، واتساع الرزق وكل أمر غيبى لا اتصال له بالاسباب الظاهرة ، كطول العمر للولد وحصول الجاه والسعادة لنفسه والتغلب على عدوه ، كل ذلك لا يكون الا من الله تعالى ، كأن يقول رب أسألك الشفاء من المرض ، وأسألك اتساع الرزق ، ولا يضره أن يقول رب أسألك بوجاهة الولى سيدى فلان عندك ، وبحبى له ، أن تشفى مريضى أو تقضى حاجتى .

والذى نريد أن نستخلصه من هذا البيان ، ان الآيات الواردة فيمن يدعى من دون الله عامة فى الاولياء وغيرهم ، وان الداعى اذا كان غرضه تقديس من يدعوه أى خلع صفات الالوهية عليه ، من قدرته على استجابة الدعاء ، والتصرف فى دفع الضر وكشف السوء وجلب النفع ، فهذا لا محالة شرك صريح ، لانه من اتخاذ الانداد وتأليه الشركاء ، وفيه تكذيب ومخالفة للقرآن ، ولما جاءت به الشريعة الغراء ، وان كان الداعى غرضه

بنداء غير الله مجرد الاستغاثة والاستنجاد بهذا التوجيه عند الله ليستعين بوجاهته على انجاح مطلبه . واتمام مسألته فهذا أقل ما يقال فيه الحرمة للنهى والتقريع الوارد فى غير ما آية من كتاب الله العزيز عنه ، ولما فيه من التشبه بعبدة الاوثان . فى دعاء آلهتهم من دون الله . وعلى هذه القاعدة يمكن تطبيق حادثة اشراف والد السائل على الغرق — وهو الشيخ محمد جابر — وندائه وهو فى ظلمة البحر السيدة زينب رضى الله عنها من دون الله . وتمام الحكاية . قال السائل : ان والدى كان يزعم كما يزعم الاستاذ الخطيب الذى حدثت بسببه الحادثة وقامت من أجله الضجة بمسجد نزلة السمان . وينكر مسألة التوسل بالاولياء . وبعد مدة سقط فى وسط النيل فرع رشيد — وكان النيل فى وقت فيضانه وأخذه فى الزيادة . وبعد أن أشرف على الغرق . وتعب التعب الشديد أسلم نفسه للموت . وكاد يبتلعه النيل فى قعره . فنادى يا سيدة زينب . فلم تمض برهة وجيزة حتى انتشلته فلك بعض النوتية . وأخبر منقذوه من الغرق أن العمق الذى انتشلوه منه يزيد على خمسة أمتار . وبعد ما نجا من الغرق حضر عندنا وعرفنا ذلك . والله على ما أقول وكيل . ومنى الى فضيلتكم السلام .

قال حضرة المفتى المذكور . : وهذا خلاف ما فعله نبى الله يونس عليه السلام كما يدل عليه قوله تعالى : وذا النون اذ ذهب مغاضبا فظن أن لن نقدر عليه فنادى فى الظلمات أن لا الاه الا أنت سبحانك انى كنت من الظالمين ، فاستجبنا له ونجيناه من الغم وكذلك ننجى المومنين » والنون الحوت ، وسمى ذا النون لان النون ابتلعه واستقر فى بطنه وهو فى البحر ، وحدث له ذلك لما برم بقومه وغضب منهم لطول تذكيره اياهم ، مع اقامتهم على الكفر ، فذهب مغضبا وتركهم كارها الاقامة معهم غضبا لله وانفة وحمية للدين وبغضا للكفر وأهله ، وظن ان هذه النفرة منهم تسوغ له المهاجرة من ديارهم حيث لم يستطع الصبر معهم ، وكان عليه أن يصابرهم وينتظر حتى يأذن الله له فى مفارقتهم والابتعاد عنهم لانه رسول اليهم فأخذه الله مواخذة لم تكن فى حسبانه ، وابتلاه ببطن الحوت ، فماذا صنع وهو فى هذه الشدة ؟ وفى وسط هذه الظلمات قال الله تعالى حكاية عنه : ونادى فى الظلمات أن لا الاه الا أنت سبحانك انى كنت من الظالمين » والظلمات هى ظلمة الحوت وظلمة البحر ، وظلمة الليل وفى وسط هذه الظلمات لم ير أمامه غير الله ، فناداه مقرا بوحدانيته مجتهدا فى تسبيحه

وتقديسه وتنزيهه ، معترفا بظلمه لنفسه ، وما نجاه الله الا بالتجائه الى الله وحده مع اقراره بظلم نفسه ، وفى كلا الامرين نجاة كل مومن ، وهو قوله تعالى : وكذلك ننجى المومنين » أى لا ينجيهم الا نداء الله والالتجاء اليه وحده فى وقت الشدة ، واقرار العبد بظلم نفسه فعند ذلك تكون الاستجابة ، ويزداد شأنها تأكيدا بحالة الاضطرار لقول الله تعالى : أمن يجيب المضطر اذا دعاه ويكشف السوء » لا بالالتجاء الى غيره ونداء ذلك الغير وأما نجاة والد السائل فقد حصلت بتقدير الله ، والله سبحانه يقدر النجاة لكل من يريد نجاته من غير توقف على ايمان أو كفر ، أو طاعة أو عصيان ، وهو فى هذه الحالة عاص لله بندائه غيره فى أكبر موطن من مواطن الشدة ، وقال تعالى حاكيا عن أهل الكفر من عبدة الاوثان فى موطن الهلكة والخوف على النفس : حتى اذا كنتم فى الفلك وجرين بهم بريح طيبة وفرحوا بها جاءتها ريح عاصف وجاءهم الموج من كل مكان وظنوا أنهم احيط بهم دعوا الله مخلصين له الدين لئن انجيتنا من هذه لنكونن من الشاكرين فلما أنجاهم اذاهم يبغون فى الارض بغير الحق يا أيها الناس انما بغيكم على انفسكم » انظر كيف يتركون نداء آلهتهم ويدعون الله وحده مخلصين له الدين فى أعظم موطن من مواطن الشدة ففى هذه الحالة ترشدهم فطرهم الى الاستغاثة بالله وحده ، ويحملهم خوفهم من الله والامل فى النجاة من الغرق أن يلتجئوا اليه وحده ويدعوه مخلصين له الدين ، وهذه الحالة وهى معرفة الله فى وقت الشدة والخطر حالة فطرية طبيعية مركزوة فى طبيعة كل انسان مومنهم وكافرهم ولذلك استدل بها القرآن على تمام وحدانية الله وقدرته وانه وحده هو الملجأ والمفزع الذى يلجأ اليه المكروب ويفزع اليه الخائف . انتهت الفتوى القيمة .

ومن تقدير النجاة للكافر بفضل الله حادثة الطائرة المؤرخة بتاريخ 10 محرم عام 1392 هـ — 26 فبراير 1972 م نشرت الصحف العالمية خبرا مصحوبا بصورة فتاة ، مفاده ان فتاة اسمها فنسيا فولافيك ، عمرها 23 سنة سقطت من طائرة يوغسلافية فوق جبال تشيكوسلوفاكيا على ارتفاع 1500 متر بسبب انفجار وقع داخل الطائرة من وضع قنبلةيعتقد انها من صنع الانفصاليين الكروات فتمزقت الطائرة وهلك جميع ركابها الا هذه الفتاة ، وقد اعتبرت نجاتها معجزة لم يتقدم لها مثيل ، فى تاريخ

البشرية ، وقد كان من عملها الاخير فى الطائرة ان وضعت على وجهها قناع الاكسجين وصارت تساعد الركاب على وضعه أيضا قبل تسرب الهواء من الطائرة . وقد كان مقامها بالمكان الخلفى من الطائرة . ثم أغمى عليها بعد ذلك بلحظات فانقسمت الطائرة بعد ذلك الى ثلاثة اجزاء ؛ وكان معها فى الجزء الخلفى 11 شخصا الا أن الجزء الخلفى لما انفصل من الطائرة رفعه الهواء بسبب الزعانيف الخلفية حتى قطع مسافة أكثر من الاجزاء الاخرى . ولعل ذلك هو ما جعل نسبة صدمته بالارض أضعف نسبيا . وكما خفف الصدمة أيضا سقوطها على شبكة ردتها ؛ وكما ساعد ذلك أيضا سقوط الجزء المذكور فى غابة من جبال تشيكوسلوفاكيا ؛ كما كان من حسن حظها بعد سقوطها أن عثر عليها فورا أحد حراس الغابات . وقد ظن ان الفتاة لا تزال بقيد الحياة فغطاها بملابسه وأسرع الى الشرطة. ثم نقلت الفتاة فورا الى أقرب مستشفى وأما من كان معها فى الخلف فقد تمزقت أشلاؤهم على الارض . وبعد أن أجرى الطبيب عليها الفحص عدها من الموتى بسبب توقف نفسها وقلبها عن العمل المعتاد . ولم يكن للطبيب أجهزة أخرى حادثة توصله لبقاء الحياة بهذه الفتاة ثم اجتهد فقام بعمل هام لعل الحياة ترجع اليها ان كان بها بقية من الحياة السجينة ثم تركت الفتاة ؛ وفى الغد عاد اليها الطبيب مرة أخرى فوجد الحياة رجعت اليها وصحت من غيبوبتها ؛ وقد اندهش الاطباء من رجوع الحياة اليها مرة أخرى بعد ما كان يغلب على الظن انها ميتة . ثم نقلت الى مستشفى آخر فى برغ أكبر من الاول فاجرى الفحص على جميع أعضائها فوجد بها كسر فى العمود الفقرى كان منعها من الحركة لما أصابها من شلل رجليها بسببه ؛ وحيث أجريت لها عملية جراحية على الكسر المذكور وأصلح رجعت اليها الحركة واستعادت قدرتها على المشى وبعد أيام مرت عليها رهن العلاج أصبحت تمشى مشيا عاديا ؛ ولما سئلت عن حادثة الطائرة أجابت بأنها لا تعرف شيئا ؛ وقرر الطبيب منع اخبارها بوصف الحادثة خوفا عليها من أن تصاب بارتجاج فى عقلها من فظاعة الحادثة ؛ وهنا توقف كل شىء من العقل والعلم ؛ وبقى الامر لله وحده فى رد الحياة الى هذه الفتاة وحدها وكتبت اليها السلامة دون من كان معها من الموت المحقق ؛ ولم يستطع أحد من الاطباء أن يتجرأ ويصف كيف رجعت الحياة الى هذه الفتاة حتى الآن . ولم يبق الا ما أجاب به فضيلة المفتى عن سلامة الغارق فى النيل ؛ وهو

ان الله تعالى بفضله ومنه يقدر النجاة لكل من يريد نجاته من غير توقف على ايمان أو كفر أو طاعة أو عصيان ، مع العلم ان هذه الفتاة كافـــرة لم يخطر ببالها انها تلتجيء الى الله فى وقت شدتها أو الى غيره وقت استسلامها نفسها للقدر يفعل بها ما يشاء كباقى الذين كانوا معها فـــى الطائرة ، وبهذا يندفع عؤهم كل من توهم ان الالتجاء الى الاولياء الاموات ينفع الملتجىء اليهم كما فعل الاستاذ محمد جابر فى هذه النازلة . ومن أراد أن يقف على صورة الفتاة الناجية فعليه بجريدة العلم بالمكتبة العامـــة والمحفوظات بتطوان ، وعليه فمن اعتقد ان لغير الله من نبى أو ولى أو روح أو ملك أو أى شيء كان أن يكشف الكربات أو يقضى الحاجات بمعنى ان يكون له شيء من التاثير فى نفع أحد أو ضره فقد وقع فى وادى جهل خطير فهو على شفا حفرة من السعير .

حـــق الاستغـــاثـــة

قال العلامة شيخ الاسلام ابن تيمية رحمه الله : الاستغاثة لغـــة هى طلب الغوث لازالة ما حل بالمرء من الشدة والكرب على جهة الاسراع ، فهى كالاستنصار أى طلب النصر ، والاستعانة أى طلب العون ، وقال غيره الفرق بين الاستغاثة والدعاء ان الاستغاثة لا تكون الا من شـــدة مكروب قاهر ، والدعاء يكون فى ذلك وفى غيره ، فهو أعم من الاستغاثة ، وبينهما عموم وخصوص بوجه فيجتمعان فى قول الصحابى فى بدر يا غياث المستغيثين أغثنا ، وينفرد الدعاء فى قول المصلى : اللهم اغفر لى وارحمنى ، كما بين الاصحاب والآل ، فيجتمعان فى على كرم الله وجهه وتنفرد الصحبة فى ابى بكر وعمر رضى الله عنهما ، فكل استغاثة دعاء ، وليس كل دعاء استغاثة ، والاستغاثة على قسمين : جائزة وممنوعة ، فالجائزة تكون فى الاسباب الظاهرة العادية ، وهى من باب الالتمـــاس بين المستغيث والمستغاث به ، ومعناها العون على التخلص من المكـــروب على وجـــه الاستعجال ، وتكون فى قتال أو حريق أو غرق أو ادراك عدو أو سبع ونحو ذلك من الاسباب الحسية ولها صيغة مخصوصة فى اللغة العربية تتميز بها على المنادى والمندوب ، ولذلك تقترن باللام وتسمى لام الاستغاثة ، نحو يا لزيد ، ويا للمسلمين ، وأما الاستغاثة المعنوية بقوة التأثير فى عالم

الغيب ، كأن لا ينفذ فى الخلق قضاء ، قد قضى به الله فى سابق ازله ؛ فممنوعة فى حق غير الله تعالى من حى أو ميت كيفما كان نبيا أو وليا لله ؛ ولو كان شيء من ذلك جائزا لفعله أهل بدر . اذ كان النبى صلى الله عليه وسلم قائما عندهم بالعريش يدعو الله ويستنصره على أعدائه المشركين ؛ وقد كان الصواب فيما فعله الغزاة رضى الله عنهم اذ كانوا يدعون . ياغياث المستغيثين اغثنا ورسول الله صلى الله عليه وسلم رافعا يديه بالدعاء مبتهلا الى الله حتى سقط الرداء عن منكبيه فرده له الصديق رضى الله عنه ، فأجاب الله دعاءهم وحقق لهم ما كانوا يرجونه من النصر على العدو الشرس ، انعاما على سيد الوجود والذين معه ، قال تعالى : اذ تستغيثون ربكم فاستجاب لكم أنى ممدكم بألف من الملائكة مردفين » وقال تعالى : ولقد نصركم الله ببدر وأنتم أذلة فاتقوا الله لعلكم تشكرون » ومن هذا المعنى الاستغاثة بالقوة والتأثير المعنوى فى شدائد الامور المعنوية كشدة المرض ، وضيق الفقر والجوع . وطلب الولد والعلم والصحة وغير ذلك ممن هو من خصائص الربوبية ، ولا ينبغى أن يصرف منها شيء الى مخلوق كائنا من كان .

حق الاستعاذة

الاستعاذة من اختصاصات الربوبية ولا ينبغى أن يصرف منها شيء لغير الله ، فقولك أعوذ برب او أعوذ بالله معناها الاعتصام بقوة الله وقدرته والتحصن به من خذلان كل مريد ووسوسته . فبنى للتعلق به وحده، واستعمالها فى غير ذات الله شرك به تعالى منهى عنه ، وشرعت الاستعاذة بالله من كل ما يخاف شره من شياطين الانس والجن ، فالمستعيذ قد اعتصم والتجأ واستجار بمولاه العلى القادر سبحانه من كل ما يخشاه ؛ ولاهميتها وعظيم معناها أمر الله بها عند تلاوة القرآن فقال سبحانه وتعالى : فاذا قرأت القرآن فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم » أى اذا اردت قراءة القرآن فابدأ بها قبل قراءتك له قائلا : أعوذ بالله من الشيطان الرجيم ، أى هذا اللفظ لا غيره ، ومن ثم قال تعالى مخاطبا رسوله عليه الصلاة والسلام بقوله : قل اعوذ برب الفلق من شر ما خلق » السورة ؛ وقوله : قل اعوذ برب الناس » السورة ، وسميتا بالمعوذتين ، ولذلك كان من قراهما فى مأمن من كل ما يخافه من شياطين الانس والجن

ومن أجل هذه الحماية المعنوية من كيد الشيطان وجنوده قال تعالى « واما ينزغنك من الشيطان نزغ فاستعذ بالله انه سميع عليم » وقد كان المشركون اذا أنزلوا واديا او مكانا متوحشا من البرارى فى جاهليتهم يقولون : أعوذ بعظيم هذا الحى من سفهاء قومه ، وكان ذلك منهم قياسا على الجوار بعظمائهم اذا دخلوا بلدا فيه أعداء لهم من الانس ، فلما رأت الجن ان الانس يعوذون بهم دخلهم كبر فزادوهم رهقا أى زاد الجن الانس خوفا وارهابا وذعرا لكى يدموا على التعوذ بهم أى ومن ثم ازداد الانس اثما وكفرا أو ازداد الجن طغيانا ، وهو معنى قوله تعالى : وانه كان رجال من الانس يعوذون برجال من الجن فزادوهم رهقا » وقد أجمع العلماء على انه لا تجوز الاستعاذة بغير الله ، لان فاعلها مشرك مخلد فى النار الا من تاب . وعن خولة بنت حكيم قيل : هى الواهبة نفسها للنبى صلى الله عليه وسلم قالت : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : من نزل منزلا فقال : أعوذ بكلمات الله التامات من شر ما خلق . لم يضره شيء حتى يرتحل من منزله ذلك . رواه الامام مسلم فى صحيحه قال القرطبى : قيل معناه : الكلمات التى لا يلحقها نقص ولا عيب كما يلحق كلام البشر . وقيل معناه : الشافية الكافية . وقيل معناه : القرآن ، فان الله أخبر عنه بأنه هدى وشفاء . وهو منه صلى الله عليه وسلم توجيه وارشاد للمومنين كى يدفعوا بها الاذى عن أنفسهم ، ومتى اتبع المسلم ارشاد النبى صلى الله عليه وسلم بنية صادقة متوكلا على الله فى جميع ذلك وصل الى منتهى طلبه ومغفرة ذنبه ، قال : وقد جربت ذلك الخبر فوجدت له بركة عظيمة فعلمت انه قول الصادق المصدوق صلى الله عليه وسلم فعملت به منذ سمعته فلم يضرنى شيء الى أن لدغتنى عقرب بالمهدية التونسية فتذكرت اننى نسيته ولم اقراه . وروى فى الموطأ عن يحيى بن سعيد قال : بلغنى ان خالد بن الوليد قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم : انى أروع، اى يحصل لى روع اى فزع فى منامى ، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : قل أعوذ بكلمات الله التامات من غضبه وعقابه وشر عباده ومن همزات الشياطين وان يحضرون . وفى رواية أخرى : مالك عن يحيى بن سعيد انه قال : اسرى برسول الله صلى الله عليه وسلم فراى عفريتا من الجن يطلبه بشعلة نار كلما التفت رسول الله صلى الله عليه وسلم رءاه فقال جبريل : افلا اعلمك كلمات تقولهن ؟ اذا قلتهن طفئت شعلته

وخر لفيه اى سقط على فيه ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم بلى ، فقال جبريل : فقل : أعوذ بوجه الله الكريم ، وبكلمات الله التامات التـى لا يجاوزوهن بر ولا فاجر ومن شر ما ينزل من السماء وشر ما يعرج فيها ، وشر ما درأ فى الارض ، وشر ما يخرج منها ، ومن فتن الليل والنهار ، ومن طوارق الليل . الا طارقا يطرق بخير يا رحمان . وفى رواية أخرى : مالك عن سهيل بن ابى صالح عن أبيه عن أبى هريرة ان رجلا من أسلم قال : ما نمت هذه الليلة ، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم من أى شىء ؟ فقال : لدغتنى عقرب ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : اما انك لو قلت حين امسيت : أعوذ بكلمات الله التامات من شر ما خلق . لـم يضرك .

وفى رواية اخرى : مالك عن سمى مولى أبى بكر عن القعقاع بـن حكيم : ان كعب الاحبار قال : لولا كلمات لجعلتنى يهود حمارا ، فقيل له : وما هى ؟ فقال : أعوذ بوجه الله العظيم الذى ليس شىء أعظم منه ، وبكلمات الله التامات التى لا يجاوزوهن بر ولا فاجر ، وبأسماء اللـه الحسنى كلها ما علمت منها وما لم اعلم ، من شر ما خلق ، وبرأ ، وذرأ . احفظه فهو زبدة ما يتقى به من الشر فى باب التعوذ بالله من اصـح الصحيح بعد كتاب الله موطأ مالك رحمه الله .

تعظيـم النبـى (ص) فى ثلاثـة أشيـاء

فعن عمر بن الخطاب رضى الله عنه ان رسول الله صلـى الله عليه وسلم قال : لا تطرونى كما أطرت النصارى ابن مريم ، انما انا عبد فقولوا عبد الله ورسوله .

وهذا لا ينافى تعظيمه صلى الله عليه وسلم من جهة مدحه بما هو مشروع ، وفى ذلك يقول الامام البوصيرى رحمه الله وقد نسج على منواله كل محب فى النبى صلى الله عليه وسلم :

دع مـا ادعته النصارى فى نبيهـم — واحكم بما شئت مدحا فيه واحتكم
وانسب الى ذاته ما شئت من شرف — وانسب الى قدره ما شئت من عظم
فان فضل رسول الله ليس لـه — حد فيعرب عنـه ناطـق بفـم

كل هذا وما كان على منواله لا يخرج مدحه صلى الله عليه وسلم عن حدوده الادبية مع الله ورسوله ، لان الشريعة الاسلامية تكفلت باختصاصات كل جانب على حدة . فما كان لله وحده من قول او فعل يجب أن يعطى له . وما كان للنبى صلى الله عليه وسلم من الاقوال يجب أن تعطى له لحقوقه على أمته ليس فى ذلك افراط ولا تفريط . والى الآن والامة قائمة على اختصاص كل جانب بلا تخليط ، فاختص الجانب الالاهى من الافعال بأنواع العبادات كلها دون أن يعطى منها لغيره تعالى ؛ ومن الاقوال بألفاظ الدعاء والتسبيح والتنزيه والتقديس : كقول المسلم استغفر الله والحمد لله ولا الاه الا الله ، وكقوله فى التنزيه سبحان الله وسبحان ربك . وعز وجل . وجل شأنه . وجل جلاله وسبحانه وتعالى ، وتبارك وتعالى . فكل هذه العبارات لا يشاركه فيها أحد من خلقه . وقد قال تعالى فى الادب مع رسوله صلى الله عليه وسلم : ان الله وملائكته يصلون على النبىء يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما » وأما مدحه صلى الله عليه وسلم من جهة معجزاته . ومن جهة أخلاقه الكريمة وأعماله القويمة فلا يخرجه عن حدود الآداب الشرعية ، اذ الممنوع هو أن يعطى له صلى الله عليه وسلم من العبادة ما أعطته النصارى لعيسى ابن مريم اذ ابتدعوا فيه واللهوه من دون الله ؛ فقالت فرقة هو الله ، وقالت أخرى ابن الله ، وقالت اخـــرى ثالث ثلاثة ، وكل هؤلاء الفرق حكم القرآن بكفرها . وهو معنى قوله صلى الله عليه وسلم لا تطرونى كما أطرت النصارى عيسى ابن مريم أى لا تغلوا ولا تفرطوا فى مدحى حتى تنسبوا لى ما ليس لى مما يخرجنى عن درجـــة العبودية ، وانما انا عبد فقولوا عبد الله ورسوله والمسلمون ولله الحمد فى كل بلد من بلدان العالم الاسلامى لم يخرجه فى مدحه أحد عن درجـــة العبودية لله تعالى : وكلهم يقولون بلفظ واحد اللهم صل على سيدنا محمد عبدك ورسولك النبىء الامى وعلى آله وصحبه وسلم وهو اللفظ الشائع المستعمل فى الاوراد فى مشارق الارض ومغاربها ، وكلهم يذكرونه عبدا مكرما على الله فى صلاتهم عليه والممنوع هو أن يعتقد المسلم فى جانبه صلى الله عليه وسلم انه يعلم الغيب بطبعه وان له قدرة على الاعطاء والمنع ، وانه يسرع فى عالم الغيب الى اغاثة من استغاث به ، ومما هو ممنوع مـــن الافعال أن يسجد المسلم لقبره الشريف أو يطوف به أو يقبله ومن الاقوال أن يسأله شيئا من حوائجه فى حال توجهه اليه أو غير توجهه ، لقوله تعالى :

قل لا أقول لكم عندى خزائن الله ولا اعلم الغيب ولا اقول لكم انى ملك ان اتبع الا ما يوحى الى » وانى الآن والمسلمون قائمون متمسكون بالحرس الشديد على حدود الآداب معه صلى الله عليه وسلم ومع خالقه سبحانه وتعالى علماء وأمراء . وروى الامام أحمد والترمذى وابن ماجة عن ابن عباس رضى الله عنهما ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : اياكم والغلو ، فانما أهلك من كان قبلكم الغلو . وسبب الحديث ان النبى صلى صلى الله عليه وسلم قال لابن عباس : غداة جمع ، هلم التقط لى فلتطت له حصيات ، هن حصى الخذف بخاء معجمة أى الرمى ، فلما وضعهن فى يده قال : نعم ، بأمثال هؤلاء فارموا واياكم والغلو فى الدين ، فانما هلك من كان قبلكم بالغلو فى الدين . وقال الله فى كتابه : يا اهل الكتاب لا تغلوا فى دينكم غير الحق ولا تتبعوا اهواء قوم قد ضلوا من قبل وأضلوا كثيرا وضلوا عن سواء السبيل » وقال فى الذين ابتدعوا فى عيسى : يا اهل الكتاب لا تغلوا فى دينكم ولا تقولوا على الله الا الحق ، انما المسيح عيسى ابن مريم رسول الله وكلمته » هناك كثير من الناس يجهلون موجبات تعظيم النبى صلى الله عليه وسلم ، وأسباب محبته ، ومحبته وتعظيمه يحصلان للمسلم باتباع أمره ونهيه ، والوقوف عند حدودهما وتطبيقهما ظاهرا وباطنا ، وذلك عين ما جاء به من شريعة الاسلام ، لقوله تعالى : ما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا » وهو أيضا عين ما جاء به من التقوى والدين لقوله تعالى : ان أكرمكم عند الله أتقاكم » وما يتبع ذلك من الاهتداء بهديه ، والاستنان بسنته ، والدعوة الى دينه والجهاد من أجل اقامته ونصرته وموالات من عمل به ، ومعادات من خالفه وكفر به لقوله تعالى : قل ان كنتم تحبون الله فاتبعونى يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم والله غفور رحيم » ومن الاهتداء بهديه اجتناب سخطه وبغض كل من ناقض الله ورسوله وشاقه فيما دعا اليه لما ورد فيه من وعيد القرآن قال تعالى : ومن يشاقق الله ورسوله فان الله شديد العقاب » وليحذر المغالون فى تعظيم النبى صلى الله عليه وسلم ، والمخالفون لامره فيما لا يريده هو لنفسه ، والمنتحلون لما هو برىء منه ، فالقرآن يقول لهم : فليحذر الذين يخالفون عن امره ان تصيبهم فتنة او يصيبهم عذاب اليم » ولا يكون سببهم فى ذلك الا ان الشيطان استغل حبهم فى النبى صلى الله عليه وسلم وجعل يوجههم التوجيه المحظور من غير شعور منهم بمكايده ، والصواب الذى ينبغى ان لا يعدل عنه هو

انه يجب أن ينزل النبى صلى الله عليه وسلم حيث أنزل نفسه من مقام العبودية لله تعالى ؛ لان فى ذلك نهاية تعظيمه صلى الله عليه وسلم وغاية تشريفه ؛ لقوله صلى الله عليه وسلم انما أنا عبد فقولوا عبد الله ورسوله ؛ لان أشرف مقامات الانبياء والرسل هى اخلاص العبودية لله مع القيام بواجب الرسالة وهو صلى الله عليه وسلم لا يريد من أحد من أمته مهما كان جنابه الشريف عظيما أن يزيده شيئا عن المكانة اللائقة به ، وتتلخص تلك المكانة فى أمور ثلاثة : 1 ــ هو اطاعته فى كل ما اتى به من عند الله تعالى أمرا ونهيا ، وتطبيق ذلك قولا وفعلا ! حتى لا تاخذه فى الله لومة لائم . و 2 ــ سؤال الامة له الوسيلة من الله تعالى وهى كما قال عليه الصلاة والسلام : لما سئل عن تفسيرها ! هى أعلى درجة فى الجنة لا تكون الا لعبد من عباد الله وأرجو ان اكون انا ذلك العبد . و 3 ــ الصلاة عليه وعلى آله صلى الله عليه وآله وسلم . وروى الامام مسلم والامام احمد ، وأبو داود عن ابن مسعود رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : هلك المتنطعون . قال أبو السعادات القالون المتعمقون المتكلمون بأقصى حلوقهم ، وقال النووى فيه كراهة التقعر فى الكلام ، وتكلف الفصاحة واستعمال وحشى اللغة ودقائق الاعراب فى مخاطبة العوام . وروى الشيخان عن ابى هريرة رضى الله عنه قال : قام فينا رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم فذكر الغلول فعظمه وعظم امره حتى قال : لا القين احدكم يجىء يوم القيامة على رقبته بعير له رغاء فيقول يا رسول الله اغثنى ، فأقول : لا املك لك من الله شيئا قد ابلغتك ، لا القين أحدكم يجىء يوم القيامة على رقبته فرس له حمحمة فيقول يارسول الله اغثنى فأقول لا أملك لك من الله شيئا قد ابلغتك ، لا القين احدكم يجىء يوم القيامة على رقبته شاة لها ثغاء ، فيقول يا رسول الله اغثنى فأقول لا املك لك من الله شيئا قد ابلغتك لا القين احدكم يجىء على رقبته نفس لها صياح فيقول يا رسول الله اغثنى فأقول لا أملك لك من الله شيئا قد ابلغتك ؛ لا القين احدكم يجىء يوم القيامة على رقبته رقاع تخفق ، فيقول يا رسول الله أغثنى ، فأقول : لا أملك لك من الله شيئا قد ابلغتك ؛ لا القين احدكم يجىء يوم القيامة على رقبته صامت ــ اى ذهب وفضة ــ

فيقول يا رسول الله أغثنى ، فأقول لا أملك لك من الله شيئا اهـ . وذلك هو قوله تعالى : ومن يغلل يات بما غل يوم القيامة » .

أعـداء المسلـم هـم أعـداء عقيـدتـه

قد يتناسى المسلم أو يتغافل أو يتغاضى عداوة الاعداء المخالفين فى العقيدة لانه كريم النفس كبير الهمة مطمئن القلب ، ولكن العدو المخالف لا ينسى ولا يتغافل ولا يتغاضى أبدا بل هو متيقظ ذاكر العداوة فى كل أوان وفى كل الاحوال على بال ، لانه مريض القلب ملتهب النفس غيور حقود حسود على المسلم المفلح بنعمة ربه ، فهو عامل لا يهدأ له بال حتى يصرعه عليها أو يحرمه منها ، وفى هذا قال الله تعالى : انهم ان يظهروا عليكم يرجموكم أو يعيدوكم فى ملتهم ولن تفلحوا اذا أبدا » وأحسن ما اكتشفوه لتخريب دار الاسلام الغزو الفكرى بعد أن عجز الغزو المادى ، فالعـدو وان تظاهر بما يخفى العداوة فانما ذلك له مبرراته الموقتة سرعان ما يزول وتظهر تلك العداوة المتنعة للميدان فى ثوبها العادى ، فهو يتحين الفرص ويختار سبيل الانتصار والاختصار ومن أجل ذلك فهو ماكر غادر شيطان وصفى الشيطان ، ووصى الشيطان ، وفى طاعة الشيطان ، وهو أعدى للمسلم من أصل الشيطان ، وتلك العداوة فطرية داخلة فى المجتمع الواحد ، وفى الاسرة الواحدة ، وفى البيت الواحد ، قال تعالى : لا تجد قوما يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله ولو كانوا آباءهم أو ابناءهم أو اخوانهم أو عشيرتهم أولئك كتب فى قلوبهم الايمان وأيدهم بروح منه » وفى ذلك يقـول بعضهم :

كـل عـداوة ترجـى مـودتهـا الا عـداوة مـن عاداك فى الدين

واجعل نصب عينيك ما فعله العدو بأهل الاندلس واقرأ تاريخه تعلم ان من مر عليه فى الاسلام ما يزيد على ثمانية قرون أجبر على الكفر فهو غارق فيه ما يزيد على أربعة قرون وتلك هى غاية ما يفعله العدو بعدوه ، وهل يفلح الكافرون ؟ وقد نص سيد قطب رحمه الله فى ظلال القـرآن علـى مـن هـم أعـداء هـذا الديـن . فقـال : هـم الذيـن يعرفـون مواضـع القوة مـن طبيعتـه وحركتـه ، وهم الذين يقول الله تعالى فيهم : الذين آتيناهم الكتاب يعرفونه كما يعرفون

ابناءهم » لم يفتهم ان يدركوا ان التجمع على اساس العقيدة سر من اسرار هذا الدين ، وهى قوة المجتمع الاسلامى الذى يقوم على هذا الاساس ، ولما كانوا بصدد هدم هذا المجتمع أو اضعافه الى الحد الذى يسهل عليهم السيطرة عليه . وشفاء ما فى صدورهم من هذا الدين وأهله ولاستغلالهم كذلك واستغلال مقدراتهم وأموالهم وديارهم ، ولما كانوا بصدد تلك المعركة مع هذا المجتمع لم يفتهم أن يوهنوا من القاعدة التى يقوم عليها وان يقيموا لاهله المجتمعين على الاه واحد اصناما جديدة تعبد من دون الله . سموها تارة « الوطن » وسموها تارة « القومية » وسموها تارة « الجنس » وظهرت هذه الاصنام على مراحل التاريخ باسم « الشعوبية » وتارة باسم « الجنسية الطورانية » وتارة باسم « القومية العربية » وتارة بأسماء شتى تحملها جبهات تتصارع فيما بينها داخل المجتمع الاسلامى الواحد القائم على أساس العقيدة المنظم بأحكام الشريعة ، الى أن وهنت القاعدة الاساسية تحت المطارق المتوالية ، وتحت الايحاءات الخبيثة المسمومة الى أن اصبحت تلك الاصنام مقدسات ، يعتبر المنكر لها خارجا عن دين قومه ، أو خائنا لمصالح بلده ! .

واخبث المعسكرات التى عملت وما زالت تعمل فى تخريب القاعدة الصلبة التى كان يقوم عليها التجمع الاسلامى الفريد فى التاريخ ، كان هو المعسكر اليهودى الخبيث الذى جرب سلاح « القومية » فى تحطيم التجمع المسيحى ، وتحويله الى قوميات سياسية ذات كنائس قومية ، وبعد ذلك حطموا الحصار المسيحى حول الجنس اليهودى ، ومنه انتقلوا الى تحطيم الحصار الاسلامى حول ذلك الجنس الكنود اى الكفور ، وكذلك فعل الصليبيون مع مع المجتمع الاسلامى بعد جهد قرون كثيرة فى اثارة النعرات الجنسية والقومية والوطنية بين الاجناس الملتحمة فى المجتمع الاسلامى ، ومن ثم استطاعوا أن يرضوا احقادهم الصليبية القديمة على هذا الدين واهله ، وبعد أن تآخى اليهود والنصارى وحدوا جهودهم ضد المجتمع الاسلامى فاستطاعوا ان يمزقوهم ويروضوهم على مذاهب الاستعمار الاربى الصليبى ، وما يزالون عاملين من اجل ذلك حتى ياذن الله بتحطيم تلك الاصنام المصطنعة الخبيثة ، الملعون أهلها ، وينهض التجمع الاسلامى ليقوم من جديد على اساسه المتين الفريد ، ويقوم على أساس انه يجب أن تكون هناك قداسة واحدة لمقدس واحد ، وان لا تتعدد المقدسات كما يجب ان يكون هناك شعار واحد ، وان لا تتعدد الشعارات ، وكما يجب أن تكون هناك قبلة واحدة يتجه اليها الناس

بكلياتهم ، وان لا تتعدد القبلات والمتجهات وما كان الاسلام ليخلص الناس من عبادة الاصنام الحجرية ، والارباب الاسطورية ثم يرضى لهم أصنام الجنسيات ، والقوميات ، والاوطان ، ويامر الناس بقتال بعضهم بعضا عليها وتحت راياتها وشعاراتها ، وما زال يدعوهم الى الله وحده والى الدينونة له دون شيء خلقه سواه : فانها لا تعمى الابصار ولكن تعمى القلوب التى فى الصدور » لذلك قسم الاسلام الناس الى امتين اثنتين على مدار التاريخ البشرى . امة المسلمين وهم اتباع الرسل . كل فى زمانه حتى ياتى الرسول الاخير الى الناس كافة ، وأمة الكافرين . وهم عبدة الطواغيت والاصنام فى شتى الصور والاشكال . على مدار التاريخ عبر القرون والاجيال ، وعندما أراد الله ان يعرف المسلمين بأمتهم التى تجمعهم على مدى القرون عرفها لهم فى صورة اتباع الرسل . كل فى زمانه وقال لهم فى نهاية استعراض هذه الامة : ان هذه أمتكم امة واحدة وأنا ربكم فاعبدون » ولم يقل للعرب ان امتكم هى الامة العربية فى جاهليتها واسلامها . ولا قال لليهود ان امتكم هى الامة الاسرائلية أو العبرانية فى جاهليتهم واسلامهم ، ولا قال لسلمان الفارسى ان أمتك هى فارس ، ولا قال لصهيب الرومى ان أمتك هى الرومان ، ولا قال لبلال الحبشى ان امتك هى الحبشة ، وانما قال لجميع المنتمين لهذه الجنسيات ان أمتكم هى أمة المسلمين الذين أسلموا حقا واتبعوا أنبياءهم ورسلهم كأمة المسلمين فى زمن موسى وهارون ، وكأمة المسلمين فى زمن ابراهيم ولوط ، وكأمة المسلطين فى زمن نوح ومن تلاهم من الرسل ، كداود وسليمان ، وأيوب واسماعيل وادريس وذى الكفل ، وذى النون ، وزكريــاء ويحيــى وعيسى ابن مريم ، هذه هى أمة المسلمين فى تعريف الله تعالى ، وليس هناك طريق غيرها الا طريق واحد وهو طريق الكافرين ، فمن شاء له طريقا غير طريق الله فليسلكه ، ولكن ليقل انه ليس من المسلمين ، أما نحــن الذين أسلمنا لله فلا نعرف لنا أمة الا الامة التى عرفها الله لنا : والله يقص الحق وهو خير الفاصلين » اهـ .

انتهى عقل العقلاء فى وحدانيـــة الله الى الحيــرة

قال الشيخ ابو بكر هوارى البطائحى : رضى الله عنـــه اذا تناهت عقول العقلاء فى توحيد الله تناهت الى الحيرة ، ذكره صاحب الروض الناظر

فى مناقب الشيخ مولاى عبد القادر رضى الله عنه ، فقال : الحيرة والتحير لغة الهيمان من تفرق النظر فى شىء وامتناعه بحيث لا يجد له سبيلا ، وما يقتضيه المقام التوحيدى هو هيمان ينزل بالناظر لعجزه عن معرفة كنه الجلال ، ونعوت الكمال ، فلا يجد لادراك الكنه سبيلا ، لامتناع ادراك الحقيقة على الصحيح ، وامتناع الاحاطة بها ، قال تعالى : ولا يحيطون به علما » وللناس فى مواردهم على حسب مشاربهم مواجد مختلفات ، وفى توحيدهم معارج متعددات : برهانى ، وايمانى ، واحسانى ، وهم فى ذلك على حسب ترتيب العوالم الثلاثة فعل ، وصفة ، وذات ، فمشرب العبد فى ذلك على حسب وسعه ، وسلامة ذهنه كما سبق لهم فى العلم الازلى ، وهم فى ذلك على ثلاث مراتب : عامة وخاصة ، وخاصة الخاصة ، قال تعالى : قد علم كل أناس مشربهم » وقال : كلا نمد هؤلاء وهؤلاء من عطاء ربك » فتوحيد العامة وقفوا مع الدليل خلف الباب ، فأعطوا نصيبهم من وراء حجاب ، وهو مقام البرهان فى مقام الاسلام وحيرتهم فيه عجزهم عن الاحاطة الممنوعة شرعا ، اذ العقول معقولة ، مهما رامت أو طلبت ما ليس لها طلبه ، زجرها زاجر الشرع ، واكتنفها وارد المنع فنكصت القهقرى ورجعت الى الوراء ، فانحطت عن مدارك الوصول ، فهى مترددة بين الرد والقبول ، متفاوتة الفقد والحصول ، فحظها ونصيبها من ربها كما قال قائلهم :

قف بالديار فهذه آثارهم وابك الاحبة حسرة وتشوقا
كم قد وقفت بربعها مستخبرا عن أهلها أو داعيا أو مشفقا
فأجابنى داعى الغرام تحرقا فارقت من تهوى فعز الملتقى

وتوحيد الخاصة يقين فى القلب عن علم ضرورى يرد عن مكاشفات ولها ثمرات ومنازلات تدرك بالتحلى والمصافات ، وهو مقام الايمان ، فحيرتهم من بساط مقامهم منازلة هيمان ينزل عن بديهة يرددهم بين اليأس والطمع فى الوصول الى مطلوبهم وكمال مرغوبهم ، وفى ذلك قال قائلهم أيضا :

ويطعمنى فيه عذوبة وصله وتقطعنى عنه سيوف قواطع
واعلم ان النجم دون وصاله ولكن لى قلبا دهته المطامع

لا يطعمهم الوصل فيدلجون ، ولا يؤيسهم عن الطلب فيستريحون ،

قد كشف لهم تعالى عن أوصاف جماله ، ونعوت كماله ، فهم سكارى متحيرون ، ما بين طيش وعيش ولهون فان تجلى لهم طاشوا ، وان حجبهم عاشوا قد أخذهم عنهم فهم بلاهم ، فأفناهم عنهم به له فيه ، فهيمهم واشهدهم منه اليه عليه ، فأحياهم فقد نظروا به اليه ، فتحققوا ان لا دليل عليه تعالى سواه ، وعرفوا ان لا وصول لشيء من معارفهم الا بتأييد وتخصيص من موجدهم تعالى : وفى ذلك قال قائلهم :

تحيرت فيك فخذ بيدى دليلا لمن قد تحير فيك
ورمت الوصول فلم اهتدى وأنت الدليل لمن يرتجيك

وتوحيد خاصة الخاصة ، فهو عن مشاهدة ووجدان . فهم قد منحوا حق اليقين ، وأعلى مراتب العارفين ، وهم أهل مقام الاحسان فحيرتهم كما يليق بهم ، وهم على قدر مواجدهم هو هيمان من تحقيق نظرهم فى مشاهدة كمال محبوبهم كما يتحير البصر فى مشاهدة نور الشمس تقريبا . وهذه الحيرة هى مصادفات الحب ، ومواجد القرب يتوالى شربهم عليهم . فهم فى حضرة الجمع قاطنون ، وبه اليه ناظرون ، وبه فيه ذاهبون ، قد غابوا عن التوحيد فى التوحيد لاستهلاكهم فى مشهدهم وبقائهم بمحبوبهم على ساق التجريد ، وقدم التفريد ، قد أهلهم الله لحضرته ، وحلاهم بمعرفته وأقامهم مقام قربه ومشاهدته ، تحفهم أحوال سنية ، وآداب سامية ، فعندها يعترفون انهم عن مداركها قاصرون ، فعندها يتحقق العبد انه وان بلغ اقصى الغايات ، ونهاية المنازل ، فهو عن ذروة أعلاها وغاية أقصاها منحط نازل ، لان جميع الطاعات وأنواع القربات فى مقابلة حقوق الهيبة جنايات وكل أنواع المعارف الحاصلة للخلق فى مقابلة كبريائه ، وعظيم جلاله نقص وتقصير ، وان كانت منه تعالى منة وفضلا ، فهى بالنسبة لكماله وعلو جلاله جهل وقصور ، قال تعالى : وما قدروا الله حق قدره » وفى ذلك يقول قائلهم :

ولما تجلى من احب تكرما واشهدنى ذاك الجمال المعظما
تعرف لى حتى تيقنت اننى اراه بعينى جهرة لا توهما
وما هو فى وصلى بمتصل ولا بمنفصل عنى وحاشاه منهما
وما قدر مثلى أن يحيط بقدره فأين الثرى من رفعة البدر انما

اشاهــده فى صفو سرى فاجتلـــى جمـــالا تعـــالى عزه أن يقسمـــا

وهؤلاء أهل التوحيد الذاتى لانهم انكشف لهم أسرار الذات ومعانى الصفات حيث كانت معراجا لهم بقدر ما تسعه عقولهم وتحمله أرواحهم ، رحمة من الله تعالى بهم وهم فى نيل هذه الاسرار على مراتب ، منهم من تنكشف له جملة ، ومنهم من تنكشف له جملة وتفصيلا ، وهم الانبيـــاء والرسل عليهم الصلاة والسلام ، واعظمهم كشفا وأعلاهم رتبة ، وأوسعهم معرفة سيدنا ومولانا محمد صلى الله عليه وسلم .

فكانت هذه الاسرار التوحيدية والانوار الغيبية قبل بعثته صلى الله عليه وسلم بحرا طامسا وسماء عابسا . فبنوره ظهرت ، وبسره أشرقت ، وبالجملة فجميع الحقائق ارتقت وتجلت فى باطنه حتى صار قلبه صلى الله عليه وسلم معدنا لها وباطنه مرساها ، فقلبه معدن الحقائق والاسرار ، وباطنه مهبط العلوم والانوار ، خص بذلك لاتساعه ، فما وسعه هو صلى الله عليه وسلم لا يسعه غيره ، ولذلك كان من قبله من الانبياء والمرسلين نوابا عنه ، وعلى تقدير وجوده صلى الله عليه وسلم فكانت هذه الاسرار التوحيدية والانوار الغيبية فى زمن كل واحد منهم لكان مكلفا بالايمان بـــه وباتباعه ، قال تعالى : واذ اخذ الله ميثاق النبيئين لما آتيناكم من كتـــاب وحكة ثم جاءكم رسول مصدق لما معكم لتومنن به ولتنصرنه قال آقررتم وأخذتم على ذلكم اصرى قالوا أقررنا قال فاشهدوا وأنا معكم من الشاهدين » ومن أجل ذلك كانت قلوب العلماء العارفين وقلوب عباد الله الصالحين المخلصين من أمته تتلقى الانوار القدسية من روحه صلى الله عليه وسلم اذ هو بحر لكل علم وحكمة ومعرفة ربانية واسرار ملكوتية ، وانوار عرشية قدسية وان كان صلى الله عليه وسلم هو واسطة العقد بين المتقدمين والمتأخرين ، فان مرتبته من خالقه على قدر مقامه ، ولذلك خوطب بقوله تعالى : فاستقم كما أمرت » فكانت معرفته بربه على قدر مقامه ، وكانت حيرته صلى الله عليه وسلم على قدر معرفته به ، وكما يليق بمقامه وعلو منزلته ، وحقيقة ذلك لم يدركها احد بفهمه ، قال تعالى : ولا يحيطون بشىء من علمه الا بما شاء » اى بما شاء الله من ظواهر الامور دون بواطنها وجليها دون خفيها ، فالفهوم كلت والعقول وقفت وتضاءلت عن ادراك خفى سره تعالى ، والوقوف على حقيقة أمره ، ولا يعلم حقيقة ذاته الا هو

سبحانه وفى ذلك يقول قائلهم :

فهـــو الحبيب الذى جلت مواهبه	على الدوام فلا تخفـــى بـــواديه
أنـــوار من عرفات الفضل باديـــة	مـ ن الجمـــال فكل تائـــه فيـــه
واسبـــل الستر كى يبقى المحب له	ولو تكاشف مـــات الكل فى التيه
ألقى شواهـــده فى قلب شاهـــده	وايـــن شاهـــده فيما يحـــاكيـــه
هذا الجمال الذى فى حسنه ذهبوا	أهـــو تجلـــى أم هـــــى تجليـــه

فهذا الرسول الكريم بعثه الله دليلا عليه ، وعرف الخلق الطريق اليه وردهم الى بابه الكريم ، ونهج بهم الصراط المستقيم فدلهم على الله بأقواله وأفعاله وأيقظ الارواح الى ملاحظة جلاله وجماله . فلم يخرق حجاب العظمة والوقار ورفع عن أبصار العارفين حجب الاغيار . وظلمة سحائب الآثار ، فحجر العقول عن النظر فى ماهية الذات ، وحقائق الصفات ، فعقلها بعقال شرعه المستقيم فأودع الله سبحانه نبيه هذا السر العظيم ليكون رحمة ونعمة للوجود ، وحياة للارواح حيث حجبها عما فيه هلاكها وفناؤها ، اذ لا قوة لها على كشف الحقيقة ولو كشف لها فى هذه الدار لتفرقت الموجودات ، وتمزقت الوحدات ، وتدكدكت كما تدكدك الجبل عند التجلى ، قال تعالى : فلما تجلى ربه للجبل جعله دكا وخر موسى صعقا فلما أفاق قال سبحانك تبت اليك وأنا أول المومنين » قال قائلهم :

فـــلا يحيـــط به عقل فيـــدركـــه	جـــل المهيمـــن عن ادراك مفتقـــر
تاهت عقول ذوى الالباب فيه وقد	كلت وضلت مجارى العقل والفكر

وكما قصرت العقول عن كنه جلاله وجماله وكماله ، ولو بلغت الغاية القصوى فى الرجحان لقصرت الالسنة عن وصف ذلك الجلال والكمال ، ولو كانت السنة العالم كله كلسان حسان وسحبان ، وحسبك أن أرجح الناس عقلا وأعظمهم علما ، وابلغهم فى الفصاحة والبلاغة ، وأحرزهم للمنزلة العظمى من أوتى جوامع الكلم صلى الله عليه وسلم وخص ببدائع الحكم ، قال مفصحا عن حق المقام منبها لذوى النهى والاحلام : اللهم لا أحصى ثناء عليك انت كما أثنيت على نفسك . عليه من الله ازكى صلاة وأطيب سلام ، ولما كان هذا الكتاب معطافا لاهل الخير والصلاح من العارفين بالله رايت أن أنقل هنا أذكارا لبعض العارفين بالله تبـــركا بآثـــارهـــم

فمـــن ذلك :

حـــزب الفـــلاح للامـــام الجـــزولـــى

وهو من جمع شيخ الطريقة ابى عبد الله محمد بن عبد الرحمن بـــن أبى بكر بن سليمان الجزولى رحمه الله ، والتزمه اتباعه فى طريقة المعرفة بالله ، وقد تلقاه عنهم العلماء والفقهاء والصلحاء فى جميع أنحاء المغرب ، ودابوا على قراءته بعد صلاة الصبح قبل قراءة حزب القرآن الكريم ، وهو كما تلقيناه عن أشياخنا رحمهم الله ، لا الاه الا الله وحده لا شريك له ، له الملك وله الحمد يحيى ويميت وهو على كل شيء قدير 11 مرة وتزيد على الاخيرة سيدنا محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم البشير النذير . أعوذ بالله من الشيطان الرجيم بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله الذى خلق السموات والارض وجعل الظلمات والنور ثم الذين كفروا بربهم يعدلون الى قوله تكسبون » الانعام ، وقل الحمد لله الذى لم يتخذ ولدا ولم يكن له شريك فى الملك ولم يكن له ولى من الذل وكبره تكبيرا » الحمد لله الذى هدانا لهذا وما كنا لنهتدى لولا أن هدانا الله لقد جاءت رسل ربنا بالحق »

جزى الله عنا سيدنا ونبينا محمدا صلى الله عليه وسلم أفضل مـــا هو أهله 3 ربنا لا تزغ قلوبنا بعد اذ هديتنا وهب لنا من لدنك رحمة انك أنت الوهاب » 3 مرات أعوذ بكلمات الله التامات من شر ما خلق 3 مرات بسم الله الذى لا يضر مع اسمه شيء فى الارض ولا فى السماء وهو السميع العليم 3 مرات ، سبحان ربى العظيم وبحمده ولا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم 3 مرات ، أستغفر الله العظيم الذى لا الاه الا هو بديع السمـــوات والارض ومـــا بينهمـــا مـــن جميـــع جـــرمـــى وظلمـــى وما جنيته على نفسى وأتوب اليه 3 مرات : فسبحان الله حين تمسون وحين تصبحون وله الحمد فى السموات والارض وعشيا وحين تظهرون » يخرج الحى من الميت ويخرج الميت من الحى ويحيى الارض بعد موتها وكذلك تخرجون » سبحان ربك رب العزة عما يصفون وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين » لا الاه الا الله سيدنا محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلى آله ، 11 مرة ثبتنا يارب بقولها وارحمنا يا مولاى بفضلها واجعلنا من أخيار أهلها واحشرنا فى زمرة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم

وعلى آله ؛ 3 مرات ؛ اللهم يا لطيف نسألك اللطف فيما جرت به المقادير .
11 مرة . اهـ ومن ذلك أيضا :

المسبعـات العشـر

وهى أعوذ بالله من الشيطان الرجيم بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله رب العالمين سورة الفاتحة الى آخرها 7 مرات مع تكرار بسملتها ثم سورة الناس 7 مرات ببسملتها ثم سورة الفلق 7 مرات ببسملتها أيضا كذلك ، ثم سورة الاخلاص 7 مرات ببسملتها كذلك ، ثم آية الكرسى 7 مرات كذلك ، ثم سبحان الله والحمد لله ولا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم 7 مرات اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على ابراهيم وعلى آل ابراهيم ، وبارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على ابـراهيم وعلى آل ابراهيم انك حميد مجيد 7 مرات اللهم اغفر لى ولوالدى وللمومنين والمومنات والمسلمين والمسلمات الاحياء منهم والاموات سبعا اللهم افعل بى وبهم عاجلا وآجلا فى الدين والدنيا والآخرة ما أنت أهله ، ولا تفعل بنا يامولانا ما نحن اهله انك غفور رحيم جواد كريم رعوف رحيم 7 مرات وهى وظيفة العشى لاهل الطريقة ، وقد ذكرها الشيخان أبو طالب وأبو حامد والشيخ شهاب الدين السهروردى وغيرهم ، وذكر فى الاحياء جملة مـن الآيات تستحب قراءتها لورود الاخبار بفضلها .

وقال الشيخ أبو عبد الله الخروبى : هذه الاوراد العظيمة قد جعلها العباد والصالحون من وظائفهم ودابوا على قراءتها غدوة وعشية فى القديم والحديث ولم يزل أشياخنا واشياخهم يحضون عليها اخوانهم ، وقد كانوا يحضوننا على قراءتها منذ كنا صغارا وقد عمل بذلك العلماء والاولياء فى جميع الآفاق والامصار قال تعالى : أولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده » الانعام . ومن كلام الشيخ أبى العباس زروق لا تشترط الصحبة فى الاذكار الواضحة لانهـا من جنس ما يطلب الاكثار منه مطلقا وهو الذكر لقولـه تعالى : والذاكرين الله كثيرا والذاكرات أعد الله لهم مغفرة وأجرا عظيما » الاحزاب . ومن ذلك أيضا :

المعشـــرات التســـع

وهى : أشهد أن لا الاه الا الله أشهد أن محمدا رسول الله صلى الله عليه وسلم مرة واحدة ثم أعوذ بالله من الشيطان الرجيم 10 مرات بسم الله الرحمن الرحيم 10 مرات اللهم صل على سيدنا محمد النبى الامى وعلى آله عشرا ؛ ثم أستغفر الله ان الله غفور رحيم 10 مرات لا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم 10 مرات ثم لا الاه الا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شىء قدير 10 مرات ؛ سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم 10 مرات ثم الحمد لله رب العالمين 10 مرات حسبنا الله ونعم الوكيل 70 مرة . ومن ذلك أيضا :

الحـــزب الكبيـــر للشيـــخ أبى الحسن الشاذلـــى

وهو : بسم الله الرحمن الرحيم واذا جاءك الذين يومنون بآياتنا فقل سلام عليكم كتب ربكم على نفسه الرحمة أنه من عمل منكم سوءا بجهالة ثم تاب من بعده وأصلح فانه غفور رحيم » بديع السموات والارض انى يكون له ولد ولم تكن له صاحبة وخلق كل شىء وهو بكل شىء عليم ذلكم الله ربكم لا الاه الا هو خالق كل شىء فاعبدوه وهو على كل شىء وكيل لا تدركه الابصار وهو يدرك الابصار وهو اللطيف الخبير » الـــر كهيعص حم عسق » رب احكم بالحق وربنا الرحمن المستعان على ما تصفون » طه ما أنزلنا عليك القرآن لتشقى الا تذكرة لمن يخشى تنزيـــلا ممن خلق الارض والسموات العلى الرحمن على العرش استوى له ما فى السموات وما فى الارض وما بينهما وما تحت الثرى وان تجهر بالقول فانه يعلم السر وأخفى الله لا الاه الا هو له الاسماء الحسنى » من الله الى الحسنى مرتين ، اللهم انك تعلم انى بالجهالة معروف وأنت بالعلم موصوف، وقد وسعت كل شىء من جهالتى بعلمك ، فسع ذلك برحمتك كما وسعته بعلمك ، واغفر لى انك على كل شىء قدير ، يا الله ، يا مالك ، يا وهاب ، هب لنا من نعماك ما علمت لنا فيه رضاك ، واكسنا كسوة تقينا بها من الفتن فى جميع عطاياك وقدسنا عن كل وصف يوجب نقصا مما استأثرت به فى علمك عمن سواك يا الله ، يا عظيم ، يا على ، يا كبير ، نسألك الفقر مما سواك والغنى بك ، حتى لا نشهد الا اياك ، والطف بنا فيهما لطفا علمته يصلح لمن والاك ، واكسنا جلابيـــب العصمـــة فى الانفاس واللحظات ، واجعلنا عبيدا لك فى جميع الحالات ، وعلمنا من لدنك علما

نصير به كاملين فى المحيا والممات ، اللهم أنت الحميد الرب المجيد الفعال لما تريد ، تعلم فرحنا بماذا ، ولماذا ، وعلى ماذا ، وتعلم حزننا كذلك وقد أوجبت كل ما أردته فينا ومنا ، ولا نسألك دفع ما تريد ولكن نسألك التأييد بروح من عندك فيما تريد ، كما أيدت أنبياءك ورسلك ، وخاصة الصديقين من خلقك ، انك على كل شيء قدير ، اللهم فاطر السموات والارض عالم الغيب والشهادة أنت تحكم بين عبادك . فهنيئا لمن عرفك فرضى بقضائك ، والويل لمن لا يعرفك . بل الويل ثم الويل لمن أقر بوحدانيتك ولم يرض بقضائك . اللهم ان القوم قد حكمت عليهم بالذل حتى عزوا ، وحكمت عليهم بالفقد حتى وجدوا فكل عز يمنع دونك فنسألك بدله ذلا تصحبه لطائف رحمتك ، وكل وجد يحجب عنك فنسألك عوضه فقدا تصحبه أنوار محبتك ، فانه قد ظهرت السعادة على من أحببته ، وظهرت الشقاوة على من غيرك ملكه ، فهب لنا من مواهب السعداء ، واعصمنا من موارد الاشقياء . اللهم انا قد عجزنا عن دفع الضر عن أنفسنا من حيث نعلم بما نعلم ، فكيف لا نعجز عن ذلك من حيث لا نعلم بما لا نعلم وقد أمرتنا ونهيتنا والمدح والذم الزمتنا ، فأخو الصلاح من أصلحته ، وأخو الفساد من أضللته ، والسعيد حقا من أغنيته عن السؤال منك ، والشقى حقا من حرمته مع كثرة السؤال لك ، فاغننا بفضلك عن سؤالنا منك ، ولا تحرمنا من رحمتك مع كثرة سؤالنا لك ، انك على كل شيء قدير ، يا شديد البطش ، يا جبار ، يا قهار يا حكيم ، نعوذ بك من شر ما خلقت ، ونعوذ بك من ظلمة ما ابدعت ، ونعوذ بك من كيد النفوس فيما قدرت وأردت ، ونعوذ بك من شر الحساد على ما أنعمت ونسألك عز الدنيا والآخرة ، كما سألك نبيك محمد صلى الله عليه وسلم عز الدنيا بالايمان والمعرفة ، وعز الآخرة باللقاء والمشاهدة ، انك سميع قريب مجيب اللهم انى أقدم اليك بين يدى كل نفس ولمحة وطرفة يطرف بها اهل السموات وأهل الارض ، وكل شيء هو فى علمك كائن او قد كان ، اقدم اليك بين يدى ذلك كله : الله لا الاه الا هو الحى القيوم لا تاخذه سنة ولا نوم له ما فى السموات وما فى الارض من ذا الذى يشفع عنده الا باذنه يعلم ما بين ايديهم وما خلفهم ولا يحيطون بشيء من علمه الا بما شاء ، وسع كرسيه السموات والارض ولا يؤوده حفظهما وهو العلى العظيم » .

اقسمت عليك ببسط يديك ، وكرم وجهك ، ونور عينك ، وكمال

أعينك أن تعطينا كمال ما نفذت به مشيئتك ، وتعلقت به قدرتك ، وأحاط به علمك ، واكفنا شر ما هو ضد لذلك ، واكمل ديننا واتمم علينا نعمتك ، وهب لنا حكمة الحكمة البالغة مع الحياة الطيبة ، والموتة الحسنة ، وتول قبض ارواحنا بيدك ، وحل بيننا وبين غيرك ، فى البرزخ وما قبله ، وما بعده بنور ذاتك ، وعظيم قدرتك ، وجميل فضلك انك على كل شيء قدير ، يا الله ، يا على ، يا عظيم ، يا حليم ، يا حكيم ، يا كريم يا سميع ، يا قريب ، يا مجيب ، يا ودود حل بيننا وبين فتنة الدنيا والنساء والغفلة والشهوة وظلم العباد ، وسوء الخلق ، واغفر لنا ذنوبنا ، واقض عنا تبعاتنا واكشف عنا السوء ونجنا من الغم ، واجعل لنا منه مخرجا انك على كل شيء قدير ، يا الله ، يا الله ، يا الله ، يا لطيف يا رزاق يا قوى يا عزيز ، لك مقاليد السموات والارض ، تبسط الرزق لمن تشاء وتقدر ، فابسط لنا من الرزق ما توصلنا به الى رحمتك ، ومن رحمتك ما تحول به بيننا وبين نقمتك ومن حلمك ما يسعنا به عفوك ، واختم لنا بالسعادة التى ختمت بها لاوليائك واجعلها خير ايامنا وأسعدها يوم لقائك ، وزحزحنا فى الدنيا عن نار الشهوة ، وأدخلنا برحمتك فى ميادين الرحمة ، واكسنا من نورك جلابيب العصمة ، واجعل لنا ظهيرا من عقولنا ، ومهيمنا من أرواحنا ومسخرا من انفسنا : كى نسبحك كثيرا ونذكرك كثيرا انك كنت بنا بصيرا » وهب لنا مشاهدة تصحبها مكالمة ، وافتح أسماعنا وأبصارنا ، واذكرنا اذا غفلنا عنك بأحسن ما تذكرنا به اذا ذكرناك ، وارحمنا اذا عصيناك بأتم مما ترحمنا به اذا أطعناك واغفر لنا ذنوبنا ما تقدم منها وما تأخر ، والطف بنا لطفا يحجبنا عن غيرك ولا يحجبنا عنك ، فانك بكل شيء عليم ، اللهم انا نسألك لسانا رطبا بذكرك وقلبا مفعما بشكرك ، وبدنا هينا بطاعتك ، واعطنا مع ذلك ما لا عين رات ، ولا اذن سمعت ، ولا خطر على قلب بشر ، كما اخبر به رسولك صلى الله عليه وسلم حسبما علمته بعلمك ، واغننا بلا سبب ، واجعلنا سبب الغنى لاوليائك وبرزخا بينهم وبين أعدائك ، انك على كل شيء قدير ، اللهم انا نسألك ايمانا دائما الى آخرها ، اللهم انا نسألك التوبة الكاملة ، والمغفرة الشاملة والمحبة الجامعة ، والخلة الصافية ، والمغفرة الواسعة ، والانوار الساطعة والشفاعة القائمة ، والحجة البالغة ، والدرجة العالية ، وفك وثاقنا من المعصية ، ورهاننا من النعمة ، بمواهب المنة ، اللهم انا نسألك التوبة ودوامها ونعوذ بك من المعصية واسبابها ، وذكرنا بالخوف منك قبل هجوم خطراتها واحملنا على النجاة

منها ، ومن التفكر فى طرائقها ، وامح من قلوبنا حلاوة ما اجتنيناه منها واستبدلها بالكراهة لها والطمع لما هو بضدها ، وأفض علينا من بحر كرمك وعفوك حتى نخرج من الدنيا على السلامة من وبالها واجعلنا عند الموت ناطقين بالشهادة عالمين بها ، وارأف بنا رأفة الحبيب بحبيبه عند الشدائد ونزولها ، وأرحنا من هموم الدنيا وغمومها ، بالروح والريحان الى الجنة ونعيمها ، اللهم انا نسألك توبة سابقة منك الينا لتكون توبتنا تابعة اليك منا ، وهب لنا التلقى منك ، كتلقى آدم منك الكلمات ، ليكون قدوة لولده فى التوبة والاعمال الصالحات ، وباعد بيننا وبين العناد والاصرار ، والشبه بابليس رأس الغوات ، واجعل سيئاتنا سيئات من أحببت ولا تجعل حسناتنا حسنات من أبغضت ، فالاحسان لا ينفع مع البغض منك والاساءة لا تضر مع الحب منك ، وقد ابهمت الامر علينا لنرجو ونخاف فأمن خوفنا ، ولا تخيب رجاءنا ، واعطنا سؤلنا فقد أعطيتنا الايمان من قبل أن نسألك ، وكتبت وحببت ، وزينت وكرهت واطلقت الالسن بما به ترجمت فنعم الرب أنت فلك الحمد على ما أنعمت ، فاغفر لنا ولا تعاقبنا بالسلب بعد العطاء ولا بكفران النعم وحرمان الرضى ، اللهم رضنا بقضائك وصبرنا على طاعتك وعن معصيتك ، وعن الشهوات الموجبة للنقص أو البعد عنك ، وهب لنا حقيقة الايمان بك ، حتى لا نخاف غيرك ، ولا نرجو غيرك ، ولا نحب غيرك ، ولا نعبد شيئا سواك ، واوزعنا شكر نعمائك ، وغطنا برداء عافيتك ، وانصرنا باليقين والتوكل عليك ، واسفر وجوهنا بنور صفاتك ، وأضحكنا وبشرنا يوم القيامة بين أوليائك ، واجعل يدك مبسوطة علينا وعلى أهلنا وأولادنا ومن معنا برحمتك ، ولا تكلنا الى أنفسنا طرفة عين ولا أقل من ذلك ، يا نعم المجيب ، يا نعم المجيب ، يا نعم المجيب ، يامن هو هو هو ، فى علوه قريب ياذا الجلال والاكرام ، يا محيطا بالليالى والايام اشكو اليك من غم الحجاب ، وسوء الحساب ، وشدة العذاب ، وان ذلك لواقع ما له من دافع ان لم ترحمنى : لا الاه الا أنت سبحانك انى كنت من الظالمين » 3 مرات ولقد شكا اليك يعقوب فخلصته من حزنه ، ورددت عليه بصره ، وجمعت بينه وبين ولده ، ولقد ناداك نوح فنجيته من كربه ، ولقد ناداك أيوب من بعد فكشفت ما به من ضره ، ولقد ناداك يونس فنجيته من غمه ، ولقد ناداك زكرياء فوهبت له ولدا من صلبه بعد يأس اهله وكبر سنه ، ولقد علمت ما نزل بابراهيم فأنقذته من نار عدوه ، وانجيت لوطا واهله من العذاب النازل بقومه فها انا ذا عبدك

ان تعذبنى بجميع ما علمت من عذابك فأنا حقيق به ، وان ترحمنى كما رحمتهم مع عظيم اجرامى فأنت أولى بذلك واحق من أكرم به ؛ فليس كرمك مخصوصا بمن أطاعك واقبل عليك ، بل هو مبذول بالسبق لمن شئت من خلقك ، وان عصاك واعرض عنك ، وليس من الكرم أن لا تحسن الا لمن احسن اليك ، وانت المفضال الغنى ؛ بل من الكرم أن تحسن الى من أساء اليك ، وأنت الرحيم العلى ، كيف وقد أمرتنا أن نحسن الى من أساء الينا ، فأنت أولى بذلك منا : ربنا ظلمنا انفسنا وان لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين » يا الله يا الله ، يا الله ، يا رحمن ، يا حى ، يا قيوم يامن هو هو هو ، ان لم نكن لرحمتك أهلا أن ننالها فرحمتك أهل ان تنالنا يا رباه يا مولاه ، يا مغيث من عصاه ، أغثنا ، أغثنا ، أغثنا ، يارب يا كريم ، وارحمنا يا بر يا رحيم ، يامن : وسع كرسيه السموات والارض ولا يؤوده حفظهما وهو العلى العظيم » أسألك الايمان بحفظك ، ايمانا يسكن به قلبى من هم الرزق وخوف الخلق ، واقرب منى بقدرتك قربا تمحق به عنى كل حجاب محقته عن ابراهيم خليلك ، فلم يحتج لجبريل رسولك ، ولا مسؤله منك ، وحجبته بذلك عن نار عدوه ، وكيف لا يحجب عن مضرة الاعداء من غيبته عن منفعة الاحياء كلا انى أسألك أن تغيبنى بقربك منى حتى لا أرى ، ولا احس بقرب شيء ولا ببعده عنى انك على كل شيء قدير : افحسبتم أنما خلقناكم عبثا وانكم الينا لا ترجعون ، فتعالى الله الملك الحق لا الاه الا هو رب العرش الكريم ومن يدع مع الله الاها آخر لا برهان له به فانما حسابه عند ربه انه لا يفلح الكافرون وقل رب اغفر وارحم وأنت خير الراحمين » : هو الحى لا الاه الا هو فادعوه مخلصين له الدين الحمد لله رب العالمين » : ان الله وملائكته يصلون على النبىء يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما » : سبحان ربك رب العزة عما يصفون وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين » . ويعرف عندهم بالحزب الكبير ، ويوجد عند ابن عطاء الله ، والشيخ ابن عباد ، وابى القاسم الصيرفى ، وابى القاسم البرزلى ، والشيخ زروق ، وجمهور الشاذلية ، وفيه ثلاث روايات أحدها للشريف العمرانى سيدى عبد النور ، وثانيها للشيخ عبد الله بن الصباغ وثالثها للشيخ العارف بالله تعالى عبد الله بن عباد ، وبها العمل عند أهل فاس بالمغرب وقال الشيخ بهاء الدين بن عقيل : روى عن بعض السلف انه قال : من قال فى كل يوم ثلاث مرات بعد صلاة الصبح مدة شهرين :

استغفر الله الذى لا الاه الا هو الحى القيوم بديع السموات والارض وما بينهما من جميع جرمى وظلمى واسرافى على نفسى وأتوب اليه أعطى كنزين : كنزا من المال وكنزا من العلم ؛ وقد جرب فصح ، وانما الاعمال بالنيات ولكل امرىء ما نوى . وهذه تصيدة للشيخ أبى اسحاق ابراهيم التازى قال فيها :

زيارة أرباب التقى مرهم يبرى	ومفتاح أبواب الهداية والخير
وتحدث فى القلب الخلى ارادة	وتشرح صدرا ضاق من كثرة الوزر
وتنصر مظلوما وترفع خاملا	وتكسب معدوما وتجبر ذا كسر
عليك بها فالقوم باحوا بسرهـا	ووصوا بها يا صاح فى السر والجهر
فزر وتأدب بعد تصحيح نية	تأدب مملوك مع الملك الحر
ولا فرق فى أحكامها بين سالك	مرب ومجذوب وحى وذى قبر

ويقصد بقوله وتأدب الزيارة الشرعية لا البدعية ، وراجع ما تقدم فى ذلك ولا تغفل .

سلسلة من الوثائق الشرعية فى مسائل مختلفة

الوثيقة الاولى فى تحديد الحرم العلمى

ونصها : الحمد لله وحده حيث هو معلوم لدى الخاص والعام ان حدود مساحة جبل العلم قديما ، وكانت تحيط بقبيلة بنى عروس المحترمة التى بها مدفن قطب الاقطاب سيدنا ومولانا عبد السلام بن مشيش وكثير من أولياء الله المحترمين نفعنا الله ببركاتهم آمين حسبما هى مثبوتة فى دفتر الشرفاء العلميين ببنى عروس ؛ وقد أدخلت عليها الحماية الاسبانية تغييرا بالنقص من حدودها وهى كما يلى : ووافقت على الحدود الاخيرة شركة المياه والغابات المغربية بعد الاستقلال ، والحدود المذكورة من جوانبها الاربع تبتدىء من سيدى امام بجبل أبى هاشم الى خناق الرند ؛ واستمر الشفق الشفق الى سيدى أحمد المجاهد البقالى وسار كذلك الشفق الشفق الى ظهر الصحفة الى وادى ثلاثاء بنى يدر تحت مدشر الهراول ، واستمر غربا الى الدكانة بالقرب من سيدى على بوخبرة بمدشر اغبالو ثم منه الى مقطع الحديد بفج الريح من قبيلة بنى يدر ثم وقف ورجع شرقا الى حجر بدو بالقرب من سيدى الفضل من باب الرقايع ، وسار فى اتجاه شرقى الى باب حافة عيسى ، ثم تحول فى اتجاه

غربى الى قمة الجبل بأعلى قرية دار الحيط ، واستمر منه فى اتجاه شرقى الى وطا مدشر امسملل ، ومنه سار فى اتجاهه الى موضع يعرف بالبنى المدعو بعقبة اغيل ، وهناك وضعت رجمة الحد ، ثم منه الشفق الشفق الى موضع يعرف بالعماير وهى كهوف تأوى اليها الوحوش ، وتدعى اليوم بالسحان بوقمقومة ثم نزل منه الى وادى السطح ثم طلع فى اتجاه واحد الى حجر الصيد المعروف بصمعة اقروش وهناك وضعت رجمة الحد ، ثم طلع فى اتجاه واحد الى قمة جبل أبى هاشم ، ثم ذهب فى اتجاهه الى سيدى امام ، المذكور ، فى ابتداء الحدود أولا ، وانشئت هذه الحدود بمحضر لجنة انتدبت لذلك مكونة من عدلين وجم غفير من أعيان الشرفاء العلميين من بنى عروس وفضيلة قاضى القبيلة وسعادة قائدها السيد عبد السلام الوهابى والمراقب الاسبانى لدائرة بنى عروس وسماتة ، ووكيل شركة المياه والغابات الذى رفض الحدود التى اقيمت فى عهد المولى اسماعيل رحمه الله ، ثم اتفق رأى الجميع على هذه الحدود المذكورة المقترحة من طرف من ذكر لمساحة الحرم والضريح الموقر للقطب مولانا عبد السلام بجبل العلم المذكور ، المحتوى على كثير من اشجار الغابة المتنوعة ، ويغلب فيها شجر الدلم وتشت ، وكل ذلك من نبات الطبيعة ، ويوجد أغلب الاشجار بهذه الاماكن التى ستذكر وهى من ركبة كرششن الى باب امسملل ثم سار الى وطا بنى الشريف ثم سار الى سحان الوطا المذكور ، ثم سار منه الى بياطة الشيوخ ، ثم سار الى رحى المدادنة ثم منه الى باب الخناق فوق مدشر ادياز ، ثم الى البلاعة ثم الى عين السبت ثم منه الى حجر بوبرنوص ثم منه الى خندق ابران ثم منه الى دار مولاى اليزيد بالحصن ثم سار الى الولى الصالح سيدى يونس ثم منه الى صاف الرخام ، ثم سار الى أراضى المنصلح ثم سار الى عين عمر ثم صعد الى ركبة كرششن على الشفق التى بدىء بها اولا ، تحت اخضاع وموافقة تامة شهد عليهم وهم بأتمه وعرفهم وفى 28 من رمضان المعظم عام 1365 هجرية موافق 26 غشت سنة 1946 ميلادية علامة العدل الاول ، وعلامة العدل الثانى ، نص الاداء : الحمد لله اديا فقبلا واعلم به عبد ربه فى يومه قاضى بنى عروس عبد السلام اغبالوا الخاتم وبداخله قاضى بنى عروس .

الوثيقة الثانية

وهى تتضمن حقوق الشرفاء العلميين فى فتوحات جدهم المولى ادريس

بفاس وهى مدة شهر كامل ونصها : الحمد لله نسخة رسوم ثلاثة ، الثبوت بالاول والتسجيل بالثانى والاداء بالثالث ، وخطاب من يجب أعزه الله عقب ما سيذكر نص الاول : الحمد لله شهوده الموضوعة أسماؤهم عقب تاريخه يعرفون الشرفاء الاجلة البدور الاهلة حفدة الولى الربانى العارف الصمدانى الغوث الاشهر السر اللائح الاظهر مولانا عبد السلام بن مشيش نفعنا الله ببركاته ، وافاض علينا وعلى المسلمين من فيض خيره وانواره ، المعرفة التامة الكافية شرعا بها ومعها يشهدون بأنهم عقلوا وميزوا وهم يعرفون الشرفاء المذكورين يأتى كل سنة منهم عدد كثير ، والغالب فى شهر ربيع الاول أو قبله بيسير الى الحرم الادريسى زاده الله تعظيما وشرفا بوجود مولانا ونعمة الله التى أولانا خلد الله نصره وعلاه على الدوام ، وحمى به وجيشه المنصور بيضة الاسلام بقصد زيارته واخذ فتوحات الحرم المذكور ، وذبائحه مشتغلين مدة جلوسهم بالحرم المذكور التى هى مدة شهر واحد فى السنة بتلاوة القرآن بالروايات السبعية وبالدعاء لمولانا الامام أيد الله ملكه ، ولجميع المسلمين من غير اذاية الناس ولا يلطخون الحرم المذكور بنجاسة دم ولا غيرها ، كالدخان والكلام بالفحش وغير ذلك مما هو نقص فى حق نسبتهم الشريفة ، وحالهم يتصل بذلك الى الآن وحتى الان ، كل ذلك فى علمهم وصحة يقينهم بالمعاينة والحضور بالحرم للزيارة والصلات ، والاطلاع على الاحوال ، وبمضمنه قيدت شهادتهم مسؤولة منهم لسائليها فى عشرى صفر الخير 1306 هجرية ، الشهود 1 — مولاى احمد بن الطالب المرحوم سيدى ابو بكر بوغالب ، 2 — الشريف الطالب سيدى ادريس بن مولاى الطاهر الطاهرى ، 3 — الشريف الطالب سيدى الطائع بن الشريف سيدى هاشم بن عمر ، 4 — أخوه الشريف التاجر مولاى العربى ، 5 — شقيقه الشريف المسن مولاى العربى بن مولاى احمد البلغيثى ، 6 — الشريف المسن سيدى ادريس ابن سيدى عبد الرحمن العلمى ، 7 — الطالب المؤذن سيدى محمد بن مولاى احمد النسب الشريف ، 8 — المهدى بن سيدى محمد الحجوجى ، 9 — الشريف سيدى محمد بن سيدى الغالى المرابط ، 10 — سيدى عثمان ابن سيدى عبد المجيد بن يحيى المرابط ، 11 — سيدى الحسن بن سيدى احمد معن العبدلاوى ، 12 — والطالب الاجل سيدى عبد الرحمن بن احمد عدامة القصرى ، 13 — السيد عبد الله السوسى ، 14 — الفقيه سيدى عبد القادر الحبابى التاجر ، 15 — الناظر الحاج العربى بن الحاج

عبد الكريم بن موسى التاجر ؛ 16 ــ الحاج محمد بن الامين المــرحــوم ؛ 17 ــ الحاج عبد الكريم بنانى التاجر ؛ 18 ــ الحاج علال بن الحاج عبد الرحمن غلاب ؛ 19 ــ الابر الحاج أحمد بن الحاج على الجرندى ؛ 20 ــ السيد عبد الكريم بن المدنى بن حيون ؛ 21 ــ السيد محمد بــن السيد الطاهر بن مليح ؛ 22 ــ الابر الحاج عبد القادر بن الحاج محمد التازى ؛ 23 ــ السيد عبد السلام بن العلم بن عبــد الكريم عيــاد ؛ 24 ــ الحاج محمد بن الحاج عبد السلام الفلالى ؛ 25 ــ السيد محمد ابن الفقيه ؛ 26 ــ السيد عبد الواحد الشاوى ؛ 27 ــ السيد ابراهيم ابن أحمد الشونى ؛ 28 ــ السيد محمد بن البقالى الاشيب ؛ 29 ــ المسن السيد محمد بن عبد السلام التغزوتى ونص الثبوت الحمــد لله شهدوا لدى من وجه له لموجبه فثبت ونص الثانى أسفله . الحمد لله أشهد الفقيه الشريف الجليل العالم العلامة المدرس النفاعة البركة الاثيل قاضى الجماعة بحضرة فاس البليغ ؛ وهو : عبد الهادى بن أحمد الصقلى الحسينى لطف الله به ؛ وهو اعزه الله وحرسها بثبوت الرسم أعلاه عنده الثبــوت التام بواجبه وهو حفظه الله ورعاه بحيث يجب له ذلك من حيث ذكر وفى التاريخ أعلاه : الحسن بن عمر الكتانى بشكله واسمه ؛ وعبيد ربــه سبحانه وتعالى : عبد الكبير بن محمد بن الحاج العلم الله وليه ؛ ونص الثالث أسفله : الحمد لله وبمثل ما شهد به الشهود أعلاه يشهد عبد ربه : محمد بن العباس العلوى لطف الله به ؛ ومحمد التاودى بن العربــى الورياجلى لطف الله به ؛ وعبد ربه : محمد الفاطمى بن الحسين الصقلى الحسينى لطف الله به ؛ ومحمد المهدى بن رشيد العراقى الحسينى لطف الله به وعبد ربه : العباس بن أحمد التاودى لطف الله به ؛ ومحمد بن عمر الفلالى الحسنى لطف الله به ؛ ومحمد بن أحمد العلوى لطف الله به؛ ومحمد بن عمر الرندى لطف الله به ؛ وعبد ربه : محمد بن أحمد العراقى الحسينى لطف الله به ؛ ومحمد بن محمد بن شعيب لطف الله به ؛ وعبد ربه ؛ الطالب بن عمر بن سودة المرى لطف الله به ؛ ومحمد بن المامون بن عمر الكتانى الحسنى لطف الله به ؛ ومحمد بن عبد الرحمن بن سودة المرى لطف الله به ؛ والهادى بن محمد الصقلى الحسينى لطف الله به ؛ وعبد ربه : عبد الوهاب بن أحمد السراج كان الله له . ونص الاداء :

الحمد لله أدى الشهود التسعة عشر فقبلوا واعلم به . عبد الهادى ابن أحمد الصقلى الحسينى لطف الله به ؛ وبعده بخط من يجب أسندت

وانتهت فقابلها بأصلها فماثلته وأشهده الفقيه الاجل : العالم العلامة الامثل الدراكة النفاعة الاثيل قاضي الجماعة بحضرة فاس البليغ ونواحيها وهو : علامة القاضي أعزه الله تعالى وحرسها باستقلال الرسم المنصوص أعلاه لديه الاستقلال التام بواجبه ، وهو حفظه الله علامته . الحسيني بحيث يجب له ذلك من حيث ذكر وفى 5 ربيع الانوار عام 1320 هجريـــة كان اللـــه لـــه آميـــن .

الـوثيقـــة الثـــالثـــة

أمرت السلطة الاسبانية فى عهد الحماية باحصاء أولاد مولاى عبد السلام من بين الشرفاء العلميين على يد لجنة انتخبت لذلك وسجلت بوثيقة رسمية ثم سجلت بدفتر المعاملات تحت رقم 82 صحيفة 169 ونصها :

الحمد لله وحده بعد ما كان ضريح الشيخ الولى الاشهر الغـــوث الاكبر مولانا عبد السلام بن مشيش رحمهما الله يقام فيه موسم كل يـــوم خامس عشر شعبان من كل عام مدة سنين عديدة ، ويأتى الزائرون اليه من كل نواحى المغرب بهدايا وفتوحات لحفدة أولاد الشيخ برد الله ضريحه وهم أولاد ولده الاكبر سيدى محمد ومن تفرع عنهم وأولاد ولده سيدى احمد ومن تفرع عنهم ، وأولاد ولده سيدى علال ومن تفرع عنهم ، وأولاد ولده سيدى عبد الصمد ومن تفرع عنهم ، وجرت العادة بذلك ، وكـــان الامراء وسلاطين الدولة العلوية خلد الله ملكهم ومن قبلهم يرسلون الصلات الوافرة لحفدته يوزعونها بينهم على السواء – ولم يكن لقرية السكان وجود – وكان لهم فى القديم نقباء أكفاء فضلاء يرشحون لذلك ، وكان لهم النظر فى شؤون الشرفاء والفصل بينهم فيما يرجع الى أمور النسب الشريف ، وكانوا يحظون من طرف السلطة بمساعدتها على لم شمل الشرفـــاء ، وجمـــع شتاتهم ، وتنظيف نسبهم من الادعياء المغرورين ويقبلون من صح نسبه ويثبتونه ، ويردون من لم يثبت نسبه ويطردونه ، ومضت فترة مدة هذه الاعوام الاخيرة لم يرشح فيها أى نقيب ولا قدم أحد على شؤون الاشراف المذكورين ، وبقى الضريح المبارك وحفدة الشيخ المذكور غير منظمين فى شؤونهما ، وتسبب ذلك فى وجود فوضى شاملة أدت الى حدوث مشاكل كان يرجع فيها الى من يكون قائدا على القبيلة أو من كان قوى الشوكة

أيا كان ، وقد تسبب ذلك فى تمشى أمور حفدة الشيخ المذكور فى ضريح
جدهم على طريق غير محمود ؛ الامر الذى انكره الشرفاء أنفسهم وأنكره
غيرهم ، واستغل ذلك ذووا الشهرة منهم فكثرت الرؤساء مـن عائلات
الحفدة المذكورين فاستحالت الامور الى نهب وفساد وضياع حقوق الضعفاء
والمساكين وفى 15 شعبان يوم الموسم من هذه السنة الحالية ، وصلت
الى الضريح الموقر صلة مخزنية قدرها جميع 20 ألف ريال سكة اسبانية
لاجل أن توزع بالسوية على الاشراف من حفدة الولى الصالح المولى عبد
السلام بن مشيش رحمهما الله واعلم بالحضور الى هذا الموسم كل مـن
كان منهم ساكنا بمنطقة الحماية الاسبانية الخليفية المحترمة قبائلها ومدنها
بهذه السنة فحضر منهم جم غفير وعدد وافر ؛ ثم وقع احصاء الحاضرين
فكان عددهم 15060 نسمة . وعليها وزعت العشرون ألف ريال ، الواصلة
للضريح المذكور ، ثم اتفق جل الحاضرين فى هذا الموسم الحالى على تنصيب
لجنة منتخبة من طرف رؤساء الحاضرين من الشرفاء وأعيـانهم وهـم :
1 ـــ قائد القبيلة السيد عبد السلام بن محمـد الوهـابى التجزرتـى ،
و 2 ـــ قائد قبيلة سماتة الحاج محمد بن محمد الشنتوف و 3 ـــ قائـد
قبيلة جبل حبيب الفقيه الوجيه العالم النبيه السيد عبد السلام بن محمد
أفيلال ، الفلالسى ، وغير هؤلاء المذكورين من أعيان الشرفاء الحاضرين
من بنى عروس وغيرهم ، وتكونت اللجنة المنتخبة من السادة : 1 ـــ شقيق
قائد قبيلة بنى عروس وخليفته السيد المفضل و 2 ـــ الحاج محمد بـن
سيدى المختار بن الحاج بركة الطردانى المجاهدى و 3 ـــ المحترم ناظـر
الاوقاف السيد عبد السلام بن البشير الوهابى الميزنى و 4 ـــ السيد محمد
نجل قائد قبيلة بنى عروس و 5 ـــ الشريف السيد لحسن بن السيد محمد
الوهابى السكانى و 6 ـــ الشريف السيد أحمد بن العلمى الوهابى الحصنى
و 7 ـــ الشريف السيد محمد بن العلم بن المكى الوهابى العين الحديدى
و 8 ـــ الشريف السيد عبد السلام بن احمد الخراز الاراريوى و 9 ـــ الفقيه
الاجل السيد عبد السلام بن الطاهر الملقب الكـون الطـالبى المعبـدى
و 10 ـــ ابن عمه الشريف السيد محمد بن العلم الملقب اخمير الطالبى
المعبدى و 11 ـــ ابن عمهما الشريف السيد أحمد بن الفقيه عبد السلام
ابن الطاهر الطالبى المعبدى و 12 ـــ الشريف السيد عبد السلام بن السيد
أحمد المدعو أحمد دحميذو الطالبى المعبدى و 13 ـــ الفقيه العدل الشريف

السيد عبد الكريم مرون المدعو ولد العروسية التصيبى و 14 ـ الشريف
السيد عبد الله بن السيد محمد مرون التصيبى و 15 ـ الشريف السيد
محمد بن البشير الوهابى العين زيانى و 16 ـ الشريف السيد أحمد بن
عبد الله المدعو ولد الحاج المجاهد الطالبى البجارى و 17 ـ الشريف
السيد أحمد أخو قائد القبيلة و 18 ـ الشريف السيد العربى بن عيسى
المدعو ولد مولاى الطاهر المجاهدى الطردانى و 19 الشريف السيد محمد
ابن الحاج الطيب مرون الفرنيوى و 20 ـ ومن أهل تطوان المرشح لنقابة
الشرفاء الفقيه العدل الشريف مولاى أحمد بن عبد السلام الوهابى المدعو
ابن ادريس و 21 ـ الفقيه العدل الشريف الحاج المكى بن السيد أحمد بن
المكى الوهابى و 22 ـ ابن عمه دنية الشريف الوجيه السيد محمد بن محمد
ابن المكى و 23 ـ شقيقه السيد أحمد بن محمد بن المكى و 24 ـ الفقيه
الوجيه الشريف السيد محمد بن عبد السلام المدعو بن الامين و 25 ـ من
أهل شفشاون الشريف السيد العياشى بن محمد العلمى
و 26 ـ الاستاذ النابغة الشريف السيد عبد الله قريش و 27 ـ الشريف
السيد أحمد بن عبد السلام المدعو الدبيبس و 28 ـ الشريف البركة
السيد عبد السلام بن الحاج و 29 ـ الشريف السيد محمد بن على بن
الامين و 30 ـ الشريف السيد التهامى بن محمد بن التهامى و 31 ـ الشريف
السيد محمد بن عبد الوهاب العشايشى و 32 ـ الشريف السيد محمد
ابن أحمد الوهابى التايدى الكرى و 33 ـ الشريف السيد محمد بن أحمد
المدعو بن الهاشمى الوهابى الجديدى الغربى و 34 ـ الشريف السيد
عبد القادر بن محمد المدعو ابن الرشدى الوهابى المطيعى المصورى
و 35 ـ الشريف السيد محمد بن المختار الفقيه العدل المدعو ولد القاضى
الوهابى الاصيلى و 36 ـ الشريف السيد أحمد بن عبد الله الوهابى
التايدى الاصيلى و 37 ـ الشريف السيد الحاج محمد بن العلمى المدعو
ابن حليمة السريفى و 38 ـ الشريف السيد أحمد بن العربى الحليمى
اليدرى البنوخلفى و 39 ـ الشريف السيد العياشى بن الوافى الخراز
و 40 ـ الشريف السيد أحمد بن محمد المحجور و 41 ـ الشريف السيد
أحمد بن المجاهد الخراز البنعمرانى الحسانى و 42 ـ الشريف السيد
أحمد بن ادريس الطريبق و 43 ـ الشريف السيد المفضل بن محمد
الطريبق التطوانى و 44 ـ الشريف السيد عبد السلام بن على افيلال

و 45 ــ الشريف السيد عبد السلام بن الحاج الهاشمــى الفيروزمــى و 46 ــ الشريف السيد أحمد بن الحاج العلمى قنة و 47 ــ الشريف السيد أحمد بن عبد السلام الطريبق و 48 ــ من قبيلة سماتة الشريف السيد محمد بن أحمد الشنتوف الكرسانى و 49 ــ الشريف السيد العلم بن عبد السلام المدعو بورباطة الشنتوف التولى و 50 ــ الشريف السيد مشيش ابن عمر بن الحاج الطيب الشنتوف التولى و 51 ــ الشريف السيد محمد ابن مشيش الشنتوف التولى و 52 ــ الشريف أحمد بن المفضل الشنتوف التولى . حضر الكل وعددهم 52 ناخبا وقبلوا ما رشحوا اليه بأمر مــن نائب الامور الوطنية الاسبانى ضون طوماس غرسيا فيكراس ، والمندوب السامى الاسبانى ضون رفائل غرسيا بالينيو وطلب منهما المساعدة على ضبط وجمع ما تشتت من أفراد الشرفاء أولاد مولاى عبد السلام ، حتى يسهل توزيع الفتوحات النازلة بضريح جدهم عليهم حتى لا يبقى سبب للفوضى الضاربة أطنابها حول الضريح الموقر ويكون تنظيمهم وضبطهم سببا فى محو أصل كل فوضى أو اضطراب حول الضريح الموقر وكان هذا بمحضر من ندب لذلك فسمعه ووعاه وقيده شاهدا به على اشهادهم بذلك وهم بأتمه ، وعرفهم وفى الخامس عشر شعبان عام أربع وسبعين وثلاثمائة وألف ، موافق 7 أبريل سنة 1955 ميلادية .

عبد ربه : علامة العدل الاول ، علامة العدل الثانى ، نص الاداء :

الحمد لله أعلم بثبوته وقبول شاهديه بتاريخه . علامة القاضى عبد السلام اغبالوا الخاتم وبداخله المحكمة الشرعية لقبيلة بنى عروس .

الــوثيقــة الــرابعــة

وهى تتضمن اثبات أصول العائلات التى تسربت لسكنى قرية السكان المحدثة أثناء الحماية الاسبانية ، ولا تزال اصولهم قائمة بالقرى التــى تسربوا منها بقبيلة بنى عروس ، ونصها : وقد سجل بدفتر القضايا المختلطة تحت عدد 66،954 رقم الصحيفة 92 ، 198 عدد 415 .

الحمد لله باذن من يجب أعزه الله رقم 214 ومقتطعه فى كناش تحت عدد 135 شهوده الموضوعة أسماؤهم عقب تاريخه يعرفون آل مــدشر

السكان عند ضريح القطب مولانا عبد السلام المحدث وجوده ؛ وأصل سكانه هم من أولاد ابن عبد الوهاب غالبا وأبناء عمهم أولاد الخراز ، وأبناء عمهم أولاد الشمنتوف ومن بينهم أولاد المحجور المعرفة التامة الكافية شرعا بها ومعها يشهدون بأن أولاد ابن عبد الوهاب ، وهم الطالب السيد عبد السلام بن المفضل المدعو الدرونى ؛ وشقيقه السيد أحمد خرج أبوهما المذكور من قرية عين الحديد واستوطن مدشر السكان وأولاد عبد السلام ابن المختار خرج جدهم من قرية عين الحديد واستوطن مدشر السكان ، وأولاد العياشى لقب البحار خرج أبوهما من مدشر عين الحديد واستوطن مدشر السكان ، وأولاد أحمد الملقب بلابلة خرج أبوهم من قرية عين الحديد واستوطن مدشر السكان . وأولاد عبد السلام الملقب محماح خرج أبوهم من قرية عين الحديد واستوطن مدشر السكان ، وأولاد العياشى بن قاسم خرج جدهم من قرية عين الحديد واستوطن مدشر السكان ، والسيد محمد ابن عبد السلام ابن لحسن خرج أبوه المذكور من مدشر تجزرت واستوطن مدشر السكان ، وأولاد ابن عبد الكريم خرج أبوهم من مدشر تجزرت واستوطن مدشر السكان وأولاد محمد بن عبد السلام بن ادريس خرج أبوهم من مدشر تجزرت واستوطن مدشر السكان وأولاد العلم بن الباشر خرج أبوهم من مدشر الحارش واستوطن بمدشر السكان وأما أولاد الخراز ، وهم السيد الحسن بن عبد السلام خرج جدهم من مدشر الدرادر واستوطن مدشر السكان وأولاد العلم بن قاسم الخراز خرج جدهم من مدشر العجالية واستوطن مدشر السكان والسيد العلم بن عبد السلام بن قاسم الخراز خرج بنفسه من مدشر أراريوش واستوطن مدشر السكان ، وأولاد عبد السلام بن اليزيد الخراز خرج أبوهم المذكور من قبيلة أنجرة واستوطن مدشر السكان ، وأولاد محمد بن على الانجرى الخراز خرج أبوهم المذكور من قبيلة أنجرة واستوطن مدشر السكان وأولاد الحسنى الخراز خرج أبوهم من مدشر بنى عمران من قبيلة بنى حسان واستوطن مدشر السكان وأولاد المختار بن عبد السلام بن قاسم الخراز خرج أبوهم المذكور من مدشر العجالية واستوطن مدشر السكان وأما أولاد السبيطى الردام فان أباهم خرج من قرية أفرنو السفلى واستوطن قرية السكان ، وأما أولاد المحجور فانهم خرج أبوهم من قرية ادياز واستوطن قرية السكان — الا أن نسب المحجور غير مسلم — وأما أولاد الشمنتوف وهم السيد محمد

ابن محمد الشنتوف فانه خرج أبوه المذكور من مدشر توله من قبيلة سماتة ، والسيد محمد بن سى أحمد فهو من أولاد ابن عبد الوهاب ، وخرج أبوه المذكور من مدشر تايدة واستوطن مدشر السكان ولا زال لهؤلاء المذكورين أصول بالمداشر التى خرجوا منها عامرا وغامرا تركوها رغبة فى استيطان مدشر السكان لياخذوا من فتوحات جدهم مولانا عبد السلام ويعيشوا عليها كل ذلك فى علمهم وصحة يقينهم سند علمهم فى ذلك المخالطة مع شدة الاطلاع الاكيد على غالب الاحوال وبمضمنه قيدت شهادتهم مسؤولة منهم لسائلها وفى 29 محرم الحرام 1379 هجرية موافق 5 غشت سنة 1959 ميلادية وضمن فى كناش الجيب الاول رقمه الشخصى 21 عدد 122 والثانى رقمه الشخصى 22 عدد 122 عبد ربه مولاى أحمد بن محمد التجزرتى ، وأخوه السيد المجاهد بن محمد التجزرتى وأخوه السيد عبد المجيد بن محمد التجزرتى ، والسيد محمد بن عمر بن محمد التجزرتى والسيد محمد بن عبد السلام بن الباشر التجزرتى والسيد محمد بن الصادق بن الباشر الحرشى والطالب محمد بن المختار المحجور الحرشى والطالب محمد بن سى أحمد المحجور الحرشى والطالب محمد بن المقدم الملقب البقيجر الحرشى والسيد على بن عبد السلام بن على مشيشو والطالب محمد بن عبد السلام بن الخضر امشيشو وعرفهم من مدشر تجزرت والحارش وامششون شهدوا لدى من قدم لذلك لموجبه فثبت نص الاداء الحمد لله أشهد الفقيه الاجل العالم العلامة الافضل المتولى الاحكام الشرعية بثغر العرائش ونواحيها وهو : العلامة قاضى الناحية أعزه الله تعالى وحفظه بثبوت الرسم أعلاه لديه الثبوت التام لصحته عنده وكتفائه بواجبه وهو حفظه الله تعالى بحيث يجب له ذلك من حيث ذكر وفى التاريخ أعلاه ، علامة العدل الاول وعلامة العدل الثانى نص أداء قاضى بنى عروس وهو : الحمد لله أعلم بثبوته علامة القاضى عبد ربه عبد السلام اغبالوا .

احصاء العائلات النازحة الى قرية السكان ، وهم : (أولاد ابن عبد الوهاب) :

1 ــ أولاد الدرونى	أهل قرية عين الحديد
2 ــ أولاد المختار	أهل قرية عين الحديد
3 ــ أولاد العياشى البحار	أهل قرية عين الحديد

4 ــ أولاد أحمد بلابلة	أهل قرية عين الحديد
5 ــ أولاد عبد السلام محماح	أهل قرية عين الحديد
6 ــ أولاد العياشي بن قاسم	أهل قرية عين الحديد
7 ــ وأولاد عبد السلام بن لحسن	أهل قرية تجــزرت
8 ــ أولاد بن عبد الكريم	أهل قرية تجــزرت
9 ــ وأولاد عبد السلام بن ادريس	أهل قرية تجــزرت
10 ــ وأولاد ابن سي أحمد	قريــة تايــدة
11 ــ وأولاد العلم بن الباشر الملقب بوخواتم	قريــة الحــارش
12 ــ أولاد لحسن بن عبد السلام (أولاد الخراز)	مدشر الدرادر
13 ــ وأولاد العلم بن قاسم	مدشر العجاليــة
14 ــ وأولاد عبد السلام بن قاسم	مدشر أراريوش
15 ــ وأولاد ابن اليزيد	نزحوا من قبيلة أنجرة
16 ــ وأولاد محمد بن على الانجرى	نزحوا من قبيلة أنجرة
17 ــ وأولاد بن الحسنى	نزحوا من قبيلة بنى حسان
18 ــ وأولاد المختار بن قاسم	مدشر العجاليــة
19 ــ وأولاد السبيطى الردام (من أولاد الردام)	مدشر أغرنو السفلى
20 ــ وأولاد المحجور (من أولاد المحجور)	مدشر ادياز
21 ــ وأولاد محمد الشنتوف (أولاد الشنتوف)	نزحوا من قبيلة سمانة

فهذا احصاء العائلات التى كانت موجودة تاريخه عام 1379 هجرية .

الوثيقــة الخــامســة

وهى تتضمن المصالحة المبرمة بين أهل مدشر السكان وبين القرى المجاورة لهم ونصها :

الحمد لله وحده لما وقعت المخاصمة والفتنة بين الشرفاء القاطنين بمدشر السكان عند ضريح القطب مولانا عبد السلام ، وبين أهل مدشر

تزيه وأهل مدشر تايدة ، وأهل مدشر ادياز ، وأهل مدشر الحصن وغيرهم من المداشير المجاورين لضريح القطب المذكور ، علـى شـان التعشيب والحرق والتدبيغ ، وتقليع التشر ، ورعى الماشية ، فاستظهر أهل المداشر المذكورة على مدشر السكان بالرسوم وان الجبل كله ساحة ومنفعة لهم وان مدشر السكان حادث فلا ساحة لهم أصلا وانهم مثل الدراوش فـلا منفعة لهم فى الجبل الا المجاورة لجدهم الشيخ المذكور فوقعت الذبيحة من الجانبين فى المداشر والاسواق والزوايا فاجتمع أهل الفضل من الشرفاء والقبائل والزوار يوم الجمعة تحت تشتة المسماة تشتة عين الحديد ، وادعى أهل مدشر السكان ان الجبل ساحة ومنفعة لجميع الشرفاء ، وادعى أهل القرى المجاورة المذكورون ان الجبل كله مقسوم محدود بينهم من عهد آبائهم وأجدادهم وأسلافهم فكل مدشر يعرف حظه ونصيبه فى الجبل المذكور، ولكل مدشر حججه ورسومه فطرحت الرسوم بين الحاضرين فبقى كلام أهل مدشر السكان مجرد دعوى ولا حجة لهم على ما ادعوه فتدخل الشريف الوجيه ابن الولى الصالح سيدى محمد بن سيدى لحسن التجزرتى ومن حضر من أعيان الشرفاء والزوار وجميع أهل الفضل بالصلح الذى سماه الله خيرا بين الجانبين فاستعطفوا أهل المداشر الذين اتضح ان الحـق حقهم أن يسمحوا لابناء عمهم أهل مدشر السكان بالسكنى مثل الدراوش أى الكرابة على وجه الخير والفضل والاحسان لا على وجه الملكية كما يسمحوا لهم برعى ماشيتهم فقط وأما التعشيب والتدبيغ والتقليع للتشر فلا الا القدر الكافى لاصلاح ساحة الضريح فمن سمع ما ذكر من الفريقين شهد عليهم به وهم بأتمه وعرفهم وفى الخامس عشر من ربيع النبوى عام 1312 هجرية وعلى الرسم المذكور خمس علامات للشهود ، العلامة ، 1 ـــ للسيد محمد بن أحمد بن على الحرشى والعلامة 2 ـــ للسيد محمد بن احمد بن عبد السلام اللهيوى الفرنيوى والعلامة 3 ـــ للسيد العلم بن عبد السلام بن عبد الكريم ، والعلامة 4 ـــ للسيد محمد بن عبد الله شقور ، والعلامة 5 ـــ للحاج عبد السلام بن عبد الوهاب ، نص الاداء الحمد لله أدى العدول الخمسة فتبلوا واعلم بصحة ما ثبت عبد ربه تعالى « علامة القاضى » عبد ربه محمد بن عبد السلام حروش العروسى التزوى . نص التعريف بالقاضى المذكور من طرف قاضى قبيلة بنى عروس وهو : الحمد لله وحده الخطاب والعلامة على الرسم بالملتصق أعلاه يليه المتضمن لصلح

اهل مدشر السكان مع أبناء عمهم من آل مدشر تزيه ومدشر تايدة ومدشر ادياز ومدشر الحصن المؤرخ ربيع النبوى عام 1312 هجرية هما للفقيــه العالم العلامة سيدى محمد بن عبد السلام حروش العروسي التزوي كان وقت تاريخ الرسم المذكور يفصل بين الخصوم ويخاطب على الرسوم بقبيلة بنى عروس واستمر على هذه الحالة الى أن مات عفا الله عنه قاله عارفا ومعرفا به فى 29 من ذى الحجة الحرام عام 1375 هجرية موافق 7 غشت سنة 1956 ميلادية العلامــة 1 ـ للعــدل الاول ؛ والعلامــة 2 ـ للعدل الثانى نص الاداء الحمد لله أدى الرافعان فقبلا واعلم بــه نيابة علامة نائب القاضى نص الخاتم المحكمة الشرعية لبنى عروس خطاب قاضى الناحية الحمد لله اعلم بأعمال الخطاب أعلاه قاضى العرائش وناحيتها علامة قاضى الناحية وخاتمه ونصه : قاضى مقاطعة لكوس ؛ وهناك عــدة وثائق اخرى ابرمت بين الطرفين فى نفس المشكل منها وثيقة تعرف برسم الصلح معلمة بالقاضى السماتى بتاريخ 1375 هجرية موافق 1956 ميلادية.

الوثيقــة الســادســة

وهى تتضمن الجلاء عن قرية السكان واخلائها من السكن ونصها :
الحمد لله وحده لما حضر الجم الغفير من شرفاء قبيلة بنى عروس بضريح جدهم القطب مولانا عبد السلام بن مشيش تحت تشتة عين الحديد وعلى رأس الشرفاء قائد قبيلة بنى عروس السيد محمد بن السيد عبد الرحمن الشريف مرون وناظر الاوقاف للقبيلة الشريف السيد عبد السلام بن محمد ابن الولى الصالح سيدى لحسن التجزرتى الوهابى وأخوه السيد المفضل واخوه السيد أحمد والشريف السيد الحاج احمد بن القاضى مرون والشريف السيد المختار بن السيد عبد السلام بن الحاج بركة المجاهدى الطردانى وابن عمه الشريف الحاج العربى بن مولاى الطاهر العلالق المجاهدى الطردانى والشريف التهامى بن السيد الطالبى المعبدى والشريف السيد العربى الوافى الطالبى المعبدى والشريف السيد العلم بن الخضر الوهابى البوجبلى ، والشريف السيد العربى المدعو عربوش الطالبــى المعبــدى ، والشريف السيد محمد بن العلم الطالبى المعبدى والشريف الحاج العلم بن

الحاج عبد السلام الشنتوف السماتى والشريف السيد محمــد المدعــو الشونى الشنتوف السماتى بمحضر قاضى قبيلة بنى عروس الفقيه العلامة السيد الحسين المحجور الاديازى قرروا فيما بينهم أن ينظروا فى قضية مدشر السكان بعد ما تقدمت لدى محكمة قائد القبيلة المذكــور وذلك ان مدشر السكان المذكور ظهر فيهم الغاوون من سفهاء الاحلام ؛ وكثر فيهم القائمون على السفاح والطغيان والتعامل بسيء الاخلاق والبهتان حتى وقع منهم هجوم على بعض الديار من أجل الفساد وهتك الاعراض ؛ وقد عرض ذلك وسطر بمحضر الاعيان من شرفاء السكان ؛ وهم : الشريف الوجيه السيد عبد السلام الدرونى وأخوه السيد أحمد الوهابيين والشريف السيد عبد السلام بن المختار الوهابى والشريف السيد أحمد بن عبد السلام المدعو محماح الوهابى والشريف السيد العياشى بن قاسم الوهابى والشريف السيد محمد بن عبد السلام بن الحسن الوهابى والشريف السيد محمد بن عبد الكريم الوهابى وشقيقه السيد عبد السلام الوهابيين والشريف السيد محمد بن عبد السلام بن ادريس الوهابى والشريف السيد عبد السلام بن العلم بن الباشر الوهابى والشريف السيد الحسن بن عبد السلام الخراز والشريف السيد العلم بن قاسم الخراز والشريف السيد عبد السلام بــن اليزيد الخراز والشريف السيد محمد بن على الانجرى الخراز والشريف السيد العلمى بن الحسنى الخراز والشريف السيد محمد بن النادى الخراز والشريف المختار بن عبد السلام الخراز والوجيه السيد الصادق بن محمد المحجور وشقيقه السيد العياشى والشريف السيد محمد بن محمد الشنتوف وطلب الحاضرون المذكورون أعلاه من اعيان شرفاء القبيلتين سماتة وبنى عروس من اعيان شرفاء السكان أن يرتحلوا عن جوار جدهم الشيخ مولانا عبد السلام لاساءتهم لزوار جدهم وكثرة طغيانهم وفسادهم وهجومهم على بعض الدور من اجل الفساد وهتك الاعراض وغير ذلك الامر الذى استوجبوا معه ان يرجع كل واحد منهم الى مدشره الذى خرج منه وان يرتحلوا فورا عن جوار الشيخ المذكور وذلك ثابت بموجب اعترافهم على انفسهم حسبما هو ثابت برسم الشهادة العدلية التى اقيمت على اجدادهم بتاريخ 15 ربيع النبوى عام 1312 هجرية والتى تضمنت ان مدشر السكان انشىء بطريق الغصب والتعدى فهو حادث الوجود واهله اعترفوا على انفسهم ان سكناهم به مثل سكنى الدراويش من أجل الاستقرار والاسترزاق مــن

فتوحات جدهم لا غير ثم تقدم من أهل المداشر المجاورين لضريح القطب المذكور أربعة أشخاص فعن مدشر الحصن السيد محمد بن الحاج الصوفى الشريف شقور وعن مدشر ادياز الفقيه العدل السيد المفضل بن محمد المحجور والشريف الطالب السيد احمد بن الطيب ابن حليمة وعن مدشر تايدة الشريف السيد احمد بن عيسى الوهابى ورفعوا شكايتهم بأهل المدشر المذكور لما يلحقهم من الضرر بسبب سكناهم به من رعى مواشيهم بأرضهم وقطع وحرق غابتهم بالتعشيب واستغلال اراضيهم وحيازتها الامر الذى يدعوهم الى الدفاع عن أنفسهم بواسطة العنف بما فى ذلك من تحويلهم المياه المملوكة شرعا عنهم وغير ذلك من وجوه الضرر الذى تسبب فيه وجودهم لاهل المداشر القديمة المذكورة ثم أجاب الاعيان الحاضرون من اهل مدشر السكان بانهم يتعهدون على انفسهم لاهل المداشر المذكورين برفع ما يضرهم من قبلهم عنهم وانهم مكلفون بذلك وعن ملكية الاراضى يعترفون على أنفسهم انهم لا يملكون شبرا من أرض على وجه الغصب والتعدى وانما هم ينتفعون معهم على وجه الخير والاحسان وانهم سيقومون بتأديب سفهائهم ويضربون على أيديهم حتى لا يصدر عنهم ما هو اذاية لهم أو لغيرهم ، ثم تدخل الشريف السيد عبد الله بن الحاج المجاهد الطالبى البجارى والشريف السيد عبد السلام بن محمد بن الولى الصالح سيدى الحسن الوهابى التجزرتى وبعض الاعيان من شرفاء القبيلة فطلبوا من الحاضرين ان يسمحوا لشرفاء اهل مدشر السكان بالاقامة ان هم وفوا بما تعهدوا به على أنفسهم من كف سفهائهم عن كل قبيح ورفع ضررهم عن أبناء عمهم المجاورين لهم وان هم استمروا على ما كانوا عليه فنحن أول من يطالب بجلائهم عن هذا المكان المحترم ولا نوافق على سكناهم به أبدا ثم تكلم اعيان شرفاء السكان بمحضر اعيان شرفاء القبيلتين والقائد وخليفته وقاضى القبيلة والعدول واشهدوا شهيديه على أنفسهم شهادة طوع واجماع بأنهم منفذون لما اتفق عليه الحاضرون واهل المداشر المجاورون فقبل الحاضرون منهم جميع ما ذكر قبولا تاما بأنهم ساكنون على وجه الخير والاحسان والشاهدان تلقيا عنهم ما ذكر على نهج ما قيد وسطر شاهدين به عليهم بعد معرفتهم قدره وهم بأتمه وعرفهم وفى ثامن عشر ربيع الثانى عام خمسين وثلاثمائة والف . العدل 1 — عبد ربه العياشى بن محمد الوهابى العدل 2— عبد ربه المفضل المحجور ، نص الاداء :

الحمد لله أديا فقبلا واعلم به عبد ربه : الحسين بن المكى المحجور .

الوثيقة السابعة

وهى تتضمن ولوج طائفة أولاد بوحراث الساكنين بقرية مجارليين النسب العلمى عن طريق التزوير والبهتان . وانه ليؤسفنى ما اطلعت عليه من أنه ظهرت جماعة من الغاوين من بين من كان أجدادهم محبين لاجدادنا الاقدمين رحمهم الله من طائفة أولاد بوحراث الذين دخل عليهم أجدادنا بطلب من أجدادهم وآووهم وتصاهروا معهم ومتعوهم يخدموهم وعاشوا معهم على ذلك أحقابا طويلة حبا فى أهل بيت النبى صلى الله عليه وسلم ان تظهر من بينهم هذه الجماعة من سفهاء الاحلام المغرورين المخدوعين الجاهلين لم يرضوا بما كان عليه أجدادهم مع أبناء أهل البيت النبوى الكريم وارتموا يدعون انهم من أبناء النسب العلمى الشريف واقاموا على ذلك حججا مزورة وأنفقوا عليها أموالا طائلة وادعوا انهم من أولاد الشيخ مولانا عبد السلام على الخصوص وبعد أن أنكروهم انهم لم يعرفوهم منهم وان ذلك لم يكن معروفا عن أجدادهم رفعوا قضيتهم الى المحاكم الشرعية محاولين بذلك أن يثبت نسبهم عن طريقها فكان جزاؤهم فى النهاية البعد والطرد عنه بصفة رسمية بواسطة المحاكم الشرعية حتى لا يعودوا مرة أخرى الى التفكير فى شىء من ذلك ، واليك ما صنعوا وما جنوه على أنفسهم . فقد توصلت من ذلك بشهادة موقعة ومختومة بخاتم عليه اسم نقيب الاشراف بفاس ، ونصها : الحمد لله وحده والصلاة والسلام على مولانا رسول الله وآله وصحبه نقيب الاشراف محمد بن الطيب البدراوى الساكن بزقاق الماء رقم 19 بفاس طالب الشهادة السيد عبد السلام بن احمد بن عبد السلام العلمى والذى تبين فى شأنه انه شريف علمى من أولاد الحراث ، وذلك بتاريخ 24 ربيع الثانى عام 1389 هجرية موافق 10 — 7 — 1969 ميلادية الامضاء : محمد البدراوى نص الخاتم نقيب الاشراف محمد بن الطيب البدراوى . وهذه شهادة أخرى عنوان صاحبها : خديم الاعتاب الشريفة الملكية المغربية تحت ظل مولانا صاحب الجلالة الحسن الثانى نصره الله . نقيب الشرفاء الادارسة بعاصمة الرباط الحاج محمد بن علال العمرانى الحنشى الادريسى

بدرب الفاسي رقم 26 ودرب النجار رقم 2 الرباط في 23 ربيع الاول عام 1389 هجرية موافق 9 ينيه سنة 1969 ميلادية نص الشهادة : الحمد لله وحده والصلاة والسلام على رسول الله يشهد الموقع أسفله ان الشريف السيد عبد السلام بن السيد احمد بن السيد عبد السلام المدعو الحراث العلمي الادريسي الساكن بحومة الليخر وبمدينة العرائش هو من السادة الشرفاء أولاد مولاى عبد السلام بن مشيش بن ابى بكر بن على بن حرمة ابن عيسى بن سلام بن مزوار بن على حيدرة بن محمد بن ادريس نظرا لما بيدهم من الحجج الشرعية وظهير ملكى منسوب لمولانا الحسن الاول بن محمد بن عبد الرحمن العلوى لافادة المدلى بها ما يستحقه من التوقير والاحترام والحمل على المبرة والاكرام والرعى الجميل المستدام المتضمنة نسبهم الطاهر الى مولانا ادريس بن ادريس بن عبد الله الكامل بن الحسن المثنى بن الحسن السبط بن على بن أبى طالب كرم الله وجهه اشهادا تاما في التاريخ اعلاه عبد ربه تعالى : محمد نقيب الاشراف الادارسة بعاصمة الرباط الامضاء : الحاج محمد بن علال العمراني الحنشي الادريسي وفقه الله . الخاتم غير بارز الحروف كما لهم شهادة لفينية بذلك لم أتوصل بنصها ، ثم قدمت هذه الوثائق لمحكمة السدد بطنجة لتسندها واليك نص المحكمة : وزارة العدل قضية مدنية عدد 663 سنة 1970 ميلادية حكم رقم 81 تاريخ الحكم 21 مايو 1970 ميلادية ع ن ش باسم جلالة الملك بتاريخ 18 مايو سنة 1970 عقدت محكمة السدد بطنجة بقاعة الاحكام جلسة علنية للنظر في القضية المدنية عدد 663 ، 70 برياسة السيد محمد العشيرى ومساعده كاتب الضبط السيد محمد الازمى فاصدرت الحكم الآتى نصه : بعد ما قام العارضون المدعون السادة الحاج عبد السلام ابن عبد القادر وعبد السلام بن أحمد بن عبد السلام بن الطيب بن العلم ابن محمد ، وعبد السلام بن الطاهر وعبد السلام بن الحاج محمد الساكنون بمدشر مجازليين من قبيلة بنى عروس بواسطة محاميهم البشير البقالى عرض الدعوى بموجب طلب مكتوب مؤرخ 9 ابريل سنة 1970 ومسجل بكناش المحكمة تحت عدد 663 ، 70 الطرف الاول طلب العارضون من المحكمة على لسان محاميهم التصريح بصحة الرسوم التى بأيديهم والمرفقة بالعريضة وبالتالى بأنهم ينتسبون الى جدهم مولاى عبد السلام ابن مشيش وتلك الرسوم هى : شهادة نقيب الاشراف الادارسة مؤرخة

فى 13 غشت 1969 للسيد محمد البدراوى ، ثم شهادة أخرى لنقيب الاشراف الادارسة الحاج محمد بن علال العمرانــى الحنشى الادريسى مؤرخة فى 3 ربيع الاول عام 1389 هجرية موافق 9 يونيه 1969 بالرباط ثم شهادة لفيفية مؤرخة فى 26 غشت عام 1948 ويؤيدها فتوى السيد أحمد غيلان وفتوى السيد أحمد بوزد وظهير مبتور ؛ ولهذا قررت المحكمة تأجيل هذه القضية لمراجعة النظر فيها لمدة أسبوع ؛ وبالجلسة العلنية المنعقدة بتاريخ 14 مايو 1970 قررت المحكمة الحكم الآتى نصه : وهو : تم الاطلاع على الملف المتقدم من طرف العارضين المدعين مصحوبا بحججهم وجميع المستندات المرفقة بها ، وقدم المدعى عليهم الشرفاء أولاد مولاى عبد السلام حججهم التى تنفى بتاتا نسب الطرف العارض وانهم لا نسب لهم معهم أصلا فى القديم والحديث بناء على المستندات المدلى بها من طرف العارضين ، وحيث انه لا يوجد حاليا اثبات فى صحتها الامر الذى يستوجب معه عدم اعتبارها صحة واثباتا من أجل ذلك صدر الحكم ونصه : حكمت المحكمة علينا بصحة المستندات المدلى بها فى موضوع نسب العارضين المدعين ، وهى الشهادة اللفيفية وشهادة نقيب الاشراف بفاس وشهادة نقيب الاشراف الادارسة بالرباط التى تقدم الكلام عليها والى جانبها الظهير المبتور كما حكمت بتحمل العارضين المدعين كل صوائر الدعوى .

وبعد أن أطلع الشرفاء أولاد مولاى عبد السلام على ما قام به اولاد بوحراث بمفردهم حرروا احتجاجا على ما فعلته محكمة السدد من نظرها فى القضية من طرف واحد وهو طرف المدعين دون حضور المدعى عليهم أو وكيلهم وانه ليس من اختصاص محكمة السدد أن تنظر فى قضية كهذه ، وانما هو من اختصاص المحاكم الشرعية ثم رفعوا بذلك عريضة الى محكمة الاستيناف طالبين منها مراجعة النظر فى حكم محكمة السدد ، ثم طلبت محكمة الاستيناف ملف أولاد بوحراث كما طلبت من الشرفاء اولاد مولاى عبد السلام اعتماداتهم فى القضية ، ثم انعقدت جلسة فى محكمة الاستيناف من أجل النظر فى هذه القضية فحكمت ببطلان حكم محكمة السدد وعدم اختصاصها وبتوقيف القاضى وكاتبه وانه لا ينبغى الحكم فى مثل هذه القضية الا للمحاكم الشرعية ، واليك نص الوثيقة التى أدلى بها الشرفاء أولاد مولاى عبد السلام لدى محكمة الاستيناف ، وهى تتضمن نفى نسب اولاد

بوحراث من النسب العلمي وغيره وبذلك سدت الباب في وجه أولاد بوحراث دعواهم النسب العلمي الى الابد .

الوثيقة الثامنة

وهي تتضمن نفي انتساب أولاد بوحراث ونصها : المحكمة الابتدائية سجل بدفتر 13 صحيفة 93 عدد 39 وهذا نص الوثيقة المذكورة : الحمد لله وحده شهوده الموضوعة أسماؤهم واشكالهم عقب تاريخه يعرفون الطائفة المسماة أولاد بوحراث القاطنين بمدشر مجازليين من قبيلة بني عروس وغيرها أتم وجوه المعرفة وأكملها ويشهدون مع ذلك بانهم منذ فهموا بعقولهم وميزوا باذهانهم وأدركوا باسنانهم لا يعلمون ولا أحد منهم انتسب للنسب الشريف الطاهر النبوي المنيف وانهم لم يزالوا منظمين في سلك عامة المسلمين لم يتظاهروا به ولا تزيوا بزيه لا في عقود أنكحتهم ولا في معاملتهم الى أن سمعوا الآن ان جماعة من هذه الطائفة راموا الانتساب لشرفاء العلم بعد ما مضت عليهم قرون وأجيال لم يتوسموا بوسم الشرف النبوي ولا احتال به محتال منهم هذا الذي في علمهم وصحة يقينهم سندهم في ذلك المخالطة والتردد كل عام لجبل العلم ومخالطة شرفائه وشرفاء أولاد مولاي عبد السلام رضي الله عنه وخصوصا زيارات أضرحة أولياء الله ببني عروس وجدهم سيدي مزوار من غير أن يروا أحدا من هذه الطائفة يتدخل في فتوحات هؤلاء السادات الكرام ، ولا تزاحموا مع أولادهم في اخذها وشدة الاطلاع على الاحوال وبه قيدوا شهادتهم مسؤولة منهم لسائلها في الخامس عشر من جمادى الثانية عام ثمان وستين وثلاثمائة والف موافق 14 ابريل سنة 1949 ميلادية العدل 1 العياشي ابن محمد الوهابي و 2 محمد بن أحمد اقريمل و 3 محمد بن المفضل الكنفاوي و 4 عبد السلام بن محمد شقور و 5 أحمد ابن العلم بن عبد الله شقور و 6 عبد السلام بن العياشي و 7 محمد بن محمد الحداد و 8 محمد بن الحاج الحليمي و 9 علي بن محمد و 10 عبد السلام بن محمد الخنادق و 11 العدل عبد الكريم مرون و 12 العدل عبد السلام ابن البشير الوهابي نص الاداء : الحمد لله ادوا واعلم به في يومه قاضي بني عروس احمد المهدي الادريسي وفقه الله نص الخاتم : المحكمة

الشرعية لبنى عروس نص اعمال قاضى الناحية : الحمد لله اعلم بأعمال الخطاب أعلاه قاضى مقاطعة لكوس أحمد بن على اليملاحـــى العلمـــى الحسنى نص الخاتم : قاضى مقاطعة لكوس .

قضية الرحامنة المهولة عبر أربعة قـــرون الشفشاونيون

وهى دعوتهم الانتساب الى النسب العلمى الخالص طيلة هذه المدة وهم من حين لآخر يرفعون دعواهم الى المحاكم الشرعية كى يعترف لهم بما ادعوه عن طريقها وفى كل مرة يكون الفشل حليفهم ولا زالوا ينتظرون الوصول ولو عن طريق بذل الاموال اذا هم وجدوا من يقبضها . وبتاريخ فاتح ربيع الاول عام 1389 هجرية موافق 18 مايو سنة 1969 ميلادية طلع علينا رسم عدلى يحمل الاعتراف بشرف من ذكر ونصه : الحمد لله باذن من يجب وبمقتطع عدد 333 من كناش 163 حضر لدى شهيديه السيد الحاج محمد بن بركة العروسى الطردانى الساكن وقته بتطوان وهو معروف عمره نحو 55 سنة متزوج واشهد على نفسه حيث انه نقيب الشرفاء ان الشرفاء الرحمونيين هم أولاد عم الشرفاء الوهابيين لهم مثلهم فى جميع الحقوق وعليهم جميع الواجبات وان طابعه الذى اعلاه وبداخله الحاج بركة الرئيس للشرفاء أولاد مولانا عبد السلام بن مشيش بجبل العلم حضورا واشهادا تامين عرف قدره به شهدا عليه وهو باتمه وعرفاه وفى ثالث وعشرى صفر الخير عام تاسع وثمانين وثلاثمائة والف موافق 10 مايو سنة 1969 وحرر فى 20 مايو 1969 ميلادية بجيب 26 رقم 467 صحيفة 47 عدد 145 عبد ربه تعالى : محمد بن احمد اخريف لطف الله به وجيب 32 رقم 495 صحيفة 98 عدد 104 وعبد ربه محمد بن عبد السلام الطالبى المعبدى لطف الله به ونص خطاب القاضى :

الحمد لله اعلم بثبوته قاضى التوثيق الحاج المختار الخمال العمرانى لطف الله به ويقال : ان هذا الاعتراف فى مقابلة ما ترددت به الاقوال بين المليون والمليون ونصف من الفرنكات ؛ ولما وصـــل الخبـــر للشرفاء الوهابيين وهم المعروفون بأولاد بن عبد الوهاب . وعددهم نحو 35 عائلة كما تقدم رفضوا بالاجماع ان يكون الرحمونيون الذين اعترف بهم الحاج محمد بركة منهم أو من أبناء عمهم الاقربيـــن أو الابعديـــن أو تجمعهم

معهم صلة دم أو قرابة رحم وكان على الحاج محمد بركة بعد أن اعترف
بشرفهم أن يضمهم الى عائلته شرفاء طردان أولاد سيدى عبد الله المجاهد
وهم من أولاد سيدى عبد الواحد بن عبد الكريم كما تقدم أقول : ان دخلاء
الاحلام من هذه الطائفة قد جباوا مكانتهم من الاسلام ولـم يقنعـوا
بحظهم منه مع تقوى الله كسائر المسلمين من كل مـن آمـن بالله ربا
وبمحمد صلى الله عليه وسلم نبيا رسولا واتبعه فى طاعته وجعل التقوى
شعاره فى التقرب اليه والاهتداء بهديه قال تعالى : قل ان كنتم تحبون
الله فاتبعونى يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم والله غفور رحيم » ويا للاسف
فكم بذلوا من مجهودات مالية وعملية طيلة سنين عديدة تتحين وراء هواهم
كى يتبوءوا مقعدا يبوءون بلعنة الله وغضبه عليهم بين الشرفاء العلميين
أهل النسب المحصن من الدخلاء منذ زمن بعيد . وليس النسب الشريف
من جنس ما يباع ويشترى أو ينال بحكم المحاكم ، فهيهات هيهات الوصل
الى الجناب النبوى الشريف عن احدى هذه الطرق ان لم يكن صاحبه
موصولا فى الواقع ، وهل لمن وصل الى ذلك وتبوا مكانة بينهم سالمة
أو مطعونا فيها أن يتمتع بما يتمتع به أهل البيت من اذهاب الرجس عنهم
وتطهيرهم من الذنوب تطهيرا وهل يجدى الوصول بلا تقوى لمن كان
واصلا كلا . لانه صلى الله عليه وسلم تبرأ ممن رام الوصول اليه عن
طريق النسب الطينى وحده لما فى الصحيح من قوله صلى الله عليه وسلم :
ايتونى بأعمالكم لا بأنسابكم . وقوله : ومن أبطأ به عمله لم يسرع بـه
نسبه . بل وجه الكل وجهة واحدة الى ما هو أكرم عند الله تعالى فقال :
ان أكرمكم عند الله أتقاكم » بينما اننا نجد ان هذه المكانة ظلت شهوة
من لا عقل لهم من طرف الامة كلها فى القديم والحديث ، وهناك طائفـة
أخرى فى الامة احترق ضميرها غيظا وحسدا لاهل هذه النعمة ، ونال
جزاء حسده ، ومنهم من اتقى الله ومال الى محبة الله ورسوله وأهـل
بيته ولا شك ان هذه هى الفرقة المرضية ، وهى التى سلكت سبيـل
سلمان رضى الله عنه . ولو فرضنا ان هناك من ساعده الحظ فى الوصول
والحصول على هذه الامنية الغالية ظاهرا وليس له فى واقع الامر وباطنه
منها شىء وتحلى حياته بحلية مستعارة وتبعته ذريته على ذلك هل ينفعه
ذلك يوم ينادى أهل البيت بأسماء آبائهم وتنادى الامة بأسماء أمهاتهـا

وهو بين صفوف أهل البيت ، وهناك سيفتضح كما تقدم فى الحديث ، واحسرتاه فى ذلك الموقف . وجاء فى الحديث من انتسب الى غير أبيه الى آخر ما تقدم من الاحاديث الواردة فى ذلك . وقد كان لاولاد الرحمونى المذكورين أن يكفيهم زاجرا لو عقلوا عفا الله عنا وعنهم ان طردوا عن دعوتهم هذا النسب الشريف عند كل محاولتهم الوصول عن طريق المحاكم بأقلام علماء الامة الاسلامية كما ستقف عليه مما هــو مسطــور فى محله ، والى جانب ذلك ما خسروه من الاموال التى جعلها الله قواما لحياتهم وحياة أولادهم فقد ذهب ذلك كله فى باطل لا يرجى من ورائــه أجر ولا نفع أخروى بل ستنقلب نفقته وبالا عليهم لان الله نهاهم عن اضاعة المال وحينذاك سيجتمع عليهم خسرانان حيث لا نسب ولا مال أنفق فى أجر . زيادة على خسرانهم فى الدنيا بطردهم من النسب النبوى الشريف وعساه أن يكون خيرا لهم عند الله ، فالى أين المصير يا قوم بعد بذل هذه المجهودات ؟ أ الى لعنة الله فى الدنيا والخزى فى الآخرة ؟ أم الى رضى الله والفوز بالجنة ؟ ما هذا بعقل العقلاء ما هكذا يكون الخذلان والسير من وراء الشيطان .

واليك ما سطره بعض علماء الفتوى القائمين بحق الله والحافظين لحدود الله فقد توصلت من ذلك بما يلى : بعد أن تبوأت القضيــة مكانتها بين المحاكم الشرعية وترددت بين الطرفين أخذا وردا بين محاول الاثبات والنافى وقد رجع ذلك فى النهاية الى علماء الفتوى : واليك ما توصلت به من ذلك مسطورا بيد كبار الاجلة الاعلام حملة الاقلام والكلام ، من ذلك فتوى العلامة المدرس شيخ شيوخنا سيدى الحسن بن محمد الزرهونى الشريف العمرانى رحمه الله ونصها :

الحمد لله واصلى واسلم على سيدنا ومولانا محمد بن عبد الله وعلى آله وأصحابه ذوى التقى والجاه ، وبعد : فقد كتبنا فى النازلة أولا وثانيا مع غيرنا من الاجلة الاعلام ما عليه المعول ، وتحققنا بأنها لم يبق فيها لاحد خوض ولا قول لما هو ثابت فى الدواوين التاريخية والكنانيش الملوكية المبنية على ما أنتجه بحث علماء وقضاة وأعيان اشراف الجبال العلمية باذن من السلطان المولى اسماعيل قدس الله روحه لما رأى وقت خلافته من كثرة الدخلاء فى النسبة الهاشمية بكثرة الادعاء والزور والاقاويل

الباطلة حتى تحقق الشريف من المتشرف وكتبوا من نسبه صريح فى دفتر ، وتركوا له ما بيده من الظهائر ، كما قيدوا كل من وجدوه دخيلا فى دفتر ، وأزالوا له ما بيده من الرسوم المزورة ، ومن الدخلاء المطرودين أولاد الرحمونى وهذه الكنانيش المؤيدة بما فى تواريخ الائمة أولى بالتقليد من غيرها لان من وجه اليها عن اذن السلطان ما كانت وجهته مصروفة الا لتحقيق النسبة فمن لم يثبتوه لا نسب له . فاحرى من صرح بنفيه ، وشهد الآن بنفى الرحامنة أى بنفى نسبهم ما يزيد على المائة والعشرين شاهدا ما بين عدل وعالم وشريف ومع هذا التواتر والاستفاضة الكثيرة . لم يبق لقائل ما يقول الا الاذعان والتسليم والقبول لكون هذا العدد محصلا للعلم اليقينى وخارجا عن باب الشهادة ، ويستحيل تواطؤه على الكذب عادة ، ولم يمكن تجريح جميعه ، ولا الاتيان بمؤثر فى شهادته ولو قلامة ظفر ، ولم يبق حينئذ للنظر تعارض ، وانظر الى قضية أبى الخير الملقب لزندقته بأبى الشر حيث شهد فيه عدد نحو الستين وافتى جماعة من العلماء بقتله بدون اعذار ، فكيف بضعف هذا العدد فيما دون القتل ، بالافتاء حوله الذى رام نقض ما أبرمناه ، وبنصوص الائمة القاطعة فى النازلة أيدناه ، بما هو بعيد منها وخارج عما يقابل به التواتر والاستفاضة الحاصلان فيها معتمدا فى كتابته على ما بيد الرحامنة : مثبت ، وما بيد غيرهم ناف ، وان المثبت مقدم على النافى شرعا ، وان بيدهم رسوم اشرية ومعاملات فيها التحلية بالنسبة ، وقد نقل فى الجامع عن القاضى ابن على الحسن بن عطية الونشريسى بعد كلام فى نحو النازلة ما نص المقصود منه ، نعم ، ان كان الطاعنون أكثر من المثبتين واستمر ذلك خلفا عن سلف الى أن وقف على شهود انفردوا بالاثبات ، وفى القبيل مائة من اسنانهم لا يعرفون شيئا من ذلك ، فمثل هذا لا يلتفت الى اثباته ، والتحلية فى الرسوم ان وجدت لا يثبت بها النسب كما هو مشهور فى اللامية وشروحها وحواشيها ، ولو كان ما يقول الافتاء حوله من ثبوت نسب الرحامنة وشهرته ليشهد لهم به كل من هو من أهل بلدهم كبيرا وصغيرا مع انه لم يشهد لهم كما فى الافتاء الاول المنتسخ حوله الا بنية عدلية وحادثة ممن جاورهم من القبيلتين الغمارية والخمسية والمدينة الشفشاونية . وقوله هذه الاستفاضة التى شهدت للمدعى عليهم هم خصماء للمدعين فلا تجوز شهادتهم الخ فمردود بأن المدعى عليهم فى المقال اناس مخصوصون

ولم يشهد واحد منهم ، على انه قد نص غير واحد من العلماء على انه ان وقع نزاع فى حبس مسجد جاز لاهل المسجد ان يشهدوا فيه ، وقوله ان هذا لا يتواتر فيه استبعاد ، يقال له : ان كان هذا استبعاد فما هو بيد الرحمنيين أبعد الذى لم يبلغ ولا قارب هذا التواتر أبعد وأبعد لان شهودهم ليسوا من محلهم غيروزيم وانما هم من القبيلتين الخمسية والغمارية واذا لم يشهد فى هذه النازلة مثل العلماء والاعيان والعدول الشاهدين للمدعى عليهم فمن ذا الذى يشهد ؟ مع ان كل صنف أعرف بصنفه من غيره ، فالشرفاء العلميون الشاهدون للمدعى عليهم هم أعرف لمن هو منهم ، وغيرهم وبما يعرف على اليقين وربما لا يعرف أصلا ، فهم أحق بالشهادة فى مثل هذه النازلة من غيرهم ، وهذا بعض مجارات للافتاء المنتسخ حوله ، وأما حيث حصل التواتر والاستفاضة بالقدر المشار اليه من الاعيان والاشراف والعدول وخرج عن حد الشهادة فلم يبق نظر لاثبات ولا نفى ولا غيره من أى معارض ولم يبق اعذار وأمته صلى الله عليه وسلم لا تجتمع على ضلالة ، وقد كتبنا فى النازلة مع غيرنا ما عليه المعول ، والدخول فى النسبة مع هذا ليس بهين والحق غير خاف والله أعلم . وقيده عبد ربه ورهين كسبه : الحسن بن محمد الزرهونى . أصلا ودارا الفاسى العمرانى الحسنى كان الله له ولجميع عباده بمنه وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه . ثم فتوى العلامة سيدى عبد الواحد بن عبد السلام الفهرى الفاسى ونصها : الحمد لله الذى لا ينبغى الحمد الا له ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد وكل من انتمى له ، وبعد : فمما ينبغى الفات النظر له أولا فى صورة النازلة ان المطلوب شرعا البحث فى النسبة النبوية ليتميز من ثبتت له شرعا ممن لا حظ له فيها، وان ترتبتعليه مفسدة هضممن سقطت دعواه بوجدان السبيلالى امتهانه ومعاملته معاملة العوام لان هذه المفسدة أهون من فضيحة الآخرة حيث تحقق الحقائق ويظهر الامر على خلاف ذلك ويطرد عن ذلك الجناب الذى كان له ينتمى ، وفى كتاب الذخيرة ما نصه : من انتسب الى بيت النبى صلى الله عليه وسلم كاذبا يضرب ضربا وجيعا ويشهر ويسجن طويلا حتى تظهر توبته لانه استخفاف بحق الرسول صلى الله عليه وسلم وفى الصحيح ايضا انه صلى الله عليه وسلم أمر حسانا رضى الله عنه أن يذهب الى أبى بكر رضى الله عنه ليخلص له نسبه اى حين اراد حسان

وأمر أن ينافح عن النبى صلى الله عليه وسلم قال له فكيف بنسبى فقال حسان لا سلنك منهم وتعين عليه تخليص نسبه الشريف ؛ وكذلك سائر الامة لما كلفوا به فى حق الآل بأمور ؛ منها الصلاة عليهم الوارد بها النص حسبما فى الصحيحين وبما يجب لهم كما فى المختصر : فخراجها والخمس والجزية لآله صلى الله عليه وسلم وبما نزهوا عنه بالكفاية من غيره ؛ ففى صحيح مسلم ان هذه الصدقة انما هى أوساخ الناس وانها لا تحل لمحمد ولا لآل محمد الى غير ذلك . فلما كلفت الامة بهذه الاحكام وغيرها فى حق آله صلى الله عليه وسلم تعين تمييز متعلقها الذى هو الآل من غيرهم ولا يتميزون الا بالبحث البالغ ؛ والتفتيش المستقصى ولذلك نصبت النقابة قديما وحديثا فى ممالك الاسلام ؛ وذلك أهم ما نصبوا له ؛ لان الناس جبلوا على حب العلو ونيل الرياسة فكلهم يتطلع ويتحيل للتحلى بهذا النسب الشريف فاذا لم يقع الذب عنه استوى الشريف والمشروف وتعطلت الاحكام وتعلقت بغير أهلها ونعوذ بالله من ذلك ؛ قال الامام أبو عبد الله ابن السكاك وكان قاضيا بفاس أوائل المائة التاسعة فى كتابه : المسمى « نصح ملوك الاسلام بالتعريف بما يجب عليهم من حقوق آل البيت الكرام » فى سياق كلام ما نصه : فأما وظيفة الشرفاء فالسؤال والبحث والغيرة على هذا النسب الكريم ليلا يتجرا عليه من ليس من أهله فهذا أمر يجب عليهم ويتعين . وقال الشيخ النظار شيخ الاعصار والامصار مفتى فاس أبو عبد الله القصار : ينبغى أن يكون لاهل البيت النبوى بل ولجميع الامة غيرة على هذا النسب الشريف وضبطه حتى لا ينتسب اليه أحد الا بحق كما جر ىعليه السلف الكرام لتعيين توخيهم بالاجلال والاعظام ، وقال الامام ابن حجر الهيثمى ينبغى لكل أحد أن يكون له غيرة على النسب الشريف وضبطه حتى لا ينتسب اليه صلى الله عليه وسلم أحد الا بحق هـ ببعض تصرف أى من ناسخ الاصل ، وهذا بحث من أجله عن سؤال وجواب للشيخ الحجة خاتمة قضاة العدل أبى حامد سيدى العربى بردلة عما فى النوازل ، يذكر راويه عن الامام : ولهذا الذى أيقظت له النظر اولا لما كثر المتشرفون والمدعون بادر لحيازة قصب السبق فى هذا الميدان السلطان الافخم والامام الاعظم مولانا اسماعيل قدس الله روحه فأمر فى وقته بالبحث والتنقيب وتمييز الغث من السمين والصحيح من السقيم من قام به وصف استحقاق ذلك فى سائر ايالته الشريفة حتى يتبين

الصادق من الكاذب فى جبل العلم وغيره ؛ وصار المدار على ما أنتجه البحث مما هو مسطور فى دفاتره المفيدة ؛ وذلك اثباتا ونفيا لانه زبدة الابحاث التى قام بها الشرفاء وعلماء النسب اذ ذاك من الثقات ونقبائهم وقضاتهم لا سيما وقد قال الامام أبو حامد سيدى العربى الفاسى فى المرآة نقلا عن أخيه الحافظ أبى العباس فى وقتهما فى خصوص أهل جبل العلم بفتح اللام ما نص الغرض منه : أن شرفاء العلم يعرفون الرجل بعينه وانه ابن فلان ويعرفون الاب أيضا كذلك بحيث انتهــوا فى ذلك الى معرفــة الاشتقاء من الذين للاب فى كثير منهم الى أن قال : مع تحفظهم الى الغاية فى نسبهم حتى ان من سكن بين أظهرهم وتوالت الاعصار عليه وعلى بنيه من بعده لا يغفل أمره ولا يمكنه الدخول فيهم أصلا بل يتوارثون معرفته ونسبه الخ وقال أيضا : بعد هذا ما نصه : اذ العمران فى سفح الجبل ودائر به فى مداشر وعمائر كثيرة يسكنها أهل هذا النسب الكريم ومعهم من لا نسب له من الذين استقدموهم للمساكنة معهم ولمجاورة أهل البيت الكريم ؛ وهو خلاف ما أشعر به بعض فتاوى المدعين كما علمت منه ان المولى اسماعيل برد الله ضريحه بذل غاية الجهد سالفا فى هذا المعنى وأبقى زبدة ذلك بين عترته الطاهرة النبوية اسوة لمن بعده جزاه الله خيرا وان تلك الزبدة لم يقم فيها أحد باثبات أو نفى الا بعد البحث التام والاعتماد على شهادة الاشراف وعلماء الاسلام ؛ وان شرفاء جبل العلم كان لهم الوفد الخصوصى وان سلالتهم المباركة كانت من قبل قائمة على ساق الجد فى حفظ أصولها وفروعها بحيث لا يمكن لمن ساكنوهم دهورا طويلة أن يندرج فى أصولهم عن طريق عمود نسبهم الشريف جيلا بعد جيل ؛ وهكذا الى وقتنا الحاضر كما هو معلوم بالبوادى والحواضر ولا ينكره الا معاند او مكابر ؛ فكيف يمكن مع هذا وجود فرع سيدى العافية بن سيدنا محمد ابن مولانا عبد السلام ، وبقاؤه الى هذا العصر ؛ وانكاره من باقى فروع سادتنا الشرفاء والحال ان غير واحد نص على ان أولاد الرحمونى لا حظ لهم فى النسب العلمى الشريف كما نقل ذلك الجهابذة من المفتين بجانب المدعى عليهم واما ما ذكره الكاتبان بالمنتسخ حوله فرعه فقد اسناده على أمور : الاول ثبوت النسب بشهادة السماع وحيازة مدة طويلة حسبما بالبينة العدلية ذات الشهود الستة التى أدلى بها المدعون فقد عورضت هذه الحيازة بأن محل أعمالها حيث لا منازع وفى صورة النازلــة ثبــوت

المنازع ووجوده قديما وحديثا وأجاب المفتى الاول حوله عن هذا بأن المنازع قديم والذى أثبت لهم النسب متأخر ولا يخفى ما فى هذا الجـــواب مـــن الركاكـــة ؛ ضرورة ان الذين نازعوا قديما فى ثبوته نفوا نسب هـ ؤلاء الرحامنة بالعلم والدراية والحجة التى سوغت لهم نفيه . ومن أثبته أخيرا لم يات له المفتى بحجة علمية أو عدلية على اثباته الا ما أسندت اليه من معاينة ذلك أى تحليتهم بالشرف فى معاملاتهم وأنكحتهم الخ مع ان ذلك لا يفيد فى الفقه شيئا كما فى اللامية وشروحها وحواشيها لا سيما مع ثبوت النزاع فى كل أوان فما ذكره المفتى من معاينة الرسوم وهى لا تفيد شيئا فى تعيين الحكم . وان تلك الانكحة وما فى معناها لم يذكر لنا المفتى هل اشتملت على ذكر العمود على وجهه أم لا ؟ وأما قوله ان بينة المدعى مثبتة والاخرى نافية ، والمتقدمة الاولى ، وهو الامر الثالث فيقال له عليه لا نظر الى الترجيح بالاثبات الا عند تساوى البينتين . وقد علم ان بينة المدعين مسترابة من حيث وجود النفى الصحيح عن فحول النسابين سالفا بعكسها ؛ وحيث ان الشرفاء بجبل العلم شهدوا أيضا بضد مـــا شهدت به ؛ وقد نص الاصوليون على ان ما توفرت فيه الدواعى على نقله فنقل من وجه شاذ فانه لا يسمع ؛ وقال ابن عرفة : لحوق الريبة فى شهادة السماع مطلقا الخ وفى المجموعة :اذا شهد رجلان على السماع وفى القبيلة مائة من أسنانهم لا يعرفون شيئا من ذلك لم تقبل شهادتهم الا بأمر يفشو ويكون عليه أكثر من اثنين ، الا أن يكونا شخصين قد باد جيلهما فتجوز شهادتهما هـ وقال سيدى عيسى اذا كثر من لم يسمع وشهد هذان اللذان شهدا بالسماع عن الجمهور كان ريبة منهما فى جهة الشذوذ هـ انظروا نوازل السملالى والبهجة وغيرهما على ان بينة المدعين لم تتعرض لتنقلات فى الانساب بوجه ولا بحال ؛ ولا نفى ذلك المدعون عن أنفسهم بغيرها فيما وصل الى اليد ، وتلك التنقلات الثابتة الآن بعدلية المطلوبين قصرت ولا اشكال بالطالبين كما انها أى بينة المدعين أيضا لم تتعرض لما تضمنته أيضا بينة المدعى عليهم من انقطاع سيدى العافية وعقبه الذى يروم التوصل عن طريقه المدعون منذ مآت السنين والنقل مساعد لهذه البينة على ما شهدت به ؛ وليس فى الافتاء الثانى حوله زيادة على ما أجاب عنه المفتى أعلاه ؛ أما الاخبار بمعاينة بعض الشهادات وما قيل فى المعطوف عليه يقال فى المعطوف ؛ وأيضا بينة المدعين المدلى بها لا زالت عما ادعوه

فى المقال من كونهم كانوا يتصرفون مع الشرفاء فى فتوحات الجبل الراسخ مولانا عبد السلام رضى الله عنه فلتنظر ؟ وأما نازلـــة القاضى المجاصى رحمه الله فالفرق بينها وبين نازلتنا واضح لمن أنصف ؛ اذ الحيازة هنا لم تعدم منازعا فى وقت من الاوقات ، وما نقله فيها عن الامام ابن خلدون من نسب بنى عبيد قد اعترضه الحافظ ابن حجر العسقلانى من جهة علمية فليحرر ؟ على أن جواب المجاصى مصرح بتقييد عدم النظر الى كثرة النافى بقوله : حيث لم يتضح مبنى نفيه الخ ما نقله عنه الافتاء حوله ؛ هذا وقد قال فى التوضيح الناس مصدقون فى أنسابهم وتبعه شمس الدين لكن قال التتائى ينبغى تفسيره بغير دعوى الشرف ، ونحوه للتماق فى حاشيته على شرح الحصن والله أعلم وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم وقيده عبد ربه عبد الواحد الفهرى الفاسى وفقه الله بمنه .

ثم فتوى شيخنا العلامة سيدنا العباس بنانى رحمه الله ونصها :
الحمد لله كما ينبغى لجلاله وصلى الله على سيدنا محمد وآله .

وبعد : فقد كثر فى هذه النازلة القول وجرى بمنهل الافتاء فيها السيل وذلك فى ثبوت نسب الرحمونيين المدعين فى مقال النازلة واتصاله بالولى الاشهر ابن مشيش الشريف الحسنى الادريسى وعدم اتصال نسبهم بمـــن ذكر وكل من الفريقين فى ثبوته ونفيه أدلى بموجب وافتاءات وظهائر وكل ذلك فى المنتسخ أعاليه وبمحوله ، ولم يبق بعد وصول النازلة الى الطور الحاضر الا ان يحكم قاضيها بما هو الراجح فيها ، والترجيح انما هـــو لجانب المدعى عليهم بكثرة الشاهدين بالنفى من عدول ولفيف تجاوزوا حد الخبر المتواتر الذى تفيده الشهادة الى اليقين ، المستفاد من الكثرة المذكورة؛ قال فى جمع الجوامع : وآية العلم اجتماع شرائطه . ويعدل فى النسب على الترجيح بمزيد العدالة الى الكثرة عملا بقول اللامية : بعتق نكـــاح الـــخ زيد عدالة كحد قصاص نسبة مع معقب الخ وضابطها ما لا يثبت الا بعدلين ، وأما ما يتشبث به الخصم من الترجيح بتقديم المثبت على النافى فمحل ذلك حيث يكون الثبوت المبنى على حيازة النسب بما تحاز به الاملاك تاما شرعيا خاليا من الموانع ومن جملتها أن تكون الحيازة التى اعتمدها المثبت دون منازع ، ولا زال هذا النسب مصحوبا بالمنازع فى القديم والحديث ، وقد

ثبت للمستفتى كما بالرقم حيث أشير . انتساب المدعين للولى سيدى الملهى وطردوا عنه ، ثم انتسبوا الى الولى الصالح سيدى يونس وطردوا ، ثم انتسبوا ثالثا لسيدى العافية ولا جرم ان الاضطراب فى مثل ذلك موجب لسقوط دعوى المدعى ولبينته وذلك من بديهيات علم الاحكام وفى النوازل . ويرجح أيضا جانب المدعى عليهم بخلو المدعين الرحمونيين من الكناش الاسماعيلى وهو العمدة فى هذا الشأن لبنائه على كمال الضبط والتنقيب وغاية التحرى بطرق شرعية قام بتحريرها العلماء الباحثون من كل ناحية بأمر من المولى اسماعيل السلطان الاعظم فخر الملوك الاشراف العلويين نور الله قبره ، وتصريح وزيره الاكبر النسابة الاكتب الحميدى بنفى خصوص نسب الرحمونيين فى كناشته . ويوجد فى عداد المؤلفات المصنفة فى نسب العلميين بنفى ذلك النسب بالخصوص ، كما ألم بذلك الشريف العلامة النقيب مولاى عبد الرحمن بن زيدان ، والحافظ المؤرخ مولاى عبد الحى الشريف الكتانى فى فتواهما حيث أشير . وبالجملة فيكفى فى سقوط هذا النسب المحدث عنه وجود هذه الاختلافات الكثيرة حسبما هو مشاهد لكل من وقف على تلك النازلة واحاط علما بكل ما راج فيها . وموضوع الناس مصدقون فى أنسابهم ما لم يثبت معارض ، وهو فى النازلة ثابت بيد المستفتين المدعى عليهم بل هو راجح والعمل بالراجح وتقديمه على المرجوح متعين عند المحدثين والاصوليين والفقهاء . فلم يبق فى النازلة الا أن يصدر القاضى حكمه فيها بما هو الراجح ليريح بذلك ويستريح ، لان ارسابها فى ميدان الافتاء يدخلها فى حيز الاشكال والاحكام منوطة بالظاهر لقوله عليه الصلاة والسلام : ما أمرت أن أشق على قلوب الناس ولا على بطونهم . وفى الحديث أيضا فأقضى على نحو ما أسمع . وأما الظهائر التى أدلى بها المدعون أخيرا المنتسخة بالمشار أعلاه ، أولها لعالم الملوك المولى سليمان ، وآخرها للسلطان العدل مولاى الحسن فيوهن الاحتجاج بها تأخر الادلاء بها بعد عامين من روجان الدعوى ولم يدع صاحبها غيبتها حتى يكون له عذر فى ذلك على القول بأن غيبة الرسوم عذر وأيضا ففى الظهير الاول منها وهو السليمانى الاحالة على ظهائر متقدمة عليه ، فما بال المدعين لم يحضروا تلك الظهائر المحال عليها ، فيه مع خلو الكناش الاسماعيلى فقد تطرقت الريبة للاحتجاج بها ، وقد كاد المريب ان يقول حدوا لى هذا الذى ظهر لكاتبه والله المحيط بعلمه هـ عبد ربه العباس بن أبى بكر بنانى وفقه الله . كانت وفاته رحمه

الله بتاريخ 9 رمضان عام 1392 هجرية 16 أكتوبر سنة 1972 ميلادية ثم فتوى بالموافقة المصحوبة بنص الحجة من الكناش الاسماعيلى للشريف العلامة نقيب الاشراف العلويين مولاى عبد الرحمن بن زيدان ونصها : الحمد لله حق حمده وصلى الله على سيدنا محمد وآله وجنده .

وبعد فغير خاف ما كان للسلطان الاعظم مولانا اسماعيل من الاهتمام والاعتناء بضبط الانساب الشريفة المحمدية الطاهرة وحفظها والمبالغة فى صيانتها من الدخلاء وانه لما تبوأ عرش الخلافة وجد أمر الاشراف مختلا وكادت الرعايا كلها تصير أشرافا ، فأصدر أمره الشريف لاعيان الاشراف وعلماء شرفاء جبل العلم وقضاته بسائر تلك القبائل الجبلية بتمييز الاشراف من أهل الدعاوى بكل قبيلة وقرية ، فقاموا بذلك أحسن قيام ، وأزالوا عن وجوه الدخلاء اللثام ، ونزعوا من يد كل من وجدوه دخيلا كل ما بيده من الرسوم المزورة وكتبوه فى دفتر خاص ، ورفعوا كل من وجدوا نسبه صريحا وكتبوه فى دفتر خاص أيضا وتركوا له رسومه وظهائره ، واستمروا فى ذلك وطافوا على القبائل كلها وميزوا الاشراف من المتشرفة ، وأطلعوا السلطان المذكور على ما أنتجه البحث والتنقيب على الوجه الشرعى فى ذلك فأصدر اوامره المطاعة بكتب ذلك فى دفاتر سلم أحدها للنقيب الاكبر العلامة سيدى على بن عبد السلام بن عبد الوهاب الفرنيوى الذى كان بجبل العلم فخمدت شعلة أهل الدعاوى الباطلة وانكسرت شوكة تنطعهم طول أيامه ، ولم يبق من ينتسب للجناب المحمدى بالزور والبهتان وصرح وزيره الاكبر ابو عبد الله الحميدى فى كناشته بطرد من كانوا يدعون النسبة الطاهرة افكا وزورا ، منهم أولاد الرحمونى المشار اليهم أعلاه حسبما فى صحيفة 111 من الجزء الاول من الكناشة المذكورة وفى صحيفة 262 منها أيضا بهـذا الرقم ، وبهذا وحده تنتفى دعوى الحيازة بدون منازع سيما وقد عززه ما أوضحه ائمة العلم وحملة الشريعة المطهرة فى فتاويهم اعلاه ، وبه يقول : وعليه يوافق عبد ربه نقيب الاشراف العلويين : عبد الرحمن بن زيدان دبـر امـره هـ .

الوثيقـة التـاسعـة

وهى تتضمن شهادة عدلية بنفى نسب الرحامنة ونصها الحمد لله

الواضع شكله عقب تاريخه يعرف الاناس القـاطنين بمديـنة شفشاون وبمدشر غيروزيم حولها المدعوين الرحامنة الذين انتقلوا الى ما ذكر أيام الرواشد سنة 905 هجرية من قبيلة بقيوة من طائفة آيت رحمون حيث ان اصلهم من هناك المعرفة التامة الكافية شرعا بها ومعها يشهد بأنه لم يزل يسمع سماعا فاشيا مستفيضا على ألسنة أهل العدل وغيرهم انهم لا نسبة لهم قط الى النسبة الهاشمية العلمية التى شهرتها كافية فى النواحى المغربية وغيرها كما يسمع كذلك نسبوا أولا للولى الصالح سيدى محمد الملاهى وطردوا ثم نسبوا للولى الصالح سيدى يونس لحفائده بنى رحمون المعلوم وطردوا كذلك ثم نسبوا ثالثا لسيدى العافية بن سيدى محمد بن القطب مولانا عبد السلام بن مشيش رضى الله عنه وان هذا العقب قد انقرض (1) منذ زمن طويل ما يزيد على المائة سنة سلفت من تاريخه وطردوا ثم نسبوا رابعا لاولاد بن عبد الوهاب وطردوا ثم نسبوا خامسا لاولاد سيدى علال ابن مولاى عبد السلام رضى الله عنه وطردوا وانهم لا نسبة لهم لسيدى أبى بكر رضى الله عنه الذى هو تعدد كافة الشرفاء العلميين حسبما هو مثبوت فى الدواوين التى ألفت فى النسب العلمى بقصد احصاء الافراد والفروع ، ورد كل واحد الى فرعه الخاص به حتى يتبينوا من غيرهم وكما سمع انهم لم يحوزوا الشرف قط وانهم مهما ادعوه فدعوتهم داحضة ، ولذلك طردوا عنه وقيدوا بذلك شهادتهم مسؤولة منهم لسائلها فى عشرى شهر رمضان المعظم عام 1353 هجرية عبد ربه : الحسين بن محمد بن ريسون الحسنى العلمى امنه الله بفضله آمين وعبد ربه : محمد بن محمد الحداد ، وعبد ربه : عبد الله بن الحاج عبد السلام وفقه الله ، وعبد ربه : على بن محمد لطف الله به آمين . وعبد ربه الوافى بن أحمد العسارى لطف الله به ، وعبد ربه : عبد السلام بن محمد شقور ، وعبد ربه : احمد بن العلم شقور . وعبد ربه : المفضل بن محمد الكنفاوى وعبد ربه : عبد السلام بن محمد زروق ، وعبد ربه : على الوريني ، وعبد ربه : احمد ابن الطاهر الطالبى لطف الله به آمين ، ونص الاداء :

---

(1) بل هذا الفرع غير موجود لانه ليس معرفا عند الاولين والآخرين ، وهذا الاسم لم يتسم به أحد من الدارسة العلميين لانه لعدوهم موسى بن ابى العافية وأول وجوده عند المؤرخين فى مرآة المحاسن والظن انه مدسوس لغرض كهذا بحيلة أو بغيرها . المؤلف .

الحمد لله أدى العدول الاثنا عشر فقبلوا واعلم به نيابة عبد ربه تعالى محمد بن احمد اتريمل لطف الله به آمين . وخطاب قاضى ناحيـــة العرائش ، الحمد لله اعلم بأعمال خطاب نائب القاضى بزنى عروس المرسوم اعلاه عبد ربه : العياشى اليملاحى لطف الله به ورعاه وخطاب وزير العدل الحمد لله اعلم بأعمال الاعمال أعلاه : محمد بن التهامى افيلال عفا الله عنه ونص الخاتم وزارة العدلية بالمنطقة الخليفية ، ووزارة العدلية الاسلامية ومن العجب انك تراهم بعد هذا كله يصرحون انهم مظلومون حيث منعوا من حقهم فى النسب العلمى . رزقنا الله واياهم توبته وتوفيقه لهداية القرآن حتى يتحقق لنا السير وراء سيد المرسلين آمين والحمد لله رب العالمين .

خـــلال الشريـــف وأخـــلاقـــه

من اخلاق الشريف المنتسب لبيت النبى صلى الله عليه وسلم والذى ينظر اليه من خلالها جميع الناس كزاوية جامعة للاصل الكريم فان لم تتوفر لديه فلا يامن من أن يترتب عل ىذلك الريب فى هذا الدين. واخلاق النبى الكريم صلى الله عليه وسلم ومن اجل هذا يجب أن يعمل عليها ويتخلق بها ، ويحض عليها من لم يكونوا عليها كل من تحلى بالنسبة الشريفة لانهم فى طالعة المومنين وتتلخص تلك الاخلاق فى امتثال ما جاء به القرآن والسنة المطهرة الشريفة ، وهى على قسمين : ايجابية وسلبية . فالايجابية هـــى العلم بدينه ، والعمل بطاعة الله ورسوله ، وان يكون عفيفا مقداما جوادا كريما طاهر القلب متحليا فى جميع أحواله بالامانة ، والوفاء بالعهـــد ، والاخلاص فى العمل ، محب النفع وتبليغه لعباد الله ، وأن يكون متصفا بالزهد والورع ذا قناعة بما قسم الله له ، متوكلا على الله فى جميع شؤونه حليما صابرا محتسبا نزيها عما فى ايدى الناس الا لضرورة نزلت به وان يكون محافظا على عرضه وعرض اهله غيورا على دينه وحرمته وصالا لرحمه سموحا مشروح القلب بالتسليم والتفويض الى اختيار مولاه على اختيار نفسه بصيرا بعيوبه ، كثيرا لذكر ربه وتلاوة قرآنه ان كان حافظا له ، واما السلبية فهى اجتناب الكذب والغش والخديعة والكبـــر علـــى المتواضعين ، والعجب بنفسه والحسد لغيره غير مغتاب ولا نمام ، غير عاق لوالديه ولا شاهد بزور ولا قائل ببهتان ولا قاذف بعرض المحصنات الغافلات

المومنات مجتنب للعمل بالسحر وقتل النفس بغير حق ، غير آكل للربا ومال اليتيم بعيد عن السرقة وقطع الطريق ، والغصب والتعدى وظلم الضعفاء وأهل الله ، ويستثنى من ذلك الانتصار لنفسه فانه مشروع ومعمول به للدفاع عن نفسه وكرامته ودينه لقوله تعالى : والذين اذا أصابهم البغى هم ينتصرون وجزاء سيئة سيئة مثلها » وقوله : ذلك ومن عاقب بمثل ما عوقب به ثم بغى عليه لينصرنه الله » وقوله : ومن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم » ومنه حديث : من قتل دون نفسه فهو شهيد . ومن قتل دون ماله فهو شهيد ومن قتل دون عرضه فهو شهيد . ومن قتل دون دينه فهو شهيد ، ومن السلبيات اجتناب الرياء فى جميع الطاعات . والطمع الحرام مثل القمار والربا واليناصيب بعيد عن الخمر وأهله . وان لا يكون محبا لان يحمد بما لم يفعل وان لا يكون متملقا أو منافقا أو مداهنا . وهو بذل الدين والعرض لجلب المصالح الدنيوية وعكسه المدارات وهى مشروعة لمن ابتلى بسفهاء الاحلام . وان لا يكون مسخرا مستهزئا بأحد من خلق الله ، وان لا يكون محبا للدنيا والرياسة فيها لاجل القدرة على التمتع بها ، وأعلى أصناف متاعها النساء . لقوله تعالى : زين للناس حب الشهوات من النساء والبنين والقناطير المقنطرة من الذهب والفضة والخيل المسومة والانعام والحرث ذلك متاع الحياة الدنيا والله عنده حسن المآب ». آل عمران وهنا انتهى العمل المقصود من جمع هذا التاليف والحمد لله رب العالمين . وكتبه عبد ربه الطاهر بن عبد السلام بن عبد الوهاب اللهيوى الوهابى العروسى العلمى الادريسى الحسنى بتطوان بتاريخ 6 جمادى الاولى عام 1395 هجرية موافق 18 مايو سنة 1975 ميلادية . وبالله التوفيق



فهرس

الصفحة

الصفحة

الصفحة

الصفحة

الصفحة

الصفحة

الصفحة

الصفحة

الصفحة

الصفحة

الصفحة



تاريخ الارجاع

مطبعة النجاح الجديدة
الــدار البيضاء